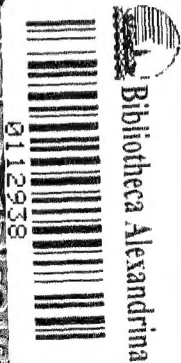


كتاب

البيان

للقاضي النعمان بن محمد
المشرف سنة ٣٥٣ هـ

دار الفقه
بيروت لبنان



كتاب
المجبال والهايكات

المجلد الأول والأخير

للقاضي النعمان بن محمد
المشرف سنة 363 هـ

تحقيق

محمد اليعلاوي
أستاذ محاضر

إبراهيم شبّوح
باحث بالمعهد القومي
للأشغال والفنون

الحبيب الفقي
أستاذ محاضر

دار المنتظر
سروت - لبنان

الطبعة الأولى المزيّدة والمنقحة

حقوق الطبع محفوظة

١٩٩٦

مقدمة التحقيق

— مؤلف الكتاب :

لا نكاد نجد من بين رجال الدولة الفاطمية من خدم الدعوة الإسماعيلية وعبر عن معتقداتها ودافع عنها وأرخ لأئمتها مثل القاضي النعمان (1) .

- (1) في ترجمة القاضي النعمان ، انظر :
- 1 - الولاة والقضاة للكندي ، بيروت 1908 ص 494-495 .
 - رفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني (ملحق بكتاب الولاة والقضاة للكندي) 586 ، 596 ، 603 .
 - 2 - وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبعة إحسان عباس ج 5 ترجمة عدد 766 . والحديث فيها عن ولدي النعمان خاصة ، وقد وليا القضاء بمصر إلى سنة 374 وسنة 389 .
 - 3 - مرآة الجنان لليافعي ، بيروت ، د. ت. ج 2 ص 379 (سنة 363) .
 - 4 - لسان الميزان لابن حجر ، ج 6 ص 167 (ترجمة عدد 587 ، وفيها ذكر من تصانيف النعمان : كتاب تأويل القرآن وكتاب الخلاف وقصيدة المنتخبة) .
 - 5 - مقدمة ديوان المؤيد في الدين لمحمد كامل حسين ، القاهرة 1949 ص 7 .
 - 6 - Brockelmann : G.A.L. S.I., 324 .
 - 7 - الأعلام للزركلي ج 9 ص 8 .
 - 8 - مقدمة كتاب الهمزة في آداب أتباع الأئمة ، وضعها ناشره محمد كامل حسين ، القاهرة . ص 6-18 .
 - 9 - مقدمة دعائم الاسلام لناشره آصف فيضي ، القاهرة 1969 ، ص 11 وفيها إحالة إلى فصل بالانجليزية كتبه فيضي عن النعمان في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بلندن - جانفي 1934 .
 - 10 - مقدمة كتاب الاقتصار ، وضعها بالفرنسية محققه محمد وحيد ميرزا - دمشق 1957 ، ص 27 وما يليها .
 - 11 - مقدمة « تأويل الدعائم » لناشره حسن الأعظمي ، القاهرة ، 1969 ص 13-14 .
 - 12 - مقدمة افتتاح الدعوة لوداد القاضي بيروت 1970 ، (ولم تترجم المحققة لمؤلف الكتاب) .
 - 13 - مقدمة افتتاح الدعوة ، لفرحات الدشراوي ، تونس 1975 ص 21-23 .
 - 14 - الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (من 268 إلى 626هـ) لحسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي ، طبع بالقاهرة 1955 (ترجمة النعمان في ص 253 وما يليها) .
 - 15 - فهرسة المجدوع نشر علي نقوي منزوي ، طهران 1966 ص 52 .
 - 16 - حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعز لدين الله الفاطمي ، القاهرة 1948 ص 258 وما بعدها .
 - 17 - محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة 1972 .
 - 18 - محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة 1959 (انظر الفهرس) .

ونحن اذ ننشر له اليوم كتاب المجالس والمسائرات ، فقصدنا أن نعرف أولاً بمكانة المؤلف في المذهب الشيعي وعند الخلفاء الأربعة الأولين ، وثانياً لنكشف النقاب عن عمق تفكير هذا الرجل الذي كان قاضي الفاطميين الأول وفقههم بدون منازع ، رغم ما يظهر من تواضعه واستظلاله بظل الأئمة في كامل مؤلفاته ، ولا سيما كتاب المجالس والمسائرات هذا ، وثالثاً لنحيي هذا الكتاب الذي انتظره الدارسون طويلاً ، لما فيه من تسجيل يومي لأقوال المعز وأفعاله ، حتى لكأنه سيرة مفصلة لهذا الخليفة الفاطمي العظيم .

فالقاضي النعمان هو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون التميمي . والنسبة تدلّ على أنه عربي الأصل . أمّا كنيته فلم نجد لها سنداً في مؤلفاته ، بل لا يدعو الأئمة إلاّ باسمه : النعمان . فلا حاجة في نظرنا إلى التماس سبب لرواج اسمه بدلاً من كنيته فنبرّره بالهروب من الالتباس بأبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي .

لا يعرف تاريخ ميلاده ، فلذلك عمد الباحثون إلى التخمين والتقريب مثل قوتهايل Gottheil وآصف فيضي (1) اللذين قدّراه بسنة 259 هـ/873 وبسنة 293/906 . ولعله ولد بين سنة 283 و290 كما قدّرنّا بدورنا (2) فيكون دخل في خدمة المهدي في سنّ تراوح بين 23 و30 سنة .

ولا نعرف كذلك مكان ولادته ، وربما كانت بالقيروان كما يقول الزركلي ووحيد ميرزا دون ذكر للمصدر . ونرجّح ذلك لأنّ أباه دفن بها بباب سكّ من سنّ عالية (مائة وأربع سنين) سنة 351 حسب كلام ابن خلّكان .

ويقول ابن خلّكان أيضاً إنّ النعمان كان مالكيّاً ثم تحوّل إلى مذهب الإماميّة . وكذلك يقول مؤرّخو الشيعة ، معتمدين على رواج كتابه في الفقه « دعائم الاسلام »

(1) - ترجم له Gottheil في مجلة J.A.O.S. سنة 1906 .

وآصف فيضي في مجلة J.R.A.S. سنة 1934 .

(2) انظر 'المجالس' ص 79 تنبيه 1 .

عند الشيعة الاثني عشرية . ويرى فيضي - وهو منهم - أن النعمان كان إسماعيلي المذهب منذ طفولته ، وأن مالكيته أو اثني عشرية إنما كانت منه تقيّة .

ولا غرابة أن ينسب إلى المالكية ، لأن المالكية مذهب الجمهور بإفريقية ، مع وجود المذهب الحنفي وهو مذهب أسرة بني الأغلب الحاكمة (1) .

ونحن نستبعد أن يكون النعمان قد تمذهب منذ أول عمره بغير مذهب الإسماعيلية : ذلك أن دخوله في خدمة الدولة الفاطمية كان مبكراً ، منذ سنة 924/312 واستمر وفاؤه لخلفائها إلى يوم وفاته في آخر جمادى الثانية 27/363 مارس 974 ، بعد أن تقلّب في وظائف سامية بالقصر بجانب الخلفاء الأربعة .

ولعلّ أباه كان داعياً من دعاة الفاطميين ، حسب ما تشعر به عبارة ابن خلكان نقلاً عن ابن زولاق : أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعي . فعبرة « الداعي » قد تعني الوالد أيضاً . وإذا أضفنا إلى هذا الافتراض أن النعمان قد يكون وُلد سنة 896/283 ، أي قبل قيام الدولة الفاطمية بثلاث عشرة سنة ، وبعد قدوم أبي عبد الله بثلاث سنوات ، وأنه وجد طريقه إلى الوظائف العالية بسهولة ، من « صاحب الخبر » إلى « أمين المكتبة » إلى « قاضي القضاة » ، دفعنا رأي من قال إنّه كان مالكيّاً أو حنفيّاً (2) .

وينكشف بعض القناع عن هذه الشخصية منذ أن دخل النعمان في خدمة المهديّ كما يقول هو عن نفسه :

« وخدمت المهديّ بالله (ص) من آخر عمره تسع سنين وشهوراً وأياماً ، والإمام القائم بأمر الله من بعده (صلع) أيام حياته في إنهاء أخبار الحضرة إليهما في كلّ يوم طول تلك المدة إلّا أقلّ الأيام (3) » .

(1) المقاسي: أحسن التقاسيم، 25-2، يقول عن القيروان « ليس فيها غير مالكي وحنفي مع ألفة عجيبة » بينما يقلل محمد كامل حسين من وجود هذا المذهب بإفريقية : في كتابه : في أدب مصر الفاطمية 64 .

(2) يذكر محمد بن حارث الخشني في باب من شرق ممن كان ينسب إلى علم من أهل القيروان : « محمد ابن حيان » الذي كان شيخاً عالي السن ، وكان « صاحب الصلاة » بسوسة ، وأنه « كان مدنياً ، صاحب ابن سحنون ، فتشرق ، فكان لذلك مستترا » . (طبقات علماء إفريقية 223 - الجزائر 1914) . وقد أنتمى إسماعيل قربان بوناوالا إلى أن محمد بن حيان هذا قد يكون محمد بن حيون والد النعمان (أنظر كلمة فرحات الدشراوي في ملتقى القاضي النعمان الثاني ، أوت 1977 بالمهدية ، ص 1 من نص مرقون) .

(3) المجالس ص 79 .

وهكذا يكون قد دخل في خدمة الدولة الفاطمية وقد مضى على تأسيسها سبعة عشر عاما . ولا نعرف شيئا عن هذه الخدمة أكثر من أنه كان يقوم بنقل أخبار عاصمة الخلافة إلى المهدي ثم القائم ، ولعلّ هذه الوظيفة هي ما عُرف في المشرق بديوان الخبر أو ديوان الرسائل .

وخدم المنصور منذ أيام الخليفة المهديّ ، وسنّ الأمير آنذاك دون العشرين ، ثم استمرت علاقته به طيلة أيام القائم فكان يورّق له (1) ويجمع الكتب ، فيرعاها المنصور بإحسانه . فلما آلت الخلافة إليه بعد وفاة القائم استقضاه ، فكان « أول من استقضاه من قضائه » ، وذلك في الفترة التي كتم فيها موت والده حتى لا يكسر الإرجاف ، لانشغال الأذهان بفتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد (ما بين وفاة القائم سنة 334 وموت أبي يزيد سنة 336هـ) .

ووصف النعمان ما لقيه من المنصور في هذه المرحلة بأنه « أعلى ذكره ، ورفع قدره ، وأنعم عليه من النعم بما لو أخذ في وصفه لقطع بطوله ما أراد ذكره » .

وقد قضى هذه الحقبة من حياته الرسمية قاضيا بطرابلس، وكانت امتدادا لأفريقية منذ العهد الأغلبيّ .

وبعد إخماد الثورة الخارجية استقدمه المنصور من طرابلس (2) بعد فراغه من تأسيس عاصمته الجديدة المنصورية سنة 337هـ ، فنراه يخلع عليه ويحيطه بكل مظاهر التكريم ، ويأمره أن يقيم صلاة الجمعة ويخطب بجامع القيروان إذ لم يكن جامع المنصورية قد بُني بعد ، ويعهد له بقضاء « المنصورية والقيروان وسائر مدن أفريقية وأعمالها (3) » .

وكان يجلس للقضاء بين الناس في سقيفة القصر بالمنصورية التي يبدو أنها لم تستكمل عمرائها آنذاك ، « فضاعت الحال لذلك بأكثر الخصوم سيما بالنساء والضعفاء

(1) المجالس ص 80 وما بعدها . ولد المنصور برفادة سنة 301 (انظر المقرئ في لك. المقفي، ورقة 189 ب من نسخة باريس) .

(2) المجالس ، ص 51 .

(3) المجالس ، ص 348 .

ومن يتهيب الدخول من باب قصر أمير المؤمنين (1) ، وقد أدرك المعز ما يسببه ذلك من الإحراج ، فتوسط لدى والده المنصور ، فأمر بابتناء « موضع فسيح لشؤون القضاء يصل إليه الناس ويمكنهم ما يريدونه (2) » .

وكانت تجربة النعمان في عمل القضاء بحضرة الخلافة لا تخلو من مضايقات وتعقبات ، فقد تعرض للوم أكثر من مرة على تركه التشدد والصرامة (3) .

وتطورت خطة القاضي النعمان فأصبح « قاضياً للقضاة » بجوار الخليفة في عاصمته الجديدة ، وقد حدثنا (4) عما كان يوصي به القضاة الخارجين إلى الأعمال من واجب « الوفاء بالعهد وأداء الأمانة فيما قلّده » .

ويوضح كتاب المجالس والمسائرات توثق الصلة بين النعمان وبين الأمير المعز أيام خلافة والده . فقد كان يراجع فيما أعدّه من تقارير للخليفة فيشير عليه بما يرفع منها وما يترك (5) . وكان يتدخل لفائدته ويدعمه ويشدّ أزره في مناسبات عدة ، فلما مات الخليفة المنصور وظهر عليه من الجزع لوفاته وقلّة الصبر ما ظهر ، وقع له الخليفة الجديد المعز :

« يا نعمان ، ليحسن عزائك ويحمل صبرك ، فمولاك مضى ومولاك بقي ، وأنت واجد عندنا ما كنت واجدا عنده ، ونحن كنّا سبيك عنده ولن ينقطع ذلك السبب لدينا لك إن شاء الله تعالى ، فطب نفسا وقرّ عيننا وليحسن بنا ظنك » وتسكن إلى ما تحبّه لدينا نفسك (6) .

وكان يختصّه بالمؤانسة والسؤال عن أهله وبناته وأولاده (7) . وكان للنعمان ولدان ، هما أبو الحسن عليّ وأبو عبد الله محمد (8) لكلّ منهما جارية لا يقنع بها

(1) ص 69

(2) ص 70

(3) ص 75 وانظر اطراء المعز له لتوجيه العدل ، المجالس ص 307 .

(4) ص 53

(5) ص 351

(6) ص 82 وص 353 وما بعدها .

(7) ص 543 .

(8) ولادة عليّ بإفريقية في ربيع الأول سنة 329هـ ووفاته بمصر سنة 374هـ . أما محمد فولادته بالمنصورية يوم الأحد 3 صفر سنة 340هـ ووفاته بمصر سنة 389هـ . انظر ترجمة النعمان في الوفيات .

لا ولد . « وقد تآقت نفسيهما إلى ما هو أحسن منهما وإلى التزويج ، فعاق أن أباهما لم ينظر لهما في مساكن (1) . فنجد المعزّ يعبر عن دهشته لهذا التأخير ، ويعاتب النعمان عتابا رقيقا بقوله :

« إلى متى يكون هذا ؟ والله لئن لم يفرحا ولم يسرا في أيّامنا وإقبالنا عليك وعليهما ،
« ويسرّ كذلك جميع أوليائنا . فأنتى كانت لهما مسرة مثلها (2) ؟ ! » .

ويحدثنا النعمان مرة أخرى أن المعزّ :

« أقطع أوليائه مواضع يبنون فيها بالمنصورية المباركة ، وكان البنون والبنات
« وبعض المقرّبات سألوني في سؤال ذلك لهم ليجمع شملهم وتتقارب مساكنهم ،
« ولما في ذلك من ستر الحرم عند حاجتهنّ إلى التزاور والتفقد من بعض لبعض ،
« وأنس بين الجميع لبعض . ولما نالهم في التفرّق من الوحشة والانقطاع . ولتضايق
« بعض مساكنهم . وكون بعضهم معي في مسكن ضاق بهم لما اتسع بنا فضل
« وليّ الله وكثرت نعمته عندنا (3) » .

فرفع إليه رقعة وقع عليها المعزّ بالإجابة . وأمر القائد جوهرًا بإنجاز ما طلب .
ويمكن أن يكون هذا قد تمّ بين سنتي 358 و360 هـ نظرًا إلى أن محمد بن النعمان كان
متسريًا إذ ذاك وقد نقدّر سنّه بين 18 و20 سنة ، وهو مولود سنة 340 .

وفي أيّام المعزّ كانت شخصيّة النعمان تأخذ أبعادا غير الأبعاد الرسميّة ، فلم
يعد مجرد قاضي القضاة الموظّف ، بل أصبح يُسهم في تركيز الدّعوة وفي بسط
عقيدتها وتدوين فقها . وتسجيل أمجادها وأحداثها بما جعل منه دعامة متينة
للفقه الشيعي والفكر الإسماعيلي . فقد أعدّ المعزّ مجلسا في قصره يلتئم إثر صلاة
الجمعة . يقرأ فيه القاضي النعمان « كتبنا من علم الباطن » .

« فكثّر ازدحام الناس وخصّ بهم المكان ، وخرج احتفالهم عن حدّ السّماع ،
« وملأوا المجلس الذي أمر باجتماعهم فيه وطائفة من رحبة القصر ، وصاروا

(1) المجالس ص - 544 .

(2) المصدر والصفحة نفسها .

(3) المجالس ص 545 .

« إلى حيث لا ينتهي الصوت إلى آخرهم ... فوصف له أنّ فيهم ممّن قد شملته الدّعوة أهل تخلّف وامن لا يكاد أن يفهم القول ، وأنّ مثل هؤلاء لو ميّزوا وجعل لهم مجلس يقرأ عليهم فيه ما يحتملون ... » .

ففكّر المعزّ ثم ارتأى أن لا يميّز بين الناس وأنّ الحكمة تعرض فينال كلّ منها بحسب طاقته . وهكذا توطدت تقاليد هذه السنّة في مدارسته الفقه الشّيعي والجدل المذهبيّ منذ ذلك الوقت ، فيتولّى النعمان قراءة ما يخرجّه إليه الخليفة المعزّ من مناشير تتضمّن « الحكمة والوصايا والعلم الحقيقيّ (1) » .

وحضر ذات مرّة أحد كبار أسرى المعزّ ، وهو محمد بن الفتح ، ابن واسول ، من أمراء بني مدرار بسجلماسة الذي أسر وأحضر إلى المنصوريّة سنة 348هـ ، فشهد صلاة الجمعة في قيوده ثم جلس في الحلقة بعد الصلاة يستمع إلى النعمان وهو يعرض بعض مسائل الفقه التي تخالف قوله ، ويبين له النعمان الوجه فيه فيسلّم . ويسأله المعزّ عن الأمر بعد ذلك ، فيقول له النعمان :

« هو رجل قد قرأ كتب العامّة إلّا أنّه بربريّ الطبع ، وكأنّه ظنّ أنّه ليس الحقّ إلّا ما انتهى إليه ، فرأيته إذا سمع الحقّ أصغى إليه ، وإذا بين له وشرح وفسّر مجمله رجع إليه وانقاد ولم يبلغ في الباطل ، كما يفعل كثير ممّن انتحل مذهباً ونشأ عليه ممّن نشأه (2) » .

ولعلّ أشدّ ما يؤخذ على النعمان في تفكيره المذهبيّ هو مغالاته في إطلاق لفظ « الجهال » و« العامّة » على مخالفيه ، كما تدلّ عليه نصوص من هذا الكتاب . وطبيعيّ أن يخلق له هذا التحامل وحظوته عند الدولة أعداء يكيدون له ويشيعون حوله الشائعات ، وكان يضيق صدره بها وبألم ، ولكنّ المعزّ يؤكّد وثوقه به ويرفع عنه الغبن (3) .

(1) المجالس ص 435 و ص 546 .

(2) ص 434 .

(3) ص 358 .

وقد بدأ اشتغال النعمان بالتأليف المذهبي منذ عهد المنصور ، ولم يفتر عن الحديث في « مجالسه » عما كان يكشفه له المعز من مغاليق الفهم وما يوضح له من خفي المعاني .

وأصبح بعد الدّربة الطويلة في خدمة الخلفاء والوفاء لهم لسان المذهب وفقهه . ولا يفتأ النعمان يسند أعماله إلى الخليفة ، فهو مسجل وناطق بلسانه وصادر عن معانيه ، يقول :

« أمرني الإمام المعز لدين الله (صلعم) بتأليف شيء من العلم وقفني على جميع معانيه وأصلّ لي أصوله ، وألقى إليّ جملة من القول فيه ، ولم أكن قبل ذلك تقدّمت في تأليف شيء منه ولا اتّسع علمي اتّساعا يوجب أن أتقدّم في تصنيفه ، فلمّا فتق لي المعنى فيه ولخصه لي وأوضح لي معانيه وأمرني بتأليفه وبسطه تقدّمت في ذلك تقدّم واثق بعون الله به (1) » .

كان إذن يعرض عليه ما يصنعه من كتب في الفقه والفتيا ليسيّر العمل بها بين الناس، وكان المعز يراجعها في مشاكلها وينبّهه إلى المحرّف عن الأئمة الذي يجب ألا يروى ولا يتداوله العامة (2) . وكان يتلقّى أمره أحيانا بوضع كتاب يحدّد له صفته ومحتواه (3) ، وربما ناقشه الخليفة في مادّة بعض كتبه ونبّهه إلى ما سها عن ذكره (4) .

ولم يفتأ النعمان يشهد بما كان يصله من فضل الخلفاء ويشمله من نعمتهم الضافية فكان مسكنه مع « الأولياء » داخل المنصورية ، وقد أقطعه المعز أرضا بها لبناء دور لبنائه وولديته ، وكانت له رباع ببعض البوادي يغلتها بكراء مرتفع (5) وكان قريبا من قمة الدولة الفاطمية أثيرا عند المعز تشدّه إليه رابطة عقلية وشيجة ، فلم يتخلف

(1) المجالس ، ص 545 .

(2) ص 396 .

(3) ص 401 .

(4) ص 430 .

(5) ص 525 .

ولم يفصل عنه عند انتقاله إلى مصر ، ورغم نزارة أخباره في الفترة الإفريقية ، فإننا نجده فيمن حضر مع الأستاذ جوذر وفاة القائد ميسور الصقليّ الخادم بقصر مياسر خارج برقة (1) وهم في الطريق إلى البلاد المصريّة سنة 362هـ . ثم نراه بعد ذلك في مصلّى القاهرة الذي بناه جوهر وهو جامع الأزهر فيما بعد ، في أوّل صلاة للعيد يقيمها الخليفة المعزّ ، فكان خلفه يبلغ التكبير . ونجده أيضا مع القائد جوهر وراء الخليفة في زيارته للأسطول بالمقس (2) .

وانصرفت جهود النعمان في القاهرة عاصمة الخلافة الجديدة إلى تركيز القضاء والعناية به بالرغم من أنّه لم يكلف رسمياً بخطة القضاء ، وقد ظلّ فترة من الوقت يسكن القسّاط (مصر) ويغدو منها إلى القاهرة (3) حتى انتقل إليها .

وكانت وفاته كما أسلفنا سلخ جمادى الثانية 363هـ مشارفا للثمانين أو موفيا عليها . وكان في أواخر أيام المنصور قبل الهجرة إلى مصر يشكو الكبر وقرب الأجل (4) .

وقد حزن المعزّ لموته وصلّى عليه ، ودفن في داره بالقاهرة (5) .

مؤلفات النعمان :

لم تصلنا كتب النعمان كلّها ، ولم يبق منها سوى عشرين كتابا ، مع اختلاف عند الباحثين في عددها وأسمائها وصحة نسبتها إليه : يذكر له إيقانوف اثنين وأربعين كتابا ، وفيضي يحصي منها أربعة وأربعين ، في حين أنّ فهرسة المجدوع لم تثبت إلاّ ثمانية عشر عنوانا . ونقتصر هنا على عرض المطبوع منها ، وهي :

(1) سيرة الأستاذ جوذر 147 وكان المعزّ قد نزل هذا القصر في جمادى الأولى سنة 362هـ . انظر المقرئزي : اتعاظ 1 : 134 .

(2) المقرئزي : اتعاظ 1 : 138-139 .

(3) ابن حجر : رفع الاصر (ذيل الولاة والقضاة للكندي 587) .

(4) المجالس ص 546 وما بعدها .

(5) المقرئزي : الاتعاظ 1 : 149 .

1 - دعائم الإسلام ، وهو أهم مصنف في الفقه ، يقول المجدوع إنه ألّفه بطلب من المعز ، ولم يذكر النعمان في مقدّمة الكتاب طلب المعزّ هذا ، بل اكتفى بذكر الدعائم السبع التي بني عليها الإسلام في نظر الإمام جعفر الصادق ، وهي التي أوحى إليه بعنوان « هذا الكتاب الجامع المختصر الذي يسهل حفظه ويقرب مأخذه » ، ولا شكّ أنّه أصبح أهم كتاب في الفقه الشيعي ، إلى حدّ أنّ المعزّ حين أبقي القاضي السنيّ على قضاء مصر ، اشترط عليه أن يحكم بفقّه آل البيت كما دون في الدعائم ، وكذلك اشترط الخليفة الحاكم على دعائه أن تكون فتاويهم حسب كتاب الدعائم . وقد نشر هذا الكتاب في جزأين بالقاهرة بين سنة 1952 وسنة 1962 : بتحقيق آصف فيضي .

2 - تأويل الدعائم ، وعنوانه الأصليّ : « تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين » . نشر منه محمد حسن الأعظمي بالقاهرة ثلاثة أجزاء فقط . ويقول الناشر إنّ القاضي النعمان توفّي قبل أن يفرغ من تصنيفه ، فيكون هذا الكتاب هو آخر مؤلّفات النعمان .

3 - كتاب الاقتصار ، وهو شبيه في مادّته بكتاب الدعائم ، ممّا دعا ناشره وحيد ميرزا إلى التساؤل عن العلاقة بين الكتابين : إن كان « الاقتصار » مختصراً من الدعائم ، أم كان كتاب الدعائم بسطاً لما في كتاب الاقتصار ؟ على أنّ اسم الدعائم لم يرد صراحة في الكتاب المعنون بهذا العنوان ، وقد افترض محمد ميرزا أنّ كتاب الدعائم قد يكون هو كتاب الإيضاح الذي ذكره النعمان في مقدّمته وقال إنه جردّ منه كتابيّين : الاخبار ، والاقتصار ، وأرجوزة « المنتخبة » . غير أنّ القاضي النعمان في المجالس ذكر الكتاب بعنوانه المصطلح عليه فقال :

« سمعت بعضهم يحرّض بعضاً في الاجتماع لقراءة كتاب دعائم الاسلام الذي بسطه المعزّ لذين الله لهم وجعله في مجلس من مجالس قصره (1) » .

4 - أساس التأويل ، نشره عارف تامر ، بيروت 1960 ، في طبعة رديئة مليئة بالأخطاء .

(1) ص 306 . وعبارة « الذي بسطه المعز لهم » تدفع الفكرة القائلة بأن النعمان ألف الكتاب بوسعي من المعز ، أو استمد منه مادته .

هذه أربعة تصانيف في الفقه الفاطميّ تختلف عن بعضها بعضاً في البسط والاختصار ، أو في اتباع الظاهر أو التماس الباطن ، مع أنّ مادّتها واحدة .

وللنعمان كتب أخرى ، في السلوك الواجب نحو الأئمة ، مثل :

5 — كتاب « الهمة في آداب اتباع الأئمة » : الذي نشره محمد كامل حسين سنة 1947 في سلسلة مخطوطات الفاطميّين التي أنشأها وسهر عليها حتّى وفاته . ويظهر من المقدّمة الطويلة التي صدر بها تحقيقه أنّه ليس واثقاً تمام الوثوق من صحّة نسبة الكتاب إلى النعمان ، فمعتّمده في ذلك هو كتاب ايفانوف (رقم 80 من ثبّته) ومجموعة وثائق مخطوطة حصل عليها من المكتبات الهنديّة .

وفي تاريخ الدعوة الفاطميّة :

6 — افتتاح الدعوة « في ذكر أمر الدعوة بأرض المغرب إلى المهديّ (ص) وابتدائها فيها ... » وهو كتاب نفيس لما يكشفه من مساعي الدعاة الواردين إلى إفريقيّة للإطاحة بالإمارة الأغلبية ، ونجاحهم في إقامة أوّل دولة شيعيّة إسماعيليّة في تاريخ الإسلام . وقد نُشر الكتاب نشرتين : في بيروت سنة 1970 بتحقيق الآنسة الدكتورّة وداد القاضي مع تحليل ضاف لأبواب الكتاب ، وبتونس سنة 1975 بتحقيق زميلنا الدكتور فرحات الدشراوي ، مع دراسة مفصّلة للكتاب تبيّن أهمّيّته في معرفة تاريخ الفاطميّين .

7 — المجالس والمسائرات : قيّد فيه النعمان ما سمعه من الخليفة المعزّ في مواضيع شتّى ، من تاريخ وعقيدة واحتجاج على الخصوم ، وبحوث لغويّة ، وهو هذا الكتاب الذي نشره اليوم . وسرد الحديث عنه .

8 — الأرجوة المختارة ، نشرها إسماعيل قربان بوناوالا بمونريال (Montréal) بكندا سنة 1970 (1) . ألّفها النعمان في عهد القائم للاحتجاج للأئمة ، وهي غير الأرجوة المنتخبة التي ذكرها في مقدّمة كتاب الاختصار .

هذا - ولا شكّ - أن مؤلّفات النعمان تتجاوز هذا القدر : فهناك عناوين أخرى ذكرها مؤرّخو الشيعة والسنة على السواء ، وذكرها النعمان نفسه في بعض كتبه :

ففي كتاب افتتاح الدعوة يشير إلى كتاب ألفه في سيرة المعز ، وقد رأى الدشراوي أنه كتاب المجالس بالذات (1) ، ويبدو أن النعمان نظم هذه السيرة في أرجوزة (2) مثلما فعل في مؤلفاته الفقهية .

وفي المجالس أيضا إشارات إلى كتب أخرى من تأليفه ، وإن كان ينسب مادتها غالبا إلى الأئمة :

- كتاب في أخبار الدولة وقد يكون هو افتتاح الدعوة (3) .
- كتاب في مناقب آل البيت ومثالب خصومهم (3) .
- كتاب في البسملة ، يثبت أن البسملة هي من صلب القرآن (4) .
- تفسير للقرآن أوصله إلى سورة المائدة (4) .
- كتاب الدينار ، وهو يشتمل « على علم جميع الحلال والحرام ، والقضايا والأحكام » حسب عبارة النعمان نفسه . إلا أن المعز غير عنوانه فسمّاه : الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأطهار (5) .
- كتاب في الإمامة قدمه لابن واسول المدراري « خليفة » سجلماة ، لإطلاع على زيغه (6) .

هذه جملة ما توصلنا إلى معرفته من كتب النعمان التي كانت أساسا للدراسات الإسماعيلية ، فكان البعض منها يقرأ في مجالس الحكمة ككتاب الدعائم وكتاب تأويل الدعائم ، بدليل ما يوجهه الكرمانلي على قارئ كتابه « راحة العقل » من البدء بقراءة فصول من كتب النعمان كالدعائم والاقتصار والمناقب والمثالب (7) .

(1) افتتاح الدعوة ص 338 . وبالخصوص ص 145 فقرة 305 من المقدمة الفرنسية .

(2) المجالس 462 . وأعلها هي المرسومة بـ « ذات المتن » .

(3) المجالس ص 117 .

(4) ص 135 .

(5) ص 359 .

(6) ص 415 .

(7) راحة العقل ص 22 .

هذا وقد استقرى إسماعيل قربان بوناوالا ناشر الأرجوزة المختارة المؤلفات المنسوبة إلى النعمان « فجرد منها ثبنا يحتوي على واحد وستين عنوانا بعضها مطبوع وبعضها مخطوط ، والكثير منها مفقود أو مشكوك فيه ، وهذه القائمة لم تطبع بعد (1) .

المجالس والمسايرات :

سجل اسم الكتاب على نسخة الأصفية - التي اعتمدنا نصفها الأول - بهذه الصورة : « المجالس والمسايرات في تاريخ الإسماعيلية وعقائدهم » . ويبدو أن اسمه الأصلي هو ما ذكره المجدوع (2) : « المجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات » وهو اسم كثر مطابقة لمحتوى الكتاب ومادته .

وقد نصّ في مقدّمته على ما سبق له من تأليف كتبها عن الخلفاء المهديّ والقائم والمنصور ثم عن المعزّ منذ بداية إمامته ، فقال :

« ثم رأيت وجوها من الحكم والعلم والآداب والمعرفة تنفجر عن منطقه وتندفع من ألفاظه وتشير عن رمزه وإشارته ، لا تجري مجرى السير التي صنتها ولا تدخل في أبوابها التي ألفتها على ما في تلك السير من الحكمة والعلم والمعجزات والبراهين والدلائل والآيات ، فرأيتُ أفراد هذه في كتب تشبهها وتليق بها وأن أفرد السير في كتابها مع ما شاكلها وكان من معناها . وأن أذكر في هذا الكتاب ما سمعته من المعزّ (صلح) من حكمة وفائدة وعلم ومعرفة عن مذاكرة في مجلس أو مقام أو مسامرة ، وما تأدّى إليّ من ذلك عن بلاغ أو توقيع أو مكاتبة (3) » .

ومبّا يزيد في الأهميّة الوثائقية لهذا الكتاب أن النعمان كان حريصا على تسجيل مادّته إثر كلّ مجلس مباشرة (4) ويتحرّى في نقل ما ينقله حتى يأتي بلفظ المعزّ كما

(1) وقد أدتنا بهذه القائمة الدكتوروة وداد القاضي ، فلها منا جزيل الشكر .

(2) المجدوع ، اسماعيل الأجميني : فهرسة الكتب والرسائل 52 (تهران 1966) .

(3) المجالس ، المقدمة ص - 47 .

(4) ص 224 .

ورد على لسانه (1) مع ما في هذا العمل من صعوبة وجهه . وكانت مراجعة الخليفة لمحتواه تزيد النعمان وثوقا من عمله . فيقول : «إنّ ما أثبتته في هذا الكتاب كأنّته هو لفظه . وإن لم يكن هو بحقيقته ، لما أجازته على المعنى وسقط عنه تهمة التحريف » والإحالة ، وإن سقطت منه فضيلة الفصاحة والجزالة ، ومعجز الألفاظ » في المقالة ، ولكنه صار بذلك من أصدق الحديث وأصحّ النقل (2) .

وإذا كان النعمان قد وضّح خطة العمل في هذا الكتاب ، وحدّد مادّته ومحتواه ومرتبته من الوثوق باعتبار توخّيه التسجيل المباشر أولا ، ثم مراجعة المعزّ لهذه الموادّ التي تسقطها كاتبها على توالي الأيّام ، فقد ظلّ التاريخ الذي توقّف فيه مبهما نظرا لأنّ صفة التأريخ لم تجيء في هذا الكتاب إلاّ بصورة عرضيّة .

وقد ذكر الكتاب بعض الأحداث التي يمكن التوثق من تاريخها ، مثل :

أ - أسر ابن واسول واستقدامه إلى المنصوريّة ، وذلك سنة 348 هـ (3) .

ب - بداية العمل في إجراء نهر عين أيتوب إلى القيروان وكان ذلك في المحرم سنة 348 أيضا (4) .

ج - الإعذار الجماعي سنة 351 هـ (5) .

د - سؤال المعزّ للنعمان في المسابقة رقم 280 (6) هل أنجب ولداه علي ومحمد ، وجواب النعمان أنّ لكلّ منهما جارية لم يقنع بها للولد ، وأنّهما قد تاقت نفسيهما إلى التزويج ، وعاق ومنع ذلك أنّه لم ينظر لهما بعد في مساكن . ونحن نعلم من جهة أخرى أنّ أبا الحسن عليّ بن النعمان قد ولد في شهر ربيع الأول سنة 329 هـ (7) وأنّ أبا محمد عبد الله ولد يوم الأحد 3 صفر سنة 340 هـ . فلذلك نقدر أنّ هذه

(1) ص 301 .

(2) ص 302 .

(3) ص 217 . وفي هذا أيضا دليل على أنّ النعمان لم يفرغ من تزييفه سنة 957/346 كما قال الدكتور الدشراوي حين ظنّ أنّ كتاب المجالس وكتاب سيرة المعزّ هما كتاب واحد .

(4) ص 332 .

(5) ص 553 .

(6) ص 543 .

(7) ابن خلكان : الوفيات 5 : 54-51 .

المسيرة قد حصلت على الأقل¹ بعد مولدهما بثمانية عشر عاما أو عشرين ، وهي السن التي يكون فيها محمد بن النعمان مؤهلا للزواج والتسري ، وبذلك ترجع هذه الحادثة إلى ما بين سنتي 358 و 360 هـ ويمكن بذلك أن نقول إن كتاب المجالس والمسائرات قد غطى الفترة الإفريقية من حياة المعز كلها تقريبا ، ولم يتجاوز إفريقية معه إلى مصر أو غيرها كما تجاوزت سيرة الأستاذ جوذر إلى مدينة برقة ثم توقفت (1) .

لم يكن كتاب المجالس كتاب تاريخ ولا كتاب سيرة فقط بل هو أيضا كتاب عقيدة وكتاب أدب . ففيه إشارات تاريخية كالتي ذكرناها ، وفيه معلومات عن فتنة أبي يزيد التي دامت مدة القائم والمنصور ، وعن خصومات المعز مع الدولة الأموية ، والثورات المتعددة التي قامت بإفريقية ، وفيه عرض لما أحدثه كل من صاحبني سجلماصة وفاس من فتن ، وكذلك للمعارك التي وقعت بين الروم والمعز .
ونتبين من هذا الكتاب مكانة القاضي النعمان في الدولة الفاطمية ومختلف وظائفه الدينية المذهبية والسياسية الديوانية .

كما نجد فيه مسائل عقائدية كمبحث الإمامة ، وما قيل في نسب الفاطميين وما نسبته الغلاة إلى الأئمة مما لا يتفق مع عقيدة الإسلام ، ومسائل في الظاهر والباطن .

ونجد كذلك في الكتاب صورة من الصعوبات التي لقيها الفاطميون في بسط نفوذهم المذهبي على المجتمع الإفريقي السني فلم تستقر دعائمه إلا بقوة الأنصار الكتاميين . وقد أشاد المعز مرارا بفضلهم وفضل أسلافهم .

ونستخلص منه أيضا معلومات عن المهدي والقائم والمنصور والمعز وسياساتهم الداخلية والخارجية وعن طباعهم ومعاملتهم للناس مع نماذج كثيرة من حكمتهم ومواعظهم .

وفي خصوص الأئمة يمكن جمع الأخبار والإشارات الواردة في الكتاب ماثورة هنا وهناك في كلام المعز أو في ذكريات النعمان نفسه :

(1) سيرة الأستاذ جوذر 144 .

1 - المهدي :

من أهم القضايا التي يثيرها كتاب المجالس ، ظروف مقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس بانيّ صرح الدولة الفاطمية ، وموقف رجال كتامة من هذا الحادث الغامض ، وكذلك قضية الإمام المستودع والإمام المستقرّ التي ما زالت محلّ بحث عند مؤرخي الإسماعيلية (1) : هل كان القائم ابن المهدي حقيقة ؟ أم كان المهديّ إماما مستودعا ، حافظا للإمامة التي هي من حقّ القائم؟ وقد لا نرتاح إلى ما قيل في هذه المسألة ، خصوصا وأنّ بعض دعاة الإسماعيلية قد أتوا بمعلومات تحمل على إعادة النظر في قضية نسب الفاطميين . وهذا النعمان نفسه ينقل لنا أنّ بعض نساء المهديّ

« ... كانت تقول لولد المهديّ ونسائه بعد وفاته : والله لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر - تعني قصر المهديّ بالله (ص) - فلا يعود إليه أبدا ، وصار إلى ذلك القصر - تعني قصر القائم بأمر الله - فلا يزال في ذريّة صاحبه ما بقيت الدنيا (2) » .

فهذا النصّ يشعر بأنّ القائم لم يكن من ولد المهديّ حقيقة . وقد أشيع أيضا أنّ المهديّ من سلالة ميمون القدّاح فيكذب المعزّ هذا الزعم قائلا :

« لن يجعل الله (عج) ذلك إلا عند الضرورة عند من جعله في يديه من أهل هذا البيت من غير الأعقاب المتصلة إلا مستودعا عندهم غير مستقرّ فيهم إلى أن يستحقّ ذلك مستحقّه فيأخذّه من أيديهم (3) » .

فلا يستبعد أن تخرج الإمامة من أيدي أصحابها إلى جماعة آخرين لمدة معلومة عند الاضطراب ، ثم تعود إلى أصحابها الحقيقيين .

(1) انظر النصين اللذين نشرهما إيفانوف بجملة كلية آداب القاهرة 1936 ج 2 ص 89-135 . وهما استتار الامام ، وسيرة جعفر الحاجب . وكذلك في نسب الخلفاء الفاطميين الذي نشره حسين بن فيض الله الهمداني ص 14-22 . وانظر كذلك :

Bernard Lewis : The origins of Ismailism, Cambridge 1940

ص 115 إلى 163 من النص العربي : أصول الإسماعيلية تعريب خليل جلو وجاسم الرجب . واعتراض ناشري سيرة الامتاذ جوذر على فكرة المستشرق الانجليزي (تعليق 62 ص 167 من السيرة) .

(2) المجالس ص 543 .

(3) ص 410 .

وقد تتّضح لنا هذه الإشارات إذا قابلناها بما ذكره الخطّاب أحد الدعاة اليمينيين
عن الدعوة الجديدة :

« ثم اتصل أبو عبد الله صاحب دعوة المغرب عن أمر إمامه عليّ بن الحسين
« — سلام الله عليه — فأقام عنده في اليمن وشهد معه وقائع كثيرة ، وجاهد
« بين يديه ، ثم بعثه من أرض اليمن إلى أرض المغرب ، فشحّص إليها وكان من
« خبّره في طريقه ما ضمّنه كتاب افتتاح الدعوة بالمغرب . أظهر الله به دعوة
« الحقّ ، وكان على يديه طلوع الشمس ، وذلك أنّه لما ظهر النور باليمن وبلاد
« المغرب سار وليّ الله في أرضه عليّ بن الحسين (ص) يريد بلاد المغرب حتى
« كان في بعض طريقه فأظهر الغيبة واستخلف حجّته سعيد الملقّب بالمهديّ
« — سلام الله عليه — فثبّت قواعد الدعوة وجرى عليهما من ضدّهما
« بسجلماسة من العمّال بالمغرب ما جرى، ووقى الله وليّه — سلام الله عليه —
« كيده لما كان من زحف أبي عبد الله عليه وظفره به واستخراجه وليّ الله
« — سلام الله عليه — من سجنه ، فلمّا حضرت المهديّ النقلة سلّم الوديعّة إلى
« مستقرّها وتسلمها محمد بن علي القائم بأمر الله تعالى ، وجرت الإمامة في
« عقبه (1) » .

وقد يكون في هذا النصّ تفسير لما قالته تلك المرأة من نساء المهديّ .

ويذهب الداعي إدريس عماد الدين هذا المذهب فيقول :

« ولما توطّدت قوانين الدعوة الهادية بالمهديّة وظهر أهل الكهف من كهف
« النقيّة، وآن الأجل وانقضى المهل، سلّم الإمام المهديّ بالله إلى ولده القائم رتبته
« وأدّى إليه وديعته وأمانته وأظهر الغيبة (2) » .

فكأنّ القائم لم ينسب إلى المهديّ إلّا على أساس البنوة الروحية ، مثلما اعتبروا
سلمان الفارسيّ واحداً من أهل البيت لانتسابه روحياً إليهم ، ولعلّ المهديّ لم يكن غير
إمام مستودع . ويذكر نصّ المجالس أنّ ولد المهدي مرض بالجدري فعمي . وهذه
دلالة أخرى على أنّ الإمامة قد خرجت من بيته إلى بيت آخر .

(1) غاية المواليّد ، مخطوط ص 91-92 .

(2) زهر الماني ، ص 292 .

وقد تشعرنا هذه النصوص أيضا بأن حقيقة العلاقة بين المهدي والقائم لم تخف عن الداعي أبي عبد الله الشيعي ولا عن أخيه أبي العباس ، فيكون اكتشافهما سر الإمامة سببا لانتفاضهما على المهدي ، فقتلها .

2 - القائم :

لم تزودنا المجالس بأخبار هامة عنه ، ونستنتج من الإشارات العابرة أن القائم لقي صعوبات في سياسة دولته ولم يستطع التغلب على المعارضين ، وبالأخص على ثورة أبي يزيد التي كادت تودي بالخلافة الشيعية .

ويبدو لنا خليفة ناقص الخزم ، لا يميل إلى الغزو ولا يفكر في التوسع ، وذلك منذ كان وليا للعهد ، فيروي لنا الكتاب جوابه للمهدي حين كلفه بالتجهز إلى مصر ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، قد حولك الله وملّكك وأعطاك من الدنيا ما فيه سعة وكفاية ، فعلام نغم نفسك وتشغل صدرك ؟ فدع هذا حتى يأتي الله به عفو (1) » .

ونستشف من الكتاب صورة من الخلافات العائلية والتنافس على الحكم ، ودور أمهات الأولاد في صرف ولاية العهد عن هذا إلى ذاك . من ذلك أن القائم كتم تعيينه للمنصور وليا للعهد أكثر من عشر سنوات ، وكأنه غير مطمئن إليه راغب في تعويضه بغيره ، فيتألم المنصور كثيرا لهذا التردد :

« ... أقمت مدة حياته ثلاث عشرة سنة أنظر إلى من قرب منه ومن بعد عنه (ص) يسعون بالفساد في دولة هي لي ، قد قلّدي الله أمرها ... وأهل خاصتي يؤذون ويستطال عليهم فلا يجد عنده أحد منهم نصرة ... ويُنال منّي وتؤكل أموالي وأنا في ذلك كله بمعزل أتجرّع غصص الغموم ... (2) » .

(1) المجالس ، ص 252 . وانظر مثالا آخر في ص 101 .

(2) المجالس ، ص 448 .

وربما فكّر القائم مدّة في صرف الخلافة إلى المعزّ مباشرة فيعترف له بأنّه أثره على أبيه ، حتى صار يشفق عليه من نقمة المنصور :

« إنّ أخوفّ ما أتخوّفه عليك من أهلك ما علّمته من إثاري إيتاك وما أعلمه من ميله إلى أمّهات إخوتك ، فأخشى أن يعدل بهذا الأمر عنك إلى غيرك » منهم ... ولولا صغر سنّك اليوم ما عدّتك (1) .

3 - المنصور :

أمّا المنصور ثالث الخلفاء فقد ذكر في الكتاب أكثر من سالفه . وسبب ذلك أنّه مصدر كلّ الأخبار التي تخصّ المهديّ والقائم ، فعنه يروي المعزّ ، وبه يستشهد وبأقواله يتمثّل .

وكانت فتنة أبي يزيد عند تولّي المنصور قد استفحلت وعمّت أرجاء إفريقيّة ، فجمع قواه وقضى عليها بجهد جهيد (2) .

ويبدو أنّ كثيرا من المؤرّخين القدامى اعتمدوا - في عرضهم لفتنة أبي يزيد - على ما سجّله القاضي النعمان في كتبه : من هؤلاء المؤرّخين ، المقرّبي في ترجمته للمنصور في كتابه « المقتضى » (3) .

وكان حادّ الذهن عالما شجاعا حازما ، تولّى المهديّ تربيته فكان يطلعه على كتب الدعوة وعقيدة أهل البيت (4) ، فنشأ محبّا للكتب والعلم .

وكان صارما مهابا لا يسمح لأحد من الأولياء بالتواني فيما يكلفه به ، فنراه مثلا يلوّم النعمان على تقصيره في القضاء ، وينهاه عن السجود له ، وربما تعرّض منه المعزّ نفسه إلى اللوم .

(1) ص 469 .

(2) ص 72 و 113 و 447 .

(3) نشكر الدكتور سهيل زكار الذي أمّنا بنص هذه الترجمة المخطوطة .

(4) ص 502 .

4 - المعز :

أكثر ارتباط النعمان كان بالمعز ، فقد عاصره وعاشره وليّ عهد ثم خليفة وصاحبه إلى مصر إلى أن مات قبله بستين .

وتعظيم النعمان للمعز لا مزيد عليه : فهو الإمام وهو مصدر العلوم وأساس التأويل وكاشف الأسرار . وهو وليّ نعمته لم تنقطع ثقته ولا فتر عطفه ، وهو الملجأ الذي يسكن إليه ، إذا دهمه أمر أو حيرته قضية أو غمضت عليه السبل .

فلذلك أحاط النعمان شخصية المعز بالعناية التامة فألف هذا الكتاب وجعله سجلاً يوميّاً لأقواله ومآثره وتوقيعاته .

ومعظم كتب النعمان ألفت في عهد المعز ، فيقول إنه كتبها بطلب منه إذ يمدّه بمادتها ويلخصها له ، فيتبسّط فيها النعمان ، ثم يعرضها عليه فيستحسنها غالباً ، وينصحها أحياناً بالزيادة فيها أو بالتشذيب منها ، ويشير عليه بتبسيطها أو تحوير عنوانها .

وكان الأولياء يتهبّون المعز فلا يتجاسرون على استفتائه في العقيدة ولا سؤاله في الأمور المعتادة ، بالرغم من تحريضه لهم على ذلك وحسن معاملته لرعاياه من أهل الدعوة وحتى من خصومها كما فعل مع ابن واسول ، إذ سمح له بحضور صلاة الجمعة بإمامته ، وتواضع له فناقشه في بعض مسائل الفقه كتحليل لحوم الخيل . وكذلك نراه يتألّم لمقتل حميد بن يصل ويقول إنه كان يصفح عنه لو أظهر الندم على قيامه عليه : « ... فمن تاب إلينا قبلناه ، ومن استرحمنا رحمناه ومن استقالنا أقلناه ... (1) » .

ويعلمنا الكتاب أن المعز كان شاعراً بالتنافر الحاصل بين الدولة الفاطمية ورعاياها ممّن يسمّيهم « العامة » أي أهل السنة ، فعمل على أن يظهر للناس بمظهر المنقذ الهادي جاء ليخلص الدين من أعدائه سواء كانوا من النصارى البيزنطيين أو ممّن يدّعون الإسلام مثل بني أمية بالأندلس وبني العباس ببغداد أو البرابرة بالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى ، وقد استفحلت فيهم الدعوة الخارجية فصاروا يثورون بين الفينة والأخرى فيرسل عليهم خلصاءه من كتامة وعبيده الصقالبة .

وكان عطفه على كتامة عظيما لأنهم كانوا حزب الفاطميين منذ بداية الدعوة ، لهم فضل السبق والجهاد ، فلم ينس لهم المعزّ صنيعهم فكان يقرّبهم دوماً ويثني عليهم :
 « بارك الله فيهم وكثر أعدادهم ! فما أسرّني بهم وباحتفالهم ، وما أحبّ إليّ
 « أشخاصهم وأزيّن في عيني منظرهم ... أرأيت مثلهم في بهائمهم وجمال
 « مراكبهم وحسن مناظرهم (1) ؟ » .

وربما أثار هذا العطف حفيظة العبيد من الصقالبة - ممّا يشعر بشيء من التنافس بينهم وبين الكتاميين - فيغضب عليهم المعزّ ويؤكد فضل كتامة لأنهم في نظره قد آزرُوا الدعوة متطوعين ، أمّا الصقالبة فيحكم عبوديتهم كانوا من صفّهم ، فضلهم أقلّ .

وكذلك يعمل على تطمين رجال كتامة إذا ما ظهر منهم تحفظ إزاء قائد صقلبيّ أمره المعزّ عليهم ، وهو جوهر ، فيستدرجهم بلطف ولين وكأنّه يخشى انتقاضهم عليه .

ونراه يوصي الولاة دوماً والعَمال بالعدل والأمانة ، والصدق والإخلاص ، ويُحذّرهم من إخفاء ما يجب تبليغه إلى الإمام ، ويحثّهم على الرفق بالرعية والتحرّي في التهمة قبل إنزال العقوبة (2) . ويدعو إلى المحافظة على الأخلاق القويمة ، ولا يسمح بارتكاب ما ينهى الشرع عنه . ويذكر النعمان أنّ المعزّ تشدّد كثيراً في تتبع النائحات وإنزال العقوبة بهنّ حتّى إنّه اتهمه بالتقصير في هذه القضية (3) .

المعزّ والعقيدة .

يصوّر لنا القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسائرات المعزّ على أنّه الرجل الذي تحصّل على علم الأوّلين والآخرين . فالمعزّ متبحّر في كلّ علم وفنّ ، عارف بعلم الظاهر وعلم الباطن وبأحكام الدين وأصوله وفروعه وبالعلوم الرياضية والطبّ والهندسة

(1) ص 245 .

(2) ص 496 .

(3) ص 535 .

وعلم النجوم والفلسفة ، وله باع طويل في المباحث اللغوية أيضا (1) . وهو صاحب اختراعات عجيبة لم يسبق إليها كالقلم الخازن للحبر (2) ، وله معرفة بتركيب الأدوية . وهو متضلّع في الفقه يجيب عن قضايا عويصة ، ولا غرابة ، فإنّ هذا العلم يرثه وراثته كما يرث الخلافة ، وهو العلم الذي ينتقل من إمام إلى آخر . فعلم المعزّ لم يكن قد حصل له بالتحصيل والتعلّم ، بل بالتأييد الإلهي إذ لم يكن له مؤدّب أدبه في طفولته ، ولا جالسٌ ذوي العلم والمعرفة ولا رحل فخالط الناس (3) . فهو مثل جدّه النبيّ (ص) اتصل بالعلم كما اتصل محمدٌ بالوحي سواء بسواء . ويؤكد المعزّ ذلك فيقول إنّ العلم انتقل إليه فجأة عند وفاة المنصور ويستشهد بحادثة وقعت له معه :

« كان المنصور ألقى عليّ مسائل قبل وفاته (ص) تعذر عليّ الجواب فيها وأظلم ، فما هو إلاّ أن قبض (ص) حتى تهيأ لي ما كان اعتاص عليّ : من جوابه دفعة بغير تدبّر ولا روية . فعلمت أنّ ذلك كما قيل : إنّ الله ينقل ما كان عند الماضي من الأئمة إلى التالي منهم في آخر دقيقة تبقى من نفس الماضي (4) » .

ويبدو أنّ القاضي النعمان يغالي في فطريّة علم المعزّ : ففي الكتاب شواهد كثيرة على تتلمذه لأبيه المنصور في طرق المناظرة وأساليب الجدل ، مع حضور المجالس الحكيمة التي تعقد بالقصر .

وكان المعزّ يثور على الأتباع الذين يصفون على الأئمة صفات مغالية كمعرفة الغيب ، أو ينسبون إليهم مواقف مارقة ، فيعيبُ غلوهم ويلومهم .

وهذا المنصور يستنكر ما نسبته أحد الغلاة إلى الأئمة فادّعى أنّهم يقولون : « عندنا من حكمة الله وعلمه ما نزيل به الجبال ونخرق به البحار (5) » .

(1) أنظر : محمد اليملاوي : قضايا لغوية في كتاب المجالس والمسائرات . ملحق ابن منظور الخامس ، أبريل 1978 .

(2) ص 319 .

(3) ص 148 .

(4) المجالس ص 265 ، وانظر شرح ذلك في نفس الجزء ص 267 .

(5) المجالس ص 419 .

وقد كان هذا الغلوّ يصدر حتّى عن الأولياء والدعاة المقرّبين . وربّما وجد هذا الغلوّ منطلقة وغذاءه في أقوال الأئمة أنفسهم : فهذا المهديّ يتنبأ للمنصور وهو جنين بكشف غمّة أبي يزيد (1) ، ويقول إنّ الأئمة يخبرون بذنوب أجّلهم (2) . وكذلك في سكوتهم عن نوع من الدعاية يستغربه من لا يدين بمذهبهم : فالمعزّ يحلّ بمكان يشكو الجفاف والجذب فيتزلّ معه المطر وتخصب الأرض وتزول آفة الجراد . ثمّ إنّ الأئمة يحوون العلم كلّهُ ، ويعرفون جواب كلّ مسألة . وهم شفعاء عند الله ، والتوسّل بهم باب الإجابة .

وختاماً ، فإنّ المعزّ ، لئن لم يؤلّف كتاباً غير كتاب تأويل الشريعة المنسوب إليه ، فإنّ النعمان يؤكّد أنّه فيما كتب ، تأثّر به وتلقّى العلم منه وصدر عن وحيه .

وقد رفع الدعاة شأن المعزّ وعظّموه ، وقالوا إنّهُ أمر بتجديد الشريعة لأنّه سابع إمام من أئمة دور السّر ، أي ابتداء من أوّل إمام بعد محمد بن إسماعيل ، وعندهم أنّ الإمام السابع يمتاز بقوة كبيرة لأنّه خاتم دور .

وهكذا أتاح لنا كتاب المجالس أن نتعرّف على شخصيّة المعزّ من خلال كلامه وأفعاله .



صفة النسخة المعتمدة :

اعتمدنا نسخة تتركّب من نصفين غير موحّدين :

النصف الأول (3) :

صوّرت لجنّة معهد إحياء المخطوطات العربية برئاسة المرحوم رشاد عبد المطلب من المكتبة الآصفية بحيدرآباد يوم 16 ماي 1952 (الفيلم رقم 3175) والأصل محفوظ هناك ومسجل برقم 2590 تاريخ . وقد كتب على ورقته الأولى بخط مغاير لنسخة الكتاب :

(1) ص 542 .

(2) ص 239 .

(3) نسجل شكرنا للصديق الباحث أيمن فؤاد السيد الذي ساعدنا على اقتناء هذا المخطوط .

بسم الله الرحمن الرحيم

ككتاب

المجالس والمسائرات في تاريخ الاسماعيلية وعقائدهم
تأليف القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد اليماني

من

أكبر قضاة دولة المعز لدين الله صاحب مصر وباني القاهرة

وترجمة المؤلف

مبسوطة في وفيات الأعيان لابن خلكان .
وهو أشهر من أن يعرف .

ويقع هذا الجزء في 220 ورقة أي 440 صفحة مقاسها 120 × 230 مليمتراً مسطرتة 13 سطراً يبدأ بخطبة الكتاب وينتهي بآخر الجزء العاشر . خطه نسخي معتاد وهو غير مؤرخ ، إلا أنه حديث الخط من أعمال هذا القرن الهجري . ولم يثبت الناسخ اسمه . وقد كتب بآخره «تم الكتاب» . فهل كان يعني تمام النصف – والنصف أربعة عشر جزءاً في الواقع – ، أم كان ذلك كل ما وقع إليه من الكتاب ؟ والنص والعناوين مسترسلة غير متميزة بحجم الخط ولا بأوائل السطور ، عدا ما قد رسم فوق الطوالع عند لفظة «كلام» أو «حديث» وفوق كلمة «قال» غالباً التي تعني القاضي النعمان .

النصف الثاني :

من نسخة أخرى تبدأ بالجزء الحادي عشر ، أولها : «النصف الثاني من كتاب المجالس والمسائرات (1)» ثم بالبسملة . ثم : قال القاضي النعمان بن محمد : سمعت الإمام المعز لدين الله صلوات الله عليه يوماً وقد قرب عيد الأضحى وسأل عن مجيء كتامة من الأعمال لشهود العيد ... وتنتهي بـ «سأخر الجزء الثامن والعشرين وبه تمام الكتاب» .

(1) لا يمكن أن يكون الجزء الحادي عشر بداية النصف الثاني ، لأن الكتاب يحوي ثمانية وعشرين جزءاً . ثم اننا نجد في آخر الجزء الرابع عشر عبارة : تم الجزء الرابع عشر ، وهو نصف الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم



المجالس والسيارات

في

تاريخ الاساطيل ومخاطم

تأليف

القاضي الى حنيفة النعمان بن محمد اليماني

من

اكثر فضلاء دور السيرة لدين الله صاحب مصر وباني القاهرة

ومن جملة المؤلفات

مبسوط في زيارات الاميان لابن حنبلان

مصر واستخرج من ان يجر

٢٠٥٨
٢٠٥٩



الاسم	
اللقب	
تاريخ	

بسم الله الرحمن الرحيم

بسمه وصلی الائمة الطاهرين من علی
 بیتنا بعدنا انا ما اترنا ما اترنا
 من الفسقة والحكمة والحلم
 والمعرفة عن اسلاف ائمتنا
 بنقل من ادى ذلك عنهم البنا من
 صالح اخواننا واخواننا لانا
 وكان لهم بما يملونه من ذلك البنا
 فصل المبلغ الخامل وثوراب
 الصلادق المناقل وعتنا الرضبة
 في ثواب ذلك الى نقل ما سمعناه
 ونادى اليها ورد بناه واثرا عن
 شاهداها وادراكها منهم ملات
 المديهم الى غيرنا من غايه عن ذلك

الحمد لله الذي كرسنا لولايته اولى الامة
 فصل لما بامة الائمة من اصل
 بيت نبينا وحسدا بنورهم و
 بعرا سبلهم وانهم سلبناهم فيما
 له علينا من النعم بالاختصاص به حملا
 بحبه وبريقه ووجوب المزيد من
 نعمه عليه وصلی الائمة على محمد

فهاذا فيما قال لهم ليغفركم من ذنوبكم
 انما امركم ان تقصدوا في جميع الامور
 طها ما ايتوا خبوا ففعله واما امره
 فعلتموه واما امره به واما ايتونا المرح
 وتجنبنا لرحمتهم وحببتهم وفيما والله
 الم خير اسوة حسنة والهاها لوصية
 لنصو سليله سلام لي وقد اذعن قال
 لي ابي اجمع لك الوصايا طها في كلمة واحدة
 فانظر ما كنت رايتني افعله فافعله واما
 كنت رايتني تركته فانتركه او صنع بعد
 وفاتي ما كنت رايتني اصنع في حياتي
 ففعل السلف الثالث

في الكتاب

يقع هذا المجلد في 673 صفحة لا نعلم مقاس أصلها ، مسطرة 13 ، كتبت بخط نسخي معتاد أكثر ييوسة من خط النصف الأول ، كله مسترسل اتصلت نصوصه وعناوينه وأقسامه ، ويبدو أنه فرق بينها في الأصل بتلوين الأحبار .

والنسخة حديثة جداً فرغ من كتابتها صباح يوم الثلاثاء 14 ربيع الأول سنة 1361هـ/1932 . كتبها « الشيخ آدم بن محمد علي الكجراتي وطنا السورتي مسكنا » ، وقد سجل بعقبه في ص 674 أنه نقلها من نسخة سجلت بآخرها عبارة : « تم كتاب المجالس والمسائرات ، والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً ، في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر المظفر من اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف سنة 1332 من هجرة رسول الله (صلمه) كتبه أحقر الأحقرين محمد علي ابن ملا سلطان علي في بلد برهانيور المسمى بدار السرور غفر الله ذنوبهما » .

وهذا النصف مصور في مجلدين بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم 26060 ، ولا نعلم شيئاً عن أصل هذه النسخة . وقد استفدنا من السجلات أن هذه النسخة من المجالس كانت تامة في نصفين ، وقد أضاع النصف الأول منها وسدّ ثمنه سنة 1962 الدكتور محمد كامل حسين كما هو مثبت بسجل مخطوطات الجامعة .

وقد اصطلاحاً على هذه النسخة المركبة من نصفين مختلفين برمز « أ » .

أما نسخة « ب » فهي صورة فوتوغرافية من نسخة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية S. O. A. S. بلندن ، رقم 25737 كما هو مذكور في آخرها .

وتشتمل هي أيضاً على الأجزاء 11 إلى 28 ، وقد جلدتها « عبد الحسين ابن الملا هبة الله المتوطن بلد رامبورة » ، وهو من أتباع سلطان البهرة الراحل ، « مولانا طاهر سيف الدين » ، بتاريخ 15 ربيع الثاني 1342/1922 .

وتقع هذه النسخة في 145 ورقة ، وكل صفحة تتضمن 20 سطراً ، وخطها متداخل مهمل .

وقد كتب في آخرها بخط مائل مغاير : كاتبه المرحوم ملا داود بن .
أيوب مأمور ... ساكن جيت المدفون في ... مندره في 1315 .

النصف الثاني

من كتاب المجالس والمناثورات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي النعمان بن محمد سمعت الامام
 المعز بن باديش يقول ان الله عليه يوم ما يؤتى
 قمر عديد الا سمعني يسأل عن مجدي كتابه
 من الاشغال لشجده بالعيان فقبل له في ابواب
 المؤمنين بتساويهم ان قبل غنص القدر بهم
 فقال يا ابا الله فله الية انما ادهم فما اشد

بهم وباعتقائهم وما لعب الي انهم لم يروهم
 في عيني مناظرهم ثم نظرهم الي فقال انهم
 مثلهم في مجاهر وجمال من اكبر وحق منظرهم
 اما اني مرما قول في نفسي اذا عجبني ذلك
 منهم ان ذلك لفظ محبتي لم فقلت هو والله
 على ما وصفهم امير المؤمنين عند الولي العبد
 ولقد اقبل بنا من غير وجه ان مخلصنا
 اللعن اكانوا يقيمون ايام الفتنة وهم يقاتلون
 اما كواب كرامة وجمالهم فيه فاند عليه
 ولا فناديهم فيه فقال هو والله الذين اذا اقمهم
 ثم هم يلج الموت واحلوه محل الذلة واخرجه
 فساد اظباء السيف وهد الرماح حتى المحرم
 نفس الحبال في اطراف البلاد ثم استنزلوهم

لما فيه صلاح جميعهم فلكل زمان رجال و
 ليصلكن بسير في اليوم مغل خلق كثير
 ممن يظن ان الامر لا يعد وما انا اليوم
 عليه فاعرفوا قدرها من الله عليكم به و
 اشكروه ويزدكم من فضله فقال بعض من
 حضو وكيف لنا بشكر ما اولاه امير المؤمنين
 فقال ان الذي اول الله عباده اجل و
 اعظم وقد اخبرني ان من قد شكره اذ قد
 شكره واجما قدر واعليه فاخلصوا نياكم
 وما يريد منكم الا خلاص فقبلوا الاثر
 مما راين يد يد وشكوا بما قدر واعليه
 وانتم فواخلع يومئذ على جميع من حضرو
 المجلس خلعا من نعمة وكان يوم سمر و ختم

ادب

ادب الطهور التي قد مناد كرام السوي فيهما
 وما علم الناس من فضل ولي الله جل جلاله
 الله عليه وعلى ائمة الطاهرين من سلفه
 والصفوة المحمديين من خلفه وسلم كثير
 وقح الفلذخ من زمر هذا الجلد الثاني من
 كتاب المجالس والمسائرات صباح الثلاثاء
 الرابع عشر من شهر ربيع الاول من سنة ١٠٣٥
 الطابق للتاريخ السادس عشر من اكتوبر
 من سنة ١٩٣٢ كتبه لاهل الراعي رحمة رب
 العلي شيخ آدم ابن الشيخ المجدد علي
 الكجراقي بوطنا السور في سكتا ثبته الله تعالى
 طاعته وعلطاعة جميع حرد وده والديين والطينين
 المرحومين والجماعين بحق سيدنا محمد والاهل
 آمين يا رب العالمين

تصوير لـ الراتب سيد أحمد بـ
ساحه نزار الدول

نقلته من النسخة التي عبارة لغزها هذه
تحت كتاب المجالس وللأسف وللمؤلف والمؤيد
وصلى الله على محمد وآله وسلم وتسلموا من آلهم
التاسع والعشرون من شهر صفر الحظ من
الثنين وثلاثين وثلاثمائة ألف وستين
من هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله
محمد علي ابن ملا سلطان علي بلد بهر طين
المسعى بدار السور وغفر الله ذنوبهما

وتشترك هذه القطع الثلاث في التنبيه على بداية كل جزء حسب تسلسله ، والتنصيص على نهايته بعبارة :. تمّ الجزء كذا ... مع عبارات الحمدلة والتصلية . وقد حافظنا على أرقام الأجزاء في صفحات منفردة قبل كل جزء ، وحذفناها من الخواتم .

وبالمناسبة يمكن أن نتساءل عن الأساس الذي بني عليه هذا التقسيم : فهو لا يناسب تفريعا واضحا في أبواب الكتاب ، ثمّ إنّ النعمان لم يشر إليه في مقدّمته ، وإن أشار في غصون الكتاب (1) إلى نوع من الترتيب على الفصول والأبواب ، وكأنّه يعني بالبواب الجزء ، وبالفصل الفقرات المعنونة .

ولعلّه أخذ بنصيحة المعزّ إذ أشار عليه بتجزئة كتبه « لتكون أقرب وأسهل على السّامع ، لأنّه لا يتبدىء البادىء في جزء منه إلّا وقد اشتهى النظر فيه ، وإن طال عليه ملّته (2) » .

**

على أنّنا - زيادة في التوضيح - فصلّنا الفقرات ورقّمناها بحسب موضوعاتها وأضفنا عناوين في الهامش موفيةً بفحوى الفقرة ، إذ أنّ عناوين المؤلّف مبهمة غالبا .

وقد جمعنا هذه العناوين الإضافيّة في فهرس تفصيليّ يساعد القاريء الباسحث على الرجوع إلى ما يتغيه من مادّة الكتاب .

أمّا منهجنا في التحقيق ، فيعتمد على تعريف الأعلام وتوضيح الإشارات التاريخيّة والعقائديّة بالرجوع إلى كتب التاريخ والدراسات الخاصّة بالفاطميّين ولاسيّما كتب العقائد الإسماعيليّة ممّا ألّفه الدعاة كالداعي إدريس والكرماني وغيرهما .

وقد حاولنا أن نصوّب القراءات ، بالمقابلة بين النسختين « أ » و « ب » في الأجزاء 11 - 28 ، وبمراقبة محتوى النصّ . واضطررنا إلى الافتراض في الأجزاء 1 - 10 ،

(1) ص 359 .

(2) ص 396 .

فكلمة يقتضي السياق زيادتها . وضعناها بين قوسين () أو حاصرتين [] أو مائلين // ، وكلّ زيادة وثقنا أنّها من سهو النساخ أو من الغلط الظاهر ، حذفناها مع التنبيه إليها غالبا . هذا ، ولم يقعد بنا المجهود إلاّ في مواضع قليلة من النصّ ، فلمنتنا إليها انتباه القارئ ، وعرضنا عليه غالبا قراءة أو تأويلا للعبارة التي عسر علينا فهمها .
والله وليّ التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المحقّقون

هبته لله أرخلين الرخيم بانه تسعين في جميع جهنم
 قالوا نعم القيان بعد سمعت من الله صلح برما وقد
 قرب عيلا لاصح وسأرت في كفاية من الاموال شوق العبد لله
 فجمع يا امير المؤمنين بنينا برون وقد مضى القصر بهم فقال يا برك
 الله ينجو وكذا علادهم في اسير بهم وما حقا لهم وما احب
 الى شيا صهم والزي في عين منظرهم ثم ظنهم الى فقال الرخين
 شهم زاهوا فهم وجران من كيههم وحسن منظرهم اما ان يحيا
 اقول ان نفسي اذا اجتمعت ذكروستهم ان ذكروستهم حتى لهم
 منقلبتهم والله على ما وصفتهم امير المؤمنين عند اليك والحمد لله
 لهذا فصل بنا من غير جبر ان محله في حيا به العدا كانا يتولى
 ايام القعدة وهم يملكونهم اما ان يكون كفاية وجمالهم فيه فها
 ندبهم وولدنا زعمهم بنم فقالهم والله ان بنا ذاقهم لهم
 العث واجلهم محل الله واخر جودهم مشرا بطبقة السيوف
 وحذر الرماح حتى الحقهم بنين اجبالا اطراف الدابة دهم
 اسند المومنين منقلا مشرا في دهم تداره من الله لى ليه في

معاً

شامه في حادثة جرد ويا منه وطاعته له وصبرهم عن فقال
 بعض العبيد الصغار لمحى يا امير المؤمنين واشرف الابرار
 وقد كان من العباد واجهوا ذكروستهم من طمان لعيننا فينا برنا
 ذكروستهم يا امير المؤمنين ووقا دهم وما مقا لنا ومننا ان
 من فقال لا سوا وانهم ملكنا لم منظرهم لهم ام بيت لير
 اننا فلهنا لا غلبنا لكم انهم تاتى لنا في انما فيهم لا
 اننا طالعنا ويدر لانا انفسهم را عين ومخبر على ذكرو
 اسالهم فهم رثت علمه احابه فهم المسلسل منا في الخلق مننا
 منقرنا وبيده فويله والله ما اذنت امرة من الامم ليني من
 بنينا ولا ما عن الملازمة وله لذكر من ملوك الدنيا ولا
 وقالها وانا فهم لنا وعوا كذا لهم لا وعوا كذا في الفكر المنقل
 را عوا في الخلق وحال عليهم ملولة الدنيا وانتشار فليفرهم لهم
 على طر جودهم من مقرا بهم وحق لا واولاه دهم مع احابه دنا
 ابا فهم مع ابا لنا دهم معنا وكان ذكرهم في اعقابهم مع اخواننا
 الى يوم الدين استنا الله ثم نظرا في فقال اليك لكرضك هو كما قال
 امير المؤمنين دم وهم من العسا بلبن الذين اوجب مصلحتهم ولا
 مستغفرا لهم على اللوحين التابعين ثم قال دم وليس منهم
 ونصلوهم ما ينقص مصلحتهم ولا يهدم من عبيدنا ولا نصارنا

هذه كتاب المجالس والمنازل

[illegible]

Nu'mān ibn Muḥammad ibn Maṣṣūr, called
Ibn Ḥaiyūn.

[Al-majālis wa 'l-musā'irāt. Parts
11-28, Arabic manuscript.]

الصفحة الأخيرة من نسخة (ب)

كتاب
المجالس والمسائرات
للقاضي النعمان

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرمنا بولاية أوليائه ، وفضلنا بإمامة الأئمة من أهل بيت نبيّه
وهذان بنورهم ، وبصّرنا سبلهم ، وأنعم علينا بهم فيما له علينا من النعم ، بما لا
نُحصيه ، حمدا يُحبّه ويرتضيه ، ويوجب المزيد من نِعَمِهِ عليه . وصلى الله على
محمد / نبيّه وعلى الأئمة الطاهرين من أهل بيته .

أمّا بعد ، فلنّا لمّا أثرنا ما أثرناه من الفضائل والحكمة والعلم والمعرفة عن
أسلافِ أئمتنا بنقل مَنْ أدّى ذلك عنهم إلينا من صالحِي إخواننا ، وأخير أسلافنا ،
وكان لهم بما يحملونه من ذلك إلينا فضلُ المبلّغِ الحامل ، وثوابُ الصادقِ الناقل ،
دَعَتْنَا الرغبة في ثواب ذلك إلى نقل ما سمِعناه ، وتَأدّى إلينا وَرَوَيْنَاهُ ، وأثرناه
عَمَّن شاهدناه وأدركناه منهم ، صلوات الله عليهم ، إلى غيرنا ممَّن غابَ عن ذلك /
من أهل عصرنا ، لينقلوا ذلك عَنَّا إلى من يأتي من بعدنا ، كما نَقَلْ إلينا ما أثرناه ،
مَنْ أدركناه عَمَّن مضى مِن قبلنا .

فقد رَوَيْنَا (1) عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيما نقل الرواة إلينا من
أئمتنا أنّه قال (صلى) : رحم الله امرءا سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها ،

(1) تساءل آصف فيضي طويلا في مقدمة «دعائم الاسلام» (ص 19 من طبعة 1969) عن قراءة «روينا»
أ بالعلوم هي أم بالمجهول ، وآثر أن يقرأها : روينا بضم الفاء وتشديد العين .

فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، وربّ حامل فقه وليس بفقيه . وأنه قال (صلح) : يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدوّه ينفون عنه تحريف الجاهلين وتأويل الغالين وانتحال المبطلين (1) .

وعن جعفر بن محمد (2) صلوات الله عليه أنه قال : رحم الله من أحيا أمرنا . فقيل : يا ابن رسول الله (صلح) ، وما إحياء أمركم ؟ قال : ذكره ، ونشره ، وتبليغه من لم يكن بلغته .

وعنه عليه السلام أنه قال لبعض شيعته : تحدّثوا عنّا واجتمعوا في مجالسكم على ذكرنا ، فما من قوم من أهل ولايتنا يجتمعون على ذكر فضلنا ويتفاوضون فيما علموا من علمنا ، إلّا وهم يسرحون في رياض الجنة . وإنّ الملائكة لتُظلمهم وتستغفرو لهم ، وإنّ الله عزّ وجلّ ليُقبل بوجه رحمته عليهم .

فلهذا وغيره من كثير من الرغائب فيما ذكرناه واختصرناه رغبتنا فيما وضعناه ، وآثرنا ما قصدناه .

ولقد كنت جمعت عن المهديّ بالله ، والقائم بأمر الله ، والمنصور / بالله (3) صلوات الله عليهم ورحمته وبركاته ، وفيهم وفي (4) فضائلهم ، من الكتب ما يطول ذكرها (5) . وألفت سيرة المعزّ لدين الله صلوات الله عليه ، من الوقت الذي أفضى

(1) الحديث : انظر الدعائم ج 1 ص 80 عدد 151 ومشكاة المصابيح ج 1 ص 82 رقم 248 . أما حديث : رحم الله امرأ... فقد خرجه ابن ماجة ج 1 ص 84 رقم 230 ، والترمذي ج 10 ص 124 .

(2) جعفر الصادق الإمام السادس . وهو آخر إمام مشترك بين الشيعة الاثني عشرية أو الامامية ، والشيعة الاسماعيلية أو السبعية . ذلك أنه عين ابنه إسماعيل إماما بعده ، فتوفي قبله ، فعين أخاه عبد الله فتوفي أيضا . فعين ابنا ثالثا ، وهو موسى الكاظم . ولكن قسما من الشيعة صححوا إمامة إسماعيل ونقلوها إلى ابنه محمد فكان منطلق الشيعة الاسماعيلية . واعترف جمهور الشيعة بإمامة موسى ومن يليه إلى الإمام الثاني عشر قبل الغيبة ، فكانوا هم الشيعة الاثنا عشرية .

كان جعفر الصادق محدثا ، روى عنه جماعة ، منهم مالك وأبو حنيفة . وإليه ينسب فقه الشيعة أو الفقه « الجعفري » . انظر وفيات الاعيان وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص 418 ، و443 و458 وابن الجوزي : صفة الصفوة ج 2 ص 94 . وفصل « جعفر الصادق » بدائرة المعارف الاسلامية .

(3) هؤلاء هم الأئمة الفاطميون الأولون منذ انتصاب الدولة برقادة سنة 909/296 .

(4) في الأصل : ومن .

(5) ذكر ايشانوف في قائمة مؤلفات النعمان عناوين قد توافق ما يشير إليه القاضي هنا : المناقب والمثالب (رقم 77) ، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (رقم 78) « معالم المهدي (رقم 101) .

الله عز وجل بأمر الإمامة إليه إلى اليوم (1). وأنا دائب في ذلك إلى أن ينقضي عمري إن شاء الله تعالى ، ويصلها من بعدي من عتبي وأعقابهم بتوفيق الله إيتاهم بطول بقاء وليه ، ودوام عزه وسلطانه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم رأيت وجوها من الحكيم والعلم والآداب والمعرفة تنفجر عن منطقته وتندفع من ألفاظه وتشير عن رمزه وإشارته ، ولا تجري مجرى السير / التي صنعتها ، ولا تدخل في أبوابها التي ألفتها ، على ما في تلك السير من الحكمة والعلم والمعجزات ، والبراهين والدلائل والآيات . فرأيت أفراد هذه في كتب تشبهها وتليق بها ، وأن أفرد السير في كتابها مع ما شاكلها وكان من معناها ، وأن أذكر في هذا الكتاب ما سمعته من المعز صلوات الله عليه من حكمة وفائدة وعلم ومعرفة ، عن مذاكرة في مجلس أو مقام أو مسامرة ، وما تأتت إلي من ذلك عن بلاغ أو توقيع أو مكاتبة ، على تأدية المعنى دون اللفظ (2) حقيقة بلا زيادة ولا نقص ، بعد بسط العذر في / التخلف عن تأدية حقيقة لفظه بحسبه ، إذ هو الجوهر الذي لا يتعاطى البشر صنعته ، بل الله الذي أبدع خلقه . بل هو خير من الجوهر ، كما ذكر سفيان الثوري (3) أنه دخل على جعفر بن محمد صلوات الله عليه ، فحدثه بحديث بالفاظ لم يقف سمع سفيان / على مثلها ، فما تما لك إذ سمعها أن قال : هذا والله الجوهر . فقال له جعفر ابن محمد : يا سفيان ، بل هو والله خير من الجوهر ، هل الجوهر إلا الحجر ؟ (قال) : فقلت : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

(1) أشار النعمان إلى هذه السيرة في آخر كتابه « افتتاح الدعوة » (ص 338 من طبعة الدشراوي وص 282 من طبعة وداد القاضي) فقال : وقد أثبت سيرة المعز وما خصه الله به من فضله ... منذ أفضى إليه بخلافته إلى وقت بسطي هذا الكتاب ، وقتا فوقتا ويوما فيوما ... » ويعتقد الدكتور الدشراوي أن هذه السيرة إنما هي كتاب المجالس والمسائرات . فيكون النعمان قد فرغ منه سنة 346 ، وهو مخالف لما يأتي في المجالس (ص 332) من إشارة إلى أعمال عمرانية أمر بها المعز سنة 348 وكذلك خبر الأعداء الجماعي سنة 351 . وهذا وغيره يؤكد أن هذه السيرة كتاب آخر ، غير المجالس ، وغير المنظومة « ذات المنن » في سيرة المعز (عدد 99 من قائمة إيفانوف) . هذا ويعود النعمان في ص 297 من المجالس والمسائرات إلى ذكر كتاب دون فيه كلام المعز وفعله ، وعرضه عليه . ولا ندرى صلتها بالسيرة المذكورة هنا ولا بكتاب المجالس نفسه .

(2) في الأصل : على تأدية المعنى عن اللفظ دون حقيقة . وقد تكون القراءة أيضا : على تأدية حقيقة المعنى دون اللفظ .

(3) سفيان الثوري : أحد كبار المحدثين « توفي سنة 778/161 .

فأمير المؤمنين صلوات الله عليه نَجَلْ جعفر وسليته ، ونسل رسول الله (ص) وولده ، وهم كما قال الله عز وجل / : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ (1) » لا تُتَعَاطَى حكايتهم ، ويعجز الخلقُ دونهم عن أن يأتوا بمثل ما يكون منهم .

وقد روينا أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، سئل ، فقيل له : حدثنا حديثاً كما سمعته من رسول الله (ص) بلفظه لا يزيد ولا ينقص . قال : لقد كلفتموني شططا ، حسبني (2) أن أؤدّي إليكم المعنى على أن لا ألوّ تحريّاً لإصابة لفظه ، ولا أتعمدَ تبديل شيء منه إن شاء الله تعالى .

(1) آل عمران ، 34 .

(2) في الأصل : حيره ، ولا معنى لها هنا .

الجزء الاول

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

ذكر كلام جرى في موقف :

1 - قال القاضي النعمان بن محمد : أول لفظة سمعتها من أمير المؤمنين المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوم قدمت من / مدينة طرابلس وكان المنصور بالله استقضاني عليها ، ثم نفذ إليّ أمره بالقدوم فقدمت ، فلما أشرفت على المنصورية واجهت المعزّ لدين الله صلوات الله عليه خارجا لبعض ما كان يخرج إليه في موكب ضخم ، فنزلت وبادرت إليه للسلام عليه وهبتُ كلاما . فما هو إلاّ (أن) قربت منه وملأت عيني منه ، وملأت صدري هيبتُهُ ورأيت جلال الإمامة في وجهه ، فوالله ما دريت ما أقول ولا عولتُ إلاّ على تقبيل الأرض . ثم أومأ إليّ بيده فقبلتها ، وأفحمتُ هيبته له وإجلالا ، فابتدأ إليّ بالكلام / فقال : قدمت خيرا مقدّم وبارك الله فيك وجزاك خيرا عن نفسك ، فقد انتهى إلينا خبرك ، سير راشداً إلى باب أمير المؤمنين (1) . وحرّك دابّته .

ولما مثلت بين يدي المنصور بالله صلوات الله عليه ، قال لي فيما قال : يا نعمان ، إذا جرى الله المحسنين خيرا فعزّاك الله عنا أفضل الجزاء !

(1) قعود النعمان من طرابلس كان في أول عهد المنصور ، سنة 337 (انظر ص 57 تنبيه 2) .

فما كنتُ بشيءٍ أسرَّ منِّي بما سمعتُ يومئذٍ من المنصور والمعزَّ لدين الله صلوات الله عليهما . ونزلتُ ذلك القولَ وتدبرته بحسب ما ينبغي أن يُنزلَ ويُتدبَّرَ قولُ أولياء الله ، فرأيت قولَ المعزَّ لدين الله صلوات الله عليه : وجزاك خيرا عن نفسك / ، قولاً ظاهراً مكشوفاً بيناً معروفاً غير محتاج إلى التأويل ومستغنياً عن الدليل ، يُصدقُه قولُ الله عزَّ وجلَّ : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها (1) » .

وقول المنصور بالله صلوات الله عليه : إذا جرى الله المحسنين خيراً فجزاك الله عنا أفضل الجزاء ، مثله في معناه ، إذ كان المحسنون لم يحسنوا إذا عملوا الصالحات ، إلى الله ، تعالى عن ذلك ، وإنما أحسنوا إلى أنفسهم كما قال الله عزَّ وجلَّ . وقوله : فجزاك الله عنا ، محتاج إلى التأويل وغير مستغنٍ عن الدليل ويحتل وجوها :

أحدها أن يكون قوله : جزاك الله عنا أي منّا ، وبنا ، ونحو هذا ، لأنَّ حروفَ / الخفض عند أهل العربية يخلف بعضها بعضاً . قال الله عزَّ وجلَّ ، حكاية عن فرعون : « ولأصلبَنَّكُم في جذوع النخل (2) » ، أي على جذوع النخل . وكان الدعاء معناه في ذلك أن يعجز الله الجزاء على أيديهم أو بهم أو منهم في عاجل الدنيا أو في آجل الآخرة أو فيهما معاً . وذلك الذي أرجوه ، وثاقاً بقبول الدعوة ، ولا قوة إلا بالله .

وقد يكون مجاز قوله : ، أي : عن ولايتنا ومحبتنا والنصيحة لنا .

أو يكون معناه : جزاك ثواب ما قمت به ممّا وليّناك أمره فأحسننت فيه إلى نفسك . أو ما يجري هذا المجرى .

والكلام فيه يتسع والشواهد / عليه كثيرة ، تركنا ذكرها اختصاراً لا على أن يظنَّ ظانٌ أو يتوهم متوهمٌ أن له على أولياء الله مينةً أو فضلاً أو نعمةً يجب أن يجازى عليها .

(1) الأسراء ، 7 .

(2) طه ، 71 . ونياحة حروف الجر عن بعضها بعضاً - وهو ما يسميه بعضهم «تفسيها» - لا يتفق عليها الجمهور .

2 — وقد روينا عن رسول الله (صلع) فيما رواه لنا الرواة عن أئمتنا، أنه قال لرجل من الأنصار : قد كانت لأبيك عندي يدٌ ، فهل لك من حاجة ؟ ، فقال لرسول الله (صلع) : تسألُ اللهَ ليَ الجنةَ ، قال : نعم ، فسأعني على ذلك بكثرة السجود (1) . وذكر لأبيه جهادا تقدّم . وقال لغير واحد : جزاك اللهُ خيرا عن نبيّه ، اختصرنا ذكرهم تخفيفا ، لقوم جاهدوا ونصّحوا وذلك بلا / شكّ ولا مدافعة ولا اختلاف ولا منازعة ، إحسانٌ منهم إلى أنفسهم لا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله . فقد منّ ببعض ذلك من جهل منهم فأنزل الله عزّ وجلّ : « يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ، قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (2) » . فليس لأحدٍ من الناس على الله جلّ ذكره ولا على أحد من أوليائه منّةٌ في عملٍ ولا قول ولا في غير ذلك ولو قطع في إربا إربا ، لأنّ ذلك ، إن فعله ، فلنفسه يُمهّدُ ولحظّه يقصد ، ولا سيّما من استُخدمَ بأجرٍ يصيرُ إليه وعَمِلَ على ثواب أُعطيّه ، فسبيلُه السبيلُ الأجيرُ إنْ نصّح في عمله / فقد أدّى ما عليه ، وإن خان أو غشّ فيه فقد استحقّ العقوبةَ وباءَ بالإثم . وكلُّ من عمِلَ اليومَ لأئمتنا صلوات الله عليهم فعلى ذلك يعمل .

3 — ولقد قلت لبعض من أوصيته من القضاة الخارجين إلى بعض الأعمال : إنَّ أحقَّ ما نظرتم فيه وعملتُم له ، الوفاءُ بالعهد وأداءُ الأمانة فيما قلّدْتُموه وامتثال ما عهد أمير المؤمنين عليه السلام إليكم فيه لما يجب لله وله عليكم في ذلك ، ولا أقلّ من أن تنظروا فيما تدومُ لكم به النعمةُ وأن تفتدوا في ذلك بمن تشاهدونه من عوامّ الناس من ضرّاب وصائغ وخیاط فصاروا أمثالهم من الصنّاع : فقد ترونَ أن أحدَهُمْ يُسلّمُ إليه العملُ / يساوي المالَ العظيمَ يعملُه بالأجرِ التافه اليسير ولا يشهدُ به عليه ولا يُتوثّقُ فيه مِنْهُ ، وقد يكون فقيرا أو غيره ، ولا أمين ولا ناظر في علم ولا دين ، فيفي بأمانته ويصرف ما رُفِعَ إليه إلى مَنْ استعمله فيه ويقبضُ تافها من الأجر

(1) الحديث : ورد في صحيح مسلم (كتاب الصلاة ، فضل السجود) مع اختلاف في أول متنه .

(2) الحجرات ، 17 .

عليه ، ولا يدعوه إلى ذلك إلاّ أنّه يعلم أنّه إن احتسبَسَ ما دُفِعَ إليه وأنكره ، تنأذره الناس فلم يستعملوه فيرى أنّ ما يأخذُه من الأجر شيئاً بعد شيء أجرى عليه وأنفع له .

وأنتم تصيبون من فضل وليّ الله ما إن استدمتموه بحفظ ما استحفظكم ، دام لكم مع حسن / الأحذوثة فيكم ورجاء الزيادة لكم وما ترجون من ثواب ربكم . فمن سمع من أولياء الله مثل ما قدّمتُ ذكره فليُنزَلْهُ على ما نزلته ولا يذهب به إلى حيث ذهب من نطق الكتاب بدمه وبين الله عليه (1) فساد ما توهّمه وذهب إليه ، والله يهدي من تمسك بحبل أوليائه إلى طاعته وطاعتهم ، والعمل بما يرضيه ويرضيهم قولاً وعملاً ونيةً وموافقة للصواب إن شاء الله تعالى .

4 - ولما استقضاني المنصور بالله (ص) [صحبته] يوماً وقد خرج إلى بستان لكنية (2) ووقف به . فمثلت بين يديه فتحدّث بحديث طويل في فنون كثيرة ثم نظر إلى بعض / رجاله فقال : كيف الحديث الذي كنتَ حدّثتني عن فلان ؟ فذكر حديثاً فيه كذب شنيع ثم نظر إليّ ، فقال : وهذا الرجل معروف بالكذب الشنيع ولقد بلغ القائم بأمر الله عليه السلام أمره ، فعجب مما يتّهيأ له من ذلك وينطاع .

ثم قال لي : شهدَ هذا المعروف بالكذب عند فلان - يعني بعض القضاة - بشهادة في اعتراف بغل ، فأرسل ذلك القاضي إلى هذا - يعني الرجل الذي حدّث عنه بالكذب - يكشفه عن حاله ويخبره فيما يشهد فيه فأرسل إليه : هو عندنا عدلٌ في بغل . وتيسّم المعزّ لدين الله عليه السلام / . ثم قال : فأجاز القاضي شهادتهُ تلك . أفرأيت أعجبَ من هذا ؟

فلما سمعت ذلك منه عليه السلام ، ذكرتُ قول من قال في قصص الله عزّ وجلّ في كتابه : أمر الأمم التي بعث إليها رسله فعصّت الرسل فأهلكها الله بالعذاب ، وأنّ ذلك ، وإن كان إخباراً عن أمرهم وهلكهم وكيف جرت الحال لهم ، فإنّه وعيد

(1) هكذا في الأصل ، وفي التعبير ثقل ، ولعل « عليه » زائدة أو محوطة .

(2) بستان لكنية : لم نثر على موضع بهذا الاسم .

من الله عز وجل لمن فعل مثل فعلهم وتحذير من ذلك العذاب أن ينزل بهم . فعلمت أنه رمز صلوات الله عليه بما أجراه من ذلك إلى أن لا يقصد في السؤال عن البيئات مثل ذلك الرجل، وإن كان له / موضع من القرب والخدمة . فإن للكشف عن البيئات من هو أولى بذلك منه . ولم أنزل حديثه بذلك منزلة الخبر والمذاكرة بغير معنى ولا فائدة إذ كان التنزه له عن ذلك أولى .

فكذلك ينبغي لمن سمع قولاً من أولياء الله عليهم السلام أن يتدبره حق تدبيره (1) ولا يعرض عنه فيمر صفحا ، فإن في كل لفظة لهم حكمة ، وتحت كل كلمة فائدة لمن هداه الله لعلم ذلك وأبان الله وجهه ووفقه لعلمه ويسر له نفعه . والله يهدي من يشاء بفضله .

5 - (قال) وسأيرت المعز لدين الله صلوات الله عليه يوما فذكر رجلا فقلت / : إنه كان معنا في أيام الفتنة (2) بالمهدية .

قال : وكيف كان ذلك ؟

قلت : لما قرب الدجال اللعين مخلصنا منا ، نزع إلينا من البادية بنفسه وأهله وبولده وبما قدر عليه من ماله ، وخلف شيئا كثيرا ، فأنهبط فعوضه الله من ذلك بأن كان قد ثقل إلينا طعاما (3) ، فلما عفن الطعام باع منه بمال عظيم بعدما احتبس قوته وقوت عياله ، فأخلف الله عليه ما ذهب له أضعافا مضاعفة .

فقال لي عليه السلام : يا نعمان ، والله للذي أعدّه الله له من ثوابه في كريم ما به لأعظم من ذلك ، والله ما صبر معنا يومئذ مؤمن عرف حقنا وآثر الكون معنا / على البأساء والضراء ، على الكون مع عدوتنا على الخفض والرخاء ، إلا وهو معنا غدا في الجنة يدخل مدخلنا ويستظل بظلتنا ، والله لو كان عليه من الذنوب بعدد الرمل لغفر الله له وأدخله الجنة بشفاعتنا وكونه معنا .

(1) نتظر « تدبره » .

(2) يعني ثورة أبي يزيد ، أي بين سنة 333 و 336 . وقد تدل عبارة « معنا » على أن نعمان لم يكن بطرابلس أيام الفتنة .

(3) الطعام هو القمح أو ما شابهه .

فما رضيَ أن أخبرني بذلك عليه السلام حتى حلف عليه بالله مرارا ، يؤكّده عندي . فنظرت فيما قاله من ذلك عليه السلام وأكّده ، فوجدت كتاب الله يؤيده ، وخبرَ الرسول (ص) يشدّه ، وقول جعفر بن محمد الصادق (ص) يعضّده : فأما كتاب الله ، فقولُه جلّ وعزّ : «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَمَا لَهُ مِنْهُمْ» (1) ، وقولُه حكايةً عن خليله إبراهيم / عليه السلام : «فَمَنْ تَبِعَنِي فَمَا لَهُ مِنْي» (2) . وقول رسول الله (صلع) : سلمانُ منّا أهل البيت (3) . وسلمان فارسيّ النسب إلاّ أنه كان يتولّى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فنسبه إليهم وأدخله في جملتهم ، وقال (ص) لبعض من خاطبته : أنت مع من أحببت (4) . وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه لبعض شيعته : أنتم منّا أهل البيت .

فمن تولّى أولياء الله ونزع إليهم وكان في الدنيا معهم سيّما في حال الضيق والشدة والبأساء والضراء والمحنة ، فهو معهم في الجنة برحمة الله ، وفي عدله . وقد قال الله تعالى جلّ ذكره : «وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» (5) . فإذا / كان من ركن إلى أعدائه أدخله النار ، فمن عدله أن يدخل الجنة من عدل عنهم وركن إلى أوليائه . كما روينا عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنّه قال : من حفظ مال يتيم عليه وثمّره له ، أدخله الله الجنة .

فقال له بعض من سمع ذلك منه : يا ابن رسول الله (صلع) من أين قلت هذا ؟
أشيء بلغك عن رسول الله (ص) ؟

قال : أوليسَ من عدل الله أنّه لمّا تواعد منّ أكل أموال اليتامى بالنار ، أن يدخل من حفظها وثمّرها الجنة ؟

(1) المائدة ، 51 .

(2) إبراهيم ، 36 .

(3) سلمان الفارسي : صحابي جليل ، أسلم بالمدينة بعد أن كان مزدكيا ، ولارم الرسول (ص) حتى قال فيه هذه الشهادة : سلمان منّا أهل البيت . وقال فيه علي : علم الأول والعلم الآخر ، وهو بحر لا ينزف . (أسد الغابة ، ترجمة عدد 2149) ، وقد حظي باجلال خاص عند الشيعة ، ونسجت حوله الأساطير . توفي بالمداين سنة 36 هـ .

(4) البخاري : فضائل الصحابة ، 6 أدب 95-96 .

(5) هود ، 113 .

فهذا كله يؤيد ما قاله المعزّ لدين الله (ص) ويؤكدُهُ (1) . وكُلُّ قولٍ أولياء الله ، إذا تدبّره من وفقّ لفهمه ، أصابه مؤكداً بقول الله جلّ ذكره / وقول رسول الله (ص) .

جواب عن سؤال في مسأيرة .

6 — قال القاضي: ولما استقضى المنصور بالله (صلع) بالمنصورية (2) وأقامت بها كنت إذا وقفت للسلام عليه، قبلت الأرض بين يديه تعظيماً له وإجلالاً لمكانه . فقال لي مراراً كثيرة: لا تفعلْ مثلَ هذا يا نعمان أوأنا كلّ ذلك أفعله وأرى أن نهية ذلك ليس بنهي كراهية إذ كان المعزّ صلوات الله عليه يومئذ يفعلُه ومن دونه من الخاصة وسائر الناس خلا من يجهل حقّه من الرعاع الذين لا يعقلون . فكرهت الدخول في جملتهم والكون في ذلك معهم إلى أن خرج صلوات الله عليه يوماً لبعض / ما كان يخرج إليه ، وخرج المعزّ (ص) معه بحسب ما كان يخرج إليه . فقبلت الأرض بين يدي المنصور بالله (ص) فقال لي بقول مغلظ منكّر : قد نهيتك عن هذا مراراً ثم لا أراك تنتهي عنه ! فجاءني من ذلك ما تحيرت به واغتمست له ولم أدري كيف الوجه فيه . فقصدت حينئذ إلى المعزّ عليه السلام وهو بين يدي الموكب وراء (3) ظهره فذكرت له ما كان منه إليّ، ورأى أثر الغمّ من ذلك عليّ، فتبسّم (ص) في وجهي وقال : لا يغمّك ما سمعت من أمير المؤمنين عليه السلام ولا يصرفك ذلك عما كنت تفعله، ودُمّ عليه ولو نهاك / عن ذلك ألف مرّة . فوالله للذي يجب له من الحقّ وينبغي له من التعظيم أكثر من ذلك .

فأزال قوله (ص) عني ما كنت أجده، وتدبّرت ما ذكره وأمر به من ترك امتثال أمر الإمام صلوات الله عليه وما أمر به من ارتكاب نهيه، فوجدت كثيراً من أمر الله عزّ وجلّ ونهيه في كتابه يُخرج على غير الإلزام ويُجرى على وجوه من التأديب

(1) في الأصل : ويوكل .

(2) يسمي النعمان قاضياً على المنصورية سنة 337 عند فراغ المنصور من بنائها مباشرة ولم يكن مسجداً الجامع قد بني بعد .

(3) في الأصل : ورأى .

والإرشاد والاختبار والامتحان ، لو ذكرتها لخرجتُ من ذلك عن حدّ هذا الكتاب .
ومن نظر في شيء من علم القرآن فقد عليم ذلك .

وذكرت اعتذار عبد الله بن عمرو بن العاص للحسين بن علي صلوات الله عليه / لما أنكر عليه خروجه على عليّ (صلع) بصفتين وأنه قال له : يا ابن رسول الله (ص) ، والله ما دعاني إلى ذلك إلا أن عمراً أبي كان نقم عليّ شيئاً فشكاني فيه إلى رسول الله (ص) فقال لي رسول الله (ص) : يا عبد الله أطلع أباك (1) ! فلما خرج مع معاوية دعاني فذكرت قول رسول الله (صلع) فأجبت وأطعته كما أمرني .

فقال له الحسين (صلع) : يا عبد الله ، أفما سمعت قول الله عزّ وجلّ يقول بعد أن أمر ببرّ الوالدَيْنِ : « وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا (2) » ، وقول رسول الله (ص) : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وقوله صلى الله عليه وآله : إنما الطاعة في المعروف (3) .

فتغيّر وجه عبد الله / وقال : كأنّي والله يا ابن رسول الله ما سمعت هذا ، ولقد سمعته .

فرأيت أنا كذلك وعلمت وجه ما قال المعزّ لدين الله (صلوات الله عليه) أن الطاعة لما أن كانت لا تكون إلا في المعروف فإنّ النهي عن المعروف لا يكون نهياً لازماً ، ورأيت أن أمر المنصور (ص) لي مع بيان المعزّ بترك تقبيل الأرض أمر اختبار وامتحان كأمر الله عزّ وجلّ إبراهيم صلى الله عليه وآله بذبح إسماعيل ابنه ليتمحن ضميره ويختبر أمره (4) . ولا جرم أنّي عسدت إلى ذلك كما أمرني المعزّ (صلع) فما أنكره بعد ذلك عليّ أيام حياته صلوات الله عليه ورحمته وبركاته . وقوله كل ذلك

(1) ورد هذا الحديث في ترجمة عبد الله بن عمرو في أسد الغابة ، 3090 .

(2) العنكبوت ، 8 .

(3) باب السمع والطاعة من ك. الاحكام في صحيح البخاري ج 9 ، ص 78 . أما حديث : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فلم يورده البخاري بلفظه بل بمعنى ، وكذلك السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 211 ، ولفظ قريب في ج 3 ص 346 . وينسب بهذا اللفظ إلى الإمام علي في نهج البلاغة ص 389 رقم 163 .

(4) الصفات ، 102-107 .

لي بالرضى / عتسي يتزايد كل وقت ويتأكد بحمد الله عليّ ثناؤه بما هو أهله ، نسأل الله إيزاع الشكر وتمام الأمر .

ولما جرى ذكر ما ذكرناه من تقبيل الأرض بين يدي أولياء الله (1) كان ينبغي أن نذكر أنفة الجهال من ذلك وتكفيرهم من فعله وفعله له ، وذهابهم إلى أن ذلك كفر بالله وسجود لمن هو دونه ، تعالى الله ونزه أوليائه عما يقول الظالمون الجاهلون . ومن البلاء والمحنة بالجهال أن تتكلف إقامة الحجّة على قوم لا يعقلون . فهبّهم رأوا ذلك سجوداً ، أفما سمعوا قول الله عز وجل يحكي في كتابه عن يعقوب وولده - وهم أنبياء - أنهم سجدوا ليوسف عليه السلام / إذ (2) دخلوا عليه وهو نبي (3) وأن ذلك كان بتأويل رؤيائه إذ رأى الشمس والقمر والنجوم له ساجدين ؟ فهل كفر هؤلاء الأنبياء عندهم بهذا السجود ؟ على أن لا نقول نحن إننا نسجد لأحد من دون الله ، تعالى الله عن ذلك . ولكننا نقبل الأرض تعظيماً لأولياء الله . والسجود حقيقة غير ذلك . ولو سئل هؤلاء الجهال عن رجل قبل الأرض في صلاته في حال السجود ولم يضع جبينه عليها كما يفعل الساجدون : هل يكون ذلك سجوداً ، لم يكن من قولهم : إنه سجود ، فكيف من يفعل ذلك لا ينوي به السجود يزعمون أنه سجد ؟ ولو سجد عندهم على الحقيقة رجل وهو لا ينوي السجود / لم يكن ساجداً ، كما أنه لو أمسك عن الطعام يوماً إلى الليل وهو لا ينوي الصوم لم يكن صائماً .

ومع هذا إنهم يقبلون أيدي الأئمة صلوات الله عليهم ، وهم يروون عن بعض أسلافهم أن قبلة اليد سجدة ، ولا أقل من أن تكون على قياس ما ذهبوا إليه ركعة ، لأن الفاعل لها يخفيض رأسه كما يخفيض في الركوع ، فهم على قياس قولهم يركعون لهم من دون الله ، تعالى عن ذلك ونزه أوليائه عن أن يرضوا بذلك أو يُجيزوه لأحد من أصحابهم . والذي رَوَاهُ عن النبي صلى الله عليه وآله / مع بعض من جاءه

(1) قد طرق الثعمان هذه الأفكار وأورد هذا الاحتجاج في ك. المهمة ص 105 .

(2) في الاصل : اذا .

(3) « ورفع أبويه على العرش وحروا له سجداً وقال : يا أبت ، هذا تأويل رؤيائي من قبل » (يوسف ، 100) . وعبارة « هو نبي » تقابل قوله « وهم أنبياء » .

من أصحابه من أرض الحبشة وقد رأهم / يسجدون للموكهم ، فسجد له ، فنهاه عن ذلك وقال : لو أمرت لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها (1) . فذلك - إن ثبت حديثهم - هو السجود من دون الله لأن فاعله إنما اقتدى فيه بالحبشة وهم مجوس (2) لم تبلغهم الدعوة يومئذ ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن التأسى بهم . وليس في حديثهم تقبيل الأرض ، وإنما فيه النهي عن السجود . وقد ذكرنا أن تقبيل الأرض ليس بسجود . وذلك لإجماع لا نعلم فيه اختلافاً أنه لا يجزي عن السجود سيما إذا كان بغير نية في السجود . ولستأ نقول إن سجود يعقوب وولده وأهل / بيته ليوسف سجود من دون الله ، تعالى الله عن ذلك ونزه أوليائه عنه ، ولكنه سجود طاعة وتعظيم له وتسليم لأمره ، لما آثره الله وخصه به من الفضل . وهذا من أعظم ما تزري به علينا الجهال وهم بالزراية أحق ، وبالجهل أجدر ، وقد بينا جهلهم لو كانوا يهتدون .

كلام تأدّي عن مشاهدة :

7 - (قال) خرج أمير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه لبعض ما كان يخرج إليه من اطلاع الحال فأنتهى إلى طنباس (3) وخرج المعزّ عليه السلام معه ، وكنت فيمن خرج معهما . فأنتهى إلى واد يجري فيه ماء المطر فيسقي أراضي كثيرة / لمنازل شتى فإذا فيه سدّ عظيم . فلما انتهى إليه ووقف عليه ، وقف إليه رجلان من وكلاء الضياع ، فذكر أحدهما / أن / الآخر سدّ بذلك السدّ عن الضياع التي يتولاها ، ما كانت تشرب به من سيل المطر . وذكر الآخر أن ذلك من حقّه ، ومما يجب له أن يفعله . واحتج كل واحد منهما بحجج كثيرة وعلت أصواتهما واعتكر الكلام بينهما . وكان تنازعهما والمنصور صلوات الله عليه يسمع كل ذلك ولم يفصل بينهما ، والمعزّ صلوات الله عليه قائم على فرسه ناحية والناس بالبعد ركوب على دوابهم ، وقيام ينظرون إلى ذلك ويسمع / أكثرهم كلام الرجلين . وكنت فيمن

(1) سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة . وبقية الحديث : « ... لما جعل الله لهم عليهن من الحق » .

(2) المعروف عن الحبشة أنهم كانوا نصارى زمن الهجرة الأولى .

(3) طنباس : كذا بالأصل ، ولم نهتد إليها .

يسمع ذلك ولا أرى وجها لفصل ما بينهما ، وكلّما قلت في نفسي : قامت الحجة لأحدهما ، أدخل الآخر عليه حجة .

فقال لي بعض من كان في الموكب ممّن قرب منّي : أما تسمع ما دار بين هذين ؟
قلت : نعم .

قال : ما ترى فيه ؟

فقلت : واللّه ما وقفت من ذلك على حقيقة أمر أقطع القول به ولقد اشتبه عليّ أمرهما وحسبك ما ترى من توقف أمير المؤمنين (ص) عن (1) الفصل بينهما ، ولكنّي أقول : إنّهما لو وقفا بين يدي الأمير - أعني المعزّ لدين الله صلوات الله عليه - لفصل بينهما .

قال : ومن أين قلتَ / ذلك ؟

قلتُ : لعلمي به . والله ما ضاق عليّ أمر رأيتُه واشتبهَ (2) عندي وجهُ الحقّ فيه فرفعته إليه إلاّ أجابني عنه قبل استيفائه آخره ، أو عندما يستوفيه ، بجواب ما خطرَ ببالي بعد الرويّة له والفكر فيه الأيام الكثيرة والليالي العديدة ، [و] بما لا أشكّ فيه أنّه الحقّ الذي لا وجه له غيره . وذكرتُ له وجوها من ذلك ، سنذكرها وغيرها مما يجري مجراها في كتابي هذا إن شاء الله

فإنّي لعلّ ذلك أحدثّه وهو يتعجّب ممّا يهتّسه الله له ويهديه إليه من الصواب في ذلك ، إذ نظرنا إلى الرجلين قد انصرفا من بين يدي المنصور بالله عليه السلام / إليه فوقفا بين يديه ، وكان أقرب إلينا من المنصور (صلع) . فما هو إلاّ أن وقفا بين يديه حتّى انصرفا إلينا وما سمعنا لهما كلمة . وجاء أحدهما حتّى وقف بيني وبين الرجل الذي كنت أخاطبه ورأيت وجهه يتهلّل ، فقلت له : ما كان من أمركما ؟

قال : انقطع كلامنا وفصل الأمير بيننا في كلمة واحدة بعد ما سمعت ما كان بين يدي مولانا عليه السلام .

(1) في الأصل : من .

(2) في الأصل : ولا اشتبه .

فقلت : وكيف ذلك ؟ ونظرت إلى الرجل الذي كنت قلت له من ذلك ما قلت ،
وقلت له : ألم أقل لك ؟

قال له الرجل : وكيف كان ذلك ؟

قال : إنّه لما طال مقامنا وكثر كلامنا / بين يدَي مولانا قال لنا : اذهبا إلى مولاكما
ينظرُ فيما بينكما !

فانصرفنا إليه فلمّا مثلنا بين يديه وأردنا أن نتكلّم قال : اسكتا ! أكفيكما
ونفهي . ثم نظر إلى صاحبي فقال : أليس هذا الوادي وما يجري فيه من الماء وما
يسقي من الأراضي لنا ؟

قال : نعم .

قال : وإتّما تنازعتمّا في هذا السقي ليطلب كلّ واحد منكما به توفيرَ ما
يجري لنا على يديه ؟

قال : نعم .

قال : فأخبرني : لو كنت وكيلاً على الموضعين ، أكنتَ تسقي موضعاً وتدعُ
موضعاً بلا شرب ؟ فسكت .

فقال : قلْ إن كنت تُؤثّرُ قولَ الحقِّ !

قال : يا مولاي ما كنت أفعل ذلك .

قال : صدقت ! فما لم تكن تفعله لنفسك فلا تُلزمه لغيرك / . اذهب فأزِلِ
السّدَّ واسقِ ما عندك ، وهذا ما عندهُ ، بحسب ما يُعطيك الماء ويُعطيه .
فحكّم لي بما كنت طلبتُ ، فانصرفت .

فنظر إلَيَّ الرجل الذي كنت خاطبته وقال لي : كأنّما والله كُشف لك عن
غيب هذا الأمرِ .

قلت : ما ذاك إلّا بما جرّبته وعرفته بما قدّمت عندك ذكرَ بعضه .

ثم نظرت في هذه القضية العجيبة التي ألهمه الله عز وجل إيتاءها وسترها عن الإمام فذكرت قول الله عز وجل : « وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا » / الآية (1) ، وما روى لنا الرواة عن أئمتنا صلوات الله عليهم من أن رجلين اختصما إلى داود النبي عليه السلام في غنم لأحدهما وقعت في زرع الآخر فأفسدته ، فقال داود عليه السلام في ذلك قولاً ثم صرفهما إلى سليمان عليه السلام لينظر بينهما ، فقال سليمان : إن كان صاحب الغنم تعمد إرسالتها في الزرع فهو ضامن لما أفسدت . فإن لم يتعمد ذلك وأفلتت من غير إرادة منه ولا قصد لذلك ، فلا شيء عليه ، والعجماء جبار . فالعجماء البهائم ، والجبار : الهدر ، يعني أن ما أصابت البهائم من ذات أنفسها فهو هدر .

(قال) : وهذا فإنما يكون في النهار / ، وعلى أصحاب الحوايط حياطة حوائطهم بالنهار . فأمّا إن أفلتت في الليل فصاحبها ضامن لما أصابت ، تعمد ذلك أو لم يتعمد ، لأن على أهل المواشي أن يحفظوا مواشيهم ليلاً ويمنعوها من الخروج عن منازلهم ، وليس على أهل الحوائط أن يحفظوا حوائطهم ليلاً . ففهم [الله] سليمان هذه القضية في حياة أبيه وحجبتها عنه ليريه فضله في حياته ويسره بما أودعه من حكمته . وكذلك فهم المعز لدين الله صلوات الله عليه هذه القضية في حياة المنصور (صلع) ليسره به وليبين أيضاً فضله وما ألهمه من الحكمة وليقرب به عينه / .

وكما روى لنا الرواة أيضاً عن أئمتنا صلوات الله عليهم أن أعرابياً أتى إلى مسجد رسول الله (صلع) في أيام عمر فقال له : لائي رجل مُحْرِمٌ مررت على بيض نعام فجئت وشويت وأكلت . فقال : ما عندك في هذا علم ، ولكن اجلس الساعة يجيء من عنده علم ذلك . فجلس حتى أقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه . فقال عمر للأعرابي : سل هذا ! وكان الحسن (ص) يومئذ غلاماً مع علي ، فأتى الأعرابي إلى علي (ص) فقال : لائي رجل مُحْرِمٌ مررت على بيض نعام فجئت وشويت وأكلت .

فقال له عليّ : سل هذا ! وأوماً إلى الحسن (ص) .

/ فقال الأعرابي : يَا وَيْلَتَاهُ ! مالي ولكم يا أصحاب محمد ؟ أعجزتم عن الجواب ؟ كلّمنا سألت واحداً منكم أحالني على آخر !

فقال له عبد الله بن مسعود : سله يا أعرابي فإنه من أهل بيت النبوة !

فسأله الأعرابي ، فقال له الحسن (ص) : يا أعرابي ، ألك ليل ؟

قال : نعم .

قال : فخذ بعدة البيض نوقاً فاضربهم بالفحل ، فما حمل منهمنّ وفصل من أولادهنّ ، فاجعله هديّة .

فقال الأعرابي : فرجت عني فرج الله عنك ! وقام . فاستقبلته عمر ، فقال : ما الذي قال لك ؟ فأخبره ، فقال : ارجع إليه ، فقل له : أما علمت أن الشوق يزلقن (1) ؟

فقال الحسن (ص) : قل للذي قال لك هذا / : أو ما علمت أن البيض يمزقن (2) ؟

فقام إليه أبوه (ص) فقبل بين عينيه وقال : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (3) .

قال عبد الله بن مسعود : إن الذي فهم هذا الغلام هذه القضية ، هو الذي فهم سليمان بن داود عليهما السلام تلك القضية ، والذي أنطق العلام بالحكمة هو الذي أنطق يحيى بن زكريا بالحكمة . والله لو ردّ هذا الأمر في نصابه لأكلوها خضراء خضرة عن أيّمانهم وعن شمائلهم ! فقال عمر : يا ابن مسعود ، تؤلب علينا الناس ؟ فقال له الحسن عليه السلام : كنت تفتيه ولا ترشده إلينا (4) :

(1) يزلقن : يجهضن .

(2) يمزقن : يفسدن .

(3) آل عمران ، 34 .

(4) فستغرب أن يصدر عن غلام حدث جواب كهذا إلى عمر بن الخطاب .

فهذه القضية / أيضا كانت من الحسن (ص) بحضرة عليّ (ص) إلهاما من الله له ليُقرَّ به في حياته عينه كما ذكرنا في قضية المعز (صلع) :
 ودلّ قول الأعرابيّ أنّه شوى البيض وأكلهنّ على أنّه لم يكن فيهنّ فراخ فأمره الحسن (صلع) لذلك بأن يرسل الفحلّ في عدة نوق كمدة ما أصاب من البَيْض فما حمل من ذلك الضرب ونتج، أهده . وإن لم يحمل أو حمل بعضها لم يكن عليه غير هديّ ما نتج لأنّ البَيْض كذلك ، وقد يفسد كما ذكر (صلع) ، ولو كان فيهنّ فراخ لم تنشأ فيها الأرواح كان عليه أن يضرب النوق بالفحل حتى يتيئن حملها / فما نتج منها كان هديّا . ولو كانت قد تنشأت فيها الأرواح كان عليه أن يضرب النوق بالفحل حتى تحمل وتتحرك أجنتها في بطونها فما نتج بعد ذلك منها أهده ، وما مات في بطونها لم يكن عليه بدله لأنّ الفراخ كذلك قد تموت في البَيْض (1) .
 وقول المعزّ عليه السلام للرجل : ما لم تكن تفعله لنفسك فلا تُلزمه لغيرك ، من قول آبائه (صلع) : أحبب للناس ما تحب لنفسك وحسبك أدبا لنفسك ما كرهته من غيرك . ومن قول بعضهم لبعض من سأله عن نكاح المتعة فقال : هل ترضى لنفسك أن تُنكح ذاتٌ محرّمة منك نكاح متعة ؟ /

قال : لا والله !

قال : فكفاك ! لهذا لا ترض لغيرك إلاّ ما ترضاه لنفسك (2) .

وكلام أولياء الله كالبنيان يشدّ بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض ، لأنهم بنو الله يستبصرون ، ومنه يُقتبسون ، وبحكمته ينطقون ، وعن أسلافهم يأخذون ، فهم حجج الله عزّ وجلّ في الأرض كما قال الله تعالى : «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ (3)» .

(1) لم يذكر القاضي النعمان هذا الحكم في باب الديات من كتابه « دعائم الاسلام » ، وانما ذكر قضية حكم فيها عليّ حكما مماثلا أقره الرسول (ص) بعد أن عجز عنه الشيخان (دعائم ج 2 ص 424 عدد 1477) .

(2) الاسماعيلية ينكرون نكاح المتعة . انظر قول القاضي النعمان في ك . الاقتصار (دمشق 1957 ص 109) : «ولا يحل نكاح المتعة» . فهو إنكار صريح . وانظر كذلك دعائم الاسلام ج 2 ص 229 حيث ينقل القاضي إنكار عليّ الشليد لهذا النوع من النكاح .

(3) آل عمران ، 34 .

لجزء الثانی

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وسلّم

حديث في مسابرة :

8 - قال القاضي النعمان بن محمد : ولما استقضىني المنصور بالله صلوات الله عليه على / المنصورية أمرني بالجلوس للنظر بين الناس في سقيفة قصره وقال لي : لو اتسع لي أن أجلسك بين يديّ في مجلس داخل قصري لكان ذلك أعجب إليّ . فإذا كان ذلك لا يمكن فاجلس في سقيفة قصري فإنه أحقّ موضع أقيمت فيه الحقوق ونفدت فيه الأحكام .

فجلست حيث أمرني فيه بالجلوس ، فضاقت الحال لذلك بأكثر الخصوم أسماً بالنساء والضعفاء ومن يتهيب الدخول من باب قصر أمير المؤمنين (ص) . فتبيّنت ذلك ورُفِعَ إليّ أيضاً ، فتهيّبتُ معارضة أمير المؤمنين (صلع) فيما رآه وأمر به ، إلى أن خرج المعزّ لدين الله (صلع) يوماً فيما يخرج له / فسأبرته فقال لي : يا نعمان ، كيف الحال في جلوسك في السقيفة ؟ فتهيّبتُ أن أقول في ذلك بخلاف ما قاله أمير المؤمنين ، فذكرت قوله وأمسكتُ .

فقال : كيف بالمرأة والضعيف ومن تقتحمه العيون ومزاحمة رجالنا وعبيدنا ؟ وكيف بك إن وجب عندك حدّ أو أدب على أحدٍ ؟ فأين يتهيأ لك أن تقيمه

هنالك ؟ لا والله ما هو بموضع يصلح لذلك ! ولأن تكون بارزا للناس ظاهرا يصل إليك الضعيف ويبلغ حاجته لديك، وتقف المرأة وتبلغ إليك في استتارٍ ويمكنك إقامة ما يجب من الحدود والآداب ، أهياً وأجمل / وأفضل .

فقلت : الرأي ما رآه الأمير وفقه الله وسدّده .

وكان ذلك ممّا رأيت أنّ الله عزّ وجلّ فهمه إيتاء من وجه الصّواب ، وهده إلية من فصل الخطاب ، وممّا قدّمت ذكره في الباب الذي قبل هذا الباب (1) .

ثمّ لما انصرف خرج إليّ توقيع من المنصور بالله صلوات الله عليه مع مال أمر به لابتناء موضع فسبح أجلس فيه حيث يصل فيه إليّ الناس ويمكنهم ما يريدونه من أمورهم على ما ينبغي عندي . فعلمت أنّ ذلك لأمرٍ أجراه المعزّ لدين الله صلوات الله عليه عنده، على أنّه قال ما قال له قبل ذلك وفعل ما فعله عن علم وحكمة / .

وكذلك كان ما أراه الله المعزّ لدين الله صلوات الله عليه من ذلك الرأي، فيه للناس رَأْفٌ ورَحمةٌ، وليس في هذا تغاير ولا اختلافٌ ، بل هو كلّهُ علمٌ وحكمةٌ واِتِّلافٌ، لأنّ الذي رآه المنصور صلوات الله عليه في ذلك هو إعزازُ الحقّ وتأييده وإظهارُ هيبةٍ في القلوب وفي رأي العيّن . والذي رآه المعزّ صلوات الله عليه هو أرفق بالناس وأجمع للوجهين ، فهما في ذلك كما قال الله عزّ وجلّ في داود وسليمان : «وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» (2) . وكان هذا ممّا ذكرنا من إدخال السرور على / أولياء الله بأن يريهم في أوصيائهم وولاءةٍ عهودهم في حياتهم ما تقرّ به أعينهم من إيداعهم من العلم فوق ما أودعهم وتعليمهم من الحكمة أكثر ممّا علّمهم ، وليس ذلك بنقصٍ لهم بل هو رِفعةٌ وفضلٌ وشرَفٌ ونيعةٌ منه عليهم ، إذ كان شرف المولود هو شرفُ الوالد، وإذ سرور الوالد أن يكون ولده أشرف منه .

وسمعت المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يذكر مثل هذا في مجلس ذكر فيه الأئمة صلوات الله عليهم، فقال في ذلك : وفضل الله محمداً نبيّه صلى الله عليه وآله بإمامتهم . ثم بيّن ذلك لثلاث يتأوله من سمعه على غير / معناه، فقال في الوقت : ولا

(1) انظر فيما تقدم حكم المعز في قضية اقتسام ماء السد ، ص 62 .

(2) الانبياء ، 78 .

أقول هذا إلا تفضيلاً لمحمد صلى الله عليه وعلى آله إذ جعل الله عز وجل هذه الكرامة والفضيلة له بأن جعلها في ذريته وخلدها في عقبه، فنالوا ذلك بكرامة الله عز وجل له، لا أن فضله هو وإنما كان من قبيلهم بل هو سيدهم وسيد العالمين وبه شرفوا وبفضله استحقوا ما استحقوا، وذلك من نعمة الله وجميل صنعه إليه. فهذا يدل على ما ذكرته ويؤيد ما قدمته من إكرام الله الأئمة بما يريهم من الفضل في الصفوة من ذرياتهم في أيام حياتهم لتشف (1) أنفسهم بصنعه لهم بعد وفاتهم.

ومن هذا الوجه، ومما يدخل في هذا المعنى، ما حدثني به بعض إخواننا عن المنصور بالله صلوات الله عليه أنه قال: أردت أن أستعمل على بعض الثغور عاملاً فجوأت فكري في اختيار من أراه يصلح لذلك فلم يقع اختياري كلماً أجنته، وفكري كلماً صرفته [إلا على رجل من أصحابنا، فلما كان اختياري] (2) لا يقع إلا عليه علمت أن ذلك من توفيق الله. فأردت امتحاناً ما عند الله عز وجل لمن رجوته لمقامي وأثرته بأمرى. فكتبت اسم الرجل الذي خطر ببالي في ورقة وختمت عليها ووضعتها بين يدي ودعوت به - يعني المعز لدين الله صلوات الله عليه - فسلمت ثم وقفت، فقلت: يا بني أردت إخراج عامل إلى بلد / كذا وكذا - وذكرت البلد - فمن تراه يصلح لذلك؟

فقبل الأرض وقال: يا مولاي، وأي رأي لي مع رأيك، والله يمدك بالتوفيق؟ فقلت: قل عليّ ذلك. فامتنع من القول وجعل يعتذر ويستعفي.

فقلت له: لا بد من أن تقول في ذلك، فإنني ذكرت رجلاً، واسمه في هذه الرقعة فخذ أنت فاكتب من تراه.

(قال) فلما لم يجد من ذلك بداً تناول قلماً ورقعة وكتب، ودفع إليّ الرقعة فإذا فيها (3) اسم الرجل الذي وقع اختياري عليه، فحمدت الله على ما أنعم به عليّ فيه، ورميت إليه بالرقعة التي ختمت عليها، وفيها ذلك الاسم وقلت له: فكها

(1) في الأصل: لنشق.

(2) في الكلام نقص والزيادة هنا.

(3) في الأصل: فيه.

وإنظر ما فيها ! ففعل . فلمّا / رأى ما وافق من ذلك من رأيي حميد الله تعالى واستبشر وتهلّل وجهه لذلك ..

وهذا ممّا قدّمتُ ذكره وكرّرتُه في هذا الباب وفي الباب الذي قبله من إدخال الله السرورَ على أوليائه بما يُريهم فيمن أقاموه مقامهم وفوضوا إليه أمرهم . ثمّ أخبرني المعزّ عليه السلام بهذا الخبر بعد ذلك .

حديث في مساييرة :

9 — (قال) وسأيرتُ المعزّ لدين الله (صلع) يوماً في حياة المنصور صلوات الله عليه ، فذكرَ أيامَ الفتنة وبعضَ من كان اتّبع مخلد اللعين فيها وتولّاه وتزع إليه ، فقال : أولئك والله حزبُ الشيطان ، وحشّو الجحيم وحطّبُ النيران ، من كان منهم قد / فارقنا، وتولّى عدونا، وأعان علينا، ومات على ذلك غيرَ تائب منه، ولا راجع عنه .

قلت : يا مولاي ، فمن كان قد ندِمَ على ذلك وتاب منه وأتاب إليكم وتلافى ما فات منه لديكم ؟

قال : يا نعمان ، نحن أبوابُ الله والوسائلُ إليه ، فمن تقربَ بنا قُبِلَ ، ومن توسّلَ بنا وصل ، ومن تشفّعَنا له شفّعنا فيه ، ومن استغفرَنا له غُفِرَ ذنبه . ولكن والله لا يستوي من أذنب ومن لا ذنبَ له ، ولذلك كانت الدرجاتُ في الآخرة ، وإنّ الله ليعاقب من يشاء من خلقه في الدنيا بذنبه ، فذلك أخفُّ عقابه .

قلت : يا مولاي ، والله لقد رأيتُ أكثرَ من فُتِنَ / في تلك الأيامِ المفتنة ممّن كانت له معكم سابقة في جهاد أو صحبة أو ولاية فلَمّا يسلم من مصيبة في الدنيا أو عقوبة : إمّا أن قُتِلَ على أيدي أوليائكم أو على يد من تولّاه ، أو أصابته مصيبةٌ في نفسه أو في أهله أو في ماله .

قال : يا نعمان ، الشقيُّ والله من مات على الإصرار على ما صار من ذلك إليه ، فأما من مات وقد تلافى نفسه منهم بأمرنا، فهم على درجات : إنْ أقبلَ المقبلُ إلينا منهم بمثل ما أدبرَ عنّا فقد غسلَ ذنوبه ونظفَ نفسه ، وإنْ زاد في إقباله علينا على إدباره عنّا زاد ثواباً وأجراً، وإنْ نقصَ من ذلك نقصَ من حظّه . فأما ما أصيبوا /

فيه في عاجل الدنيا فهو من أخف العقوبة ، ولا بدّ والله من التمهيص : أرأيت الذهب إذا خالطه الغش ، هل له إلا أن يصفى بالنار حتى يحرق ما خالطه ويصفى؟ وكذلك مثل المؤمنين .

فما فتى سمعي كلام قبله مثله أجلّ قدرا وأكثر فائدة . وتدبرته ، فرأيت كلاً مشتقاً من كتاب الله جلّ ذكره ومن قول الرسول (صلع) : فأما إيجابه النار لمن مات على ولاية اللعين الدجال مخلد بن كيداد . عادلاً عن ولاية أولياء الله إلى ولاية أعدائه ، نازعاً عن حزب الله ، راكناً إلى حزب الشيطان ، فهو من قول الله عز وجل : « وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا / فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ (1) » ، ولا أعلم فئة أظلم وأهل نحلة أفسق من فئة مخلد وحزبه .

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (2) » ، وقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (3) » وقوله : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ (4) » .

وأما قوله فيمن تاب وأناب ، فإن الله عز وجل يقول : « وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ (5) » ويقول : « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنْسِيُوا إِلَى رَبِّكُمْ ، الآية (6) » وقال : « غَافِرِ الذَّنْبِ / وَقَابِلِ التَّوْبِ (7) » .

وأما قوله : في درجات الآخرة ، فمن قول الله جلّ من قائل : « انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ

(1) هود ، 113 .

(2) المجادلة ، 22 .

(3) المتحنة ، 13 .

(4) المائدة ، 51 .

(5) الشوري ، 25 .

(6) الزمر ، 50-51 .

(7) غافر ، 3 .

تَفْضِيلًا (١)» وقوله عز وجل: «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى (2)»، فأخبر عز وجل أنهم إن كانوا في الجنة فإنهم فيها على درجات وقال: «هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ (3)».

وقد روى لنا الرواة عن أئمتنا صلوات الله عليهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: يمر قوم من أهل عليين على من هم أسفل منهم فيقولون: ربنا بم بلغت / عبادك هذه الكرامة؟ فيقال لهم: كانوا يقومون الليل وكنتم تنامون، وكانوا يصومون النهار وكنتم تأكلون وتشربون، وكانوا ينفقون في سبيل الله وكنتم تبخلون، وكانوا يجاهدون وكنتم تخبثون. وقال: إن أهل الجنة ينظرون إلى أهل عليين كما ينظر أهل الأرض إلى الكواكب في السماء (4).

وأما قوله في العقوبة في الدنيا بالمصائب فيها، فمن قول الله جل ذكره: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (5)». ومن قول رسول الله صلى الله عليه وآله الذي رواه الرواة لنا عن أئمتنا عنه (صلع) أنه سئل عن قول الله عز وجل: «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ (6)» وقيل له: يا رسول الله، إن جوزينا في الآخرة بكل سوء عملناه في الدنيا فقد هلكنا؟ فقال: إنكم لتجازون في الدنيا: أما تُصابون؟ أما تألمون؟ أما تحزنون؟ أما يُصيبكم البأساء والضراء واللاء؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: فهو من ذلك (7).

وقول الله عز وجل: «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ» يشهد أيضا لقول المعز صلوات الله عليه: لا بد والله من التمحيص، وتمثيله المؤمن الذي يكسب الخطايا بالذهب الذي يدخله العيش.

(1) الاسراء، 21.

(2) الحديد، 10.

(3) آل عمران، 163.

(4) حديث عليين: سنن أبي داود، ك. الحروف والقراءات، ج 2 ص 358. أما حديث «يمر قوم من أهل عليين...» فإنه لم يذكر في الصحاح والمسانيد التي بين أيدينا.

(5) الشورى، 30.

(6) النساء، 123.

(7) مستد أحمد، ج 1 ص 182 رقم 68 و-69 و 71. والحديث فيه موجه إلى أبي بكر.

وكلام أولياء الله على مثل هذا : كله مشتق من كتاب الله جلّ ذكره ومن قول رسول الله صلى الله عليه وآله . فمن سمع شيئا من كلامهم فلم يجد له / من ذلك مخرجا ، فليعلم أنه إنما أتى في ذلك من تخلفه عن الفهم ، وعُدْمه التوفيق . ونسأل الله الهداية ونشهد لأوليائه بالعلم والحكمة والولاية .

جواب عن مسألة في مسابقة :

10- (قال) ولما استقضي المنصور بالله صلوات الله عليه وآله على المنصورية عارضني بعض الناس في بعض ما أنظر فيه ، فرفعت ذلك إليه صلوات الله عليه في رُقعة ، فوقع إليّ في أسفليهما : يا نعمانُ ، ما أقمت نفسك بحيث أقمنك ولا كنت في الضبط عند ما رجوناك ، بل نرى معلّم كتاب الله أهيب منك !

فلما قرأتُ توقعه ذلك أسقطتُ في يدي وأظلمت الدنيا عليّ / ، ولم أكن أرى إلا أنني قد تجاوزتُ في الشدة وتعدّيتُ في التهيب والغلظة . ووافق ذلك خروجُ المعز صلوات الله عليه إلى بعض ما كان يخرج فيه ، فسلمت عليه وسأيرته وشكوتُ إليه ما لقيتُ من المنصور صلوات الله عليه ، على أنني ، فيما رأيتُ ، قد تجاوزتُ وتعدّيتُ . ونظر إلى ما أدركني في ذلك من الغم فقال : يا نعمانُ ، لا يضيقُ صدرك ولا يحزن قلبك ، ولا تتجاوز ولا تتعدّ في أمرك ، فوالله إنني لأسمعُ منه كثيرا في نحو ما قلتُ ، فما أفعل إلا ما كنت قد فعلت وما لنا أن نتأسى بغير فعله ، وما ينبغي أن نفتدي في كل الأمور إلا به . والله / لقد لزم طريقة من (1) الرفق ما يجب في سياسة أمر الدنيا لزومها ، بل في تدبير أهل الدنيا أن الأمور تفسد بها . ولكن الله أصلحها له بما أطلع عليه من نيته وعلمته من جميل طويته ، وإنما يقول ما يقول من هذا تأديبا وتنبها ، ولئلا تقع الغفلة ويتأسى به في اللين جميع أهل الخدمة . والله يرعى له ما استرعاه إياه ويحفظه فيما استحفظه وآتاه .

فحمدت الله وشكرت له وذهب عني ما كنت من الغم أجده (2) .

(1) في الأصل : أمر .

(2) في الأصل : ما كنت أدركت ...

ثم ركب المنصور بالله صلوات الله عليه بعد ذلك فسلمت عليه وأنا خائفٌ شديد الخوف مما كان إليّ منه، فقرّبتني وأدنانى وأثنى عليّ / بما هو أهله ، وقال : يا نعمان ، استعمل الشدةَ في موضعها والرفقَ في موضعه ، فوالله إنني لأرى العصفورَ يُذْبَح فيرقّ قلبي له ، وأنت تراني أخوضُ الدمَ في موضع الحقّ وفيما لا بدّ منه .

فاعتبرت قولَ المنصور بالله وقول المعزّ لدين الله صلوات الله عليه ، فوجدته واحدا لا اختلاف فيه : لم يأمر المنصور صلوات الله عليه لمّا أمر بالغلظة والشدة ، بالدخول في الباطل ولا بالتعدّي إليه . ولم يأمر المعز لدين الله صلوات الله عليه لما أمر بالرفق ، بترك الحق ولا بالإدهان فيه ، فوجدت قولهما صلوات الله عليهما مأخوذا من كتاب الله جلّ ذكره ، وقول / رسول الله صلّى الله عليه وآله : فقد قال الله تعالى لنبيه : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَأَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيَتَسَّاتِرُ الْمَصِيرُ (1) » . وقال : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ » ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (2) . فوصفه باللين في موضعه وأمره بالغلظة في مكانها ووصف المؤمنين من أصحابه فقال : « أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (3) » .

وروى لنا الرواة عن أئمتنا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : من لقي الكافرَ فَلْيَسْلِقْهُ بوجهٍ مكفهرٍ (4) ! وأنّه قال صلوات الله عليه : لقي عيسى بنُ مريمَ يحيى بن زكريّا عليهما السلام / ، فتبسّم عيسى وجهه ، وقطّب يحيى وقال : تضحك بما روحَ الله كأنّك أصبحت آمنّا من عذاب الله ؟

قال عيسى : وأنت يا نبيّ الله تُقَطِّبُ كأنّك أصبحت آيساً من رحمة الله !

فأوحى الله إليهما : أحبُّكما إليّ أبشكما بصاحبه (5) .

(1) التوبة ، 73 . والتحريم ، 9 .

(2) التوبة ، 129 .

(3) الفتح ، 29 .

(4) حديث : من لقي الكافر ... لم تذكره الصحاح والمسانيد .

(5) حديث عيسى ويحيى : لم نجده في أمهات كتب الحديث .

وقال صلى الله عليه وآله : إذا لقيَ المؤمنُ أخاه فليُسَلِّمْ عليه وليصافحه
وليلقَه بوجهٍ طلق ! وإذا لقيَ الكافرَ والفاسقَ فليلقَه بوجهٍ مكفهر (1) !

وقال عليّ عليه السلام : المؤمن شديدٌ في غير صلف ، لينٌ في غير ضعف .

وقال أبو جعفر محمد بن علي (2) صلوات الله عليهم : ان لله في الأرض آية
فأحبُّها إليه ما رقَّ منها وصفا وصلب .

قيل له : وما تلك الآية يا ابن رسول الله / صلى الله عليه ؟

قال : قلوبُ المؤمنين ، فرقتها ، على المؤمنين . وصلابتها ، في الدين .
وصفاؤها ، من الذنوب .

فكلّ هذا يؤكدُ ما ذكرته عن المنصور والمعزّ لدين الله صلوات الله عليهما
أنّ للشدة موضعاً تصلح فيه ، واللين له موضع يصلح فيه ، فمن سمع أو بلغه عن
أولياء الله أحدٍ الوجهين فلا يحملْهُ على الكلِّ وليجعلْ كلَّ وجه من ذلك فيما
ينبغي أن يجعله فيه ويتأوّلْهُ عليه ، وما التوفيقُ إلّا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كلام فيه تأديب :

11 - (قال) ورفع إلى المنصور بالله صلوات الله عليه قوم يتظلمون من بعض
العَمال ، فأشخص العاملَ وأمرني بإحضاره معهم والنظر في ظلامتهم / ، فادّعوا
عليه أشياء تناولها منهم ، فأقرّ ببعضها وذكر أنّ ذلك ممّا أباحه له أمير المؤمنين المنصور
بالله عليه السلام . فكتبْتُ دعواهم وما أقرّ به وادّعى إباحته له ، ورفعْتُ ذلك إلى
أمير المؤمنين المنصور بالله (صلع) .

فأرسل إليّ المعزّ لدين الله (صلع) وأحضرني إليه . فلما مثلتُ بين يديه قال لي :
إنّ أمير المؤمنين عليه السلام إنّما يصرفُ إليك من يصرفه ممّن يشتكي من

(1) الجزء الاول من هذا الحديث في مشكاة المصابيح ، رقم 4650 ، برواية أبي هريرة مع زيادة ونقص ،
والسيوطي : الجامع الصغير ج 1 ص 153 ، وأخرجه أبو داود في ك. الأدب باب المصافحة مع اختلاف .
(2) محمد بن علي هو محمد الباقر خامس الأئمة ، سبي الباقر لأنه « بقر » العلم ، أي فتحه ووسعه . توفي الباقر
حوالي 117هـ . (انظر : تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 384 . وصفة الصفوة لابن الجوزي ج 2 ص 60
وتهذيب التهذيب لابن حجر ج 9 ص 350 ووفيات الأعيان) . وضمير الجمع في التصلية يشمل
جعفر الصادق .

العُمَمَال لَتَسْمَعَ قَوْلَ النَّاسِ فِيهِمْ وَشَكَاوَهُمْ وَتَنْصِفَهُمْ فِيمَا يَجِبُ مِنْ دَعْوَاهُمْ وَتَغْلُظُ فِيمَا يَنْبَغِي فِيهِ الْإِغْلَظُ عَلَيْهِمْ . وَقَدْ وَقَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا حَكَيْتَ مِنْ إِقْرَارِ فُلَانٍ بِمَا أَقْرَبَ بِهِ مِنْ تَنَاوُلِ مَا لَا يَنْبَغِي لَهُ تَنَاوُلُهُ / وَأَنَّهُ ادَّعَى أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا أَبْسَحَ لَهُ ، فَرَأَى أَنَّهُ كَانَ مِمَّا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَقْبَلَ ذَلِكَ مِنْهُ وَأَنْ تُغْلِظَ لَهُ فِيهِ .

قلت : يا مولاي ، لَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَادَّعَى بِدَعْوَاهُ ، رَأَيْتَ أَنْ لَا أُعْجَلَ عَلَيْهِ حَتَّى أَعْرِفَ مَا يَكُونُ مِنْ مَوْلَانَا (ص) فِي أَمْرِهِ وَمَا ادَّعَى بِهِ .

قال : لَقَدْ كَانَ فِي هَذَا كَلَامٌ جَمَلُنَا عَنْكَ فِيهِ وَاعْتَذَرْنَا لَكَ مِنْهُ ، فَتَحَفَظْ مِنْ مِثْلِهِ فِيمَا تَسْتَقْبِلُهُ . انصرفتُ رَاشِدًا وَطِيبُ نَفْسًا ، فَلَيْسَ لَكَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا مَا تَحِبُّهُ .

فشكرت له وانصرفت .

فتدبَّرتُ الأمر في ذلك فرأيت أنني قد سقطتُ فيه للإغفال ، وتبينَ لي فسادُ ما قدَّمته من المقال ، بأنْ ذُكِرْتُ ما رواه / لنا الرواة عن أئمتنا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أَنَّهُ قَالَ : إِنَّكُمْ سَتَحْدِثُونَ وَمَنْ يَأْتِي بَعْدِي بِمَا لَمْ أَقُلْهُ . فَمَنْ بَلَغَهُ عَنِّي حَدِيثٌ فَلْيَعْرِضْهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنْ وَافَقَهُ فَلْيَقْبَلْهُ وَلْيَعْلَمْ أَنِّي قُلْتُهِ ، وَإِنْ خَالَفَهُ ، فَلْيَدْفَعْهُ وَلْيَعْلَمْ أَنِّي لَمْ أَقُلْهُ ! وَكَيْفَ أَخَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ وَإِنَّمَا هَدَانِي اللَّهُ بِهِ (1) ؟ وَقَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : مَا جَاءَكُمْ عَنَّا مِنْ صَوَابٍ وَحَقٌّ ، فَنَحْنُ قُلَانَاهُ فَارُوهُ عَنَّا ، وَمَا جَاءَكُمْ مِنْ بَاطِلٍ يُنْسَبُ إِلَيْنَا فَادْفَعُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ عَلَيْنَا ! فَعَلِمْتُ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيَّ تَكْذِيبُ الرَّجُلِ فِيمَا قَالَهُ وَنَسْبُهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا لَا يُشَبِّهُهُ أَنْ يَأْمَرَ / بِهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَصْدَقْهُ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَرَى مِنْ تَظَلُّمٍ مِنْهُ تَكْذِيبِي لَهُ فَلَا يَكُونُونَ فِي شُبْهَةٍ مِنْهُ .

وليس هذا بأوَّلَ مَا أَثَرَنَاهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَلَا هُوَ وَحْدَهُ اهْتَدَيْنَا بِهِمْ إِلَيْهِ . وَكُلُّ عِلْمٍ عِلْمِنَاهُ أَوْ فَقَهُ أَفَدَّنَاهُ أَوْ هُدًى اقْتَبَسْنَاهُ ، فَعَنْهُمْ أَخَذْنَاهُ ، وَمِنْهُمْ أَثَرْنَاهُ ، وَمِنْ زَوَاحِرِ بَحُورِهِمْ أَغْتَرَفْنَاهُ ، وَهُمْ هَدَانَا إِلَى الْحَقِّ ، وَهُمْ أَثَمَةُ الْخَلْقِ صَلَوَاتُ اللَّهِ

(1) الحديث : لم نجد هذا اللفظ في الكتب المشهورة وإنما ذكرت أحاديث كثيرة « في تعظيم الكذب على رسول الله » (ابن ماجة مقدمة 30-40 « والترمذي ، 126/10) .

عليهم من أئمة رضيهم واصطفاهم وارتضاهم، أتم صلاة صلاتها وأطهرها وأزكاها وأعلاها .

رمز في مسابقة :

12 - (قال) وخدمت المهدي بالله صلوات الله عليه من آخر عمره تسع سنين وشهورا وأياما (1) ، والإمام القائم بأمر / الله من بعده (صلع) أيام حياته في إنهاء أخبار الحضرة إليهما في كل يوم طول تلك المدة إلا أقل الأيام . وكان لهما صلوات الله عليهما من النعم والفضل علي في ذلك ما لا أحصيه عددا ولا أقوم ببعض شكره أبدا : أقل ذلك تغمب الزل مني والصفح عما يأتيهما عنسي ، وأنا أعلم ، وإن اجتهدت وتحفظت واحترست ، أني لا أسلم من ذلك . فما أقاني عن أحد منهما طول هذه المدة إنكار علمته ولا انتقاد شيء جهلته . وأرجو أن يكون ذلك مؤصلا بعفو الله ورحمته . وما ذكرت ذلك إلا ذكرت حديث أنس بن مالك (2) الذي / يعتد به وقوله فيه : خدمت النبي صلى الله عليه وآله تسع سنين فما قال لي قط شيء صنعت : أخطأت ، ولا : بئس ما صنعت . وأفكر في ذلك وما صحبتني (3) من رضى المنصور بالله والمعز لدين الله صلوات الله عليهما وتغمدهما وصفحهما فأذكر قول أنس هذا ، فأقول : هم صلوات الله عليهم كما قال الله تعالى فيهم : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (4) .

فإن كان ذكر أنس ذلك يريد به تجاوز رسول الله صلى الله عليه وآله وصفحه وعفوه ورحمته . كما ذكرت أنا ذلك عن أمير المؤمنين (صلع) في نفسي ، فقد أصاب وأحسن .

(1) توفي المهدي يوم 14 ربيع الأول سنة 322 ، فيكون النعمان دخل في خدمته قبل ذلك التاريخ بتسع سنين ونيف ، أي حوالي سنة 924/312 . فإذا قدرنا سنة أفذاك بثلاثين عاما ، يكون مولده سنة 283 ، فتكون مدة حياته ثمانين عاما ، إذ توفي سنة 363 ، وبذلك ندفع تقدير فوتهائل (Gotthell, J.A.O.S. 1907) وماسينيون (Massignon : Esquisse d'une bibliographie qarmate, 332) بأنه ولد سنة 259 هـ . وعمره بالتالي مائة وأربع سنين ، ولا شك أن الأمر التيس عندهما بوالد النعمان الذي توفي عن هذه السن كما جاء في وفيات الأعيان .

هذا وقد يصح تقدير فيضي الذي قال انه قد يكون ولد سنة 293 (انظر مقدمة ك. الاقتصار لمحمد وحيد ميرزا ، ص 27 ومقدمة ك. الهمة لمحمد كامل حسين ص 5) .

(2) أنس بن مالك : صحابي خدم الرسول (ص) وروى عنه كثيرا . توفي سنة 719/91 .

(3) في الأصل : ما صحب لي .

(4) آل عمران ، 34 .

وإن ذهب بذلك / إلى أن بسلم طول هذه المدّة من الزلل فبتس ما ظنّ ! ولو لم يكن له إلا ما يؤثر عنه من ردّه علياً صلوات الله عليه عن باب رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرّات ليماً سمعته من رسول الله (صلع) وقد قرّب إليه طائر مشويّ ، وهو يدعو ، ويقول في دعائه : اللهم سقْ إليّ أحبّ خلقك إليك ليأكلَ معي من هذا الطائر (1) ! فجاء عليّ (ص) فيما ذكر أنس ، ففرع الباب فخرج إليه فقال له : رسول الله (صلع) نائم . ثم جاء الثانية فقال له : رسول الله (صلع) على حاجة . ثم جاء الثالثة فأراد ردّه بمثل ذلك ، فدفع في صدره ودخل وهو يقول : يا ابن مالك ، ابتلاك الله / ببضاء لا توارى بها العمامة (2) ! فقال أنس : فلدعوة عليّ أصابني ما أصابني من البرص . (قال) فلماً دخل ، قال له رسول الله (ص) : ما أبطأ بك عني يا عليّ ؟ فأخبره . قال أنس : فتغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لي : (يا) أنس ، ما حملك على ذلك ؟ قلت : يا رسول الله ، الحبّ بقومي ، وسمعت دعوتك فأجبت أن يكون الرجل الذي يأتيك يأكلُ معك رجلاً من الأنصار . (قال) وسكت عني . وفي هذا كلام يطول ولم أقصد إليه فأستقصيه .

13 — وكنت أخدم المنصور بالله صلوات الله عليه بعض أيام المهديّ بالله صلوات الله عليه وأيام القائم (صلع) كلّها ، وكانت / له عليّ من النعم والآلاء ما لا أحصي عددها . وكانت خِدْمَتِي إِيَّاهُ في جمع الكتب له وانتساخها (3) . فلماً قبضَ

(1) الترمذي : مناقب عليّ ، 170/13 . وفي الاصل : سبق إليّ .

(2) هذا الدعاء من عليّ بن أنس بن مالك روي في نهج البلاغة ، ج 2 ص 379 . ولفظه : « أن كنت كاذباً ، فضربك الله بها ببضاء لامة لا توارى بها العمامة » والظرف الذي دعا فيه عليّ يختلف عن رواية القاضي النعمان هنا . وقد قيل إن أنس بن مالك أصيب بالبرص في وجهه .

(3) نستنتج من هذه الإشارة ومن سابقاتها (انظر ص 51 تنبيه 1 ، وص 57 تنبيه 2 ، وكذلك ص 79 تنبيه 1) ثلاثة أمور في حياة النعمان :

(أ) أنه لم يتول القضاء إلا للمنصور ، وذلك منذ وفاة القائم في شوال 334 ، و« قبل أن يعلن أمره » أي قبل أن يرتقي إلى الخلافة علانية في سنة 336 . واستقضاءه على طرابلس أولاً ثم على المنصورية بمجرد انتقال الخلافة من المهديّة إليها في سنة 337 . ومعلوم أن المنصورية أسست سنة 336 . فالنعمان كان قاضي لقليم ثم صار قاضي القضاة على كامل إفريقيا .

(ب) غير أنه خدم المهدي في التسع الأواخر من خلافته « ثم القائم ، بخطة « صاحب الخبر » ، المعروفة في الدولة العباسية مثلاً : ذاك ما نفهمه من عبارة النعمان « انتهاء أخبار الحضرة إليهما » .

(ج) كما كان في نفس الوقت يخدم المنصور بالسهر على مكتبته .

القائم صلوات الله عليه (1) ، استقضياني قبل أن يُظهر أمره (2) وكنت أول من استقضاه من قضاياه وأعلى ذكره ورفعه قدره ، وأنعم عليّ من النعم بما لو أخذتُ في وصفه لقطّع بطوله ما أردتُ ذكره . فلم تكن قبله عليّ نعمة أعظم من نعمته مع الذي افترض الله عزّ وجلّ عليّ من معرفة حقّه ومودّته . فلم يكن في أيّامه أحدٌ أعزّ عليّ منه ولا أعظم قدرا ولا أجلّ في قلبي خطراً . وكنتُ إذا تَمَنَّيتُ كان أفضلُ ما أتمناه أن أموتَ في أيّامه وعلى رضاه .

14 — فلما اعتلّ صلوات الله عليه / العلة التي قبض فيها (3) تداخلني لذلك دُعرٌ شديد وخوف عظيم . وكان المعزّ لدين الله صلوات الله عليه في أيّامه سببي إليه ، ومعوّلي في جميع أموري عنده عليه ، وكنت ألقاه ، والمنصور على غلّته (4) ، فأسأله عنه فيذكر من صلاح حاله ما أسكنُ إليه . ثمّ استأذن لي يوما في جماعة من الأولياء فأدخلني عليه ، فرأيتُه شديد العلة ضعيفا ، فما خرجت من بين يديه حتى كاد قلبي يدوبُ وجعلت ألقى المعزّ (صلح) فأسأله عن حاله فيذكر أنّه صالح الحال ، وأنا أرى في وجهه صلوات الله عليه من أثر الغمّ ما غيرّه وأحاله عما كان عليه من الإشراق والنضارة، وأرى كلّ / يوم ذلك يزيد به ، والغمّ بذلك يتضاعف عليّ حتى رأيت من حال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه ما أربى غمّي به على غمّي بما كنت أتوقّعه في المنصور صلّى الله عليه وآله .

ثمّ خرج في اليوم الذي قبض فيه ، ولا علم لي بذلك فلقيته بحسب ما كنت ألقاه، ورأيتُ ظاهرَ حاله أصلح ممّا كنت أراه ، فسُرت بذلك ثمّ سألتُه سؤالَ مستبشِرٍ عن المنصور قدّس الله روحه ، فقال لي : يا نعمان، إذا كانت هذه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض والجبال زائلة ذاهبة فآنية ، فما ظنّك بما دونها من هذا البشر ؟ كلُّ نفسٍ ذائقة الموتِ (5) كما قال الله جلّ ذكره : «كلُّ

(1) مات القائم في 13 شوال 334/ماي 946 .

(2) أي قبل أن يعلن رسميا عن وفاة القائم وارتقاء المنصور الخلافة . وقد كتّم الخبر « إلى سنة 336 ، فأظهر المنصور / موت أبيه بعد أن ظفر بأبي يزيد » (المقرّيزي . اتعاظ الخفاء ، ص 131) .

(3) اعتلّ المنصور في شهر رمضان 341 ، وتوفي في أواخر شوال ولم يعلن عن وفاته الا في 7 ذي الحجة (اتعاظ ، ص 129) .

(4) في الأصل : على علة .

(5) آل عمران ، 185 .

شَتِيءٌ هَالِكٌ / إِلَّا وَجْهَهُ (١) . فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَدْ قَبِضَ (صَلَعَ) . وَهَجَمَ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ مَا كَدْتُ أَنْ أَسْقُطَ لَهُ إِلَى الْأَرْضِ . ثُمَّ تَدَارَكْتُ نَفْسِي ، وَرَأَيْتُ النَّاسَ حَوْلِي ، فَاسْتَثْبِتْتُ وَقَلْتُ كَلَامًا نَحْوَ مَا قَالَهُ الْمُعَزُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَا أَفْهَمُهُ ، وَأُنْسَانِيهِ مَا كُنْتُ فِيهِ وَانْصَرَفْتُ عَنْهُ وَالْعَبْرَةُ تَخْنُقُنِي وَالْدُمُوعُ تَبْتَدِرُ مِنْ عَيْنِي حَتَّى صِرْتُ إِلَى خَلَاءٍ مِنَ الْفَحْصِ ، فَأَرْسَلْتُ عَبْرَتِي وَرَفَعْتُ عَقِيرَتِي وَبَكَيْتُ لَذَلِكَ مَلِيًّا حَتَّى خَفَّ ذَلِكَ عَنِّي وَأَقَمْتُ أَبَامًا عَلَى ذَلِكَ . إِذَا امْتَلَأَ صَدْرِي وَعَيْلَ صَبْرِي خَرَجْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ فَاسْتَفْرَغْتُ مَا عِنْدِي .

وَاسْتَفَاضَ أَمْرُ الْمَنْصُورِ (صَلَعَ) ، وَارَى / الْمُعَزَّ لَدَيْنَ اللَّهِ أَدَامَ اللَّهُ تَعْمِيرَهُ وَضَاعَفَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ (٢) كُلَّ يَوْمٍ يَتَسَلَّى وَيَزِيدُ صَبْرَهُ وَيَحْسُنُ ظَاهِرُهُ ، وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْ مَكَانِهِ عِنْدَهُ وَمَحَلُّهُ لَدَيْهِ وَمَوْقِعِهِ مِنْ قَلْبِهِ مَا قَدْ كُنْتُ أَخَافُ عَلَيْهِ إِنْ حَدَثَ بِهِ حَدَثٌ مِنْ أَجَلِهِ . فَرَأَيْتُ مِنَ الْعَزَاءِ وَالصَّبْرِ وَالتَّجَلُّدِ وَجَمِيلِ الْأَمْرِ مَا قَدْ أَبْقَنْتُ / مَعَهُ / أَنَّ ذَلِكَ لَا يَنْتَقِلُ الْإِمَامَةُ إِلَيْهِ . وَرَأَيْتُ تَأْثِيرَهَا وَمَخَايِلَهَا فِيهِ . وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مَا أَتَمَّالِكُ جَزَعًا وَهَلَعًا . غَيْرَ أَنَّهُ سَهَّلَ عَلَيَّ بَعْضَ ذَلِكَ ، مَا رَأَيْتُهُ مِنْ صَبْرِ الْمُعَزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَحَسَنِ عَزَائِهِ وَمَا مَنَحَهُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ مِنَ الضَّبْطِ وَالْكَفَايَةِ وَأَوْلَاهُ مِنْ لَطِيفٍ / الصَّنْعِ وَالرَّعَايَةِ .

١٥ — وَأُظَنَّتْ (ص) رَأَى فِي ظَاهِرِ حَالَتِي مَا بَيَّنَّ لَهُ مِنْ شِدَّةِ جَزَعِي وَقِلَّةِ صَبْرِي ، فَوَقَعَ إِلَيَّ يَوْمًا بِخَطِّ يَدِهِ ، أَعْلَاهَا اللَّهُ : يَا نِعْمَانُ ، لِيَحْسُنْ عَزَاؤُكَ وَيَجْمُلْ صَبْرُكَ ! فَمَوْلَاكَ مَضَى . وَمَوْلَاكَ بَقِيَ . وَأَنْتَ وَاجِدٌ عِنْدَنَا مَا كُنْتَ وَاجِدًا عِنْدَهُ . وَنَحْنُ كُنَّا سَبِيلَهُ ، عِنْدَهُ وَلَنْ يَنْقَطَعَ ذَلِكَ السَّبَبُ لَدَيْنَا لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَطِيبْ نَفْسًا وَقَرِّ عَيْنًا وَلْيَحْسُنْ بِنَا ظَنُّكَ وَتَسْكُنْ إِلَى مَا تَحِبُّهُ لَدَيْنَا نَفْسُكَ !

فَبَيْنَا أَنَا كُنْتُ أَخْشَى مِنَ الْوَجْدِ عَلَيْهِ إِذْ صَارَ يَعْزِيْنِي عَنْهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لِتَأْيِيدِ اللَّهِ لَهُ وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُ وَمَا وَهَبَ لَهُ مِنْ جَمِيلِ الْمَادَّةِ وَأَجْرَاهُ عَلَيْهِ مِنْ حَسَنِ الْعَادَةِ / .

(قَالَ) وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَجَمَاعَةٍ مِنْ أَوْلِيَائِهِ حَضَرُوا مَجْلِسَهُ وَهُوَ يَحْضُهُمْ عَلَى طَلَبِ الْفَضْلِ عِنْدَهُ وَالتَّمَاسِ الْخَيْرِ مِنْهُ : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ إِذَا حَبَسَ

(١) الْقِمَص ، ٨٨ .

(٢) هَذَا الدَّعَاءُ غَيْرُ مَعْنُودٍ عِنْدَ النِّعْمَانِ .

الغيث عن عباده الذي جعل به صلاح معاشهم وقوام أبدانهم ، اجتمعوا وبرزوا عن ديارهم واستسقوه ودعوه ورغبوا إليه . فإذا كان هذا ممّا ينبغي لهم أن يفعله لما يرجونه من حياة هذه الأجسام الفانية وما يؤملونه من بقايا مدة يسيرة وأيام قليلة ، فكيف ينبغي لهم أن لا يفعلوا فيما يرجون به خلاص أرواحهم الباقية من عذاب الآخرة الدائم ، وخلودها في النعيم المقيم ؟ / أليس ينبغي أن تكون رغبتهم في هذا أشدّ وابتغاؤهم أكثراً ؟ أو ممّا علمتم أن غيث السماء له أو أن يرتجى فيه وينفع الله به ؟ وإذا ذهب أو أنه ذهب نفعه واسم ينبغي سؤاله ؟ فكذلك والله هذه النعمة العظيمة والرحمة الواسعة ، لها أو أن تكون فيه . ووقت تحلّ به . فإن مضى أو أنها وتقضى وقتها لم تجدوها ولم ينفعكم حينئذ أن تطلبوها . ألا . وهذا وقت أو أنها وحين إبانها ، فاحذروا الغفلة واستعملوا الطلب والرغبة ، وبادروا قبل الفوت واعملوا قبل الموت . فإنما هي أيام قلائل ، ووقت ما يترجى فيه النجاة والرحمة زائل .

ثم قال : / من ذا وجد من إمام قبلنا ما وجدتموه عندنا ؟ إننا لنجيب من سأل ونبتدئ من لم يسأل ممن نرى أنه يقبل ، وما يخيب لدينا إلاّ المعرضون عن الله وعنّا .

أدب في مسامرة (1) :

16 — (قال) وسمعت يقول وأنا أسايره وقد ذكر السرّ : وما ينبغي من كتمان طيّه فقال : لقد كان المنصور بالله (صلع) ربّما أسرّ إليّ السرّ ، فلما اعتقدّه من طيّه وكتمانيه ربّما أنسيته ويسألني بعد ذلك عنه فلا أعرفه .

موعظة جرت في مجلس :

17 — (قال) وسمعت يقول وقد ذكر رجلاً مشوّه الخلق أعمى مقعداً ، وأنه رآه في بعض الطرقات . وهذا الرجل معروف . فقال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه : ينبغي لمن نظر إلى ذلك وأشباهه من ذوي العاهات والبلوى أن يحمد الله على ما عافاه ويتفكّر في عظيم نعمته عنده .

(1) في الأصل : في المسامرة .

وهذا يشبه قول جدّه رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله: من نظر إلى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلاك به وفضلني على كثير من خلقه تفضيلاً ، كان حقيقاً على الله أن لا يصيبه بذلك البلاء (1) .

[كلام في الغلو] ذكر في مجلس :

18 - (قال) وسمعت يقول : سمعت القائم بأمر الله (صلع) يقول في قوم من الدّعاة بلغه أنّهم غلّوا فيه وفي آباءه الأئمة الصادقين صلوات الله عليهم أجمعين / وقالوا إنّهم يعلمون الغيب ، فلعنهم وقال : هؤلاء الصادقون عنّا الكاذبون علينا ، والله ما أرادوا بما وصفونا به إلّا تكذيباً لنا وأبعدوا الناس عنّا لأنّهم إذا وصفونا لهم بما ليس فينا، فلم ير الناس ذلك ولا وجدوه عندنا لم يروا أنّنا أئمة .

ثم قال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه : الغيب الذي تعلّمه الأئمة هو ما غاب عن الناس من العلم الذي أودعهم الله إياه واستحفظهم سرّه . فأما الغيب الذي قال جلّ ذكره : « قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ (2) » فلا يعلمه إلّا هو كما قال عزّ وجلّ .

وقول القائم بأمر الله هذا يشبه قول جدّه جعفر بن محمد صلوات / الله عليه لما بلغه أنّ أبا الخطاب (3) قال فيه ما قال من الغلو . قال المفضل (4) : فدخلت عليه يوماً فأصبته منقبضاً مستعيراً ؛ فقلت له : ما لك ، جعلت فداك ؟

قال : أيّ مفضل ، زعم هذا الكافر الكذاب أنّي أعلم الغيب ، سبحان الله ! ولا إله إلّا هو ربّي وربّ آبائي الذي خلقنا وهو الذي أعطانا وحوّلنا ، فنحن أعلام الهدى والحجّة العظمى ! اخرج إلى هؤلاء - يعني أصحاب أبي الخطاب - فقل

(1) الترمذي : دعوات ج 12 ص 313 . وابن ماجه ، دعاء 3892 .

(2) النسل ، 65 .

(3) أبو الخطاب : هو محمد بن أبي زينب الذي « عزا نفسه إلى جعفر الصادق » ثم قال بألوهية الأئمة ، وإليه تنسب فرقة الخطابية . قتل أبو الخطاب سنة 755/138 . انظر : «تماظ الخفاء» ص 48 . ودائرة المعارف الإسلامية ، فصل : أبو الخطاب . وكذلك محمد الطالبي : الإمارة الأغلبية ص 562-563 .

(4) المفضل : هو المفضل بن عمرو صاحب جعفر الصادق ، انظر دعائم الإسلام ج 1 ص 50 « رقم 81 حيث نقل القاضي النعمان هذا الخبر مفصلاً . ويسميه ابن شهر آشوب (معالم العلماء طبعة النجف 1961 ترجمة 836) المفضل بن عمر ، وكذلك الطوسي يسميه المفضل بن عمر الجعفي (ص 314 من رجال الطوسي) .

لهم : إنا خلّائقُ مخلوقون وعبيدُ مربوبون ، ولكن ، لنا من الله عزّ وجلّ منزلة لم ينزلها أحدٌ غيرنا ولا تصلحُ إلّا لنا ، ونحن نورٌ من نور الله وشيعتنا منّا ، وسائرُ الخلقِ في النار .

فائدة في مسامرة / :

(قال) وسأيرثه يوماً فقال لنا، ونحن جماعة في الموكب حوله : قولوا شيئاً ! تكلّموا عمّا لا تعلمون تجدوا عندنا جواباً ما تريدون ، إذ انصرفكم عنّا بلا فائدة منّا خسارةً عليكم ، ونقصٌ بكم !

فقلت : أعاذنا الله من الانصراف عن وليّه بلا فائدة ! والله ما أعلمُ أنّي رأيته قطّ فانصرفتُ إلّا بفائدة : إمّا ممّا أسمعُه منه أو ممّا أراه فيه . وقد قال بعضُ الحكماء : كلُّ صامتٍ ناطقٌ . فإذا كان هذا في الجماد إذا اعتُبر ، فكيف بأوليّاءِ الله عزّ وجلّ ؟

فقال : هو كما قلت ، وإنما تُبصرُ ذلك العقولُ الصافية .

كلام ذكر في مسامرة :

19 - (قال) وسأيرثه يوماً فجرى / الحديث بقول الناس : القمران : الشمسُ والقمرُ، وأنهم نسبوهما إلى الأشهر منهما (1) وهو القمر، وقالوا : لأنّه يرى ليلاً ونهاراً ، ولأنّ الأبصار أكثرُ وقوعاً عليه منها على الشمس ، ولأنّ العرب كانت تسمّرُ في الليل في أُنديتها وتراه أكثرَ ممّا يكونُ ذلك منها في النهار ، وكان عندها أشهرُ من الشمس .

قلت : وقد ذهب بعض الرواة بيت الفرزدق (طويل) :

أخذنا بآفاق السماء عليكمُ
لنا قمرآها والنجومُ الطوالعُ (2)

إلى غير هذا المذهب ونحا به نحو الباطن ، فزعم أنّه إنّما أراد بالقمرين إبراهيم

(1) في الأصل : إلى أشهر منهما ...

(2) ديوان الفرزدق ، نشر عبد الله الصاوي ، ص 519 . والقصيدة في التفاضل (ص 700 من طبعة أوروبا ، البيت 22) .

ومحمداً (1) صلوات الله عليهما وعلى آلهما ، وأراد بالنجوم الطوالع الخلفاء لأنه أمسُّ بقريشٍ ممّن فخر عليه .

/ فقال (صلع) : ما أصاب هذا القائل ، وإن كان عند الناس قد أغرب في المقال وجاء عندهم بمعنى لطيف .

ثمّ جاش له من المعزّ لدين الله (صلع) في ذلك بحر زاهر من الباطن ، ففتح القول فيه ما نحا إليه هذا القائل . ثم قال : « فلن أراد الباطن فهذا هو ، وقد أخطأ . وإن أراد الظاهر ، فهو خلاف ما قال بشاهد العيان .

ثمّ قال عليه السلام : وبمثل هذا زاغ من زاغ عن الهدى ممّن انتحل علمنا وقال يزعمه بقولنا ، ممّن جرّد الباطن وقال به ، ودفع الظاهر وأنكره . وما يستحقّ من فعّل ذلك إلاّ أن يُخرجَ روحه من جسمه / فيرى هل يقوم ذلك الروح بلا جسم أو هل يقوم الجسم بغير روح ؟ ومن ههنا هلك من هلك وضلّ من ضلّ لمّا أفرّدوا الباطن ودانوا به ورفضوا الظاهر وتركوا العمل به وأباحوا المحارم إذا لم يروا ظاهراً يقوم . وكيف يثبت ذلك عند الأشقياء ؟ وهل يقال « باطن » إلاّ وله ظاهر ؟ وإذا لم يثبت ظاهر ، فلماذا يكون الباطن ؟ وكذلك إذا لم يكن باطن فلا ظاهر إذن ، وإنّما يصحّ كل واحد منهما ويقوم بإثبات الآخر . ولو لم يثبت أحدهما لم يدلّ / (2) اسم الثاني عليه . ولا يقال باطن إلاّ لما له ظاهر ولا يقال ظاهر ، إلاّ لما له باطن ، وإلاّ كان ذلك القول محالاً . ومن جهل / مثل هذا لم يكن في عدد من يعقل ، إذ ليس ذلك بالغامض ولا بالمشكل .

كلام في مسامرة :

20 - (قال) وسمعت صلوات الله عليه يقول وقد ذكر الولاية والمحبة فقال : والله ما يضيع ذلك لمن اعتقده . ولقد رأيتُ فلاناً في المنام - وذكر رجلاً ظاهرياً (3) غالباً في مذهبه إلاّ أنّه كان متّصلاً بالقائم صلوات الله عليه وكانت له عليه

(1) عمّد : هو الملقب بـ « النفس الزكية » . وأخوه إبراهيم هو « قتيل باخمرى » . وهما حفيدان للحسن ابن علي بن أبي طالب ، ثارا على العباسيين بالبصرة والمدينة ، فقتلا سنة 762/145 .

(2) الجملة غير مفهومة ، فلذلك زدنا الكلمة تخميناً .

(3) هذه إشارة وحيدة في الكتاب الى وجود المذهب الظاهري بإفريقيه .

نِعمة — قال : فرأيتُه في المنامِ بعدَ أن ماتَ فقلتُ: ماذا صرّتَ إليه ؟ فقال: انتفعتُ بالله بمحبّتي للقائم عليه السلام . قال له بعض من حضر : أفترى ذلك يُنْجِيهِ وهو على ما كان عليه ؟ / فقال : لا والله ، ولكنّه كما قال بنفعه بعض النفع .

(قال) : ورأيتُ فلانا — يعني بعضَ الأولياء — كان له تخليط ، ثم حسُنّت حاله وَغَنّاؤُهُ وَجِهَادُهُ ، واختصّه المنصور بالله صلوات الله عليه ، ثم مات بعده . قال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه : فرأيتُه بعد أن مات بلبلة وقد مرّ بي فدعوته فنظر إليّ، وكأنّه في غمرة وشدة، فقال لمّا دعوتُ به : دعني، أما ترى ما أنا فيه ؟ (قال) فأصبحت وقد غمّني له ما رأيت من ذلك، فلمّا كانت الليلة الثانية رأيتُه في أحسنِ حال وأقبل إليّ ضاحكا . فقلت : ما حالك، وماذا صرّتَ إليه ؟ فقال : إلى خير / والحمد لله ! ما خلق الله في الخلق مثل أبيك . والله ما زال بي حتّى خلّصني قسرا من شدة شديدة وأمر عظيم .

فقلت : إنّ في رؤيا أمير المؤمنين لبرهانًا عظيما ، وقلّ من يرى في مناميه إلّا التخليط والأضغاث .

فتبسّم عليه السلام ، وقال : رأيت صبيانَ المكتب إذا انصرفوا من عند المؤدّب ، واختلافَ أحوالهم : أحدهم يمشي متوقّفا يقصد قصدَ حاجته ويُصلِحُ من أمره ما يعود إليه في مكتبه مثلَ لوحه ودوائه ومُصحّفه ، وآخر يسارع إلى اللعب والبطالة والولع ؟

قلت : أجل .

قال : ذلك على / مقادير ما هم عليه قبل ذلك واهتمامهم بما هم فيه .

قلت : نعم .

قال : فكذلك النفوس ، إذا توفّيت عندَ المنام إنَّما تجول وتسرّح على مقادير طباعها وما كانت عليه في يقظيّتها .

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام في الأمانة ذكر في مجلس :

21 — قال القاضي النعمان بن محمد : سمعتُ المعزَّ لدين الله صلوات الله عليه يصف بعض الدعاء — وقد مات — بما كان عليه من الصحة والأمانة والولاية ، فقال : إنه كان يشتري لنا فيما يبعث به إلينا ممّا نأمره ببعثه ، المسك فيُفرغهُ على ثوبه ليزنه ويُدْرِعَهُ الوعاءَ / فتعلق رائحته بثوبه فيُخرجُ من ماله لتلك الرائحة ثمنًا يضعه في ما لنا في يديه من أموالنا ، تحرّزا من الخيانة .

ثمّ ترحّم عليه وأثنى عليه بالجميل ، ثمّ قال : ولقد أخبرني بعضُ من كان من أهل دعوته أنّه ربّما صبّ الماء على يديه ، فإذا فرغ من ذلك أخذ الإِناءَ وصبّ على يديّ ذلك الرجلِ ، فيمتنعُ من ذلك ويتعاضمه ، فيقول له : والله لأفعلنَّ ! إن كنتَ إنّما أردتَ بصبّك الماءَ على يديّ برّاً تنالُه وثوابًا ، فأنا إلى ذلك أحوجُّ ، وإن كان ذلك لحقّ رأيتَه لي عليك ، فالحقّ لوليّ الله . فما أردتَ أن تقضيّه ، ففضاؤه إليه .

وصيّة في مجلس :

22 — (قال) / وسمعتُه يوما في مجلس حضره فيه جماعة من رجال كتامة ، وهو يعظُّهم ويوصيهم ، فقال في بعض ما قال لهم : أريدُ منكم ثلاثًا ،

وأكره لكم ثلاثاً : أريد منكم الصدقَ وأكره لكم الكذبَ ، وأريد منكم العفافَ وأكره لكم الخيانةَ ، وأريد منكم التواضعَ وأكره لكم الكِبَرُ ، وهذا أخوف ما أتخوفه عليكم .

كلام في العدل جرى في مجلس :

23 - (قال) وسمعتُه يوماً صلتى الله عليه وآله يقول في مجلس : أما إنني لو شئتُ رضى الناس لبلغتُ رضاهم بأيسر الأمور عندهم . ولكن ذلك ، لو يدرون ، فيه اقتحامُ النار .

ف قيل له : وما هو يا أمير المؤمنين ؟

قال : التَّخْلِيصُ بينهم وبين شهواتهم / : نُبيحُ لهم - وأعوذ بالله - المُنْظَاهِرَةُ بِشُرْبِ الخمر والزَّنى والتَّوَاتُرِ وإظهارِ الملاهي والمعازف ، كما يفعلُه اليوم المتغلبون من ملوك الأرض لأنفسهم ، ويبيحونه لمن تغلبوا عليه . فما كنا نسمعُ منهم إلاَّ الثناء والشكر . ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ قلَّدنا أمورهم وافترض علينا تقويمهم واستنقاذَ مَنْ أناب إلينا منهم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم . فنحن نريد نجاتهم من النار ، وهم يسخطون علينا ، ونُحبُّ إدخالهم الجنةَ ، وهم يكرهون ذلك منا .

فذكر له بعض من حضر المجلس أمرَ المتغلبين من بني أمية بالأندلس ، وأنهم / ورعايتهم يشربون الخمر ويتاعونها في أسواقهم جهارا ، ويفتكهُونَ بالغلمان صراحا ويزنُّون علانيةً ، وأنَّ سجنَ النساء عندهم ليأتي إليه من يؤثِّر الزَّنى فيدخلُ إلى السَّجَّان فيختارُ مِنَ النساء على عَيْنِه من أراد ، ولكلِّ واحدةٍ منهنَّ رسمٌ معروفٌ ، فأيتُّهِنَّ اختارَ رُفِيعَ رسمها وفُجِرَ بها ، في وجوه كثيرة من المنكر ظاهرة بيَّنة ، ذكرها .

فقال عليه السلام : هذا الذي قدَّمنا ذكره . ونحن نعلِّمُ أنَّ استصلاحَ ظاهرِ العامة واستمالةَ قلوبها أيسرُ وأقربُ من استصلاحها واستمالتها بالدين والحملِ على الحقِّ : إنَّ الحقَّ مرٌّ إلاَّ عندَ القليل ، فما كرهه الناس / منَّا في القديم والحديثِ غيره ، ولولا حَمْلُ عليَّ ، عليه السلام ، الناسَ عليه جميعا وتركه

الإغضاء عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ ، والرخصة فيه والمداراة عنه ، لما عدل إلى معاويةَ من عدلٍ ، ومال إليه عنه . فالرخصةُ في الباطل ، والمداينةُ في الحق ، والحيفُ ، والأثرةُ بالدنيا ، وتركُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة حقوقِ الله وحدودِهِ التي أمرَ بإقامتها ، كان سببَ تغلبِ بني أميةَ أولاً ، وبه تمسكوا إلى اليوم (1) . وتمسكنا بالحق هو الذي قصر بنا عند عامة الناس . لا والله ، لا ندعه حتى يُظهرَ اللهُ أمره ، فقد قال جل ثناؤه : « بَلْ / نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَمَازَا هُوَ زَاهِقٌ » (2) ، وأرجو أن قد قربَ أوانه وحانَ حينه إن شاء الله .

وصية في مجلس :

24 - (قال) وسمعتَه (صلح) يقول يوماً : لما احتضر المنصور بالله صلوات الله عليه جعل يوصيني بما أعمل عليه بعده ، وهذا قائم - وأوماً إلى رجلٍ من عبيده ، وكان قائماً بين يديه - (قال) ثمَّ نظر إليه وقد دمع فقال : واللَّهِ لَتُعَايِسُنُ مِنْ مَوْلَاكَ هَذَا وَمِنْ جَمِيلِ أَعْمَالِهِ وَسِرِّيهِ وَمَا يُجْرِيهِ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، ويضعه من الجميل له ، ويؤيده به ويمكنه له ويفتحه عليه ، ما لم ترَّ ولا سمعتَ قطَّ / مثله .

فقال له الرجل : يا مولاي ، وأي شيء بقي له من ذلك لم تفعله أنت ؟ قال : كثير ، والله ، جداً ، هو في القوة لم يظهر بعد إلى الفعل (3) ، يُظهِرُهُ الله له ويجريه على يديه .

ومن رمز له بالحكمة ذكر في المجلس :

25 - (قال) وسمعتَه (صلح) يوماً وهو يقول : واللَّهِ ما تَلَذَّذْتُ بشيء تَلَذَّذْتُ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ! لو وجدت من أفضي إليه بها لكنت قد بلغت غايةَ المنى والشهوة .

(1) في الأصل : إلى اليوم بالحق ، واسقطناها لعدم المطابقة

(2) الأنبياء ، 18 .

(3) بالقسوة وبالفعل : اصطلاحان فلسفیان .

وقوله هذا عندي فيه كناية ، والذي يفضي إليه بحكمته (1) هو حجته (1) . والله يقرب ما أمّله من ذلك له ولنا إن شاء الله تعالى ، فهو الذي يفضي إليه بجميع ما لديه من الحكمة كسنة الله فيمن مضى / وبقي من أوليائه . فأما الإفضاء منها بما يمكن وبمقدار احتمال من يسمع ، فهو صلى الله عليه وآله يفضي بذلك في كل حين . وقد يكون أراد أن يجد أكثر منّا احتمالاً لما يحمله منها ونسأل (الله) أن يجعلنا ممن يحتمل ما حُمِّل منها ويرعاه حتى رعايته وممن أمدّ أولياءه فيه بقدرته .

كلام من الحكمة ذكر في مجلس :

26 — وسمعت صلوات الله عليه يقول فيما يجده في نفسه من مثل هذا : والله إنني لأجد من اللذة والراحة والشهوة في النظر في الحكمة ما لو وجده أهل الدنيا لا طرَحُوها لها ، ولولا ما أوجب الله سبحانه عليّ من أمور الدنيا لأهلها وإقامة ظاهرها ومصالحهم فيها ، لرفضتها / للتلذذ بالحكمة ، والنظر فيها وإن كان الذي قلّدتُه من أمور الدنيا والنظر فيها حكمة بالغة إن أبصرَ وحجة لمن تدبّرَ ونظرَ .

حديث في فضل المعزّ لدين الله صلوات الله عليه :

27 — (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوماً يحدث عن محبة القائم بأمر الله (صلح) له واختصاصه إياه وما كان يؤثره به ويتوخّاهُ له ، ممّا كنّا نعرفه ويبلغنا عنه ، فقال : لقد قال لي يوماً : لولا صغر سنّك لجعلتُ

(1) الحجة : كلمة حجة يراد بها عموماً الشخص الذي يلي الناطق (الرسول) أو الإمام . فلا بد لكل نبي من حجة ، وحجته هو وصيه أو أساسه . فهارون مثلاً حجة موسى ووصيه ، وصاحب السر أو الباطن أي التأويل . وكذلك لا بد لكل إمام من حجة .

أما رتبة الحجة في نظام الدعوة ، فتختلف اختلافاً بسيطاً من مفكر إلى آخر . فجعفر بن منصور اليمن أحد كبار الدعاة الإسماعيليين يجعل من الحجة مرتبة تلي مرتبة الإمام (انظر : الشواهد والبيان ص 170 ، الرضاع في الباطن ص 37 ، 80) ونجد نفس هذا الترتيب عند القاضي النعمان (انظر : أساس التأويل ص 70 ، 85 ، 87) ، بينما تحتل الحجة المرتبة الثالثة بعد الإمام عند الكرمانى : الإمام ، الباب ، الحجة (انظر راحة العقل ص 134-139) .

أما وظيفة الحجة فتشتمل في نقل أوامر الإمام إلى الدعاة ، وهو المكلف بنشر المعرفة التأويلية لمن له الحق . والحجة يقيم الباب ، أي أنه يعين الشخص الذي يحتل هذه المرتبة (انظر اختلاف الترتيب الذي ذكرناه عن الكرمانى وغيره) ، ويقيم كذلك ثلاثين داعياً يساعده على تحمل أعباء الدعوة . ويقول الكرمانى : إن للحجة الحكم في ترتيب المراتب وارتضاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق وظاهر تأويل الكتاب (راحة العقل ص 134) . وانظر كذلك فصل « حجة » في دائرة المعارف الإسلامية .

هذا الأمر إليك (1)، ولكن أنت أبو تميم حقاً كما كُنَّيتَ . (قال) فكان كثيراً ما يقول لي ذلك ويكرره : أنت أبو تميم حقاً ، وما أعرف يوماً ما يريد بذلك .

(قال) وكنت يوم قبض / صلوات الله عليه (2) عليلاً متخلفاً لأمر عرض لي . وسأل عني فكرهوا أن يخبروه بعلتي . وأغميَ عليه . ثم أفاق فسأل عني فقال : اتوني به ! ثم أغميَ عليه كذلك مرارا . فلمّا أفاق سأل عني فأتسوا بي إليه . وقد منّيع الكلام . فلما رأيَ أنني ضمني إليه ، ثم أغميَ عليه ، فنحيت عنه ، وأفاق فردّني كذلك ، ثم قبض صلى الله عليه وآله .

ثم قال المعزّ عليه السلام : شهدتُ مشهدين لو حُمِلَتِ الجبالُ ما حُمِلَتْهُ فيهما لما أطاقتُهُ : هذا . ووفاة المنصور عليه السلام (3) .

وهذا . من فعل القائم عند الموت بالمعزّ (4) لدين الله عليه السلام ، كفعل رسول الله صلى الله عليه وآله بالحسن والحسين عليهما السلام / عندما قبضَ : فقد روي عنه عليه السلام أنه دعا بهما كذلك وضمّتهما إلى نفسه ثم أغميَ عليه فنحاهما عليّ عليه السلام . ثم أفاق فقال : أين ابناي ؟ فقال له عليّ عليه السلام : أزلتهما عنك يا رسول الله لِمَا رأيتُ بك ، وهذان هما . فقال : فقرّبتهما ! وقال : دعهما يستمتعَا مِنِّي وأستمعَ منهما ! فما زالا كذلك حتّى قبضَ صلى الله عليه وآله .

حديث في فضل الأئمة عليهم السلام :

28 - (قال) وسمعتُه صلوات الله عليه يقول : قال لي المنصور عليه السلام فيما أوصاني به : إذا عرض بقلبك أمر فاستحكِم فيه ، فإن لم تجدْ لنفسك

(1) يظهر من كلام القائم أن تعيين ولي العهد موكول إلى الامام وحده ، وأنه في ذلك قد يتجاوز ابنه إلى حفيده . وهذا مخالف للمبادئ الاسماعيلية التي تنص على أن الامامة تكون في الولد الأكبر بعد والده ، ولا تنتقل من الامام إلى أخيه ، باستثناء السابقة الفريدة في الحسن والحسين .
وقد خالف المعزّ هذا المبدأ حين عين لولاية العهد ابنه الثاني عبد الله فتجاوز ابنه الأكبر تميمًا، كما في سيرة الأستاذ جودر ، 139 ، أو عزله ، كما في أخبار ملوك بني عبيد لابن حماد ص 47 .
وخولف المبدأ أيضًا فيما بعد حين تنازع الأخوان نزار والمستعلي ابننا المستنصر الفاطمي ، فتولى الامامة المستعلي - وهو الابن الأصغر - فانشقت الاسماعيلية إلى نزارية ومستعلية .

(2) في 13 شوال 334/ماي 946 .

(3) انظر وصف مرض المنصور فيما سبق ص 81 .

(4) التركيب الواضح هو : من فعل القائم بالمعزّ عند الموت .

حيلةً في دفعه عنك / فخذ به واعمل عليه ، وإن كان الرأي والتدبير فيما يظهر إليك بخلافه . واعلم أن ذلك إذا كان ، فإنما هو شيء من قبيل الله عز وجل ألفاه في قلبك .

(قال) فما أحصيني ما عرض لي مثل ذلك ورأيت أن النظر والرأي في خلافه فتركتهما وعملت على ما وقع في قلبي ، فكان في ذلك التوفيق وحسنت فيه العاقبة .

29 — (قال) وسمعت صلوات الله عليه يوما وقد حضر مجلسه جماعة من مشايخ كتامة ووجهيهم ، وهو يوصيهم ، فقال فيما قال لهم : إني قد أنزلت كباركم مني منازل الإخوة وصغاركم منازل الأولاد ، وأنتم في خير زمان ، فاعرفوا قدر النعم عليكم وقيسوا أنفسكم اليوم بمن مضى منكم / بالأمس من قوم أنتم بعض حسنتهم لسبقهم وجهادهم وقيدهم ، وما أقام الله عز وجل من هذا الأمر بأسيا فيهم وأيديهم ، وكانوا على الطريقة المثلى حتى اعترض عليهم الشيطان بفساد وهم توهّموه ، وباطل ظن ظنوه ، فلم يقالوا العثرة ولا غفرت لهم الزلة ، وحل بهم الهلاك على أسوأ حال . وكان ذلك هو الذي أوجب الزمان والحق والعدل والإمكان ، وأرجو طهرا ليمّا دتسوه . وإن الله عز وجل لا يضيع لهم ما سبق منهم . وأنتم اليوم معنا في خير زمان مع خير إمام : برّ بكم ، عطف عليكم ، محسن إليكم بقليلكم العثرة ، ويغفر لكم الزلة ويحسن إلى محسنكم ويتغمّد عن مسيئكم .

فشكروا له وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا / : يا أمير المؤمنين ، نحن عبيدك وما فعلته فينا من جميل ، فالله يجزيك به ، ولو شكرناك باقي أعمارنا لم نبلغ قدر أقل إحسانك إلينا وفضلك علينا .

فقال عليه السلام : إذا عرفتم ذلك فقد شكرتم النعمة ، وامتريتم مزيدها إن شاء الله تعالى .

30 — (قال) وسمعت يقول عليه السلام : قال لي المنصور بالله صلوات الله عليه لما احتضر : الوصية عند الموت مبيكة ومحرنة واكتني أوصيك بوصية جامعة : اعمل من الأعمال ما يسرك أن يقتدى بك فيه .

حديث في إقامة الحق عن المهدي (1) صلوات الله عليه :

31 - (قال) وذكرت له عليه السلام يوما شيئا / بلغنا عن المهدي بالله صلوات الله عليه : أن رافعاً رفع إليه نصيحة - فيما زعم - فيها أن العامة (2) لو طولبوا بمذاهيبهم وأجري الحكم بها عليهم في تركيهم توريث ذوي الأرحام (3) ، وردتهم كثيرا من ذلك ، في قول كثير منهم ، إلى بيت المال ، لكان في ذلك توفير للمال من حيث لا ينكروونه ولا يدفعونه ، وأن المهدي صلوات الله عليه أنكر ذلك من قوله واستشاط غضباً عليه ، وأمر بطلبه ، وقال : ما أراه أراد هذا بما قال إلا الطعن علينا وأن نحكم بخلاف ما أنزل الله تعالى ، وإنما أقامنا الله جل ذكره لنقيم دينه لعباده لا أن نكثر من دنياهم بما يأتي من غير حيلة ! .

فقال المعز لدين الله : صدق / المهدي (صلع) ونضر الله وجهه ورفع درجته ! لا والله ، ما نحكم في عباد الله إلا بما أنزله الله أحبوا ذلك أم كرهوا ، رضوا أو سخطوا . ولا ندعهم أن يخالفوا حكم الله لأن الله تعبدنا بذلك ، وما نقموا علينا إلا ذلك . ولو تركناهم وانتحالهم واختيارهم كما تركهم المتغلبون الذين لم يكن قصدهم إلا نيل دنياهم فلم يلتفتوا إلى شيء من إقامة الدين ، وتركوا الأئمة مختلفين فيه ، لأحبونا (4) وسلموا لنا كما سلموا لأولئك . ولكن أبى الله عز وجل لنا ذلك بما افترضه علينا من إقامة دينه وتقويم عبادته على نهجه ومنعهم من الحكم وإظهار العمل بخلافه / .

(1) تأخير فاسد هنا أيضا : حديث عن المهدي في إقامة الحق .

(2) العامة هم أهل السنة عند الشيعة .

(3) هم الأقارب الذين لم ينص القرآن على توريثهم ، ولا يرثون بالتعصيب . « وهم بالجملة بنو البنات ، وبنات الأخوة ، وبنو الأخوات وبنات الأعمام ، والعم ، وأخو الأب الأم فقط ، وبنو الأخوة للأم ، والعمات والخالات والأخوال » (بداية المجتهد لابن رشد باب الفرائض ص 333 من الجزء الثاني) . وقد اختلفت المذاهب السنية في توريث ذوي الأرحام : منهم مالك والشافعي ، وجوز أبو حنيفة وأصحابه توريثهم .

ويفهم من « نصيحة » هذا الرجل إلى المهدي أن الفاطميين طبقوا بإفريقية مذهبهم في توريث ذوي الأرحام ، فالفتنة الشيعي يعتمد على سابقة من علي إذ ورث العمة والخالة ، وعلى فهم جعفر الصادق لعبارة « الأقربين » القرآنية بأنها تعني ذوي الأرحام فقطع بتوريثهم بحكم النص القرآني . وكانوا يزعمون أن الرسول (صلع) منع أن يضم إلى بيت المال « تركة من له عمة أو خالة » (انظر دعائم الإسلام للقاضي النعمان ج 2 ، فصل 5 ص 379) . من ذلك غضب المهدي - إن صدق - إذ أن الناصح يدعو إلى توفير مال الدولة بتطبيق أحكام الفقه المالكي على جمهور إفريقية وهم المالكيون ، مخالفاً في ذلك أحكام الفقه الجعفري . وقد فرض جوهر على القاضي السني أبي الطاهر الذهلي حين أتته على قضاء مصر « أن يحكم في الموارث بقول أهل البيت ... » (ذيل ك. الولاية والقضاء ص 584 س 16) .

(4) في كلام المعز هنا « اعتراف ضمني بأن جمهور السنة لا يحب الحكم الشيعي .

توقيع في الستر على المؤمن (1) :

32 - (قال) وسألني صلوات الله عليه عن أمر رُفِعَ إليه في بعض الحُكَّام قَرَفَ به في نفسه ، فكتبتُ إليه فيه أن ذلك يقال عَنْهُ ، وَيُسْتَفَاضُ فيه ويتكَلَّمُ الناس به عن غير حقيقة يُثَبَّتُ بها ، والله أعلم بذلك . فوقع إليَّ تحت ذلك : قد سَتَرْنَا ، وكذلك قال مولاك عليّ بن الحسين (2) عليه السلام : لم يَعِشْ مع الناس إِلَّا من جَهْلِهِمْ .

حديث في مجلس في الانتفاع بالنبّة :

33 - (قال) وسمعت عليه السلام يقول يوما في مجلس ، وقد ذكر بعض من كان في خدمة المنصور صلوات الله عليه ، والمهدي والقائم من قبَلِهِ عليهما السلام ، وكانت له / ولاية ، فقليل فيه عند المنصور (صلع) ، فأعرض عنه بعض الإعراض ، فوقع من ذلك في غمٍّ عظيم وخاف له خوفا شديداً ، فقال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه : فلقيني يوما فشقّا إليّ ما حلّ به ، فقلت له : إن صدّقْتَنِي عن نفسك وجدتُ لك فرجاً ومخرجاً .

فقال : يا مولاي ، وكيف لا أصدقك ؟

قلت : هل غيرَ هذا الإعراضُ شيئاً من نيّتك أو أحوال وجهها من وجوه ما كنتَ عليه تنطوي وتضمّرُ لمولانا عليه السلام من المحبة والإخلاص وغير ذلك من الواجب له ، وما كنتَ تعتقده في حالة الرضى عنك والإحسان إليك ؟

/ قال : لا والله ، ما حال عندي شيء من ذلك !

(1) التوقيعات هي الأجوبة التي يكتبها الملوك والخلفاء عن رسالة أو طلب أو استشارة ترفع إليهم ، وقد يكون التوقيع بمبادرة منهم . ونجد في سيرة جردر نماذج من توقيعات القائم (ص 42) والمعز (ص 87 وما يليها) . وانظر تعليق ماريوس كاندار (رقم 48 ص 6) وكذلك فصل فرحات الدشراوي في مجلة «أرابيكا» Arabica ، ج 8 ص 190 : بعنوان

Contribution à l'histoire des Fatimides en Ifriqiya

ففيه يظهر الفرق بين التوقيع والعهد .

ويظهر أن الخلفاء الفاطميين كانوا يستعملون عبارات مخصوصة في توقيعاتهم (عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها ، ص 13) .

(2) لعله عليّ زين العابدين الإمام الرابع (ت. 713/94) .

قلت : الله ؟

قال : الله !

قلت : فطلب نفسا وافرر عينا ، فوالله ما نالك شيء تكرهه من قبيله !

فكان كما قلت له : لم ير ضررا إلى أن مات في حياة المنصور عليه السلام وهو من الخدمة على سبيل ما كان فيه ثم حفظ ولده له وأقامه مقامه ، وما ذلك إلا أنه كان ، كما ذكر ، مُخلصا .

ثم ذكر المعز لدين الله عليه السلام بعض هفوات ولده هذا وأنه تناول بعض الأولياء بما ليس فيه ، فأغضى عنه صلوات الله عليه حفظا لأبيه ، وأكثر ما كان منه في ذلك أن جعل يتعجب ويقول : قال فلان لفلان : أنت كذا وكذا - لشيء قاله له من السب / - ونحن نعلم من حالهما ما نعلمه ، وما يرمي البريء بالعيب إلا من كان من أهل العيوب . فأنشدته البيت السائر في ذلك (وافر) :

وأجسراً من رأيت يظهري غيب على عيب الرجال ، ذوو العيوب (1)
فقال عليه السلام : صدق قائله .

حديث في مسايرة في سوء تمييز الجهال :

34 - (قال) وسمعه يقول في مسايرة : إننا نأثر (2) عن جدنا علي عليه السلام أنه قال : ما قرب الله الخير قط من قوم إلا زهدوا فيه . وقال : ومن عرفه للناس ورأوه تهاوتوا بعلمه ، وأكثر ما يكبر في صلورهم ما أتاهم عمن لا يعرفونه . (قال) ولذلك قيل / إن بعض الحكماء خرج في ابتداء أمره من بلده لطلب الحكمة ، فجول في البلاد وأمعن في الطلب حتى لم يجد عند أحد أكثر مما عنده . فأنصرف إلى بلده وكان أهل ذلك البلد قد عرفوا طلبه ، وانتهى إليهم ما أفادته من الحكمة وبلغته من العلم ، فأتوا إليه يسألونه الفائدة ويلتمسون منه الحكمة ، فأغلق دونهم

(1) البيت في البيان والتبيين للجاحظ غير منسوب إلى قائل (ج 1 ص 59 من طبعة السندوبي) . وفي طبعة هارون (ج 1 ص 58) نسب البيت إلى مكّي بن سودة دون إحالة إلى مرجع . وكان الناشر استتبع هذه النسبة من اتفاق البيت مع بيتين آخرين لهذا الشاعر في الوزن نفسه والروي . وورد البيت كذلك في عيون الاخبار لابن قتيبة (طبعة دار الكتب ج 2 ص 14) غير منسوب إلى قائل .

(2) أثر يأثر (بضم عين المضارع وكسرها) الحديث : رواه ونقله .

بابه وأبى أن يُقيدهم شيئا . فقليل له في ذلك ، فقال : ما لقيتُ حكيما في بلد من البلدان أو عالِما ألتبسُ منه علما أو حكمةً - إلاَّ وجدتُ أهلَ ذلك البلدِ يستقلُّونَه ويضعون منه ويفضِّلونَنِي عليه ، وأنا أعلمُ فضلَه / عليَّ . فلستُ بناسِرٍ في بلدِي علما ولا حكمةً أعرضُها لِرأيَةِ الجُهلِّ واستقلال من لا تميَّزَ له من الرجال . وخرج إلى حيث لا يُعرَفُ فأظهرَ ذلك فأخِذَ عنه وانتَفِعَ به في حياته ومن بعد وفاته .

وفي هذا حديث مرفوع : إنَّ أزهدَ الناس في العالمِ أهلَ بيته ثمَّ جيرانه ثمَّ الأقربُ والأقربُ إليه . وإنَّما مثلُ العالمِ في القبيلة كمثل العينِ من الماء في القرية لا يدَّخِرُ أهلُها شيئا من ذلك الماءِ لأنَّهم يرون أنَّهم متى شأؤوا أخذوا منه ، فبينما هم كذلك إذ غارت العينُ فحينئذ يندَمون . كذلك العالمُ إذا مات / ندِم من عرفه على أن لم يأخذَ عنه (1) .

ثم قال : والعلماء في طلبهم العلم وازديادهم منه كالأغنياء يطلبون التزيّد في قليل المال وإن كان عندهم الكثير منه .

35 - (قال) وسمعتَه عليه السلام يقول في مسامرة : جرى عند المنصور عليه السلام ذكرُ الموت وخوفُ أولياء الله وأنبيائه منه ، على علمهم بما لهم عند الله من الكرامة وأنَّهم ينتقلون إلى أفضل ممّا كانوا عليه .

فقلت : أو يَكُونُ ذلك منهم ؟

فقال لي : نعم ! هم أشدَّ خوفا من الموت من كافّة الناس ، استعظاما لأمره وتهوّلا له .

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : لعظمة جلال الله في / قلوبهم وموقعه من صدورهم ، فهم يخافون منه ويتهيَّبون من لقائه ، وهذا ممّا يؤثر مثله عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليه (2)

(1) الحديث المرفوع هو الذي يرفع سنده إلى الرسول (صلعم) . وهذا الحديث ذكره النعمان في الدعائم ج 1 ص 82 عدد 167 مع اختلاف طفيف ، ولعله من الأمثال السائرة إذ أورده الميداني ، 457/1 . وقد نقل الناشر فُضِّلَ عن إحدى النسخ التي اعتمدها ، جزءا من كلام القاضي النعمان هنا .

(2) علي زبسن البازيسن .

أنه كان إذا أخذ في الوضوء للصلاة تغير لونه وارتعدت فرائضه، فيقال له في ذلك فيقول : إني أريد الوقوف بين يدي ملك عظيم .

حديث في مجلس في ذم البغي :

36 - (قال) وسمعت صلوات الله عليه يوماً ذكر بعض من كان يتصل بالقائم صلوات الله عليه ، فلعنه ، وقال : سعى برجل إلى القائم (صلع) وشهد عليه بما يوجب القتل ، وكان يظن به الخير ، فأمر بقتل الرجل فقتل / . وكان المنصور (صلع) يعلم براءته مما قد نسبته ذلك الرجل إليه ، فبادر إلى القائم عليه السلام فتذكر ذلك له . فأرسل رسولا مسرعاً ليتداركه فأصابه قد قتل ، فاغتم لذلك وأمرني أن أخرج إلى ذلك الرجل الذي شهد عليه برسألته وقال : قل له : إني قد أخبرني الثقة عندي بأن الرجل الذي قلت فيه ما قلت بريء منه . .

(قال) فقلت له ذلك ، فقال لي : قل له : فلا يكن هذا الثقة عندك ثقة بعد هذا ، فقد قال غير الحق .

فأعلمت القائم صلوات الله عليه بقوله ، فتغير لونه لذلك واستعظمته وامتنع منه ، وقال : هذا / أعظم مما جاء به أولاً . أخرج إليه فقل له : كيف قطعت عليه بالقول الذي قلت ؟

فجاء بحكاية تكذيبه فيما يشهد به وثبت قول المنصور عليه السلام ، فبلغتها عنه ، فاشتد غضب القائم عليه السلام وقال فيه قولاً غليظاً (1) .

وكان لذلك المقتول سبباً أوجب قتله غير الذي شهد به ذلك الرجل عليه . وأراد القائم عليه السلام أن يقيفه عليه ، وأكثر التعجب من قطع هذا بما قطعه عليه من غير علم ، ثم ما جاء به من الجراءة على ولي الله وردة عليه في قوله لمن أخبره بأنه ثقة عنده : لا يكن ثقة عندك بعد هذا ، وتجريه على القطع / بالقول بذلك في من لا يعرفه . فمات هذا الرجل بعد ذلك أسوأ حال ميتة بعد أن ظهر نفاقه ، وساء حالته وأظهر ولداه من بعده ما كان عليه وقتل أسوأ قتلة وعجل الله من انتقامه ، ولم يكن الله عز وجل ليقيسي من تجراً على أوليائه بمثل ما

(1) نلاحظ أن القاضي النعمان قلما يذكر الأسماء والأماكن ، فتأتي إشارات غامضة مبهمة لا يمكن استعمالها لتدقيق تاريخ الدولة الفاطمية وأحوالها .

تجرأ به حتى ينتقم منه في الدنيا ، « وَلَعَدَّ أَبُ الْآخِرَةِ أَشَدَّ وَأَبْقَى (1) » كما قال الله عز وجل .

توقيع في جرأة الجهال :

37 - ووقع إليّ صلوات الله عليه ابتداءً منه (2) . يا نعمان ، ما أحلم الله عز وجل عن خلقه وأعظم إهماله جل ذكره ! ذكر لي فلان بالأمس كذا وكذا وسألني كيت وكيت / . وهذا الرجل الذي سمّاه مشهوراً بعييب قبيح ، والذي سأله أمر أن يتوسّل به إلى ذلك من القبح ، فحمله الجهل وفرط الشهوة إلى أن تجرأ على وليّ الله صلوات الله عليه بذلك ، وحلّم عنه . ولا أراه وقع ذلك إليّ إلا طلباً للتفريج فيه لمّا ضاق به صدره ولم يمكنه في الواجب غير التّغافل . فكشّر تعجّبي من حلمه صلوات الله عليه عمّن قابله بمثل ذلك ممّن لا قدر له ولا خطر . ثم لم يمض بذلك إلا مدّة يسيرة حتى عمي ذلك الرجل ، فعلمت أن الله عز وجل لا يدع له مثل تلك الجرأة حتى يبتليّه بمثل ما ابتلاه به . فنظرت إليه وقد خرج المعزّ صلوات / الله عليه وقد أتى به إليه يُقاد ، فقال لي عليه السلام : لو كان من أعمى الله قلبه أعمى هكذا بصّره لكان ذلك من تعجيل العقوبة ، وعقوبة الآخرة أخزى وأشدّ .

حديث في الصبر عند المصائب :

38 - (قال) وسمعتُه صلوات الله عليه يقول في مسامرة : لمّا احتضر المنصور عليه السلام وقرب منه من أمر الله ما قرب ، أغمى عليه ، فرأيتُ منه منظراً لم أتما لك له أن يتكلم . فأفاق وأنا أبكي فقال : آها ، ما لك ؟ ألم أنهك عن البكاء ؟

قلت : وكيف يحسن الصبر بمن يراك على هذه الحال يا مولاي ؟

فقال لي : ما جازيتني جزائي : أنا أسرتُ لك / وأفرحُ بما يصيرُ لك بعدي من عاجل الدنيا ، ويسوءُك أنت وتحرّن بما أصير إليه من نعيم الآخرة ؟ لا تعدّ

(1) طه ، 127 .

(2) ابتداء منه : يكون التوقيع أيضاً بمبادرة من الامام إلى أوليائه (انظر ص 98 تنبيه 1) .

إلى هذا : ولا تستقبل ما خَوَّلَكَ اللَّهُ من دولتك بالحزن والبكاء ! بل فافرح بما آتاك الله من دُنياك وما أصراني إليه وأعطانيه في آخرتي !

ففعل (صلح) ما أوصى به ، فلم يُلَطِّمْ عليه خدّه ولم يُشَقِّ عليه جَيْبٌ . وبذلك أوصى المنصور عليه السلام . كما جاء أن جدّه جعفر بن محمد (صلح) أوصى به كذلك : لا يُنَاحُ عليه ، ولا يُبْكِي عليه ولا يُلَطِّم عليه خدّه ولا يُشَقِّ عليه جَيْبٌ ولا يُسَوِّدُ عليه ثوبٌ (1) . وذلك تواضع لله منهما وإن كانت الرخصة / قد جاءت في النُّوحِ والبُكاءِ على الأئمةِ ومن يكرُمُ عليهم لعِظَمِ رُزْءِهِمْ وجليلِ مُصَابِهِمْ .

فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه سمع نساء الأنصار يبكين قتل أحد ، فقال : لكن حمزةَ بينهم لا بواكي له (2) ، فبلغ ذلك نساءَ الأنصارِ فأتين بأجمعِهِنَّ إلى دار حمزة فجعلنَ يندُبْنَهُ ويبكين عليه ، فقال : ما هذا ؟ فأخبر بما بلغهِنَّ عنه ، وأنهنَّ لذلك فعلنَّ ما فعلنَّ ، فأنتى عليهنَّ خيرا . فصارت إلى اليوم سنةً بالمدينة : لا تندُبُ ناديةً مَيِّتَهَا حتى تندُبَ حمزةَ عليه السلام قبله .

ونيج على الحسين صلوات الله عليه / سنة كل يوم (3) ، وثلاث سنين في اليوم الذي أصيب فيه ، فعَلَ ذلك نساءُ بني عبد المطلب بحضرة علي بن الحسين صلوات الله عليه . وكان من بَقِيَّةِ بن الصحابة والتابعين يأتون إلى مأتم النساء فيستمعون ليهن ويكُون .

ونيج وبُكْيَى على المهدي بالله عليه السلام مدةً من أيتام القائم عليه السلام . وكثيرٌ من الأئمة لم يُبْكْ ولا نيج عليهم .

وجاء النهي عن النُّوحِ عن رسول الله صلى الله عليه وآله . وعن الأئمة من ذُرِّيَّتِهِ عليهم السلام ، يقول مجمل يدلّ على أن النهيَ إِنَّمَا جاء في ذلك لاسائر

(1) هذا النص المهم في النهي عن البكاء والنوح عند وفاة الأئمة نقله فاشرا سيرة الاستاذ جوذر في التعليقات (ص 182 تعليق 108) . وقد أفاض في هذا الموضوع ماريوس كاناف في ترجمته للسيرة (ص 151 تعليق 340) ، ذكرا مراجع كثيرة سنية وشيعية منها القاضي النعمان نفسه في دعائم الاسلام (كتاب الجنائز باب التعازي والصبر وما رخص فيه من البكاء ، ص 230 ج 2) . وقد عاد النعمان إلى الموضوع في تأويل الدعائم ج 2 ، ص 44-45 ، وانظر : المجالس ص 534 وما بعدها .

(2) ابن ماجه 507/1 (رقم 1591) مع نهى عن البكاء في آخره . وابن حنبل 98/7 (رقم 4984) .

(3) أي كل يوم طيلة سنة ، ثم في يوم ذكرى مقتله (10 محرم) ثلاث سنوات . ومعلوم أن الحداد عند العرب لا يتجاوز العام ، قال لبيد : « ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر » .

الناس ورُخصَّ فيه عليهم وعلى نُقَبَائِهِمْ ومن حلَّ بمثلٍ / محلِّهم ومحلِّ حمزة رضوان الله عليه منهم ، وأنَّ ذلك ليس بفرضٍ واجبٍ ، لتَرْكٍ من تَرْكِهِ منهم ، ووصيَّةٍ من أوصى بتركه .

رمز بالحكمة وما يجب من ذلك :

39 - (قال) وسمعتُه صلوات الله عليه يوما رمَزَ بالحكمة رمزاً خفياً في مجلسٍ جلس فيه جماعة من أوليائه . ففهمتُ عنه (صلع) ما أشار إليه، ولم أرَ على من حضَرَ دليلاً من الفهم، وأحببتُ أن لو قد فهموا ذلك . فذكرتُ ذلك له سراً في مجلسٍ آخر، فقال : إننا لو كشفنا كلَّ شيءٍ لكم وأوضحناه لسائرکم لبطلَ التفضيل بينكم ، ولنالَ الفضلَ مستحقه وغيرُ مستحقه . ولكنَّا نريدُ أن يتصل الفضلُ / إلى مستحقه ويمرَّ القولُ صفحا على سَمْعٍ غيرِ المستحقِّ .

ثمَّ ذَكَرَ بعضَ الدُّعَاةِ فقال: أهْلِكُوا بمثلِ هذا أممًا ممَّن حَمَلُوهُ فوق حمليه وأعطوه فوق استحقاقه ولم يتحفظوا مثل هذا التَّحَقُّطِ، ولو أنزلوا الناس على مراتبهم وطبقاتهم واستحقاقهم، لَسَلِمُوا وسَلِمَ الناسُ من سوء فعلهم (1) .

حديث في فضل المنصور صلوات الله عليه :

40 - (قال) وقلَّبتُ يوما وأنا بين يديه صلوات الله عليه كتابا ، وتصفح كتاباً منها فأدام النظر فيه، ثمَّ استعبر وقد نظر إلى شيءٍ في عرض الكتاب، ثمَّ قال عليه السلام : نظرت في هذا الكتاب، وهو بخطُّ المنصور عليه السلام / فرأيتُه قصَّرَ فيه وحال عن جودة خطِّه المعروف، فلم أدْرِ لِمَ كان ذلك ، حتَّى رأيتُ هذا البيت في عرضه ، وهو بيت تمثِّل به صلوات الله عليه . وهو قول لبَّيد (طويل) :

بَلَيْسِنَا وَمَا تَبَلَّتْ النُّجُومُ الطَّوَالِيعُ وَبَقِيَ الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ (2)
ثمَّ قال المعزُّ عليه السلام : هذا النعي الذي نعى به نفسه عليه السلام أحالَ خطِّه ، وأظُنُّ ذلك كان في عِلَّتِهِ . ثم قال : وإلى هذا والله المصيرُ .

(1) في وجوب كتمان العلم على غير المستعدين لحمله يقول ابن هانيء شاعر المعز (القصيدة 47 من طبعة زاهد علي ، البيت 177) :

« إذا كانت الأبواب يقصر شأوها فظللم لسر الله إن لم يكتم »

(2) مطلع مرثية لبَّيد لأخيه أربد . انظروا في الديوان ص 88 طبعة صادر 1966 .

حديث فيما ينكره الجهال :

41 - (قال) وسمعت عليه السلام يقول: والله ما نقسم الناس منا إلا أننا وحدنا الله عز وجل حق توحيد (1) ونفسينا عنه سبحانه ما لا يليق به / .

حديث في سوء التوجيه والكذب على أولياء الله :

42 - (قال) وسمعت (صلح) ذكر بعض الدعاة فلعنه ، وقال : أباح المحارم وقال لبعض من قبيل (2) عنه : إن ترك المعاصي سوء ظن بالله عز وجل أنه لا يغير الذنوب . ثم قال المعز عليه السلام: أفأبقي هؤلاء الفسقة في الشناعة علينا والصدء عنا وهم يقولون مثل هذا القول القبيح ، وينسبون أنفسهم إلينا ؟ ونحن نبرأ إلى الله عز وجل من هؤلاء ونتقرب إليه بلعنهم والبراءة منهم .

قول فيه تقريع وحض على الخير :

43 - (قال) وسمعت عليه السلام يقول لقوم طلبوا إليه نيل رحمة الله على يديه وألحوا في ذلك عليه ، فقال عليه السلام لهم قولاً أبان فيه / تخلّفهم عن درجة ما طلبوه فقالوا : يتفضل علينا مولانا بالعفو ويتلافانا بالرحمة .

فقال : أرايتُم لو أن سارقاً سرق مالا من أموالكم فاطلعتُم بذلك عليه فصفحتُم وغفرتُم عنه ، أكان ينبغي لكم أن تأتونني به فترشحوه عندي لأمانة فأمسّه عليها ؟

(1) مسألة التوحيد من أهم المبادئ الاسماعيلية ، وقد يشبه قولهم فيها ما ذهب إليه المعتزلة ولا يكاد يخلو كتاب من ذكر التوحيد بل إن التوحيد أول مسألة يفتتح بها كل كتاب .

ورأي الاسماعيلية في هذه المسألة معقد . فعندهم أن الله لا ينال بصفة من الصفات ، وانه ليس بجسم ولا في جسم ، ولا يعقل ذاته عاقل ولا يحس به محس وليس بصورة ولا مادة ولا معه فيما هو ما يجري منه مجرى مادة يفعل فيها ، وليس له ضد ولا مثل ولا يوجد في اللغات ما يمكن الاعراب عنه بما يليق به . وإن اصدق قول في التوحيد والتنزيه والتجريد ما يكون من قبيل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه ، وهذا تصديق لقوله تعالى : « ليس كمثله شيء » . أما الاسماء التي وردت في القرآن فهم يطلقونها على أول موجود وهو المسيح عندهم بالمبدع الأول والسابق والقلم ، وهو العقل الكللي ، وفي ذلك يقول المؤيد : « إن ألفاظ القرآن وردت في توحيد الله وتكبيره وتمجيده على صفات تحتل المشاركة فيها والمضادة ، من قول القائل : إنه حي وعالم وقادر وسميع وبصير . وهذه النعوت كلها نعوت خلق الله الذي خلقه ، ولا يستحق أن تكون نعناً له سبحانه لأننا إذا قلنا إنه حي أو جبار أو مشارك الأحياء له في الحياة ، وهذه شركة له ، ثم إن ضد الحياة هو الموت وذلك مضادة ، وعلى هذه السبيل مجرى النعوت التي أوردناها ، من العالم والقادر . فالدائن بذلك مشرك الشرك الخفي » . (المجالس المؤيدية ، المجلس 79 من المائة الرابعة) .

أنظر هذه المسألة مفصلة في كتاب راحة للعقل للكرماني : السور الثاني ص 37-56 . والينابيع للسجستاني ص 15 وما بعدها . والمجالس المؤيدية الرابعة م 79 وما بعده .

(2) كذا بالأصل ، وهي قراءة صالحة . وقد تكون : نقل عنه .

قالوا : لا .

قال : فكذلك مَنْ علمتُ أنا منه ما أكره . لم ينبغ لي إنْ عفوتُ عنه أنْ نُوردهُ على الله عزّ وجلّ حتّى نرى أنّه يستحقّ ذلك . فحَسِّنُوا أحوالكم ، وزكُّوا أنفسكم بأعمالكم ، وطهِّروها من الدَّنَس ، وأطْلِقُوهَا عن اللَّبَس ، تستحقُّوا ما تَسْأَلُونَ إنْ شاء الله تعالى .

حديث في الشفاعة :

44 - (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوما يوصي جماعة/ من أوليائه في بعض مجالسه لهم وَيُعَاتِبُهُمْ على التقصير بأنفسهم عما يَسْتَحِقُّ به شرفُ الدين . ثمّ إنّه عليه السلام قال لهم بعقب ذلك : إنَّما نحبُّ لكم أنْ تنزِّلوا منازلَ الكرامة بأعمالكمُ الزَّكِيَّةِ وأفعالكمُ الرُّضِيَّةِ . فأَمَّا استنقاذكم من الهُلَكَةِ ما اعتقدتُمْ ولايَتَنَتَا . فنحن لكم لذلك إن شاء الله تعالى . سمعت المنصور بالله (صلع) يقول : إذا لَمْ أَدْخِلْ يدي ها هنا - وأومأ إلى إبطه - في خلاص من ظلم نفسه ممن قولاني ، فماذا أَسْتَحِقُّ الفضل ؟

وهذا يشبه قول جعفر الصادق صلوات الله عليه لبعض أوليائه : أَعِينُونَا على ما نُريدُه من الخير لكم بالأعمالِ الصَّالِحَةِ ! واللّهِ إنَّكم / كلَّكم لفي الجنَّة ولكن ما أَقْبَحَ بالرجل منكم أن يكونَ فيها مع قومٍ نزلوها بصالح أعمالهم ، وهو فيها بينهم مكشوفُ السِّتْرِ بادي العَوْرَةِ بما سلف من زلَّاتِهِ ، معروفٌ بذلك ، وإنْ غُفِرَتْ لَهُ .

حديث في قلّة الثقات :

45 - (قال) وسمعت عليه السلام يوما يقول : لو وجدتُ عشرةً على ما أحبُّ ، لبلغتُ بهم ما أريد .

فقلت : أفَلَمْ يَعْلَمْ أمير المؤمنين عليه السلام أنْ ذلك لم يكمل لرسول الله (صلع) ولا لوصيته عليّ (صلع) ، ولا وَجَدَاهُ ؟

فقال : هو كذلك ، ولكنني رجوت أن أبلغ من ذلك ما لم يبلغه وأجد ما لم يجده ، لأن الله عز وجل بحمده قد مكنتني وجمع عندي / من الدنيا والآخرة ما لم يجمعه لمن تقدم من سلفي .

قلت : يبلغ الله مولانا أملة وسؤله إن شاء الله تعالى .

قال : ما شاء الله تعالى .

رمز في مثله :

46 — (قال) وسمعت صلوات الله عليه يقول : اليتيم من لا وصي له ، فأما إذا كان له وصي فهو يقوم مقام الأب وليس يقال له حينئذ يتيماً .

وهذا فيه رمز يفهمه من منحه الفهم . فأما ظاهر قول الله عز وجل «وَابْتَئُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ الْآيَةَ (1)» فإنه يقع على من عليه وصي وعلى من ليس له وصي ، ممن مات أبوه وخلفه طفلاً .

رمز أيضا في مجلس :

47 — (قال) وسمعت صلوات الله عليه يقول : سمعت المنصور صلوات الله عليه يقول : حضرت مائدة المهدي عليه السلام ، ومعني من ولده وولد ولده من ولده (2) القائم أبي . صبيان جماعة ، وجارية واقفة بالماء على المائدة . فقالت لأحد هيم : أتريد الماء ؟

قال : لا .

فغضب المهدي (صلع) لذلك غضبا شديدا ، وقال : لولا حرمة الطعام لعاقبتكم جميعاً عقوبة شديدة ! وقال للجارية : ما حملك على أن تعرضي الماء عليه ولم يَسْتَسْقِلْ ؟ وقال للصبي : وما عليك أن تشرب شيئا وإن لم يكن لك حاجة ؟ الماء أكرم وأشرف من أن يعرض على من لم يسأله وأن يعرض على أحد فيردّه .

(1) النساء ، 6 .

(2) في تكرار عبارة « ولده » غموض . ونفهم أن الصبيان فيهم أولاد المهدي وأحفاده من ابنه القائم دون أن يكونوا أشقاء للمنصور .

قال المنصور بالله / عليه السلام : فلم أعلم معنى ذلك يومئذ لما كنت عليه من الحداثة وصغر السن .

وهذا أيضا فيه رمز أولياء الله ، فظاھر قائم بنفسه قوي الدلالة .

كلام في فضل المؤمن :

48 — (قال) وسمعت المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يذكر فضل المسجد وما ينبغي من توقيره ، وذلك بعقيب كلام عن رجل ذكر له أنه كان فيما مضى من الزمان دخل المسجد راكباً على دابته ، ففتح فعله واستعظم ما جاء منه وذكر ما ينبغي من تعظيم المسجد وفضله . ثم قال : والمؤمن أفضل منه وأشرف حالاً .

وهذا يشبه قول جدّه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله لما نظر إلى الكعبة/ البيت الحرام فقال : والله إنك لعظيمة عند الله وإنّي لأعلم من هو أعظم منك عنده . فقل : ومن ذلك يا رسول الله ؟ قال : المؤمن ، لأن الله عز وجل حرّم ماله وعيرضه وأن يظنّ به سوء (1) .

وصيّة موجزة :

49 — (قال) وسأله صلى الله عليه وآله بعض الأولياء فقال : يا مولانا ، علمنا عملاً يكون لنا به الفوز عند الله وعندك .

فقال عليه السلام : والله ما بذلك من خفاء لنظر أحدكم : ما أحبه واستحسنه لنفسه ولولّده ، فليفعله لنا ، فبذلك يفوز عند الله عز وجل وعندنا .

حديث في فضل الأئمة صلوات الله عليهم جرى في مجلس :

50 — (قال) وسمعت صلوات الله عليه / وآله يقول : من سعيّد منكم فإنما سعيّد بنا .

(1) ابن ماجه ، 1297/2 (رقم 3932) .

وهذا قول موجز يقتضي كلاما كثيرا :

منه أن السعادة من الله عز وجل لعباده إنما أجراها على أيدي أوليائه ، فيهم سعيد من سعيد .

ومنه أن السعادة لا تكون إلا لمن عرفتهم ودان بإمامتهم فلولاهم لم يسعد السعيد .

ومنها أن من سعيد فإتسا سعد بما أنالوه . ويتصرف ذلك كذلك على وجوه كثيرة .

حديث في مجلس ، فيه أدب ووصية :

51 — (قال) وحضرت يوما مجلسه صلوات الله عليه، وعنده جماعة من وجوه الأولياء ، فدُكر لأحدِهِم سعايةٌ سَعَى به فيها إلى المنصور صلوات الله عليه بعض رجاله ممن كان يختلف / إلى محله ويغشي مجلسه كاد أن يُحِلَّ به فيها المكروه ، وذكر قول الذي سعى به وما نُسِبَ منه إليه . فحلف الرجلُ بالله وبما أكَّد اليمينَ به ما كان كما قال القائل ، ووصف القصة والكلام كيف كان ، وكيف حَرَفَ الساعي به القولَ عليه . فقال بعضُ من حضر من الأولياء : يستحق هذا وأكثر منه . وهذا جزاء من ترك قصر مولاه وعمر مجالس الناس وسعى لإيهم واختلف إلى أبوابهم .

فقال المعز عليه السلام : نعم ، هذا جزاؤه وأشر (1) منه ، والله ما أخرجناكم إلى غيرنا ولا جعلنا عليكم يداً غير أيدينا ولا اضطررناكم إلى اتخاذ وليجة (2) دوننا وما / أردنا بذلك إلا إعزازكم وإكرامكم ، وليثلاً ينال مثل هذا منكم ، فأبَيْتُمْ إلا وضع أنفسكم وانتقاصها . فمن رغب عما ارتضى نساءه له واختار خلافة نفسه فلم يُلَمِّمْ في مكروه ، إن نزل به من أجل ذلك غيره . قد كفاكم الله عندنا ما كان يتوقعه من مضى قبلكم عند غيرنا من أذى قريب أو بعيد . والله ما يضر أحدنا عندنا إلا نفسه ولا يضعه إلا ذنبه ولا يرفعه إلا عمله . تحروا رضانا

(1) كذا في الأصل .

(2) الوليجة : البطانة، وخاصة الخلطة .

ولا تباؤوا من يسخط : فوالله ما يرضينا إلا ما يرضي الله عنكم ولا تروؤا أحدا ينفعكم ولا يضركم غيرنا ، لا يرجو أحد منكم غير فضلنا عندنا بحسن نيته وعليه ولا يخاف إلا ما جناه / على نفسه .

وهذا القول يشبه قول جدّه عليّ عليه السلام : أربعة " لو شُدَّتِ المطايا لَلْيَهِنِّ " حتّى يُنْضَيْنَ " كان قليلا : لا يخاف أحد " إلا ذنبه ، ولا يرجو إلا ربّه ، ولا يستحيي الجاهل أن يتعلّم ولا العالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم (1) .

(1) نهج البلاغة ج 2 ص 324 عدد 79 ، مع اختلاف في المتن .

الجزء الرابع

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

حديث جرى في مجلس في ذكر رؤيا رآها المنصور صلوات الله عليه :

52 — قال القاضي النعمان : كنت جالسا بين يدي المعزّ صلوات الله عليه ، فذكر أمر الفتنة وما كان من عظيم المحنة فيها ، وما حلّ بالناس في ذلك وما كشفه الله عنهم جل وعزّ بالمنصور (صلع) من ذلك واستنقذهم / على يديه منه . فقال عليه السلام : لقد أخبرنا المنصور عليه السلام قبل ذلك برؤيا رآها ما غادرت شيئا كان في ذلك . قال : رأيتُ آتيا أتاني وفي يده ورق كبير فنشره بين يديّ وقال لي : انظر إلى هذا ، فنظرتُ ، فإذا فيه دوائر كثيرة ، فقلت : قد رأيتُ هذه الدوائر فما هي ؟ قال : هذه مملكتكم . فجعلتُ أنظرُ إليها ، فإني لأنظرُ كذلك إذ نظرتُ إلى سواد غشي بعضُها وجعل يمتدُّ فيها ذلك السوادُ ويغشى منها شيئا بعد شيء حتى سترها كلّها غيرَ واحدة كانت أقربهنّ إليّ ، فارتعبتُ لذلك وقلت : إذا كانت هذه مملكتنا وقد غشيها هذا / السواد فما ذلك لخير . فقال لي ذلك الرجل : ضع أصبعك على ما غشاهُ هذا السوادُ منها أولا فأولاً ، ففعلتُ ، فما وضعتُ أصبعي على شيء منها إلاّ انجلى عنه ذلك السوادُ وعادت على حسب ما كانت ، حتى أتيتُ عليها كلّها ، وذهب ذلك السواد عن جميعها . ثمّ انتبّهتُ .

(قال) فكذلك كان الأمر : لم يَطأ المنصور عليه السلام أرضاً في طلب اللعين مخلد (1) وأصحابه إلا أنخرجهم منها فلم يعودوا بعد ذلك إليها ، ثم أمكن الله من الفاسق وطهر الأرض من رجسِهِ .

حديث في مجلس في ذكر ذي الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله :

53 — (قال) وجلست / يوما بين يديه مع جماعة من أوليائه فدَكَرَ ذا الفقار سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أمر بإخراجه إلينا، فنظرتُ إليه فإذا هو حديدٌ كُلُّهُ قطعةٌ واحدة، قائمُهُ وبدَنُهُ ، يكون طوله قدرَ ثلاثة أشبارٍ فيما قدرته، وعرضُهُ أقلُّ من عرض ثلاثة أصابعٍ، وعرضُهُ ممَّا يلي قائمَهُ أقلُّ قليلا من عرض مضرِهِ ، وذُبَابُهُ حديدٌ كحديد الرُّمَح ، يصلح للضرب والطعن ، وله شفرتان ، وفي وسطه عَمُودٌ ، وخَفِيَّ (2) .

قال المعزّ عليه السلام : كان بنو العباس قد غلبونا عليه فردّه الله إلينا ، وذلك أنّه لما قُتل جعفر المتّسّمِي بالمقتدر (3) وانتُهب قصره ، كان فيمن شهيد ذلك بعضُ أوليائنا ، / فنظرَ إلى امرأةٍ من حرَم جعفر وقد كُشِفَتْ وهي تقول : ألا رجلٌ حرٌّ يسترُّني حتّى يوصلني إلى مكان كذا وكذا ؟ فرقَ لها ذلك الرجل وستَرها، وقال لها : سيري بين يديّ أبْلَغُكَ ، فقالت : والله ما عندي ما أجزيك به ، ولكن ادخلْ هذا البيتَ ، ففيه صندوق — وأرثُهُ مكانَهُ — فيه ذو الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله . فأخذَهُ ومضى بها إلى حيث سألتُهُ . وأصاره الله إلينا بحمده ونعمته .

ثمّ قال المعزّ عليه السلام : سمعت المنصور عليه السلام وقدّسَ روحه يقول ، وكان قد تقلّده عند خروجه لقتال مخلد اللعين ، ولم يكن يفارقه : ماضاق / عليّ أمرٌ في موقفٍ من مواقف القتالِ فانتَضَيْتُهُ إلا أنهزَمَ العدو من بين يديّ حين انتَضَيْتُهُ . فقال جماعة ممّن حضر المجلس ممّن كان شهيد مع المنصور عليه السلام : والله

(1) أبو يزيد صاحب الحمار مخلد بن كيداد .
(2) أي : وقد خفي . ولعله يعني : انطمس هذا المبرود بطول الاستعمال .
(3) المقتدر هو الثاني عشر من خلفاء بني العباس ، قتل سنة 908/295 .

لقد رأيناه يوم الخصوص (1) وكان يوما شديدا، وقد أخذ العدو علينا مضايقة الجبال / التي / أحاطت بنا وأحدقوا بنا من كل جانب، وهو بيننا صلى الله عليه وآله يقدر منا وهذا السيف في يده قد انتصاه، فإذا رفع يده به وحمل على ناحية من نواحي العدو انهزموا بين يديه كأنما غشيتهم صاعقة من السماء، ولم يصل إليهم حتى فرجها (2) .

حديث في مجلس في لعن بني أمية :

54 - (قال) وسمعت / صلوات الله عليه يقول : ذكر لي هذا الرسول القادم من بني أمية يسأل السلم في بعض ما ذكر عن عبد الرحمان اللعين (3) أنه قال يعنيننا : كيف جاز له أن يلعننا ونحن مسلمون ؟ فلن كان أبائنا قد لعنهم رسول الله صلى الله عليه وآله كما قال ، فما ذنبنا نحن ؟ وما الذي أوجب لعننا ؟

(1) يوم الخصوص : اسم وقعة من وقائع الفتنة في آخر أيامها ، ولم يذكر عند المؤرخين بهذا الاسم . وقد دارت في جبال كيانة شمالي الزاب حيث اعتصم أبو يزيد في آخر أيامه ، يقول ابن حماد :

«ورحل وراءه المنصور لإسماعيل يوم الجمعة غرة رمضان سنة 335 هـ فنزل بموضع يعرف بالناطور - وهو موضع معروف بأروسن من جنات القلعة - محاصرا لأبي يزيد ، ثم سعد يوم السبت الثاني من رمضان إلى جبل كيانة وصعد في وعرب بين صخور ومشى فيها راجلا في أماكن كثيرة ، فكانت بينه وبين أبي يزيد وقعة عظيمة تعرف بوقعة الحريق ، وأحرق فيها إسماعيل أخصاصا كثيرة لأصحاب أبي يزيد » (أخبار ملوك بني عبيد ، 31 - والترجمة الفرنسية 51 الحاشية 1 ففيها محاولة لتعريف الموقع) . ويقول المقرئ في ك. المقفى ورقة 192 ط :

«... ورحل المنصور من المسيلة في يوم الجمعة غرة شهر رمضان (سنة 335) حتى نزل على ستة أميال من أبي يزيد ، وركب في يوم السبت بمساركة فسلط طريقا صعبة في جبال شامخة وأودية ضيقة وترجل عن دابته في بعض تلك الأوعار ومشى راجلا نحو ثلاثمائة خطوة ، ثم ركب وسار حتى أشرف على أخبية أبي يزيد وخصومه ، وهو يربق الناس للقتال في ذلك الوعر ، وبأمرهم بتقوى الله والامضاء على أعداء الله وينهاهم عن النهب .

وانتشب القتال فكانت بينهم حرب شديدة ، وقصد المنصور أبا يزيد بنفسه فلما رآه ولي منهزما على عادته ، وأسلم أخيبته وخصومه ، فأمر المنصور بإلقاء النار فيها ... »

ويذكر الحميري في الروض المطار ، ص 504 ، أن جبل كيانة بمقربة من المسيلة في البلاد الإفريقية ، وهي جبال شاهقة ضيقة المسالك لا يستطيع الوصول إلى من فيها .

والخص بالفهم جمع أخصاص وخصوص : البيت من القصب أو الشجر .

(2) للسيف ذي الفقار شأن كبير عند الشيعة ، حتى أنهم كانوا ينشدون في القتال :

« لا سيف إلا ذو الفقار ر ولا فتى إلا علي »

وربما فقتلوا هذا البيت على حديد السيوف تيمنا بسيف الرسول (صلع) . هذا وقد أشاد ابن هانئ كثيرا بهذا السيف (القصيد 41 بيت 74) :

« سماء جدك ذا الفقار وإنما سماء من عاديت ، عزرائلا »

ونستشف شيئا من « كرامة » ذي الفقار في هذا العرض لاحدى الوقائع التي دارت بين المنصور وأبي يزيد حول القيروان سنة 335 :

«... فأقبل أبو يزيد في جماعة يريد المنصور ، فحمل عليهم المنصور مشهرا سيفه ذا الفقار ، وأراد الصقلي أن يلقي المظلة عن رأسه ليخفي موضعه ، فزجره ونهره وقال : لا تجزع ، فإن الله وعدا لا يخلفه . وأقبل نحو أبي يزيد حتى كاد أن يضم سيفه في رأسه . وألقى الله الرعب في قلب أبي يزيد فولى هاربا مع أصحابه ... » (المقرئ في ك. المقفى و190 ب) .

(3) يعني عبد الرحمان الناصر .

ثم قال المعز صلوات الله عليه : أسمعتم أجهل من هذا الشقي ؟ كأنه لم يسمع قول الله عز وجل : « أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (1) » وهو أحدُهم ؟ وقوله : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَمَا آتَاهُمْ مِنْهُمْ (2) » . وهو يتولى — لا يدفعُ ذلك — جدُّه طريدي رسول الله (صلع) ولعِينَيْه (3) ، وقول الله عز وجل : « وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ (4) » ، و[قول] أئمتِّه في الدين الذين يَروِي عنهم ويأخذُ / بقولِهِمْ أنَّ الشجرة هنا بنو أمية ، والشجرة لا يقع عليها اسم شجرة إلا مع أغصانها وفروعها ولا يسمى الأصل وحده شجرة . وقول علي بن أبي طالب (صلع) يشدُّ هذا القول ، ولم يقله إلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنه قال : مَا مِنْ قَوْمٍ إِلَّا وفيهم نجيب أو ناج خلا بني أمية فإنه لا يكون منهم نجيب ولا ناج (5) .

55 — (قال) وجلس يوما عليه السلام وجلسنا جماعة من الأولياء بين يديه ، فحدثنا وأفادنا فوائد من العلم والحكمة شكرنا له عليها وقبلنا الأرض بين يديه لما سمعناها منه .

فقال : إنني لأحبُّ أن تراجعوني فيما تسمعون ، وتذكرون من ذلك ما تشكون فيه / ويشكل عليكم فأوضحه لكم ، ولا تأخذوا / ذلك على التسليم وتلقوه بالقبول ، وأنتم ترون أنه يدخل فيه لقائل مقال ، أو يختلج في قلوبكم منه شيء ، فإن ذلك إذا راجعتمونا فيه أبناه وزدناكم من القول قد رما فيه . فمن عرض له ذلك فليذكر ما عرض له ، ولا يُقيم على الشبهة فإنما نسمح لأوليائنا بالمزيد من فضل الله عندنا ونرغب في ذهاب الشكوك عنهم وإزالة الشبهات عن قلوبهم . ومن ثبت ذلك في قلبه وقيلته نفسه فليحمد الله عليه ، ثم إن أحب أن يسأل عن الحجَّة في ذلك على من خالفه ليقهر بها خصمه ويقطع بها مخالفته ويدفع بها عدوه / ، فليفتعل بتجدي عندنا من ذلك ما يريد . قال الله عز وجل : « بَلْ نَقْذِفُ

(1) هود ، 18 .

(2) المائدة ، 51 .

(3) اللعينان — واللن هو الطرد — هما الطريدان اللذان فغاهما الرسول (صلع) عن المدينة : الحكم بن أبي العاص وابنه مروان بن الحكم ، جد بني مروان . وسيمود القاضي النعمان إلى اللعينين في ص 285 .

(4) الاسراء ، 60 .

(5) حديث بني أمية : لم تذكره المصادر الستة ، ولعله حكم من علي كما تشعر به عبارة النعمان .

بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (1) . والله ما لِمَنْ خَالَفَنَا غيرُ الويل في خلافه إِيَّانا !

ثم قال : لقد كان المنصور عليه السلام إذا أفادني شيئا من العلم والحكمة قال لي : قل في هذا ما يعرض لك أنه يدخل فيه . فربما قلت : ما عرض لي فيه شيء ، فيقول : فاسأل عما أشكل عليك منه ، فلا يكون عندي فيه إشكال ، فأقول : ما أشكل عليّ منه شيء . فيقول : قل فيه بما عسى أن ترى أن عدوّنا ومخالفنا يقول ، فإن العلم والحكمة لا يثبتان في القلوب إلا بعد الحجة والمعارضة / . فربما قلت في ذلك فيفتجّر عليّ منه من بحور العلم والحكمة ما لم أكن أؤمّله ويزيدني من الفوائد ما لم أكن أرجوه ويظهر لي في ذلك ما لم أكن أظنّه . فهكذا فافعلوا تأخذوا الحكم وتكثر الفوائد عندكم !

56 - (قال) وسمعت صلوات الله عليه بعدد نعم الله عز وجل عليه ويستقل شكره عليها ، فقال في بعض ما قاله من ذلك : والله لو عبّد الله امرؤ عُمُر الدنيا رَاكِعًا وساجدا لا يفتر ، وذاكرا صائما لا يفطر ، ليقضي بذلك حق شكر شربة ماء سقاه الله عز وجل إياه ، ما قضى ذلك ولا أقلّ منه مما أنعم به عليه . وكيف يقضي ذلك ببذل النفس / المشكور بدلها ، خلقها فسواها ، أو ببذل نعمة هو أفادها وأعطاها ، أو بطاعة وعبادة هو هدى إليها وأولاها وأبداها وقوى علبتها وسدّد وفتح فيها ؟ وكيف يشكر من خلق فسوى ، وبصر فهدى ، وأنعم وأعطي ، وعصّي فعفا ، ومن من المنن بما لا يحصى ، ولا تبلغ نهايته فتستقصي ؟ اللهم لآتي بالعجز أبوء إليك ، وبالتقصير أعترف عندك عن بلوغ شيء من شكرك .

57 - (قال) وأمرني صلوات الله عليه وأدام علوّ أمره بجمع أخبار الدولة في كتاب (2) ، ومناقب بني هاشم ومثالب بني عبد شمس في كتاب (3) ، ففعلتُ وجمعتُ من كل فنّ من هذين الفنّين كتابا / ضمخما جامعا يجتمع على أجزاء كثيرة على ما رتبته لي وأفادني به (4) عليه السلام ، ورفعتهما إليه فاستحسنهما وارتضاهاما

(1) الانبياء ، 18 .

(2) لعله كتاب « افتتاح الدعوة وابتداء الدولة » أو ك . « شرح الأخبار عن الأئمة الأطهار » (رقم 78 من ثبت إيفانوف) .

(3) ثبت إيفانوف تحت عدد 77 بعنوان : ك . المناقب والمثالب ، أو مناقب بني هاشم ومثالب بني أمية .

(4) يدل هذا النص وغيره في هذا الكتاب أن المعز هو الذي يشير على النعمان بمادة كتبه وطريقة تبويبها

واستجاد معناهما وقال عليه السلام : أما أخبار الدولة ومن قام فيها وسعى في إقامتها من الدعاة والمؤمنين ، فإنني أحب أن تُخلد أخبارهم هكذا في الباقين ، ويبقى ذكرهم بالخبر في الغابرين ، ويلحقهم فيه دعاء السامعين ، ويُعرف ذلك لأعقابهم من بعدهم مما أعدّه الله عزّ وجلّ لهم من الكرامة في دار المقام ؛ وهذا مما يجب علينا لهم من الحفظ والحقّ إذ لم يلحقونا فتؤدّي ذلك إليهم .

وأما فضل الآباء ومناقبهم، وضعةُ الأعداء / ومثالبهم، فإنّ ذلك مما ينبغي أن يعرفهُ الأبناءُ والذريّةُ والأولياءُ، ويُبكّت به المخالفون والأعداءُ، ويُنشرَ في الأنام ويبقى على الأيتام ، وإن كانَ فضلُ أهل الفضل وضعةُ أهل الضعة معروفين غير مجهولين وظاهرين غير مستورين ، فقد ألقوا كثيرا من الشبهات واحتالوا بصنوف من الاحتيالات، وهم في ذلك كما قال الله عزّ وجلّ : « يُريدُونَ أَيْطَفِثُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (1) » .

58 — (قال) وسمعتَه صلوات الله عليه يقول : والله إنّنا لنُحبّ من الخير للناس كافّةً ما عسى أنهم لا يحبّونه لأنفسهم ، إنّنا والله ما نريدُ لهم إلاّ سعادتهم ورضاء ربّهم عنهم فإنّ الهوى / ليميلُ بهم إلى خلاف ذلك، وإنّا لندعوهم إلى الله وإن صدّوا عن السبيل ، ونقومهم وإن آثروا الميلَ ، ولو أطاعونا لأكلوا من قوتهم ومن تحت أرجلهم وللبغوا رضاء ربّهم . والله ما رغب عنّا من رغب بنفسه إلاّ استنكافاً عن أن نهديّه ، كأن لم يسمّعوا قول الله عزّ وجلّ لمحمد صلى الله عليه وآله : « إنّما أنت مُنذِرٌ ولكلّ قومٍ هادٍ (2) » . فنحن والله هُداةٌ لهم ، في كلّ عصرٍ منا هادٍ لمن كان في عصره منهم ، والله / نحن / أعلامُ الحقّ ونحن هداةُ الخلق « فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ (3) » . إنّما أراد القوم أن يكونوا أئمةً أنفسهم وألّا تكون لهم واسطةٌ فيما بينهم / وبين ربّهم . قال الله أصدّقُ القائلين : « فَمَّا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِيرَةِ مُعْرِضِينَ ؟ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ، بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّنشَرَةً (4) » .

(1) الصف ، 8 .

(2) الرعد ، 7 .

(3) الكهف ، 29 .

(4) المائدة ، 49-52 .

(قال) وسمعت صلوات الله عليه يُثنى على بعض عبيده ويرتضي خدمته وأمانته ونصيحته وطريقته بما هو أهلُّه ، ثم قال : /والله ما يفوقه الولدُ عندي حتى يبلغ مبلغ التفضيل ، وما لمن أحسنَ عندنا إلاّ هذا وما هو أكثرُ منه . .

59 — (قال) وسمعتُ عليه السلام وقد ذكر أيامَ الفتنة وما نَقَمَهُ أهلُها فقال : أكثرُ ما نَقَمُوا علينا والله فعلُ من / آثرناه بسُلطاننا ورجوناَه للقبولِ عنا ولزومِ أمرنا ، فتعدّى ولم يقبَل كما لم يقبَل خالدُ بن الوليد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله فبرىء إلى الله منه (1) ، ولم يلحقه (صلح) ذمٌ ما فعله .

ولقد سمعت القائم بأمر الله (صلح) يقول لرجاله من كتامة أيام الفتنة : والله ما أعلم لي ذنبا يوجب قيام هؤلاء عليّ ولا ما نصّبوه لي من الحرب ، والله ما نَقَمُوا عليّ إلاّ ما نَقَموه على بعضكم ممّن تعدّى أمرى وارتكبَ نهْيي بما أنا أولى بالنظر فيه منهم وأرادوا منّي إسلام مُحسنكم ومُسيئكم إليهم وتحكيمهم فيكم . ولو وجدوا / ذلك عندي — ومعاذَ الله أن يجدوه ١ — لكانوا أطوعَ الناس لي . وإنّ أكثرَ ما نَقَمُوا عليكم لفيه رضاءُ الله عنكم . وإن كان في ذلك بعضُ الشرِّ فلن يذهبَ اللهُ خيركم بشرِّكم ، بل أنتم أقربُ إلى عفوه عنكم وإظهاركم على عدوكم ، وما هذه الفتنة إلاّ محنةٌ وتمحيصٌ لكم .

60 — (قال) وسمعت صلوات الله عليه يقول : إنّا لنحسن إلى الوليّ جهداً ونصفحُ عن العدو ما لم ينصبْ لحربنا ، ونقتني الشريف والمشروف ، ونعتدُّ بالقوي وبالضعيف ، فربّما عاد العدو لنا ولياً ، والضعيفُ في نُصرتنا قويّاً ، والوضعيع شريفاً ، والخائن عفيفاً ، ولو عاجلناهم بالعقوبة لما أدركناهم عند الحاجة / ولكلّ في كلّ حال موضعٌ يحتاجُ إليه فيه بشدّة . إنّ السفينةَ في البحر ربّما احتاجتْ إلى أدنى حاجةٍ صغيرةٍ فلا يوجد لها فتعطبُ من أجل عجزها عن دثّها ، وإنّ الفرسَ الجوادَ ليعدمُ أقلّ أداةٍ من أدوات ركوبه ، فلا يمكن ركوبه ، وإنّ الجدار لا يقومُ بناؤه إلاّ بالكبار من الحجارة والصغار ، ولكلّ امرئٍ من الناس ، صغُر أو كبر ، شرف أو اتضع ، عندنا — إذا أخلص نيّته — موضعٌ نُصيره إليه ، ونرفعه ، إذا ارتضيّناه ، منه إلى غيره ، حتّى

(1) إشارة إلى حادثة بني جذيمة ، فقد قتل منهم خالد « من لم يجز له قتله » فقال النبي (ص) : اللهم إني أبرأ لك مما صنع خالد . (أسد الغابة ج 2 ، عدد 2399) .

نُلْحَقَهُ ، ما لم يَضَعْ نَفْسَهُ ، بأعلى درجات أَمْنَالِهِ ، ونوصلَهُ من الفضل ما لم يخطر قطُّ
بِأَلِهِ ، / وما يضع النَّاسَ عِنْدَنَا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ، ولو أَحْسَنُوا إِلَيْهَا لرفعناهم كُلَّهُمْ .

كلام جرى في مجلس في ذمّ الاحتيال بالباطل :

61 - (قال) وسمعتَه صلوات الله عليه يقول : إني لربّما نظرتُ إلى بعض
من يريد أن يستدير عليّ بالحيلة فيما يرفعه إليّ ويقولُهُ لي ، فلا يَسْعُنِي جوابُهُ
فأسكُتُ عنه تعجبًا من سوء رأيه . إنّه يرى أنّ الذي جاء به واستدار بسببه
يجوز عليّ له فأعجب من مُصيبيته في نفسه وسوء اختياره لها فيما يرضاهَا
له و/يَقْصِدُ إليه . ولو آثر النَّاسَ عِنْدَنَا الصدقَ وقصدوا قصدَ الحقِّ لبلَغُوا ما
يريدونه ولم يَضَعُوا أَنْفُسَهُمْ عِنْدَنَا بِالْحَيْلِ / والاستدارات وقيموها مقام الخسارات .

62 - (قال) وسمعتَه صلوات الله عليه يقول : إني لربّما أقول القولَ يرى
بعضُ من يسمعه منّي أنّي أردتُ به الهزل أو خلافَ ما أردت بذلك القولَ . وإنّما
أخاطِبُ كثيرًا ممن أخاطِبُهُ استخبارًا له ، واستخراجًا لما عنده ، وامتحانًا
لأحواله ؛ وليس من قولنا ، بحمد الله ، هزل ولا تَغْوُ ولا باطلٌ ولا عبثٌ ، بل كُلُّهُ
حكمة وصوابٌ لمن تدبّره ووفقه الله لفهمه وقبوله .

كلام جرى في مجلس في اشتغال الأئمة عليهم السلام في صلاح الأمة :

63 - (قال) وسمعتَه صلوات الله عليه يقول : للناس شغل بدنياهم وما يتلذّذون
به منها ، وشغلنا / إقامة أودِهم وصلاح أحوالهم والنظر فيما يعودُ عليهم ويحمي
حماهم ويدفع عن بَيُضَتِهِمْ ، ويحقن دماءَهم ويحصّن حريمَهم وأموالَهم ويكفّ
أيدي المتطاولين إليهم : بذلك نقطع ليلنا ونهارنا ، وهم عن ذلك بمعزل ، ومنه في
غفلة بما هم فيه متشاغلون . فمتى أردنا منهم أمرا لا بدّ لنا منه رفعُوا رؤوسَهم كما
ترفعُ الغنمُ رؤوسَها عند زجرة الراعي من مرعاها ، وتكلّم المتكلّم منهم بما لا
يَعْنِيهِ ، وأنكرَ الجاهلُ منهم بما لا يدريه . فالله المستعانُ على ما قلّدناه من أمورهم
وافترضه علينا من القيام بأسبابهم ، ونرغب إليه في إصلاحهم وهدايتِهِمْ إلى ما فيه
حظُّهم ونجاتُهم في دنياهم / وأخرائِهِمْ .

كلام جرى في مجلس في الانتفاع بالوعظ :

64 - (وقال) وجلست يوماً بين يدي الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه، وكان يوم الجمعة وقد تهيأ للخروج ليصلي بالناس، وقرب الوقت فقبل له : إن المسجد قد غصّ بالناس وما حوله واحتفلوا احتفالاً عظيماً، فقال : ما كان أحسن ذلك لو كان عن نية صادقة وضمان خالصة وقبول للمواعظ وعمل بما يؤمرون ! ولكن أكثرهم إنما يحضر ليرانا ويسمع ما نقول، ثم لا يعبأ بذلك ولا ينفع به ، والله لولا إقامة الفرض وإحياء ما دثر من السنن ما خرجت إليهم ولا خطبت عليهم .

قلت / : وفي نظرهم إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه واستماعهم فضل، وثواب لهم يكون أمير المؤمنين سببه ، فيجتمع له ثواب ذلك إلى ثواب إقامة فرض الله وإحياء سنة جدّه رسول الله (صلع) .

فقال عليه السلام : ذلك لو اعتقدوا ذلك النظر والسماع لله . ولكنهم لا يعتقدون ذلك وإنما ينظرون لهنّوا ويسمعون سهواً ويرجعون أصفاراً كما جاؤوا .

كلام جرى في مجلس في أحوال الأئمة صلوات الله عليهم :

65 - (قال) وسمعت صلوات الله عليه يقول في هذا المجلس وقد ذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وما عامل به الناس من القصد للحق وترك المداينة فيه / وطرح التستر فيما بينه وبينهم أو مداراة أحد منهم، فقال : كان ذلك ممّا قوى أسباب اللعين معاوية ونزع بأكثر من طلب شيئا من الدنيا أو خاف، عاقبة من عاقبها إليه ، لأنّ عليّاً (صلع) لم يكن لأحد عنده في الحقّ هداة ولا في إقامته عليه رخصة قولاً وفعلاً ونيةً ومباينةً، لا يرجع عن أحد في ذلك ولا يداريه ولا يسايره فيه ، إن عثر لم يقلبه عثرته ، وإن زلّ لم يحتمل له زلّته ، يقرع من عتب عليّه ، ويصدع قولاً بالحقّ من خالف شيئاً منه ، ولا يداهينّه ولا يسايره فيه ولا يدع له مثقال حبة فما فوقه (1) إن وجب / عليه . تتبّع ما أباحه في غير وجهه عثمان وتغافل

(1) قد مر الحديث عن صرامة علي بن أبي طالب . انظر ص 93 .

عنه قبله الشيخان ، وأخذ ذلك من يسدي من كان في يديه . فلحق بمعاوية كثير ممن خافه لذلك ، ممن لم يصل إليه ، وكثير ممن عنقه وأسمعه ما كرهه فيما آتاه واقرفته ، وتخلّف عنه رؤساء القبائل ووجوه العشائر ، فكّم من شريف عند نفسه منهم وّضعه بما أسنعه ، حتى لقد كان الحسن والحسين عليهما السلام ربّما استعظقا من يسمعه ويحرمه ويغربه ، بالقول الجميل والعطاء ، وربّما ذكرا له موقع ذلك من الناس وسألاه الرّفق بهم ، فبجّهتم لهما ويقول : لولا أنكما من رسول الله صلّى / الله عليه وآله بالمنزلة التي أنما منه ، لقلت لكما في هذا قولاً عظيماً . فكان (صلح) من الشدّة والصرامة في ذات الله مرّاً لمن ابتغى سوى ذلك منه ، مجبولاً على ذلك مفطوراً عليه ، ليس له فيه حيلة ولا له عنه معدل ولا يجِد لهما سواه احتمالاً .

66 - (قال) وكانت فاطمة عليها السلام كذلك ، ولذلك ما كان يجري بينهما من الاختلاف في بعض الأحوال ، ولما كان كل واحد منهما يرى نفسه عليه من الفضل ، فلا يرجع إلى الآخر .

وذلك حملها على أن خرجت على أبي بكر لما منعها فدكا وأسمعتهم ما سمعته ولم تحتمله صبرا حتى شفت غيظها وفرجت / بث صدرها وصدعت بالحق من اضطهدا واستأثر بحقها (1) .

(قال) وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله من الصبر على ما يؤتى إليه والاحتمال لا يُنال منه ، وتألّف القلوب والإغضاء عن الذنوب وتحمل المكروه بحسب ما صفة الله عز وجل إذ يقول : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » (2) وكقوله : فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ » (3) .

(فذك : واحة قرب المدينة امتلكها الرسول (صلح) صلحا سنة 6 للهجرة ، فجعل غلتها لأبناء السبيل (عند السنة) وللوي القربى (عند الشيعة) . فلذلك طالبت بها فاطمة في ميراث أبيها ، فمنعها أبو بكر اعتمادا على الحديث : « نحن معشر الانبياء لا نورث ، ما تركناه ، صدقة » . ففضبت فاطمة ولم تكلّمه إلى أن ماتت ، وساندها علي ، فلم يبايع أبا بكر إلا بعد وفاة فاطمة (انظر : دعائم الإسلام ج 1 / ص 393 ، رقم 1543 . وكذلك فصل « فذك » بدائرة المعارف الاسلامية) .

القلم ، 4 .

آل عمران ، 159 .

ومثل هذا من الغلظة في ذات الله واللين فيه قد كان في أنبيائه المرسلين ورسوله المصطفين . وقد كان موسى عليه السلام قوياً شديداً / غليظاً في ذات الله . وكان عيسى عليه السلام رؤوفاً رحيماً في ذات الله ، وكلاهما كان على سبيل الهدى من الله ، ولكل ذلك وقتاً وزماناً يُجري الحكمة فيه به . وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله في وقته وعليه السلام في عصره .

(قال) وقد كانت خديجة عليها السلام في الصبر واللين والحلم والأناة على مثل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان الله تعالى قد جعل فيها لنبيه فرجاً وسكناً يرجع إليها إذا أضجره تكذيب المشركين له أو أذأهم إياه ، وأناها ، فيجد عندها / من العزاء وتسهيل ذلك عليه ما يُسَلِّيه عنه .

67 — ثم ذكر عليه السلام في هذا المجلس على نحو هذا الكلام أبا جعفر محمد ابن علي بن الحسين الباقر ، قال : لقد بذل في عصره من نعم الله عنده وأسبغ منها على العباد ما لم يكن مثله فيما تقدمه إذا وافقه ذلك الوقت وساعده العصر ، ثم كان من أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه بعده من التضييق والإمساك أمر عظيم بقدر ما تهيأ في زمانه واتجه في عصره وأوانه .

فقلت : لا جرم أن ذلك أوقع الشيعة من بعده في الاختلاف العظيم واختلفوا / في ولي الأمر من بعده افتراقاً كثيراً (1) .

فقال عليه السلام : في ذلك سعادة المحققين وشقوة المبطلين .

قلت : يا مولاي ، فلو كان أوضح الأمر كما أوضحه أبوه فيه ، وأزال الشبهة عن أوليائه ، وأقام فيهم صاحب الأمر بعده ونص عليه صراحاً ، ألم يكن ذلك أذهب للشبهة وأقطع للاختلاف ؟

(1) يفهم من كلام النعمان أن تكتم جعفر الصادق في التصريح بولي عهده هو الذي أوقع البلبلة ثم الانقسام بين الشيعة . فلذلك نرى المعز يدافع عنه ويبرر التكنم ويفسره بعداوة العباسيين للشيعة ، وقد تبنى القاضي النعمان هذا التفسير في أرجوزته « المختارة » التي نظمها في الاحتجاج للأئمة والدفاع عنهم ، فقال في خصوص تعيين الإمام بعد جعفر الصادق (البيت 1856 وما يليه من طبعة إسماعيل قربان بونوارالا ، مونتريال ، ص 191) :

« واشتدت المحنة بعد جعفر »
« وكان قد أقام بعض ولده »
« فعجل الأمر له في ستر »
« لخوفه عليه من أعدائه »
فانصرف الأمر إلى التستر
مقامه لما رأى من جلده
فلم يكن - قالوا - بذلك يدري
إلا ثقات محض أوليائه ..

وانظر فصل « جعفر الصادق » في دائرة المعارف الإسلامية .

قال : هيهات ! لم يكن ذلك زمان ذلك ، وقد فعل ذلك لمن وثق به : فأما التصريح به وإشهاره ، فلم يكن ذلك يمكنه في وقته ولا يتهيأ له في عصره ، للخوف عليه ، في الإظهار ، والتقية من عدوه . وكان ذلك ابتداء أمر بني العباس / وهم يعلمون كيف ابتزوا ذلك واستلبوه منه ، وسأله من سأله إظهار ذلك في وقت لا يمكنه إظهاره فيه ، فقال : أرايتم لو سألتموني في اليوم عن صاحب الأمر من ولدي ، وقد علمتم - لا تشكّون فيه - أنه أحدهم وأنها لا تكون إلا في العقب ولا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام (1) ، ولم يكن الله عز وجل بعدُ أطلعني على مكان اختياره منهم فأنصبه لما يريني فيه من مخايل الخير ، ما كنت صانعا ؟ وأنا إن سألتموني عن أحدهم فأشرت إليه ، لم أدر [لعل] اختيار الله يكون في غيره . وإن نفيت ذلك عنه لم أدر لعل اختيار الله عز وجل يقع / عليه . فالذي عليكم ، الإمساك والتسليم حتى يختار الله عز وجل لكم ويجعل لكم البركة والخير فيمن يختاره .

وكذلك لو سكت القوم يومئذ عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه ، لما وقعوا في الشبهة . سمعت المنصور عليه السلام يقول لي : والله ما أنا آثرْتُكَ بما آثرْتُكَ به ، بل الله آثرَكَ واختصَّكَ وأعطاك واجتباكَ . والله لو ملكْتُ من الدنيا درهما فما فوقه غير هذا الوجه لما استجِزْتُ أن أخُصَّ به أحدا من ولدي دون أحد . فأما ما أخولني الله من الكرامة واصطفاني به من الإمامة ، فإنما هو متاع عندي وعارية في يدي لانقضاء المدّة وتمام العدة . ثم هو لك / بحكم الله وأمره وإعطائه ، لا عن أمري وحكمي واختصاصي إياك به ، بل «ذلك فضلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» (2) .

فقلت : لقد فتح أمير المؤمنين لنا من هذا ما كان مقفلا وأوضح منه ما كان مشكلا ، مدّ الله لنا في عمره ووفّر حظنا من فضله !

فقال : والله ما نضنّ بما عندنا عنكم ولا نبخل بفضل الله عليكم ، ولكنّا قلّمّا نجد لقينا يقبل مِنّا أو سائلا يسألنا .

(1) يفهم من كلام جعفر الصادق هنا أن انتقال الإمامة من الاخ إلى أخيه ممنوع ، وفي هذا ليس ، إذ أن سبب الخلاف هو تعيينه موسى الكاظم بعد إسماعيل مع وجود ابن إسماعيل ، الإمام السابع عند الاسماعيليين (وانظر تفصيل هذه المسائل في ص 95 تنبيه 1) .

(2) الحديد ، 21 .

فقلت : السؤال عليمٌ يا أميرَ المؤمنين ، وكيف بمعرفة ما ينبغي السؤال عنه ؟ فقال: ليتهم يسألونَ (1) عما لا يجب فكنتا نُجيبُهُم بما يجب! والله ما أنا بضنين فيما عندي على من يستحقُّه ولا بجبارٍ يَتَهَيَّبُ / السائلُ أن يسأله! والله إنني لأرى لعبيدي من القدرِ عندي بما يجب عليهم أن يروِّه لي ، وأتواضع لهم حتى أقول إنني قد سببتُ لهم سببَ الجرأة عليَّ . فقد قيل : أشدَّ الناس جرأةً على الأسود من أدْمَنَ عَلَى قَرَبِهَا وبَقَدَرٍ بَعْدَهَا من الناس تَكُونُ فِي صدورهم هَيْبَتُهَا .

قلت : يقول ذلك من لا تميِّزَ له ولا رأيَ ، وكم من سائس لها قد صرَعَتْه ومزَقَتْ أَشْلَاءَهُ ! بل يجب في الحقيقة أن يكون أهيبُ الناس لها وأخوفُهُم لجانبها من قرب منها .

فقال : والله لقد خدمت القائم بأمر الله صلوات عليه ، وكان يؤثرني من القرب والاختصاص / بما لم يكن يُؤثِّرُ به أحدا من الناس ، ولقد كان على ذلك في صدري من هيبته وجلالته ما لا يكاد أن يكونَ في صدر أحدٍ مثله (2) . والله إنني لأذكر شيئا ما أعلم (3) أني ذكرته قبل وقتي هذا : إنني كنت يوما أمشي خلفه وأنا حديث السن ، فنظرتُ إليه وملأتُ منه عيني فملأتُ صدري هيبته فإني لعل ذلك ، وجعلتُ أنظر إليه مرّةً وإلى السماء مرّةً وأقول في نفسي : هذه — في هذه الأرض (4) — لا حاكمَ عليه فيها ولا سلطانَ إلاَّ الله في سمائه ، وكلّما نزلتُ ذلك في نفسي تزيّدتُ جلالته في عيني وهيبته في صدري ، فإني لعل ذلك ، إلى أن انفتل إليَّ فأخذني وضممني إلى صدره وقال : يا بُنَيَّ ، لا جعلَ الله في صدرك ما في صدرِ مولاك ! يعني ما كان يحاوله (5) من الغموم — فعجبت لذلك وكيف جاء منه بعقب ما جال بقلبي من أمره .

وأما المنصور عليه السلام فقد عليمتم كيف كان تعظيمي إياه وإجلالي له وهيبته في صدري .

(1) في الاصل : يسألوا .

(2) في الاصل : مثله آله وملأت . والكلمتان نقلهما الناسخ سهوا من السطرين المواليين .

(3) في الاصل : ما نعلم .

(4) هذه الاعتراضية تفسر اسم الإشارة : وأعني هذه الأرض .

(5) كذا في الاصل ، وليس له « حاول » هذا المعنى في المعاجم . ولعلها : يعار له ، أو محرفة عن : يحمله .

فقلت : لذلك ما آثر الله به أمير المؤمنين واختصه ، زاده الله وبلّغه نهاية أمله !
ثم حضر وقت الصلاة فقام وصار إلى المسجد ، ورقى المنبر فخطب بخطبة بليغة
جاء فيها بفصول ما سمعنا قبلها مثلها واحتجاج في الإمامة / وإبانة لظلم الظالمين
المتغلّبين .

كلام في مجلس آخر في نحو ذلك :

68 - (قال) وحضرت مجلسه بعد ذلك فجرى ذكر هذه الخطبة واستحسان
من سمعها وإعجابهم بها . فقال صلى الله عليه وآله : لإعجاب الأرواح الشريفة
ومسرّتها بما يُجرّبه الله على ألسنتنا وأيدينا ، واستحسانها لذلك ممّن صار إلى كرامة
الله من آبائنا أكثر ، ونحن بذلك أغبط منّا باستحسان (1) الناس / لها/ وإعجابهم .
ولقد سمعت المنصور بالله صلوات الله عليه يقول لي وقد احتضير : والله ليؤدّ عَنَّا
الله من الخير ويجعل لك من النعمة والغبطة / والمسرّة والصنع وعلو المنزلة والتوفيق
والسعادة بعدي ، ما لم يكن لأحد مثله تقدّمك ، وما أخشى عليك إلاّ الجزع عند
الصدمة بالمضيبة بي وقلة الصبر عند ما يفجؤك من ذلك ، فذلك الذي أخافه أن يدخل
عليك من الغم والشدة من بعدي .

فقلت (2) : فقد كان ويكون من ذلك ما أمّله ووعد به ، والذي تخوّفه من
الجزع قد كنّا نتوقّعه ونتخوّفه على أمير المؤمنين لما نعلّمه من عظيم قدر المنصور
عليه السلام عنده وجليل محلّه من قلبه ، فكان من تأييد الله عزّ وجلّ له وعصمته إيّاه
ما وفقّه / إلى حُسن العزاء وجميل الصبر الذي عزّى به أوليائه (3) .

فقال عليه السلام : أمّا جلالته ، فقد كانت في صدري ، وهيبته في عيني . فوالله
لقد كنت أعظم ذلك حتّى كأنّه ليس عندي من البشر ، وكأنّه ملك من ملائكة
السماء . ولقد كنت أعلم أنّه كذلك كان يرى القائم عليه السلام في عينه ويجدّه
في قلبه ، وما رأيته قطّ ملاً عينه منه ، ولا رأيت القائم عليه السلام فعل ذلك ، وما
كنت أرى كلّ واحد منهما يكلّم الآخر إلاّ وهو مُطّرق .

(1) في الأصل : باستحسانها الناس ...

(2) رجع الكلام إلى القاضي النعمان .

(3) في الأصل : عزم به لأوليائه .

الجزء الخامس

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

كلام جرى في مجلس في فضل المنصور بالله عليه السلام :

69 - قال القاضي النعمان بن محمد : سمعت الإمام المعزّ لدين الله (ص) يقول :
دَخَلْتُ عَلَى الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّيَ فِيهِ وَقَدْ اشْتَدَّ بِهِ ، وَبَيْنَ
يَدَيْهِ الدَّوَاءُ وَقَدْ أَخَذَ صَحِيفَةً لِيَكْتُبَ فِيهَا . وَتَنَاوَلَ الْقَلَمَ فَلَمْ تُثَبِّتْهُ يَدُهُ فَسَقَطَ عَلَى
ثَوْبِهِ فَغَيَّرَهُ مِدَادُهُ . فَلَمَّا رَأَى نِي قَالَ : أَتَدْرِي مَا هَذَا ؟

قلتُ : مَا هُوَ يَا مَوْلَايَ ؟

قال : ظَهَرَ وَاللَّهِ فِي قَلْبِي وَاطَّلَعْتُ نَفْسِي الْآنَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ وَحَقِيقَةِ تَوْحِيدِهِ
وَعُجُوبِ مَلَكُوتِهِ مَا لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّي أَطْلَعُ عَلَى مِثْلِهِ وَلَا أَسْتَطِيعُ ، لَمَّا أَنَا فِيهِ ،
الْلَفْظَ بِهِ . فَدَعَوْتُ بِالدَّوَاءِ لِأَكْتُبَ ذَلِكَ وَأَفِيدَكَ فِيهِ إِيَّاهُ . فَلَمْ أَمْلِكِ الْقَلَمَ .
وَأَخَذَ مَكَانَ الْمِدَادِ فِي ثَوْبِهِ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ وَقَالَ : هَذِهِ مَعْدِرَتِي إِلَيْكَ !

ثمّ قال : وَهَذِهِ بَشْرِي مِنَ اللَّهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ وَمَا يُطْلَعُ أَوْلِيَاءَهُ عَلَيْهِ فِي
حِينَ قَبْضِهِمْ إِلَيْهِ .

قال المعزّ عليه السلام : فَمَا أَدْرِي كَيْفَ فُجِّعْتُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَمَا دَاخَلَنِي لَهُ ، وَلَكِنِّي
تَجَلَّدْتُ وَقُلْتُ : يُبْقِي اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُمَدِّدْ فِي عُمُرِهِ وَيُنَسِّئْ فِي أَجَلِهِ .

فقال : هيهات ! قد والله قُربُ الأجلُ وأزِفُ الوقتُ !
فما كان بأوشك من أن قُبِضَ صلواتُ الله عليه (1) .

كلام في مجلس في فضل المعزّ لدين الله عليه السلام :

70 — (قال) وسمعتُه في هذا المجلس يقول : دفع إليّ المنصورُ بالله عليه السلام / كتاباً بخطّ المهديّ فيه حروف المعجم بخطّ كان الإمامُ قبله يكتب به الدعاة . فقال المنصور بالله (ع) : انقله بخطّك . وقد كان عرّفني معناه . ثمّ قال لي : لمّا أزمع القائم بأمر الله (صلع) على الخروج إلى المغرب جمع ولده وأنا فيهم فقال : أنتم تروّئسي وما أخرجُ عليه من هذه العلة التي تعرض لي وما أخلف مولانا — يعني المهديّ (ع) — فيه من العلة ، ولا أدري ما يكون من أمر الله . وهذا قلمٌ يتوارثه الأئمة يكتبون به أسرارهم ، وبيانه وشرحه تحته يكون عندكم . فما كتبتُ به إليكم عرفتموه وما أردتم ستره كاتبتموني به .

قال المنصور : فقال لي أحد الإخوة سرّاً : هذه / أ ب ت ث عرفناها ، فكيف نكتبُ بذلك ؟ فغمزته وقلتُ له : اسكت ويحك ! وإذا عرفتَ هذه الحروف فماذا بقيَ عليك ؟ (قال) فنظرَ القائمُ إليّ فقال : ما قالَ لك ؟

قلت : شيئاً ذكره يا مولاي ، وطارحته الحديث (2) . وبادر المتكلّم فذكر له ما ذكر لي ، فتغيّر وجه القائم صلّى الله عليه وقال : إنّنا لله على المصيبة بكم ! وانتهرنا وأخرجنا من بين يديه ولم يُمكنني أن أعتذر عنده ولا أضيف ذلك الجهل إلى قائله .

فخرجتُ ، فوقفتُ من وراء الباب فسمعتُه يقول لبعض الأهل : خذي هذا الكتابَ فمن سألَكَ من هؤلاء إيّاه فادفعيه إليه . فسُررت بذلك ، فلَمّا خرج / سألتُها الكتابَ فدفعته إليّ ، وهو عندي إلى اليوم .

قال المعزّ عليه السلام : فأخذتهُ فنسختهُ كما أمر . ثمّ دفع إليّ بعد ذلك خطّاً بقلمٍ يشبه حروفَ ذلك الخطّ فإذا اعتبرتُ لم يُبين عن كلام صحيح ، وقال لي :

(1) انظر وصفا لمرض المنصور في ص 81 ، وكذلك ص 104 .

(2) وطارحته الحديث : لعله يقصد أنه صرف الحديث وجهة أخرى ، فالسياق يدل أنه لم يكشف سر صاحبه .

انظر في هذا واستخرج ! (قال) فأخذتهُ منه فمكثتُ أيتاما أتدبرُهُ لا يفتح لي فيه شيءٌ وأنا من الغمِّ بذلك فيما حال بيني وبين النَّوم والطعامِ والشرابِ . فلأنني لأنظرُ فيه ليلةً إذ هَجَعْتُ هَجْعَةً ، وهو على صدري ، فرأيتُ أبي المنصورَ بالله (صلع) في النوم وقد وقف عليّ ، فقال لي : تَعَاظَمَكَ أمرُ هذا القلمِ ؟

فقلت : أي والله يا مولاي .

فأخذ الكتابَ من / يدي وقرأ منه سطرا وقال : هذه ترجمتهُ . وحفظت ما قرأه . وانتهت في الوقت فكتبْتُ ذلك ثم نزلتُهُ فخرج ما (1) نالني من الحَصْرِ عند استخراجه إلى أن رأيتُ ما رأيتُ ، فأمسكتُ عن ذكر ذلك له أيتاما حتى سألتني عنه : إن لم يكن انفتح لك فيه شيءٌ فجيبني به حتى أفتحَ لك !

قلت : قد فتحتَ لي .

قال : متى ؟ فعرفته الخبرَ على وجهه ، وجئتُهُ بالكتابِ وقرأتهُ عليه ، فضممتني إليه وحلَّ أزراري وقبلَ صفحة عُنقي وبكى ، وقال : قد كنتُ أحببتُ أن أعيشَ لك أكثرَ ممَّا عِشتُ لأفيدَكَ وأزيدَكَ ، ولكن لا رادَ لأمر الله وما سبق في علمه . فكأنما ضربني بسهم في قلبي ، ولم أدر معنى / ذلك حتى كانت المصيبةُ به عن قريب .

وضيعة بالصبر والتجلد :

71 — (قال) وسمعتَه يقول في هذا المجلس : كان فيما أوصاني فيه المنصور بالله عليه السلام عند وفاته أن قال لي : دع عنك ملازمة قبوري والاختلافَ إليهِ ! فإن ذلك يبعث الحزنَ ولا يؤدي إلى غاية من الحزم ، وإنما يفعلُه الجهالُ من الرجال ، فإن لم يكن لك من ذلك بدٌّ فالوقفَةُ بعد المدَّة للترحمِ ، ثم تنصرف بسُرعةٍ . ومن عرف مصير الأرواح لم يلتفت إلى محلِّ الأبدان .

كلام في النجامة ذكر في مجلس :

72 — (قال) وسمعتَه يقول في هذا المجلس : ذكر المنصور بالله (صلع) النجامة وكان بعلمها / ماهرا . فقال لي : والله ما طلبتها وتعلمتها شيء مما يراه

(1) في الاصل : لما .

الناس من القضايا . ولقد واقفتُ في مواقف الحروب التي وَلِيَتْهَا أَيَّامَ الفتنَةِ إلى حين انقضاءها فما وقفتُ قطُّ موقفاً منها باختيار العلم من علم (1) النجوم . ولكثيراً ما كان الأمرُ يقع بقلبي ويتجسَّبُ لي ، وقضايا النجوم تخالفهُ وتمنَعُ منه ، فلا أَلْقِي لتلك القضايا بالا ولا أَلْتَفْتُ إليها ، وأعمَلُ ما يقع بقلبي ويتجسَّبُ إليّ ، فيكونُ في ذلك التوفيقُ والنصر ، وضدُّ ما يوجبهُ القول بالنجوم . والله ما طلبنا هذا العلم إلاّ لما يدلُّنا عليه من توحيد الله جلَّ ذكره وتأثير حكمته في منفعلاته (2) ، فإيّاك أن تشغل نفسك بغير هذا ، ولا تلتفتِ / إليه !

كلام في فضل المنصور بالله صلوات الله عليه :

73 — (قال) وسمعتَه (صلع) يقول في هذا المجلس : كنت مع المنصور عليه السلام في بعض أسفاره ، وقد نزل منزلاً أقام فيه في قصر له بذلك المنزل وبستان قد أحاط به فيه ماءٌ جارٍ . فخرجتُ يوماً أمشي في نواحي ذلك المنزل ، فلما انصرفْتُ أتبَّيته بحسبِ العادة فوجدته تحتَ بعض تلك الأشجار في يوم صائفٍ وحارٍّ حاسرَ الرأسِ وقد حلَّقَهُ ، وإنَّ العرقَ ليرشَحُ منه ، وهو يؤلِّفُ كتاباً يكتبُ نُسخَتَهُ ، فقلتُ : يا مولاي ، في مثل هذا الحرِّ لا تقومُ إلى مجلسك ؟

فقال : دعني ، فقد قطعَ عليّ كلامك شيئاً كان / اتَّصل عندي ، واثُل هذا جلستُ وتحملتُ هذا الحرَّ ، لأنَّه قد تهيَّأ لي من القول ما خشيتُ إنْ قمتُ عن مكاني أن ينقطعَ عني .

فجلستُ حتَّى قضى حاجته ، ودخل فأقام ملياً لم يخرج ، فخشيتُ عليه أنه عَرَضَ له عارضٌ من ذلك الحرِّ ، فأرسلتُ إليه أسأله عن ذلك ، فقال : ما عليّ من بأسٍ بحمد الله . ثمَّ تمادى قعوده ، وأذن لي فدخلتُ إليه ، فأصْبَتْهُ على حالٍ ما أَحْبَبَهُ من السلامة والعافية . فقلتُ : يا مولاي ، إلى كم تُقيمُ في هذا البيتِ وأنتَ بموضعِ نزهةٍ وتفرُّجٍ ونظرٍ إلى هذه المياه والأشجارِ ؟

(1) هكذا في الأصل ، ولعل «العلم» زائدة .

(2) أي ، مخلوقاته .

فقال : أخبرك والله : إنني رأيت أن بعض هذا الحيوان العظيم / الخلق يعلو ظهري فخشيت أن يكون ذلك بعض أسود هذه الغياض وأعوذ بالله !

فقلت : كلاً لا يفعل الله ذلك !

قال : نعم ، كلاً لا يفعله إن شاء الله تعالى ، ولكنني عرفتُك ما عرض لي .
ثم ركب من ذلك المنزل في غلَس الصبح يريد غيره ، ودعاني ، وسأيرته وتحتي فرس . فقال : حرَّكتهُ لأنظرَ إليه ! فحرَّكتهُ ، وحرَّك هو فرسه ، فدارَ به دورةً خاف لها أن يسقط به فترامى عنه وشبَّ الفرس ، فعلا ظهرة ولم يضره ، فبادرتُ إليه ونزلت عن فرسي فأصبتُه قد ركب ولم ينله مكروه . وقال : هذا ما ذكرته لك . وحمد الله وأثنى عليه .

كلام في مجلس في الأمر بالسؤال والبحث في / طلب العلم :

74 - (قال) وسمعتَه صلوات الله عليه يقول في هذا المجلس : كان المنصور قدس الله روحه إذا أفادني شيئاً من العلم والحكمة ربّما قال لي : عاودني فيه ، وسلني عنه ، وعن معانيه ، وناظرني ، واحتجّ عليّ ، وأرني أنك قصرت عن فهمه . وإن كنت قد فهمته وما أجلبتني فيه وأعظمتني ، فلا يكون في مثل هذا من تهيبك مراجعتي فيه (1) . فبذلك تعظم عندك الفوائد وتزيد !
فكنت أفعل ذلك فيتدفق عليّ من بحور العلم والحكمة منه ما لم أكن أظنه .

باب في جلالة المنصور قدس الله روحه :

75 - (قال) وسمعتَه يقول في هذا المجلس : كان المنصور بالله عليه السلام كثيراً ما يأمرني / أن أولّف كتاباً أو أصنّع بيتاً ويقول لي : إن لا يكن ذلك فأجز شيئاً أقوله وأضمنه !

فوالله ما تهيت لي شيء من ذلك إجلالاً له في صدري أن أقابله به وأجترى عليه بالقول فيه .

(1) التعبير ملتو . وفهمنا له هو : ان تكن فهمته دون احتياج إلي فلا يكن عدم سؤالك إياي ناتجا عن تهيبك لي .

كلام جرى في مجلس في توفيق الله لأوليائه :

76 — (قال) وسمعت عليه السلام يقول في هذا المجلس لرجل من أئمة النحويين — وقد جلس بين يديه — يُقِرُّ له بالمعرفة بعلم النحو أهل زمانه : أصنع كتاباً في كذا وكذا — لفن من صنعتيه ذكره له — لم يدر ذلك النحوي معناه إلا بعد مدة طويلة ، وبعد أن ردّد القول والبيان فيه مراراً كثيرة ، فحينئذ فهم عنه مراده وتعاضله تأليف (1) ذلك الذي أراد منه / أن يؤلفه ، وقال : هذا وجه ما سبق إليه أحد من النحويين ولا من أصحاب اللغة المتقدمين ، ولا أعرف كيف أبدته ولا كيف أخذ فيه . وكأنه استعان بي في العذر ، فقلت :

أخبرني فلان أنه كتب عن ثعلب النحوي (2) كتاباً في المقصور والممدود كان ألفه فرايناه لم يأت فيه إلا بمثل ما أتى به من تقدمه من الكلام ، وإن كان قد أجاد التأليف وزاد شيئاً يسيراً . (قال) فقلت له في ذلك فقال : نعم ، وكذلك ألف الناس ، وما نزل إلينا شيء من السماء ، وإنما نأخذ من كلام الناس فنحسين النظم ونولف ونزيد الشيء بعد الشيء .

قال ذلك النحوي : نعم ، كذلك / عهدنا الناس ، وعليه نحن .

فقال المعز عليه السلام : وهذا مقال أهل العجز . نعم ، فاعمل على ما أمرنا به ، فإن فيه من توحيد الله عز وجل (3) وإظهار حكمته وما أبدنا بمعرفته ، وهو يؤيدك من سمائه فيما أمرتك به إن شاء الله حتى تبلغ منه مرادنا ، على خلاف ما قال ثعلب .

فقال الرجل : أرجو أن يتم ذلك إن شاء الله تعالى . وانصرف وقد تعاضله أمر ما أمره به ورأى أنه لا يقوم به . وذكر ذلك لي فقلت له : إن حسنت نيتك وصدقت طويتك وفقت وهديت .

(1) في الأصل : وتأليف ... ، وتعاضله الأمر : صعب عليه .

(2) ثعلب : أحد كبار النحاة الكوفيين (ت 904/291) ولم نعلم له كتاباً في المقصور والممدود (انظر الثبت الذي صدر به عبد السلام هارون نشرته لمجالس ثعلب) . ويبدو من هذا الخبر — بعد التمعن في التباس الضمائر — أن القاضي النعمان عرف شخصاً كان جالساً لثعلب ونقل عنه هذا الكتاب المجهول ، ولعل هذا الناقل لأقوال ثعلب في المقصور والممدود هو محمد بن عبد الواحد المعروف بـ «غلام ثعلب» فقد نسب إليه كتاب في المقصور والممدود ، توجد منه نسخة خطية بكتبة القرويين بفاس (ضمن مجموع 181 ق 100) .

ويريد النعمان بروايته أن يشجع هذا النحوي على تأليف ما أمره المزمع بتأليفه .

(3) لا نفهم صلة هذا الكتاب بتوحيد الله ، ما دمنا نجهل الأبواب التي اقترحها المزمع على هذا النحوي .

77 - ولا أدري ولا أحصي ما أمرني صلوات الله عليه ، والمنصور عليه السلام قبله وقس (1) - / بمثل هذا ، فلا أدري معنى هذا الأمر فضلاً عن الاتساع في القول فيه ، ثم أستعين بالله فيفتح لي من ذلك ما كان مقفلاً ويبين لي منه ما كان مشكلاً .

78 - وإنني لأعلم أن توقيعاً خرج إليّ من المنصور عليه السلام يقول فيه : يا نعمان ، استخرج من كتاب الله ما رفضته العامة وأنكرته . فقلت في نفسي : وأي شيء في كتاب الله ينهي لأحد يدين بدين الإسلام أن ينكره ويرفضه ؟ وتعاضمت ذلك ورأيت في الوقت أنني لا أجد منه حرفاً ، ولم أستحسن مراجعته . ثم استعنت بالله عز وجل وعلمت أن ذلك لم يقله ولي الله إلا وهو موجود ، ففتحت المصحف لأقرأه ، فأول ما وقفت عليه : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . [فذكرت قول من قال إنها ليست من القرآن فأثبت (2) ذلك ، فانفتحت لي القول حتى جمعت من ذلك جزءاً فيه عشرون ورقة . فرفعته إلى المنصور صلوات الله عليه فاستحسنه وأعجب به ثم قال : تماد ! فأنتهيت إلى سورة المائدة من أول فاتحة الكتاب والبقرة ، وقد جمعت من ذلك أزيد من ستمائة ورقة . وكان المنصور عليه السلام إذا لقيته ذهب بما رفعته إليه منه ، فقال : ما تقدم لأحد مثله . ثم قبض صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ولم أتممه (3) .

كلام جرى في مجلس في صفة المتخلفين :

79 - (قال) وسمعت عليه السلام يقول : أكثر / ما يعظم في قلوب الجهال قول من لم يعرفه أو لم يدركوا وقته . وإذا سمعوا قول من عرفوه ، وإن كان حكمة كله رفضوه . وذكر رجلاً كان يدعي العلم ويقرب من الأئمة صلوات الله عليهم ، فقال : رآه المنصور بالله صلوات الله عليه إذا حدثه عن نفسه لم ير أثر القبول عليه ، وإذا روى له عن آبائه ، قبل ذلك ورأى منه أثر الرغبة فيه ، فحدثه يوماً وأنا بين يديه بحديث فيه من الحكمة والعلم ما يستغرق الوصف ، فلم يظهر لذلك

(1) قس : قدس الله سره ، وهو دعاء مستعمل بكثرة عند الإسماعيلية .

(2) في الأصل : فأثبت . ولعلها : أثبت ، من أثبت الأمر إذا تدبره ليعرفه . فيكون المعنى : راجعت الكتب في هذه المسألة ، أي طلبت آراء الفقهاء في البسلة هل هي من صلب القرآن (كما يقول الشافعي) أم هي خارجة عنه (وهو رأي مالك) ، وقد كان ينهى عن قراءتها في القرآن ، لا سرا ولا جهراً ، ورأي أبي حنيفة) . انظر تعليق الزمخشري في الكشاف : ج 1 ص 24 ، وكذلك فصل « بسلة » في دائرة المعارف الإسلامية .

(3) لم يذكر كتاب البسلة هذا في كتب القاضي النعمان التي ذكرها إيفانوف وفيضي وبنوا ولا .

عليه أثرُ قبُول . فقال لي : ناوِلْنِي ذلك الكتابَ أرَ أثرَ ما فيه عن آبائنا — / يعني / كتابا كان فيه شيء من ذلك — فلمّا ناوَلته / إيَّاه أدناني منه ، وقال لي : قد سمعتُ ما ألقَيْنَا إلى هذا الرجل الساعة ، فلم يؤثّرْ فيه . وأنا أفتح هذا الكتابَ ، فقِفْ أنتَ مكانَكَ (1) وانظُرْ إلى ما في الكتاب واسمَعْ ما ألفُظُ أنا به — يقول لي ذلك سرّاً — ثمّ فتح الكتابَ وجعل كأنّه يقرأ عليه منه ، وهو إنّما يحدثه مِن حِفْظه وعن نفسه . وكاد أن يَطيّرَ إعجاباً منه بما سمعته ، ثمّ طوى المنصورُ عليه السلام الكتاب وقال : قد رأيتَ وسمعتَ ؟ قلت : نعم .

قال : فما بينك وبينه في ذلك (2) .

ثمّ قام واجتمع معي الرجل بعد ذلك ، فقلت له : كيف ما سمعتَ ممّا في ذلك الكتاب (3) ؟

فقال : سمعتُ والله يا مولاي شيئاً ما سمعتُ بمثله / قطّ . فلمّا رأيتَ أن تسألَه أن يَمُنَّ على عبده بشيء منه ينسَخُه ؟ فجعلتَ أزهدُه فيه وهو يزيد في ذكر مقدار (4) ما سمعه ، وقال : والله إنّهُ كلام لا يُحتاج معه إلى غيره . وجعل (5) يعظّمه ويذكر فضل ما سمعه .

فقلت : يا هذا ، إذا كان هذا يقوله مثلك ، وأنت تعلم أنّه لا يأتي إمامٌ إلّا أعطاه الله فضلَ الإمام الذي مضى قبله وعِلْمُه وحكمتُه ، وزاده مثل ستّةِ أسبّاع ذلك (6) ، وإنّك (7) ترى أنّ هذا الذي جاءك ، من إمام سبق وسلف بعده جماعةٌ من الأئمة عليهم السلام ، وأنت مع إمام جاءك من بعدهم في أعقابهم تُغَبِّطُ مثلَ هذا الاغْتباط / بما جاءك عمّن مضى ، وتُعَرِّضُ عمّن أنت في عصره ، فما عسى أن يكونَ من غيرك ممّن تريدُ أن تُرشدَه وتدعوَه وتعرّفَه ؟

(1) أي بجاني . فالمعز يراقب الكتاب الذي يتظاهر المنصور بقراءته على الرجل .

(2) تعبير دارج ومعناه : دونك الرجل ، أي : الأمر بينك وبينه .

(3) هنا أيضاً تعبير متساهل : كيف رأيتَ ما سمعت ... أي ما قولك فيه ؟

(4) مقدار بمعنى قدر .

(5) في الأصل . وانه جمعل ...

(6) تبدو فكرة تفوق الإمام اللاحق على السابق في العلم غريبة ، ولم نعثَر عليها في غير هذا النص ولا في غير هذا الكتاب . فهذه الستة أسباع من العلم التي تضاف إلى الإمام اللاحق ليست من العلم الذي نزل على

آدم والأنبياء من بعده وتوارثه الأئمة إماماً بعد إمام (انظر كلام المعز عن جعفر الصادق في ص 272) .

(7) في الأصل : وانه ...

وذكرت ذلك للمنصور بالله عليه السلام فكان ذلك سبباً أطراحه عنده ،
ووقف على جهله بما كان يدّعيه وينسب إليه .

(قال) ومن هذا المعنى أنه أمرني المعزّ عليه السلام بجمع شيء قد أفادنيّه وجسمّه
لي وأنهج لي معاليه ومعانيه . فبعد أن بسطتُ شيئاً منه رفعتُ/ه/ إليه وارتضاه
واستحسنه ، وقال : من كماله أن يُكْتَمَ ذكرُ صاحب تآليفه فإنه ، لا يعظم في
قلوب العامة إلا ما أعلمهم عمّن لم يلحقوه أو من جهلوه / فلم يعرفوه ، وذلك
لسوء تمييزهم وليجهلهم ، وإنما قصدنا إلى هدايتهم وتقويمهم . فمن حيث
أمكننا ذلك استعملناه فيهم (1) .

حديث ذكر في مجلس في أحوال الأئمة عليهم السلام :

80 - (قال) وسمعت عليه السلام يوماً يقول : والله ما نال من الدنيا إلاّ دون ما يناله
كثير من سائر الناس فيها ، وإنّ أكثرهم ليأكل ويشرب منها فوق ما نأكلُ ونشربُ ،
وإنّا لننلبسُ ويلبسون ونركب ونركبون ونكح وينكحون ، وإنّا مع ذلك
نعتب لصلاح أحوالهم ودفع الضراء عنهم وهم وادعون ، وقليل من يعرف لنا ذلك
منهم فيشكره ، بل أكثرهم يجهل ذلك / ويكفره ، ولو كان ذلك منا لهم لتركناه ،
ولكنه شيء افترضه الله عزّ وجلّ علينا وألزمناه .

فذكرت لقوله هذا قولاً كنت سمعته من المنصور عليه السلام ورفع مقامه (2) ،
وقد دخلت إليه بعد أن عهد إليه القائم عليه السلام ، أنهئته بما أفضى الله عزّ وجلّ إليه
من الكرامة (3) . فقال : يا نعمان ، وما عسى أن يكون الدرك في هذه الدنيا القليلة
الوزن ؟ والله ، لتاجر تكون بضاعته ألف دينار ينال من الدنيا ما عسى أن لا ننالَه
منها . والله لولا إقامة حقّ لله (4) عزّ وجلّ نُقيمُه ، وأمرُ بمعروف ونهي عن

(1) ينصح المعز القاضي النعمان بكتبان اسمه من كتب المذهب التي يؤلفها مستمداً منه مادتها ، وذلك حتى
تتفق عند «العامة» ، ولا ينفر منها جمهور السنيين حين يملكون أنها من كتب الشيعة .
وفي هذه النصيحة ما يبعث على التساؤل عن عدد الكتب التي ألفها النعمان دون أن ينسبها إلى نفسه .

(2) ورفع مقامه : دعاء ثان لا يعطى على : عليه السلام .

(3) عهد القائم إلى المنصور سرا يوم دفن المهدي (14 ربيع 1 سنة 4/322 مارس 934) ولم يعلن عن ولاية
العهد للمنصور إلا بعد سبع سنوات ، كما ورد في سيرة جودر ص 40 . أو بعد اثني عشر عاماً على
قول ابن حماد وابن عذاري وابن خلدون : رمضان 334/ماي 946 . انظر التعليق 48 لناشري سيرة
الأستاذ جودر وتعليق مترجمها ماريوس كانار ص 55 و 56 . وانظر ص 220 و ص 448 .

(4) في الاصل : إقامة حق الله .

منكر نرجو غيب ذلك ثوابه — وإن ذلك ممّا افترضه / الله عزّ وجلّ علينا وألزمناه ونصبنا له وكلّفناه — لكنك إلى إثثار الخمول والإعراض عن الدنيا أسرع، وبذلك ألدّ عيشاً وأمتع .

حديث ذكر في مجلس فيه احتجاج على أهل الخلاف :

81 — (قال) وسمعت المعزّ لدين الله صلوات الله عليه في مجلس اجتمع فيه عنده جماعة من الأولياء ، وقد ذكر أمر المشرق وما اجتمع من أوليائه وما يرجوه من قرب وعد الله له وإظهاره عليه .

فقال : ما يقول من كان من أوليائنا من البربر يومئذ (1) إن احتجّ عليهم محتجّ فقال : أليس داود النبيّ عليه السلام نفاكم من أرض المشرق وأخرجكم منها بأمر الله عزّ وجلّ / ووحيه بذلك إليه (2) ؟ فلا بدّ للمسؤول منهم عن ذلك من : نعم . فإن قيل له : فمن أذن لكم في الرجوع إلى موضع قد أخرجكم منه نبيّ مرسلّ بأمر من السماء منزل ؟

فقال بعضهم : دخولنا معك صلوات الله عليك أعظم حجّتنا ، وأنت وارث أرض الله عزّ وجلّ (3) ، ونحن أتباعك وأولياؤك .

فقال : هو كما ذكرت ، ولكن مخالفتك فينا لا يقنّع بهذا القول ولا يرى أنّه خجّة عليه .

فقال : من لم يقنع منّا بهذا القول كانت سيوفنا على رأسه .

(1) أي عند فتح بلاد المشرق .

(2) يظهر من هذا القول أن المعزّ يتبنى الفكرة القائلة بأن البربر كانوا في الأصل يعيشون بأرض الشام وأنهم كانوا من أنصار جالوت . فلما قتله داود في الحادثة المعروفة ، فرق أنصاره وأطردهم فصاروا إلى بلاد المغرب . وقد استعرض ابن خلدون هذه الأقوال في بحثه عن أصل البربر (انظر تاريخه في طبعة بولاق ج 6 ص 93 وما يليها) وحكم على هذه الآراء فقال : « وأعلم أن هذه المذاهب كلها مرجوحة وبعيدة عن الصواب » (ص 96) ، وعلى هذا الرأي بالذات فقال : « ... وأما القول بأنهم من ولد جالوت أو المصاليق وأنهم نقلوا من ديار الشام وانتقلوا ، فقول ساقط يكاد يكون من أحاديث خرافة » . هذا وقد أبدى المؤرخون الغربيون شكهم في هذه التأويلات ومنهم ستيبان قسال (ص 355 من كتابه تاريخ شمال إفريقيا القديم ، طبعة باريس 1921) .

Stéphanie Gsell : Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, p. 355.

(3) في تمجيد المعزّ أيضا يقول ابن هانئ (القصيدة 55) :

« وكفى بمن ميراثه الدنيا ومن خلقت له ، وعبيده الثقلان »

فقال صلى الله عليه وآله : إنَّ غَلَبَةَ السُّيُوفِ يَنَالُهَا الْمُشْحِقُّ وَالْمُبْطِلُ وَلَكِنْ غَلَبَةَ حِجَّةِ الْحَقِّ لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِهِ . وَنَحْنُ نُرِيدُ مِنْكُمْ / أَنْ تَكُونُوا قَاهِرِينَ بِالْأَيْدِي وَالْأَلْسِنَةِ وَكَذَلِكَ تَكُونُونَ/ إن شاء الله . إِنَّا لَوْ هَدَيْنَا بَعْضَ الْبَهَائِمِ لَاهْتَدَتْ ، فَكَيْفَ بِمَنْ تَوَلَّاتَنَا وَحَلَّ مَحَلَّكُمْ مِنْهَا ؟
فقالوا : يَفِيدُنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُبَصِّرُنَا مَا نَقُول .

فنبسّم ، ثمَّ أَطْرُقَ سَاعَةٌ وَقَالَ : أَلَيْسَ قَدْ أَسْكَنَ اللَّهُ آدَمَ جَنَّتَهُ وَأَوْسَعَ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ ، فَلَمَّا اسْتَنْفَرَهُ الشَّيْطَانُ فَعَصَى أَهْبَطَهُ (1) مِنْهَا وَإِيَّاهُ ، ثُمَّ تَلَقَّى آدَمَ كَلِمَاتِ رَبِّهِ فَأَعَادَهُ إِلَيْهَا ، وَمَنْ أَصْلَحَ مِنْ وَلَدِهِ ، وَلَعَنَ إِبْلِيسَ وَحَرَّمَهَا عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ وَلَدِ آدَمَ وَرَكَنَ إِلَيْهِ ؟ (قَالَ) فَالْمَعْصِيَةُ هِيَ الَّتِي أَوْجَبَتْ إِخْرَاجَ الْبَرِّيرِ لَا الْأَنْسَابُ ، فَمَنْ صَالَحَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَأَنَابَ وَتَلَقَّيْتَهُ الْكَلِمَاتُ دَخَلَ فِي حُكْمِ / أَهْلِ الطَّاعَةِ وَاسْتَحَقَّ الرَّجُوعَ إِلَى مَكَانِهِ وَمَقَرَّهُ . وَمَنْ تَمَادَى عَلَى غِيَّهِ وَعَصِيَانِهِ بَقِيَ طَرِيدًا مُنْفِيًّا ، وَثَوَى شَقِيًّا مَخْزِيًّا . هَذَا حُكْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَسُنَّتُهُ فِي عِبَادِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (2) .

ثمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَقَالَ : مَا الَّذِي أَوْجَبَ لآدَمَ أَنْ تَلَقَّيْتَهُ كَلِمَاتِ رَبِّهِ وَوُفَّقَ لَتَوْبَتِهِ وَأَوْبَتِهِ وَسَبَّبَ لَهُ أَسْبَابَ سَعَادَتِهِ ، وَحَرَّمَ ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ فَلَمْ يَنْتَلِهِ ، وَلَا شَيْئًا مِنْهُ ، وَبَاءَ بِاللَّعْنَةِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ ، وَالْمَصِيرَ إِلَى سُوءِ الْقَرَارِ ، لِإِصْرَارِهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَنَدَّمَ آدَمَ مِنْهَا بِتَوْبَتِهِ . (قَالَ) أَفَلَيْسَ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لآدَمَ وَهَدَايَتِهِ إِلَيْهِ ؟
قلت : أَجَل !

قال / فَلَمْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ مِنْ مَوَادِّ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ ؟ وَإِنْ كَانَتِ الْحُجَّةُ بِالْمَعْصِيَةِ قَدْ وَجَبَتْ عَلَيْهِمَا ، فَلَمْ خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ بِالْفَضْلِ وَالْهَدَايَةِ مِنْهُمَا ؟
قلت : اللَّهُ وَوَلِيَّهُ أَعْلَمُ .

قال : لِأَنَّهُمَا لَيْسَا سَوَاءً فِي الْجُرْمِ وَالْمَعْصِيَةِ : كَانَ آدَمَ فِيهَا مَخْذُوعًا ، زَيْنَتَهَا لَهُ وَاخْتَدَعَهُ الشَّيْطَانُ ، وَالشَّيْطَانُ مَخْتَارٌ لَهَا دَاخِلٌ فِيهَا عَلَى بَيَانٍ ، فَلَمْ يَسْتَوِيَا .

(1) فِي الْأَصْلِ : قَاهِبُهُ .

(2) يُسْتَخْدَمُ الْمَرْزُ اسْطُورَةُ الْأَصْلِ الْمَشْرِقِيِّ لِلْبَرِّيرِ حَتَّى يَحْبِلَهُمْ عَلَى مِرَافَقَتِهِ إِلَى مِصْرَ يَوْمَ يَزِمُ عَلَى فَتْحِهَا ، وَيَعْتَبِرُونَ أَنَّ خُرُوجَهُمْ إِلَى الْمَشْرِقِ إِنَّمَا هُوَ عَوْدَةٌ إِلَى أَوْطَانِهِمِ الْأَصْلِيَّةِ وَلَيْسَ هِجْرَةً .

وكذلك أئمة الضلال هم أعظمُ جرماً ووزرا من أتباعهم من الجهال . ومن هذا ما حكى الله عز وجل عنهم لما تبَيَّنَتْ لهمُ الأمور من قولهم : « رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ، رَبَّنَا آتِهِمْ / ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (1) » .

(قال) ومنه لعنُ رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد (2) القادة والرؤساء من مشركي قريش وكان أكثرهم يومئذ بنو أمية . ومنه الحديث : أعظم الناس عذابا يوم القيامة من نصب ضلالا فاتَّبَعَهُ الناسُ عليه .

ومنه الحديث أيضا : مَنْ اسْتَنَّ سَنَةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا وَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ فَلَهُ أَجْرُهُ وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ . وَمَنْ اسْتَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا وَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهُ وَوزر من عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ / مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوزَارِهِمْ شَيْءٌ (3) . ومنه قول الله عز وجل : « وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ (4) » .

وكل هذا يؤيد قول المعز عليه السلام : إن الأمر بالمعصية المتبوع فيها أعظمُ جرماً ممن اتَّبَعَهُ ، لا سيما إن كان مخدوعاً / مزبناً له (5) كما ذكر ذلك عليه السلام في آدم عليه السلام . وقد أخبر الله عز وجل بإنعامه عليه بقوله : « وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ (6) » ، وقال لإبليس : « اخْرُجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (7) » . وقال : « فَاخْرُجْ مِنْهَا فَلَنْتَكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (8) » . فحرمه فضله وأياسه من رحمته بجرائته وعظيم جرّيه / .

(1) الاحزاب ، 68 .

(2) في الأصل : يوم الأحد . والحديث : أعظم الناس عذابا ... ذكر بمعناه لا يلفظه في صحيح الترمذي 142/10 وسنن ابن ماجه 75/1 .

(3) ابن ماجه 74/1 (رقم 203-207) .

(4) التكبوت ، 13 .

(5) في الاصل : يناله ، والاصلاح منا ، قياسا على ما مر من كلام في توبة آدم .

(6) طه ، 122-121 .

(7) الاعراف ، 18 .

(8) الحجر ، 34-35 .

كلام في مجلس في السَّتر على المؤمن :

82 - (قال) وسمعت صلوات الله عليه يأمر فيما أوجه بأن لا يُستتر عنه شيء ستر خيانة . ثم قال : فأما ما كان بين أحدكم وبين أخيه ، فسَترُ عييه (1) أولى به . إن من حق المؤمن على المؤمن من إخوانه ستر عييه والنصيحة له فيه .

وهذا كقول جده علي صلوات الله عليه : لو وجدت المؤمن على فاحشة لسترته بثوبي (2) . ومنه الحديث : أقبِلوا ذوي المروءات عثراتهم (3) .

ومنه الحديث المأثور عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : ما من عبد مؤمن إلا لله عليه سبعون / سترًا ، فإذا أذنب ذنبًا انتهك عنه ستر من تلك الأستار ، فإن تاب منه واستغفر الله أعاد عليه ذلك الستر ومعه سبعون سترًا ، فإن أبى إلا قُدُماً في المعاصي لا يتوب ولا يستغفر الله منها ، أنهتلك مع كل ذنب منها ستر حتى لِيَبْقَى ولا ستر عليه ، فيأمر الله تبارك وتعالى الملائكة بأن تستره بأجنحتها ، فإن تاب واستغفر الله أعاد عليه تلك الأستار ومع كل ستر منها سبعون سترًا ، فإن أبى إلا قُدُماً في المعاصي شكت الملائكة أمره إلى الله ، وقالت : ربنا إن عبدك هذا لَمُقْدِرُنَا ممّا يأتي [من] المعاصي ، فيأمرهم الله عز وجل برفع أجنحتهم عنه . / فلو أتى ذنباً في قعر البحر أو تحت تخوم الأرض لأبداه الله عز وجل عليه . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فاسألوا الله أن لا يَهْتِكَ أَسْتَارَكُمْ (4) .

فإذا كان هذا فعل الله عز وجل بالمؤمنين من عباده في السَّتر عليهم وإقالتهم عثراتهم وإمهالهم ما لم ينهَمِكُوا في المعاصي ، فأولياؤه أحق من امتثال (5) ذلك من أمره وما أمروا به في المؤمنين من عباده .

(1) في المخطوط : عليه .

(2) يشيد الشيعة بموقف علي من خصمه عمرو بن العاص في وقعة صفين حين سقط من فرسه وانكشفت عورته ، فقد تأخر عنه حياء . وقال ابن هاني (القصيدة 53) :

أَلَقْتُ بِأَيْدِي الذَّلِّ مَلَقَى عَمْرَاهَا
بِالشُّوبِ إِذْ فَغَرَتْ لَهُ صَفِينُ

وقد قال الشيعة إنها حيلة من عمرو لينجو من موت محقق .

(3) سنن أبي داود « 2 / 446 . و مشكاة المصابيح ، عدد 3569 . والقول ينسب أيضا إلى الإمام علي نهج البلاغة ج 2 / 311 عدد 20 .

(4) حديث الأستار : لم تذكره الكتب السنية ، وذكره ابن بابويه في علل الشرائع ص 532 .

(5) في الأصل : من امتثال .

كلام جرى في مجلس في ذكر البرهان :

83 - (قال) وذكر عنده صلوات الله عليه في بعض ما يجري من الكلام البرهانُ . فقال لي : ما البرهان عندك ؟

قلت : هو معنَى : البيانُ .

فقال : فقد قال رسول الله صلى الله عليه / وآله : إنَّ من البيان لسِحْرًا (1) ولم يقل ذلك في البرهان .

فقلت : فما البرهانُ يا مولاي ؟

فقال : استقصِ فيه ما عندك وما قيل ممّا انتهى إليك ، ثمَّ تسمعُ القولَ فيه إن شاء الله تعالى .

فرغبْتُ/ إليه في الإخبار عما عنده (صلع) في ذلك ، فقلت : هو يُصَحِّحُ ويُثَبِّتُ . وهذا قول قد جاء في كتاب الله عزَّ وجلَّ في غير موضع ، ومثله لا يؤخذ القول فيه إلاَّ بتثبيت القول ممَّن يجب القطع بقوله (2) .

فقال : لا بدَّ من أن تنظر في ذلك فيما عندك على كلِّ حال .

فانصرفتُ لما لم أجد ممّا أمره بُدِّأَ صلوات الله عليه . فنظرت فيما قال أهل اللغة فيه فأصبحت ظاهر قولهم يختلفُ في ذلك ، غير أنَّه يرجع إلى معنى واحد / . فرأيت بعضهم قال : البرهان بيان الحجَّة وإيضاحها .

وقال الآخر : البرهان الحجَّة .

وقال الآخر : البرهان البيِّنة .

وقال الآخر : البيان .

وقال الآخر : الآية .

ثم تتبَّعته من كتاب الله عزَّ وجلَّ فأصْبَتْه في البقرة : « وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا

(1) البخاري ، ك. النكاح ، باب الخطبة 25/7 .

(2) أي من الإمام .

بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (1) . وفي النساء : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (2) » .

وفي سورة يوسف : « وَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ (3) » .
وفي « اقترَب » : « أَلَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِي وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي (4) » .

وفي « قد أفلح » : « وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ / إِلَّا هَا آخِرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ (5) » .
وفي سورة النمل « أَلَا هُوَ مَعَ اللَّهِ ؟ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) » .

وفي القصص : « اسْأَلْكَ يَدَّكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُ لِيكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ » الآية (7) . وفيها : « وَتَرَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَتَقْلِبْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (7) » .

ثم نظرت في قول المفسرين في كل آية من هذه الآيات فلم أجدهم قالوا في ذلك إلا بمثل ما قال أهل العربية فيه من أنه : حُجَّةٌ ، وإيضاح المَحْجَّةِ وبيانها ، وبيان ، وبيِّنَةٌ . وآية ذلك كما ذكرت معناه واحد . ثم صرّفته فيما تحمّله اللغة / من المجاز ، وذكرت ما يجوز من ذلك وكيف قيل فيه ، في كلام . ثم ذكرت ما تبيّن لي فيه من الباطن ، وجمعت ذلك ، وجئت به إليه صلى الله عليه وآله بعد أن بسطت فيه عُدْرًا .

فتهيّئت لإخراجه إليه وأمسكته إلى أن ذكر أنه جار/ي/ في ذلك بعض من يعنى بقول الفلاسفة ، وأنه ذكر ما قالوه فيه باللسان الفاسفي ، وذكر ذلك

(1) البقرة ، 111 .

(2) النساء ، 174 .

(3) يوسف ، 24 .

(4) الأنبياء ، 24 . وتبدأ السورة ب : اقترَب للناس حسابهم .

(5) المؤمنون ، 117 . وتبدأ السورة ب : قد أفلح المؤمنون .

(6) النمل ، 64 .

(7) القصص ، 32 و 75 .

وفسّرَهِ إلى أن اعترفَ عليهم وأقرّ بالتخلّف وذكر جملِ قوله في ذلك ، وكان مرجعه إلى مثل ما قدّمتُ ذكره من أنّه حجّةٌ ، ولكنّهم (1) تكلّموا فيه على مثل ما يتكلّمون فيه من تنزيل الأشياء واتّصالها / وكيف يكون ذلك ويتّصل (2) بزعمهم . ثمّ أخرَجَ إليه بعضُ من حضر المجلسَ كرّاسةً في مثل ذلك قد كان سأل عنها رجلا من بعضِ الدعاةِ جاء في ذلك ببعض قولِ الفلاسفة لم يعدّه على مثل ما قالوه .

وجاء آخر برسالة البرهان (3) . فنظر المعزّ عليه السلام فيها ثمّ قذف بها وقال : والله ما المصيبة إلّا أن يضافَ إلينا مثلُ قائلِ هذا الكلام وادّعى إلى أنّه من دعائنا ، وليسَ في هذه الرسالة للبرهان ذكرٌ ولا معنى ، غير أنّه لَقَبَها به . ووقف المعزّ عليه السلام فيها على خطأ كثير أتى به .

ثمّ نظر إلى الكرّاسة التي / بعث بها الآخرُ وكان الذي ذكر أنّه جاراه في تلك وأجاب عنه بكلام الفيلسفيّ حاضرا وهو أحذق ممّن بالحضرة به ، فقال له : وهذا الكلام الذي جئتُنا أنتَ به جاء هذا به أيضا . فقرأ عليه شيئا منه وأوضح فساده ، وقال لي : هات أنت أيضا ما عندك في ذلك ! فاعتذرت وذكرت أنّ الذي دعاني إلى جمّعه أمرُ أمير المؤمنين صلوات الله عليه (4) بذلك ، وإلّا ، فالذي كنت أحبّه سماعُ ما عند أمير المؤمنين منه وإيثاره عنه . وناولته كرّاسةً كنتُ جمعت فيها ذلك ، فقرأها وتبسّم وقال : قد أُجبتَ فيما استدلتّ به ومثّلته / شيئا يقاربُ المعنى وليس به ، ولكنك حصلت على قِشْرٍ منه .

فقلت : وهذا ما في أوعية القوم وقف عليه أمير المؤمنين عليه السلام ولم يبق إلّا ما ننتظر من فضله ويوجدُ عندهُ ، وقمت قائما وقلت : يتطوّلُ أميرُ المؤمنين (ص) ، فقد تعلّقتِ القلوبُ إلى ما عندهُ . وكان في المجلس جماعة فقام كلٌّ من كان منهم جالسا (5) .

(1) في الاصل : ولكنّه .

(2) في الاصل : واتّصل .

(3) رسالة البرهان : يبدو أن مؤلفها من دعاة الشيعة ، ولم نقف لها على ذكر عند من سبق عصر النعمان .

(4) في العبارة هنا : منه ، وآثرنا حذفها .

(5) هل يعني قيامهم أن الوقوف واجب عندما ينطق الامام ؟

فقال : اجلسوا ! وابتسبم . ثم قال : إن هذا يحتاج إلى أن يبسط له بساط¹ يكون بين يديه ويؤسس له أساس² يبنى الكلام فيه عليه ، وذلك بطول ذكره . ولكن ، أليس قد ثبت أن البرهان أمر جليل وخطب / جسيم ؟

قلت : نعم .

قال : فلم لم نجد/ه/ من أسماء الله جل ذكره ولا من صفاته ؟ أليس قد علمنا أنه أعظم شيء دونه ؟

قلت : أجل .

قال : أوليس قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : لما خلق الله العقل قال له : أقبل ! فأقبل ، ثم قال له : أدبر ! فأدبر . فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أكرم علي منك ، بك آخذ ، وبك أعطي وبك أثيب ، وبك أجازي ، وبك أعاقب ؟

قلت : هذا حديث معروف مأثور (1) .

قال : فهل يكون من دون الله ما هو أفضل ممن شهد الله له عز وجل بهذه الشهادة وأنزله من الفضل بهذه المنزلة من جميع / ما خلق كما قال عز وجل ؟

قلت : لا .

قال : فما أثبت³ العقل الصحيح الكامل ، الذي شهد الله له بهذه الشهادة وشهد له وصدق⁴ه وأوجبه (2) ، فذلك هو البرهان المنير بصحته ووجوبه ، كما أن آيات النبيين إنما كانت براهين بتصديق العقول الصحيحة إياتها وثبتتها (3) فيها ، وشهادة

(1) ذكر الغزالي هذا الحديث في الاحياء ، ج 1 ص 83 (من طبعة دار المعرفة بيروت) وكذلك في « ميزان العمل » ص 331 (تحقيق سليمان دنيا ، القاهرة 1964) ويعتبر من الأحاديث الموضوعة ذات الصبغة الاشراقية .

انظر : العناصر الافلاطونية المحدثة والنفسية في الحديث لقولنزيهر ضمن كتاب عبد الرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (القاهرة 1965) ص 218-241 . وذكره التبريزي في مشكاة المصابيح 2 / عدد 5064 قائلا : وقد تكلم فيه بعض العلماء .

(2) هذه الأفعال الثلاثة معطوفة على « أثبت العقل » .

(3) الثبت بفتحيتين : الحجة والبرهان . وهذا المصدر معطوف على « تصديق » .

قالها ودفعته العقول الناقصة بعد أن أثبتتها (1) وقامت حجة الله فيها عليها .
 وذلك قوله سبحانه : « وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا (2) » .
 وأما قولهم لما رأوا العذاب : « وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا
 فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (3) » ، فإنما ذلك بما قصر من عقولهم ، وليس مثل هذه
 العقول ذكرونا ، ولا إليها أشرنا . ولما كان / العقل خلقاً [من خلق الله لم يكن
 له بد] (4) من زوج يشبهه لقوله عز وجل : « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
 لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (5) » ، فباطن العقل في الفضل كمثله ، وما شهد له وثبت
 عنده وصدقه فذلك برهان منه له كما قال جل ذكره : « فَذَآئِكَ بِرُءُوسِنَا مِنْ
 رَبِّكَ (6) » .

فقبّل الأرض من كان في المجلس بين يديه . وقال ذلك الذي كان يقول
 [بقول] الفلاسفة : على مثل هذا . والله ، دار القوم وأخطأوه ، وحوله حاموا
 فجهلوه .

فقال (صلى) : رأيتم لو حدثكم رجل صادق عندكم أنه سمع رجلاً مخبولاً
 تكلم بكلام الخبل ، هل كنتم تمترون في قوله ؟
 قلنا : لا .

قال : فلو حدثكم / بذلك عن رجل عاقل فاضل عالم ، أليس كنتم تشكّون
 في صدقه حتّى تختبروا الرجل الذي حكى ذلك عنه ، فإن أصبتموه على ما كنتم
 عهدتموه من العقل والفهم والعلم كنتم على ما كنتم ، عليه من الشكّ فيما نُقِلَ إليكم
 عنه لصدق المخبر وحاله التي تدفع عنه وتنفي مثل ذلك الخبر ، لأنّ العقل لا
 يقطع على صادق بالكذب ، ولا عاقل بالخبيل والتخليط ؟
 قلنا : نعم .

(1) قالها العقل . واثبتها العقل .

(2) النمل ، 14 .

(3) الملك ، 10 .

(4) في الأصل : لم يكن بد له .

(5) الذاريات ، 49 .

(6) القصص ، 32 .

قال : فإن أصبتموه مخبولا مختلطا [فـ] هل تشكّون في خبر الرجل المخبر عنه بالتخليط ؟

قلنا : لا .

قال : أليس إنّا كان ذلك بما شهد به العقل صار برهانا على صدق المخبر؟ (1)
قلنا : نعم .

قال : ومن هذا / قول رسول الله صلى الله عليه وآله : ما جاءكم عنّي فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فأنّا قلته ، وما لم يوافقكم فلم أقله . ثمّ أكّد ذلك فقال : وكيف أخالف كتاب الله وبه اهـ / ليدت ؟ والمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله من الأخبار لا يوجد نصّه (2) في ظاهر القرآن وإنّا يوافق ما فيه بالاستدلال ، وشهادة العقول .

ثمّ قال صلى الله عليه وآله : وهذا ما لم أعلم أحداً من الآباء ولا من غيرهم تكلم فيه ، وسوف أبسطه وأشرح معانيه حتّى أجسمه جسمًا للناظرين وأمثله روحًا للمتأملين .

وكان في قوله هذا كفاية لمن تدبّره وهدى لمن أبصره / ورمز لما فيه من علم الباطن . وأشار إلى علم أشياء لم أر أكثر من حضر فهمها ، بل رأيت كثيرًا منهم قصر عن فهم ظاهر ما تكلم به ولم يقف على حقيقة معرفته .

وهذا الذي جاء به (صلح) هو الذي أوجب عند ذوي التمييز والعقول فضله وأبان لديهم خطبه ، وشهد بالأمانة له وبرهن عن اتصال مادّة (3) الله عزّ وجلّ إياه وتأنيده / له / بالحكمة (4) عند من اعتبر ذلك فيه وميّزه من أمره وتدبّر حاله . لأنّا قد علمنا أنّه حديث السنّ قريب العهد معروف المكان مشهور الخطاء والإخوان

(1) هنا أيضًا التباس في التركيب، والمعنى المقصود هو : أليس إنّا ... صار ذلك برهانا على صدق المخبر ، بما شهد به العقل ، أي بفضل ما شهد به العقل .

(2) في الأصل : نصّها . والحديث : ما جاءكم عنّي ... ذكره أبو بكر بن عربي في حاشيته على صحيح الترمذي ، ج 10 ص 133 .

(3) المادة مصطلح اسماعيلي ، وتعني عندهم العلم الإلهي الذي ينتقل إلى الأنسة ، ويترجمه H. Corbin بمبارة Le sève divine . هذا وإن تركيب الكلام لا يستسيغ ضمير «إياه» اللاحق، ولعله محرف عن «به» .

(4) في المخطوط : وتأنيده بالحكمة له ، فأثرنا تقديم « له » .

ممن يلوذ به ويجلس إليه / وينصرف بين يديه ، ويصحبه مذ كان طفلاً إلى أن شاهدنا فيه ما قد شاهدنا ، لم نعلم له في الطفولة مؤدباً عالماً فنقول : أفاد منه ، ولا بعد ذلك من جليس ولا مصاحب كذلك يحسن شيئاً فنقول : أفاد عنه ، ولا كانت له رحلة ولا طلب ، ولا أراه يفيد شيئاً من دراسة الكتب يوازي جزءاً لا يتجزأ مما نراه فيه ونجده من فنون العلم والحكمة لديه .

وقد نرى من اكتهل وخرف في الطلب ورحل وكتب ولقي العلماء وأخذ عن الحكماء وأكب الدهر الطويل على الدراسة وحركة الحجاج والمناظرة لا يجاريه في شيء من / العلم ولا يدايه ولا يقاربه في شيء ، ولا يقاس إليه وإن كان صاحب فن قد انفرد به ، وعلم قد قطع طول عمره في طلبه .

وجدناه صلوات الله عليه قد نظر في كل فن وبرع في كل علم ، وإن تكلم في فن منها أربى على المتكلمين وكان فيه نسيج وحده في العالمين . أمّا علم الباطن ووجهه فهو / البحر الذي لا تخاض لجنته ولا يدرك آخره . وأمّا القول في التوحيد وثبوت الدين والرد على أهل اقتراف البدع والملحدّين فهو واحد/ه وهو علمه ومناره وعمده .

وأما الفقه والحلال والحرام ومسائل الفتيا والأحكام فذلك مجاله وميدانه وصنعتُه وديدانه (1) .

وأما الطب والهندسة وعلم النجوم والفلسفة فأهل النفاذ في كل فن من ذلك في يديه ، وكلهم في ذلك عيال عليه (2) . يخترع في كل يوم لهم من الصنائع ويبدع لهم فيه البدائع من دقائق معانيه ، وما تحار أذهانهم فيه فيما لو أخذت في قصص معانيه ووصف ما آثره الله عز وجل به وجعله من العلم والحكمة فيه ، لقطّع هذا الكتاب عما بنّيته عليه .

وهذا من نحو براهين جدّه محمد صلى الله عليه وآله إذ (3) أكمل الله عز وجل ما أكمله من العلم والحكمة والفضل فيه وهو أُمّي / لا يقرأ ولا يكتب ،

(1) في الأصل : وديوانه . والدينان والديان الدأب والعادة .

(2) في الأصل : فأهل النفاذ في كل فن من ذلك عيال في يديه وكل كلم في ذلك عليه .

(3) في الأصل : واذا .

ومقيم بمكة لا ينصرف عنها فيطلب ، ولم يكن بها عالم بما جاء فيقال : أخذ ذلك عنه ، ولا طراً إليها طارئاً (1) صحبه يُعرَف بعلم فيقال : إِنَّهُ اقْتَبَسَهُ مِنْهُ : وفي هذا قول الله عز وجل وهو أصدق القائلين : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أَوْثَقُوا الْعِلْمَ (2) » . فكفى بهذا من شهيد ودليل وبرهان يرى بالعيون ، ويسمع بالأذان ، وتنقاد له العقول بإذعان ، لمن كان له قلب ، كما قال الله عز وجل : « أَوِ الْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (3) » .

(1) في الأصل : صار .

(2) النكبات ، 48 - 49 .

(3) ق ، 37 .

الجزء السادس

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

كلام في-[هـ] تقريع وتوبيخ في التخلف عن طلب العلم :

84 — قال القاضي النعمان : جلست بين يدي الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوما فذكر زهادة الناس في الخير وإعراضهم عنه ، وتخلّفهم عن طلب العلم والحكمة ، ورضاهم لأنفسهم بالجهل ، واشتغالهم بأمور الدنيا وإكبابهم عليها ، فقال : والله لقد كفينا كثيرا ممّن اختصّصناه منهم من أوليائنا وعبيدنا أمرَ دُنياهم ، وأطعمناهم ممّا نأكلُ ، وكسّوناهم ممّا نلبسُ ، وشاركناهم فيما نملكُ ، وإنّهم ليأكلُون من ذلك ويلبسون ويملكُون / ما لا تعبَ ولا نصبَ ولا كُلفةَ عليهم فيه ، وإنّا لتعب وننصب ونكلفُ ذلك لهم ، فهم على ذلك أخفضُ عيشًا منّا فيه ، وأقلُّ تعبًا واهتمامًا به ، وما سلّمنا مع ذلك من عاديةِ ألسنتهم فيما ينسبونهُ إلينا من سوء أفعالهم فيما أكتبوا عليه من أمر دُنياهم . إنّ تعدّوا فيما بسطنا فيه أيديهم لما يقتطعونهُ لأنفسِهِم ويأخذهُ الناس عليهم في ذلك من سوء أفعالهم الذي لا شبهةَ فيه ولا سترَ عليه ، قالوا : هذا لمولانا واجبه وحقّه وله نأخذهُ وبذلك أمرتنا ! ومعاذَ الله أن نأمرهم بغير الحقّ ، وعهودنا منشورة في أيديهم / تشهد

بذلك عليهم ، فما كفاهم ما يقتشفونه لأنفسهم في الحرام حتى ينسبوه (1) إلينا وينحلّونا الأمر به. وقد أعاذنا الله عزّ وجلّ منه، حتى إذا أردّناهم أن نعطيهم، ونُبين الحقّ في ذلك لهم، ونوقيّهم على حدود دينهم، ونوضح لهم سنن نبّيهم صلى الله عليه وآله، وما افترضه الله عزّ وجلّ عليهم، ونريد أن نقضيّ بشيءٍ مما أودّعناه من حكمةٍ لِمّا نرجّوه بذلك من صلاح أحوالهم وتزيين أمورهم ورفع درجاتهم وإلحاقهم بأهل العلم والحكمة والفضل، لم نرَ فيهم لذلك موضعاً، ولا عليه إقبالا، ولا فيه رغبة، ولا منهم لنا فيه سؤال ولا طلب. ولربّما أردت شحذهم / بالتوبيخ في ذلك وسؤالهم عما لا يسعهم جهله ولا يحلّ لهم التخلّف عن عمله ممّا افترضه عزّ وجلّ عليهم وأوجبّه وكلفهم سؤاله وطلبه، فلا أرى إلّا عيونا ناظرة، وأفواها فاغرة، وأجساما من العلم والحكمة خالية. حتى إنّي ربّما رجعت في ذلك من مخاطبتي إياهم به ألوم (2) نفسي فيه، فمتى ينشرح لمثل هؤلاء صدرٌ فيستمع لهم بفائدة، أو تجيب نفسٌ إلى أن تعود عليهم بفائدة؟

فلمّا سمعتُ ذلك منه صلوات الله عليه ملئتُ غمّاً به لخوف الحرمان وانقطاع موادّ الفضل والإحسان - نعوذ بالله من ذلك ونرغب إليه في اتصال نعمته ودوام فضله ورحمته / ونيل درجة الفضل المرجوّ دركها من عنده - فأردتُ تسهيل ذلك وبسط بعض العذر فيه، فقلت: وإن رأى أمير المؤمنين عليه السلام من رآه من أوليائه وعبيده على ما وصفهم به، فأقلّ شيءٍ عندهم - بحمد الله - من فضله وفوائده وحكمته وما أخذوه عنه وتمسّكوا به، أفضل من كلّ شيءٍ هو عند غيرهم ممّن خالف مذهبهم الولاية والمحبّة.

قال: لقد علمنا أن قليل الحقّ أفضل من كثير الباطل، وأنّ الباطل كلّما كثر منه كان أضرّ لمن كثر عنده، ولكن أردنا من أوليائنا أن يكونوا علّماء في الدّنيا يعرف فضلتهم جميع أهلها، وإلاّ فإنّ - وأعوذ بالله - ظهرت على أحدهم عدوٌ لنا فسأله عن مثل ما نسألهم عنه، عن أمر دينه واعتقاده وبماذا أوجب ولايتنا وإمامتنا عنده، ولعلّه أن يكون ممّن عُرِف بنا وذكر من أوليائنا، فلا يجد عنده شيئا، أفليس يكون ذلك - لو كان، وأعوذ بالله - من النقص

(1) في الاصل: نسبوه.

(2) في الاصل: «اليوم» ويبدو أنه تصحيف.

علينا ، ويوجدُ به السَّبيل إلى الطَّعن في مذهبنا ونسبة الجهل إلينا والزَّراية على ما عندنا ؟ !

قلت: الذي قال أمير المؤمنين (صلع) حقُّ وصيَّة (1)، والذي أَرادَه لأوليائه شرفٌ وفضلٌ ، ولكن قد عليمَ أميرُ المؤمنين عليه السلام أنَّ (2) أهلَ العلمِ قليلٌ في النَّاسِ وأنَّ النَّاسَ لما عدَّ دُؤاً من كان يُوصَفُ بالعلم / من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله ذكروا بذلك عليّاً عليه السلام الذي لا يقاس أحد به فيه ولا يُعدُّ في درجته . ثمَّ ممَّن قالوا كان يُذكرُ بعده بالعلم منهم على ما وصفوه واستقصوه : سلمان الفارسيّ (3) ، وجابر بن عبد الله (4) ومعاذ بن جبل (5) وعمر ابن الخطَّاب . هؤلاء الذين وصفوهم بالفقه لا غير ، وشهدوا أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله قال : أقضاكم عليّ (6) . وذكروا منهم من كان بعده يذكر بعلم القضايا ، فذكروا : عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري وأبا بكر وعمر . وذكروا العلم بالقرآن فقالوا : عليّ عليه السلام / أعلمهم به ، وذكروا بعده عبد الله ابن مسعود وزيدا (7) وأبيّ بن كعب (8) وجابر بن عبد الله وعثمان بن عفَّان . فهؤلاء أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله لم يذكر بالعلم منهم غير عشرة لم يكملوا كلَّهم فنونه وإنَّما أكمل ذلك - على ما ذكروه - عليّ عليه السلام وحده

(1) في الأصل : وصيه .

(2) في الأصل : أنه .

(3) سلمان الفارسي : انظر ص 56 .

(4) جابر : صحابي ، أحد ثلاثة ذكرهم ابن الأثير في أسد الغابة (ترجمات عدد 645-646-647) . وقد ذكر الطوسي منهم اثنين فقط : جابر بن عبد الله بن حرام وجابر بن عبد الله بن رثاب (رجال الطوسي ص 11 و 12) . والمعني هنا هو جابر بن عبد الله بن حرام الانصاري ، فان ابن الأثير يقول فيه : وكان من المكشرين في الحديث . توفي بالمدينة سنة 74 هـ . وانظر : الاستيعاب ج 1 ص 222 . وفي الدعائم (ج 1 ص 3) أن محمد الباقر كان يسأل جابر بن عبد الله في مسائل فقهية ، وقد أخذ عنه صغيراً ، إذ تكون سن الباقر حين وفاة جابر سبع عشرة سنة . وعده ابن حجر فيمن روى عن جابر . (انظر تهذيب التهذيب ج 2 ص 42 : ج 9 ص 350) .

(5) معاذ بن جبل : صحابي جليل شهد العقبة وبدرا وأحدا وغيرها . قال فيه الرسول (ص) : أعلم الناس بالحلل والحرام معاذ بن جبل (انظر أسد الغابة ، ترجمة 4953 والاستيعاب ج 3 ص 365 والاصابة ج 3 ص 406) . توفي سنة 18 هـ .

(6) جاءت هذه العبارة في الحديث الذي رواه أنس بن مالك بعد : وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ وأقرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبي بن كعب (انظر : أسد الغابة في ترجمة أبي عدد 34) .

(7) زيد بن ثابت : كان يكتب لرسول الله (ص) الوحي وغير الوحي ، وشهد له بالتفوق في معرفة القرآن (أسد الغابة ، عدد 1824 والاستيعاب ج 1 ص 532 والاصابة ج 1 ص 543) . توفي سنة 45 هـ .

(8) أبي بن كعب : كان من أول من كتب للرسول (أسد الغابة عدد 34 والاستيعاب ج 1 ص 27 والاصابة ج 1 ص 31) .

مع ما له من المناقب والفضائل ، فلم يكن ما أَرَادَهُ أميرُ المؤمنين عليه السلام من أوليائه وعبيده يكْمُلُ في أحدٍ من أصحاب رسول الله (صلع) . ثمَّ قد كان منهم في ولاية وليّ الأمر بعده (1) ما علمه أمير المؤمنين عليه السلام ، فلم يصحَّ معه (2) منهم إلاّ القليل . فالولاية أصلُ / الدين وعمدته ، وستامُ الأمر وقُطْبُهُ . وأكثرُ أولياء أمير المؤمنين وعبيده - بحمد الله - لهم في ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأجل ، وهم - بحمد الله - في أيامه الطاهرة ودولته الزاهرة ، على أفضل ما كانوا وكان مِّنْ قَبْلِهِمْ قبلَ ذلك (3) . والله يبلغُ وليَّه فيهم أمَلَهُ ويوفّقُهُم لِمَا يَرْضيه إن شاء الله تعالى .

فسكت (صلع) ولم أدِر كيف وقع هذا القول منه ، وإنما حاميتُ به عنِّي وعنهم خوفاً ممّا قد متُّ ذكره من أن يكون ما ذكره (صلع) يُوجب قطعَ فضله ومادةَ نعمته وما يُرجى لديه .

أعاذنا الله من ذلك ومنّ علينا بما نرجوه منه / ووصل لنا بالزيد ما منّ علينا به منه .

كلام في مجلس في تخلف أكثر الناس عن علم الفوائد :

85 - (قال) وسمعت عليه السلام يقول وقد ذكر المهدي والقائم والمنصور عليهم السلام ، فذكر بعضهم فضلهم وعلمهم وما خصَّهمُ الله عزّ وجلّ به من الحكمة ، ثمَّ قال : وقد رأينا أكثرَ مَنْ صحبهم ولقيهم وتصرف في خِدْمَتِهِمْ وشافهمُ وسمع كلامهم من (4) المؤمنين أيامهم لا يحكي شيئاً من ذلك عنهم ولا يَأْثُر شيئاً مِّنْ (5) ذلك مِنْهُمْ : وأكثرُ ما يحكونَ عنهم ما تَمِيلُ إليه طباعُهم وتَأَلَّفَهُ أَنْفُسُهُمْ من ظاهر أمرهم ونهْيِهِمْ وأفعالِهِمْ في أمور الدنيا وما كَلَّفُوهُ / من إقامة أهلها على ظاهرٍ منهاجها ممّنْ أمروا بِضَرْبِهِ وأدبِهِ (6) وحسبِهِ أو

(1) أي أبو بكر بعد الرسول (ص) .

(2) أي : مع علي . لم يثبت معه في المطالبة بحقه إلا القليل ، رغم ما شهد للصحابه بالعلم والأمانة .

(3) فنترح قراءتين لعبارة « من قبلهم » نظراً لغموض القصد .

(4) في الأصل : أمير .

(5) في الأصل : منه .

(6) هذا المصدر غير معروف في اللغة في معنى التأديب .

قَتَلَهُ ، وَمَنْ وَلَّوْهُ أَوْ عَزَّلُوهُ ، وَأَثَابُوهُ أَوْ عَاقَبُوهُ . فَبِهَذَا أَكْثَرَ مَا حَفِظُوهُ عَنْهُمْ وَوَعَوَّهُ ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُمْ فَائِدَةً وَلَا لَفَظُوا قَطُّ بِحِكْمَةٍ وَلَا رَأَوْهَا جَرَتْ فِي فِعْلٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَا ظَهَرَتْ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِمْ [يـ] تَحَدَّثُوا بِهَا عَنْهُمْ أَوْ يَتَأَثَرُوا (1) مِنْهُمْ .

كلام في مجلس في معرفة حقوق الأئمة صلوات الله عليهم :

86 - (قال) وسمعت عليه السلام يقول : سمعت المنصور عليه السلام ورحمته وبركاته يقول : رأيت المهدي (ص) وقد وقف مع شيخ من كبار الدعاة - ذكره - بعد أن قام من مجلسه وكلمته بكلام ، ثم ولّى عنه ، فأهوى / ذلك الشيخ إلى الموضع الذي كان عليه المهدي عليه السلام قائما من الأرض فأخذ من ترابه بيده شيئا فقبله ثم صرّ في منديل كان في كُمته ، فلا أدري كيف التفت إليه المهدي عليه السلام بعد أن صار بعيدا عنه ، فرآه وما فعل ، فقال : يَجْزِيكَ اللَّهُ بِذلِكَ خيرا يا أبا فلان !

وما ظننت ولا ظن ذلك الشيخ أنه رأى ما فعله لأنه لم يفعل له إلا بعد أن ولّى ظهره ومضى عنه .

كلام في مجلس في ذم الكبر :

87 - (قال) وسمعت عليه السلام يقول وذكر بعض الدعاة وأن بعض الأئمة عليهم السلام نصّبته ، قال : فأعجبته نفسه وأبطره الإحسان / إليه وشمخ بأنفه ولم يكند بشئ يعطيه ، وجعل كأن فضل ولي الله عليه فضل له استحققه بنفسه . وعلم ذلك ولي الله عنه فوضعه وخلّعه عما كان أهله له .

قال : فمما (2) كان يسمعه منه / ما دلّه على سُخْفِ رأيه وذهابه بنفسه ، أنه إذا بلغ في مدح رجل ووصفه بالدين والإيمان قال : هو ممّن يتغشاني ويختلف إلى داري . وإذا بلغ في ذم الرجل ووصفه بالجهل والتخلف عن الدين

(1) في الاصل : فتحدّثوا ... أو ياترونها .

(2) في الاصل : فما .

والإيمان ، قال : هو ممتن /لا/ يختلف إليّ ولا أراه ، كأنه رأى أن الدين والإيمان /في/ الاختلاف (1) إليه ، والانسلاخ منهما /في/ التخلف عنه .

قال : وقد كان إذا خرج مع وليّ الله /اعتزل ناحية/ وأخذ الناس بالكون معه ومشى بهم في موكبٍ ، يرى ذلك ممتن اتّبعه تأتفاً على الدين والإيمان (2) . (قال) ونصح له بعض من نصح له فتجهّم في وجهه وانتهره ، وكان ذلك وغيره من سوء اختياره سبب اتّضاعه من حيث أراد رفعة نفسه ، وإنّما يرفع الله عزّ وجلّ من تواضع له ولأوليائه .

ثمّ قال صلوات الله عليه : إنّ الله عزّ وجلّ لما أنزل التوراة تطاولت الجبال لها ، كلّ جبل منها يريد بذلك أن يكون نزولها عليه . وتواضع وهبط طور سيناء فأنزل الله عزّ وجلّ عليه .

وهذا يؤيد قول رسول الله صلى الله عليه وآله : من تواضع لله رفعه الله (3) . وقوله : ما من آدمي إلا وفي رأسه حكمة بيد ملك ، فإذا تواضع لله رفعه بها ، وقال : ارتفع رفعك الله ، وإذا تكبر ضربه بها وقال : انخفض خفضك الله (4) . وقول جعفر بن محمد (صلع) : من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يكابر به العلماء ليرأس به في الناس فليتبوأ مقعده من النار ، لأنّ الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها ، فالرئاسة لا تصلح إلا لأولياء الله ، فمن نازعهم إياها ونافسهم فيها وضعه وأذله الله . ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله : الكبر رداء الله فمن نازعه فيه قصمه (5) .

حديث في مجلس / في سوء السياسة :

88 — (قال) وذكرت له يوماً صلى الله عليه وآله حال رجل كان من خاصّة بعض أمراء العائمة وقد استولى على جميع أسبابه ، وكان ناصحاً له قائماً بأسباب

(1) في الاصل : والاختلاف .

(2) في الاصل : ... يرى أن ذلك ومن اتبعه تألّا .. ولا يستقيم المعنى به .

(3) من تواضع لله : خاتمة حديث ورد عند الدارمي ، ج 1 ص 396 والترمذي ج 8 ص 184 .

(4) الحديث في الجامع الصغير للسيوطي ، ج 3 ص 102 مع اختلاف في اللفظ . والحكمة بفتحيتين : " حديدة اللجام " وقد ذكره اللسان (حكم) بثلاث روايات ، منها حديث عمر : إن العبد إذا تواضع رفع الله حكمته أي قدره ومنزله .

(5) حديث رداء الكبرياء : انظر صحيح مسلم ، ج 35-35/8 وسنن ابن ماجه ص 1397 رقم 4174 ومسنند أحمد بن حنبل 109/13 رقم 7376 . وكذلك الكافي للكليني 309/2 رقم 5-2 .

خدمته ، فكان ذلك الأميرُ فيه ضَعْفٌ وسُخْفٌ ، فكان ذلك الرَّجُلُ يقومُ له بأكثر الأشياءِ ، وأنَّ عامَّةَ رجالِ ذلك الأميرِ عادُوهُ للنَّصِيحَةِ له وحسدُوهُ على مكانِهِ عنده فلم ي زالوا يعملُّونَ عليه حتَّى قتلوه .

فقال (صالح) : من مثل هذا يؤتَى مثلُ هؤلاء . إذا ترأَّسَ أحدهم وقدمته سلطانه ورفعه أعجبتَه نفسه ورأى أنَّ له فضلاً بفضلِ نصيحته / وخدمته على ذلك السلطانِ الذي قدمته وأحسنَ إليه ورفعه ، فإن رأى ذلك السلطانُ رأياً يرى هو خلافَه اعترضه فيه ، وإن فعل فعلاً ينكره أنكره عليه ، وإن بذل بذلاً وأعطى عطاءً أنكره وعاتبه فيه ، فلا يزالُ كذلك حتَّى يسقطَ من عينيه ويثقلَ عليه أمره فيهلكُ عنده . ولو عرف كلُّ امرئٍ مقدارَ نفسه لما هلك بمثلِ هذا من فعله ، فقد قيل : ما هلك أمرؤُ عَرَفَ قَدْرَهُ .

حديث في مجلس في معنى القضاء في اللغة :

89 — (قال) وذُكِرَ عنده عليه السلامُ القضاءُ واختلافُ معانيه وما يقول الناسُ فيه ، فقال : ليس / كما يقولون ! ولكنَّ أصلَ القضاءِ البيانُ ، وكلُّ ما جاء ذكره فيه مردودٌ إلينا .

فنظرت بعد ذلك فيما قاله أصحاب اللغة فيه . فوجدتُ الخليل بن أحمد ذكر تفسيره في كتاب العين : فقال : قضى : قضى . قضاءً ، يعني : حكمٌ ، يحكمُ . حكماً . ويقول : قضى إليَّ عهداً . معناه : الوصية . وبه يُفسَّرُ : « وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (1) ... » ويقول : قضى عليه الموتُ أي أتى عليه . وقال في موضع آخر : الحاتم : القاضي ، والحاتمُ : الزَّامُ القضاء . فهذا قول الخليل (2) فيه .

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة (3) : أصل / قضى / (4) حتم كقوله : « فِيمُسِكُ التِّي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ » أي حتمه عليها / . وهذا محالٌ من قوله ، لأنَّ الله

(1) الاسراء ، 4 .

(2) هو الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي الأزدي (100-170هـ/718-786م) واضع علم العروض. ولادته ووفاته في البصرة ، وعنه أخذ سيبويه النحوي ، انظر عنه القفطي : إنباه الرواة 1 : 341 . وهذا النقل - فيما يبدو - من كتاب « العين » .

(3) أبو محمد ، الدينوري ، ولادته ووفاته ببغداد (213-276هـ/828-889م) سكن الكوفة ، وتولى قضاء الدينور مدة فنسب إليها . انظر عنه : ابن خلكان - وفیات الاعيان . ابن حجر : لسان الميزان ج 3 ص 357 . والنص من كتابه : تأويل مشكل القرآن ، 441 .

(4) في الاصل : « القضاء » : والتصويب عن تأويل مشكل القرآن .

عز وجل قد حتم الموت على كل نفس ، وإنما قال في هذا : «اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى » . فلو كان القضاء هاهنا الحتم لكان عليها جميعا (1) .

قال هذا القائل : ثم يصير الحتم بمعان ، كقوله : «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ (2)» أي : أمر ، لأنه لما أمر حتم بالأمر .

وكقوله « وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ (3) » أي : أعلمناهم ، لأنه لما أخبرهم أنهم يفسدون في الأرض حتم بوقوع الخبر .

وقوله : « فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ (4) » أي صنعهن .

وقوله : « / فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ (5) » : أصنع ما أنت صانع .

ومثله : « فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ » أي اعملوا ما أنتم عاملون [وَلَا تُنْظِرُونِ] (6) .

وأشد لأبي ذؤيب (7) (كامل) :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود /أو/ (8) صنع السوابغ تبع
أي صنعهما داود عليه السلام [وتبع] (9)

(1) الزمر ، الآية 42 . وإن اعتراض القاضي مردود . فمعنى الآية : يحتفظ الله بالتي حكم عليها بالموت ويترك الأنفس التي أجلها ...

(2) الاسراء ، 23 .

(3) الاسراء ، 4 .

(4) فصلت ، 12 .

(5) طه ، 72 .

(6) يونس ، 71 . والمكمل نص التأويل لابن قتيبة .

(7) هو خويلد بن خالد الهذلي الشاعر . كان مسلما على عهد الرسول ولم يره . فهو جاهلي أسلم ، غزا إفريقية مع ابن أبي سرح . ومات فيها فدفنه ابن الزبير . وفي موته روايات أخرى (انظر عنه ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج 2 ص 635 ، أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ج 6 ص 264 وابن عبد البر : الاستيعاب ج 4 ص 65 وابن ناجي : معالم الإيمان (تحقيق إبراهيم شيوخ) ج 1 ص 173 .

(8) في الأصل « من » . انظر السكري : شرح أشعار الهذليين 1 : 39 . والصنع : الحاذق بالعمل ، وهو ههنا تبع . وانظر أيضا : ابن قتيبة : المعاني الكبير 2 : 1039 واللسان « مادة » قضى » .

(9) المكمل من ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن 442 .

(قال) وقال آخر في عمر (طويل) :

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها بوائج (1) في أكمامها لم تُفَتَّقِ

أي عمليت أعمالا . لأنّ / كلّ / (2) من عمل عملا وفرغ منه فقد حتمه وقطعه .
ومنه قيل للحاكم : قاضٍ ، لأنّه يقطع على الناس الأمور / ويحتسِمُ . وقيل :
قُضِيَ قضاؤك أي فرغ من أمرِك . وقيل : قضى الموت أي فرغ (3) . وهذه
الفروع ترجع إلى أصل واحد (4) .

ففساد الأصل الذي ذكره هذا القائل قد بيّناه . وقوله : إنّ هذه الفروع ترجع
إليه ، محال ، لأنّه زعم أنّ أصل القضاء الحتم . ثمّ جعله بعد ذلك أمرا وخلقا وعملا
وحكما وفراغا من الشيء وموتا ، وليس من هذا شيء يُشبه الحتم ولا يرجع إليه .
وكذلك قول الخليل بن أحمد في قضى أنّه : حكم .

وأنى بما لا يخرج على التنزيل إذ أنزل على جميع ما جاء به في القرآن .

فالذي قال عليه السلام / أنّه البيان ، يخرج على جميع ذلك ، بما ذكرناه وما لم
يذكره ، فيكون على ذلك قوله : « وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا إِيَّاهُ » (5) أي بيّن ذلك في أمره لعباده . في كتابه وعلى لسان
رسوله .

وقوله : « وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي
الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ » (6) أي بيّنا لهم في الكتاب .

(1) في الأصل : «قوائج» أو «فوائج» ، ولا معنى له . وفي الاستيعاب 2 : 465 «بوائج» جمع بائجة وهي الداهية والبلية (انظر اللسان ب. و. ق) واعتمدنا رواية اللسان (ب. و. ج) والبوائج جمع بائجة وهي الداهية أيضا . يقال : انباجت عليهم بوائج منكورة ، إذا انفتحت عليهم دواه . واستشهد له بقول الشماخ . هذا وقد سقط في نسخة المجالس الترضية عن عمر . والبيت في اللسان (ب. و. ج) منسوب إلى الشماخ بن ضرار ، (انظر : أبو تمام : الحماسة 3 : 107) ويذكر ابن عبد البر : الاستيعاب 2 : 465 (ترجمة عمر) أن الأبواب «سمعت قبل وفاة عمر فلما مات نحلها الناس للشماخ بن ضرار أو لأخيه مزرد» . (انظر الاغانى 8 : 102) .

(2) من التأويل لابن قتيبة .

(3) كذا . ونص ما في التأويل : « وقالوا للبت : قد قضى ، أي فرغ » ويأتي عند النعمان أن المعز يرى . قضى ما كان عليه من لازم الموت .

(4) إلى هنا يتوقف النقل .

(5) الاسراء ، 23 .

(6) الاسراء ، 4 .

وقوله : « فَتَقْضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَآوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ (1) » أي : أبانهن بخلقه إياهن للناظرين . بعد أن لم تكن شيئا يبتنا .

وقوله : « فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ (2) » إنما هو حكاية عن قول السحرة لفرعون بعد أن آمنوا بموسى وبعد أن قال فرعون لهم : « آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ (2) » وقوله : « فَلَا تُقْطِعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ / وَلَا تُلَبِّسَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلِتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى . قَالُوا : لَنْ نُنْزِرَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » أي : بيتن ما ادَّعَيْتَهُ مِنْ أَنَّكَ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى . إِنَّمَا تَبَيَّنَ مَا كَانَ مِنْ عَذَابِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِمَا تَفْعَلُهُ مِنَ الْعَذَابِ فِيهَا .

وقوله : « فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ (3) » أي : يبنوا إليّ حينئذ ما أنتم عليه وما تريدون .

وأما بيت أبي ذؤيب ، قوله :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود / أو / صَنَعَ السَّوَاعِجِ تَبَعُ
فجرى مجرى قول الله عز وجل : « فَتَقْضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَآوَاتٍ (4) » أي : أبانهما بالصنعة فصارتا درعين .

وأما قول الآخر : قضيت أمورا الخ ... ، فيكون : أبنت أمورا ، ويكون من غير هذا الوجه ، مثل : قضى الدين ، وقضى الواجب ، وقضى الصلاة ، وقضى الصوم ، وقضى الحق ، وأشباه ذلك مما ليس من هذا الوجه .

وأما قوله : قضى القاضي ، فمعناه بين الحق من الباطل .

وقولهم : قضى قضاؤك أي بين بيائك ، فليس فيك مقال بعد ذلك من أي وجه كان ذلك البيان ، فهو بيان ذلك الشيء ، إن استعملوه في الموت ، وأن من قيل فيه

(1) فصلت ، 12 .

(2) طه ، 71-72 .

(3) يونس ، 71 .

(4) فصلت ، 12 .

ذلك قد مات ، فقيل : قضى قضاؤه ، فهو أبين بالموت / أنه مات . وإن استعملوا ذلك فيمن حكم عليه أو أحكم أمره فهو على ذلك يجري أنه يبين الحق فيه من الباطل .

وأما قولهم : إنه قضى الموت . فإنما يراد به قضى ما كان عليه من لازم الموت ، ومنه قول الله عز وجل : « فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ (1) » والنَّحْبُ : التَّذَرُّ . وإن حمل على البيان خرج منه ، كأنه لما مات تبين أمره . فهذا الذي ذكره هذا القائل ، وما لم يذكره من قول الله عز وجل : « وَقَضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ (2) » أي : بين لهم الأمر الذي كان يعدُّهم به نوح عليه السلام .

وقوله (3) : « فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ / مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ (4) » يعني أنه بينه عليه ، ولو كان حتمه لكان الموت محتوماً على الحي والميت . ومثله : « يَقْضِي الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (5) » أي [يُبَيِّنُ] .

وأما قوله : « يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (6) » أي : بين لكما الأمر الذي سألتما عنه .

وقوله : « إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا (7) » أي : بينها لولده بقوله ذلك لهم .

وقوله : « لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ (8) » أي : لبين لهم .

وقوله : « قُلْ / لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ (9) » أي : بين .

(1) الأحزاب ، 23 .

(2) هود ، 44 .

(3) في الأصل : وقولهم .

(4) سبأ ، 14 .

(5) الأنعام ، 57 . وفي قراءة ابن كثير وعاصم ونافع : يقص الحق ، انظر الكشاف ج 2 ص 25 والبيضاوي ج 2 ص 191 .

(6) يوسف ، 41 .

(7) يوسف ، 68 .

(8) يونس ، 11 .

(9) الأنعام ، 58 .

ومثله كثير إذا وجهته توجه كَلِّه على البيان كما قال المعزّ عليه السلام .
فخلص من فاسد التأويل ولم يكن للجبرة (1) فيه دليل .

فأمّا قضاء الحاجة ، وقضى الدين ، وقضى الصلاة ، وقضى الصوم ، وقضى الحق ، وقضى الواجب ، وقضى الوطر ، كقول الله تعالى : « فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ (2) » وقوله : « فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا (3) » فذلك غير ما تقدّم ذكره وهو أداء الشيء والخروج منه ، كما يقال قضى فلان الحج ، وقضى العمرة ، وقضى الزيارة ، وقضى المناسك ، ومثل ذلك كثير . وهو أيضا يجري مجرى البيان لأنّه الخروج من شيء ، ومن خرج من شيء أو فارقه فقد بان / عنه (4) .

وهذا اللفظ كَلِّه لفظ المعزّ عليه السلام (5) . وما علمت أحدا سبق المعزّ عليه السلام إليه ولا إلى ما أصله في القضاء أنّه البيان ، ولا رأيت فروعا تطرّد على أصل مثله فلا تخرج منه إلى غيره . والله يُديم تأييده وتوفيقه وإمداده بنور هدايته ، ويواتر الصلاة عليه وعلى آبائه وأبنائه .

كلام في مجلس لرسول الأمويّ الخاسر (6) القادم عليه من الأندلس :

90 - (قال) وانتهى إلى أمير المؤمنين المعزّ (صلع) أنّ (7) مركبا لبني أميّة قدم من المشرق ، فلما صار بين صقلية وإفريقية مرّ بجزيرة / فصادف فيها قاربا فيه نقرّ قدّموا من صقلية يريدون إفريقية، وفيه كتاب من عامل صقلية إلى أمير المؤمنين . فخاف الأندلسيون أن يندروا بهم فأخذوا رجُلَ (8) قاربهم واختطفوا

(1) كذا في الأصل ، ولعلها « الجبرية » : ولا يخفى أن السياق يتفق مع مادة « الجبر » و « الاجبار » في معنى الحتم والقضاء والقدر. إلا أن المعاجم لم تذكر « جبرة » في المصادر المسموعة لفعل « جبر » .

(2) القصص ، 29 .

(3) الاحزاب ، 37 .

(4) ولكن المصدر هنا هو اليقين لا البيان .

(5) فهذا المبحث الطويل هو إذن من المعز ، وإنما النعمان ناقل .

(6) الخاسر تجنيس للقب « الناصر » .

(7) في الأصل : وإن ...

(8) في الأصل : رجلا ، ورجل القارب هنا سكانه أي دفته . انظر دوزي في المادة ، وقد اعتمد فيما اعتمد ، على نص لابن جبير : « ... صنع المركب بسكانيه وهماء رجلاه اللتيان يصرف بهما » (الرحلة نشر د. حسين نصار ، القاهرة ، 1955 ص 311 سطر 6) . ولا يبدو من الشاهد أن «الرجل» كلمة مصطلح عليها في معنى السكان أو الدفة ، وهذا ما يؤكد سكوت المعاجم عن مدلولها هنا . ثم أن دفة المركب واحدة في العادة .

بعض أمتعتهم وأخذوا فيما أخذوا الخريطة (1) التي فيها كتاب عامل صقلية، وتركوا القارب بمن فيه بالجزيرة لا يجدون من يحملهم (2) إلى أن مر بهم مركب ، فركبوا فيه وأتوا بالخبر .

فغضب أمير المؤمنين صلوات الله عليه لذلك وأمر بإخراج مراكب حربية وأدخل فيها رجالا من رجال البر والبحر وأمر عليهم حسن بن علي (3) عامل صقلية وأمره بطلب / المركب حيث أخذ ، وإن وصل إلى الأندلس فلا ينصرف عنه حتى يحرقه . فلم يلحق المركب إلا وقد أرسى بالمرية (4) مرسى الأندلس ومجتمع (5) مراكبها وأساطيل الأموي المتغلب عليها ودار صناعة مراكبه وبها عدته ، واتصل الخبر به أن الأسطول قد نفذ إليه ، وساء وقت مراكبه راءة (6) في البحر بخبره . فأعدت عساكره وعمر مراكبه بالعدة والسلاح والرجال ، وجاء حسن بن علي في مراكبه ، وكانت قليلة العدد [و]إنما أخرجت في طلب مركب واحد ، فوهب الله لوليته الظفر (7) فاستولى أسطوله على أساطيل الأموي / فأضرمها نارا وغادرها بأسرها رمادا . ونزل من الأسطول من رجال البحر (8) واستولوا على المرية وانهزم عنها جمع الأموي ، فأحرقوا ما بها من المراكب والخزائن والعود (9) والعدد ، وانتهبوا جميع ذخائرها ، وهرب من استطاع الهرب من أهلها . ولم يعرضوا لمن بقي ممن استسلم بها بمكروه ، وقتلوا من ناصبهم أولا (10) وأحرقوا المركب الذي صنع أهل ما صنعوه فيما أحرقوا ، ولم يكن أمير المؤمنين أمرهم بغير ذلك ، فانصرفوا سالمين غانمين لم يزر (11) منهم أحد بسوء .

- (1) الخريطة : وعاء من الجلد .
- (2) روى ابن الأثير هذه الحادثة بشيء من الاختلاف : الكامل ج 6 ص 185 . (وانظر أيضا افتتاح الدعوة ، نشر الدشراوي ص 336 والقسم الفرنسي منه ص 143 ، وابن خلدون ج 4 ص 46 وك. العيون والحدائق نشر السعيد ج 2 ص 575 و488) .
- (3) الحسن بن علي الكلبي والي الفاطميين على صقلية . (انظر أعمال الاعلام لابن الخطيب ، نشر ح. ح. عبد الوهاب ، وترجمة كافار لسيرة الأستاذ جودز ص 190 تنبيه 422) .
- (4) ثغر أندلسي في الجنوب الشرقي من السواحل الإسبانية .
- (5) في الأصل : ويجتمع ...
- (6) راءة ج راء ، المراقبون والطلائع الذين حملوا خبر الاسطول الفاطمي إلى الناصر .
- (7) في الأصل : السفسر ...
- (8) في الأصل : الخبر ، وقد تكون : البر .
- (9) الدود : يريد به أخشاب المراكب والصواري . جاء في سيرة الاستاذ جودز ص 121 فقرة 56 : « ... وكانت دار صناعة مولانا (ص) محتاجة إلى المسود ... »
- (10) أي بداهم بالمساء .
- (11) زر الرجل بالرمح : طعنه .

وحلّ بالأمويّ الداهية واضطربت عليه البلاد (1) وخاف / خوفا شديدا ،
فألف المراكب وجمع جميع رجاله ومن يوصف بالنكاية ببلده وأخرج أسطولا
في العام المقبل بعد أن كتب إلى طاغية الروم (2) يسأله النصرة ، وأهدى إليه هدايا
وأرسل إليه رسلا من قبلكه ، فأجابه إلى ذلك . وجاءت أساطيل الروم من القسطنطينية
ومراكب بني أمية بالأندلس .

فجمع أمير المؤمنين المعزّ لدين الله عليه السلام / أوليائه / وعرفهم
ذلك وأنّ الروم سألوه عقد هدنة إلى مدّة طويلة على أن ينصرفوا عنه ،
وقال لهم : ما ترون في ذلك ؟

فقالوا : أمير المؤمنين أعلى عينا . والذي نراه نحن مهادنة الروم ،
فما علينا / من ذلك ، وأن نصرف وجوهنا إلى هؤلاء بجملتنا .

فقال : معاذ الله ! ما كنت بادئا إلا بمن بدأ الله عز وجلّ به ، قال تبارك
اسمه : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ » (3) وقال : « يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ » (4) فهم أقرب إلينا ،
وحسبنا استنصارا بالله على هؤلاء الفسقة بني أمية استنصارهم بالمشركين إخوانهم
في الدين علينا ودخولهم في جملتهم وكونهم في حزبهم ، وكفاهم بذلك خزبة (5)
وعارا في دنياهم وأخراهم .

وخرج عليه السلام إلى المهديّة وأنفذ أساطيلهم وفيها عساكر البرّ إلى جهة
الروم ، وأقام بالمهديّة وأمر أن يكون العساكر في كلّ / مرسى بطريق الأندلس .

وأقبل أسطول الروم فلقى أسطول أمير المؤمنين دون صقلية ، وأقبل أسطول
بني أمية لميعاد المشرّكين ، ففتح الله لوليّه على الروم فهزمهم في البحر وقتل رجاله
منهم خلقا عظيما ، ولتوا هاريين بين يدي أسطوله إلى مجاز رية (6) ليحموا

(1) في الاصل : البلد .

(2) أي الامبراطور البيزنطي .

(3) التوبة ، 73 والتحريم ، 9 .

(4) التوبة ، 123 .

(5) بالفتح والكسر . وفي حديث الشعبي : وقمنا في خزبة لم تكن فيها الا بررة أنقياء .

(6) مجازية أو ريو : أي مجاز مسينا الفاصل بين صقلية ومقاطعة قلورية Calabria بجنوب إيطاليا
ورية هي اليرم Reggio di Calabria .

بلدّهم . واتّبعَهُمْ إلى ما هناك فلقُوهُ في البحر أيضا فهزّمهم . فنزل عسكرُ البرّ بأرضهم فأنكى بالقتل فيهم . فأحرقَ مدائنهم وأخرب كنائسهم وبلغ غايةَ الأمل فيهم من النّكاية (1) .

وانتهى أسطول بني أميّة إلى بعض مراسي المغرب الخالية القليلة العدد فنزلوا بها يريدون أن يؤثروا أثرا يرجعون [بعده] إلى بلادهم ليسكنوا / به من خلفهم ، فخرج إليهم أهلُ تلك النّاحية فقتلوا منهم بشرا كثيرا فهزّموهم فمات في البحر أكثرُ ممّا قتلوه ، وغنموا ما كان معهم من السّلاح ، ووجّهوا برؤوس من قتلوه وبما غنموا . واتّصل بهم خبر الرّوم فانصرفوا منكوبين خاسرين .

وأرسل ملك الروم إلى أمير المؤمنين بأموال عظيمة وهدايا جلييلة ورغب في التوقف عمن بقي من الروم بأرض قلورية على مال قطعتهُ على نفسه يؤدّيه عنهم وأسرى من أسارى أهل المشرق (2) أيطيّبقهم في كلّ عام لمدة سيرة سأل الهدنة فيها . ورأى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام صلاحا للدين وللمسلمين / بعد أن أقدّره الله عزّ وجلّ وأمكنه وشفّى صدره وصدور المؤمنين به (3) .

91 — فلما انتهى ذلك إلى الأمويّ الخاسر خاف الواقعة به فدرس رسولاً من قبليّه كتب كتباً على لسان بعض رجاله إلى بعض أمير المؤمنين في المودعة والصّلح وكفّ الحرب ويذكر ما يتوقّع في ذلك من سفك دماء المسلمين واشتغال بعضهم ببعض عن غزو المشركين . وجاء الرسول بالكتاب وأدّى بلسانه عن الخائن ما لم يؤدّه الكتاب (4) ، من طلب الصّلح والألفة وكفّ الحرب والفتنة ، وذكر ذلك لأمير المؤمنين (صلح) شفاها ...

(1) دارت هذه الواقعة بحرا ثم برا سنة 956/345 ، وهي غير وقعة المجاز التي دارت برا برمطة وطبرمين Rametta - Taormina ثم بحرا بمضيق مسينا Messina وانتصر فيها الاسطول الفاطمي ، وكان ذلك سنة 964/353 . انظر رسالة G. Schlumberger عن نفقور ففاس Un Empereur... Nicéphore Phocas ص 442 .

(2) نفهم من هذه العبارة أنهم أسرى من الشرق ولعلمهم شاميون من الامارة الحمداية ، ونلاحظ أن المعز يطيب له أن يكون وصيا على المسلمين في المشرق أيضا .

(3) وقعت هذه الهدنة سنة 957/346 (انظر : الدشراوي : الخلافة العاطمية بالمغرب، النص العربي المرقون ص 313 ، وكذلك شلومبارجي ، ص 468) .

(4) في الأصل : ما لم يود الكتاب به .

... وأما (1) ما تخوفه من الحرب والفتنة وسفك / الدماء . فما ظهر له منّا ما يتخوف منه ذلك . وما نحن بمن يؤمنه منه ، لكنه بغى علينا من بغى من أهل عمله فانتصرتنا بالله فنصرنا الله وبلغنا فوق آمالنا ، فقام وقعد وأبرق وأرعد / و/ والى (2) علينا المشركين الذين رأى الآن أن اشتغالنا به واشتغاله بنا داعٍ إلى ترك جهادهم وأن ذلك نقصٌ ووَكْفٌ على الإسلام . فهلاً رأى ذلك إذ بعث بأمواله وهداياهم ورسوله إليهم واستنصر عتبتنا بهم ؟ ! فكيف رأى الله عز وجل فعل بهم وجميعهم (3) ؟ ألم يصرِف الجمعَيْن مغلوبَيْن خائبَيْن خاسرين ؟ ونحن بُعدٌ فما رأى منّا إليه حركةٌ . فما هذا القلق وهذه العجلةُ . / ؟

وأما ما دعا إليه من السلم والكف والموادة والصّح وهو يزعم أنه أمير المؤمنين — كما يتسمى دون من سلف من آبائه (4) — وإمام الأمة بدعواه وانتحاله ، ونحن نقول إنّنا أهل ذلك دونه ودون من سواه ، ونرى أن فرض الله علينا محاربة من انتحل ذلك دوننا وأدعاه ، مع ما بين أسلافنا وأسلافه ومن مضى من القديم والحديث من آبائنا وآبائه من العداوة القديمة الأصلية والبغضة في الإسلام والجاهلية ، وما اعتقدوه لنا في ذلك في الإسلام وطالبونا به من قديم الأيام من لعن رسول الله صلى الله عليه وآله / آبائهم وقتل من قتله على الشرك والكفر بالله منهم ، وطلبهم بئارهم ودمائهم ، وطلبنا نحن إياهم بمن قتلوه منذاً كذلك في سلطانهم وأيام تغلبهم ، فكيف بالصّح الذي ذكره بعد هذا التّسليم الجليل خطرُه ؟ يبأسى لنا ذلك (5) قَوْل الله عز وجل : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ (6) » . ما أنا بالمداهين في دين الله ولا بالراكن بالمودة إلى أعداء الله ولا بالمخادع في أمر من أمور الله !

(1) نقص واضح في السياق، وكان بداية جواب المعز قد سقطت عند النسخ .

(2) في الاصل : وأرعد والى علينا ...

(3) في الاصل : بجميعهم . والجمعان أسطولا الاندلسيين والروم .

(4) من آبائه : أي أمراء الأسرة الاموية بالاندلس من سلالة عبد الرحمان الداخل . ومعلوم أن عبد الرحمان الناصر هو أول من تلقب بلقب الخلافة بالاندلس .

(5) في الاصل : من ذلك .

(6) المجادلة ، 22 .

أرجع بجوابي هذا إليه فما له عندي سواه، وما لي من الأمر شيء / إن الأمر كله لله «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» (1). فإن حرّكني الله إليه وقذّف في قلبي حربه وغزوه فلا أشك أن الله عزّ وجلّ أراد قطع دابرٍ واستئصال شأفته وتطهير الأرض من رجسه وحسّم أيامه ومُدّته ، وإلاّ يقذّف ذاك في قلبي وبصرٍ إلى من سواه وجهي فلأمرٍ هو بالغه فيه وإملاء هو محتجّ به عليه ومُدّة سبقت في علمه له . قال الله عزّ وجلّ : «وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ مَّا نُمِلُّ إِلَيْهِمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّهُمْ لُمِلُّوا إِلَيْهِمْ لِيُزَادُوا إِيثْمًا (2)». فليتنظروا أحدَ الأمرين وليستوقع وجهًا من الوجهين : إمّا هلاكًا يُعَجِّلُ أَصْطِلَامَهُ وإمّا إملاءً (3) من الله يوفّر آثامه . ونحن ننتظر من الله عزّ وجلّ إحدى / الحُسْنَيْنِ ونرجو منه لنا خير الأمرين : إمّا نصر من الله يعجّله لنا عليه فيشفي قلوبنا وقلوب المؤمنين به . وإمّا (4) أن يُمِلِّيَ له على ما هو عليه من معاصيه ومساوئه ومخازيه . ففي ذلك سرورٌ من رأى عدوه عليه . فقد كان يقال : حسيك درك أصل من عدوك أن تراه عاملاً بمعاصي الله ، وذلك أن المعاصي تعجّل الدمار أو تولج عمّا قليل عذاب النار .

وصرف الرسول وأمر الذي وردّ عليه الكتاب (5) أن يُجِيبَ عن كتابه إليه جواباً غليظاً ويتواعدّه فيه . ففعل . وانصرف الرسول بالجواب والكتاب .

فوقع البائس (6) في المكروه واستولى عليه الخوف . فردّ الرسول بكلام / لطيف وكتب الجواب إلى الذي كتب إليه أولاً على لسان بعض رجاله بما ألان فيه القول . وسدّد واستعطف وتواعدّ بعد أن جمع - فيما يُقال - وزراء (7) وكتابه لتأليخه . واحتجّ بزعمه فيه وأنفذه مع الرسول . وأتبعه برسول آخر

(1) الشورى ، 10 .

(2) آل عمران ، 178 .

(3) الامتز : النجيل والامهال .

(4) في الاصل : فلما . وقد قابلنا «وإمّا» عبارة : إمّا نصر ...

(5) لا ننس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كتبها رجل من خاصته إلى رجل من خاصته . ولنعلم لا تذكر المسألة ...

(6) أي الضعيف .

(7) في الاصل : وزاده

بكتاب إلى ذلك المكتوب إليه [يُخْبِرُهُ] (1) أن ذلك الكتاب مفتعل وأنه لا علم عند صاحبهم به ولا هو عن رأيه ليُهدّثُوا (2) الأمر.

فخطب الرسول أمير المؤمنين عليه السلام بالخطاب السهل الذي أُرسلَ به ودفع الكتاب إلى الذي أُرسل إليه : وجاء الرسول الثاني بالكتاب الآخر فدفع إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقُرئ علينا / بين يديه ، وفيه من التغاير والفساد وسوء التوجيه ما سذكُره . وجعل المعزّ عليه السلام يحتجّ لنا على كلّ فصل منه ويبيّن لنا عواره (3) وفساده . فصرف الرسول بلا جواب منه سوى أن قال له : قد قيل إنّ الصّدق يُنبئُ عَنْكَ لا الوعيدُ ، وكتب المنصور عليه السلام إلى ملك الروم : إذا نطق السيف سكّ القلَمُ .

وأمر الذي ورد عليه الكتاب أن لا يجيبَ عنه بحرف . وانصرف الرسول خائباً . وأمر بتجهيز الجيوش إلى أرض المغرب لتتبع كلّ من مال إلى بني أميّة بالقتل واجتياحهم عن جديد الأرض . فإذا طهرها الله منهم فيما والاه من البرّ جهزهم إليهم إن شاء / الله في البحر لقطع دابرهم واصطلامهم عن آخرهم بحول الله وقوته .

وكان [في] ذلك من تأييد الله ونصره ما هو المرجو من تمامه وبلوغ الأمل فيه بفضله وإنعامه إذ (4) فتح في ذلك لوليّه وسببته له وحركه إليه كعادته الجميلة لديه عليه السلام .

(1) في الاصل : وغيره ولا نرى لها معنى فموضئها بما يقتضيه السياق .

(2) في الاصل : ايسدوا ...

(3) العوار : الخرق والعيب .

(4) في الاصل : إذا .

الجزء السابع

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

كلام في ترك جواب الأمويّ الخاسر الخائن :

92 — قال القاضي النعمان بن محمد : لما سمِعَ من حضر من الأولياء ما في كتاب الخائن من العُوار أحبّوا أن لو نُقِصَ عليه . وألَوِّتُ (1) له بالجواب عن مساويه ، فقال المعزّ عليه السلام : / وما في الردّ عليه من فائدة ؟ أتراه إنْ بصّرناه الحقّ يرجِعُ عن باطله أو هو على شكٍّ من سوء حاله . فنبين له ذلك لئرجو به صلاحه ؟ والله ما كان ينبغي أن يكون جواب هذا الكتاب لمن فهِمَ الصواب إلّا أن يُدرَجَ ويردّ إلى كاتبه . ففيه جوابه والحجّة عليه من قوله . [و]إنّما أراد هذا الفاسق أن يقطع الزمان بهذه المراسلة والمكاتبة بيننا وبينه . وانصرفُ رسوله إليه بغير جواب أنكّى لقلبه وأخزى وأنعَسُ . ولو قد أتاه منّا جوابٌ لاستراح إليه . وردّ مثل هذا الغث والمحال من قوله .

كلام في مجلس خطوب به رسول الأمويّ / :

93 — (قال) وكان فيما ذكره الرسول أنّه استرحم أمير المؤمنين للمسلمين وقال : قد علم أمير المؤمنين أنّ الحرب متى كانت . هلك فيها من الفريقين . وهم

(1) أي : أشرت للمعز بالجواب عن رسالة الناصر .

مسلمون . فإن رأى أمير المؤمنين حقن دماهم والكف عما يُخافُ فيه الهلاك عليهم ، فعَسل .

فقال أمير المؤمنين : المسلمون (1) هم أمة جدِّي لا أمة جدِّ مرسلِك ، وأنا أرافُ وأعطف عليهم وأطف وأرحمُ بهم ، فإن دخلَ أحدُهم في جُملةِ صاحبك فقد دخل في جُملة طائفةِ أهلِ البغي ، ووجب عليّ وعلى سائر المسلمين قتالُهم كما أمر الله عزَّ وجلَّ في كتابه ، وقرأ : « حَتَّى تَقْصِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ (2) » . فمن قُتِلَ منهم على البغي . فبحكم الكتاب قُتِل . ومن / قَتَلُوهُ من أهل العدل معي ، ففي سبيل الله استشهد . وبأمره عميل . وقد زعمَ صاحبك أنَّه يطلب ثاره من موضعه إلى آخر الدنيا وإنَّما هو في جزيرة بطرفِها .

فإن كان المسلمون عندك وعنده إنَّما همُ أهلُ جزيرة الأندلس فقط ، فقد أصاب صاحبك في قوله . وإن كان المسلمون قد عمَّوا أكثر الأرض — وهو كذلك — فكان ينبغي لك أن تقول هذا القول الذي قلته لنا ، له ، إذ (3) تواعدهم بالقتل . وكان ينبغي لك أن تسترحمه لهم . وقد جمع جموعه كما علمت وأخرج مراكبته وواطأ علينا المشركين ، وأنزل رجاله في غير موضع من المراشي ليقتل / قوما من المسلمين ما هم منه بسبيل . ولا آذوه ولا بغَّوا عليه ، إلا لأنَّهم ممَّن حوته مملكتنا . ودان بطاعتنا . فأظهرهم الله عليه وردَّه منهم بغيظه ، فهلا كنت أخذت ذلك عليه . وقبَّحت فعله إليَّ ؟ وقد علمت أننا غضبنا عن جواز مراكبه في بحرنا ومملكتنا بما يجتازون به إليه من السوءات والقبايح ، حتَّى عاثوا ومدَّوا أيديهم إلى رعيَّتنا وأخذوا كُتُبنا من أيدي رُسُلنا ، فقمنا في ذلك قيامَ مثلنا وطلَّبتنا من أفسدَ وعاث في بلدنا ، وقاتلنا من قام دونه إذا وصلنا إليه حتَّى إذا أظهرنا الله بفضله كما عودنا ، رفعنا أيدينا عمَّن لم يقاتلنا ، فلم نهتك حرمة ولا / خفرنا ذمة (4) ، سيرة جدِّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيننا عليَّ عليه السلام وعلى الأئمة من أبنائه . ثمَّ قد رأيتَ لما دلف إلينا مرَّة

(1) في الأصل : المسلمين .

(2) الحجرات ، 9 .

(3) في الأصل : إذا .

(4) حفر من الاضداد .

مُوالياً علينا المشركين كيف قد صرّفنا الحدّ (1). إلى المشركين عن أصحابه ، وإن كانوا للشرّ مُستحقّين ، لبغّيتهم علينا ، وتزحّفهم إلينا . إلّا أنّنا ما يجب إثارُهُ وأعرَضْنَا عَنْهُمْ ، فعجّلَ الله انتقامَهُ على أيدي أوليائنا .

فمن تراه أرففَ بالمسلمين وأرحمَ لأهل الدين ، نحن أم صاحبك؟ أم كيف رأيتَ الله أقدرنا بفضلِهِ على الفريقَيْنِ وأمكننا من الطائفتَيْنِ ؟ ولقد سألنا المشركون مُوَادَعَتَهُمْ حينئذٍ ومال إلى ذلك جماعةٌ من / أوليائنا ليصرفوا وجوهَهُمْ إلى أصحابك ، فأبَيْنَا ذلك لئلا يرى المشركون أنّنا وادَعْنَاهُمْ على خوفٍ منكُم ومنهُم ، حتّى إذا هزَمْنَا أساطيلَهُمْ وقَتَلْنَا حُمَاتَهُمْ وحلَلْنَا بَعْقُوَةَ (2) ديارهم ، وأنْخَسْنَا بالقتل فيهم ، وامتلاّت أيدي أوليائنا من سَبَبِهِمْ وَغَنَائِمِهِمْ ، ورأينا أنّ الذي هو أفضل للمسلمين أن نُوَادِعَهُمْ مدّةً نَسْتَجِمُّ (3) بها ووادَعْنَاهُمْ على أموالٍ ألزَمَهَا نَفْسَهُ لنا ملكَهُمْ وهو لا يُلْزِمُ نَفْسَهُ ذلك لأحدٍ غيرنا بمَشْرِقِ الأَرْضِ ولا مغربِهَا ، جِزْيَةً يُؤَدِّيَهَا إلينا ، وإطلاقِ أسارى أهلِ المَشْرِقِ الذينَ في يَدَيْهِ لَنَا ، وعلى شرائطٍ يطول ذكرُهَا ، شَرَطْنَاهَا عليه شرطَ العزيزِ عَلَى الدَّلِيلِ .

فَمَنْ / أَرْحَمُ بالمسلمين ، نحنُ أم مَنْ والى عليهم المشركينَ مخالفاً لما أنزَلَ اللهُ في الكتابِ المبين ، إذ يقول وهو أصدق القائلين : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ » الآية (4) . أفما رأيتَ أساطيلَ صاحبك وقد خَرَجَتْ أساطيلُنا لِقِتَالِ أوليائه من المشركين ، وهي تنزلُ في مراسي المغربِ لا تمرُّ بِمَرْسَى إلّا نَزَلَتْ فيه ووضع مَنْ فيها الحربَ على أَهْلِيهِ ، فجعل الله الدائرةَ فيهم والهزيمةَ عليهم والقتلَ في رَجُلِهِمْ (5) ؟ أفهؤلاء الذين أوقعُوا هذا الإيقاعَ بهم عندك وعند صاحبك مسلمون أم مشركون ؟ فإن كانوا من المسلمين ، وهم لم يخرجوا إليه ولا تعرّضوه ،

(1) في الأصل : الجِد .

(2) المقسوة : ما حول الدار .

(3) قراءة ظنية ، وفي الأصل : نَسْجَم ، ولعلها : نَسْجَم .

(4) المنتحنة ، 1 .

(5) الرجل بالكسر جُ أرجال : الطائفة من الشيء ، والقطعة العظيمة من الجراد خاصة ، وقد تكون بالفتح اسم جمع على قول سيويه .

فكيف جاز له قتالهم / ومعاونةُ المشركين عليهم ؟ ثم يزعم مفتخرا لما انصرفوا منكوبين أنه لم يُرسلهم إلا ليبلغُوا إلى المهديّة وكذلك كان عقدهم مع طاغية القسطنطينيّة (1) . وكذلك دلّف إلينا كلُّ واحدٍ منهم بأسطوله ، ودخل المشركون في بحرنا وجاوزوا صقليّة إلينا ، ولم يكونوا يتجرّأون على ذلك قطّ في أيّامنا إلاّ بما أطمعهم فيه صاحبك ، فهزم الله الجمعَيْن وأمكننا من الفرّ يقين . وإنّما كان يفتخر صاحبك بمثل ما هيأه الله لنا ، لو قد هيأه الله له . كلاّ لن يفعل الله ذلك بفضلِهِ علينا ! إنّنا أمَلْنَا إدراكَ مركبٍ من مَرَاكِبِهِ لنُحرِقَهُ فأقدرنا الله عليه وعلى جميع أساطيله / فحرقناها ، وعلى أرضه ومملكته فوطئناها .

فأمّا أمَلُهُ أن يبلغَ المهديّة فردّه الله من دونها مغلوبا منكوبا ، له خزيٌّ من الله أكملهُ ، وخذلان انقطع به أمَلُهُ . فلو كان من أهل التمييز والعقول ، أو كان يدري ما يقول ، لم يقل مثل ذلك ولا يفخر به ، وهو عليه خزيّةٌ وعارٌ وسُبةٌ ، وما فعل الله عزّ وجلّ ذلك به إلاّ كفعله بالدّعاء آباءه إذ رجّعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة على بكرة أبيهم وقد استجاشوا بمن يليهم فردّهمُ الله عزّ وجلّ كما قال « بَغِيطِهِمْ لَمْ يَنْتَلُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ، وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (2) » . فكانت هذه تيلك حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة ، بل هذا بحمد الله إنكساءٌ لأصحابك بما قتله (3) الله عزّ وجلّ منهم ، والمشركين بمن قُتِلَ أيضا وأسرَ وهُزِمَ من أساطيلهم وجموعهم . وتلك عداةُ الله قديما لأوليائه ، وهو وليّ ما عودّوه حتى يُنَجِّزَ وعده إن شاء الله تعالى لهم .

ثم يبلغنا أنه يلعننا على منابرهِ كلِّعن سلفه الفسقة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وينكر علينا لعنه ، فنحنُ إن لعنناه لعنناه بكتاب الله لأنّه ممّن قال الله فيه وهو أصدق القائلين : « أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (4) » ، ومَنْ أسلافُهُ

(1) الامبراطور قسطنطين السابع ، وقد ملك إلى سنة 959/348 .

(2) الاحزاب 25-26 ، ويشير المعز إلى وقعة الخندق التي قصدت فيها قريش المدينة لحصارها . وكان يقودها أبو سفيان بن حرب جد الأمويين .

(3) في الأصل : قتلهم .

(4) هود 18 .

لعناء رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه يتوَلَّاهُمْ (1)، والله عز وجل يقول: «وَمَنْ يَتَوَلَّاهُمْ مِّنْكُمْ فَلْيَأْتِهِ مِنْهُمْ» (2) وهو إنْ لَعَنْنَا أو شَتَمْنَا فبِالْإِقْتِدَاءِ بِسَلَفِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَشْتُمُونَ رسول الله صلى الله عليه وآله ويلعنون وصيه (صلع)، وما زادهم إلا شقاءً ويزيدهم إلا ضعةً عند الله وعند عباده ومقتتاً .

ثم قال عليه السلام: وإنَّما معنى اللعن الطرد والإبعاد. فمَنْ أُولَى بِالْإِبْعَادِ عَنْ اللَّهِ وَعَنِ رَسُولِ اللَّهِ (صلع) وأهل بيته: الذين هم أُولَى بِهِ وَأَقْعَدُ (3) وأقرب إليه، أمْ مَنْ عَادَاهُمْ وَنَاصَبَهُمْ وَكَذَّبَهُمْ؟ فلو / تدبَّر الشقي هذا لَعَلِمَ أَنَّ لعنة الله راجعةٌ عليه لا تعدوه ولا تعدو سلفه .

قال الرسول: إنَّما قلتُ يا أمير المؤمنين ما قيل لي أن أقوله، والقولُ ما قاله أمير المؤمنين، والحجةُ له .

قال له أمير المؤمنين عليه السلام: إذا قلتَ ما قيل لك فقد سمعتَ جوابك غيرَ محمَّلٍ أداءةً ولا مرسلٍ إلى من أرسلَكَ به، فانصرف إذا شئتَ وسرَّ حيثُ أردتَ. ولو علمنا أن هذا ممَّا قيلَ لك لثقلتهُ لنا لما سمِعنا منك ولا أجبناكَ عنه، وإنَّما أجبناكَ عن قولِكَ جواباً ممَّا لك لا لمن أرسلَكَ .

كلام في مجلس على فصول كتاب الأموي:

94 - (قال) وكان في الكتاب الذي قدَّم به الرسول / من الأندلس الذي قدَّمْتُ خبره أنَّه رفع إلى أمير المؤمنين - يعني لعينهم - الكتابَ الواردَ فرأى فيه من إطراء فلان - يعني أمير المؤمنين - لنفسه وذهايه بها وافتخاره ما لا يليق بأهل العقول مثله، وليس من شيم أهل العقول إطراءُ أنفسهم .

فقال المعزُّ عليه السلام: فاسمعوا إلى جهل هذا الجاهل! إنَّ هذا كتابٌ ورد من رجل ممَّا على رجل من قبيلِهِ جواباً عن كتاب كتبه إليه، فنسب إلينا ما فيه أنا قلناه، بلا علم له بذلك، ونحن إنْ أطريْنَا أنفسنا أو أطرائنا غيرُنا وافتخَرنا أو افتخَر

(1) في الأصل: يقول لاهم .

(2) المائدة، 51 .

(3) الأئمة في النسب: القريب الآباء من الجد الأعلى .

لَنَا مَنْ سِوَانَا أَوْ افْتَخَرَ بِنَا ، فنحنُ بحمد الله أهلُ الفخر والإطراء / والفضل والسناء لقرابتينَا من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومحلنا الذي أحلنا الله به من الإمامة وما أولاناه من الفضل والفخر والكرامة . فإن ذكرنا ذلك وقلنا ، فبأمر الله عزَّ وجلَّ ذكرنا ، إذ قال تبارك وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (1) » . فهذه نِعَمُ الله علينا وفضله وإحسانه إلينا ، لا على أَنَا نفتخِرُ زَهْوًا وتكبرًا ، ولا نذكر من فضلنا ما نذكره أَشْرًا ولا بطرًا ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فخر ، وَأَنَا أَقْرَبُكُمْ لِّلَّهِ وَلَا فخرَ (2) . فهذا القول الذي قاله (صلع) هو غايةُ الفخر ، ولكنَّه / إِنَّمَا نفى عن نفسه الكِبَر والتجبر والدعوى بغير الحقِّ ، كما فخر هذا المنتقِد علينا الفخر .

ثمَّ قرأ علينا فصلاً بعدَ هذا من الكتاب فإذا فيه من افتخاره ما يطول ذكره ، فتعجَّب المعزُّ عليه السلام وتعجَّبنا من غفلته عن نفسه وقال : هذا ممَّا قُلْنَاهُ ، إِنَّ هذا كتابُ جوابه فيه ، وإِنَّا لو رأينا الجوابَ عنه لدرجناه ورددناه إلى كاتبه ، وقلنا له : جواب فصل كذا من كتابك فصل كذا (3) ، حتَّى نأتيَ عليه . ثمَّ قال : هذا ممَّا قيل لنا إِنَّه جمع كُتَّابَه ووزراءَه فيه ، ثمَّ اختار من كلاميهم ما جمعه ، ولم يدِرْ أَنَّ بعضه لبعض نقيض بسوءٍ تميّزه وبُعدٍ / فهمه وشُغْلِهِ بما هو فيه من معاصيه عن انتقاد الكلام والنظر في معانيه .

وفي الفصل الثاني :

(قال) وكان في فصل من الكتاب افتخار اللعين الأمويِّ بما حواه من الأموال وورثه عن آبائه من الخزائن والذخائر . فقال المعزُّ عليه السلام : وهذا ممَّا ذكرنا له : يأخذ علينا الفخرَ بفضلنا على البرية بولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وبما خصَّنا الله به من إمامة عبادِهِ وبما نطق به كتاب الله عزَّ وجلَّ من فضلنا وحققنا وافتراضه فيه على الأمة من مودتنا وطاعتنا وجعله مع رسول الله صلى الله عليه وآله من / الفَيءِ

(1) الضحى ، 11 .

(2) حديث : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ : سنن ابن ماجة ص 1440 رقم 4308 وصحيح الترمذي ج 11 ص 305 ، والجامع الصغير ج 1 ص 274 .

(3) في الأصل : جواب فصل كذا من كتابك فصل كذب .

لنا ، فوصفنا إحسان الله عز وجل في ذلك إلينا وفضله وإنعامه علينا . وهذا هو
يفتخر علينا بملك مال تغلب عليه ، ومن الحرام اكتسبه ، وبسلطان تعدى عليه
واغتصبه ، يكثرنا لاهياً كما قال الله تعالى : «الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ
الْمَقَابِرَ» إلى آخر السورة (1) . وهذا وعيد الله لهذا الفاسق ولأمثاله الذين ألهاهم
التكاثر بما تغلبوا عليه من أموال (2) .

فهذا الذي [به] فخر ، عائد عليه وزره وإثمه ووبأله ، والقليل من ذلك كان
أخف عليه وأولى له . وما استكثر منه فإنما استكثر به من سخط الله وغضبه .
وإنما هو في ذلك بمنزلة / السارق يفخر بما سرق ، والخائن يكابر بما به خائن ،
فليأخبر وليكابر بذلك على أمثاله وبياهي به نظراءه وأشكاله الذين تعبّدوا الدنيا
فأثروها واطرحوا الآخرة ورفضوها واستعدّوا منها ما استعدّوه لمعاصي الله وما
يُبعدهم منه كالذي استعدّ له هذا الشقي من الملاهي والخمور واعتكافه على
المخازي والفجور . فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : مَنْ
أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ مَالَ امْرِئٍ مِنْ حَيْثُ اكْتَسَبَهُ فَلْيَنْظُرْ فِيمَ يُنْفِقُهُ ، فَإِنَّ الْحَرَامَ
فِي مِثْلِهِ يُنْفَقُ . وقال : يسأل كل امرئ منكم عن ماله ممّ اكتسبه وفيه أنفق .
وهذا ممّا لا يشك فيه / أحد منكم . إن الحرام إذا أنفق كان حراماً ، لأنّه ليس لمن
اكتسبه أخذه ولا إنفاقه (3) .

وفي الفصل الثالث :

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب أن الروم ، بزعم من كتبه ، قد
غلبوا علينا وأسرّوا خلقنا من المسلمين من أساطيلنا ، وأتوا دعتناهم على تركهم ،
إيثاراً لحرب المسلمين .

فقال المعز أمير المؤمنين عليه السلام : أفلا تعجبون لهذا الخائن الكاذب ؟ لو
أنّ هذا القول ممّا تزيّن به عند أهل موضعه لكان قبيحاً شنيعاً من الكذب ،
فكيف بأن يكتب به إلى من يعلم باطله ، ويقف على كذبه ؟ فهل علمتم أنّ الروم

(1) التكاثر ، 1 .

(2) في الأصل : أمواله .

(3) حديث : من أراد أن يعرف مال امرئ ... وحديث : يسأل كل امرئ عن ماله ... لم تذكرهما
أهيات الحديث . وإنما ذكر الترمذي ج 9 ص 253 عبارة : ... يسأل عن ... ماله من أين اكتسبه
وفي أنفق .

أسروا من المسلمين / من قبيلنا إلا أهل المركب الحَمَّالِ (1) الذي مرّ بهم ، فاسترجعناه ، وعقدنا عليهم فيما عقدناه من المودعة بيننا وبينهم أن يأتونا بمن أسروه من أهل المشرق وما أخذوه لهم ؟ وأنهم قد سألونا ورغبوا إلينا أن نطلق لهم مِمَّنْ سبيناه وأسرتناه من رجالهم ونسائهم وذرائعهم ، فما أجبناهم إلى إطلاق نسمة واحدة منهم ، إغرازا للإسلام وأهليه ووضعاً للكفر وحزبه ؟ أفما يستحيي هذا الخائن من الكذب والتمويه ؟

ولكنه ما استحيى مِمَّا هوَ أخزى له من ذلك ، من العيوب الفاضحة (2) والآثام القبيحة / التي اشتهر بها واستفاض عنه الخبر فيها ، من أنه يؤتى في نفسه — يقول ذلك المعزّ عليه السلام مُطرقاً مُعْرِضاً بوجهه استحياءً من ذكره — (قال) ولقد قلت لهذا الرسول قولاً في ابن هذا الفاسق المنسوب إلى عهده أردت به هذا المعنى (3) ، فقال لي محتجاً عنه : إنَّما يقال هذا يا مولاي في أبيه ! فكفى بمن لم ينف ذلك عنه وليه ورسوله لاشتهاره به . ولعمري إنَّ هذه أقدام من كانت (4) هذه حاله وذلك داؤه وداء سلفه ، قبحهم الله وأخزاهم ولعنهم وأقصاهم !

وفي الفصل الرابع :

(قال) وكان في فصل / من هذا الكتاب افتخار الأمويّ اللعين بما يحاك له في بلد الأندلس من الخبز والوشى وأصناف الثياب ممّا زعم أنه لا يُحَاكُ بالمشرق مثله ، وأنه قد استغنى بذلك عما يُجَلَّبُ إليه من المشرق .

(1) في الأصل : الحال . وهذا المركب «الحمال» الذي أخذه الروم ، لعله أحد المراكب التجارية التي كانت تحمل «العود» أي خشب الغابات من صقلية إلى دار الصناعة بالمهدية ، كما تشير إليه «سيرة الاستاذ جودر» (ص 121 ، الفقرة 56) ، أو تحمل الحبوب من إفريقية إلى صقلية (ص 87 ، فقرة عدد 1) . وقد تعرض كانار Canard إلى تجارة الخشب بالخصوص ، في مقاله

Quelques notes relatives à la Sicile sous les premiers califes fatimides

الذي أعبد نشره في مجموعة :

L'expansion arabo-islamique et ses répercussions. Variorum Reprints, London, 1974 n° 4.

(2) في الأصل : ولكنه مما هو استحيى من ذلك أخزى له من العيوب ...
(3) في الأصل : إنني أردت . والمقصود هنا هو الحكم المستنصر ، ولي الخلافة في رمضان 350/أكتوبر 961 إلى سنة 366/976 . وهو الحكم الثاني الذي ازدهرت الحضارة الأندلسية في عهده . وقد عرف بالاستقامة ، خلافاً لأبيه عبد الرحمن الناصر . انظر فصل Hulci Miranda بدائرة المعارف الإسلامية .
(4) في الأصل : ان هذا أقدام من كان ... والأقدام هنا الآثار والأعمال .

قال أمير المؤمنين المعزّ لدين الله عليه السلام : وما سمعنا أحداً يدّعي عقلاً ،
 يفخرُ بالحكمة ! ولو كان ذلك ممّا يُفخرُ بمثله ، لكان عندنا من الطراز أنواعُ الأعمال
 البديعة والصنعة العجيبة لا يشكّ من رآه أنّه ما رأى مثله ، ممّا يعملُهُ عبيدنا الذين
 أفاءَ الله عزّ وجلّ بهم علينا من سبّبي الروم بأسّيافنا ، دونَ من فخرَ هو بمثله
 من سائر الرعايا . ولكنّ / مثلَ هذا لا يفخرُ به ذوو العقول . بطل الحكمة وأهلُ
 الصنائع إذ[ا] كانوا أغلب على أهل بلد نقضوا بهم . كما قال المصريّ ليمانيّ :
 إنّما أهل اليمن بين حائك بُردٍ ودابغ جلد ، وسائس قيردٍ ،
 فنذّمهم بذلك . فجعل هذا الجاهلُ هذا فخراً ، وإنّه إذا قيس إلى
 معائبه يُفخرُ بمثله .

وفي الفصل الخامس :

(قال) وذكر في فصل من فصول هذا الكتاب عليّاً عليه السلام ، فترحم
 عليه . وقال : وإن كان الذي صار إليه إنّما نهياً له بالحيلة .

قال المعزّ عليه السلام : والذي دعاه إلى أن ترحم على عليّ عليه
 السلام / الضّرورة التي دعته إلى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله .
 ولأنّ الجماعة اليوم قد أجمعوا على فضله . ولو أمكنه ما كان أمكنَ اللعناء سلفه ،
 للعنّته (1) كما لعنوه على المنابر ، حتّى كان ممّا مدّح به عمر بن عبد العزيز منهم
 بعضٌ من مدّحه لمّا أمسك عن لعنّه . أن قال (2) (طويل) :

وليت ، فلم تشتم عليّاً ولم تخف ، برّياً ولم تقبل مقالة مجرم (3)
 ثمّ قال عليه السلام : وفي ترحم هذا الفاسق على عليّ عليه السلام ما يلزمه لعن
 آباءه الذين لعنوه والبراءة منهم لو كان ذلك منه اعتقاداً .

فأمّا قوله : إنّ عليّاً / صلوات الله عليه صار ما صار إليه بالحيلة ، فهذا ممّا تقدّم
 ذكرنا له من قحة ومتاهة (4) ، وقد علم الخاصّ والعام أنّ الذي صار إليه بالحيلة

(1) في الأصل : اللعنة كما ...

(2) في الأصل : أن قال شعرا ...

(3) البيت لكثير عزة . وفي إبطال عمر الثاني لعن علي ، انظر الكامل لابن الأثير ، ج 4 ص 154 .

(4) في الأصل : مباحة ، والاصلاح منا تخميناً .

من اللعناءِ سلفه أقربهم إليه : مروان الطريد (1)، في احتياله على معاوية بن يزيد ودسته من دسّ من أهل الجابية (2) في توليته وأنه لم يوجد له يومئذ منقبة ولا فضيلة يقولها أو يذكره بها من ذكره إلا أنه قال : إنه شاب حتى شابت ذراعته ، وقد كان فيهم يومئذ من شيوخ سوء من هو أكثر شيباً منه ، وأن من حضر يومئذ بالجابية أكثروا التعجب ممن قام بذكره / ورضي بولايته على ضعف أهل الجابية وقلة تمييزهم ، حتى تمثل المتمثل منهم بأن قال : هذا أمر مُشسيّ فيه بليلى .

فأما عليّ عليه السلام ، فقد علم الخاصّ والعامّ والمخالف والمؤلف أنه لم يجتمع الناسُ على أحد قبله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اجتماعهم على بيعته .
أما أبو بكر فقد نازعه الأنصار وغيرهم ، ومات كثير من الصحابة وما بايعوه .
وأما عمر فقد اجتمعوا فيه إلى أبي بكر فقالوا له : نناشدك الله أن [لا] تولي علينا رجلاً فظاً غليظاً . فقال أبو بكر : تخوفوني ؟ إذا لقيتُ الله قلتُ له : إنسي وليتُ عليهم / خير أهلك (3) .

وأما عثمان فما اجتمعوا على توليته ولكنهم اجتمعوا على قتله .
وأما عليّ عليه السلام فأجمعوا بإجماعهم عليه وامتنع منهم ، وأطبقوا عليه وما زالوا به حتى أجابهم إذ لم يجدوا لدفع ذلك وجهاً تقوم له به الحجة . ولو توقفوا عنه كما توقف من توقف منهم قبل ذلك ، لتركتهم . وكان أول من بايعه الذين نكثوا عليه لما لم يجدوا عنده من الأثرة ما عودوه . وقد سأله معاوية تركه على الشام ، فلو فعل ذلك لما كان الذي كان منه ، ولكنه (صلى) تلا عند ذلك قول الله عز وجل : « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا » (4) ، فعمد هذا الفاسق إلى ما عسى أنه / كان يقال في أسلافه فرماناً به كما قيل في المثل لعاهرة رمت عفيفة بالزنى : رَمَتْهَا بِدَائِيهَا وَأَنْسَلَتْ (5) .

(1) مروان بن الحكم بن أبي العاص : هو أول خلفاء السلالة « المروانية » . تول سنة 684/64 بمباينة من أمراء الشام ، بالجابية في الأردن . ويسميه المعز هنا الطريد قياساً على أبيه الحكم بن أبي العاص الذي نفاه الرسول (ص) من المدينة إلى الطائف (انظر أسد الغابة ترجمة 4841 وترجمة 1217) .

(2) يوجد خبر بيعة الجابية مفصلاً عند ابن الأثير : الكامل ، ج 3 ص 326 .

(3) التحفظ في تولية عمر منسوب إلى طلحة . انظر : تاريخ الطبري تحت سنة 13 .

(4) الكهف ، 51 .

(5) مجمع الأمثال ، ج 2 ص 401 .

وفي الفصل السادس :

(قال) وذكر في فصل من هذا الكتاب معاوية فترحم عليه ، وقال : أمير المؤمنين معاوية .

فقال مولانا المعزّ عليه السلام : فإذا كان معاوية عنده أمير المؤمنين فقد شهيد على أسلافه بالغضب وعلى نفسه بذلك ، لأنّ معاوية قد أقرّ الأمر في ولده . فما أدخل مروان وآل مروان فيها ، ومعاوية وولده لم يجعلوا ذلك لهم ولا عهداً أحد منهم إليهم ولا أجمع المسلمون عليهم /؟! فهم بقوله مغتصبون وبمثل هذا رضي هو وأسلافه لمن ادعى التفقه من العامة أن جعلوهم أئمة يأخذون دينهم عنهم ، وأفتاهم أولئك أن من رضيته المسلمون فهو أميرٌ عليهم . ولو أفادوا هذا الأصل لم يعد ذلك الذين رضوه لو كان ذلك كما أصلوه ، إذ ليس عندهم لأحد أن يستخلف ولا يوكل أحداً على ما ليس له .

وكيف ، وليس ذلك لهم في أنفسهم ولا في غيرهم لأنّ الله جلّ ذكره قرّن طاعة الأئمة عليهم السلام بطاعته وطاعة رسوله ، فقال جلّ ذكره : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » / (1) . فلو كان للناس أن يُقيّموا لأنفسهم إماماً فتجب طاعته بإقامتهم إياه لوجب كذلك أن يُقيّموا نبيّاً وإلاّها كما فعلت الجاهلية في نصبها آلهة من دون الله ، تعالى الله عن قول المضللين الظالمين . والكلام في هذا يتسع (2) .

وفي الفصل السابع :

(قال) وكان في فصل من هذا الكتاب ذكر أبي عبد الله صاحب الدعوة وقيامه بها ، وقتل المهديّ (ص) له ، وأنه لم يف له ، وانتقم الله منه على أيديّه .

فقال المعزّ عليه السلام : ما عسى أن يجهله هذا الجاهل من أمر أبي عبد الله ، فقد عرفتموه . وأنّ أخاه أبا العباس كان سبب قتله ، وأنّ المهديّ (صلع) ما أراد

(1) النساء ، 59 .

(2) في الأصل : يشنع .

قتلته / وإن استحقَّ القتلَ عنده حفظاً لما تقدّم له ، وإن كان قد سعى مع أخيه ومال إليه وغلب الهوى عليه لما رأى الأمورَ خرجت من يديه .

وهذا الفاسقُ لا يدري ما أوجبَ قتلَه ولا كيفَ كان سببُه ، ولا يعلمُ حالَ القتل الذي هو سُخْطٌ وانتقامٌ وقَهْرٌ ، من حالِ القتل الذي هو قِصَاصٌ وواجِبٌ وطَهْرٌ . فما الذي أدخلَه فيما لا علمَ له به ؟ فإن أنكرَ مُنْكَرٌ مثلَ هذا فليُنْكَرْ فعَلَ الله عزَّ وجلَّ فيمنَّ عاقبَه من أنبيائه الذين اصطفاهم على عباده ثم عاقبَهم بما اجتَرمُوهُ وطهَرَهُم بالعُقوبة ممّا كانوا اقترفُوهُ . فقد أخبر الله تعالى / وهو أصدقُ القائلين عمّن عاقبَه من أنبيائه مثل آدم ويونس وأيوب وسليمان وداود ويعقوب ممّا كانوا اقترفُوهُ ، فإن أنكرَ عقابَ المُحسنين إذا اقترفُوا السيئات بعد الحسنات فليُنْكَرْ ما جعله الله عزَّ وجلَّ من ذلك قرآناً مسطوراً ، وذلك قوله : « وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَلَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً (1) » .

والأمةُ لا تختلف في أنّ عابدا لو عبد الله طولَ دهرِه وسائرَ عمرِه قائماً لا يفتُر وصائماً لا يُفْطِرُ ، ثمّ كفرَ بعدَ ذلك طُرفةَ عينٍ به . ومات على كُفْرِه ، لأَحْبَطَ اللهُ عَمَلَه . فإن أنكرَ ذلك فليُفْقرْ قولَ الله تعالى / وهُوَ أصدقُ القائلين : « وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَتَعَنَّ أَشْرَكَتَ لِتَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (2) » . وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله كما وصفه الله في كتابه المبين إذ يقول وهو أصدقُ القائلين : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (3) » ، فكان (صالح) مع ما وصفه الله من الرحمة فيه يقتل القتاتيل (4) ويرجم الزاني المُحْصِنَ ويحدّ البكرَ ويقطعُ السارقَ ، لأنّ هذه حدودُ الله التي ذكر في كتابه أنّ من تعدّاها فقد ظلمَ نفسه . وأنّ الرحمة فيها وفي ترك تنفيذِها لا تعدّ

(1) الفرقان ، 21 .

(2) الزمر ، 65 .

(3) التوبة ، 128 .

(4) في الأصل : القاتل .

رحمة (1) لأن الله عز وجل / ذكر حدوده التي افترضها وأمر عباده بإقامتها / أو هو أرحمُ بخلقه وأعلمُ بصلاح عباده أجمعين .

فإن زعم الذي أنكر قتله أن لم يقتل فيجب القتل عليه ، واحتج بالحديث الذي رواه أئمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيما زعموه : لا يحل قتل امرئ يؤمن بالله واليوم الآخر إلا في ثلاث : زنا بعد إحصان أو كفر بعد إيمان أو قتل نفس بغير نفس (2) ، فهو لا يدري إن كان هذا الذي أنكر قتله قد اقرّفاً شيئاً من ذلك أو لم يقتضفه . وقد نطق الكتاب بقتل غير من ذكره في هذا الحديث . فقد قال الله عز وجل : « إِنَّمَا جَزَاءُ / الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ (3) » . فالمفسد في الأرض وقاطع الطريق يقتل في قول أئمة وكذلك اللص ، ومن نازع رجلاً على شيء من ماله أو مال غيره من المسلمين أو أراد قتله ، فجاز له أن يقتله . قال الله عز وجل : « فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ (4) » ، فأوجب قتال أهل البغي وأباح قتلهم . فهل كان هذا الفاسق الجاهل المغرض يعلم حال هذا الذي أنكر قتله ، وأنه كان بريئاً من هذه الوجوه كلها والتبعات / بأسرها أو كان عليم كيفية قتله وعلى أي الوجوه جرت أموره ؟ بل هو لا يدري على الحقيقة من ذلك شيئاً .

ولكنه يدري أن العبد الذي هرب بجمده الدّاخل (5) إلى الأندلس من المشرق وخاطر بنفسه فيه حتى أصاره / إلى / المصر الذي صار إليه قد قطع يده وقتله من أجل أنه لطمه يوماً في حين مجيئه به - وقد رأى بعض رجال السلطان - ليؤهيمهم أنه عبده ، وأراد بذلك نجاته . فكان لهذا المنتقد ما يجهله ، أن ينتقد على سلمه ما يدريه ويعرفه . وقد يكون المؤدّب والقيّم

(1) في الأصل : لاتعد رحمة الله .

(2) حديث : لا يحل ... ذكره البخاري ، ج 9 ص 6 ، والترمذي ج 9 ص 2 ، وأبو داود ج 2 ص 440 وابن حنبل ج 1 ص 437 رقم 437 والسيوطي في الجامع الصغير ج 3 ص 356 .

(3) المائدة ، 33 .

(4) الحجرات ، 9 .

(5) عبد الرحمان بن معاوية ، الدّاخل إلى الأندلس سنة 757/139 انظر : ابن الأثير ج 3 ص 360 . ولعل العبد المذكور هو مولاه بدر على أن المصادر التاريخية لم تعرض لهذه الحادثة .

على أولاد الملوك / يُؤدّبُهُم ويضربُهُم في الأمر اليسير ثمّ يصير من يصير منهم بعد ذلك إلى الملك فيوفّي حقّ مؤدّبته والقيّم عليه الذي كان يضربُهُ ويؤدّبُهُ لما يقيمه عليه من الواجب . فكيف بمن كان إنّما أراد بما فعله حياة من فعل ذلك به واستنقّاه من القتل ، فاستنقّاهُ من ذلك وأصاره إلى الملك وبذل نفسه فيه ، فيكون جزاؤه أن تُقَطَّع يده ويُقتل ؟ فمِثْلُ هذا لو تعقّبته الجاهلُ الأحمقُ على سلفه لشغلته عن تعقّبه ما لا يدريه على غيره (1) .

ثمّ قال مولانا الإمام المعزّ عليه السلام : وفي مثله قال بعضُ الحكماء : من عَمِيَ عن معايير نفسه لم يعلم محاسنَ / غيره ، فهو لا يُقْلِع عن المعايير إذ جهلها ولا يدري المحاسنَ في غيره فيستحسِنها .

ثمّ قال عليه السلام : لقد مرّ بي هذا الكلامُ منذ أيّام في كتاب ، فأعجبني غايةً الإعجاب ، وأحسبته بهذا اللفظ . ثمّ دعا عليه السلام بالكتاب فاستخرجهُ منه فوجده وردّه ، ثمّ قال : إنّهُ لَمِنْ كلامِ الحكمة .

(1) عقد القاضي النعمان في كتابه « افتتاح الدعوة » فصلا مطولا استعرض فيه أطوار المؤامرة التي دبرها أبو العباس ضد المهدي فتبعه فيها جميع من كبار مشايخ كتامة وكذلك أخوه أبو عبد الله الداعي . ويظهر من تحليل النعمان أن المحرك الرئيسي كان أبا العباس ، وأن محور الدعاية كان التشكيك في إمامة المهدي ، واعتباره إماما مستودعا اغتصب الإمامة من القائم الإمام الحقيقي (انظر افتتاح الدعوة ، نشر فرحات الدشراوي ص 306 إلى 326 وكذلك التعليقات بالقسم الفرنسي ص 131 إلى 136 . وانظر أيضا : افتتاح الدعوة نشر وداد القاضي ص 259 إلى 269 وانظر مقدمتنا ص 22-24) .

الجزء الثامن

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

وفي الفصل الثامن :

قال القاضي النعمان بن محمد : وكان في فصل من فصول هذا الكتاب مما افتخر به الأمويُّ اللعينُ أن ذكر عِدَّةَ رجاله .

فقال المعزُّ عليه السلام : لو علمنا أنا نُدْرِكُ عِلْمَ / هذا بمشقةٍ لرأينا أننا نتحملها (1) . فإن كانَ هذا الأحمقُ الجاهلُ لم يَعْلَمْ أنَّ في أقلِّ بلدٍ من بلدانينا وأدنى عسكر من عساكرنا أضعافَ ما ذكره من العدد الذي تهيبَ به ، فقد جهل ما لا ينبغي لمثله أن يجهله . وإن كان قد عليم ذلك فعرفنا بما عنده من العدد ، فما زاد على أن أوقفنا على ضعفه ووهنه وعرفنا قدر ما نحتاج إليه إذا أردنا محاربته . وما أدري ما معنى ذكره هذا ، ولكن لا تحصيلَ إلا لذوي العقول .

وفي الفصل التاسع :

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب ذكر إفريقية ، فقال : وإنما بها بربر أغتنام (2) لا يميزون شيئا / .

(1) لسنا واثقين من هذه القراءة ، لغموض القصد .

(2) الأغتم : من لا يفصح في كلامه .

فتبسم المعزّ عليه السلام عند ذكر ذلك وقال : هذا ممّا قيل في الأخبار عن بعض الملوك أنّ اختلاطاً أصابَ النَّاسَ في زمانه ، وسليم هو منه لأمرٍ تحفّظَ له . فلمّا رأوه قد خالَفَ معنّاهم قالوا : قد اختبَل الملكُ ، وهمّوا أن يخلعوه ، فاتّصل به ذلك ، فتناول ما كان تحفّظ منه حتّى دخل عليه ما دخلَ عليهم فقالوا : قد صبح . وصبر على ذلك حتّى زال عنه بزواله عنهم .

فكذلك هذا الجاهل الركيك ، لمّا قصر عقله عن عقول ذوي العقول رماهم بالجهل فلم يرَ الجاهلُ أئمتّه الذين هم فيما يزعمون فقهاء أهل بلده ، وإنّما أخذوا علمهم أكثره عمّن كان بإفريقية / ، وكتبهم إلى اليوم في أيديهم . وكلّ من طرأ منهم يتأخّد عنهم حتّى إنهم ليأخذون عمّن لا يؤبّه إليه منهم (1) .

والجهل إذا نُعيّ ، والحُمق إذا وُصِف ، والرقاعة إذا تزلّت ، فإنّما يضاف ذلك إلى أهل الأندلس أشبه الناس طباعاً وأخلاقاً وزياً ومنظراً وهمّاً بأهل بَوَادِي الرُّوم ، وهم منهم . وقد رأيتُ كثيراً ممّن ألف الكتب في البلدان وذكر أحوال أهلها : فكلّ قد أجمَعُوا على أنّ الدّكاء والفطنة والعلم والرقّة في أهل العراق ، ثمّ بعدهم في أهل إفريقية ، وذكروا سائر البلدان وما ذكروا الأندلس في الذاكرين . ولولا سخفُ عقولهم وغلظ / طباعهم وأذهانهم لما أقرّوا لمن طرأ إليهم ممّن فرّ من بني أميّة . ولو وُجد في الأرض أجهلُ منهم لقصد إليهم دونهم .

فأمّا ما ذكره من البربر فلولا من يتنزع (2) إلى ناحيته [هـ] منهم رغبة في جهاد المشركين وذبتهم عنه (3) لما قرّ (4) به قراره ولا اطمأنت به داره (5) .

وفي الفصل العاشر :

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب أنّه ترك أهل المذاهب وما اختاروه لأنفسهم ولم يعرض لأحدٍ منهم ، فترع أكثرُ الناس إليه وسكنوا بلدّه لذلك .

(1) النمان - أو المعز - لا يسمه إلا أن يطري علماء إفريقية ، وهم سنيون ، فيطريهم بمقدار .

(2) في الاصل : فلوما يتنزع ...

(3) أي عن الناصر الأموي .

(4) في الاصل : أقر به قراره ...

(5) فالفضل في وجود الدولة الأموية يرجع إذن إلى البربر .

فقال المعزّ عليه السلام: وهذا مما قدّمنا ذكره أنّه والمتغلبين أمثاله إنّما أرادوا عاجل الدنيا ، فلمّا سلّمها الناس / إليّهم لم ينظروا في شيء من أمر دينهم وسلّموه إليهم فأخذوه عنهم (1) . ولو كانوا ممّن تعبّد لهم الله تعالى لتقويم عبادته على ما شرّعه لهم من دينهم والدّعاء إليه ، لقوموهم عليه ودعوهم إلى ما فيه صلاحهم ، وكان ذلك أهمّ عليهم من أمر الدنيا ، لأنّ الله عزّ وجلّ لم يرسل الرّسل وأقام الأئمّة إلّا لإظهار دينه وتقويم عبادته عليه ، والدّعاء إليه .

وأما ما ذكره ممّن نزع إلى بلده فما علمنا أحدا نزع إليه لعلم بأثره ولا لدين يطلبه . وما نزع من نزع إليه إلّا لِمّا أباح لهم من شرب الخمر والمجاهرة بالمعاصي وجعل ذلك سببا / لمجاهرته هو بذلك . ولو أنكر ذلك على غيره لوجب أن ينكره على نفسه . على أنّه إن عدّ من نزع إليه فتخرا ، فإنّنا لا نعرف قرية من القرى فضلا عن المنابر (2) والمدن من أقصى المغرب إلى ما يقرب من المشرق إلّا وفيها طائفة من أهل الأندلس قد نزحوا إليها ووطنوا بها . وإنّ كثيرا منهم ليذكر أنّ الذي نزع به خوف سخط الله لمّا رآه من إظهار المعاصي ببلده ، فخرج هاربا بذلك بنفسه . فإن كان يعدّ من نزع إليّهم متفخرا فلينظر من نزع عنه مع أنّ هذا من مفاخر الجهّال . وما زال الناس يتقلّون من بعض / البلدان إلى بعض اختيارا وشهوة ، ولعلّة ولغير علّة على قديم الزمان في كل مكان .

وإن كان عنده أنّ كل بلد يستقلّ إليه له الفضل على البلد المنقول منه ، فليفضّل ، إن شاء ذلك وقال به ، البلد الذي نفى رسول الله صلّى الله عليه وآله جدّه الحکم بن أبي العاص إليه ، على حرمه (3) الذي نفاه منه ليُفيد قوله ويكمل له افتخاره .

(1) في الاصل : وأخذوه عنهم .

(2) في الاصل : المنابر ، ولا معنى له ، فاخترنا قراءة «منابر» لأن المنبر قد يعني المدينة التي بها مسجد جامع (انظر دوزي في المادة ، وقد نقل عن ابن خلدون هذه العبارة «وولى بعض أخوانه على منابر عمله») .

ولعلها أيضا : البنادر ج بندر وهي المدينة البحرية .

(3) معلوم أنّ الرسول (ص) نفى الحکم عن المدينة إلى الطائف « فلم يعد إليها إلّا في خلافة عثمان (انظر ص 285 من المجالس) .

وفي الفصل الحادي عشر :

(قال) وقد كان في فصل من فصول هذا الكتاب أنه - يعني أمير المؤمنين مولانا - لم يرض ، في الدعاء له ، بطول البقاء ، حتى تعدى إلى ما يُدعى به للأنبياء من الصلاة . فقال المعزّ عليه السلام : فلو علم هذا الجاهلُ / معنى الصلاة على الحقيقة أو معناها في مجاز اللغة لما أنكر ما أنكره . ولكن لجهله مثل هذا عدلنا عن جوابه وسبكتنا عنه ، لأنه كان يقال : السكوت عن الأحمق جوابه . فرجعنا إليه رسوله من غير جواب احتقاراً له .

وكان هذا الجاهل لم يسمع قول الله أصدق القائلين : « وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » ، أولئك عليّهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (1) . وقوله : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (2) » ، وما رواه أئمتنا أن الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله كيف نُصلي عليك ؟ فقال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلم كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (3) . ثم قال المعزّ عليه السلام : فنحن آل محمد المصلي علينا في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ، على رغم أنف الفاسق المنكر ذلك والجاهل له .

ثم قال (صلح) : فإن كان هذا عنده لم يتعارف إلا للأنبياء كما قال ، فمما باله يسمي أمير المؤمنين ، وذلك لا يعلم لمن كان بالأندلس ولا كان من تقدمته من آباءه يُسَمَّون به ، ولا هو ، صدرًا طويلاً من أيامه (4) . فما الذي أوجب ذلك له ؟ هل كان هو / فيما تقدم له وآبؤه من قبله على جهل في ذلك ، فاهتدى إلى الصواب بعد ذلك ؟ فليشهد على نفسه وعليهم بذلك !

(1) البقرة ، 155-157 .

(2) الاحزاب ، 56 .

(3) كيفية الصلاة على النبي : البخاري ، ج 6 ص 151 .

(4) تولى عبد الرحمان إمارة قرطبة سنة 902/300 . وتلقب بأمير المؤمنين سنة 929/317 . وهذا محل تساؤل المعز : لماذا نصب نفسه خليفة بعد سبع عشرة سنة ؟

وإن كانوا على صواب فقد أتى الجهل بخلافه إياهم ودعواه بما ليس له دونهم .

وفي الفصل الثاني عشر :

[قال] وقد كان في فصول هذا الكتاب أنه أثر السلم والصلح والموادعة لما أراد من حقن دماء المسلمين وكرهه ما (1) يدعو إلى غير ذلك .

فقال المعز عليه السلام : فهلاً كره ذلك إذ أرسل رُسُلَهُ وهداياهُ وأمواله إلى طاغية الروم يستنصره عليهم ، وواطأه على حربهم ، وأقبل كل واحد منهم من ناحية برجاله / وتجدته ؟ أفلم يكونوا عنده يومئذ مسلمين ؟ وإنما أسلموا اليوم لما صرفنا وجوهنا إليه ، وبرقت بوارقنا نحوه ؟ يخلط لنا اللين بالشدة ويظهر لنا التجلد والنجدة ثم يسترحينا للمسلمين ؟

ثم ذكر (صلح) في ذلك نحو ما ذكره للرسول وقد تقدم ذكره في مثل هذا القول لما ذكره له .

وفي الفصل الثالث عشر :

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب أنه - يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه - منع أهل بلده - يعني أهل الأندلس - من حج بيت الله الحرام . وحوال بينهم وبينه (2) .

فقال المعز عليه السلام : أفرايتم أشنع من هذا الفاسق كذبا أو أقبح منه قولاً ؟ / ومتى منعنا نحن أهل الأندلس أهل بلده من الحج أو من السفر حيث أحبوا / بل هو الذي منعهم وغيرهم ممن كان من أهل البلدان ببلده من الخروج لشكلاً يؤدوا بزعمه أخباره إلينا ، فرد ذلك علينا . وهؤلاء هم يذهبون ويرجعون فما نعريض لأحد منهم ولا نمنعهم . وكيف نصد عن بيت الله ، ونحن أهلُهُ ، أم نمنع من زيارة قبر جدنا محمد صلى الله عليه وآله ، ونحن ولدُهُ ؟ قبح الله هذا الفاسق وترحهُ ! فما أشنع شناعته وأقبح كذبه ، والعيان يدفعه والمُشاهدة تُبطله .

(1) في الاصل : مما .

(2) يفهم من هذه التهمة أن الأندلسيين القاصدين مكة يمرون بإفريقية .

وفي الفصل الرابع عشر :

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب أن جميع من ضمته جزيرة الأندلس / أولياؤه ورجاله وأشياؤه ومواليه وعبيده وجنده وأنصاره .

فقال المعز عليه السلام : فلو صدقنا في ذلك قوله وأخذناهم بشهادته وادعائهم لقتلنا من ظفرنا به منهم ، وأخذنا أموالهم فضلا عن أن نحول بينهم وبين حجهم ، لأنهم إذا كانوا على ما وصفتهم ، فهم لنا حرب وأعداء ، وجائز لنا أن نفعل فيهم ما قلناه إذ هم : على ما زعم ، منه ، وهو منهم ، بتولييتهم له وكونهم في حربه .

ولكننا نعلم أن الأمر فيهم على خلاف ما ادعاه ، وأنه كذب ، لعنه الله وأخزاه ! وإننا لنعلم أن كثيرا ممن حوته داره وأحاط به جداره يشنؤه ويمقتنه / ويستبعد أجله ويستبطن موته ، وأنه لو قدر على ذلك لاستعجله له ، فضلا عن سائر أهل بلده الذين قد سامتهم سؤم العذاب ، وتجاوز في أموالهم حد الواجب إلى أن صاروا إلى الانتهاب . وما (1) كفى عنهم بعض شره (2) إلا مذ أوقعنا به ، وإنهم ليدعون الله لنا لذلك بالنصر عليه ، لما كفنا عنهم منه . فنحن لا نقبل قوله عليهم ولا نصدقهم فيهم ، نحسين لمُحبيهم كما قد أحسننا إلى من قدرنا عليه منهم .

وفي الفصل الخامس عشر :

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب المتقدم ذكره : (قال) وكتب إلينا - يعني من كتب إليهم من الحضرة - / أننا أرسلنا مدد البربر عليهم في مراكز وأنها عطبت ونُكب أهلها فأسروا فبيعوا بالكلاب (3) . فقال : وهذا موضع غم لمن عقل ، أن يكون أحرار المسلمين يباعون .

(1) في الأصل : ولما ...

(2) في الأصل : شعره .

(3) تلتبس الضائير فلا تفهم من هم الباعثون لهذا المدد ، إلا أن يكون الناصر هو الذي أرسل البربر في أسطول لمحاربة الفاطميين ، فأسروا وبيعوا في الأسواق ، فعاب عليه الناصر ذلك كأنه يقول له : دفعت بالمسلمين إلى النخاسين . هذا ، ولم تر وحها لكلمة «الكلاب» هنا .

قال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه : والكاتب بذلك إليهم لم يقل عنا إننا أبتحنا ذلك ولا أجزّناه ، وإنما أخبر عن عقوبة الله لهم بما فعلوه . وأما نحن ، فلو ظفّرنا بهم ، لما حكمنا فيهم إلاّ بالقتل أو المنّ أو ما يجب في أمثالهم في الحكم .

ثمّ قال (صلح) : وما حجزّهم عن الملك والسبّي إلاّ ظاهر الشهادة ، فأما أعمالهم فأعمال أهل الشّرك . وإذا كان الله عزّ وجلّ قد أحلّ بهم من البؤس والعقوبة ما عسى أنّا لو كنّا / ظفّرنا بهم لم نفعله فيهم ، فذلك أشفى لقلوبنا وأبلغ في نعمة الله وفضله علينا . فجعل معرفتنا بنعمة الله علينا في هلاك عدوّنا ومن قصد بالمكروه إلينا ، وذكرنا ما أحله الله به ، عيباً علينا .

(قال) ثمّ ذكر هو في كتابه هذا أنّا لما أخرجنا أسطولنا إلى المريّة وأحرقنا مراكبته ووطننا بلده أنّ الله لم يُتِمّ ذلك لنا لأنّا أخرجنا مع ذلك أسطولا إلى غزوة الروم بقرشقة (1) فلم نظفر بشيء وانصرف أهل أسطولنا خائبين وأوقع ببعضهم المشركون .

قال المعزّ عليه السلام : وهذا ممّا ذكرناه من تناقض كتابه وأنّه لو صرف إليه لكان جواباً له ، وهو هاهنا يبتكنا بأن ذكرنا نعمة الله علينا / في دفاعه عنا من أرسله مادّة (2) علينا وأنّه أحلّ بهم النّقمة والبؤس دوننا ، فهو هاهنا يعتدّ ويُسّرّ بأنّ المشركين حمّوا أنفسهم ممّا وأصابوا من المسلمين ما هو فيه مع الكاذبين . بل وطننا بلدّهم وقتلنا منهم وأجلّيناهم وانصرف رجالنا سالمين بحمد الله ربّ العالمين . فجمع إلى الكذب المسرّة بخلاص المشركين ونكبة المسلمين ، وهذا هو اعتقاده قد أبداه الله على لسانه وأظهر ترجمته مع التغاير في كتابه الذي لا يجوز على كثير من المجانين مثله أن ينتقد علينا ما لا يُستقدّ ويأتي بمثل المعنى الذي نحلّنا إيّاه وبأعظم منه .

(1) لعلها جزيرة كرسিকা Corse المعروفة في خليج جنوة شمالي جزيرة سردينيا . هذا وقد ذهب فرحات الدشراوي (افتتاح الدعوة ص 331 من المتن وص 139 من التحليل بالفرنسية) إلى أن « قرقيسا » أو « قرقيسيا » الواردة عند ابن الأثير وابن خلدون في الحديث عن غزوات القائم ، قد تعني خليج Gascogne على المحيط الأطلسي ، وهو أمر بعيد مستبعد ، فالمقرّيزي في الاتعاظ (ص 108) حصر هذه الغزوات في البحر الأبيض المتوسط . ومهما يكن من أمر ، فإن ملاحظة الناصر هنا تدل على أن المعز واصل غزوات جده القائم على جزر الروم .

(2) هكذا في الأصل . وفي اللسان : المادة كل شيء يكون مدداً لغيره .

وفي الفصل السادس عشر :

(قال) وكان في فصل من فصول / هذا الكتاب : ثمّ زعم أنّ الله عزّ وجلّ سيقطعُ مُدَّتَنَا وِيتَقِمُ مِنَّا . (قال) : وهذا قول جاهل وكفى بجهله بأن يقطع بالغيب على الله ما لا يعلمه .

قال المعزّ عليه السلام : ونحن ، فلو قلنا ذلك لقلناه من كتاب الله جلّ ذكره /و/ من قول جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله . لأننا إذا رأينا هذا الفاسقَ مرتكباً لمحرّمِ الله عزّ وجلّ ، متهاوناً بأمره مناصباً لأوليائه وحزبه ، حكمناه بحكم الله ، واستأْذَنَ جَزَنًا فيه وعده لأنّه يقول لا شريك له : « إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (1) » .

« فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ (2) » .

« وَأُمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ (3) » .

و« إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ (4) » .

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ / مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (5) » .

فعلمنا أنّ الله (عج) لا يدع مثله حتّى ينتقم منه ولا يهمل منكروه بل يغيّره ولا يدع أن يطهر منه أرضه ويورثها - كما قال - صالحى عباده .

قال المعزّ عليه السلام : ثمّ هذا فصل في كتابه بعد هذا يذكر فيه بزعمه سوء رأينا . وقال فيه : ومن كانت هذه أحواله لم قدّم أيامه . فجاء بمثل ما أخذه بزعمه علينا ، لم يعدّه قوله وسوءُ توجيهه وجهله . والله للظالمين بالمرصاد (6) .

(1) الصافات ، 173 .

(2) الرغرف ، 55 .

(3) القلم ، 45 .

(4) الرعد ، 11 .

(5) الأنبياء ، 105 .

(6) هنا ينتهي الرد على رسالة الاموي فصلا فصلا .

كلام في مجلس في حمد الله وشكره :

95 - (قال) وسمعت صلوات الله عليه يوما يذكر ما هيأه الله عز وجل له من إقبال الدنيا عليه / وما كثرة تبارك اسمه من متاعها عنده من صنوف الأموال والخيال والسلاح والعدة والطراز ، وما ظهر في أيامه من بديع الأعمال وغرائب الصنائع التي لا يحكم حدائق أهل المشرق مثلها ، وأن ذلك من صنعة عبيده الذين أفاء الله عز وجل بهم عليه من سببي الروم وأن مثل ذلك لم يتهيأ لأحد من ملوك الدنيا مثله ، ثم ما هيأه الله تعالى له من قطع الحجارة من الجبال بالمكان الذي لم يكن ملك من ملوك الدنيا قبله قد تهيأ فيه ذلك له (1) ، والذي ابتناه من البنيان واغترسه من الأشجار مع إقبال الخلق بالطاعة له واستقامة الأحوال في أيامه في جميع مملكته (2) .

وذكر مع ذلك ضعف / بنسي العباس وما أصرهم الله عز وجل إليه من الذلة والضعفة ، وما غلبوا عليه من ملكهم وأنهم كسبيل الأيتام في حجب من تغلب على مملكتهم يجرون عليهم النفقات وقد حازوا جميع أموالهم وغلبوا على سلطانهم . فحمد الله حمدا كثيرا وشكر ما أولاه الله ومكنه وأعطاه وسلبه وانتقصه أعداءه .

ثم قال (صلح) : نبذنا الدنيا واطرحناها وطلبنا الآخرة وآثرناها ، فأتى الله عز وجل إلينا بالدنيا وهي راغمة ، وأعد لنا كريم ما لديه في الدار الآخرة . والله ما نال عدونا ما ناله من دنياه إلا بتكدير وعلى حال خوف وتغريير (3) ، وما يتلذذون إلا بمعاصي الله ومحارمه عارفين بها لا يشكون فيها ، أكثر ما يقوله أحدهم / في ذلك ويقال له : إنما هي دنيا فاستعجل منها ، فما استعجلته فهو الذي تربحته وما تركته منها فقد خسرتة . ولا يذكرون معادا ولا يرجون ثوابا . وإننا بطاعة الله وبجلاله لأشد منهم تلذذا في غير معصيته وحرامه ، وما لهم في الدنيا إلا الخزي والتعيب والنصب ، ولا في الآخرة إلا العذاب واللعنة وسوء المنقلب ، فقد خسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

(1) في الاصل : لم يمكن ملكا من ملوك الدنيا قبله به تهيأ فيه ذلك له .

(2) هذا عين الفخار الذي كان المعز منذ حين (انظر ص 180-181) يعيبه على عبد الرحمان الناصر ، والإشارات إلى العمران والصناعات هي بعد غامضة مبهمة لا غناء للمؤرخ فيها .

(3) في الاصل : تمزيير .

حديث في صنع الله لولته :

96 - (قال) وسمعت صلوات الله عليه يذكر رجلاً كان طسراً إلى الله من المشرق ورأيناه وعرفناه . قال : كان ممن أذن له في موضعه في الدعوة إلينا قديماً . أطلق له ذلك بعض من فوضنا ذلك / إليه من دُعائنا فكان يتصل بنا عنه من سوء الحال وقبيح الانتحال وتغيير دين الله وتحريفه والتقول بالباطل فيه . ما قد شق علينا واغتممنا به . ثم هباً الله مصيره إلينا وقدمه علينا فأنزلناه وأجرينا عليه ، وأمرنا من نثق به من أوليائنا بمفاوضته واستخراج ما عنده . فإذا هو بحسب ما وُصف عنه ، ورفَعَ إلينا فيه . وأسوأ حالاً من ذلك . فلما استفدنا ما عنده ، ووقفنا على ما يعتقده ، أنكرنا ذلك عليه ، ووعظناه فيه واستتبنا منه . فأظهر توبةً وقبولاً ورجوعاً إلى الحق وإنابةً . وأخذنا عليه . ثم سألنا تسريحه إلى مكانه . فأمرناه بالتأهب لذلك وأجزناه فأحسننا / جائزته .

فرفع إلينا جماعة ممن كان من أضيافنا معه يخاليه ويفاوضه أنه إنما أراد التخلص منا، وأنه عزم على الرجوع إلى ما كان إليه وأن ينشره عنا بموضعه وغيره، ويجول في الآفاق . إذ به قد صدر عنا تسريحه . وانصرف عن بابنا لما يريده من التآكل بذلك من أموال الناس . مع ما يُورطهم فيه من المهالك ، ويزرع فيهم من سوء الانتحال . ورفع ذلك إلينا من رَفَعَهُ من أوليائنا رفع نصيحة . وذكر أنه إن صار إلى أي مكان أفسده وأتلف أهله . وأن حبسه بالحضرة واعتقاله دون ذلك صلاح . وتبين لنا ذلك . وكان الذي يوجه التدبير استهلاكه واجتياحه ، وأن يكون أقل ذلك حبسه واعتقاله . ثم نظرنا في / واجب قصده إلينا من قبل أن نقدر عليه . وفي الذي أظهره من توبته . وأن الذي يخشى منه لم يكن بعد فعله فيوجب ذلك عقوبته . وإن كان قد تهيأ واستعد له . فرأينا إثارة الحق فيه ، وقلنا: إن كان قد اعتقد سوءاً فالله يكفيه . ولا نكون نأتي أمراً فيه شبهة . فأذنا له في الانصراف . فلقد انصرف وما ودعنا خوفاً من أن يعوق في المقام عائق . وأنفذناه مع عاملنا على / ورقة في حين انصرافه وأمرناه بحسن صحابته وبره وإكرامه وقضاء حوائجه .

فلما وصل معه إلى مدينة اطرابلس قدم العاملُ رجلين على نجيين إلى برقة لما أراد أن يتقدم فيه قبل قدومه (1) ، فسأله أن يقدمه / معهما ، ورغب في ذلك فأخبره بما يكون عليه في ذلك من المشقة لركض النجيب به وسرعة السير . فقال : هذا أحب إلي . فأجابته إلى ذلك لما تقدمنا (2) إليه فيه من قضاء حوائجه . وقد رنا أنه إنما دعاهُ إلى ذلك ، الخوفُ من أن نرده . فمضى مع الرجلين . فبعد أن قطعوا أيامًا صاروا من الليل ، فخرج عليهم لصوص فاشتدَّ الرَّجُلانِ بنجبيهما واشتدَّ معهما ، فرمى به النجيبُ فسقط إلى الأرض فاندقَّ عنقه فمات ، ولم يعلم به صاحبه واستتر عن اللصوص لظلام الليل . وأصابه أهل الناحية من غدر بما معه فرفقوا أمره إلى عامل المكان فحاط ما كان معه ودفننه ، وكتب إلينا بخبره كفانا الله / مؤنته وخلصنا من الدخول في شُبُهَةٍ من أمره .

وهذه عادة الله عندنا فيمن غمطَ إحساننا وكفر نِعَمَتنا وأسلمنا أمره إليه وتوكلنا فيه عليه ، والحمد لله رب العالمين على ما لا نحصى من فضله ونعمائه ولا نتعاطى بلوغ شكره من آلائه حمداً كثيراً كما هو أهله ومُسْتَحِقُّه .

حجّة في الأخذِ عن أولياء الله :

97 — (قال) وحضر مجلسه يوماً بعضُ النحويين فقال له : خبرني عنكم معشرَ المنتحلين علم النحو واللغة : أليس إنّا أخذنا أئمّتكم عِلْمَ ذلك عن أهل بوادي العرب ، وهم قومٌ لا يعرفون منه ما تعتلّون أنتم به له ، وتصرفونه عليه في أبوابه وشواهدِه وأنحائه ودقائقِ مخارجِه / واختلافِ وجوهِ إعرابه وعروضِ شعره وفواصله ودوائره بأفاعيله ووجوهِ عِلَلِه ؟ فلم كانوا أخذوا ذلك ممن لا يعرف ما عرفوه عنه ، ولا يدري ما درّوه من أسبابه ، وسلّموا إليهم في علمه ، وإن أتوا منه بغير ما يعرفونه وخلاف ما يصرفونه ؟

(1) في هذه الجملة الطويلة ، ندوض ناتج عن التباس الصائير الكثيرة ، والمعنى هو : أرسل عامل طرابلس رجلين على ناقتين في حاجة له إلى برقة كان ينوبها قبل قدوم الرجل المشبوه في أمره .

وبرقة في القديم كانت إحدى المستعمرات الاغريقية الخمس (نتابوليس) على السواحل الشرقية من ليبيا . وفي العصور الاسلامية أصبحت عاصمة للاقليم الذي يعرف اليوم بولاية برقة ، حسب عادة العرب في تسمية كامل المقاطعة باسم قصبتها ، وقد اندثرت برقة القديمة وقامت مقامها اليوم قرية المرج على أميال من بنغازي . الحالية (انظر فصل Barka بدائرة المعارف الاسلامية J. Despois) .

(2) أي نحن ، المعز .

قال : لأنهم علموا أنهم مطبوعون عليه وأنهم أهلهم ومعدنهم ، وإنما وضعوا (1) ما وضعوه من هذه الشواهد والأبينة والأنحاء على أصولهم لكي لا يخرجوا عنها ، فإذا جاءهم عنهم ما لم يكونوا عرفوه سلموا القول لآلهم فيه .

فقال المعز عليه السلام : أفلسنا نحن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولحمته وخلصاءه ودخلته وأهل ما حضر وغاب منه ، وعيبة سره وأخص الناس كلهم به ؟ فلم لَمْ يكونوا سلموا كذلك إلينا ما جهلوه من أمر دينهم وسألونا عما اشتبه منه عليهم ، ولم يقطعوا فيما جهلوه منه بآرائهم وأهوائهم ؟

فسكت ذلك الرجل ولم يُحِر جوابا ، وكان ممن ينتحل قول العامة .

ولعل من حجته في ذلك عند نفسه أن يقول : نحن ما نأخذ بما أثنانا عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلا عن ثقات أدوا ذلك إلينا عنه ، وإن لم يكونوا من أهل بيته . فقد ثبت لصيحتهم عندنا ما أدوه (2) إلينا . فيقال له : رأيت لو أدى إليك عن هؤلاء العرب قوم منهم وقوم من غيرهم ، [ف]من كان أولى بصحة النقل عندك وأثبت فيه لديك : من هو منهم يعرف لغتهم ويدري ما يؤديه عنهم ، أم (3) من هو من غيرهم لا يعرف ما يعرفونه ولا هو في ذلك كمن هو كأحدهم ؟

فإن كابر وقال : إذا كان ثقة في نقله أخذت عنه ولم أبال ، قيل له : أفرأيت إن خالف ما جاءك به العربي الذي لا تشك في معرفته : [ف]من أولى عندك أن تأخذ بقوله ؟ فإنه لا يجد بدا من القول إن العربي أحق من أخذ عنه ، وإلا خالف أصله الذي بنى عليه وأوجب أنه يدع قول العرب / الثابت عنهم ويأخذ بقول المولدين الداخلين على العربية . وهذا ما لا يقوله أحد من أصحابه ، ولو قالوه لأبطلوا كلام العرب الذي (4) يستشهدون به في كتبهم ويرجعون إليه وإن لم يعرفوا معناه ، كما ذكر ذلك المعز عليه السلام فيما أصله عنده فأقر واعترف به .

(1) في الأصل : وضعوهم .

(2) في الأصل : وما أدوه .

(3) في الأصل : أو .

(4) في الأصل : الذين .

رؤيا وآها المنصور بالله صلوات الله عليه :

98 — (قال) وسمعت صلوات الله عليه يقول: لما خرج المنصور بالله صلوات الله عليه إلى ناحية تونس في حين إخراج الأساطيل (1) إلى غزو الروم نزل خربة قرطاجنة وهي لَمِينٌ أحد عجائب الأولين في البناء ، فأقام بها / أياماً .

(قال) فدخلت عليه في صبيحة يوم من تلك الأيام ، فقال لي: أخبرك عن (2) عجائب هذا البناء ، لقد اشتغل (3) قلبي به ، فقلت في نفسي : ليت شعري من بناه ؟ وهل واحد أم (4) تعاقبه جماعة ؟ وكيف كان اقتدر من بناه عليه مع عظمه واتساعه ؟ وقلت : إن كان الذي بنى هذا ملكا واحدا ، فكيف اتسع بذلك والعمر لا يبلغه ؟ وإن تداوله ملك بعد ملك ، فكيف اتفقت آراؤهم على هذا المكان وقلما تتفق الأهواء على سكنى البلدان ، سيما الملوك ؟

فمننت وأنا أفكر في ذلك . فرأيت في المنام كأن رجلاً دخل عليّ ، آدم شديد الأدمة ، تعلوه صفرة / ، خفيف العارضين محدورا (5) معتدل القامة ، عليه ثوب أبيض قد توشح به فسلم عليّ ، فرددت عليه السلام وقلت : من أنت ؟ قال : عبد من عباد الله بعثت إليك .

قلت : مرحبا بك ! ودفعت يدي إليه . فأكب عليّ وقبل عَضُدِي . وقلت له : اجلس ! فجلس . وسكت أنظر ما يقول ، فسكت وتبسم في وجهي تبسما خفيفا . فقلت : يا هذا من أنت ، وما له جئت ؟ فقال : أنا صاحب هذه المدينة .

قلت : وكيف أنت صاحبها ؟

قال : أنا الملك الذي ابتنيته أهلها .

فقلت : وحدك أم شاركك فيها غيرك ؟

(1) يبدو أن الميناء الذي خرج منه الأسطول هو ميناء دار الصناعة ببجيرة تونس الذي اتخذته حسان بن النعمان سنة 80 هـ .

(2) في الأصل : في .

(3) في الأصل : فاشتغل .

(4) في الأصل : أو .

(5) محدود : سمين في غلظة .

قال : بل وحدي ابتنيتهما حتى أكملتهما وسكنتهما / وأقمت عمري بها إلى أن مت فيها .

فقلت له : لقد أعطيت ملكًا عظيمًا وبسطةً ، أفما كان لك عدوً فحاربته فشغلتك عن هذا البناء (1) ؟

فحرك يده وجمع أصابع يديه جميعا وقرَّبهما وقال : كان لي عدوٌ كثير . ومن ذا يخلو من الأعداء ؟

قلت : فما كان دينك ومذهبك ؟

قال : التوحيد .

قلت : فما صرت إليه ؟

قال : إلى خيرٍ والحمد لله !

قلت : قد جمع الله لك أمر الدنيا والآخرة .

قال : وما تنكر من ذلك إذ كانت هذه البقاع من هذه الأرض قد منحت ما تراه من المنحة (2) فكيف بالأرواح الشريفة وما يخصها الباري إذا ارتضاها ؟

قلت : أجل ، فما اسمك ؟ . فتسمي لي باسم لم أسمع بمثله في لغة من اللغات ولا عرفت معناه ، إلا أنه كثير عدد الحروف .

وقال المعزّ عليه السلام : أظنه قال : فيه مثل عشرة أحرف وذكر بعضها . وقال : كتبها المنصور عليه السلام . (قال) ثم تحرك للقيام ، فقلت : ألا تجلس ؟ أنست بك . فقال : ما بُعثت إليك إلا وأنا على شغل (3) ، فإن أحببت أن تسأل عن شيء فاسأل عما يبدأ لك !

(قال) فسكت مفكرًا فيما أريد أن أسأله عنه : فقام ومضى ، فانتبهت .

(1) هذا السؤال يعبر عن مشاغل المنصور كأنه يقول : لولا الحروب لبثت مثل بناءات قرطاج .

(2) في الأصل : المنحة .

(3) وأنا على شغل : هذه إشارة إلى ما يعتقد الإسماعيلية من أن الأنفس المحمودة تؤثر بعد الموت في أنفس الأولياء ، وتستغفر لهم من الذنوب . فهي في شغل دائم إلى يوم القيامة .

انظر : ستروطمان : أربعة كتب إسماعيلية ص 89 . ويرى الكرمانلي (راحة العقل : 391) أن مكوث الأنفس بالبرزخ يدوم حتى يتم الخلق الجديد .

كلام في فضل الأئمة عليهم السلام :

99 - (قال) وذكر المعزّ عليه السلام أمر مدينة من مدائن الغرب (١) وقيل له إنه وقع بين / أهلها وبين من يليهم من القبائل اختلاف وحرب ، وكان قد خربت مرارا قبل ذلك بمثل هذا وأخرج عنها أهلها .

فقال المعزّ عليه السلام: ما أَلَوْنَا في طلب عمارتها ولكنّها وغيَرَهَا من المدن التي دافَعَتْ أولياءَنَا في ابتداء أمرِنَا لن تُفْلَح أبداً، ولا تزال الفتن بها حتّى تأتيَ عليها .
وذكر غيرها ممّن كان أهلها دافعوا وهم على مثل هذه الحال . وقال : هذه عقوبة من الله عزّ وجلّ . ثمّ ذكر المدن التي سلمت ودخلت في الطاعة وما أعقبها الله به من الأمن والخير والعمارة .

كلام في فضل الولاية :

100 - (قال) وسمعتَه صلوات الله عليه يذكر / كتامة وموالانهم وانطباعهم على الولاية . فقال عليه السلام : والله إنّي لأظنّ أنّه لو مُثِّلَتْ لهم النار والجنة وقيل لهم: هذه الجنة وفيها أعداؤنا ، وكلاّ / لا/ يكون ذلك ، فلمّا أن تكونوا معهم فيها ، وإلاّ فهذه النار فادخلوها ، لاخترأوا دُخُولَهَا !

(١) في الاصل : العرب .

الجزء التاسع

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

كلام في ذمّ الحسد ذُكر في مجلس :

101 - قال القاضي النعمان بن محمد : سمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يقول : الحسدُ أعظمُ الداءِ وجهد البلاءَ وأشقى الشقاء . إنّ الحاسد / إنّما يسخط على الله عزّ وجلّ إذا رآه آتى عبداً من عباده خيراً ، يسخط ذلك منه ويترى نفسه أهلاً لذلك ، وليس هو كما رأى . فينسب إلى الله عزّ وجلّ الجور في فعله والخطأ في حكمه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ثمّ يتبع ذلك ما يعتريه فيه من الكمد والغمّ والحسرات والهمّ .

قلت : فالحسدُ في الفضل ، كالعلم والعبادة والحجّ والجهاد وأفعال الخير ؟ فإنّهم قد زعموا أنّ الحسد في ذلك يستحبّ .

قال : لهذا وجهٌ ومخرج : إن كان التحاسدُ في مثل هذه الوجوه العملَ بها والمنافسةَ فيها ، والقلوبُ سالمةٌ من الغشّ والدغل ، لا يُحِبّ الحاسدُ / أن يُحطّ المحسودُ في ذلك عن درجة الفضل التي هو بها ، وإنّما يُحِبُّ أن يُلحقَ به فيها ، فليس هذا حسدًا / وإنّما هو تنافس في الخير ومبادرة إليه .

وإن كان إنما يريد إسقاطاً من حسده ، وكونه هو في منزلته ، وهو في منزلته (1) ، فهذا هو الحسد ، وهو مذموم .

قلت : قد قالوا في مثل هذا في قول الله تعالى : « وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ (2) » أنه الرجل يتمنى أن يكون له مال رجل بعينه وامرأته بعينها وأن ينتقل ذلك إليه عمن هو في ملكه ويديه . وقالوا في قوله : « وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ (2) » وقول رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا تمنى / أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربّه عزّ وجلّ (3) : إنه يتمنى أن يكون له مثل ذلك المال أو يكون له مثل تلك المرأة .

فقال المعزّ عليه السلام : تمنّيه مثل المال الذي لأخيه ومثله امرأته ضرب من الحسد . ولكنّه يسأل الله عزّ وجلّ كما أمر ، من فضله ، ولا يقتريح عليه ولا يشغل قلبه بمال أخيه ، ولا بزوجته ، ولا يلتفت إلى ذلك ولا يفكر فيه ، فإن فكرته في ذلك واشتغاله به وتمنّيه مثله نوع من أنواع الحسد .

كلام في مسابقة فيه رمز :

102 — (قال) وسمعت عليه السلام يقول لرجل ، وأنا أسايره في طريق ، ولا أدري ما كلمه / به الرجل : إنه كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ذوو نجدة وأولو قرابة منه كعمّه حمزة (4) وابن عمّه جعفر (5) وابن عمّته الزبير (6) وغيرهم . وأعطى غير واحد منهم في غير مشهّد كثيراً من سلاحه يقاتل به ، ما

(1) في الأصل : فهو . والفكرة خامضة . ولعلها : يريد أن يكون هو في منزلة المحسود ، وأن يكون المحسود في منزلته هو .

(2) النساء ، 32 .

(3) السيوطي : الجامع الصغير ، ج 1 ص 95 . أخرجه الطبراني .

(4) هو عم الرسول (ص) وسيد الشهداء . مات في وقعة أحد .

(5) أخو عليّ لأبيد . ويلقب بجعفر الطيار ، للحديث : رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة . واستشهد بغزوة مؤتة سنة ٥ هـ .

(6) صحابي جليل ، أمه صفية بنت عبد المطلب عمّة الرسول (ص) . شارك في وقعة الجمل مع طلحة وعائشة وبها قُتل بعد اعتزاله الحرب . (أسد الغابة 1732) .

خلا ذا الفقار (1) فإنه لم يضرب به غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعليه وصيته بإعطائه إياه له . فلم يعطه قط أحدا غيره .

ونظر إليّ وقال : ذو الفقار على ما قد رأيتُموه على عِظَم قدره واختصاص الله عز وجلّ به رسول الله صلى الله عليه وآله أقصرُ السيوف قدّاً وأقلُّها في العين قدراً (1).

فلم أرَ إلّا أنّ ذلك مثلٌ ضربه ودليلٌ دلّ على اختصاص / عليّ عليه السلام بالكرامة التي أكرمها بها ، والحجّة (2) التي اختصّه بفضلها والعلم الذي أودعه إياه ، لأنّ السيف في الظاهر آلة الغلبة باليد ، والعلم في الباطن آلة الغلبة باللسان والحجّة ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اختصّ عليّاً صلوات الله عليه من ذلك ، بما لم يختصّ به غيره .

ومنه قوله عليه السلام : علّمني رسول الله ألفَ باب من العلم والحكمة ، كلّ باب منها يفتح ألفَ باب .

وقوله عليه السلام : كنت إذا سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله أجابني ، وإذا سكّته عنه ابتدأني .

وقوله : سلّوني قبل أن تفقدوني فإنكم لا تسألون/ذني عن علم / ما كان وما يكون إلّا أخبرتكم به ، أخبرني بذلك النبيّ الصادق عن الروح الأمين عن ربّ العالمين . مع اختصاصه إياه صلوات الله عليه وعلى الأئمة من ولده بالوصيّة والإمامة .

كلام في مجلس في فضل أولياء الله عليهم السلام :

103 — (قال) وسمعتَه يقول : نحن النجباءُ الأبرارُ، المصطفونَ الأخيارُ، نجل محمد سيّد النبيّين وخاتم المرسلين ، لا ينكر حقنا إلّا معاندٌ، ولا يدفعه إلّا مكابرٌ ، ولا يجهله إلّا جاهلٌ ، ولا يدعيه إلّا ظالمٌ . خُصِّصنا بولادة النبيّ والوصيِّ ، وأورثنا الإمامةَ، وأعطينا الكرامةَ، وفُضِّلنا على العالمين . ولو شئنا أن نقول إنّنا كنّا مع آدم

(1) قد مر وصف هذا السيف . انظر ص 114 .

(2) في الاصل : فالحجة ...

لقلنا (1)، لأنّ الله تعالى لما خلق آدم (ع) نظر فرأى في ساق العرش / مكتوبا : لا إله إلاّ الله ، محمّد رسول الله، أيّدته بعليّ وأورثته به . فقد ذكرنا الله عزّ وجلّ قبل أن يُخلّق آدم، فمن يدّعي هذا معنا أو من يدّعي (2) فيه فضلنا ؟

باب في حِلْمِ المعزّ صلوات الله عليه :

104 — (قال) وحضرت يوما مجلسه فتحدّث مليّا ثمّ قال لبعض الخدم بين يديه : أصلح الحمّام !
قال : نعم .

فجلس بعد ذلك طويلا ولا أشكّ إلاّ أنّه قد كان أمر قبل ذلك بإصلاحه . ثمّ دعا بالفرس فركبته ومشينا بين يديه إلى الحُجْرة التي فيها الحمّام من قصره (3) . فدخل فتزلّ ليدخل الحمّام فأصاب بابيه مقفلا لم يُصلَحْ بعدُ ، فسأل عن المفتاح . فلم يوجد . / فوقف طويلا ما تنكّر حاله ولا بدا منه غضب ولا قال في ذلك قولا . ثمّ دعا بالكُرسى فجلس ، وجعل يتحدّث حتّى أتى بالمفتاح . وأصلح الحمّام . وقام فدخل ، وما حرّك ذلك منه ساكنا ولا أهّاج كامنا . وإنّ الذي زعم له أنّه أصلح من العبيد لقائم بين يديه ، ولقد تداخلى من ذلك غيظ شديد عليه وعلى من يلي إصلاح الحمّام .

فذكرت لذلك حديثا كان حدّثناه عن بعض آبائه وأظنّه محمّد بن عليّ (صلع) (4) أنّه كان جالسا مع أصحابه حتّى سمع صيحة في داره، ثمّ أتاه

(1) هذا القول معروف مشهور عند شعراء الاسماعيلية ، حتّى ان بعضهم يجعل خلق آدم والبشرية ذريعة لخلق الأئمة ، كأن آدم لم يخلق الا لينجب الامام يوما . فيقول ابن هانيء (القصيدة 53 ، الابيات 24-26) متحدثا عن المعز :

« هذا ضمير النشأة الاولى التي
« من أجل هذا قدر المقدور في
« وبهذا تلقى آدم من ربه
بدأ الإلاه ، وغيبها المكنون
أم الكتاب ، وكون التكوين
عفوا ، وفاء ليونس اليقطين »

ويقول العزيز الخليفة الخامس (صبح الاعشى ج 2 ص 417) :

« أنا ابن رسول الله غير مدافع
تنقلت في الأنوار من قبل آدم »

(2) في الأصل : أمن ويدعي .

(3) هذا النص يدل على سعة أبعاد القصر .

(4) محمد الباقر : انظر ص 77 ، تنبيه 2 .

بعض الخدم فأكبَّ عليه وأسرَّ إليه / سرًّا ، فقال : الحمد لله ! له ما أعطاه وله ما أخذته . انتههم عن البكاء وخذوا في جهازه واطلبوا المسكينة وقولوا لها : لا ضير عليك ، وأنت حرة لوجه الله لِمَا تداخلك من الرُّوعِ .

ورجع إلى حديثه فتهيَّب القوم سؤاله حتَّى أتى إليه فقيل له : قد جهزناه . فقال لهم : قوموا بنا نُصلِّ على هذا الصبي !

قالوا : ومن هو يا ابن رسول الله ؟

قال : ولدي فلان سقط من يد جارية كانت تحمله فمات .

وحدثنا أيضا عن بعض آبائه أنَّ جارية قامت عليه توضئه ، فسقط الإناء من يدها فجرحه وانكسر ، فخافته فقالت : يا مولاي ، إنَّ الله يقول : «وَالْكَافِرِينَ / الْغَيْظَ» .

قال : قد كظمناه عنك .

قالت : ويقول : «وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ» .

قال : قد عفونا عنك يا جارية .

قالت : ويقول : «وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (1)» .

قال : فأنت حرة لوجه الله .

وما أحصي ما رأيت المعزَّ عليه السلام في مجلسه وتصرفه في خروجه يُعترض بما يوجب العقوبة والغضب ، وربما اعترض عليه بعض عبيده في رأيه ، وقطع عليه كلامه واحتجَّ عليه من يأمره ويخاطبه ، وراجعه فيما لا ينبغي المراجعة فيه ، ممَّا يضيق لذلك صدرُ مَنْ حضره وسمعه ، فما رأيت قطَّ غضبَ شيء من ذلك ولا عاقبَ فيه .

105 — وأكثر ما رأيت منه أنَّه قد خرج يؤمُّ إلى خارج المنصورية / في بعض ما يخرج له ، فازدحم الناس على ركابه وأحاطوا به من كلِّ جهة يسألونه حوائجهم ويرفعون إليه قصصهم ، وقد أقام لذلك من يتولاه فأبوا إلاَّ مواجهته به ، وهو في ذلك يُقبل عليهم ويسمع منهم ويأمر بقضاء حوائجهم ، إلى أن جاء من ذلك ما لم يُمكنه

معه الشيء ، ونفر به الفرس تحته ، ودار به . فأمرهم بالانصراف ، وأمر من بين يديه من المشاة بصرفهم ، فألحوا عليه ولم ينصرفوا عنه وقصّر المشاة عنهم في دفعهم ، فتناول رجا من يده بعضهم وقال : ما جزاء أحدكم إلاّ ضربته بهذا ! ثمّ نظر (صلح) إلينا وتبسّم في الوقت بعقب / ذلك وقال : أما ترون ما نحن فيه ؟ وتحدّث ، كأنه لم يعارض بشيء .

ولقد نالني ومن رأيته حولي ممّن كان سايره لما رأيناه من ذلك غمّ وغضب شديد ، فلا والله ما كان منه في ذلك إلاّ ما ذكرته ممّا استعمله طبعه الكريم يظهر استعماله إيّاه كما نستعمل الغضب على الطفل إذا جهل ليُروّع ويُفزع من أجله .

ولقد تأسّيت به في الحلم عمّن يجهل ويخالف الواجب من دخلي وعييدي والإعراض عن زلاتهم والصفح عن هفواتهم : فلقد بطّروا لذلك وخال (1) عليّ كثير من أمرهم . ثمّ قرنت / ما كنت أجده من ألم الغيظ والعقوبة بما صرت إليه من راحة الحلم ولذّة العفو والإغضاء ، فرأيت أنّ الذي صرت إليه من ذلك أفضل . وقد كنت كثيرا ما أعاقبُ فأندم على العقوبة إذا سكن غضبي ، وأعاتب في ذلك نفسي . ثمّ صلح لي بحمد الله مع الدوام على ذلك كثير من الأمور ممّا لم يكن يصلح بالعنف .

وكذلك رأيت أمور المعزّ عليه السلام على ما منحه الله من الحلم والأناسة والصبر يأتي مع ذلك بحسن العواقب وجميل الأمور (2) . وكثيرا ما فكّرت في ذلك فذكرت له قول بعض أهل الأدب وقد رأى بعض الناس عبيدا له يفعلون في أمور غير / الواجب فقال له : ألا تؤدّب عبيدك هؤلاء وتصلحهم ؟ فقال : قد رمت ذاك فرأيت أنّي لا أصلح شيئا من أحوالهم إلاّ بفساد شيء من حالي ، فرأيت أنّ إصلاح حالي أعود عليّ من صلاح أحوالهم فتركتهم لذلك ، يصفو منهم ما صفا ويتكدر منهم ما تكسدر .

(1) بمعنى : اشتبه واستعصى .

(2) التعبير مختل ، وكان «أمور» الأولى زائدة .

رَمَزٌ ذَكَرَ فِي مَسَايِرَةِ :

106 — (قال) وسأيرت الإمام المعزّ عليه السلام يوما وقد خرج من المنصورية إلى ما يليها من المنى (1) فلقيه بعض التجّار المختلفين إلى جهة المشرق ، فذكر له كلاما طويلا أجزأه في ضروب من الأمتعة إلى أن ذكر الجواهر وتمييزه ومعرفته وقيّمته / . فقال له المعزّ عليه السلام : وكيف تعرف قيمة الجواهر على الحقيقة ، وإنّما هو شيء قد استحسّنه الملوك ، فمتى استحسن شيء منه بالغت في العطاء بقدر ما استحسّنته / منه وبقدر علوّها وسخاء أنفسها ومقدار بسطها واتساعها وطباعها ؟ وقد تملك كثيرا من الدنيا من لا فرق عنده بين الجوهرة النفيسة والزّجاجة المعمولة وما قاربها من الأشياء المصنوعة ، والخرز المفتعلة . والتجّار إنّما يشترونه وينقلونه من بلد إلى بلد ويبلغون في النفيس منه لما يرجونه من اشتراء / الملوك إيّاه ، وهم لا يعلمون كيف يقع ذلك منهم ، وإن أتوا به من يستجيده ويستحسنه منهم وتساعدّه القدرة ويجتمع فيه الطّبع والهمة ، أجزلوا لهم في العطاء . وإن أخلّ به شيء من ذلك كان النقص بمقدار الإخلال إلى ما دون ذلك ممّن لا قدر له عنده ، ممّن وصفناه وقدّمنا ذكره .

فقال التاجر : هو كما ذكر أمير المؤمنين . فلم يقبل عليه ولا رجع إليه جوابا ونظر عليه السلام إليّ وتبسّم . فقدّرت في نفسي أنّه إنّما ضرب ذلك مثلا ورّمز به رمزا بالحكمة التي لا تزكو إلّا عند أهلها ولا يعرف قيمتها ومقدارها / إلّا من خصّه الله عزّ وجلّ بها ، وبقدر الاختصاص بذلك والعطاء منه والهمة والإمكان فيه تكون المعرفة بقدرها . وإنّ من كان عطّلا منها محروما من فضلها تمرّ صفحا عليه ، فإنّ سميعها لم يعلق بشيء منها قلبه ولا ينتفع بها .

وكان الذي فتق لي هذا المعنى أنّني جلست بين يديه (صلح) قبل ذلك اليوم بيومين ، فذكر نحوا من هذا عن بعض الأئمّة من آباءه الطاهرين صلوات الله عليهم ، وأنّه خاطب يوما بعض أوليائه بمكنون من الحكمة ممّا أخذ العهد في كتمانها ، وبحضرته بعض العبيد / ممّن لم يؤخذ عليه (2) ولا بلغ مبلغا يستحقّ به سماع ذلك

(1) جُ المنية ، وهي المنتزه والبستان الواسع ، انظر قاموس دوزي . وقد شاع استعمال الكلمة كمنية المنيرة ومنية الخيل بالقيروان ومنية الخصيب بمصر .

(2) أخذ عليه العهد بالولاية وكتمان علم الباطن .

الكلام . فقال له : يا مولاي ، أترى من بحضرتك ؟ قال : أراه وليت أنكم أنتم تفهمون ، مع ما تقدم عندكم من الفضل ، ما قلت !

ومثل هذا يشهد له قول الله جلّ ذكره : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ لِآيَاتِكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ » (1) . فأخبر عزّ وجلّ أنهم سمعوا كما سمع أولو العلم فلم يعرفوا ما سمعوه / ولا وعوا شيئا منه ، وجعلوا يسألونهم عما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، فهم بمنزلة من لم يسمع شيئا منه ، وبحسب ذلك يكون من لم يدرك قدر الجواهر ، لا يعرفه ولا يرغب فيه ولا يفرق بين كثير من الحجارة وبينه .

حديث في مجلس في سوء أحوال بعض الدعاة :

107 - (قال) وجلست بين يديه عليه السلام يوما بعقب ما وصل إليه الكتابُ بافتتاح سجله (2) وأسر المتغلب الذي كان عليها محمد بن / الفتح (3) المتسمي الشاكر لله أمير المؤمنين . فأذن لشيخ الأولياء من كتامة فدخلوا عليه وسلموا ، وأمرهم بالجلوس فجلسوا بين يديه ، فحدثهم ملياً وتحدثوا لديه إلى أن جرى ذكر الفتنة وتغلب مخلد اللعين على إفريقية وأخذه مدينة القيروان وما دون المهديّة . فذكروا تخلف القائم بالله (صلع) عن النهوض في تلك بنفسه وما كان في ذلك العصر من التباغي بين الناس والتدابير، وما امتحنوا به ممن نصب للدعوة نفسه بعد تصريح

(1) محمد ، 16-17 .

(2) مدينة تقع آثارها اليوم في جنوب المغرب الأقصى . أسسها مدرار بن عبد الله صاحب الدولة المدراية سنة 140 هـ . ونزل بها المهدي عند وصوله مختفياً إلى المغرب . ومن سجنها خلعه أبو عبد الله السداعي فسار به إلى رقادة بعد اطاحته بالامارة الأغلبية سنة 296 هـ . (انظر : الروض المطار للحميري ص 305) .

(3) هو محمد بن الفتح بن ميمون من أمراء دولة بني مدرار ، انتزع إمارة سنجلماسة من ابن عمه المنتصر وكان طفلاً ، وأنشغل عنه الفاطميون بثورة أبي العافية وتاهرت ثم بفتنة أبي يزيد بعدها . فدعا للعباسيين وأخذ بمذهب أهل السنة ورفض الخارجية وتلقب بالشاكر لله وضرب السكة . وكان عادلاً .

وكانت هذه الحملة عليه بقيادة جوهر الكاتب في جموع من كتامة وصنهاجة وأولياهم سنة 347 هـ ففر أمامه محمد بن الفتح إلى حصن تاسكرات على أميال من سنجلماسة ثم رجع متنكراً فعرف فقبض عليه . وبعث به جوهر وبأمر فاس أحمد بن بكر أسيرين إلى المنصورية . وفي كتاب المجالس والمسائرات حديث كثير عنهما وعن القفصين اللذين ابتكرهما المعز لهما ليعرضهما على الناس (انظر ابن خلدون : الغير 270/6 ط ابنان) والبيان المغرب 222/1 والمجالس والمسائرات : ص 411 والكامل لابن الأثير ج 6 ص 354 والدشراوي : أسر ابن واسول ، مجلة كراسات تونس 1956 ص 295 .

من القائم بالله صلوات الله عليه بدمته ومنعه ، وأنت تأول ذلك / الدم مدحا والمنع إطلاقا ، فخلّاه وما اقترفه وامتنحن العباد به .

فقال المعزّ عليه السلام : ولقد أرسلني من سأل إقامة ذلك الداعي ليقين به رئاسته إلى القائم بالله صلوات الله عليه ، وأنا يومئذ أؤدّي عنه وإليه ، بعد أن أمر أن لا يؤخذ الأمر عنه إلا عني ولا يؤدّي إليه مثله غيري ، وأنا يومئذ حدث السنّ يافع (1) . فسألني ذلك الطالب - وذكره ، وهو من جلة خدمه - أن أسأله أن يدعّه ومنّ عنده ممن يخصّه ذلك الداعي ، فبلغت ذلك عنه .

فقال لي : قل له : دع هذا عنك ، فتركه خيراً لك ، وأقبل / على ما يعينك ، ففي إقبالك عليه سعادتك .

فأبلغته ذلك ، فقبل الأرض ومرغ خديته وقال لي : يا مولاي ، افعل مثل هذا عني بين يدي مولانا واسأله لي . فلم أجد بداً من تأدية ذلك عنه ، ففعلت .

فقال : قل له : ويحك ! دع هذا إلى أن يكون ما هو خير لك وأفضل . فأخبرته ، فعاد إلى مثل سؤاله ، وألحّ وردّني بسؤاله .

فقال لي : قل له : هذا الرجل قد انصرف إلى منزله ، وإذا عاد من غد نظرت في أمرك . وكان قد أمر بانصراف الناس فانصرفوا عن الباب . فأخبرته فقال : / يا مولاي ، هذا هو ، وقد حبسته . وأراني إيّاه .

فعدت إليه فأخبرته ، فقال : ورأيتّه ؟

قلت : نعم .

قال : امض إليهما (2) وقلّ لهما عني (كامل) :

يا أمة السوء التي قد غيّرت واستبدلت بضيائها ظلماءها (3)

فإذا قلت ذلك لهما ووقفا عليه ، فقلّ لهما : اصنعا ما شئتما لا بورك لكما فيه !

فلما ولّيت قال : أحفظت البيت ؟

(1) ولد المعز سنة 319 ، واندلعت فتنة أبي يزيد سنة 332 ، فسنه إذن بين 13 و 15 سنة .

(2) في الأصل : عليهما .

(3) لم نعرف قائل هذا البيت .

قلت : نعم .

قال : فأعده عليّ ، فأعدته ، فقال : امض فقل لهما ذلك .

ففعلت وأنا أظنّ أنّي إذا قلت لهما ذلك خراً صعبين له ، فلمّا قلته قبلاً يديّ ، وعانقَ ذلك الداعي السوء صاحبه وقال له : قد وجبتُ ! يوهمه أنّ في ذلك رمزاً وتحتّه باطنا ومضى معه / فدعاه وأصحابه ، وكان من أمره ما يطول ذكره .

(قال) : ثمّ دخل إليه البغداديّ (1) وقد استفاض ذلك ، فذكره ، ودعاني وقال : هذا كان رسولي إليهما . ثمّ قال لي : أعد عليّ ما أرسلتك به ، فأعدته فبقِيَ البغدادي باهتا لذلك متعجباً له .

ثمّ قال المعزّ عليه السلام لمن حضر بين يديه : فأين أنتم اليوم ممّا كنتم فيه بالأمس ، وبأيّ شيء تبلغون شكرَ نعمة الله عليكم فيما عوضكم إيتاءهُ وأيدكم به ؟ إنّنا عاملناكم شفاهاً بلا وسائطَ بيننا وبينكم فشرّبتم عذّباً زلالاً بعد مَلَح آجِنٍ .

فقبلوا الأرضَ بين يديه فشكّروا له وذكروا ما كانوا امتحنوا به من أمر ذلك الداعي وما كان في ذلك / العصر فيما بين الناس من التباغي ، وأنّه من كان قد أتاه فدعاه أسقط من نفسه واطّلع على أعوار ما عنده ، ومن تخلف عنه خاف البغيّ عليه والهلاك من أجله ، وذكروا من ذلك كثيراً .

فقال المعزّ عليه السلام : أعجِبْ بذلك لمّا لم يكشفه وليُّ الأمر وأعجِبْ به إذ لم يَفْعَلْ ، كيف انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه . والله لو كان ما قد صرنا إليه من فضل الله ونعمته وما كشفه الله من طغيانيّ تلك الظلمة ، وأزاله من شرّ تلك الفتنة وأذهب من شدّة تلك المحنة ، كان في عمرٍ بعد عمرٍ وقرنٍ بعد قرنٍ وعصرٍ بعد عصرٍ ، لكان عجباً / ، فكيف بزوال ذلك كلّهُ بالتعقيب بخلافه وضدّه من وجوه الخيرات كلّها وعموم النعمة وسُبُوغها في هذه المدّة القريّة والأيام القليلة ؟ ثمّ شكر الله على ذلك وحمده بما هو أهله .

ثمّ قال : وبعد أن كشف الله تلك المحنة وأخمد نار تلك الفتنة ، وأمّكن من اللّعين مخلد وقطع دابر أنصاره ، وقرّ المنصور بالله صلوات الله عليه في قراره ، ألم تكن أطرافنا تُتَخَطَّفُ مرّةً بفلان ومرّةً بفلان حتّى لقد خيفَ من أن يعودَ

(1) لم يسبق ذكر لهذا البغدادي . والقصة كلها لا تغلو من غموض واضطراب .

أمر الفتنة بكَرًّا والحربُ جَدَّةً، إلى أن دعا الأمرُ المنصورَ بالله صلوات الله عليه إلى الخروج بنفسه على حال عِلَّةٍ / مؤلمة وأوجاعٍ شديدة إلى أن نجم ابن ذلك الداعي المُتَسَوِّر (1) على الدعوة ، وكادت أن تعود به الفتنة . ثمَّ أمكن الله منه وعجل به إلى سعيه وكان قد دنا من الحضرة (2) هو وغيره ممَّن انتجبه الفتنة فبدَّد الله شملَه وفرَّق جمعَه . ونحن اليوم بحمد الله ونعمته نطوي الأرض من أطرافِها ونهدِمُ أصنامها، والرَّعبُ الذي نضر الله به جدًّا محمدًا صلى الله عليه وآله يسيرين أيدينا وأيادي أوليائنا .

لقد أخبرني مخبر قديم من أرض الأندلس أن اللعين الأموي لما أحسَّ بالعساكر التي أولجناها الغرب ، اشتدَّ خوفه واستولى / عليه ذعره ، فأرسل أوثق قوَّاده (3) عنده بعسكر أوعب فيه إلى ناحية المريَّة ، فضرب على ساحل البحر مضاربه وأناخ به عسكره، إلى أن واثى مركب به بعض أهل يعلى (4) اللعين يخبرون بقتله وقتل أهل بيته واستيلاء العساكر في ساعة واحدة على مدينته وقياطينته (5) . وجاء في مركب مخبر آخر يخبر عن هرب صاحب سجلماسة (6)، ولم يكن عليم بأسره ، فما هو إلا أن بعث ذلك في العسكر الفزعَ فنفروا نفرة واحدة ، فما اجتمع منهم اثنان وما بقي بالمناخ إلا مضربُ القائد ، وهم من وراء البحر . فالحمد لله الذي ألقى لنا في قلوب / أعدائنا ذعره .

ثمَّ ما وهب الله سبحانه في هذا اللعين صاحب سجلماسة المتسمي بغير اسمه الجالس غير مجلسه من أنه ، حين خرجت إليه ودنت منه عساكرنا خرج منها هارباً على وجهه بعد أن كان يعدُّ من معه الثبات والمحاربة، ويؤمنهم

(1) لا نزال نهمل اسم هذا الداعي المنشق المتطاول على الأئمة . ويبدو أن ابنه سلك مسلكه . والنعمان هذا لا يفيدنا بتدقيق .

(2) وصلت هذه الفتنة إلى أبواب المنصورية ؟

(3) هذا القائد لعله أحمد بن يعلى صاحب شرطة الناصر . وغير خروجه في البيان لابن عذاري (ج 2 ص 221) تحت سنة 347 في المحرم منها . أما قتل يعلى بن محمد اليفرنى فيقول ابن عذاري أنه كان في جمادى (ص 222) .

(4) يعلى بن محمد اليفرنى ، كان والياً من قبل المزعز على ايفكان وتاهرت ثم تحالف مع الأمويين ، فقتله جوهر في حملته المغربية الكبرى سنة 958/347 (انظر : ابن خلدون ، طبعة بيروت ، ج 4 ص 96 وابن عذاري : البيان ج 2 ص 223) .

(5) مدينته : ايفكان وتقع « خلف تاهرت بثلاث مراحل » (ابن خلدون). والقياطين ج قيطون : الخيام التي يخيم بها العسكر (دوزي) .

(6) ابن واسول : انظر ص 214 .

الغلبة . فلو قد فتحها الله عزّ وجلّ علينا عَنوةً وهربَ ، لكان فتحًا جليلاً ومَنًا عظيمًا . لكن أبى الله بفضلِه لنا إلّا بِلَوْغِ الأمل الذي أَمَلْنَاهُ وقِمام الرجاء الذي رجونا . ولقد قال لي بعض مَنْ قال ، قبل ذلك : إنّا لنخافُ عليه أن يهْرُبَ . فقلت : كَلّا ! إنَّ اللهَ سَيَمَكِّنُنِي مِنْهُ لِأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّ فِيهِ عَلَى حَتُولٍ وَلَا قُوَّةٍ / ولم أَرْجُ فِي الظَفَرِ به والتمكينَ مِنْهُ إلّا هو وحده لا شريكَ له . فحقَّقَ الله ذلك الأملَ وتَمَّ ذلك الرجاءُ وردَّ الخائبَ من المكان الذي هربَ إليه وحده حتّى أمكِنَ مِنْهُ بلا عَهْدٍ وَلَا ذِمَّةٍ . أفهذا عطاءٌ يقادر قدره أو يبلغ شكره ؟

ثمّ أكثر حمدَ الله وشكره ، ثمّ قال : وممّا وضع الله فيه لأوليائنا الذين حوَّتْهم عساكرُنا القاصدةُ نحوه لَمّا عَلِمَ عزّ وجلّ حُسْنَ نِيَّاتِهِمْ واطَّلَعَ على صفاء طويّاتهم . وما هم لنا عليه من السَّمْعِ والطاعة ، وبذل المجهود فيما يقع مِنّا بالموافقة أن حمل عنهم المحاربةَ ومنحهم الظفر بلا مُعَانِدَةٍ / وجعل أيديهم في الظفر بالخائب يدا واحدة ولم يخصَّ بِالظفر به بعضُهم دون بعض فتشَمَّخَ بذلك نفس الظافر ويقتصرَ له الخائبُ . لكنَّ الله عزّ وجلّ ساوَى فِيهِ بَيْنَهُمْ ، وجعل الأجرَ والمُخْرَ والذِّكْرَ بِذلك لهم كلَّهم إِسْبَاغًا لِلنَّعْمَةِ عَلَيْهِمْ وَغَمُومًا بِالْمَوْهَبَةِ لَهُمْ فَهَنَّا هُمْ الله وزادهم وبارك لهم (1) .

قلت : نعم يا مولاي . فهنّا هُم الله ، وليتَّهم سَمِعُوا ما أعطاهم الله من رضاك ووهبَ لهم من قَبُولِكَ سَعِيَّتَهُمْ وما أوجبته بفضلِكَ لهم ! على أنْكَ لو شئتَ أن تقول إنَّ ذلك ممّا أفاء الله عزّ وجلّ عليك وصيَّره هِنِيئًا لك بلا إِيْجَافٍ مِنْهُمْ بِخِيلٍ وَلَا رِكَابٍ / عليه . وَلَا صُنْعٍ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِيهِ ، لقلت ذلك فصَدَقْتَ وبرَّرتَ .

قال/ : الفضل والصنْعُ والموهبة والظفر من الله الكريم ، ومن فضله وصنعتَه وموهبة ما خصَّنّا به من طاعة أوليائنا ، وبذلِهِمْ مجهودَهم فيما أرضانا وعاد بهلاك عدُوِّنا واستفراغِهِمْ فِي ذلك طاقَتَهُمْ واستهلاكِهِمْ فِيهِ أَنْفُسَهُمْ . فهم بعض صنْعِ الله لنا الذي أنالنا به آمالنا وبلغنا فيه سؤالنا .

قلت : هِنِيئًا لَهُمْ وَنُعْمَى عَيْنٍ !

(1) شارك في حمله جوهر جعفر بن عليّ ابن الاندلسية واثي المسيلة ، وزيري بن مناد الصنهاجي صاحب أشهر (ابن خلدون ج 4 ص 97) .

قال : ولمَ لا يكون كذلك ، وهم خاصَّتُنَا دون الخاصَّة وأحبُّ إلينا من الأهل والقراة ؟ - يعني كتامة - والله لو لم يكن منهم إلّا ما كان في هذا البعث / من أنّا تقدّمنا إليهم في أمر ، فما خالفوه ، فحبسك من عسكر قطع ما بيننا وبين سجلماسة لم يعفُ أثرنا الذي طاعة ولا تناول مثقال حبة ، وقد كان أكثرهم يُظنُّ به خلاف ذلك بما هم عليه من الحداثة ، وبما كانت فيهم من الحدة . فهذا فلان وفلان - وعدد رجالا وذكر ما كانوا عليه - قد صاروا اليوم حكماء قومهم وشيوخ عشائهم وموضع رِفْدِهِمْ ومفضّزَعِهِمْ ، والله ليسبِّقُنَّ مَنْ تقدّمَهُمْ وليسبِّقُنَّ مَنْ تأخَّرَ منهم ! فبارك الله فيهم وأحسن جزاءهم ! وأنتم والله عدّتنا وذخيرتنا لما نحتاج إليه ، وكثرنا الذي نعول عليه ، إن استغينا / عنكم كفيتمونا مؤنة أنفسكم، وإن احتجنا إليكم أصبناكم وقمنا بما نرى أنّه يصلحكم وغيركم من عبيدنا وحشمتنا ، لا يكفيهم شيء عنا وعن طلب ما عندنا ظعنوا أو أقاموا وعلى أيّ الحالات كانوا .

فقبل الأرض من حضر من الجماعة بين يديه وقالوا : متى نبلغ شكر هذه النعمة من مولانا عليه السلام ؟ والله ما سمعنا مثل هذا من أحد من موالينا قبله ولا بلغنا أنهم قالوه ولا ندري بما استحقّقنا هذا عنده إلّا بفضلِهِ .

فقال لهم : والله لو وجدنا منكم من القبول ما نُحبِّبه لرأيتم منا فوق ما تُحبّونه وتأمّلونه .

فقال بعضهم : لنا سؤال / نسأله مولانا .

قال : سلّوا !

قال [لوا] : لا يَكِلُنَا مولانا إلى أنفسنا ولا يدعنا واختيارنا ، ولكن يتطوّل علينا بموادّ فضله وتنبّيههِ ويُعطينا ما هو أهله، لا ما يرانا نستحقّه عنده ، فوالله لا نستحقُّ عند أنفسنا النظر إليه فضلا عن نيل معروف منه .

فقال عليه السلام : وكيف لي بلقنٍ لِمَا أقول فيعبيهِ وذِي (1) معرفة بالفائدة يحفظ ما أعطيه ؟

(1) في الأصل : ذوي .

فقال الرجل : نحن لذلك يا أمير المؤمنين حافظون لقينون إن شاء الله تعالى .

قال : فهل لقينت وحفظت شيئا عن الآباء ؟

قال : نعم .

قال : فهات ما حفظت .

قال : سمعت المهديّ بالله عليه السلام نصّ على جدّك القائم بأمر الله (ص) ، وسمعتُ جدّك القائم بأمر الله / عليه السلام نصّ على أهلك المنصور بالله صلوات الله عليه (1) ، وسمعت المنصور بالله عليه السلام نصّ عليك : فهذا الأصل الذي لا يثبت الفرعُ إلاّ عليه .

فقال : يا سبحان الله ، إنّ هذا أمرٌ ادّعاه الطُّلُقَاءُ واللُّعَنَاءُ (2) بالنّصّ من آبائهم عليهم السلام (3). فهل لك من حجة على من والاهمّ تدحضُ بها حجّته (4) في تولّيه إذا أنت احتجّجتَ بها عليه ؟ فسكت الرجل .

فقال له : اعمل على أنّك قد صرتَ إلى من قدر منهم عليك فسألَكَ عن انتحالِكَ إمامتِنَا: بأيّ وجه عرفتَ أنّا أئمةٌ ، وما حجّتُكَ على من أنكرها وادّعى غيرها . أكنتَ تَنقَطِعُ / هكذا، وأنّتَ منا بالمحلّ الذي أنّتَ به ؟ أفليس ذلك ممّا يزيدُ عدوّنا عُنُودًا ، ومن تولّاهُ به تمسُّكًا ، بأن يقولَ : هذا من وجوه هؤلاء ، ولو كانت لهم حجةٌ لكانت عنده ، كما قال اللّعين المتسمّي المكتفي (5) لما أتى باللّعين القرمطيّ وقد قام عليه يدّعي ولاية آل الرسول استمالةً للناس بها ، وهو من الفسوق واللّعة بالموضع الذي نزه الله أهلَ بيتِ نبيّه عنه ، وعجّلَ النّقمة منه (6) فأسير وأتّسِ به المتسمّي بالمكتفي ، وهو في سوء الحال مثله ، أسيرا ، فأدخل إليه وأمر من

(1) انظر تعليقنا ص 137 في شأن كتمان القائم تعيين المنصور مدة طويلة . وسيروي النعمان عن المنصور أن التعيين لم يعلم به أحد سوى القائم والمنصور ص 448 .

(2) أي : العباسيون والأمويون .

(3) هذه العبارة غريبة في شأن الخصوم إذ لا نعلم من الفاطميين تقديرا للعباس ولا لابي سفيان ولعله سهو من الناسخ .

(4) في الأصل : تدحض لها حجة ...

(5) المكتفي هو الخليفة العباسي السابع عشر ، وقد تغلب على الثورة القرمطية بالتمام ، وتوفي سنة 908/295 . (انظر خبره مع القرامطة في الكامل لابن الاثير 6 ص 116 تحت سنة 294) .

(6) في الأصل : بالموضع منه .

ناظرة بين يديه . فقال له : ما سبب خروجك على أمير المؤمنين والدعاء إلى غيره ؟

قال : لأنني رأيتُ أن عليًا / أحقَّ من العباس .

قال : بماذا ؟

قال : لأنَّه وارث رسول الله (صلع) .

قال له : كذبت ! العمُّ أولي من ابن العم ! فلم يُجِرْ جوابا ، فأشهد عليه بانقطاعه وأشهد بأنَّه أقرَّ بأنَّه كان مُبْطِلاً في دعواه .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : والمحتجُّ عليه (1) كان أقربَ إلى الانقطاع منه لو كان يدري وجهَ الحجةِ ويقوم بها . فلمثل هذا من احتجاج المُبْطِلين ودعوى الظالمين أحبُّ أن تكونَ سيوفُ الحقِّ في ألسنتِكُم وأيديكُم ، وسيفُ اللسانِ أقطعُ ، لأنَّ سيفَ اليدِ يملكه البرُّ والفاجرُ بالغلبة ، وسيفُ اللسانِ لا يملكه إلاَّ أهلُ الحقِّ ، فذلك مشتركٌ فيه ، وهذا متوحدٌ به / لا يكون إلاَّ لأهله ولا يملكه غيرُ أصحابه إن ناصبوا به ظفروا وإن جالَدُوا به قتلوا . أريد منكم أن يكونَ بيدَ كلِّ واحدٍ منكم قَبَسٌ يستضيءُ به ويُستضاء منه كنار موسى ولا تجتمعوا على قبس واحد . فقال بعض القوم : لذلك ما قال بعض العامة — وقد نظر إلى بعض أصحابه ، وقد قطعه بعض من ناظره بحجة — لا تناظر (2) هذا فإنه ذو حجة .

فقال : وما أراد بهذا ؟

فقال : لا أدري .

فقلت : لعلَّه أراد ما يقولون : كلُّ مفتونٍ ملقَّنٌ حجةً .

قال : ويقولون ذلك ؟

قلت : نعم ، كذلك يقولون ، كأن لم يسمعوا قول الله عزَّ وجلَّ : « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ (3) » ، فإن كان / كلُّ من لقين حجةً مفتونا فقد فُتِنَ إبراهيم على قولهم .

(1) أي : العباسي .

(2) في الأصل : لا تناظره .

(3) الأنعام . 83 .

فقال صلوات الله عليه : ما أعجبَ هذا من قولهم ! لئن كان ذلك فالحقُ فيما لا حجةَ فيه .

ثمَّ عطف على القوم فقال : واللّهِ إنني لأشهى في تعليمكم وتقويمكم مني في كلِّ شيء أشتهي لأني أحبُّ أن تكونوا أعلمَ الناس وأورعَ الناس وأحلمَ الناس ، فلا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا ، وأن تكونوا كما سماكم الله عزَّ وجلَّ ، إخواناً ، وعلى البرِّ والتقوى أعواناً ، وأن تكونوا أبراراً أطهاراً ، ما على أحدكم إن قارفَ ذنباً أو أحدثَ إحداثاً / أن يُطلعنا عليه ويسألنا الاستغفارَ له ، كما قال جلَّ ذكره : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (1) » . اجعلونا بينكم وبين الله (2) واحتجوا بما نأمركم به وننهاكم عنه لدينه ، فنحنُ أفضلُ من جعله العبادُ بينهم وبين ربهم . خذوا عنا ما نأمركم به وامثلوه ، وعلينا تباعة ما نأمركم به . احفظوا سرّاً / واتبعوا أمرنا وانصَحُوا لنا وأخلصُوا نياتكم وأحسنوا طوياتكم وقولوا الحقَّ ولو على أنفسكم ! وعليكم بالورع والاجتهاد والاقتصاد والعفة والتسليم لأمرنا والردَّ كما أمركم الله إلينا ، فإنه يقول جلَّ / ثناؤه : « وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ (3) » .

(1) النساء ، 64 .

(2) مسألة استغفار الأئمة من المسائل التي اتخذها الاسماعيليون برهاناً على أن الإمامة واجبة ، وذلك قياساً على ما كان يقوم به الرسول من استغفاره لمن يستغفر الله . واعتمدوا على أن عدل الله يقتضي أن يكون بعد النبي من يقوم بهذه المهمة ، وأن الناس بعد انتقال الرسول يجدون من يأوون إليه عند وقوعهم في الخطيئة كما التجأ الناس إلى الرسول في حياته .

وفي هذه المسألة يقول الكرمانى : « البرهان الخامس : لما كان الله - تع - عادلاً لا يجوز ولا يظلم ، وكان تعالى قد خص الأئمة التي كانت في أيام النبي - ص - بالفضيلة العظيمة بإيجاده كون الرسول فيما بين ظهرانيهم أماناً لهم من العذاب كما أخبر تعالى بقوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (الأنفال، 33) » ووسيلة لهم يستغفر ذنوبهم عند زلاتهم ، كما أخبر تعالى بقوله في تنزيله : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً (النساء، 64) » . وبقوله حكاية عن المنافقين حين كانوا يدعون ليستغفر لهم الرسول - ص - : « وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لبوروا رؤوسهم ورائيتهم يصعدون وهم متكبرون » (المنافقون ، 5) ، ولم يكن أولئك الأئمة بهذه الفضيلة من كون الرسول بين ظهرانيهم فاصلاً احكامهم معلماً لهم معالم دينهم وفرائضهم « باعتبارهم على طلب الآخرة والجهاد في سبيل الله ، مستغفراً لهم عن ذنوبهم ، ولا يوجد مثل فيما بينهم أولى من غيرهم مع كون الرسول رسولاً إلى الكافة ، ووسيلة للجماعة ، وجب من حيث أن الله ليس بظلام للعبيد أن يوجد في الأمة بعد نبيها من يقوم مقامه ويسد مسده في كونه أماناً لها ووسيلة يستغفر الله لها ، ويحفظ نظامها ... » الكرمانى ، المصابيح في اثبات الإمامة ص 85-87 .

(3) النساء ، 83 .

فقبلوا الأرض بين يديه وقالوا : يتفضل مولانا برحمته ويمنّ علينا بفضله .

فقال : دمت على ما رغبت من طلب (1) واجتهاد ، فأنتم على خير يفيد الواحد منكم الشيء بعد الشيء فيلقنه ويحفظه ويعمل به فينبغه الله بعلمه ، إن الله عز وجل أقدر القادرين وأحكم الحاكمين ، لم يُعطِ خلقه ما أعطاهم من نعيمه دفعة واحدة ولا أكمل خلقهم بمرة ، لكنه خلق الإنسان من تراب ، ثم من نقطة ثم صيّرهُ عِلقة ثم مضغة ثم عظاماً / ثم كسا العظم ثم نفخ فيه الروح ثم أخرجه طفلاً فغلبت باللبن وقتاً ثم بلطيف الغذاء ، ثم كذلك بشيء بعد شيء إلى أن أكمل خلقه ، وقد كان قادراً على أن يعطيه دفعة واحدة ، ولكن فعل ذلك بحكمة وقدرة .

فارغبوا في حياة أنفسكم إذا رغب الناس في حياة أجسادهم ، فإن حياة الأنفس هي الحياة الدائمة ، والصفقة في خلاصها هي الصفقة الرابعة ، وقد فتح الله لكم ما أغلقه عن غيركم ، وتهيأ لكم من الزمان والإمكان ما لم يكن تهيئاً لمن قبلكم ، فبادرُوا إلى ما فيه سعادتكم ولا تتخلفوا فتكونوا وبالاً على أنفسكم وعلى من يأتي بعدكم ، واطلبوا النجاة طلباً من عرف / قدر الحياة واحذروا الفتور حذر من عليم مصيبة الموت : اجتهدوا وجِدُوا . واعتزمُوا واستعيدُوا ، فكونوا كقوم صبح بهم فهبوا وأوقظُوا فاستيقظُوا !

ومرّ مستحضراً في مثل هذا من الموعظة بكلام بليغ لم أحك منه كما قدّمت ولا كلّ الذي ذكرت إلاّ معناه بعد بذل المجهود في إصابة اللفظ بعينه ، وأرجو أنني أصبت منه كثيراً إن شاء الله تعالى . وبعد أن (2) لم أتعمد نقصاً ولا زيادة بحمد الله .

فلما سمعت ما غمرني من الفضل وبهظني من الحكمة رجوت من أصحابنا رغبة يكون بها درك الأمانة . فحرّكت من عن يميني وعن شمالي منهم / كذلك ، فكلاهما قالوا (3) : نقول ذلك في وقت القيام ، وأمير المؤمنين صلوات الله عليه مجدّ في الموعظة ، إلى أن وقف خادم فقال : قد قرب وقت الصلاة يا أمير المؤمنين .

(1) في الأصل : وطلب .

(2) هكذا في الأصل : واستير محتل .

(3) هكذا في الأصل : ولعله يعني الجماعة في الفريقين .

فقال : وما ذاك ؟ إن حضر وقتها صليتُ بإخواننا ، وما عسى أن تقوم عنهم إليه إلا [و] (1) ما نحن فيه أفضل منه . والله ما لذتي إلا فيما أنا فيه ، ومن لي أن أكونَ على ذلك أيامَ حياتي لو قد وجدتُ من يأخذ عني ويفهمُ مني وينتفعُ بما سمع ، ويعي ما أقول ! اللهم أعطِفْ قلوبَ أهل دينك على ما يُرضيك ويزدلفُ لديك أو نحو هذا من الدعاء .

ثم دعا / عليه السلام بـمالِ أتاه ممّا ضُربَ بمدينة سجلماسة باسمه ففرقه على من حضر وقال : تبرّكوا به ! فهذا من أوّل ما ضُربَ لنا بالموضع الذي أفتحه اللهُ علينا . فكثُرَ الجذَلُ والسُرورُ بالمال ، وسألَ بعضهم منه لمن غاب فأعطى من سأل ، ثم نهض عليه السلام . ولم يذكر أحدٌ ممّن حرّكته شيئاً علمه ولعلهم نسوه ، وقمت كذي الثقل الثقيل من كثير ما سمعتُ من الحكمة من وليّ الله والفضل ، وتخوّفتُ إن أنا انصرفتُ إلى مجلس الحكم أن أنساه أو أخلّ (ب) أكثره لشغَبِ الخصوم وكثرةِ الكلام وطول المجلس . فاستأذنتُ / أمير المؤمنين عليه السلام في التخلّف عن مجلس القضاء يوميّ ذلك إلى أن أثبتته .

فقال : ومن يخلفك فيه ؟

فقلت : لا أحد . إلاّ أنّي أتحمّلُ من غد ما فات منه اليوم .

فقال : افعلْ إذا شئت .

وانصرفت وأنا أستبَعِدُ المنزل وأتذكّرُ ما جرى في المجلس . فما هو إلاّ أن وصلتُ إلى منزلي وعلمَ من كان ينتظر في المجلس أنّي لا أجلسُ حتّى انكفؤوا (2) عليّ ، فما فرغت منهم وممّا عرض لي من الشغل إلى أن أذنَ المؤذنُ لصلاة المغرب (3) فصلّيت المغرب والعشاء الآخرة . وجلستُ أتذكّرُ المجلسَ وأوقع ما حفظتُ منه شيئاً بعد شيء حتّى أتيتُ / على ما حفظته من ذلك ، فأثبتته في هذا المجلس وأرجو أن قد بلغتُ منه جِماع ما كان فيه وأتيتُ على جُملةٍ من لفظه وجمعتُ معانيه إن شاء الله تعالى .

(1) الجملة ملتوية في الاصل : الا إلى ما نحن ...

(2) آنكفؤوا : مالوا وأجمعوا .

(3) هذه المجالس تدور إذن بين الظهر والعصر . وانظر في خصوصها مقدمتنا ص 12 و ص 435 من الكتاب .

وقد ذكرت في ابتداء هذا الكتاب (1) قول بعض الصحابة لبعض من سألته أن يحدثته بحديث سمعته من لفظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يغادر منه شيئا ولا يُحيله عن معناه ولا يزيد فيه ولا ينقص منه . فقال : لقد سألتني شططا ! حسبي ، وغيري ، من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نحن جئنا بالمعنى !

وكذلك إن شاء الله أقول فيما أحكيه / عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو الذي لا نجد غيره ولا يستطيع سواه . و/لو/ أن محدثا حدث بحديث فقليل له : أعدّه علينا بلا زيادة ولا نقصان . لقلّ من كان يقدر على ذلك .

والله يغفر لنا من الزلل ما لم نتعمده . ومن الخطأ ما لم نقصده إن شاء الله : ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (2).

(1) انظر ص 48 .

(2) لم ينقل إلينا النعمان جواب الممر للكنامي الذي عجز عن الاحتجاج ، ولا يصححه لعدم انتميطه الذي أفحمه مناظره العباسي ، ولا ندري هل السهو من الممر أم من النعمان .

الجزء العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

108 — قال القاضي النعمان بن محمد : قد ذكرتُ قبل هذا ما سمعتهُ / من المعزّ عليه السلام في ذكر الجواهر ومن يعرف مقداره ويرغب فيه . ومن يجهله ولا يدره . وتنزيلي ذلك منه رمزاً عن الحكمة . وتمثيلاً لها بالجواهر (1) . ثمّ إنّي بعد ذلك ذكرتُ له في مجلسٍ جلست فيه بين يديه عليه السلام تنزيلي ذلك وتمثيلي إيّاه فاستصوبته عليه السلام وارتضاه وقال لي : أزيدك يا نعمان في ذلك وأفتح لك فيه . فقلت : يا مولاي ، إنّي إلى ذلك لمحتاجٌ وفيه راغبٌ .

فقال عليه السلام لي : إنّ مثلَ الجوهرة النفسية كمثّل النفس الشريفة وبقدر تفاوت ما بين الجواهر / في النفاسة والخطر كذلك قدر تفاوت ما بين الأنفس في الجلالة والقدر : فمن ذلك الرفيع وما هو دونّه ، والمتوسّطُ وما يقاربُه ، والدون وما يشاكلُه فيما لا يُحصَى تفاوتُه بين الجواهر . وكذلك النفس .

ومن الجواهر الصّلبُ الذي لا يؤثّر فيه شيء من الأشياء . ولا يقبل الفسادَ ولا تحلِيلَه الأعراض . ومثل ذلك الأنفسُ العالِيَةُ التي لا يؤثّر فيها شيء من الأشياء ، ولا يدخلُها فسادٌ ولا يغيّرُها عَرَضٌ من الأعراض : وهي من الإخلاص والصفاء بمرتلة إخلاص الجوهرة الشريفة وصفائها .

(1) انظر فيما سبق ص 213 .

ومن الجوهر ما هو دون ذلك يؤثر فيه / بعض التأثير اليسير ويقبل بعض الفساد ويحيله بعض الأعراض . وكذلك مثله في الأنفس على هذا التمثيل .

والجواهر . منها (1) الرخس الرطيب مما لا يدرك أيضا مقاديره (2) [ل]تفاوته في الصلابة والرطوبة وقبول الفساد والامتناع منه . /و/ بحسب ذلك الأنفس على ما مثلته لك من التفاوت في حالاتها وطبائعها .

(قال) ومن الجوهر ما يكون ملبسا بحجارة من غير جنسه فتتكسر (3) عنه ويحك عنها فيخرج من داخلها فتكون عليه كالغلاف . ومنه ما يكون مكنونا في أصداف قد أطبقت عليه . ومنه ما يكون في / معادنه يستخرج من داخلها وذلك كله مثل اكتئاب (4) النفس في الجسم . وبقدر تفاوت ما بين الجوهر وما يكنه في الفضل . كذلك تفاوت ما بين الجسم والنفس في الشرف والقدار .

ومن حجارة الجوهر ما يكون صفاؤها ظاهرا بينا فيها، إلا أنها تكون على الجلاء والصقل أصفى وأظهر رونقا. كما تكون النفس الشريفة متهيئة لقبول الحكمة . فإذا علمتها (5) لقنت وقبالت . ومنها ما لا يكاد يرى بصفاء . فإذا حكت وجلتي ظهر صفاؤه ورونقه . وذلك مثل النفس القابلة للتعليم والتلقين .

ومنه ما إذا صقل وحكت ظهر فيه بعض الرنق / ولم يكن له صفاء يشتف له ويظهر منه ما تداخلته . وذلك مثل النفس القليلة الضبط للتعليم والقبول للحكمة من بين الأنفس . ففي هذا أيضا من التفاوت والدرجات ما لا يدرك حظه (6) .

ومن الحجارة ما لا يظهر له رونق ولا جوهر ولا صفاء فإذا حكت وصنع به ما شاء أن يصنع به الصانع لا يتبين فيه صفاء ، وذلك كالإنسان الذي لا يفهم ولا يعلم ولا يلقي ، فهو كمن لا نفس له ولا روح فيه، كذلك (7)

(1) في الأصل : ومن الجواهر منها ترخو الخ ...

(2) في الأصل . مقاديره .

(3) في الأصل : تنكسر .

(4) كتب انشيء في جرابه : أودعه وأغمدته .

(5) في الأصل : عملتها .

(6) في الأصل : حفظه .

(7) في الأصل : كما ذلك .

الحجر لا جوهرية له . يبين ذلك قول الله : « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَدَلَّةً كَرِيًّا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ (1) » . فمن لا يَدَّكُرُ كمن لا قلب له / . وقوله : « وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (2) » . فمن لا ينظر في الحكمة كمن لا بصير له ، لأن ما جعل لإقامة شيءٍ مَّا فلم يقم به كان كالعدم وكلا (3) شيء .

(قال) ومثل الجوهرة تكون عند من لا رغبة له في كسبها كالتاجر والغواص الذي هيمته من ذلك ثمنٌ ما يحملُهُ ويستخرجُهُ من الجواهر ، كالحكمة تكون عند غير أهلها ، كما قال جدنا علي بن أبي طالب (صلع) : إن الكلمة من الحكمة لتكون ربما وقعت إلى المنافق فلا يزال يتحدث بها ولا ينتفع بذلك حتى تقع في سمع المؤمن فيأخذها عنه ، فإذا صارت إليه أنسيها المنافق واستلبت منه .

(قال) فكذلك الجوهرة / تكون عند من ذكرناه ، فلا يزال يعرضها حتى يراها من يرغب فيها ويعرف قدرها فيشتريها منه فتصير إليه فتزول عمن كانت في يديه .

فذكر / في قوله هذا قولاً قاله المنصور عليه السلام يوماً ، وقد وقفت بين يديه ، فذكر قديم خدمتي له وانقطاعي إليه ، وعدد من ذلك ما هو أهل حفظه ، ثم قال : يا نعمان ، مثل الرجل مثل الحجارة ما حُكَّ منها فظهر له جوهر لم يعدل بغيره ممَّا لا جوهر فيه . فأمثال أولياء الله عليهم السلام يشهد بعضها لبعض .

وبعد فتق لي ما مثله المعز عليه السلام ممَّا ذكرته / وذكره المنصور عليه السلام وقدس روحه ، ما نشاهده من رفع أولياء الله منازل من ارتضوه من الناس وإحلال كل امرئ محلَّه الذي هو أهلُه ، فمنهم من أدنوه وخصَّوه ورفعوه وأعلَّوه كما يجعل نفيس الجواهر في التيجان ، وعلى الرؤوس ، ويعلق في الأقراط والشنُف ، وينظَّم في القلائد وينصب في الخواتيم .

وطبقة أخرى دون ذلك في الحال والتقريب والاختصاص كما / أن ما دون ذلك من الجواهر ينصب في الأواني وتكُلَّلُ به الأسرة والكراسي وأشباه ذلك .

(1) ق ، 37 .

(2) الأعراف ، 198 .

(3) في الأصل : وكل شيء .

وطبقة دون الطبقتين كالذي يكون من الحجارة له رونقٌ بلا جوهريّة، نحو الرّخام / وأشباهه، تُفترش به المجالس وتُنحتُ منه العمُدُ وأشباهُ ذلك . وفي مثل هذا من الجواهر وطبقات الناس من التفاوت ما لا يُحصى .

والطبقةُ السفلى من الناس كالعوامِ والسفلة ، أشباهُ الحجرة التي لا رونق ولا جوهراً لها ، كمثل ما تُبنى [به] الجدرانُ ، ويحمل عليه الجذوع ويعمل منه (1) القناطرُ تمرّ عليها البهائمُ والكِلابُ والسباعُ ويطؤها الناس ، وبين ذلك تفاوت، وهم درجات . وما صين من الجواهر ولم يستعمل لُفٌّ في القطن وأودع أسفاطاً (2) الذهبِ والفضّةِ ورُفِعَ في المرافق والصناديق، وما لم يستعمل من الحجارة كان منبوذاً بالأفنيّة والطرفقات تناله الأوساخُ / ويوطأ بالأقدام ، وكذلك قدرُ ما شاكل التوعيتُ من الناس في الرفعة والاطراح .

حديث في مجلس في الثبّت والأناة :

109 — (قال) وجلست بين يديه عليه السلام يوماً فذكر أهل الأذى والبغي والفساد في الأرض ، فقال : قلتُ لبعض الناس : ما ينبغي أن يكونَ العملُ في مثل هؤلاء ؟

فقال : ما عمله المنصور عليه السلام — يعني من قتلهم وحرَقهم بالنار — .

(قال المعزّ عليه السلام :) فقلت : إنَّ الوقت الذي فعل فيه ذلك المنصورُ وقتٌ كان يَحسُنُ ذلك فيه لما طبّق الأرضَ من البلاء وعظُمَ على الناس فيه من المحن ، فلم يكن ينبغي أن يُدفع / ذلك المكروهُ إلّا بمثل ما دفعه عليه السلام / به . فأما إذا أزال الله عزّ وجلّ تلك المحنة وأطفأ نار تلك الفتنة ، فإنّ الذي ينبغي لنا أن نقابل به النعمة أن نصفحَ عمّا كان لنا أن نصفحَ عنه ممّا الجناية فيه علينا دون غيرنا ممّا لا نخشى له سوءَ عاقبة من الأمر ، ونكل الإنصافَ في ذلك إلى الله عزّ وجلّ الذي أقدرنا وسلّطنا وملّكنا الانتصار لو شئنا أن ننتصر لأنفسنا ، فيكون انتصاره عزّ وجلّ لنا أبلغ ، كما وعدَ بالنصر ممّن بُغِيَ عليه (3) . وما كان من ذلك من

(1) في الأصل : عليها ... ومنها .

(2) السفط بفتح السين : وعاء الطيب وشبهه .

(3) قضمين للآية 60 من سورة الحج : ومن «بغى عليه لينصرنه الله» .

حقوق العباد أنصفنا منه بحسب الواجب فيه . وما علينا أو خشنا دخول الفساد/ من أجله وأن يترقى الأمر فيه ، إذا تركناه ، إلى ما هو أعظم منه ، لم يستعنا تركه ، واستعملنا العقوبة فيه بقدر ما يوجب الجرم ويلزمه الذنب . وما كان من حقوق الله عز وجل أمضيته على ما افترضه علينا واسترعانا إيّاه . ولو أننا أمضينا العقوبة على كل ذنب مما العفو فيه إلينا ، لأورثنا الإحن وسببنا أسباب الفتن على غابر الزمان وزرعنا بين الناس العداوة وأقمنا لهم سوق الطلب بالثارات في الأنفس والأعقاب ، على مرّ الدهور والأحقاب ، لأنّ الذي عسى أن يستصفّ اليوم منه يسعي ساعٍ سعى عنه (1) بذنبه إلينا ، قد تدور له / دائرةُ السوء على الساعي به يوما ، فيطالبه بثأره أو عقبيه من بعده .

وهذا القول مأخوذ من قول الله أصدق القائلين : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (2) . فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وآله بالتعوذ به من نزغات الشيطان الحاملة عليه والعرف (3) عند الغضب والقدرة .

(قال المعزّ عليه السلام :) ولقد سمعت المنصور بالله عليه السلام وقدّس الله روحه كثيرا ما يتعوذ بالله من ذلك ، ويقول : إنه ربّما جاءني من الغضب / ما لا أملك معه الصبر . وهذا نبيّ الله موسى عليه السلام قد وصف الله ما (4) صنعته عند الغضب من أنه ألقي الألواح التي أنزلها الله عز وجلّ عليه وأخذ برأس أخيه يجره إليه . ووصف نبيّه محمدا عليه السلام باللين والرحمة ، فقال : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ » الآية (5) . وقال : « وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (6) .

(1) ننتظر : به .

(2) الأعراف ، 199-200 .

(3) أي للصبر والثباتي والحلم .

(4) في الأصل : عما .

(5) آل عمران ، 159 .

(6) المائدة ، 13 .

فعلى مكارم أخلاق جدّه محمد صلى الله عليه وآله طبع الله المعزّ لدينه . وقلّ يوم أراه وما يكون منه من الحِلْم فيما يوجب الغضب والعقوبة / فأذكّر بذلك ما رُوِيَ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مثل ذلك حذو النعل بالنعل فيما كان يتحمّله ويصبر عليه ويحلّم عنه .

كلام في الشكر ذكر في مجلس :

110 — (قال) وسمعت عليه السلام يوما ذكر بعض نِعَم الله عليه فأكثر من حمد الله وشكّره والثناء عليه لذلك بما هو أهله .

فقلت : الحمد لله الذي وفق أمير المؤمنين لما يوجبُ المزيدَ من فضله من الشكر على نعمه . فقد قال جلّ ثناؤه : « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ (1) » .

فقال : يا نعمان ، وكيف يبلغ أحدٌ شكرَ شيء من نعم الله الذي أوجب المزيد به ؟ / وأين يقعُ الشكر من مقدار فضله ونِعَمِهِ ؟ لا والله ، ما نرجع إلا إلى الإقرار والاعتراف بالتقصير ، وإنّ نِعَمَ الله علينا وإحسانه إلينا فضلٌ منه يتجدّدُ وحُجّةٌ علينا تتأكّدُ ، نسألُه دوامَ نِعَمَتِهِ والمزيدَ منها بفضله ورحمته .

حديث في مجلس ذكر في بني أميّة :

111 — (قال) وذكر يوما بين يديه عليه السلام ما تجاهرَ به ويُبديه عبدُ الرحمان الأمويّ المتغلّب بالأندلس من الفسق والمنكر والفساد ، ويبيحه للناس ببلده . فقال بعض من حضر المجلس : حسبُه بأن يُعلّم ما هو عليه من ارتكاب محارم الله ومعاصيه .

فقال / المعزّ عليه السلام : إنّه لو علم أنّ ذلك من المعاصي لكان أقلّ جرما ، ولكنّه بالسلف السوء — ومن سلقه على ما كانوا عليه من أمر الجاهليّة واعتقاد الكُفر ، ودفع ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام — اقتدى (2) . والله لو أمكنهم

(1) إبراهيم ، 7 .

(2) في الأصل : واقتدى ، وفي الجملة تقديم وتأخير .

إظهار ذلك بالسِّنَتِهِمْ (1) كما أظهره بأعمالهم لفعوله ، ولكن لم يروا ذلك ينسأ لهم ولا يمكنهم فأبدوا أفعالهم القبيحة التي غلبتهم شهواتهم عليها . وجهل جهال الناس أن ذلك منهم اقتراف للآثام ومعصية يرجى غفرانها بالإقلاع عنها والتوبة منها ، لِمَا يُروْنَهُمْ وَيُظْهِرُونَهُ مِنْ / التمسك بالإسلام ، وهم على ما هم عليه - وَأَوَّلُهُمْ - من اعتقاد الكفر . أليس بذلك وصفهم علي عليه السلام لما نظر إلى معاوية اللعين في جمعه بصفين فقال : هذه والله رايات أبي سفيان التي قاتلنا بها ونحن مع رسول الله ، والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرؤا الكفر حتى وجدوا عليه أعوانا فقاموا به .

ثم قال المعزّ عليه السلام : سمعت المنصور عليه السلام يقول : ما أخصي ما كنت أسمع المهديّ عليه السلام يقول ويُجمِّم (2) إذا خلا ، غير مخاطب لأحد ، لا كالذي يجول الشيء بصدره وهو يجمِّم (3) به ، حكاية عما يروى عنهم : أطعم / بنو هاشم وأطعمنا ، وسقوا وسقينا ، وفعلوا وفعلنا ، حتى إذا كنا كفرسي رهان قالوا : منّا نبي . والله ما نقرّ بهذا أبدا (4) !

ثم قال عليه السلام : والله لو تعلقوا من الإسلام بشيء لظهر عليهم ، ولو أقرّوا بمحمد صلى الله عليه وآله لما تناولوا ما تناولوه من عتريه وأهل بيته .

فقلت : القول ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام ، ولكن قد نالوا من الدنيا بسبب رسول الله صلى الله عليه وآله والإسلام الذي تسبّبوا إلى ذلك به ، ما قد نالوه ، فأقلّ ما كان يوجب ذلك أن يرعوا له ولأهل بيته حقوقهم .

فقال عليه السلام : / فأين العداوة الأصلية والضغائن الجاهلية والطبع الذي مضى عليه السلف وتبعه عليه الخلف من اعتقاد البغضاء وتوارث الشحاء ؟ هل يستقيم مع ذلك ميل لوجه من وجوه الخير في قول أو فعل ؟ ما ظنك أنت بنفسك فيهم مع ما تعتقده من ولايتنا ؟ أتراك كنت مائلا إليهم بودّ أو بظاهر محبة أبدا ، صنعوا بك ما صنعوا ؟

(1) في الأصل : باستهم .

(2) في الأصل : ويقول ويجم .

(3) في الأصل : يجم .

(4) انظر هذه القولة معادة في ص 416 .

قلت : لا والله .

قال : وكذلك والله هم لنا ولجميع شيعتنا ، والله لا يجمعنا الله وإياهم أبدا في دنياه ولا في آخره .

قلت : الحمد لله الذي جعلنا من حزبه وحزب أوليائه وجعلهم أحزاب الشيطان / وأتباعه .

قال : نعم ، الحمد لله على جميع نعمائه .

كلام في مسابقة في الوصية والموعظة :

112 - (قال) وسأيرثه عليه السلام يوما وقد أذن الحجيج بالخروج وكان قد اجتمع عنده عليه السلام جماعة من رسل الدعاة بالمشرق من نواح كثيرة ، فأدوا ما أرسلوا به إليه من الأموال من قربات المؤمنين وقضوا حوائجهم فيما قدموا له ، وكتب معهم أجوبة من قدموا عنه ، وأمرهم بالانصراف مع الحجيج . ووافق خروجهم ركوبه ، فمشوا إليه حتى صفوا بين يديه وقبلوا الأرض ، وقالوا : يا ولي الله ، لا جعله الله آخر العهد بك ، فما أشد علينا فراقك لولا ما نرجوه / في امتثال أمرك ، وإننا لذلك شخصنا عنك وفارقناك .

فقال لهم عليه السلام : إذا كان اعتقادكم ولا يتنا وأمرنا وطاعتنا / والتسليم لنا . ووصلتم ذلك قولاً وفعلًا ، فأنتم معنا حيث كنتم متصلة أرواحكم بأرواحنا ، ومودتكم بمودتنا . ومن كان على خلاف ذلك ، لم ينفعه قرب به منا لأن الاتصال لا يكون بتقارب الأجسام وإنما يكون عن تقارب الأنفس ، فأنفسكم ، ما كنتم على ما وصفنا ، قريبة من أنفسنا ، وإن بعدت الأجسام ونأت المنازل . ومطابقة الولاية أخص وأقرب وألصق من مطابقة الأهل والقرابة ، وأنتم واجدون منا / ما لا تجدونه من الآباء والأمهات ، إن أنتم أحسستم إلى أنفسكم شكرنا ذلك من أكرم وعرفنا فضاه لكم وجزيناكم به ، وإن أسأتم صفحنا عما يجب صفحه عنكم⁽¹⁾ ، وكل إنسان منكم ينظر لنفسه ويكدر لها ، ونحن ننظر ونعني⁽²⁾ بصلاح جميعكم . فأعينونا على ذلك بتقوى الله وامتثال أمره والانتفاء عن

(1) هكذا في الأصل ، ولعل السياق يقتضي : عما يجب الصفح فيه عنكم .

(2) في الأصل : ونعني . واخترنا «نعني» لمقابلتها بـ«يكدح» .

نهيهِ ، فإنَّكم إذا فعلتم ذلك أصلح الله حالكم وأجزل أجوركم وأقصر أعينكم وأعيننا بكم . وعن قريب ترون من صنع الله وفضله ما تُحبّونهُ إن شاء الله .

فقالوا : قرب الله ذلك ويسره ومدّ في أعمارنا إلى أن نبلغهُ ، ونراك في المواطن التي يسرّنا أن نراك بها / ، قد أهلك الله عدوك وأنجز لك الله ما قد وعدك .

فقال : قد والله عرفنا الله عزّ وجلّ من فضله ونعمته ما لا تقادرُ قدره ولا نقوم بشكره وأسَدّنا بصنعه وإحسانه ما نحن وأنصون بدوامه وتماسه . وربّما كان الشرّ يأتي دفعةً والخير يأتي على ترتيبٍ ونظام ويتبعُ بعضه بعضاً ، وعوارفُ الله عزّ وجلّ لدينا متتابعةٌ متصلةٌ ، وإنّا لَنرجوُ فضله أن نطويَ الكتاب من آخره مقامَ جدّنا محمد صلّى الله عليه وآله ولا/ ندعَ وراءنا عدواً إلاّ أمكّنا الله عزّ وجلّ منه ، كما وعد ، وهو لا يُخلف الميعادَ ، أن يُمكّننا في الأرض ويستخلفنا / فيها ويظهر دينه منا على الدين كلّهُ . سيروا في كِلالة (1) الله وحفظه .

فقالوا : عن رضى منك يا أمير المؤمنين .

فقال : نعم ، رضى الله عنكم وشكر سعيكم وأجزل أجوركم .

فقبلوا الأرض وقالوا : إن رأى مولانا ألاّ ينسانا من فضله ورحمته وبركة دعائه ، فعل .

فقال : ما أنسى ذلك لكم إن شاء الله .

ثمّ قرّبهم إليه عليه السلام وأسّرَ إليهم كلاماً وانصرفوا .

113 - وسمعتُه قبل ذلك يقول وقد دخلوا إليه في مجلسه فخلا بهم طويلاً ثمّ خرجوا ، فقال : قلت لهم فيما قلت : إنّه لم يؤخّرِ الناسَ إلاّ دعاةُ السوء إلينا ، فلا والله ما هم لنا بدّعاة ولا أولياء بل هم أعداءُ الله وأعداؤنا / والصادقون عن الله . ولو رأى الناسُ فيهم خيراً وسمعوا منهم قولاً حسناً ، وأدّوا إليهم عنّا ما أوْدعناهم ، وبلغوا عنّا ما حملناهم ، لكان الناسُ أسرعَ إلينا من الطير إلى وكرة الماء إلى مقرّه . ولكنّهم حرّقوا وبدّكوا وفتنتهمُ الدنيا بعاجل حطامها وزين لهم الشيطانُ اقترافَ آثامها ، فضلّوا وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سوائِ السبيل ، وبعدّ

(1) في الأصل : في كل آية . والكلامه : الحراسة والحفظ .

عَنَّا محلُّهم وصعب علينا أمرهم . فإن رُمنا صلاحَ نَاحِيَةِ أَفسدُوها ، خِفنا فسادَ أخرى ، فأعرَضنا عنهم وتركناهم في غيِّهم يعمَّهون ، وقد رضوا بعاجلِ رئاسةٍ في الدنيا أصابوها ، وحطَّامِ دُنْيَا تَعَجَّلُوها من غسَلاتِ قومٍ تطهَّروا بها / فخانوها وجعلوا الباطلَ والـ/كذبَ على الله وعلينا سببًا ، لما نالوه منها . فهلكوا وهلك بهلاكهم خلقتُ كثير .

(قال) فقال لي بعضهم : وإنَّهم لعلَّي هذه الحال يا وليَّ الله ؟

فقلت : أي والله وأسوأ حالاً منها . أليس فلان قائلَ كذا وفلانُ فاعلَ كذا وكذا - وعدد رجالاً وأقوالاً وأفعالاً لهم قبيحةٌ - ثم قال : فمَن كان هذا قوله وفعله ، هل الناس من أمره إلاَّ على ضربين : ضربٍ أخذَ عنه وقبيل منه فضلٌ وهلك بهلاكه وضلالته ، وضربٍ تبيَّنوا عِوَارَه ، وتكشفت لهم عن سِوَانِه أَسْتَارُه ، فرفضوه وباعدوه ، وباعدونا ورفضونا من أجله ونسبوا إلينا ما تبيَّن لهم / من سوء فعله ممَّا قد برَّأنا الله منه ونزَّهنا عنه ، فكان من أجل ذلك هلاكُ الجميع . ألم يقل فلان - رجل (1) سمَّاه من خيار المؤمنين - لفلان - رجل من بعض من وصفه من هؤلاء المبدلين - وقد خلا به : ويحك ! أليس عنك أخذنا كذا وروينا كذا ، وقلت لنا كذا وأمرتنا بكذا ؟ وعدد عليه كلاماً كثيراً من الحقِّ قد رآه خالفه ورفضه وقال بغيره .

قال : نعم .

قال : فما عدا ممَّا بدا (2) ، وما أحالك عمَّا كنتَ عليه ؟

قال : الدنيا وعاجلُها .

قال له : وكيف لك بعذاب الله وناره ؟

قال : نعيمُ النارِ على بصيرة مع عاجلِ الدنيا !

نعوذ بالله من الحور بعد الكور (3) ، والضلالة بعد الهدى / .

(1) في الأصل : رجل فلان .

(2) هذا مثل يضرب للمتقل من حال إلى نقيضها . قاله علي الزبير - أو لطلحة - حين حارباه يوم الجمل بعد أن بايعاه بالمدينة (انظر مجمع الأمثال ج 2 ص 328 واللسان في : عدا) .

(3) هذا من حديث الرسول (ص) وقد صار متلاً يضرب للنقصان بعد الزيادة أو لفساد الأمور بعد صلاحها (انظر اللسان حور وكور) وستن النسائي ج 8 ص 272 وصحيح الترمذي ص 1279 رقم 3888 .

(قال) وسمعته في هذه المسامرة وقد وقف إليه جماعة من الأولياء من كتامة بلغه عنهم فساد في ناحية ، فأمر (1) بإشخاصهم إليته لذلك ، فجعلوا يتعذرون منه ويحلفون عليه . فقال لهم : قد صدقتم فيما قلتوه عن أنفسكم ، ولكن قد فعل ذلك أحداثكم وعبيدكم ومن لا خير فيه ممن ينسب إليكم . وأنتم تعلمون ذلك فلم تغيروه ، فأنتم بمنزلة من فعل ذلك . وإن تلافوا أمركم وتأخذوا على أيدي سفهائكم ، وإلا كنتم وهم في العقوبة سواء .

وهذا مشتق من قول الله عز وجل : « لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنِ قَوْلِهِمْ / الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ / لَإِيشَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » (2) . قال جعفر بن محمد عليه السلام : لما لم ينه الربانيون والأخبار من بني إسرائيل شرارهم عما كانوا يأتونه من المعاصي عنهم الله عز وجل بالعقوبة .

وقول رسول الله (صلى) : ما أقر قوم على المنكر بينهم لا يغيرونه إلا عنهم الله ومن يفعل به بعقابه تعالى (3) .

كلام في نعي المنصور بالله صلوات الله عليه :

114 - (قال) وجلست يوما بين يدي الإمام المعز لدين الله عليه السلام ، فجرى كلام قيل إنّه في بعض الكتب ، فدعا بالكتاب الذي قيل إن ذلك فيه ينظر إليه . فأتني برزمة من الكتب (4) فوضعت بين يديه فجعل / يتصفحها كتابا كتابا إلى أن مر منه على كتاب فيه تعليقات بخط المنصور عليه السلام يؤلفه ، فلما رآه استعبر وجعل يديم (5) النظر فيه ، ثم تنفّس الصعداء وقال : والله لو لم يكن له غير هذا لكفى به معجزة من أمره ، وما رأيته قبل وقتي هذا .

(1) في الأصل : فأمرهم .

(2) المائدة ، 63 .

(3) الحديث : ابن ماجة ص 1327 رقم 4005 وافتتح به ابن حنبل مسنده .

(4) في الأصل : من الكتاب .

(5) في الأصل : أدام .

ثمّ أَرانا ذلك وقال : هذه الخطبة التي أَلَفها وخطب بها في عيد الفطر الذي قُبِضَ بعَقْبِهِ (1) ، / فيها كلام / كأنه أراد أن يقولَه ، ثمّ بدا له من ذلك فتركه . فنظرنا إلى ذلك بخطّه نعرفه وقد ضَرَبَ عليه بعدَ أن كتبَه ، وفيه : وقد مضت ليالي الشهر وأَيامُهُ / وحن انقضاء العُمر وانصرامُهُ .

ثمّ قال المعزّ عليه السلام : أراد والله أن ينعى إلينا نفسه .

فأبكاني (2) ذلك وقلت : وأي نعي يكون أكثرَ من قوله يومئذ وقد انصرف من المصلّى ووقف بصحن القصر ، ويده على كتف أمير المؤمنين يوصيه بأوليائه وأهل مملكته وقد أحاط الناسُ به وهو يستعير ، وصيّة من قد أيقنَ بقُرب الأجل ؟ والله لقد كادَ يومئذ كلامُهُ أن يصدع الأكباد . فكان من أعجب ما ظهر منه يومئذ للناس فرأوه عيانا وسمِعوه ، وإن كان قليلا من فهم ذلك ، إلاّ بعد أن قُبِضَ عليه السلام .

حديث في موعظة ذكر في مجلس :

115 — (قال) وسمعت المعزّ لدين الله عليه السلام يقول : السعيد كلّ السعيد من امتثل أمرنا ، وما على أحدهم أن يكون قد امتثل ما نأمرُهُ به ، فإن كان منه خيرٌ ، والخير والله في كلّ ما نأمرُهُ به ، حُسِبَ ذلك (3) لعامله وشُكِرَ له وانتَفَعَ في الدنيا والآخرة به . وإن وقع ، من أجل ذلك ، فيما يراه الناس نقصا (4) ، لم يكن على من امتثل أمرنا فيه تَبَاعَةٌ ولا سوءُ عاقبة في دُنياه ولا آخرته . لكنّ أكثرَ ما أهلك الناسَ العُجبُ بأنفسهم وآرائهم ، فإذا أمرنا بأمر ورأى خلافه / من تداخلته ذلك العُجبُ ، تركه لرأيه وعدل به عنه هوّاه وخلَفَتْهُ عنه شهوته .

وفي مثل هذا كَتَبَ المنصور بالله عليه السلام إلى حسن بن عليّ (5) وفرج الخادم (6) لما انصرفا من أرض قلورية إلى جزيرة صقلية بالعساكر لتُشَتَّى

(1) توفي المنصور في أواخر شوال 341 هـ .

(2) في الأصل : ثمّ بدى له من ذلك فأبكاني ، والجملة الأولى منقولة سهوا عما تقدم ، فيما يبدو .

(3) في الأصل : حسبت لذلك .

(4) في الأصل : نقص .

(5) الحسن بن علي الكلبسي : تقدمت ترجمته في ص 165 .

(6) فرج الخادم : قائد صقلي للمنصور ، كان أخرجه في أسطول من المهديّة إلى صقلية ثم قلورية في محرم سنة 340 (انظر المقفى للمقرئزي ، 199 ب مخطوط) .

بها ، وقد كان أمرهم بالمقام فيها (1) فكتب إليهما في ذلك كتاباً غليظاً ، وشدّد عليهما فيه وأمرهم بالرجوع إلى حيث أمرهما بالمقام به ساعة وصول كتابه ، ففعلا ، فكان ، لذلك ، الفتح العظيم ، وسبقا عساكر طاغية الروم إلى موضع لو سبقهم إليه لما تهيأ ذلك الفتح ، فهزماها ، واحتوت [هم] عساكر المسلمين ، وأخذوا بالقتل فيها ، وكان ذلك بسبب / رأيه المقرون بالتوفيق .

(قال) وكان في كتابه إليهما : كأنتي بكما قد قلتما لما رأيتما الانصراف إن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب وقد رتما في أنفسكما أنكما الحاضران لما قبلككما وأنتي أنا الغائب عنه . وليس كما ظننتما ، بل أنا الحاضر لذلك وأنتما الغائبان عنه .

ثم قال المعز لدين الله عليه السلام : وهو كما قال المنصور (ص) : الحاضر للأمر وإن غاب عنه ، من أحضره الله (عج) توفيقه ، وجعله سببا بينه وبين خلقه ، فهو الحاضر لأمرهم وإن غاب شخصه عنها وحضروا هم فيها .

(قال) وسمعت عليه السلام يوما وعنده جماعة من شيوخ كتامة وهو يحدثهم ويعظهم ، / فكان فيما قال لهم : يكفيكم من وصايانا إليكم أننا نأمركم أن تقتدوا بنا في جميع الأمور كلها : ما رأيتمونا نُحِبُّه ونفعله ونأمر به فعلتموه وأمرتم به . وما رأيتمونا نكرهه ونجتنبه كرهتموه وتجتنبتموه . ففينا والله لكم خير أسوة حسنة . والله إنها وصية المنصور عليه السلام لي وقد احتضرت ، قال لي : إنني أجمع لك الوصايا كلها في كلمة واحدة ، فانظر : فما كنت رأيتني أفعله فافعله . وما كنت رأيتني تركته فاتركه ، واصنع بعد وفاتي ما كنت رأيتني أصنع في حياتي . فنعم السلف أنا لك ! (2) / .

(1) أي في قلورية من جنوب إيطاليا .

(2) ورد في آخر الصفحة عبارة : تم الكتاب . وإنما هو تمام نسخة المكتبة الأصفية بحيدرآباد رقم 4590 تاريخ .

الجزء الحادي عشر

بسم الله الرحمان الرحيم (1)

116 — قال القاضي النعمان بن محمد: سمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوما وقد قرب عيد الأضحى وسأل عن مجيء كتامة من الأعمال لشهود العيد ، فقبل له : يا أمير المؤمنين ، يتساربون وقد غصّ القصر بهم .

فقال : بارك الله فيهم وكثر أعدادهم ، فما أسرّني / بهم وباحتفالهم ، وما أحبّ إليّ أشخاصهم وأزينَ في عيني مناظرهم !

ثمّ نظرَ إليّ فقال : رأيتَ مثلهم في بهائم وجمال مراكبيهم وحسنِ مناظرهم ! أما لاني ربّما أقول في نفسي إذا أعجبنى ذلك منهم : إنّ ذلك لِفَرَطٍ محبّتي لهم !

فقلت : هم والله على ما وصفهم أمير المؤمنين عند الوليّ والعدوّ. ولقد اتّصل بنا من غير وجه أن مخلصا وأصحابه اللّعناء كانوا يقولون أيّام الفتنة وهم يقاتلونهم : أمّا ركوب كتامة وجمالهم فيه فما ندّعيه ولا ننازعهم فيه .

(1) جاء في نسخة « أ » : النصف الثاني من كتاب المجالس والمسائرات. وهي قصة خاطئة كما بينا في المقدمة ص 30 . وجاء في ب بعد البسمة : وبه نستعين في جميع الأمور . رب يسر ولا تعسر . رب تمم بالخير . وابتداء من هنا نرقم النسختين « أ » و « ب » في الهامش .

فقال: هم والله الذين أذاقوهم طعم الموت وأحلّوهم محلّ الذلّة وأخرجوهم قسرا بظبّي السيّوف وحدّ الرّماح حتّى ألحقوهم بقنن الجبال في أطراف البلاد ، ثمّ استنزلوهم / منها قسرا وأبادوهم قتلا بنصر الله لوليّه وبركة * مقامه وسعادة جدّه وأيامه ، وطاعتهم له وصبرهم معه .

فقال بعض العبيد الصّقالبة : فنحن يا أمير المؤمنين ، فما ترى أنّا قصرنا وقد كان لنا من العناء والجهد كمثّل ما كان لغيرنا ، فمن نازعنا ذلك فلنيسعدّ مشاهدنا ووقائعنا ومقاماتنا ومن استشهد منا !

فقال (عم) : لا سواء ، إنّنا بهم ملكناكم ، ولم نملكهم بكم . رأيّت لو تركت أنت وأمثالك في بلدانكم ، أكنتم تأتوننا ؟
قال : لا .

قال : فهؤلاء أتوتنا طائعين وبذلوا لنا أنفسهم راغبين ، ومضى على ذلك أسلافهم وثبت عليه أخلافهم للسلف منّا وللخلف ، قرّنا فقرّنا وجيلا فجيلا . والله / ما وفّت أمة من الأمم لنبيّ من الأنبياء ولا لإمام من الأئمة ولا للملك من ملوك الدّنيا ، ولا وفي لها وفاء هم لنا ووفاءنا لهم ، إلّا وقد تداخل أولئك الفشلُ واعتراهم الخللُ ، وحال عليهم ملوك الدّنيا واستأثروا غيرهم دونهم واطرحوهم وأوقعوا بهم . وهؤلاء ، أجدادهم مع أجدادنا وآباؤهم مع آبائنا ، وهم معنا وكذلك يكون أعقابهم مع أعقابنا إلى يوم الدّين إن شاء الله .

ثمّ نظر إليّ فقال : أليس كذلك ؟

قلت : هو كما قال أمير المؤمنين (عم) ، وهم من السّابقين الذين أوجب الله فضلهم والاستغفار لهم على اللاحقين التّابعين .

ثمّ قال (صلح) : وليس سبقهم وفضلهم ممّا ينقص / فضل من جاء بعدهم من عبيدنا وأنصارنا * فجاهدنا ونصر ونصّح لنا ، بل يؤتي الله (عج) - كما قال - «كُلّ ذي فضلٍ فضله» (1) ، والله جلّ ثناؤه واسع عليم ، ولا يتضيق عنده أجر من أحسن عملا وقد قال جلّ ثناؤه : «وَلَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ

• (1) اقتباس من سورة هود ، 3 .

وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى (1) . (قال) وقد وعدكم الله (عج) الحسنى كلكم وفضل السابقين بسبقهم منكم ما كانوا مقيمين على ما سبقتوا به من الخير ولم يحولوا عنه ولم يتبدلوا به .

حديث في النهي عن البغي ذكر في مجلس :

117 - (قال) وسمعتُه (صلع) يقول وقد ذكر البغي على الناس / والواقع فيهم وسوء حال أهل ذلك ، فقال : يكفيهم خزيّة في الدنيا علمنا بهم أن أحدهم لا يرى أنه يتقرب إلينا إلاّ بإبعاد غيره ولا يتوسّل إلى فضلنا إلاّ بنقص من سواه عندنا . وما كان على أحدهم إذا رغب في رتبة غيره أن يصفه بالجميل ويدكره بالخير إذا كان ذلك فيه ، ويسألنا من فضلنا الذي بلغ ذلك مبلغه فنؤليه به منه ما يستحقّه من قصد فضلنا من وجهه وتوخاه من مكانه وابتغاه بحقه ، فيكون قد نال مرادّه من حيث لا يضرّ عندنا نفسه ولم ينقصها ببغي غيره والوقعة فيه . ففضلنا يتسع الخلق لو قصدوه من وجهه وابتغوه بحقه .

فقلت : / يا مولانا (2) ، هذا أدب الله وأدب (3) أوليائه الذين يأمرون بالقسط في عبادته . ، لا أدب ملوك الدنيا عند أنفسهم الذين رأوا أن من سياسة ملكهم التّضريب بين رجالهم والتّحريش بين أهل مملكتهم ليُبَيِّنَ لهم بعضهم من بعض ما عسى أنه قد استتر عنهم من حالهم ، ويخاف بعضهم بعضا لذلك فيَنفَضُّوْهُ/ذَلْهُم .

فقال (ع م) : يفعل هذا من لا رغبة له في صلاح عباد الله ولا رأي له في رشادهم . ونحن ، فإنما نحبّ صلاحهم وما يعود بالنفع عليهم في دينهم ودنياهم لأنّ الله (عج) جعلنا لهم رحمة . فنحن أراؤفُ بهم منهم بأنفسهم . وكيف ينبغي لمن ملكه الله (عج) أمر عبادته أن يضرب بينهم / ليتعادوا ، وآله (عج) يأمر بإصلاح ذات البين في قول الله (عج) : « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ » (4) ، وقال :

(1) الحديد ، 10 .

(2) ب : يَا مولاي

(3) أ : وآداب .

(4) الأنفال ، 1 .

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ » (1). إِنَّمَا يَعَادِي بَيْنَ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَا نَصِيبَ لَهُ فِيهِمْ . ونحن، فقد استرعانا الله (عج) أمرهم وافترض علينا أن نسعى في صلاحهم فنحن لا نألوهُ في ذلك جُهدَنَا .

ثمّ ذكر رجلا من شيوخ كتامة ممّن كان يخصّه ويُدنيه فقال : لقد صحبنا صحبةً طويلةً فما سعى إلينا بأحد ولا اغتابه عندنا ، ولقد كنّا نُجاريه في الحديث ونتحدّثُ مع ممّن بحضرتنا فما كان من حديث أنس وخَيْر ، جرى فيه وتحدّث به ، حتّى إذا ذُكِرَ غيرُ ذلك أمسك .
ثمّ ترحّم عليه واستغفر له .

حديث في / مجلس في فضل الأولياء :

118 — (قال) وسمعتَه (صلع) يقول : إنّه ليتداخِلُنِي من السّرور وأجِدُ من الفرح وأبتهِجُ بما يتّصل بي ويبلُغني وأراه * من الخير والصلاح في أوليائنا ما لو كان مثل ذلك في الولد ما بلغ منّي أكثر منه ، وما يفوق من كانت هذه حاله منهم عندي إلاّ ممّن خصّه الله من الولد بالفضل الذي ينقله إليه عنّي .

حديث في مجلس جرى في ذكر الفتنة :

119 — (قال) وسمعتَه (صلع) يقول : قلتُ يوما للمنصور (صلع) وقد ذكّر أمرَ الفتنة وما حاول فيها إلى أن كشفها الله (عج) على يديه ، فقلتُ : لو قد كان القائم بأمر الله (صلع) حاول من ذلك ما حاولتَ وقام منه بما قمتَ ، فجلاها ، والأمرُ / مجتمعٌ والحالُ صالحٌ، ولم يدعْ ذلك إلى أن كان ما قد كان من الفساد في الأرض ؟ فقد كان من القوة والمنعة ومُكائفةِ الرّجال في أكثر مِمّا كنتَ أنتَ فيه يوم قمتَ بذلك .

فقال لي : أعيذك بالله أن تعودَ إلى مثل هذا القول ، بل فاستغفِرِ الله منه ، والله ما كان للقائم (عم) أن يفعلَ إلاّ ما قد فعله، ولا كان لي أن أفعلَ إلاّ ما فعلتُ .

ثم قال المعزّ (صلع) : وصدق المنصور، نصر الله وجهه وقدّس روحه وضاعف الصلاة عليه : ما كان للقائم — عليه أفضل السلام — أن يقوم في أمرٍ أذن الله (عج) بانصرامه ، وقد ولّى أمره وقرب وقت حيمامه وامتنح الله عباده بالفتنة ووقتاً وقتاً / لانقضاء الميحنة . فلم يكن له تقريب ما باعده الله (عج) ولم يكن عنده إلا الصبر على ذلك والتسليم والرضاء به إلى أن لقي الله (عج) محتسباً صابراً . وهذه من بواهر أولياء الله . فلما أذن الله (عج) بانكشاف المحنة وذهاب الفتنة لم يكن للمنصور أن يتخلّف . عن القيام بالأمر لقلّة العدد ولضعف المدد ، ومن نصره الله (عج) فلا غالب له . فقام المنصور بالله (صلع) بالأمر في أوانه ، وتركه القائم (صلع) لانصرام أمره وانقطاع زمانه . ولقد سمعته (صلع) يوماً وقد شاوره شيوخ من شيوخ كتامة في وجه من وجوه الحرب في أيام تلك الفتنة ، وكنت رسولهم بذلك إليه ، فقال : قل لهم : فليفعلوا من ذلك / ما أحبّوه . ثم قال : والله ما يمنعني من الرأي أحملهم عليه ، وإن كنت أرى وجه الصواب ، إلا أن يكون عناءاً كأنه (صلع) قد علم أن أمر تلك الفتنة لا ينقطع على يديه أبداً (1) .

كلام في العدل ذكر في مجلس :

120 — (قال) وسمعت المعزّ (صلع) يوماً يسأل بعض القضاة — وقد قدم عليه من عمله — عن عامل ذلك البلد ، فأثنى عليه القاضي خيراً .

فقال : بذلك أمرناه وغيره من عمالنا ، فمن امتثل أمرنا فقد سعد في دنياه وأخسراه ، ومن خالفنا برئنا إلى الله منه كما برئنا جدنا رسول الله (صلع) إلى الله (عج) من خالد بن الوليد (2) لما خالف أمره .

كلام في مثل ذلك :

121 — (قال) وقدم بعض العمال من عمله بمال وافر فذكر / له أمره واستؤذن له عليه ، وقد وقف بباب القصر بما قدّم به ، وتقدّمت قبل ذلك الشكوى فيه .

(1) « أبداً » ساقطة من ب .

(2) إشارة إلى حادثة الغيماء ، حيث أوقع خالد بقوم من بني جذيمة من كثافة وقتل منهم ناساً بغير حق . فقال الرسول (ص) : اللهم ، اني أبرأ إليك مما صنع خالد . وواداهم على يد علي بن أبي طالب (انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب 406/1 ، ومعجم البلدان ، 214/4) .

فقال (صلع) : والله لو قدم بأموال أولئها عندي وأخرها في عمله وصحيب ذلك بعض ما صحبته من الشكوى ، ما كان زكا لذلك عندي له موقع . فليسو لم يأت إلا بحسن الثناء عليه لوقع ذلك عندي موقعا . إننا « والله ما أمرناهم أن يدعوا لنا حقاً إلا أخذوه ولا أمرناهم بظلم أحد ولا بالتجاوز إليه ، فمن خالف ما قد أمرناه به فالله المنتقم منه . أما والله لو صحت (1) لنا شكوى من اشتكاها لما قصرنا عن إقامة الحق لله فيه والإنصاف لمن ظلمه منه ، ولكننا نسمع الشكوى فلا نجيد لها تثبيتا ويأتي / من الرعية من يبطلها ، ويشكر من شكى ويذكره ويحمد سيرته ويثني عليه ، فنوقيف الأمر إلى تبيينه . ولو صدقنا الناس وأنصفونا من أنفسهم وقالوا حقاً لهم وعليهم ووجدنا منهم من نأمنه ، لحسنت أحوالهم واستقامت أمورهم ، ولكنهم من أنفسهم يؤثون . والله يجزينا بما نضمره لهم ونؤملهُ من الخير فيهم إن شاء الله .

كلام ذكر في مجلس في فضل التلطّف :

122 - (قال) وسمعت (صلع) يوما يذكر بعض عبده ممن استكفاه جليلا من خدمته فأثنى عليه خيرا وقال : ما كلفته عملا فاستنكف عنه ولا ضجير منه ولا عجز عن احتماله ، ولا ناله أحد بمكروه فشكاها إلي ولا رفع إلي أمرا علمت منه فيه / حيفا على أحد (2) ، ولا ضيغ لي واجبا . وإنه ليرفع إلي الأمر الذي لا بد من رفعه مما يكون فيه ما يوغر الصدر فيتلطّف في ذلك ولا يورده دفعة ولكنّه يأتي بما لا بد من رفعه منه شيئا بعد شيء ليسهل أمره .

واستحسن ذلك من فعله وقال : إن الإمام إذا رفع إليه الأمر لم يسعه إلا إمضاء الحق فيه ، وقد يكون في بعض ذلك بعض المكروه ، فمن استطاع أن يصلح ذلك دوننا فليفعل ، فإن الحق ثقيل إلا على من خفقه الله (عج) عليه .

وهذا كقول رسول الله (صلع) لصفوان بن أمية (3) وقد أتاه برجل سرق له رداء فأمر رسول الله (صلع) « بقطع يده ، فقال صفوان : يا رسول الله

(1) من : والله ما أمرناهم ... إلى : لو صحت : سقطت من ب .

(2) سقطت « أحد » من أ .

(3) صحابي من أشرف قریش جاهلية وإسلاما « كان من المؤلفة قلوبهم . توفي بمكة سنة 661/41 (انظر الإصابة : 181/2 ، الاستيعاب 176/2 وتهذيب التهذيب لابن حجر 424/4) .

لَسْمٌ أَعْلَمُ / أَنْ الأَمْرَ يَبْلُغُ بِهِ هَذَا : تُقْطَعُ يَدُهُ مِنْ أَجْلِ رِدَائِي ! قَدْ وَهَبْتُهُ لَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَع) : فَهَلَا فَعَلْتَ هَذَا وَلَمْ تَرْفَعَهُ إِلَيَّ ؟ إِنَّ الْخَدَّ إِذَا رُفِعَ إِلَى الْإِمَامِ لَمْ يَجِبْ تَرْكُهُ . وَأَمْرٌ بِالسَّارِقِ فَقُطِعَ يَدُهُ .

وَكَقُولِ عَلِيِّ (صَع) : لَوْ وَجَدْتُمْ مُؤْمِنًا عَلَى فَاحِشَةٍ لَسْتَرْتُهُ بِثُوبِي . وَقَوْلِهِ (عَم) : اسْتَرَوْا عَنَّا بَيُوتَكُمْ فَإِنَّهُ مِنْ أَبَدَى صَفْحَتِهِ لِلْحَقِّ هَلَّاكَ . /و/ فِي كَثِيرٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ فِي مِثْلِ هَذَا /م/ يُؤَيِّدُ مَا قَالَهُ الْمُعْزِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

كَلَامٌ فِي الْعَدْلِ ذِكْرٌ فِي مَجْلِسٍ :

123 — (قَالَ) وَكُنْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ (عَم) يَوْمًا إِلَى أَنْ رَفَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ الْأَطْرَافِ أَتَوْا بِشَكُونٍ إِلَيْهِ عَامِلًا كَانَ عَلَيْهِمْ، وَرُفِعَتْ لَهُمْ إِلَيْهِ رَقْعَةٌ وَقَدْ كَانُوا رَفَعُوا قَبْلَ ذَلِكَ أُخْرَى . فَقَالَ : عَجِبًا لِهَؤُلَاءِ ! / يَرُونَ أَنَّا فِي غَفْلَةٍ غَنِمَ عَنْ غَيْرِهِمْ ، وَمَا شَغَلْنَا — إِذَا اشْتَغَلَ مَلُوكُ الدُّنْيَا بِلَذَائِهِمْ — إِلَّا النَّظْرُ فِي أُمُورٍ مِّنْ قَلْدِنَا اللَّهُ (عَج) أَمْرَهُ وَاسْتَرَعَانَا إِلَيْهِ . وَأَنْتُمْ تَرُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ ذَلِكَ . وَإِنَّمَا يَلْتَمِزُ بِالدُّنْيَا مَنْ رَأَى أَنَّهَا حَظُّهُ مِنَ الْآخِرَةِ . وَلَوْلَا مَا نَعْلَمُهُ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ (عَج) مَا نَظَرْنَا إِلَى الدُّنْيَا بَعِينَ ، لَمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنْ مُزَاوَلَتِهَا وَأَهْلِهَا .

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ ، فَقَالَ لِي : قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ : حَسْبُكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَكُمْ أَنْتَهِى ، فَأَمْسِكُوا عَنِ الشُّكُوى . وَكَانَ قَدْ بَعَثَ فِي عَزْلِ ذَلِكَ الْعَامِلِ ، فَوَافَى بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ وَاسْتَعْمَلَ مَكَانَهُ غَيْرَهُ .

كَلَامٌ فِي السِّيَاسَةِ ذِكْرٌ فِي مَجْلِسٍ :

124 — (قَالَ) وَسَمِعْتُهُ (صَلَع) يَقُولُ — وَقَدْ / أَخْرَجَ عَسْكَرًا إِلَى بَعْضِ النَّوَاحِي — فَقِيلَ لَهُ : مَا بِالْمَوْضِعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى * كُلِّ هَذَا .

فَقَالَ : إِنَّا لَنَنْظُرُ مِنْ حَيْثُ لَا يَنْظُرُونَ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَع) أَمَرَ بِإِخْرَاجِ جَيْشِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (1) لِأَمْرِ خَفِيِّ عَنِ النَّاسِ يَوْمِئِذٍ إِلَّا لِمَنْ عَرَفَهُ وَأَسْرَهُ إِلَيْهِ . وَاللَّهُ لَوْ رَضِينَا مِنَ الدُّنْيَا بِالذَّعَةِ وَالسَّعَةِ لَكُنَّا فِي ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ (عَج)

(1) هُوَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنِ حَارِثَةَ . كَانَ أَثِيرًا لِدَى الرَّسُولِ (ص)، أَمْرُهُ عَلَى جَيْشٍ فِيهِ مِنْ وَجْهِهِ الصَّحَابَةُ جَمَاعَةٌ « فَمَاتَ النَّبِيُّ قَبْلَ أَنْ يَتَوَجَّهَ أَسَامَةُ ، فَأَنْفَذَهُ أَبُو بَكْرٍ . وَفَاتَهُ سَنَةَ 54 هـ . (انظر ابن سعد : الطبقات 2/189 وابن الأثير : أسد الغابة 1/64 وابن حجر : الإصابة 1/46) .

افتراض علينا القيام بحقه في أرضه والأمر فيها بالمعروف والنهي عن المنكر ،
فلسنا نُضِيعُ ذلك ولو ثقل حِمْلُهُ وعَظُمَ أَمْرُهُ .

سمعت المنصور بالله (صلع) يقول : أمر المهدي بالله القائم بأمر الله (عم)
بالتهوض إلى مصر (1) ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد خولك الله ومكتسك (2) وأعطاك
من الدنيا ما فيه سعة وكفاية / فعلام تغم نفسك وتشغل صدرك ؟ دَعُ هذا حتى
يأتي الله به عفوًا .

فقبض (صع) كفته اليسرى وقال : نَعَمْ ، هذا المغرب في قبضتي هذه -
وَبَسَطَ اليُسْرَى - ولكن كفتي هذه من المشرق صفر . إن ثَقُلَ عليك ما
أمرتك به ، خرجتُ له بنفسي .

قال : بل أنفذ لما أمرت به يا أمير المؤمنين وأسارعُ إليه .

قال المعزّ (صلع) : ولقد علم المهديّ (صع) أنّه لا يصل إلى ذلك ولكنه
أحبّ أن لا يُضِيعَ الحزم ولم ير ترك ما افترض الله (عج) عليه من الجهاد في سبيله .

ثم أنفذ المعزّ (صع) ذلك الجيش (3) فكان فيه من السعادة والبركة والفتح
والصنيع والسعد ما لم يظنّه الناس ، وظهر من أمره ما قد رمز به المعزّ صلوات الله عليه .

كلام في فضل التوبة / ذكر في مجلس :

125 - (قال) وسمعت (صع) يوما يقول - وقد أتاه عن حميد بن يضل (4)
أنه يريد التطارح إليه - فقال : إن كان له * عند الله خلاق فيوفقه لذلك وما أراه

(1) خرج القائم إلى مصر مرتين ، الأولى سنة 301 هـ بعد أن مهدت له حملة يقودها حباسة بن يوسف وصل
بها برقة ومشارف مصر ، ودخلا الاسكندرية معاً سنة 302 ، ثم ذهباً إلى الفيوم . وتقهقر القائم
منتصف شهر رمضان إلى إفريقية عندما بدأت زحوف قائد الخليفة العباسي مؤتب الفتي تنال منه .
والثانية كانت مستهل ذي القعدة سنة 306 ، حشد فيها جيشاً من كتامة وعرب إفريقية وبربرها ،
ولاقى صمويات من مؤتب قائد الخليفة المقتدر .

(انظر : ابن عذاري : البيان المغرب 1/171 ، 182 وابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، 11
وابن الأثير : الكامل 8/30) .

(2) أ : ملكك .

(3) الجيش المذكور في أول الحديث .

(4) حميد بن يضل المكناسي : قائد بربري ولاء المهدي تاهرت واستعمله ضد موسى بن أبي العافية .
وسجنه المهدي سنة 321/933 لتقصيره في تتبع أعداء الفاطميين ، ففر من السجن سنة 328/940 والتحق
بالأندلس ، فانضم إلى الجيوش الأموية (انظر : Lévi-Provençal : Histoire de l'Espagne : musulmane, 2/102.

وكذلك : كتاب الاستقصاء للناصري السلاوي ، ج 1/188 ، ويسيه حميد بن يسلتين ، وهو ابن
أخي مصالة بن حبوس) .

يُوفَّقُ لَهُ لِمَا يَعْلَمُهُ لَهُ مِنْ سُوءِ الطَّوَيَّةِ . فَأَمَّا نَحْنُ ، فَلَمَّا نَتَأَسَّى فِي عِبَادِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيمَا خَوَّلَنَا مِنْ فَضْلِهِ وَنُمَثِّلُ فِيهِمْ أَمْرَهُ . وَبَعْدَ : فَقَدْ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ « يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ (1) » . وَقَالَ : « إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (2) » . فَمَنْ تَابَ إِلَيْنَا قَبْلِنَاهُ وَمَنْ اسْتَرْحَمَنَا رَحِمْنَاهُ وَمَنْ اسْتَقْلَنَا أَقْلِنَاهُ ، وَلَا يُوفَّقُ اللَّهُ لِدَافِعِهِ إِلَّا السَّعِيدَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَمَا أَرَاهُ بِالسَّعِيدِ .

ولقد رأيته في منامي في هذه / الليلة (3) وكأني وقفتُ على باب حصن قيل إنه فيه ، فدعوتُ به ، فخرج في حال رقة خسياسة حتى وقف من وراء باب الحصن وقد فُتِحَ بعضُهُ ، فأخذتُ بمجامع أثوابه وهزرتُهُ إِلَيَّ هَزْرَةً منكراً فأخرجته . فسمعتُ صُراخ النساء من داخل الحصن وعويلهنَّ عليه وهنَّ يقلن : أَخَذَهُ وَاللَّهِ مَوْلَانَا ! فقلت : نعم قد أَخَذْتُهُ عَلَى رَغْمِهِ وَرَغْمِكُنَّ ! وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ اللَّهَ يُوفِّقُهُ لشيءٍ مما يُقَالُ مِنَ الْخَيْرِ .

فما كان بعد ذلك إِلَّا بمقدار ما وصل الخبرُ حتى جاء عنه أَنَّهُ هَلَكَ فَصَارَ إِلَى غَضَبِ اللَّهِ وَلَعْنَتِهِ . حَتَّى إِنِّي أَظُنُّ أَنَّ مَوْتَهُ كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي رَأَى الْمَعْرُ (عم) ذَلِكَ فِيهَا .

كلام في ذم بني أمية ذكر في مجلس :

126 - (قال) وذُكِرَ / يوماً عنده (صع) مَنْ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةِ اللَّعْنَاءِ ، وَقِيلَ لَهُ مَا يَقَالُ فِيهِمْ أَنَّ أَبَاهُمْ الْوَاصِلَ (4) أَوْ لَا دَعِيٌّ وَلَيْسَ لَهُ مَنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ . (فقال) فإلى مَنْ يُنْسَبُونَ إِذَنْ ؟ إِلَى الْكِلَابِ أَمْ إِلَى الْقِرَدَةِ أَمْ إِلَى * الْخَنَازِيرِ ؟ وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَخَيْرٌ مِمَّنْ انْتَسَبُوا إِلَيْهِ - يَعْنِي الْكِلَابَ وَالْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ - وَإِنْ مَنْ انْتَسَبُوا إِلَيْهِ أَسْوَأَ حَالاً مِنْهُمْ . فَدَعُّوهُمْ وَمَا ادَّعَوْهُ ، فَكَفَاهُمْ عَاراً وَخِزْيَاً بِانْتِسَابِهِمْ إِلَيْهِ .

(1) الشورى ، 25 .

(2) المائدة ، 34 .

(3) سقط من ب : من عباده ... إلى ... الليلة .

(4) أي ، عبد الرحمان الداخل .

كلام في مجلس في فضل الصابرين (1) :

127 - (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله (صع) يوما في مجلسه يقول وقد ذكر الحرب : كمّ من مذكور بالتقدّمة ومعروف بالرئاسة وموصوف بالشجاعة ، إذا التقت في الحرب حليقُ البِطْآنِ (2) / لم يَرُدَّ (3) ولم يُعرَف واستتر . ومن غيبي العيان مجهول الحال والمكان تبدو في بعض تلك المواقف شجاعته ، وتظهر فيها كفايته . وليس في كل موقف يثبت النجدة (4) ولا في كل حين يقف الشجاع .

فقال له بعض من حضر : لكنّ بلاد المهديّة وشبّان الصّابريّة (5) من أولياء أمير المؤمنين قلّ من شهيد منهم بعد ذلك مشهدا إلاّ عُرِف فيه مقامه وتبين فيه أثره .

فقال (عم) : إنّ أولئك لا يقاسون بسائر النّاس ، أولئك محضُ المحض ولُبّاب اللّباب ، إنّه لم يقف معنا يومئذ ويصبر إلاّ نحنُ وأبناؤنا ومن كان منا ، فالصّابرون والله معنا حينئذ هم الأبناء والإخوة والقربّة واللّحمة ، متى رأيت موكبا من أولئك فلا ترى / إلاّ أنّه موكب من موكب آل أبي طالب . يقول ذلك (صلع) وهو يتهلّل وجهه سرورا بما يقوله .

كلام في مجلس في وصيّة بعض الأولياء وقد خرجوا للجهاد :

128 - (قال) وكنت كثيرا * ما أسمع (صلع) يقول إذا حضر عنده شيوخ كتامة ووجوهم : إني والله لو ندبتُ من أحداكم ومن عسى لا يؤبه له منكم

- (1) أ : كلام ذكر في مجلس في فضل القائم . ولا ذكر للقائم في كامل الفقرة .
- (2) البطان : الحزام الذي يلي بطن الجواد . و« التقت حلقتا البطان » من أمثال العرب التي تضرب للأمر إذا اشتد .
- (3) أ : لم ير .
- (4) أ : النجدة . والنجدة : الشجاع الماضي فيما يعجز عنه غيره .
- (5) هذه الاضافة جديدة على النصوص الفاطمية - فيما نعلم - ولها وجهان :
- الأول ، وهو الأرجح ، نسبة استمد لها معنى الصبر من اسم صبرة الفاطمية عاصمتهم الثانية بعد المهديّة ، التي أسسها المنصور إلى جانب القيروان وعرفت بـ«المنصورية» . وبذلك يكون قد أشار إلى مواليتهم من أهل المدينتين : المهديّة وصبرة .
- والثاني أنه ربما كان ذلك إشارة إلى فرقة من الجند تنسب إلى الخادم صابر الذي جلب جوهر الصقلي . (انظر البيان 221/1) .

من أُنْدُبُهُ لِأَمْرِ تَرَوْنَ أَنْتُمْ أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِهِ غَيْرُكُمْ وَلَا يَصْلُحُ لِسَوَاكُمْ ، لَكَانَ مَن
أُنْدُبُهُ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ عِنْدَ مَا أُرِيدُهُ ، وَلَقَامَ بِهِ حَسْبُ أَمَلِي فِيهِ . وَاللَّهُ مَا سَعِدَ لَهُ مِنْكُمْ
مَنْ سَعِدَ وَبَانَ مِنْ بَانَ إِلَّا بِاخْتِيَارِنَا لَهُ وَتَنْبِيهِنَا لِإِيَّاهُ .

فَلَمَّا هُمْ (صَلَح) بِإِخْرَاجِ الْعَسَاكِرِ إِلَى سَجْلَمَاسَةَ لِقَصْدِ ابْنِ وَاسُولِ (1) اللَّعِينِ
الْمُتَسَمِّيِّ بِالْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ / ، وَالطَّرِيقُ إِلَيْهَا مِنَ الْبُعْدِ وَالْمَشَقَّاتِ وَالْإِنْقِطَاعِ
وَالْمَخَافَاتِ عَلَى مَا يَعْظُمُ فِي صُدُورِ النَّاسِ أَمْرُهُ ، وَتَتَهَيَّبُونَ سُلُوكَهُ لِلذَّكَاءِ
وَاقْتِحَامَهُ ، أَمَرَ (صَلَح) أَنْ يُنْدَبَ لِلذَّكَاءِ مَن سَارِعَ إِلَيْهِ مِنْ شُبَّانِ كِتَامَةِ طَائِعَا . فَلَمْ
تَمُضْ أَيَّامٌ حَتَّى أَتَاهُ مِنْهُمْ مَن الْعَدَدِ فَوْقَ مَا أَرَادَهُ ، مَسَارِعِينَ إِلَى ذَلِكَ فَرِحِينَ
بِهِ ، فَأَوْسَعَ لَهُمُ الْعِطَاءَ وَأَجَزَلَ لَهُمُ الْحِيبَاءَ .

فَلَمَّا أَرَادُوا الْخُرُوجَ حَضَرَ الشَّبُوحُ وَحَضَرَتْ مَعَهُمْ مَجْلِسُهُ ، فَذَكَرَ مَسَارِعَةَ
مَن سَارِعَ مِنْهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ ، وَأَنَّهُ كَانَ فِيهَا تَقْدَمُ يَتَهَوَّلُ ذَكَرَ
سُلُوكَ مَا نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ دُونَ تَعَاطِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِ وَذَكَرَ تَثَاقُلَهُمْ - قَبْلَ ذَلِكَ - عَمَّا
هُوَ دُونَ ذَلِكَ .

ثُمَّ قَالَ (صَلَح) : وَهَذَا الَّذِي كُنْتُ ذَكَرْتُهُ لَكُمْ فِي / غَيْرِ مَجْلِسٍ وَمَقَامٍ ،
أَنْتِي لَوْ نَدَبْتُ مِنْ عَسَايَتِي أَنْ أُنْدُبَهُ مِنْكُمْ لَوَجَدْتُ فِيهِ مَا أُرِيدُهُ .

ثُمَّ أَذِنَ لِمَن سَارِعَ مِنْهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَوْجًا فَوْجًا ، وَغَصَّ
الْقَصْرُ * بِهِمْ فَأَتْنِي عَلَيْهِمْ خَيْرًا وَقَالَ لَهُمْ قَوْلًا جَمِيلًا طَوِيلًا ، كَانَ فِيهَا حَفِظْتُ
مِنْهُ أَنْ قَالَ لَهُمْ :

بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ وَأَحْسَنَ صَحَابَتَكُمْ وَالْخِلَافَةَ عَلَيْكُمْ ! فَقَدْ صَدَقْتُمْ ظَنِّي
فِيكُمْ وَأَمَلِي عِنْدَكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ مَعْدِنِ الْبَرَكَاتِ وَعَنْصَرِ الْخَيْرِ . بِكُمْ بَدَأَ اللَّهُ إِيْظَاهَارَ
أَمْرِنَا وَبِكُمْ يُتِمُّهُ وَيُصْلِحُهُ (2) بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ مَسَارِعَتَكُمْ إِلَى مَا نَدَبْتُكُمْ
إِلَيْهِ وَإِجَابَتَكُمْ لِمَا أُرَدِّتُمْ لَهُ ، وَأَرْجُو أَنْ تَبْلُغُوا مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ الْأَمَلِ فِيكُمْ ،
وَيَرْفَعُ اللَّهُ (عَج) بِذَلِكَ دَرَجَاتِكُمْ وَيُعْلِيَّ بِهِ ذِكْرَكُمْ . أَنْتُمْ الْبَنُونَ وَالْإِخْوَةُ /

(1) انظر تعريفنا بابن واسول في ص 214 تنبيه 3 .

(2) ب : ويصله .

وَالْأَقْرَبُونَ مَا بَعْدَ لَكُمْ عِنْدِي أَحَدٌ وَلَا يَبْلُغُ مَبْلَغَكُمْ مِنْ قَلْبِي بَشَرٌ ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا لِي فِي قُلُوبِكُمْ .

ما نصر الله ولياً من أوليائه قبلنا بمثل نصرتكم لنا . على ذلك مضى أولكم وعليه أنتم ، على محبتنا ونصرتنا وموالاتنا تتناسلون وتنشأون ، وبها غدتهم وعليها فطرتهم . فأبشروا بما قسم الله (عج) من الفضل لكم ، فأنتم حزب الله وأنصاره وجنده وأجباؤه . والله ما أردت بهذا البعث الذي بعثكم فيه شراً استدفعه ولا دفع مكروه أخافه ولا استكثرنا من دنيا أصيبها :

أما المكروه فقد علم الخاص والعام والقريب والبعيد أن غاية أمانى من حولنا من أهل الأرض من المتغلبين ممن دان / بملّة الإسلام ، والمشرّكين . أن يسلّموا منا ويَعافوا أمر بأسنا وما أحد منهم أمسى وأصبح اليوم بحمد الله يطمع في شيء مما عندنا .

وأما اكتساب حطام الدنيا فيها (1) نحن * نُنْفِقُ مِنْ أَمْوَالِنَا عَلَى هَذَا الْبُعْثِ مَا لَا نَرَى أَنَّا نَرْتَجِعُ مِثْلَهُ وَإِنْ مَكَّنَّسَا اللَّهَ وَأَيَّدْنَا وَنَصَرْنَا . وَلَكِنَّا أَرَدْنَا بِذَلِكَ وَجُوهًا : مِنْهَا مَا افْتَرَضَهُ اللَّهُ (عج) عَلَيْنَا مِنْ جِهَاد مَنْ خَالَفَ أَمْرَنَا وَتَسَمَّى بِأَسْمَائِنَا وَادَّعَى مَا جَعَلَ اللَّهُ (عج) لَنَا . وَمِنْهَا أَنَّ اللَّهَ (عج) قَدْ امْتَحَنَ عِبَادَهُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ مَعْنًا ، فَنَجُنْ نَنْدُبُهُمْ إِلَيْهِ لِنَعْلَمَ الْمَجَاهِدِينَ مِنْهُمْ وَالصَّابِرِينَ . وَلِيَرْفَعَ اللَّهُ (عج) بِهِ دَرَجَاتِهِمْ وَيُجْزِلَ مَثُوبَاتِهِمْ وَيَتَقَلَّ حَالَاتِهِمْ . فَاكْمَلْ مِنْكُمْ الْيَوْمَ / مَنْ يَنْفُذُ فِي هَذَا الْجَيْشِ قَابِعًا يَعُودُ مَتَبُوعًا ، وَمَرْؤُوسًا يَصِيرُ رَئِيسًا ! إِنَّمَا تَرْفَعُكُمْ عِنْدَنَا وَعِنْدَ رَبِّكُمْ نِيَّاتُكُمْ وَأَعْمَالُكُمْ ، وَبِهَا تَتَوَسَّلُونَ إِلَيْنَا . وَإِلَى بَارئِكُمْ . لَوْلَا السَّنَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِاتِّبَاعِهَا ، الَّتِي لَا يَصْلُحُ الْعِبَادُ إِلَّا بِهَا . مَا قَدَّمْتُ عَلَيْكُمْ أَحَدًا مِنْكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِكُمْ إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ الْمَقْدَمَ ، وَلَكِنْ لَا يَصْلُحُ النَّاسُ إِلَّا بِرَّئِيسٍ . وَقَدْ قَدَّمْتُ عَلَيْكُمْ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمُوهُ (2) ، وَأَقَمْتُهُ فِيكُمْ مَقَامَ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ مَعَكُمْ كَأَذْنِي وَعَيْنِي ، وَكُلَّ أَمْرٍ مِنْكُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِصَبْرَةٍ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكُمْ بِأَجْزَلِ عَطَاءٍ أُعْطِيَتْهُ

(1) فِي النَّسَخَتَيْنِ : فَهَذَا ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ .

(2) هُوَ الْقَائِدُ جَوْهَرُ (انظر البيان المغرب ، 22/1) . وَلَعَلَّ فِي «اعْتِذَار» الْمَرْزُوقِ عَلَى جَعْلِ الْكُتَامِيِّينَ تَحَرُّمَ أَمْرَتِهِ دَلِيلًا عَلَى وَجُودِ مَنَافَسَةِ بَيْنِ فَوَادِ الْبَرْبَرِ وَالْقَوَادِ الصَّقَالِبَةِ .

مَنْ قَبْلَكُمْ إِلَى أَعْدَاءٍ مِنْ مَسَافَتِكُمْ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَمْ يُعْطِ مَنْ قَبْلَكُمْ / أَحَدٌ قَبْلِي مِثْلَ مَا أُعْطِيْتُمْ ، وَلَا اسْتَكْثَرْتُ لَكُمْ ذَلِكَ بَلْ اسْتَقَلَّه لِأَقْلَكُمْ . وَالَّذِي لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدِي فِي الَّذِي تَسْتَقْبِلُونَهُ أَجَلٌ وَأَكْبَرُ . فَسِيرُوا عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ وَيُؤْمِنَهُ وَسَعَادَتِهِ وَنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ ! كُونُوا عِنْدَ مَا رَجَوْتُمْ لَهُ مِنَ الْغَنَاءِ وَالْكَفَايَةِ * وَصَلَحِ الْحَالِ بَيْنَكُمْ ! أَحْسِنُوا عَشْرَةَ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ وَعَشْرَةَ مِنْ تَصَحُّبُونَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ ، وَأَنْزِلُوا مِنْ يَنْفَذَ مَعَكُمْ مِنْ عِيْدِي مَنَازِلَ إِخْوَانِكُمْ ، وَأَجْمِعُوا مَعَهُمْ كَلِمَتَكُمْ ، فَهَمَّ لَكُمْ عِزٌّ وَلُحْمَةٌ ، وَمَوَالِي تَجْمَعُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، فَلَا تَجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ فَرْقًا ، أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ الصَّحَابَةَ وَعَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ .

فَقَبِلُوا الْأَرْضَ مَرَارًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَشَكَرُوا مَا كَانَ مِنْهُ وَوَعَدُوا مَنْ / أَنْفُسِهِمُ الْوَفَاءَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّرُورِ بِمَا سَمِعُوا مِنْهُ مَا ظَهَرَ فِيهِمْ وَتَبَيَّنَ عَلَى وَجُوهِهِمْ .

ثُمَّ أَمَرَ بِدُخُولِ مَنْ نَفَذَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ مِنَ الْخِصْرَةِ مِنْ قِبَالِ الْبُرْبُرِ مِمَّنْ كَانُوا قَدْ دَخَلُوا فِي الْفِتْنَةِ وَأَنَابُوا ، بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ عَلَيْهِمْ ، إِلَيْهِ ، فَقَبِلَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ ، كَبَنِي كَمَلَانَ (1) وَغَيْرِهِمْ ، وَقَدْ سَارَعُوا أَيْضًا إِلَى الْخُرُوجِ . فَلَمَّا صَارُوا بَيْنَ يَدَيْهِ (ضَلَع) قَبِلُوا الْأَرْضَ / وَقَفُوا ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ مِنْ شَيْوخِ كِتَامَةِ : هَؤُلَاءِ يَا مَوْلَانَا مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ (عَج) وَفِيهِمْ / : « عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّالِفِينَ عَادَتِي مِمَّنْ مِنْهُمْ مَوَدَّةٌ » (2) .

قَالَ : نَعَمْ ! قَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِمْ لَمَّا سَبَقَ لَهُمْ عِنْدَهُ مِنَ السَّعَادَةِ فَفَازُوا بِالْوَلَايَةِ بَعْدَ / الْعِدَاوَةِ وَبِالْهَدْيِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ وَبِالنَّصْرَةِ بَعْدَ الْقَطِيعَةِ وَالْمُنَابَذَةِ لَنَا وَالْمُحَارَبَةِ ، فَتَوَبَّتْهُمْ مَقْبُولَةٌ وَذُنُوبُهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَغْفُورَةٌ .

فَقَبِلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاعْتَرَفُوا بِنِعْمَتِهِ وَشَكَرُوا فَضْلَهُ وَعَفَوْهُ .

فَقَالَ : كَمْ سَارَعَ مِنْكُمْ إِلَى الْخُرُوجِ فِي هَذَا الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ ؟

قَالُوا : كُلُّنَا يَا مَوْلَانَا مُسَارِعٌ إِلَيْهِ ، فَمَنْ قَبِلْتَهُ فَهُوَ السَّعِيدُ !

(1) قَوْمٌ مِنْ هَوَازَةَ مَقَرَهُمْ جِبَالُ أَوْرَاسَ ، سَانَدُوا أَبَا يَزِيدَ مَخْلَدَ بْنَ كَيْدَادٍ . وَتَقَاتَلَ الْمَنْصُورُ مِنْهُمْ الْكَثِيرَ فِي وَقْعَةِ الرُّؤُوسِ بِفَحْصِ بَاتِنِهِ . « وَاسْتَأْمَنُوا لِلْمَنْصُورِ إِسْمَاعِيلَ فَأَمْنَهُمْ عَلَى سَكْنَى عِيَالِهِمْ بِالْقَيْرَوَانِ » (انظر ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد 19 ، 31 ، 39 ، وابن حزم : الجمهرة 496 ، وابن خلدون : العبر 235/6) .

(2) الْمُتَحَنُّنَةُ ، 7

قال : بارك الله فيكم ووفقكم ، وأنا أنظر (1) إن شاء الله فيما يصلحكم .
وأدخل العبيد فأوصاهم بمثل ما أوصى به الأولياء * وأمرهم بأن يكونوا لهم
إخوة ومعهم ألفة . وودّعوا وخرجوا .

كلام في السرّ ذكر في مجلس :

129 — (قال) وحديثه (عم) يوما عن بعض من كانت له وجاهة وسيرة (2)
ورئاسة في العامة / أنه كان يجلس إلى خيَّاط في بعض الأسواق غيبي الحال لا يكاد
يُرى إلاّ عنده يحدثه ، وأنه عوّب في ذلك وقيل له : أما وجدت لحديثك
غيرَ هذا ؟

فقال : لا والله ، وإنّ فيه لخصلة ما وجدتُها عند أحادٍ من الناس .
ف قيل له : وما ذلك ؟

قال : يضيق ذرعي بالحديث وأحبّ أن أحدثَ به وأن لا يُنشر عني ،
فأحدثه به فكأنما ألقيتُ [ه] في بئر . لا والله ما سمعت عنه أنّه أعاد عليّ
حديثا قط .

فقال المعزّ (صلع) : صدق والله ، وأحسن في اختياره . وإنّ من وُجِدَ فيه مثل
ذلك لأهل لكلّ خير .

ثمّ ذكر رجلا من الأولياء كان له به وبالمَنصور (صلع) اتصال ، قال : فكان
المَنصور (عم) ربّما أخبرني بالحديث / يجري بينه وبين هذا الرجل ويقول لي :
سله عنه ، فأسأله ، فيأخذني في معاريض من القول يريد أن يقطع بها سُوالي ،
فإذا أعدّته عليه وأخذته بالجواب عنه وعرفته أنّ المَنصور بالله (صلع) أخبرني به
وأمرني أن أجاريه فيه ، قال : مولانا أصدقُ قولاً ، ولعلّي أنا أنسيْتُ هذا الذي
قاله . فأذكر ذلك للمَنصور (صلع) فيستحسنه له .

وترحمَ المعزّ (صلع) على الرجل وأثنى عليه ثناءً حسناً .

(1) أ : سقط : وأنا أنظر .

(2) س : وسيرة .

كلام في حِلْمِ المَعَزِّ (صلع) :

130 - (قال) وركب المعزَّ (صلع) يوماً من أيّام الرّبيع إلى مكان وُصف له أنّ فيه زهراً حسناً ونبثاً عميماً وفي الطّريق الحامل إليه * مثلُ ذلك ، فلمّا خرج (صلع) من باب / المنصوريّة اكتنفه النّاس بسألونه حوائجهم ويرفعون أمورهم ، فما زال يُقبِلُ بوجهه على الواحد بعد الواحد والجماعة بعد الجماعة منهم ويكلّمهم ويجيبهم (1) حتّى انتهى إلى المكان الذي وُصف له ، وانصرف وهو على مثل ذلك ما تملّى ممّا أراد النّظر إليه ولا أعاره الطّرف إلاّ اختلاسا ولا أضجّره ما كان من أمر النّاس ، وإنّا حوله لنضجّر له لذلك ، وإنّ المشاة بين يديّهم يدفعون النّاس فيأمرهم بتخليّة مَنْ يدفعونه ، وإنّ كثيراً منهم ليُطيل مساييرته ويكرّر حاجته فيأمره مَنْ حوله بالانصراف ويغمّزه بعضهم إرادة التّخفيف عليه وأن ينظر إلى ما خرج إليه / ، فينهاهم عن ذلك ويأمر أن يدعّوا مَنْ كلّمه إلى أن يقضي حاجته وينصرف عن رأي نفسه .

وهذا دأبه في أكثر خروجه صلوات الله عليه ، ولا أعلم ولا سمعت أحداً وُصف بمثل ذلك من الصّبر وسعة الصّدر .

(1) أ : سقط : ويجيبهم .

الجزء الثاني عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رمز بالباطن ذكر في مسامرة :

131 - قال القاضي النعمان بن محمد : سائرت الإمام المعز لدين الله صلوات الله عليه ، فذكر الجاحظ فذمه وذكر مساويء انتحاله .

فقلت : إنسي رأيت في بعض مصنفاته (1) شيئا كأنه كان / عندي - قبل أن أسمع هذا من مولانا (صلع) - أنه قد اتصل (2) .

قال : معاذ الله ! . هو أخزى وأقبح نحلة من ذلك .

ثم قال : وما الذي رأيت له مما توهمت له ذلك ؟

فقلت : قوله في قول الله (عج) : « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ : مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ... » إلى قوله : فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (3) ، « وأن الجاحظ قال في ذلك : أفيكون سليمان مع نبوته وكرامته على الله تعالى وما سخر

(1) انظر الحيوان 4 : 77 .

(2) هكذا في النسختين ، ولا نبيين المقصود من « اتصل » ، ولعل مناه : انتحل مذهب واصل بن عطاء المعتزلي .

(3) النمل 20 - 28

له من الرّيح والطّير والجنّ بأرض الشّام فلا يعرف أمر ملكة سبأ ولا اسمها ولا ديتّها على قرب مسافةٍ ما بينهما حتّى يأتيه بذلك الهدد؟ ! وأقلّ ملك من ملوك الأرض اليوم قد علم مثل ذلك من أحوال من / كان في أطرافها من الملوك (1) ؟ ثمّ كأنتي رأيته وارى عن ذلك فجاء في ظاهر القول بحجّة هي مثله في الحال ، فقال : وهذا غير منكر في قدرة الله (عج) ، وقد أقام يوسف بمصر ما أقام ، ويعقوب أبوه بالشّام لم يعرف خبره ولا أين هو . وأحد من يؤسر اليوم في أطراف الأرض ويكون في الحبوس والوثاق والمضايق يصل خبره إلى أهله ويكتبهم بحاله .

وكأنتي رأيته جاء في الحجّة بمثل ما ابتدأه في القول وترك ذلك موقوفاً . وقد كنت قديماً اعتبر ذلك من قوله فلا أراه إلاّ كما ظننت به .

فما هو إلاّ أن تسمّ قولي حتّى ابتدأني (صلع) فقال : وما في أمر الهدد وما ذكره / من جهل سليمان (صلع) بأمر ملكة سبأ حتّى أتاه به الهدد ، ما يهول به الفاسق ويطل ويُسهب فيه هذا الإسهاب ويطنب مثل هذا الإطناب ؟ وهل عليم أحد من النّبيّين والمرسلين * والملائكة المقربين أمراً من الأمور إلاّ من بعد أن كانوا به جاهلين ؟ والمتفرّد بعلم ما كان ويكون ، هو الله ربّ العالمين . فأما من دونه من المخلوقين فلم يعرفوا ما كان ولا ما يكون إلاّ بإخبار الله (عج) إيّاهم بذلك وإخبار بعضهم بعضاً عمّا شاهدوه وبلغهم وعليموه ، فكلّ إنسان بما غاب عنه جاهل حتّى يؤدّيه إليه من شاهدته وأخبره عنه .

وقد يجوز أن يكون أولّ من / أدّى إلى سليمان أمر ملكة سبأ الهدد . ومثل هذا من الأمور قد يعلمه من هو دون من يجهله ، كما يعلم أخبار ما في شاسع البلدان

(1) لقد عزا الجاحظ هذا القول لأصحابه فصدره بقوله : « ثم طعن في ملك سليمان وملكة سبأ فاس من الدهرية وقالوا ... » (الحيوان 85/4) وتعقبهم بالرد (انظر صفحة 86 وما بعدها) . والنقل هنا بالمعنى وليس من أفط الجاحظ. والمجب للقاضي النعمان كيف تغيب عنه دقة الجاحظ وهو يثير مسألة الهدد ، ولعله في هذا أحد أحدين : أما أن يكون قد طال الأمد على قراءته الحيوان فنسي التفاصيل ، أو أن النسخة التي طالها كان بها سقط واختلال ، ونستبعد عليه التعمد ، برغم الخلاف بين المعتزلة والشيعة الذي نجد له أسدء واضحة في بعض فصول هذا الكتاب ، ولا سيما إبطال حجية العقل (انظر ص 423) وكذلك في بعض كتب الجاحظ « السياسية » مثل ك. العشانية المعروف وكتاب « إمامة معاوية » الذي ذكره المسعودي (مروج الذهب ج 3 ص 253) فقال انه يؤيد فيه إمامة بني أمية ويتنصر لهم من على وتبعته .

من دخلها من المسافرين ولا يعلم ذلك من لم يتدخلها من أهل الحكمة الفاضلين. فعلى نحو هذا عليم الهدد أمر ما كان بسبيل دون سليمان وأخبره به، وليس هذا من العلم الذي يجب به التفضيل، ولا ينسب به من عليمه دون من جهله إلى العلم والحكمة عند ذوي التمييز والعقول، وإنما هو علم مشاهدة وعيان. وإنما العلم الذي يجب به التفضيل عليم العقول والأذهان والبراهين والبيان.

ثم ذكر (صلع) من باطن هذه الآية في قصة الهدد/ وسبأ وسليمان جملاً فتحت لي عِلماً جماً.

كلام في السؤال جرى في مجلس :

132 - (قال) وسمعت (صلع) يقول : كان المنصور قدّس الله روحه وضاعف الصلاة عليه ، ربّما طارحتني شيئاً من مسائل الحكمة فأجبته (1) بما يتهيأ لي من الجواب . وإنّه ألقى عليّ مسائل قبل وفاته (صلع) تعذر عليّ الجواب فيها وأظلم ، فما * هو إلا أن قبض (صلع) حتى تهيأ لي ما كان اعتاص عليّ من جوابه دفعة بغير تدبّر ولا روية . فعلمت أن ذلك كما قيل : إن الله (عج) ينقل ما كان عند الماضي من الأئمة إلى التالي منهم في آخر دقيقة تبقى من نفس الماضي (2) .

كلام في فضل المنصور والمعزّ (صلع) :

133 - (قال) وسمعت (صلع) / يقول : انتهت إلى القائم بأمر الله (صلع) في آخر أيامه وفاة داع من دعائه ببعض جزائر (3) المشرق ، وتنازع وصيته رجلاً

(1) هكذا في النسختين ، ولعلها : فأجيبه .

(2) انظر توضيح هذه العقيدة في ما يلي ص 267 .

(3) قسم الاسماعيلية العالم - مجال دعوتهم - مثل السنة الزمنية إلى اثني عشر قسماً ، سوا كل واحد منها « جزيرة » ولا يزال تحديد هذه الجزائر غير واضح لدى الدارسين لاختلاف أسمائها وحدودها . وقد جعلوا على كل جزيرة « داعياً » هو « داعي دعاة الجزيرة » أو « حجة الجزيرة » يساعده ثلاثون « داعياً فقيهاً » يراجمهم ويستمين بهم في كل ما يتعلق بجزيرته ، ولكل « داع فقيهاً » أربعة وعشرون داعياً نصفهم ظاهر ونصفهم مستتر . (انظر محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية 133 ، وديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ، 55 ، والقاضي النعمان : افتتاح الدعوة 1 والمقدمة الفرنسية 39 ، الحاشية 1 . وانظر كذلك : رسالة المبدأ والمعاد ، ص 12 لابن الوليد ، وإيثانوف

من أهل دعوته، كلاهما زعم أنه أوصى إليه . فَلَمَّ يَمْنُصُ القائم (عم) من أمرهما شيئاً حتّى قُبِضَ قدّس الله روحه . واشتغل المنصور (عم) بما كان فيه من أمر الحرب إلى أن أحمّد الله (عج) به نار تلك الفتنة (1) وأزال به المحنة . فكتاب الدّعاة ، فاحتاج إلى إثبات داعٍ بتلك (2) الجزيرة وكان لكلا الرجلين اللذين ادّعيا وصيّة الداعي المتوفى رسولٌ بالحضرة أتى من عنده بكتاب يذكر أنه وصيٌّ ويسأل لإطلاقه .

فقال لي يوما : من تراه يصلح من هذين الرجلين لهذه / الجزيرة ؟

فقلت : الله ووليّه أعلم .

قال : قل عليّ ذلك .

فتوقفت واستعفيتّه .

فقال: لا بدّ من أن تقول ، وقد قلت أنا في ذلك ولكنني أردت أن أعلم ما عندك فيه ، هل يوافق ما قلته أم يخالفه .

فقلت : ينظرني أمير المؤمنين (عم) .

فقال : أنظرْتُكَ .

فانصرف فجولت فكري وأدرت نظري فوق اختيارى على أحدهما، فكتبت اسمه في رقعة وجئت بها إليه فوضعها بين يديه ، فقال : ما هذه ؟

فقلت : اسم الرجل الذي وقع اختياري عليه . فتركها * مكانها وأخرج رقعة مُدرّجةً فقال : وفي هذه اسم مَنْ وقع اختياري أنا عليه منهما . وفتحهما فإذا اختياره واختياري قد / وقعا على رجل واحد . فسُررت بذلك وحمّدت الله .

ثم جئته بعد ذلك فقال : أسرك موافقتك إيتاي في أمر الرجل ؟

قلت : وكيف لا يسرني موافقة مولاي ؟

قال : فأزيدك سرورا !

قلت : إن تفضل أمير المؤمنين (عم) .

فأخرج إليّ رقعة فيها توقيع القائم عليه السلام بخطه باختيار ذلك الرجل .

(1) يعني فتنة أبي يزيد .

(2) أ. : داعي الجزيرة .

وقال : قَلَّبْتُ كُتُبَهُ فَمَرَّتْ بِي عَلَى غَيْرِ تَعَمُّدٍ .

ورأيت الرِّقَاعَ الثلاثَ التي كتبَ القائمُ والتي كتبَ المنصورُ والتي كتبتُ أنا كأنَّها كُتِبَتْ من نسخةٍ واحدةٍ يقابلُ بعضها بعضاً . وكانَ فيها : ادَّعى وصِيَّةُ فلانٍ فلانٌ وفلانٌ ، فنظرتُ إلى كتابِ كلِّ واحدٍ منهما فرأيتُ أنَّ فلاناً أحقُّ بذلكَ لوجهٍ كذا ووجهٍ كذا / ، لم يزدَ ما في رقعةٍ منها على أخرى .

(قال) فأدنانِي المنصورُ باللهِ إلى نفسه واعتنقني وضمَّنِي إلى صدره وقبَّلَ صفحةَ عُنُقِي وألصقَ خَدَّهُ إليها مدَّةً طويلةً وهو يبكي حتَّى بَلَـ[ت] دموعُهُ أطواقِي وبكَيْتُ لبكائه . ولا واللهِ ما علمتُ ما كانَ معنى ذلكَ البكاءِ حتَّى قبضَ (صلع) فعلمتُ (1) حينئذٍ أنَّ ذلكَ كانَ وداعاً منه لي ، وأنَّه رأى - لمَّا رآه - أنَّ في ذلكَ أجلَّهُ قد قُرِبَ لِمَـ[ا] رآه انتقلَ إليَّ من التَّأْيِيدِ .

وليسَ هذا الذي قاله المعزُّ (صلع) بخلافَ ما قاله من انتقالٍ ما عندَ الماضي ، وإنَّما ينتقلُ إلى الباقي في آخرِ دقيقةٍ تبقَّى من نفسِ الماضي ، إنَّما ذلكَ في إكمالِ الأمرِ واستحقاقِ الإمامةِ / ووجوبِ الطاعةِ ، لأنَّ ذلكَ لا يكونُ في اثنيَّـن * باقيَّـين .

وأما الدَّلَـ[ا]ئِلُ والبراهينُ والقوَّةُ والتأييدُ فإنَّها توجدُ في الحججِ في حياةِ الأئمَّةِ كما ذكرَ (صلع) ، وتزيدُ حالاً بعدَ حالٍ إلى وقتِ الكمالِ ، كلِّما قُرِبَ أجلُ الإمامِ تقوَّتْ أسبابُ حجَّتِهِ وظهرتْ علاماتهُ . ولذلكَ ما كانَ من بكاءِ المنصورِ (صلع) : لمَّا نظرَ إلى المعزِّ (صلع) قد وافقَه ووافقَ القائمَ (عم) علِمَ أنَّ ذلكَ من قوَّةِ الدلائلِ ، وأنَّ أجلَّهُ قد قُرِبَ .

وعلى مثلِ هذا تجري أمورُ أكثرِ العالمِ ، لا ينتقلُ الشَّيْءُ إلى الشَّيْءِ دفعةً واحدةً ولا يكونُ ذلكَ إلَّا على التدرِجِ والنموِّ شيئاً بعدَ شيءٍ كنموِّ الخلقِ ودخولِ الفصلِ من / الزمانِ في الفصلِ ، حتَّى ينقضِيَ الشَّيْءُ من الشَّيْءِ ويخلُصَ بنفسه ويَتَبَيَّنَ بحالتهِ وينسَخَ ما قبله .

ومن ذلكَ ما رُوِيَ عن جعفرِ بنِ محمدٍ (صلع) أنَّه قال : عليَّ (صع) عالمُ هذهِ الأئمَّةِ ونحنُ نتوارثُ علمه ، وليسَ يهلكُ مِنَّا هالكٌ حتَّى يرى مِن أهليه مَن يَعْلَمُ مثلَ علمه (صع) .

(1) ب : ما كان ... فعلت ... ساقطة .

وفي مثل بكاء المنصور (صلع) لما رأى اتصال المادة بالمعز صلوات الله عليه، قال بعض الحكماء: من سرّهُ بنوهُ ساءتْهُ نفسه (1)، يعنون أنّه/ بكمال الولد وزيادته يكون نقص الوالد وانحطاطه. وفي ذلك يقول بعض الشعراء (رجز):

إذا الرّجالُ ولدت أولادُها واضطربتْ من كِبَرِ أعضادُها
وجعلتْ علائها تعتادُها فهي زُرُوعٌ قد دنا حصّادُها (2)

فإذا كان هذا في ظاهر خلق الأبدان وما يداخلها من الزيادة / والتقصان، فكيف به في باطن علم الأديان؟ !

كلام في مسابقة في استقلال أمر الدنيا :

134 - (قال) وسمعت (صلع) يقول : إنّ الله سبحانه يعطي الدنيا من يشاء من أوليائه وعباده المؤمنين وأعدائه الكافرين ويمنعها من يشاء منهم . ولا يعطي الآخرة إلاّ أوليائه المؤمنين من عباده، وإنّا لنأثر عن جدنا محمد رسول الله (صلع) أنّه قال : لما أسريّ بي إلى السماء لقيت ملكا نازلا وملكاً طالعا ومعى جبرائيل ، فسألتهما عمّا أرسلنا إليه ، فقال أحدهما : أرسلتُ إلى فلان الكافر الجبار وقد انتهى سمكاً فلم يُوجد له في الوقت فاستخرجتُ ذلك له ليُكمل له في الدنيا لذته ولثلاً يكون / له في الآخرة من نصيب . وقال الآخر : بُعثت إلى عابد من العبّاد وقد طبّخ قدرا من عشب الأرض وبقليها وقد واصل الصومَ أياماً ليُفطرَ عليها ، لأُكفّثها (3) له لثلاً يُكمل الله (عج) له ما أراد من الدنيا فيكون له منها حظٌ ، ليُكمل الله (عج) له حفظه من الآخرة .

ثمّ قال المعزّ (صلع) : وقد أعطى الله (عج) سليمانَ بن داود وكثيرا من أوليائه الصالحين من عباده من الدنّيا كثيرا وأعطى كذلك الفراعنة والجبابرة ، وحرم كثيرا من أنبيائه وعباده الصّالحين إيّاها ، وفعل ذلك

(1) هذا من أمثال العرب ، قاله ضرار بن عمرو الضبي (انظر مجمع الأمثال للميداني 333/2) .
(2) نسبهما الجاحظ في الحيوان 6 : 506 لأعرابي، وفيه : « وجعلت أسقامها ... » ، (وانظر : أبو هلال العسكري : الأمثال 246/2) . وذكر الطبري (التاريخ 5 : 335) أن عامل معاوية على المدينة كان إذا أراد أن يرد بريدا إلى معاوية أمر مناديه فنادى : من له حاجة يكتب إلى أمير المؤمنين ، فكتب زر بن حبیش أو أيمن بن خريم كتابا لطيفا ورمى به في الكتب وفيه الأبيات . فلما وردت الكتب عليه فقرأ هذا الكتاب قال : نعم إني نفسي .
(3) أكفأ الإناء إكفاء : قلبه ليصب ما فيه .

بكثير من الكفّار ، وذلك من عدله (عج) بين عباداه وحكمته في خلقه وقسطه بين بريته ، لم / يظلم المحسن فيما زوى عنه من الدنيا ونقص منها عليه إذ عوّضه منها ثواب الآخرة الذي هو خير له ، بل أحسن * في ذلك بأنعم عليه ولم يحرم المسيء شهوته إملاء له وإحساناً منه فيها إليه . فكلاهما بنعمته في الدنيا مخصوص مرعي وفي الآخرة مثاب مجزي ، وله الحجة البالغة والنعمة السابغة على المحسن لنفسه والمسيء إليها ، والناظر لها والجاني عليها ، ولا يظلم الله الناس شيئاً كما قال جل ثناؤه : « وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ (1) » .

فحديث الملتكّن معروف مشهور (2) ، ولكنّ الفائدة في بيان المعزّ (صلح) إياه وإقامة عدل الله (عج) وحكمته فيه . وما أحصي كم مرّ بي هذا الحديث فما أفادني شيئاً / حتّى سمعتُ بيان المعزّ (صلح) وشرحه إياه هذا .

وفي كتاب الله (عج) ما يشدّه ويؤيده ويوضحه ويؤكدّه . [فم] ما قال جلّ ثناؤه : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (3) » .

وقال : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (4) » .

وقال (عج) : « وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طِبَّاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا (5) » .

وقوله : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ / نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا . وَمَنْ أَرَادَ

(1) يونس 44 .

(2) حديث الملكين : لم نجده في الكتب الستة . وذكره عباس القمي في سفينة البحار ، ج 2 ص 548 .

(3) هود ، 15 - 16 .

(4) الشورى ، 20 .

(5) الأحقاف ، 20 .

الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ،
كُلًّا نُّنَمِّدُهُ هَوَآءًا وَهَوَآءًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ * وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ
مَحْظُورًا ، انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ
دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (1) .

وكلّ هذا يؤيد قول المعزّ (صلع) أنّ ذلك عدلٌ من عدلِ الله (عج) بين
خلقه وحِكْمَةٍ بالغةٍ في عبادته وعطاءٍ ونِعْمَةٍ منه ، كما قال (عج) في كتابه .
وقد جاء عن رسول الله أنّه قال : إنّ الله (عج) يُعطي الدنيا مَنْ يحبّ
ويُبغِضُ ، ولا يعطي الآخرةَ إلّا مَنْ يحبّ (2) .

وعن عليّ (صع) أنّه قال : الدنيا عَرَضٌ حاضر يأكل منها البرّ والفاجرُ /
والآخرة وعدٌّ صادقٌ لا ينالها إلّا المطيعُ الشاكر . ومطاييبُ الدنيا ما زُوِي
منها عن المؤمن لا يَنْكِيهِ كَمَا يَنْكِي ذلك الكافر .

فما أحصي ما أفادني حديث المعزّ (صع) هذا ، من السُّلوان والصبرِ عن
فائت أعراض الدنيا وما يتعرّض فيها من النكّد والتكديرِ والشدّة واعتياصِ
الأمور ، إذا ذكرته عند (3) ذلك ونزلت الأمر فيه تنزيله هو (صلع) . وكان
حظّي من الفائدة بحمد الله في ذلك حظًا عظيمًا ، نسأل الله إلْهِامَ الشُّكْرِ والفوائدِ
من كلّ أمرٍ .

حديثٌ في مجلسٍ فيه رمز من التّأويل :

135 — (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله (صع) أمير المؤمنين يومًا في
بعض مجالسه يقول : ذكر جدّنا أبو / جعفر محمد بن عليّ (صلع) (4) يومًا لبعض
أصحابه بعضَ ما خصّه الله (عج) به من العلم (5)

(1) الاسراء ، 18 - 21 .

(2) حديث : ان الله يعطي الدنيا ... جاء في الجامع الصغير (ج 1 ص 359) حديث في هذا المعنى : إنّ الله
يعطي الدنيا على نية الآخرة ، وأبى أن يعطي الآخرة على نية الدنيا . وجاء في الكافي للكليني
(ج 2 ص 214-215 ، رقم 4-1) بلفظ أقرب إلى رواية المجالس .

(3) في أ : إذا ذكرنا عند ذلك ...

(4) محمد الباقر : انظر ص 77 .

(5) انظر الرأي في أنّ الذي « يجب قبوله وتعلمه ونقله من العلم هو ما جاء عن الأئمة من آل محمد » في دعائم
الاسلام 84/1 .

وذكر ذلك المعزّ (صلع) عنه، قال : فرأى (عم) ممن حدثه بذلك ما دلّ على أنّه لم يحتمل ما سمعه منه وكأنّ أنفسهم أنكرته ، فقال : إن تُنكروا ما قلتُ فما هو شيء افتعلته ، ولكنها حكمة ورثتها عن آبائي وفضلٌ حصّني به ربّي أن علمني وآبائي من قبلي علم كتابه الذي يقول فيه : « مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (1) » وقال فيه : « تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ (2) » . فما من شيء من الأشياء إلّا وهو في كتاب الله (عج) ونحن نعلمه .

قال المعزّ (صلع) : أليس قد قال رسول الله (صلع) في القرآن : فِيهِ نَبَأٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَخَبْرٌ مِّنْ بَعْدِكُمْ ؟

قلت : نعم !

قال : فأين / تجدون في الكتاب خبراً مِّنْ بَعْدِكُمْ ؟

قلت : من عِنْدِكُمْ (صلع) نجده .

قال : من عندنا والله تجدونه ، وكلّ ما تطلبون ، ما سلّمتم لأمرنا وتمسّكتم بحبّلتنا ودنّتم بإمامتينا .

وهذا الحديث الذي ذكره المعزّ (صلع) معروف مشهور ، يروى عن الحارث الأعور (3) قال : دخلت المسجد فأصبت الناس قد وقعوا في الأحاديث ، فأتيت عليّاً (صلع) فأخبرته بذلك .

قال : قد فعلوها ؟ !

قلت : نعم !

قال : أما إنّي سمعت رسول الله (صلع) يقول : أما إنّه سيكونُ مِن بعدي " (قال) قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟

(1) الأنعام ، 38 .

(2) النحل ، 89 .

(3) حديث الحارث بن عبد الله : ذكره الترمذي (ج 1 ص 30) بهذا اللفظ تقريباً ، وزاد : لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال . وذكره الدارمي (ج 1 ص 435) والسيوطي في الجامع الصغير (ج 1 ص 448) .
والحارث هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني الكوفي . من كبار علماء التابعين ، كان فقيهما فرضياً ، روى عن الإمام علي وابن مسعود وزيد بن ثابت . شهد صفين مع علي . وكانت وفاته سنة 65 هـ . (ابن حجر : تهذيب 145/2 الذهبي : ميزان الاعتدال ، 202/1) .

قال : كتابُ الله (عج) : فيه نَبَأٌ مَنْ قَبْلَكُمْ وخبرٌ مَنْ بَعْدَكُمْ وحُكْمٌ ما بينكم .
هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه / من جَبَّارٌ قصمهُ الله ، ومن ابتغى الهدى في
غيره أضلَّهُ الله . هو جبل الله المتينُ ، وهو ذكرهُ الحكيمُ ، وهو الصِّراطُ المستقيم . هو
الذي لا تَزِيغُ عنه الأهواءُ ، ولا تَلْتَبِيسُ به الألسُنُ ، ولا تشبَعُ منه العلماءُ ، ولا
يخلُقُ على رَدٍّ ولا تَكَرُّرٍ ، ولا تنقضي عجائبُهُ . هو الذي لم تَلْبَثِ الجنُّ إِذْ سمعتهُ
أن قالوا : « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) » ، من قال به صدَّقَ ومن عَمِلَ به
أَجِرَ ، ومن حكم به عَدَلَ ، ومن دعا إليه هُديَ الصِّراطِ المستقيمِ ،
ومن اعتصم * به غَنِمَ . خذها يا أعورُ !

وما أدري كم مرَّ بي هذا الحديث ولا كم قرأته وكتبته ، فلا والله ما أفكرت
في قوله : وفيه خبرٌ مَنْ بَعْدَكُمْ حتَّى فتح لي ذلك المعزُّ (صلع) / .

وهذا حديث قد رواه عامةُ أصحاب الحديث فينبغي لهم أن يطلبوا في القرآن
خبرَ مَنْ يأتي من بعدهم . فإن لم يجدوه فليسألوا عنه أهلَه كما أمرهم الله (عج)
بقوله : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (2) » .

وقول المعزِّ (صلع) : إِنْ عَندَنَا عِلْمٌ ما يُطَلَّبُ ، كقول جدِّه علي
(عم) : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي فلقَ الحَبَّةَ وبرأ النَّسَمَةَ لا تسألون [ن]بي
عن علمٍ ما كان وما يَكُونُ وعن علمٍ ما لا تعلمون إلا أخبرتكم به ، علَّمتِ به
النبيُّ الصَّادقُ عن الرُّوحِ الأمينِ عن ربِّ العالمين . وكقول جدِّه جعفر بن محمَّد
(صلع) : إِنْ العِلْمُ الذي نزل به آدَمُ (عم) لم يُرْفَعْ وإنه يُتَوَارَثُ وهو / فينا
نتوارثه (3) .

كلام في مجلس في الحثِّ على طلب العلم :

136 - (قال) وجلست بين يدي المعزِّ (صلع) يوما مع جماعة من أوليائه فسكت
طويلا وسكتنا ، ثم رفع رأسه ونظر إلينا ، فقال : ما لكم سكتتم هذا السَّكوتَ ؟ !
أَحْصَرْنَاكُمْ (4) ؟ ! أَلَا تَسْأَلُونَنَا عَمَّا تَتَفَعَّلُونَ به ؟ سلونا عن أمر دينكم ولا

(1) الجن ، 1 .

(2) النحل ، 43 .

(3) في توارث العلم بين الأئمة ، انظر ص 136 .

(4) أ : أحصرتكم . وحصره : أخجله وأفحمه فلم يقدر على الكلام .

تَهَيَّبُوا أَنْ تَسْأَلُوا . فَإِنَّ عِنْدَنَا لِكُلِّ مَا تَرِيدُونَ جَوَابًا كَافِيًا وَعِلْمًا شَافِيًا . إِنْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَع) كَانُوا رَبَّمَا يَتَهَيَّبُونَ أَنْ يَسْأَلُوهُ، وَكَانَ الْأَعْرَابُ يَرِدُونَ عَلَيْهِ وَلَا يَرْجِعُونَ عَنِ السَّوَالِ عَنْ كُلِّ مَا عَرَضَ لَهُمْ . وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَع) يَتَمَنُّونَ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلُ بِحَضْرَتِهِمْ لِيَسْمَعُوا الْجَوَابَ / .

فقلت : أَلَا أَكُونُ أَنَا أَحَدُ أُولَئِكَ الْأَعْرَابِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

فَبَسَمَ وَقَالَ : نَعَمْ ، فَكُنْ إِنْ شِئْتَ !

فقلت : قَدْ بَلَّغْنَا أَنْ بَعْضَهُمْ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَع) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَّمَنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ . فَأَنَا أَقُولُ : عَلَّمْنَا ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ م/م/ لَا غَنَاءَ بِنَا عَنْ عِلْمِهِ — وَإِنْ جَهِلْنَا سَوَالَهُ — وَمَا يُرْضِيكَ وَيُرْضِي اللَّهَ عَنَّا لَنَحْظِيَ بِهِ وَبِعِلْمِهِ .

فَقَالَ (صَلَع) : نَعَمْ . أَخْلَصُوا قُلُوبَكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ ، وَاعْمَلُوا بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ لَنَا عَلَيْكُمْ بِمَبْلَغِ طَاقَتِكُمْ .

لِنَنْظُرَ أَحَدُكُمْ مَا يَحِبُّهُ لِنَفْسِهِ . هَلْ يَحِبُّ لَهَا أَنْ تَكُونَ عَلَى خَيْرٍ وَهَدًى ؟

لِنَنْظُرَ أَحَدُكُمْ مَا يَحِبُّهُ مِنْ وَلَدِهِ ، هَلْ يَرِيدُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَفِيفًا / صَالِحًا بَرًّا تَقِيًّا وَرِعًا عَالِمًا ؟

لِنَنْظُرَ أَحَدُكُمْ مَا يُرِيدُهُ مِنْ عَبْدِهِ . هَلْ يَرِيدُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَمِينًا مَطِيعًا مُجْتَهِدًا ؟

فَهَذَا مُرَادِي فِيكُمْ وَبِهِ تَبْلُغُونَ رِضَى اللَّهِ وَرِضَانَا عَنْكُمْ .

فَنَظَرْتُ فِيمَا قَالَ (صَلَع) مِنْ هَذَا الْقَوْلِ فَوَجَدْتُهُ جَامِعًا لَوُجُوهِ الْخَيْرِ كُلِّهَا ، وَرَأَيْتُ أَنَّ قَلَّ مَنْ يَقُومُ بِهِ .

فقلت : يَا مَوْلَانَا ، وَإِنْ قَصَرْتُ بِنَا أَعْمَالُنَا؟ فَإِنَّا نَرْجُو بُلُوغَ رِضَاكَ بِعَفْوِكَ وَنِعْمَتِكَ وَإِحْسَانِكَ وَفَضْلِكَ وَتَغَمَّدِكَ . وَإِنَّا إِنْ أَتَيْنَاكَ فَاسْتَغْفَرْنَا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرْتَ لَنَا ، [نَرْجُو] أَنْ نَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ (عَج) : «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (1)»

وأنت/ خلّف رسول الله (صلع) فينا ومفرّعنا لاستغفارنا • من ذنوبنا وتقصيرنا وظلمنا لأنفسنا .

فقال : ذلك يكون مع ما قدّمنا من تصحيح التّيات ، وإلاّ فقد أخبرك الله (عج) عن قومٍ سألوا رسول الله (صلع) أن يستغفرَ لهم عن غير نيّة فلم يَغْفِرْ لهم ، فقال : « سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ : شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ... الآية (1) » .

قلتُ : قد يعلمُ الطّيبُ من حال العليلِ ما لا يعلمهُ العليلُ من نفسه ، ومولانا أعلمُ بدائنا ودوائنا .

قال : أجل ، إنّ العليل إذا قيل عن الطّيب ما يأمره من أخذ الغذاء والدواء شَفِييَ بإذن الله، وإن / خالف هَلَكَ . فأنتم إن قبلتم منا سعادتكم ونَجَوْتُمْ وصرتم إلى الراحة الطويلة والبقاء الدائم ، وإن خالفتمونا أهلكتم أنفسكم بخلافنا .

فقال بعض من حضر : فضل مولانا ورحمته يسعنا وما نرجو غير ذلك . فقال : إنّ الله (عج) يقول : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ (2) » . فمن اتقى منكم فَلْيَرْجُ رَحْمَتَهُ

وفي مثل ذلك :

(قال) وانقبض (صع) عن الأولياء بعض الانقباض ، وجبرى ذكر ذلك فاسترحمته واسترفقته واستعطفته ، فقال (عم) : والله ما هم بأرغب منّي في صلاحهم وبلوغهم نهاية آمالهم ، واكنّني لم أجد منهم من ذلك ما أردته ، ولو وجدته فيهم لوجدوا عندي خير الدنيا / والآخرة . ولقد أقبلت فما أقبلوا ودعوت فما أجابوا . فما كنت أنت صانعاً بولدك لو أسلمته إلى المكتب فتركه وأقبل على اللعب بالكلاب ؟

قلت : كنت أجهّد نفسي في تقويمه وتعليمه ولا أدعُه لاختياره .

(1) الفتح ، 11 .

(2) الأعراف ، 156 .

فقال : إلى متى ؟ وهل لذلك من غاية ؟ هيهات ! ما لمن لا يُقْبِلُ على الموعظة * في الوعظ من نهاية .

كلام في مجلس في غَمَطِ النِّعْمَةِ :

137 — (قال) وسمعتَه (صلع) وقد أتى برأس يعلى بن محمد بن صالح (1) ورأس أخيه ، فوضعا بين يديه ، فقال : هذا ممن قال الله فيه : « أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » (2) ؟ . قد صنعنا بما ما قد علمتوه ، أعطيناه من سلطان الله (عج) الذي أعطانا / ، وملكناه وخولناه وأعزَّنناه ، وكان رأينا فيه العفو والصفح عما يبلِّغنا عنه من غمط النعمة وكفر الإحسان ما ظهر بالطاعة ، فأبى الله (عج) لنا من أن نقرَّ على المكروه والضييم ، فأبدى عليه ما أبطنه وأظهر ما أسره وعجل منه انتقامه وسلبته نِعْمَتَهُ كعادته عندنا فيمن كان كأمثاله .

كلام في فضل الطاعة جرى في مجلس :

138 — (قال) وسمعتَه (صلع) يوما وقد دخل إليه جماعة من الأولياء والعبيد ورجال المملكة ، فأوصاهم بوصايا كان فيما حفظته منها أن قال لهم : السعيدُ والله منكم مَنْ امْتَثَلَ أَمْرًا وَقَبِلَ عَنَّا . والله ما هو إلا أن يأخذ المرء نفسه ويروضها قليلا على طاعتنا والعمل بما يُرضينا ، / فما أيسرَ ما يناله من ذلك حتَّى ينالَ خيرَ الدنيا والآخرة . إنَّ الله (عج) قد وصل أيامَ سُلْطَاننا وظهورَ أَمْرنا بأيام الآخرة ، فمن أَحْسَنَ منكمُ فيها اتَّصَلَتْ لَهُ سَعَادَةُ الدُّنْيَا بِسَعَادَةِ الآخِرَةِ واجتمع له خيرُهُما ، ومن غَلَبَتْ عليه شهوةُ عاجلِ الدُّنْيَا حتَّى يَخَالَفَ أَمْرنا ويعتاضَ منه حُطْأما قليلا خسرَ الدُّنْيَا والآخرة . ذلك هو الخُسْران المبين ، حسبكم وصيةً عَنَّا ما تشاهدونه مِنَّا * ، فاقْتَدُوا بنا واقْبَضُوا أثْرنا . والله لو لم تجِب طاعتُنا واتِّبَاعُ أَمْرنا عليكم إلاَّ بإحساننا في أمور الدُّنْيَا إليكم ، لكانَ من الواجب الوفاءُ لنا

(1) أمير تاهرت وافكان وطينجة . كان متمسكا بدعوة بني أمية ، وقتله القائد جوهر سنة 347 هـ (انظر ابن خلدون : المبر 46/4 ، وابن الخطيب : أعمال الأعلام 164/3 ، وابن عذاري : البيان 222/2 والناصري : الاستقصاء 198/1) .

(2) الزمر ، 19 .

منكم وأن تكافئونا بإحساننا إليكم . فكيف وقد جمع الله لكم بنا خير الدنيا والآخرة ؟ / والله إن الرجل المتمسك بشيء من المروءة والأدب ليكون له الصديق والصاحب يأمره بالأمر فلا يرى مخالفة أمره ، ويكلفه الحاجة فيبذل فيها مجهوده ، فكيف من يعتقده إمامتنا ويعرف فرض طاعتنا !

حديث في الإمامة جرى في مجلس :

139 — (قال) وسمعت (صلى) ذكر داعيا من دعائه بالمشرق فأثنى عليه خيرا ، قال : لما اخترناه للموضع الذي هو به قال بعض من أراد الطعن عليه : إنه ليس بالبازع في العلم . فقلت : ذلك الذي أوجب اختياره ليعلم هو ومن كان قد عرفه قبل أن يصل فضلنا إليه إذ هو وصل ، كيف يكون تأثيره فيه ، وما يرى من مادتنا عنده وما / يظهر من النور فيه عند اتصال أمرنا به ، فيكون في ذلك المعجز الباهر لنا .

(قال) فكذلك كان بحمد الله .

ثم قال (عم) : وماذا عسى أن يدعي مدعي شيئا من العلم إلا ما قد أثره عن آبائنا وأسلافنا بوسائط بينه وبينهم من أوليائنا (1) وعبيدنا . أثبتهم حديثا وأصدقهم لهجة من يعبر عن المعنى الذي يحتمل التأويل والزيادة والنقص عند التحصيل (2) ، فذلك أفضل أم من نُمِده بالهداية والفوائد والحكمة ؟

وأبعد الناس والله من العلم وأقربهم من الجهل من تعاطى علما لم * يثبتته عنا وادعى حكمة لم يأخذها منا ، وما أكثر ما هلك من خالفنا إلا بإعجابهم بأنفسهم / وأنفتهم أن يسألونا كما أمرهم الله (عج) في القرآن المبين إذ قال : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (3) ، فلم يفعلوا واتبعوا أهواءهم واستعملوا آراءهم فأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل .

(1) ب : سقط : وأسلافنا ... أوليائنا .

(2) ب : عند التحصيل .

(3) النحل ، 43 .

كلام في مجلس في ذكر أهل البغي والفساد :

140 - (قال) وسمعتَه (صلع) يقول يوما وقد ذكر أهل البغي الذين نجموا في أيام القوائم ، وقتلَهُم المنصورُ صلى الله عليهما وأحرقَهُم بعد القتل ، بالنسار .

فقال المعزّ (صلع) عند ذلك لجماعة بين يديه : ما تقولون فيهم وفي حالهم في عصر القوائم وفيما صنع المنصور (صلع) بهم ؟

قالوا : وما عسى أن نقول في ذلك وهو فعل إمامين ؟

قال : فما يقول الناس فيه ؟ أترون أنّ / القائم (صلع) قبل فيهم ما قالوه فقتل من قتل وعاقب من عاقب ، ثمّ رأى المنصور (صلع) أنّ ذلك باطل وظلم ، فقتلهم بهم ، وفي ظاهر ذلك إنكار فعل القائم (عم) وتغيير أمره ؟

قالوا : قول الناس في ذلك يختلف بقدر اختلاف أهوائهم .

فقال : أما إنسي والله لقد قلت في ذلك قولاً بحضرة المنصور (صلع) وقد جرى عنده ذكر ذلك وبحضرته جماعة ، فجعلوا يشكرون له فعله فيهم ويصفون ما كان منهم ومن ابتلي بأسبابهم حتّى لم يبقَ لهم إلّا أن يجردوا القول بظلم القوائم (صلع) . وإن كان في فحوى قولهم ما أوجب ذلك في اعتقادهم لما ، أبدوه من قولهم .

فضاق لذلك صدري وقلت فيه / للقوم قولاً غليظاً بيّنتُ لهم فيه خطأ ما كان منهم ، فابتهج لذلك المنصور (صلع) وقربني إليه وضمّني إلى صدره وقبّل بين عيني وقال : وفيتّ للقائم (صلع) لما كان يخلصك به من المحبة ويؤثرك به من القرب منه والاختصاص به .

فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يكشف لهؤلاء القول في ذلك ويبين لهم حقيقة معناه ليعلموا ذلك ، فعله .

فأطرق مليّاً وتنفس الصعداء ثمّ قال : والله ما كانت الجناية يومئذ من أولئك القوم السيّء إلّا عليه ولا كان الممتحن غيره . لما كانوا يوردونه عليه ويرفعون إليه ممّالاً لا يسعّه تركه ولا إهماله ولا الإغضاء عنه دون الوقوف

على حقيقة / أمره وصدقه من كذب به. والله ما عاقب أحدا بقول أحد من هؤلاء وإن رفعوا ما رفعوه، ولا عاقب من عاقب إلا بقول قوم كانت لهم ولاية واختصاص، وكان يأخذ بهم قبل ذلك ويعطي ويثيب ويتجزى من بعد أن راجعهم في ذلك وحذرهم لئلا يثمت عليهم في ذلك وناشدهم الله له إذا كان ما رفعه هؤلاء على سبيل شبهة. وما لم يكن لمن ارتضاه قطع القول فيه -- وهو أكثر ما رفعه هؤلاء -- أبقاء وأوقفه إلى أن ينظر فيه. وما عاقب إلا القليل بعد است فراغ المجهود في الكشف والبيان، وأبقى ما أبقاء إلى أن أفضى أمر ذلك إلي فاتضح عندي ما اتضح، وصح ما صح، ووجب لدي / ما فعلته. فأمضيت ذلك الفعل فأطلقت بعضا ببراءتهم، وبعضا بشبهة رأيت ستر الأمر فيها عليهم، وبعضا بالعمو عنهم حسب ما أوجبه الزمان والوقت، ولو (1) مُدّ في أيام القوائم (صلح) إلى ذلك العصر لم يعد ذلك الفعل.

ثم قال المعز (صلح) : فالقائم والمنصور صلوات الله عليهما في ذلك كنفس واحدة وأمرهما فيه متصل غير منقطع، كما أن الإمام الواحد يرتضي حال الرجل من رجاله فيستعمله ويوليّه ويقربه ويخصّه ويدنيه، ثم يبين له بعد ذلك ما يوجب عزله وإبعاده فيبعدّه ويخصيه ويعزله، وربما استحقّ عنده القتل فيقتله، وربما تمادى رضاه عنه ولم يتبين / له ما يوجب سُخطه عليه أيام حياته، ويتبين ذلك للإمام الذي يأتي من بعده فيفعل ذلك فيه، وكلاهما على هدى من الله وصواب وتوفيق وإرشاد.

فعلى مثل هذا جرى أمر هؤلاء، لا على أن القائم بأمر الله (صلح) فعل فعلا أنكره المنصور غيره. ولكنه تبيين له ما كان القائم بأمر الله (عم) أوقف [من] ذلك الأمر إلى أن يتبين له ما تبيين للمنصور (عم) فأمضاه على ما لتو تبيّن القائم لم يعد فعله. وقد قال الله (عج) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (2) » ولم تجب عقوبة القوم أولا فيما رفعوه ولا عقوبة من رفعوا فيه دون البيان الذي أمر / الله (عج) به.

(1) أ : وكما لو ...

ب : كما لو ...

(2) المجرات ، 6 .

ثم قال المعزّ (صلع) : والواجب في مثل هذا على العباد التسليم لأولياء الله وترك * الاعتراض فيه عليهم والإنكار لفعالهم ، إذ كلّ فعلهم حكمة وصواب فيما عرفه العباد أو جهلوه ، ورضوه أو كرهوه ، لأنّ أفعالهم بأمر الله سبحانه وتعالى ، كما أن الله تبارك اسمه يُحيي ويُميت ويُصيح ويسقم ويغني ويفقر ويُعزّز ويُذلّ ويرفع ويضع . وذلك كلّهُ منه (عج) حكمة بالغة وعدل وصواب ، «لَا يُسألُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسألُونَ» (1) كما قال وهو أصدق القائلين .

وكذلك ما يجريه على أيدي أوليائه هو أمر من أمر الله (2) وحكمة من حكمته وعدل على عباده .

وليس تتغير أفعال أولياء الله ولا تختلف وإن / اختلف ظاهرها في العيان . لأنّ لكلّ حكم منها وقتا وزمانا لا يصلح إلاّ عليه ولا يستقيم إلاّ به . ذلك كلّهُ صواب وحكمة ، وإن رآه الناس تغايرا واختلافا .

(1) الأنبياء ، 23 .

(2) أ : من أمره .

الجزء الثالث عشر

بسم الله الرحمان الرحيم

كلام ذكر في مجلس في اختلاف ظاهر طباع الأئمة (صلى الله عليه وسلم) :

141 - قال القاضي النعمان بن محمد: سمعت الإمام المعز لدين الله صلوات الله عليه يذكر اختلاف أحوال الأئمة فيما يراه الناس في الضبط والكفاية والقيام بأمور الأمة، فقال: «إن الله (عج) * قد فرق من ذلك بين أحوال النبيين فقال وهو أصدق القائلين لنبيه محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله / : «فأصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعِزْمِ مِنْ الرُّسُلِ (2) « فَأَخْبِرْهُ أَنْتَ مِنْ رُسُلِهِ أَوْلِي الْعِزْمِ (3) ، وقال: «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْلُغَ فِتْنَتَيْهِ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا (4) » ، وذكر قصة يونس (عم) وأنه ضاق ذرعا بما حُمِّلَهُ من الرسالة وذهب مغاضبا . وأنبياء الله على ذلك في درجة النبوة والمنزلة من الله (صلى الله عليه وسلم) .

(1) ب : قبل البسلة ، كتبت هذه العبارة : الجزء الثالث عشر من الأجزاء المؤلفة من كتاب المجالس والمسامرة (كذا) لسيدنا قاضي القضاة النعمان بن محمد .

(2) الأحقاف ، 35 .

(3) أ : فأخبره من رسله أولو العزم .

ب : فأخبره أن من رسله أولو العزم .

(4) طه ، 115 .

وكذلك الأئمة صلوات الله عليهم منهم ذو عزم وحزم ، ومنهم أولو رافة ورحمة ، ومنهم ذو جلّد وصبر ، ومنهم من لا يحتمل شدة الأمر . وكلّ واحد منهم يصلح لزمانه ويحسن لمكانه لأنّ الله (عج) هو الذي اختارهم وأقامهم وجعل كلّ إمام منهم حجةً على أهل عصره وقائماً فيهم بأمره .

ثمّ ذكر (صلح) ما امتحن / الله (عج) به القائم (عم) من فساد أهل زمانه وما كان من أمر الفتنة في أيامه ، وصبره على ذلك واحتماله (عم) ما حمّله واشتضاعه به (صلح) ورحمته (1) .

كلام ذكر في مجلس في القرب والبعد :

142 - (قال) وسمعت (صلح) يقول : كم من قريب منّي يراه النّاس أنخصّ الناس بي وهو أبعدهم منّي ، وشاسع عنّي بعيد هو أقرب إليّ من جبل الوريد . فمن أراد أن يعلم من قرّب منّي ممّن بعد فلينظر إلى أحواله وأعماله . فوالله لا يقرب منّي إلاّ من قرّبته أعماله (2) الصّالحة ولو كان في أطراف الأرض ، ولا يبعد منّي إلاّ من باعدته قبائح أعماله ولو كان تحت سريري هذا . القريب والله / منّي في الدّنيا من جمعه معي رضوان الله في الآخرة ، والبعيد من باعده عنّي سخط الله في الآخرة . فمن شاء أن يفتّر به لما يرى من قربهِ وهو على خلافه ، فـ[ي]سما يرضاه الله (عج) منه (3) .

كلام ذكر في مجلس في فساد أحوال أكثر النّاس (4) :

143 - (قال) وذكر (صلح) فساد أكثر النّاس وما يحاوه من ذلك ، فقال : إن نحن حلّمنا عن زلاتهم وسيئاتهم لم يحتشموا وظنّوا أنّهم على صواب في أفعالهم ، وإن نحن أبديناهم لهم ولم نعاقيهم عليها كان ذلك ذريعة لهم إليها . والله المستعان على ما نحاوله من أمورهم .

(1) في النسختين : ورحمته كما أثبتنا ، ولا صلة لها بالسياق ، ولعلها بقية دعاء مقطوعة عن (صلح) .

(2) ب : فمن أراد أن من قرب منّي إلاّ من قرّبته أعماله ...

(3) أ : فمن شاء أن يفتّر بمن شاء أن يفتّر به ... والقراءة بعد ظنية .

(4) ب : أحوال النّاس .

كلام جرى في مجلس في ذم بني أمية :

144 - (قال) وسمعت (صلع) / يوما يقول : بلغني أن هؤلاء اللعناء بني أمية يلعنونا على منابرهم بالأندلس . وقديما ما فعل ذلك اللعناء آباؤهم وكانوا يلعنون علينا (صلع) على منابرهم فما زاده الله (عج) بذلك عنده وعند الخلق إلا رفعة ولا زادهم إلا عارا ونقيصة . إنما أراد الفسقة بذلك ، الانتصار لأسلافهم لعناء رسول الله (صلع) وطرده وولولا ما ظاهروا الناس به من انتحال الإسلام لم يقتصروا في ذلك علينا ولأبدوه في رسول الله (صلع) .

ولن يعدوا لعنهم إيانا أمرين : إما أن ينسبونا إلى نسبنا من رسول الله (صلع) عند لعنهم إيانا ، فكفاهم بذلك خيزيا عند الله وعند عباده . وإما / أن ينسبونا إلى غير أنسابنا فيصرف الله ذلك عنا كما قال رسول الله (صلع) فيما كان أسلافهم يتناولونه به قبل أن يُمَكِّته الله (عج) منهم ، فكانوا يسمونه مُدَمِّمًا ويسبونه . فقال : أما ترون ما صرف الله عني من شر هؤلاء ؟ يسبون مدمما ولست به (1) ؟

ثم قال : وإنما اللعن في اللغة الطرد . فهم طرداء رسول الله (صلع) لا يدفعون ذلك ولا ينكرونها ، هم ولا من انتصر لهم . فهم أهل اللعنة من الله ومن رسوله . ثم قال : والله إن في أنسابهم لمقالا واتساعا للطعن ومجالا ، ولكنهم لو نسبوا إلى القردة والخنازير لكانوا أفضل ممن نسبوا إليه : عبد الملك بن مروان اللعين ابن اللعينين الطريد ابن الطريدين ، / لعن رسول الله (صلع) جدّه الحكم وأباه مروان اللعين في صلبه ونفاه عن حرمه ، فلم يزل ومروان منفيين حياة رسول الله (صلع) وحياة القائميين من بعده إلى أن ردهما عثمان . وكان ذلك من أعظم ما نقم الناس عليه واستحلوا قتله من أجله . ونفى رسول الله (صلع) جدّه لأمة معاوية بن مغيرة بن أبي العاص بن أمية فتخلف فأمر علينا صلوات الله عليه فضرب عنقه ، فهذه أصولهم التي ادّعوها وأنسابهم التي انتسبوا إليها فكفاهم عارا وخزيا ونقيصة بها ، فما يضعهم واضع يريد ضعتهم بمثلها ولا ينقصهم بأنقص منها .

(1) حديث : يسبون مدما : ورد عند البخاري ج 4 ص 225 وابن حنبل 2 / 244 رقم 7327 على هذه الصورة : ألا تعجبون كيف يصرف عني شتم قريش ؟ يشتمون مدما ، ويلعنون مدما ، وأنا محمد !

قول في قبول الموعظة :

145 — (قال) • وذكرت للإمام المعز / لدين الله (صلع) يوما ما يتفاوض الناس فيه مما يأترون عنه ويسمعون منه من المواعظ والحكم في خطبه ومواقفه ومخاطباته ومواعظه وما دُونَ من ذلك وكتب . فقال : ما يروون بحمد الله من ذلك عنا ويسمعون منا إلا ما يرضاه الله (عج) ويتقبله إن شاء الله . وما نريد بما نقوله لهم ونُشِيتُهُ فيهم ، و[ما] نبتغي به إلا وجه الله ، ونحب به صلاحهم وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم . فإن قبلوا عنا ما يسمعون منه فقد فازوا بذلك ، وإن يُعْرِضُوا عنه فما علينا إلا النصيحة لهم والبلاغ إليهم . وهم بحمد الله في عصرنا أمثلُ منهم في غيره لما من الله به عليهم من إقبالنا عليهم⁽¹⁾ . ونسأل الله توفيقهم لما يرضيه / ويرضينا عنهم .

وفي مثل ذلك :

146 — (قال) وسمعت قبل ذلك يقول (عم) : سمعت المنصور بالله (صلع) يقول : قد كنت أحب أن لو أثار الناس عنا ما نقول ووَعَوَهُ وكتَبُوهُ ، فإن ذلك مما كان ينفعُهُمْ ومَن يأتي من بعدهم .

قال : وذكر رجلا من ذوي الفهم بعلوم الدنيا وآدابها وأخبارها قد صحب المهدي والقائم (صلع) مدة أيام سلطانهما وفي خدمتهما وكان خصيصا بهما قريبا منهما . ثم كبُرت سنه وخرق وثقل وضعف في أيام المنصور (صلع) . فأهدى إليه كتبا جمعها وألفها في الأخبار عن سير بني أمية وبني العباس وأخبارهم وما جاء عنهم من روايات المخالفين لنا والصادقين عنا وعن أمرنا / .

فعميت لرجل صحب من الأئمة (صلع) مَن صحب وقرب منهم كمثلهما قرب أكثر⁽²⁾ أيام حياته وعامة عمره ، لم يوفق إلى جمع شيء مما سمعه من حكمة جرت على ألسنتهم ، أو علم علمه عنهم ، فيخلد ويؤثر عنه ويكتب ويسمع منه . مكان هذا الذي جمعه ورأى أنه أتحقنا به .

(1) أ : إقبالهم عليهم .

(2) أ : ما قرب أيام حياته .

وهذا ممّا ذكره المعزّ (صلع)، في الحديث الذي قبل هذا : أنّ الناس في عصره بحمد الله أمثل منهم في غيره (1) إذ هم يأثرون ويرغبون ويكتبون .

كلام في الموعظة جرى في مجلس (2) :

147 - (قال) وسمعت (صلع) يوما ذكر قولاً لبعض المخالفين فقال : لولا أن يُحمَلَ القولُ عنّا لما كان ينبغي أن يُحتجَّ على مثل هؤلاء إلاّ بكذا وكذا - وذكر قولاً لبعض المخالفين أيضاً - (قال) لأنّ هؤلاء لا يكادون يفقهون قول أهل الحقّ وإنّما / يقرب من عقولهم ما شاكلها من قول المبطلين مثلهم .

قد كان (3) بعض الحكماء المتقدمين عرض له مثل هذا من قوم لم يرهم يفقهون إلاّ ما قارب عقولهم فخطبهم من حيث يعقلون بما ليس هو من وجه الصواب عنده . فحمّل عنه ذلك وأضيف إليه إلى أن صار يعتذر منه إلى من يفهم ويبيّن الوجه فيه لمن يعلم . فما الحيلة فيمن لا يفهم قول الحقّ ، وإن خوطب بغيره عاد ذلك وبالا على من يخاطبه به ؟ إنّ هؤلاء « إلاّ كالأنعام » كما قال الله (عج) « بل هم أضلّ سبيلاً » (4) .

كلام في الروح جرى في مجلس :

148 - (قال) وسألته (عم) عن الحديث الذي يروى عن رسول الله (صلع) / أنّه وقف على القلب (5) يوم بدر وقد رمي فيه من قتيل من قادات المشركين يومئذ ، فقال : يا عتبة بن ربيعة (6) يا شيبة بن ربيعة (6) يا فلان •

(1) « في الحديث ... في غيره » : ساقطة من أ .

(2) ب : كلام في مخاطبة الجهال .

(3) ب : ولكن قد كان .

(4) الفرقان ، 44 .

(5) القلب ج قلب وأقلية ، البئر قلب ترابها ، وحديث القلب يروى في سيرة ابن هشام (ج 1 ص 638 - 640) بهذا اللفظ تقريباً مع أبيات حسان بعد وقعة بدر ، ومنها (وافر) :

يناديهم رسول الله أمّا
ألم تجدوا كلامي كان حقاً ،
قدفناهم كباكب في القلب :
وأمر الله يأخذ بالقلوب ؟

(6) عتبة وشيبة ، ابنا ربيعة ، من بني أمية بن عبد شمس ، قتلا يوم بدر ، الأول قتله عبيدة بن الحارث ، الثاني قتله حمزة بن عبد المطلب (أنظر المعارف لابن قتيبة ، 156 وطبقات ابن سعد ، 16/2 - 17) .

يا فلان ، — فذكرهم بأسمائهم — هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ؟ فإني وجدت ما وعد ربّي حقًا .

ف قيل له : يا رسول الله (صلع) ، تكلم جيفًا خاوية ؟

فقال : ما أنتم بأسمع منهم ، ولو أذن لهم في الجواب لأجابوا .

فقلت : إن فريقا من العامة احتجّوا بهذا الحديث في بقاء الأرواح وأنها تكون بعد خروجها من الأبدان قائمة تُشَابُّ وتُعاقَبُ إلى أن يبعث الله الخلق فتعود إلى الأبدان كما كانت . واحتجّوا بقول الله (عج) : « النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (1) » ، وبالأخبار / في عذاب القبر وغير ذلك .

وقال آخرون : مخاطبة رسول الله (صلع) لأهل القليب وقوله للذين سألوه عن ذلك : ما أنتم بأسمع منهم ، شيءٌ خصّه الله به في هؤلاء خاصة فأسمعهم قوله بعد الموت كما سمع قول عيسى من أحياءه . فأما الأرواح فإنّها تفتنى (2) بخروجها من الأبدان كما تفتنى الأبدان ، ثم يعيدها الله (عج) في النشأة الآخرة كما قال .

واحتجّوا بقوله : « [و] مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ (3) » وبغير ذلك مثل قوله : « كُلُّ مَن عَلَيْهَا فَانٍ (4) » ، وقوله : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ (5) » وقوله « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ (6) » .

فقال المعزّ (صلع) : في الروح كلام جليل يحتاج إلى شرح طويل وأصل يؤصل له / وفروع تفرّع منه في ابتدائه وانتهائه وانتقاله ، سوف تسمعون إن شاء الله .

(1) غافر ، 46 .

(2) أ : لا تفتنى .

(3) فاطر ، 22 .

(4) الرحمان ، 26 .

(5) القصص ، 88 .

(6) آل عمران ، 185 .

وأما ما سألت عنه من قول رسول الله (صلع) لأهل القلب ،
فإنه لم يُردّ به خطاب أولئك الموتى ، فلإنهم * قد عاينوا
ما صاروا إليه ، وكان قوله : هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ،
استفهاماً . فكيف يستفتيهم من يعلم أنه لا يُجيبه ؟
وإنما نحا بذلك الخطأ نحو مَنْ كان معه يومئذ ممن
كان على رأيهم من المنافقين ، تعريفاً لهم بما فعله الله (عج) بأصحابهم وما
أنجز من وعده له فيهم .

كلام في الأعقاب ذكر في مجلس :

149 - (قال) وسمعت (صلع) يقول : إن فيما أوحى الله (عج) إلى بعض
أنبيائه أنه يخلف الولي من أوليائه في / سبعة أعقاب من أعقابه بخير ، يعاقب الكافر
كذلك في أعقابه .

وهذا يُشبه قول رسول الله (صلع) : إن الله (عج) ليحفظ المؤمن في ولده
سبعين خريفاً (1) .

فقلت للمعز (صلع) عند ما ذكر من الخلف والعقوبة في الأعقاب : يا
مولانا ، أياكون هذا القول مجملاً يراد به مَنْ اقتفى من الأعقاب آثار آبائهم وسار
بسيرتهم وتوالاهم ؟

فقال (عم) : لا يكون من الطيب غير الطيب ولا من الخبيث غير الخبيث ،
وإن الخنظل لو سقي العسل ما أثمر إلاّ مرّاً ، وما رآه الناس في أسلاف أهل
الفضل من نقص فإنما رأوه نقصاً لنقص أفهامهم .

فلم أدر ما أراد بذلك مع قول / الله (عج) : «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ
ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» (2) .

(1) حديث : إن الله ليحفظ المؤمن في ولده ... ثم نجده في الصحاح والمسانيد التي بين أيدينا .

(2) الطور ، 21 .

وقوله : « بَلْ قَالُوا ... إِنَّا وَجَدْنَاهَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (1) » .

وقوله : « وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ » مِنْهُ (2) » .

وقوله : « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ » (3) .
حتى أخذ (صلح) في ذم قوم آباؤهم أئمة أطهار ، أخيار ، أبرار (4) ، وجعل يصف سوء حال الأبناء . فتبين لي وجه ما تقدم من قوله ، وأنه من قول الله (عج) لنوح في ابنه : « إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ (5) » .
وكان في المجلس من لم يتسع معه الخطاب / .

كلام ذكّر في الظالمين :

150 — (قال) وسمعت (صلح) ذكر قوما رفعوا إليه شيئا كرهه فلعنهم ودعا عليهم ، وقال : هم كانوا سبب هذه اللعنة عليهم بما ذكرونا به من أنفسهم .
وهذا كالذي يؤثر أن الله (عج) أوحى إلى بعض أنبيائه لما سخط على بني إسرائيل : قل لبني إسرائيل لا يذكروني فلاني أوجبْتُ على نفسي أن أذكر من ذكّرني ، فإن ذكّرتهم فلأنما أذكرهم باللعنة ، فلا يتعرّضوا لها مني .
نعوذ بالله من غضبه وغضبه أوليائه عليهم أفضل السلام .

كلام في ذم الاحتياي على أولياء الله :

151 — (قال) وسمعت (صح) يقول فيما كان قد أحرق من الكتب في أيام المنصور (عم) / ، وفيما أحرق منها ما فيه أموال عظيمة من أشرية اشتراها الناس من

(1) الزخرف « 22 - 23 .

(2) التوبة ، 114 .

(3) الروم ، 19 .

(4) ب : أئمة أخيار وأبرار .

(5) هـ ، 4 .

الْقَسِيْمِ والخزائنِ ، ووثائق أموال ، وغير ذلك : والله ما دعا المنصورَ (صع) إلى ما فعله من ذلك وزيتته عنده إلاّ من أراد بذلك البغْيَ والأذى لغيره ، فتوسّل إلى ذلك بتلاف (1) مال أولياء الله . فلا جرم أنّه جوزي في ذلك بما رأيتموه - وذكره - ، ولو حلفتُ أنّ المنصور بالله (صلع) ما فعل ذلك لصدقت وبررت . وما كان في ذلك من رضى الناس ، وهل * يدرك للناس من رضى ؟

ولقد قالوا يومئذ : ما لنا في حرق الكتب ؟ تفرّق علينا الأموال التي جُبِيَتْ مِنّا . ولو فرّقت عليهم لما أرضتهم .

ولقد / سمعت رجلا يومئذ وكان عليه فيما أحرق ابتياعات (2) ابتاعها وصارت إليه من الخزائن بنحو من ثلاثة آلاف دينار [يقول] : والله ما عليّ في ذلك لأحد مِنّةٌ ولا شكْرٌ .

ثمّ قال المعزّ (صع) : فما ذهب على هذا إلاّ يسيرا حتّى ذهب ضياعا ، فلا جزى الله خيرا منّ عرض بذلك وأعان على ذهابه !

وهذا يشبه قول جدّه محمد رسول الله (صلع) حيث قال : أنهاركم عن قبل وقال وعن إضاعة المال (3) .

قول في بركة ما يأتي عن أولياء الله تعالى :

150 - (قال) وأخرج إلينا ونحن جماعة من الأولياء رسول الإمام المعزّ لدين الله (صلع) طبقا فيه تفّاح جليل ، فقال : هذا تفّاح جاءنا من المشرق من البلد / الذي خرج منه المهديّ (4) والقائم صلوات الله عليهما ، ومن الضّياع التي كانت به لهما . ودفع إلى كلّ واحد منّا شيئا منه ، وقال : تبرّكوا به فإنّا نرجو إن شاء الله أن تجنوه من شجره معنا . بأيديكم وقد أنجز الله لنا وعده وأهلك عدونا بفضلِهِ .

(1) كذا في النسختين ، ولعلها « اتلاف » أو « تلافى » ، ولا نفهم معنى الجملة : هل يرر هذا انواشي المغرض طلب الحرق بصون مال الأولياء ؟ أم يعني المعزّ عكس هذا : أنّه ابتنى بمقتضاه اتلاف مال الأولياء ؟ ولعل « توسل » معرفة أيضا عن توصل .

(2) في « أ » و « ب » : « ابتاعات » ، وابتاع الشيء ، اشتراه .

(3) أنهاركم عن قبل وقَالَ ... ورد هذا الحديث في موطأ مالك (رقم 1817) وفي صحيح البخاري (ج 8 ص 124) . وكذلك في الكافي للكليني (ج 1 ص 60 رقم 1) .

(4) يعني به « سلمية » في أرض حصص بالشام (انظر : ابن الأثير : الكامل 8 : 13 ، ياقوت 3 ، أبو الفداء : تقويم البلدان 264) .

فشكرنا له ودعونا الله (عج) بما قدرنا عليه ، وأخذت ما دفع إليّ من ذلك التفاح ، وقال لي في الوقت بعض أصحابنا : أناكله أم ماذا نصنع به ؟

قلت : هذا يكون عندنا نتشفّى به ونتبركّ كما قال مولانا (صلع) .

فلما أمسيّت من يومي ذلك جلست في الليل وقد مضى منه صدر * أنظر في بعض الكتب ، وقد نام أهل الدار بأسرهم / ، وأنا على ذلك ، إذ عرض لي وجع في الجانب الأيسر كأنما هو وخز السكاكين ، وتزايد عليّ حتى خفت الهلاك فلم أستطع أن أدعو أحدا من أهلي ، فقلت في نفسي : ما أتدأوى بشيء أنفع من هذا التفاح الذي صار إليّ عن وليّ الله وقال فيه ما قال . وكان بين يديّ ، وتناولت منه أقلّ من وزن درهم فيما أقدره ، فوالله ما هو إلا أن وصل إلى جوفي حتى سكن ذلك الوجع الشديد المؤلم دفعةً كأنما كانت شوكةً نزعّت . فحمدت الله وعلمت أن الله (عج) لا يخيب ظنّ من تقرب إليه واستدفعه واستشفاه بأوليائه .

وذكرت في نفسي حديث جعفر بن محمد بن عليّ / لما دخل مع أبيه محمد بن عليّ (عم) على محمد بن خالد (1) أمير المدينة . قال : فشكا محمد بن خالد إلى أبي وجعا عرض له في جوفه ، فذكر له حديث رسول الله (صلع) في العسل والشونيز (2) وأنه وصفه بمثل هذا . وإن رجلا من أهل المدينة اعترض عليه فقال : قد سمعنا هذا الحديث وجربنا ما قيل فيه فما انتفعنا به . فقال أبو جعفر محمد بن عليّ (صع) : إنما ينفع الله بهذا وأهل اليقين والتصديق لرسول الله (صلع) ، فأما من كان من المنافقين * وغير المصدقين برسول الله (صلع) ، وأخذ ما بلغه عنه على غير تصديق ، لم ينفعه الله به .

ودخلت إلى المعز (صلع) من غد فذكرت له ذلك وما دفع / الله به من الوجع عني فزادني به من البصيرة في اعتقادي وأمري . فقال المعز (صع) : احمد الله ، فهذه نعمة منه خصّك الله بها وهداك إلى البصيرة وحسن الاعتقاد فيها . وما توسّل

(1) محمد بن خالد بن عبد الله القسري ولي المدينة سنة 141هـ وعزله أبو جعفر المنصور عنها سنة 143هـ (انظر خليفة بن خياط : التاريخ 2 : 672 ، 681) .

(2) بضم الشين ، في البزر ، الحبة السوداء ، (فارسي) - اللسان ن ز - (وانظر ابن سينا : القانون 1 : 177) والحديث : عليكم بهذه الحبة السوداء ... ورد عند الترمذي « كتاب الطب رقم 3447 إلى 49 . بخاري ج 7 ص 160 .

بنا إلى الله (عج) متوسل إلا كنا له خير وسيلة لديه لِمَا تَوَسَّلَ بنا فيه من أمر دينه وديناه إذا صَحَّت نيته وصدقَتْ طَوَيْتُهُ . والله لو أَنَا الجُدَمَاءُ والْبُرَصَاءُ والعَمِيَّانُ يَسْتَشْفُونَ اللَّهَ بنا، وقد أَحْسَنُوا ظَنَّهُمْ وصدقَتْ في ذلك نِيَاتُهُمْ ولم يَشْبَهُهُمْ في ذلك شَكٌّ، لَشَفُّوا. إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلا لم يجعل بينه وبين خلقه من الْبَشَرِ ملائكةً إِنَّمَا جعل أسبابَهُمْ إِلَيْهِ وَوَسَائِلَهُمْ عنده بشرا أمثالهم ، فقال (1) وهو أصدق / القائلين : « وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَكُمْ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (2) » .

ثم قال (عم) : إن كثيرا من الناس يَسْتَرْقُونَ لأدواء تعرض لهم ، فإذا وثِقتْ نفسُ أحدهم بالراقِي وأيقِنَ أنَّ رُقِيَّتَهُ تنفع من ذلك الداء الذي أصابته انتفع به لقوة الطبيعة على العلة من أجل ذلك اليقين ، فكيف يقين يكون المرادُ به وجه الله عز وجل ويُبْتَغَى الشفاءُ به من عنده من جهة أوليائه ؟

ثم قال (صلع) : لقد عرض لي منذ وقت وجع في جوفي وكنت قد أمرت بتركيب معجون ينفع من ذلك فدعته قدَّمْتُ في اختيار العقاقير وتجويد عمله . بما لم أعلم أن أحدا تقدَّم في مثله ، فدعوتُ به لأتناول منه ، فجيء به ومعه / مثله مما كان المهدي (صع) أمر بعمله ، فلما رأيته تعاظمتُ أن أختار الذي عملته أنا على الذي عمله المهدي (صع) ، فتناولتُ من الذي عمله (عم) وقلت : اللهم إنك قد أكرمتني بأبوتيه وجعلته سابقا إلى الفضل الذي خصصني به وقدمته فيه ، وإنني أقدم ما كان من أمره على ما كان من أمري فاجعل لي في ذلك شفاء من الداء . فوالله ما هو إلا أن تناولته حتى زال عني ما كنت أجيد .

كلام في الدعاء والحمد ذكر في مجلس :

153 — (قال) وسمعت (صع) يقول : سألت رجلا جدنا جعفر بن محمد (عم) ، فقال : يا ابن رسول الله (صلع) علمني دعاءً ترجو لي إجابته .

فقال (عم) : أكثر من حمد / الله وادعُ بما شئت .

فقال : وما الحمد من الدعاء يا ابن رسول الله ؟

(1) أ : « فقال » ساقطة .

(2) الأنعام ، 9 .

فقال : إن جميع من على الأرض من المسلمين يدعون الله (عج) آتاء ليلهم ونهارهم أن يستجيب للهاددين ، فما ظنك بمن شفع له عنده في كل وقت جميع المسلمين ؟

قال : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟

قال : أليس هم يقولون في كل ركعة يركعونها عندما يرفعون رؤوسهم منها : سميع الله لمن حمده ؟ فعليك بحمد الله يسمع دعائك .

قال المعز (صع) : وقد أخذت معنى هذا عن جدنا جعفر بن محمد (عم) وكتبته في فصل من كتاب كتبه إلى بعض من أمرته على بعض الجيوش : اعلم أن من على الأرض في مشرقها / ومغربها وقربها وبعيدها . من جميع المسلمين ، من عدو وولي ، ومؤلف ومخالف ، يدعون الله (عج) لك ولأصحابك على منابرهم في كل يوم جمعة وعيد ، وفي الساعات التي اختارها الله (عج) لدعائهم ليستقبله منهم . فهم في ذلك يقولون : اللهم انصر جيوش المسلمين ومراياهم ومرابطيهم أهل برهم وبخبرهم في مشارق الأرض ومغاربها وحيث كانوا ، نصراً عزيزاً ، وافتح لهم فتحاً يسيراً ، واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً . فأنتم والله المسلمون الذين تلحقهم الدعوة ويرجى فيهم من الله الإجابة ، وإن عدل بدعوتهم في النية من دعا بذلك عنكم إلى غيركم فما يستجيب الله إلا لكم / ولأمثالكم من أوليائنا والمجاهدين معنا وعن أمرنا وأمر من أمرناه منهم حيث كانوا وأبين حلقوا .

ثم قال (صلح) : وكذلك من دعا علينا منهم وعلى أحد من أوليائنا أو لعن ، فذلك الدعاء واللعن راجعان عليه وواقعان به وبمن تولاه ، لأنه لا بد أن يذكّرنا إذا ذكرنا أو من يذكره من أوليائنا عند الدعاء عليه ، بالظلم والفسق أو ما هو أهله ، فأنا أو من على ذلك الدعاء وأسأل الله أن يجيبه في الظالمين والفاسقين والمعتدين . فدعاؤهم فيما يروونه لأنفسهم بحمد الله إن قبيل ورفيع ، فهو لنا ولأوليائنا يقبل ويرفع . ودعاؤهم علينا ، عليهم يعود ويرجع / ، وهذا من فضل الله (عج) علينا وإحسانه إلينا وما أعدّه الله من الخزي في الدنيا والآخرة لأعدائنا .

كلام ظاهره * حكمة وفيه رمز من التأويل :

154 - (قال) وجلستُ يوما بين يديه (صلح) فأمر باغتراس حديقة قيسَ أنه يدخلُ فيها من عدد الغُروس ألفُ شجرة ، وهي مربعة . فقال : هذه لا يستوي أعدادُ سطورها من كلِّ جانب . فَحَسِبْتُهَا فرأينا ذلك لا يستوي كما ذكر (صلح) إلاّ بزيادةٍ في عدد الغرس أو نقصان منه : فإن جعلتَ أعدادَه اثنين وثلاثينَ في اثنين وثلاثين زاد فكان ألفا وأربعة وعشرين ، فزاد أربعة وعشرين . وإن جُعِلَ على إحدى وثلاثين في إحدى وثلاثين / نقص وكان عدده تسعمائة وواحدًا وستين ، فنقص تسعةً وثلاثين .

فقال (صلح) : أفما في هذا غيرُ هذا ؟

قلنا : لا علم لنا بذلك وهذا أكثرُ ما يوجد فيه .

قال : وَلِمَ لَمْ يوجَدْ فيه غيره ؟

قلنا : لأنّه حسابٌ معلومٌ لا يجري إلاّ على مقاديره ولا تمكن قسمته على الضرب بلا كسْرٍ إلا على هذا .

فقال عليه السلام ، ونظر اليّ : ما تقول أنت ؟

قلت : ما عندي يا مولاي غير هذا (1) . والحساب عِلْمٌ لا اختلاف فيه بين متحليه ، إذا قالوا : ثلاثة في ثلاثة لم تكن إلا تسعة . أو قالوا : عشرة في عشرة لم تكن إلا مائة ، وكذلك كيفمّا ضرب ذلك لأنه عدد بُنِيَ على واحد إلى تسعة من الآحاد ، ومن عشرة إلى مائة من العشرات ، ومن مائة إلى ألف [ألف] ألف من المئين ، ومن ألف إلى ألف / ، ثم إلى ما لا نهاية له من أعداد ألوف الألو ف ، لا اختلاف في هذا أعلمه بين أهل الحساب .

وهُم إذا * قسموا عددا على عدد فلم يصحّ ، ضربوا ما انكسَر منه في مثله حتى يصحّ ، ثم قسموه أجزاء فزادوا في العدد ونقصوا منه بحسب ما جرى ذكره . كما أنّا لو أردنا أن نقسم عشرةً على تربع مستقيم وعددٍ صحيح لم ينقسم ذلك حتّى ينقص من العشرة واحد فيكون ثلاثة في ثلاثة تسعة ، أو يزيد عليها ستة فيكون أربعة في أربعة ستة عشر لا ينقسم هذا إلا كذا .

(1) أ : سقط من : فقال عليه السلام ، إلى : غير هذا .

فقال (صلع) : قد عَلِمْنَا أَنَّ هذا لا ينقسم إلاّ كذا ولكن لذلك علّة هي الفائدة فيه .

قلت : أمير المؤمنين أولى بالهداية والمنّ / بالفائدة .

فقال : هذا من الدلائل على توحيد الله تعالى كبرياؤه ، وأنته واحد لا من عدد ، لأنّ هذا العدد يلحقه الزيادة والنقصان والتبعيض والإضافة لأنّه مصطلحٌ عليه . وذلك يتنافى عن الله سبحانه الذي ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء ممّا تقع عليه العيون أو تحويه الأوهام والظنون .

فبينما فكري يجول إذ كنت مفكراً فيما ذكره من الحساب وفكري يجول كأنما يغوص في الثرى إذ فتح لي (صلع) ما فتحه ، فكأنما تعلقّت خواطري بملكوت السماء ، فقلت : يا مولاي ، لم يكن هذا ممّا فكّرتُ فيه فيجري وهمي إليه .

قال : فإن كنتَ ممنَ يتمسك بنا فضي مثل هذا فافتكر وإياه فاعتبر ، فإنّ في / كلّ شيء تفكّر فيه وتعتبره دليلاً على وحدانيّة الله (عج) وربوبيّته .

ثمّ قال (صلع) لبعض من أمره بذلك الغرس : فرد على الألف أربعةً وعشرين . حتى يستوي عدده من الجهات الأربع .

ثمّ قال : كم يكون في ذلك من أسبوع إذا قُسِمَت هذه الغروسُ سبعةً سبعةً ؟

فحسبناه فأصبناه مائةً وستةً وأربعين أسبوعاً فيبقى بعد هذه الأسابيع اثنان . فتبسّم (صلع) وقال : عددٌ حسن ومعنى جيّد والحمد لله .

ففهمت ما رمز بذلك إلى وليّه وعلمت أنّ أولياء الله كيف تحدّثوا وأينما تصرّفوا إنّما يسرحون في بحور العلم ويقطعون لجج الحكمة ، وأكثر الناس عن ذلك في عمى وغفلة كما قال الله (عج) : / « وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ، وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (1) » .

كلام في الأخذ عن أولياء الله صلوات الله عليهم :

155 — (قال) : وطالعتة (عم) في جمع مثل هذا مما أثرته عنه وسمعته منه وأخذته عن رمزه ورأيت من فعله ، إذ رأيت أن ذلك لا ينبغي لي تقييده في الكتب وتخليده للأعقاب إلا بعد إذنيه . وعرضت عليه شيئا منه فارتضاه وقال : من أخذ مثل هذا عنا بغبطة وقبول ، وعرف الفائدة فيه ، وشكر لنا النعمة به ، نفعه الله بما يأخذه منه . ومن أعرض عن ذلك ولم يتلقه بالقبول ، ولم يعرف الفائدة فيه ، كان ذلك (1) حجة من الله لنا / عليه وخرج محروما منه . وكذلك من بلغه ذلك بعد اليوم أو نُقِلَ إليهِ . والله إنه ما يؤثر عن الآباء شيء من الحكمة والعلم لمن تدبره حق تدبره ، إلا دونه (2) ، وما جمع الناس فيما جمعه مثله . فقال بعض من حضر المجلس : إن رأى مولانا (صلع) * أن يأذن لنا فيه فنكتبه ؟

فقال : اذا كمل منه ما نرتضيه أذننا فيه لمن نرتضي حاله ، وينفعه الله به إن شاء الله (3) .

ثم قال (عم) : إن كثيرا من الناس يمرّ هذا ومثله على آذانهم صفحا لا يعرفونه ولا يدرون مقدارها ، وكثير منهم يسمع الفائدة فلا يتلقاها بالقبول ولا يأخذها بالشكر ، فمن كانت هذه حاله كان حقيقا بالحرمان وجديرا أن يبقى / علي ما هو عليه من الجهل .

ثم ذكر رجلا فقال : رأيتُه إذا أقبلت عليه بشيء نرجو به حسن معرفته وموقع الفائدة عنده واستقبالها بالشكر منه ، فربما أكثر في ذلك من القول له وهو فاغراه كالبهيمة لا يعرف ما أقول له فأستفهمه عما ألقىت إليه فلا أجد عنده معرفة ما سمعه فيدعوني استحيابا إتمام الصنعة إلى بيان ذلك ، فإذا بينته له وأوضحته ، قال : نعم قد عرفت هذا قبل هذا الوقت وهو مذهبي وقولي . ولا والله ما عرفته ذلك الوقت ولا قبله ، أفمِثلُ هذا يؤتى الحكمة أو يُسَعَفُ بفائدة ؟ لا والله ، ولا كرامة !

وهذا كقول بعض الحكماء : لا تمنعوا الحكمة / أهلها فتظلموهم ، ولا تعطوها غير أهلها فتظلموها ، ولا تُلْقُوا الجواهر إلى الكلاب !

(1) ب : سقط من : ولم يتلقه بالقبول ... إلى ... كان ذلك .

(2) في النسختين : والله أنه لشيء ما يؤثر ... الا دونه . وقرأنا ظنية .

(3) ذكر النعمان في مقدمة المجالس « سيرة المعز » من تأليفه (انظر مقدمة الكتاب ص 47 تنبيه 1) .

الجزء الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام جرى في مجلس في ذكر هذا الكتاب :

قال القاضي النعمان بن محمد :

قد كنت قدّمت المَعْدَرَةَ في صَدْرِ هذا الكتاب . أني وإن كنت لم آلُ اجتهادا في تحرّري نقل ما نقلته ممّا أثبتته فيه عن الإمام (صلع) بنفس ألفاظه ، فقد اعترفت بأنّي لا أطيقُ ذلك بالحقيقة وأعجزُ عنه إذ كانت ألفاظُ أولياء الله الأئمة كالألفاظ جدّهم رسول الله (صلع) في الجزالة والفخامة والبيان ، يعجزُ أن / يحكيها البشر ، كما أعجزهم أن يحكّوا القرآن . إذ كان القول عنهم في الحجّة والبرهان كالقول عن الله (عج) ، إذ أمر بطاعتهم وقرّنها بطاعته ، والأخذ عنهم كما أمر بالأخذ عنه . وذكرت اعتذار بعض الصحابة في ذلك في إصابة حقيقة لفظ رسول الله (صلع) وقوله : حَسْبِيَ أن أؤدّيَ إليكمُ معناه فإني (1) أكثرُ ما عوّلتُ على ذلك .

غير أنني صنعت في ذلك صنيعا لم أعلم أن أحدا ممّن نقل الحديث سبقني إليه : وهو أنني جعلتُ كلّما أثرت شيئا عن الإمام (عم) كتبتُه وأريته إياه وعرضته عليه بعد أن قدّمتُ في ذلك العذرَ عنده ، فكلّما رأى أنني غيّرتُ

(1) أ : فانه .

المعنى عنه قَوْمَنِي على المعنى وِرْدَنِي / إليه ، فأصلحته عنه وصفح لي (صلع) عما لم أستطيعه من حكاية لفظه بحقيقته ، فصار ما أثبتته في هذا الكتاب كأنه هو لفظه وإن لم يكن هو بحقيقته لِمَا أجازه على المعنى وسقط عنه تهمة التحريف والإحالة ، وإن سقطت منه فضيلة الفصاحة والجزالة ، ومعجز الألفاظ في المقالة . ولكنه صار بذلك من أصدق الحديث وأصح النقل . وزالت عنه به التهمة ووجب له به الفضل .

فرفعت يوما إليه (صلع) منه جزءا . فقرأه حتى أتى على آخره ، وأوقفني على أشياء منه فأصلحتها على ما أمر به أدام الله علو أمره ، وصرفه إليّ ، فجعلت أعتذر في التقصير وإسقاط الكثير ، وأنتي إنما أثبت / عنه (صلع) بعض ما يُعطيه الحفظ . والذي أسقطته النسيان ، لما عليه من الغفلة طبع الإنسان ، أكثر من ذلك . فقال : وإن كان ذلك يا نعمان ، فإن الله يجزيك بنيتك ولا يؤاخذك بنسيانك . والله ما جمع عن آباءنا قبلك أحد مثل هذا من جمعت وإنه لكتاب قلما يكون مثله من الكتب وإن فيه حياة «لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ» (1) . يقول ذلك (صلع) وفي المجلس جماعة ممن قد سمع أكثر ما أثبت وعامة ما نقلت ، ومرّ عليهم صفحا . ولما سمعوا ذلك منه (صلع) وهم لا يدرون ما في الكتاب ، جعل بعضهم يسأله انتساخه وبعضهم يسألني ذلك ، وأظهروا فيه رغبة عظيمة .

فقال (عم) : يُعطاه من يستحقه إن شاء الله . ونظر إليّ وتبسّم كالسُخير عن غفلة أكثر الناس عن الفوائد ومرور الحكمة عليهم صفحا ، لأنهم لو أرادوا أن يجمعوا من ذلك ما جمعت ووفقوا لذلك لأمكنهم ، وكان ذلك مما يسرني لنفسي ولهم ، لأنني كنت أستريد من ذلك كثيرا مما يحضرونه وأغيب عنه ، لما أنا من الشغل بسبيله .

وقوله (صلع) : يجزيك الله بنيتك ولا يؤاخذك بنسيانك ، كقول جده رسول الله (صلع) : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى (2) ، وقوله (ص) :

(1) تضمين جزئي للآية « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » (ق ، 37) .
(2) جاء في «أ» بـ «بافراد» النية . وفي الدعائم 1 : 158 بسند جعفر بن محمد (ص) عن أبيه ، عن آباءه عن علي (ص) أن رسول الله (صلعم) قال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » وسقط من النص لفظ « كل » . انظره تأما بفهرس الحديث صفحة 423 من «الأ» .
وذكر الحديث أيضا عند البخاري (ج 1 ص 21) وابن مساجة (ص 1413 رقم 4227) والنسائي (ج 7 ص 13) ، وكذلك في الكافي للكليني (ج 2 ص 84 رقم 1) .

تجاوز الله لأمتي خطأها ونسيانها وما أكرهت عليه (1) . يعني بالخطيأ ما لم يُتعمد .

فأما مرور الحكمة على آذان * أكثر الناس صفحاً فمِن قول الله (عج) : « وَمِنْهُمْ / مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : مَاذَا قَالَ آنِفًا (2) ؟ » فقد كان على مثل هذه الحال من يحضر مجلس رسول الله (صلع) ويسمع كلامه ثم يخرج عنه ولا يعي شيئاً منه ولا يعرف ما قاله .

ومنه قوله جلّ وتعالى : « صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (3) » ، قال ذلك لقوم يصرون بأعينهم ويسمعون بأذانهم ويتكلمون بألسنتهم ، ولكنهم عموا وصموا وبكموا عن الحق .

أعاذنا الله وإياكم برحمته من ذلك وهدى جميع المؤمنين إلى ما يرضيه ووفّقنا للعمل به بفضله .

كلام جرى في مجلس في ذكر الدّعوة والدّعاة :

157 — (قال) وسمعت (صع) يوماً وقد دخل إليه بعض الأولياء ممّن كان قد / أذن له قبل ذلك في الدّعوة فسألهم عن أشياء منها فلم يجدوا عندهم شيئاً ممّا سألهم عنه ، فقال : والله ما أشك في أنّه لا شيء عندكم من هذا ولا عند ممّن دعاكم . وما كان أكثر ما يعاملون الناس به إلّا بتعظيم الأمر عندهم وتهويله عليهم والغلظة على ممّن سألهم عن شيء منه ، وتعنيفهم على سؤالهم عنه . وأكثر ما يقولونه لمن (4) يلافظونه : لم تبلغ بعد إلى حدّ ممّن يسأل عن هذا ، وليس هذا

(1) رواه القاضي النعمان في دعائم الاسلام (1 : 280) بغير إسناد ومع تغيير في بعض لفظه « رفع الله عن أمتي خطأها ونسيانها وما أكرهت عليه » . وأخرجه مسلم في صحيحه (2 : 146) عن معمر عن قتاده ، قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أن الله عز وجل تجاوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها . هذا وقد جاء في « ب » : عن خطاياها .

وذكره ابن ماجة (ص 659 رقم 2043) والنسائي (ج 6 ص 157) .

(2) محمد ، 16 .

(3) البقرة ، 18 .

(4) في ب : لمن لا ...

حدّك ، ونحو هذا من القول ممّا يوهمون به أنّهم يعرفون ما يُسألون عنه . ولا والله ما يعرفون أكثرَ ذلك .

ثمّ قال لمن خاطبه : كيف قال فلان لفلان (1) منهم ؟ يعني ما قاله بعض / الأولياء لبعض الدعاة .

قال : نعم ، تكلم يوما وهو في مجلسه فرآه معرضا عن كلامه ، فقال له : أراك تُعرض لإعراض * من لا يعرف ما قيل له . فقال : أنا لأعرّف بهذا ، هذه والله ملاعبُ صبيّاننا . إن يكن عندك غيرُ هذا فهاتِه نُصغِ إليك إذا لم نكن - قبل هذا - نعلّمه .

قال (2) : فما قال له الشيخ ؟

قال (3) : سكت .

فلم يقل المعزّ (صلع) في هذا شيئا . وهذا وإن كان الداعي قد عنّف الرجل فيه ولم يترفّق فيه كما ينبغي الرّفقُ به ، وما عمِل بما قاله الصّادق جعفر بن محمّد (صلع) : تواضعوا لمن تعلّمونّه العلم ، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلاكم بحقّكم (4) . فإنّّه لم يكن ينبغي للرجل أن يقول له ما قاله / لأنّ قوله ذلك إزاء على الحكمة واستقلال لها ، فليس تكرار الحكمة ممّا يَضَعُ منها ، ولا ينبغي له الإعراض عنها ، وقد جعل الله (عج) لمن أصغى إلى استماع كتابه وتدبّره ، ثوابا على ذلك ، جلّ ذكره . وليس في كلّ وقت تعلّق الحكمة بالقلوب وبتنفّع بها من سمعها . وربّما مرّت على الآذان مرارا كثيرة فلم ينتفع السّامع بها ، ثمّ سمعها بعد ذلك فانتفع . ولو طوّل قائل ذلك بتأدية ما استودِعَ ، وقضاء واجبات ما سمع ، لقصّر عن ذلك وانقطع ، ولزِمَتْهُ الحجةُ فيما طلبه من المزيد ، وهو لم يتضبط ولا قام بواجب ما بلغه من الحدود ، حتّى إنّه لو طرَحَ عنه في ذلك الباطن كلّهُ وأخذ بإقامة ما / عرّفه وأمر به من إقامة ظاهره ، لقعد عن كثير منه وقصّر وتخلّف

(1) لمعان ساقطة من أ .

(2) القول للخليفة المعز .

(3) ب : قال له .

(4) انظر دعائم الاسلام 1 : 80 .

وانحصر . فكيف يتردد من الأمانة من باء وأعترف (1) بالخيانة؟ ولكن ليجهّل أكثر الناس بقدر هذا الأمر حُرِّمُوا كثيرا منه ، ولتخلّصهم عن الواجب فيه اقتصر بهم على ما أعطوا منه .

وسكت المعزّ (صلح) عند ذلك ولا أظنه تفكّر إلاّ في مثل هذا القول . ثم قال : ولعلّ سامع ما قلناه في تقصير الدعاة المتقدّمين يتوهّم أنّ هذا طعن على الأئمة الفاضلين صلوات الله عليهم أجمعين لاختيارهم إيتاهم وإقامتهم لهم ، وهم يعلمون مثل هذا منهم . هيهات ، لا والله ما يُعرض الجوهر على أصحاب البعر . ما قابلوا والله من قابلوه إلاّ بقدر / استحقاقهم ، وما قصدوا (2) من قصده إلاّ بما يصلح لهم . وإنّ جدنا جعفر بن محمد (صلح) كان يقول : من أحسن السؤال كان جديرا بالنوال . والله لو أحسنوا الطلّبة لبُدّ لست لهم الرغبة ، وإنّ لدينا من خزائن علم الله وفوائده حكمته ما يُحمّل منه كلّ امرئ بمقدار طاقته ويُعطاه بحسب استحقاقه ، ولا يَبْخَسُ إلاّ من بَخَسَ نفسه .

وما ينبغي لنا أن نُعْطِيَ أحدا من أمانة الله عندنا ما لا يستحقّه . والله ما نفعل ذلك لأبنائنا وما نعطي من نرضيه منهم إلاّ قدر حقّه فيه لا نزيده قلامة ظفر عليه . قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ » (3) . على أنّ أحبّ الأشياء إلينا وجود من يلقن عنا . أليس لهذا قال جدنا عليّ (صع) ، وتنفّس الصّعداء وضرب بيده إلى صدره ، فقال : أما إنّ ههنا لعلما جمّا ما وجدت له حَمَلَةً ، بل وجدت لقينا غير مأمون ومأمونا غير لَقِينٍ (4) .

وفي مثل ذلك :

158 — (قال) وسمعت (صع) يقول لبعض الأولياء : ما تنظرون اليوم في شيء تسمعون به ؟ ما تقرأون شيئا ؟ ما تسمعون شيئا ؟ فسكنوا .

(1) ب : لمن باء بالخيانة .

(2) ب : ما قالوا والله ... ولما قصدوا ...

(3) الحجر ، 21 .

(4) النص من كلام مشهور للإمام عليّ خاظم به كميل بن زياد النخعي ، أحد الشيعة الذين قتلهم الحجاج ، وكان عاملا لبي على هيت . انظره كاملا مع فروق في اللفظ ، في نهج البلاغة ، 339 (نشر أبو الفضل إبراهيم . القاهرة 1963) .

وكنـت قبل ذلك قد سمـعتُ بعضـهم يحـرّض بعضـاً في الاجتماع لقراءة كتاب « دعائم الاسلام (1) » الذي * بسطه المعزّ لدين الله (صـلح) لهم (2) وجعله في مجلس من مجالس قصره، وأباح لهم متى أحبّوا استماعه وقراءته وانتساخه والتعلّم (3) منه والتفقه فيه . وقال منهم من حرّض (4) على ذلك: وَيَحْكُمُ ، أما تخافون إن قَصَرْتُمْ في هذا أن يكون حجة من الله ومن وليّه عليكم إن يختبركم فيه ، وقد أباحه لكم دهرًا طويلاً ، فيختبركم فيه أو في بعض أبوابه فلا يجدكم حفِظْتُمْ شيئاً منه، ولا انتفعتُم به ، فيقال لكم: إذا كنتم لم تقوموا بما أعطيناكم من ظاهر دينكم الذي تعبدكم الله بالقيام به ، فكيف ينبغي لنا أن نعطيكم مـن باطنه ؟

فقلت : يا مولانا ، والله لعهدي اليوم بإخواننا يتراجعون في مثل هذا ، وذلك لمّا انقطع عنهم سماعه ، واعتذر بالعلّة من أمير [أن] يقرأ عليهم وما خلقتهم إلّا على الاجتماع إليه / . فإن تمادى على الاعتذار لهم وتخلّف عنهم رفعوا ذلك إليك وسألوا فضل رأيك فيه .

قال : يا نعمان ، من يقول هذا ؟

قلت له : قال فلان ، وفلان ، وسمّيت له الرجال الذين تفاوضوا فيه .

قال : هؤلاء قليل في كثير ، وكنا نُحبُّ صلاح الجميع . وكأنتي والله بهم لو جَمَعْنَاهُمْ على هذا يُزري بعضهم على بعض ، ويقول القائل منهم : فلان يريد أن يكون قاضياً ، وفلان يريد أن يكون داعياً ، ويقول الآخر لبعض من يصحبّه : قم بنا ويحك لكذا وكذا ، لما همّ به أشغل وأعنى ، ودعنا من هذا الفضول !

فقال بعضهم ممّن حضر : كأنّ والله أمير المؤمنين شاهد القوم !

(1) هو كتاب « دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام عند أهل بيت رسول الله عليهم أفضل السلام » كتبه القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد ، ويعد عبدة الفقه الاسماعيلي إلى اليوم . وقد قال المجدوع إن القاضي النعمان صنفه بأمر من الخليفة المعز وأصل له أصوله وفرع له فروعه . وكان يعرض عليه أبوابه فيتثبت منها ويستدرك ويشير بما يرى إصلاحه حتى أتم الكتاب . انظر المجدوع : فهرسة الكتب والرسائل ، 18 وما بعدها (وانظر مقدمتنا ص 16) . وانظر كذلك ما قالته الدكتورة وداد القاضي من أن كتاب الدعائم « له صيغة سنية مالكية واضحة » (ملتقى القاضي النعمان الأول بالهدية ، 12-15 أغسطس 1975 ، ص 143) .

(2) سقطت « لهم » من أ . والعبارة هامة لأنها تؤيد ما ذهبنا إليه من أن البسط لا يعدو العرض والتمكين ، وتدفع القول بأن المعز هو الذي أوحى إلى النعمان بمادة الكتاب .

(3) ب : والتعليم منه .

(4) ب : من حصر .

قلت : يا مولانا ، فمن أجل من لا يرغب / يُحرم
الراغب . ، وفي ذات المعرض يخيب الطالب ؟ أنت صلى الله عليك أعلم
بصلاح جميعهم .

قال : إن لم أعلم ذلك فما أنا بإمامهم . والله إنني لأعلمه ، وما أبلغ مرادي
من صلاح جميعهم . والله يُصلحهم ويوفقهم إلى مرادي فيهم إلى أن أرفع
بعضهم فوق بعض درجات ، وأعطي كل ذي حق منهُم حقه . وأضعه حيث
وضع نفسه . فمن نزع بنفسه من درجة إلى ما فوقها وبلغه إياها عمله رفعتُه إليها .
فهم بهذا يتنافسون ويرغبون ، وأبلغ فيهم ما أؤملهُ منهم إن شاء الله .

قلت : يبلغ الله مولانا أمله ، ويوفق جميع أوليائه إلى ما يحبّه .

قال : ما شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (1) .

كلام جرى في مجلس في أم القضاء والواجب فيه :

159 - (قال) وقال لي / (صلح) : يا نعمان ، زعم لي فلان ، - لرجل سمّاه -
أنّ بعض الأولياء يستقلون أمرك ويقولون : فلان أرفق بنا - لبعض القضاة - .
(قال) قلت له (2) : الذي يستقل من أمر النعمان هو الذي منّعتني أن أتولى القضاء
بين الناس . إن القضاء (3) ميزان عدل الله في أرضه وقسطه بين عباده ، فمن عدل
به عن جهته وأحاله عن سبيله فقد باء بغضب من الله ولعنة أوليائه . فأمر القضاء
عظيمٌ ومحمّله ثَقِيلٌ . والله ما نقسم الناس على أمير المؤمنين عليّ (صلح) إلاّ أنّه
قلدته لهم فحملتهم على منهاج الحق فيه ، فلذلك قلدناه من قلدناه وتعاقينا
منه . إنّما أراد من أراد من نعمان (4) إذا أتاه في / خصومة مع ضعيف أن يُوسّع
له إلى جانبه في مجلسه ، ويقوم خصمه بعيداً منه . فهذا أدنى ما عسى أنّه كان يُراد
منه . وفيه خيزني لمن فعله . * لأنّا قد عهدنا إليه وإلى غيره ممّن قلدناه القضاء

(1) سقط من أ : قلت : يبلغ الله ... إلى : الا بالله .

(2) الحديث كله للمعز .

(3) انظر ما سجله القاضي النعمان من تعريف للقضاء فيما كتبه عما « ينبغي للوالي أن ينظر فيه من أمور القضاء
بين الناس » ، الدعائم ج 1 ص 368 .

(4) يورد القاضي النعمان اسمه على لسان المعز « منكراً » على معنى الأدب والتواضع . انظر أيضا ص 72 من
كتاب المجالس والمسايرات .

والحكومة أن يساوي بين القوي والضعيف ، ويعدل بين الشريف والمشروف في قوله وفعله ولفظه ولحظه وتقريبه وإبعاده ومجلسه ، كما جاء الأمر عن آبائنا صلوات الله عليهم : من تقلد القضاء به (1) فمن ابتغى خلاف هذا منه لم يرضه إلا أن يحكم أيضا بما أحبه له . وفي هذا - دون غيره - غاية الخزي لمن فعله . وحسب خصم من فعل به هذا نظرا إلى ظاهر جتور من فعله عليه ، وردعا له عن حجته / ووهنا في قوته . فمثل هذا يتقمه من نقم عليه من اتباع أمرنا وامثال عهدنا . وحسب من خالفه نقصا عند الله وعندنا ، ومن قام به ، مثوبة من الله وحظوة لدينا .

فما عولت لما سمعت ذلك منه إلا على تقبيل الأرض ، ونظرت إلى ما عسى أن كنت أحتج به وأقوله . فقد قال (صلح) فوق ما كنت أؤمله وأجده . ثم طال تفكيري وكثر تعجبي وزادت بصيرتي وقويت بواهره وما تقدم من اعتقادي أن الله يمدّه عندي من علمه بأمر لم أرفعه إليه كراهية أن أطري به نفسي لديه . وقد علمت أن كثيرا من الناس يكرهوني عليه لما أحدثه قضاة السوء من / الأثرة والذمام (2) للدوي السلطان ومن يرتجى نفعه من العوام ، والرشوة وغير ذلك من حديث الطعمة فوعبروا طرق القضاء على سالكه من حيث يجب أن يسلك فيه ، وحملوا من عودوه ذلك على الخنق عليه . ولكن الله ذا الطول والإنعام والآلاء والإحسان * قد منح وليه من التوفيق والبصيرة وما أمده به من الآلاء والجسام والتوفيق والمعونة وأيده به من الإرشاد والهداية ، ما كشف له عن كثير من سرائر الصدور وخفيات الأمور ، وأطلعته على حيل المحتالين واستدارات المستديرين وغوائل المغتالين ، فلن يعود البغي عنده / إلا على من بتغى وغدر « ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله (3) » وبرأس من مكر .

فأضحى وأمسى بحمد الله الحق وأهله به في عزة ورفعة ومنعة ، والباطل وحزبه في خيزي وضعة . وهممت بذكر ما دعا قائل ذلك ومن رفعه إليه من قطعي عنه ما عودّه غيري من التآكل به واهتضام الحقوق على يديه ، وأن ذلك

(1) العبارة غامضة ولعل بها نقصا : من تقلد القضاء [فليعمل] به . ولم نجد هذا الأمر في ما نقله النعمان عن «آداب القضاة» في الدعائم ج 2 ، 527 وما يليها .

(2) الذمام : كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة . وهي بمعنى : الضمان والحرمة والحق . انظر اللسان « ذمم » .

(3) فاطر ، 43 .

عنده ذنب لا يرى أنه يُغْفَر لمن اجترمه له . فعلمتُ لذلك أنه (صلع) أعلمُ بذلك مني . ورأيتُ أن تسليم ذلك ومثله لله ولوليّه أوفقُ ، لأن الله يقول : « بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ » (1) وقد ذكرت في هذا الكتاب عن الإمام (عم) في ذمّ البغي غيرَ حديث / .

كلام جرى في شيء من النحو فيه رمز :

160 — (قال) وسمعتَه (صلع) يوما يقول لبعض من حضر مجلسَه من النحويّين ممّن برع في علم النحو : ما تقولون في الحروف المجتمعة الموصولة التي تجمعُها وتصلُها الألفاظ ، يستوي الخطُّ بها في الشّيء وغيره بما يراه الناظرُ إليها إذا رأى صورةَ تلك الحروف ، فتكون عنده بمعنى واحد، حتّى يدخلها الإعرابُ وتُميّزُ بالتقييد والشكل فتختلف معانيها ويصير كلُّ حرفٍ منها يدلُّ على ضدٍّ ما دلَّ عليه نظيره في الصورة وغيره ممّا هو سواه (2)، ومعناه غير معناه، ولم كان ذلك ؟ وما معناه ووجهه ؟ وهل فيه معنى يجب استخراجُه وتعرف الحكمة فيه ؟ / فلم يدر المسؤولُ عن ذلك * نفسَ السّؤال فضلا عن الجواب عنه ، وتحيرَ فيه . واستفهمته (صلع) وسأله أن يوضّح له معناه .

فقال . ذلك مثل : لم لم لم . أليس قد استوت صورة هذه الثلاثة الأحرف ؟

قال : نعم .

قال : كذلك : قتل قتل قتل . وكذلك : حمل حمل حمل . وأشبه ذلك في كثير يطول ذكره .

قال : نعم .

قال : فإذا رُفِعَتْ (3) لامُ لُمَّ ، كان معنى الأمر ، كقولك : لُمَّ الشَّعْثُ

يا فتى .

(1) الحج ، 60 ... وسياق الآية : « ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه » .

(2) قراءة تقريبيّة .

(3) كان ينبغي أن يقول : ضمت .

وإذا فتّحتْ صارتْ حرف جزم ، كقولك : لَمْ أَفْعَلْ .
 وإذا كسرتها صارت في معنى الاستخبار كقولك : لِمَ فَعَلْتَ كذا وكذا ؟
 وكانت كل واحدة خلافاً الأخرى .
 وكذلك قُتِلَ إذا ضُمَّتْ القاف وكسرت التاء وفتّحت اللام قلت : قُتِلَ
 زيد يا فتى . /

وإذا فتّحت حروفها قلت : قَتَلَ زيدٌ خالدًا يا فتى .
 وإذا فتّحت القاف وأسكنت التاء قلت : قَتَلَ ذريعٌ يا فتى . فكأن كل
 واحدة مخالفة معنى الأخرى .
 وكذلك الحاء من حمل ، إذا رفعت الحاء وكسرت الميم قلت
 حَمَلَ الرجل .

وإذا فتّحت حروفها قلت : حَمَلَ الرجلُ .
 وإذا كسرت الحاء وأسكنت الميم قلت : حَمَلَ الدابة يا فتى . فاختلقت
 كذلك ، فلم كان هذا ؟

فلم يُسحَرِ الرجل فيه جواباً أكثر من أن قال : هكذا تعارفه الناس .
 فقال (عم) : وكم لله (عج) من آية وحكمة فيما تعارفه الناس تدلُّ على توحيده
 لم يعرفوها وأعرضوا عنها !

فذكرني ذلك قول الله (عج) : « وَكَأَيُّنْ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ /
 وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (1) » .
 وقول الشاعر في عظمة الله عز وجل (مقارب) :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ (2)

(1) يوسف ، 105 .

(2) البيت لأبي العتاهية ، من قطعة مطلها :

وأي بني آدم خالد ؟

ألا إننا كلنا باليد

(ديوانه ، نشره د. شكري فيصل ص 104) .

رؤيا رآها المعز (1) :

161 - (قال) وقال لي المعز (صلع) يوما : رأيت رؤيا عجبت لها : رأيت كأنني دخلت المسجد الجامع الأزهر (2) من باب المقصورة الذي أدخل منه لصلاة الجمعة. فلما صرت في المقصورة ذكرت أنني خرجت ولم أتوضأ للصلاة، فدعوت بماء فأتيت بطشت وإبريق، فتوضأت ثم نظرت في المقصورة إلى رجلين - ذكرهما - من رجال العامة وهما ممتن يميل إلى المحبة ويتقرب من المذهب. فلما توضأت قام أحدهما بثوبه لينشف به رجلي فمعتته، وقلت له : / ما الذي أجلسك أنت مع هذا ، وأنت في غاية الحركة واليقظة وهذا في غاية السكون والغفلة - وكذلك الرجلان في حالهما - ؟

(قال) فقال لي المتحرك منهما : الذي في أنا من الحركة والنباهة ينوب عما في هذا من الغفلة والسكون. قلت : فأنا أسألك عن شيء تعترف فيه بالغفلة. فسألته عن مسألة فتحيّر فيها ولم يحرجوا ، وطلب مني أن أجيبه بالصواب ، فقلت له : امض إلى نعمان - يعني (صلع) (3) - يُجيبك عنها، قال : نعم. ثم دخلت من باب المقصورة فنظرت فلم أر الناس كما أعرفهم يحتفل المسجد ويغص بهم ، ولم أر إلا نفرا قليلا. فنظرت إليهم فرأيت أولياءنا. ثم قصدت المنبر/ فنظرت فلم أرني تقلدت السيف فدعوت به. (قال) فقممت إلي - يعني (صلع) - فقلت : يا مولانا ، هذا السيف الذي أخطب به ، وهو سيفك (صلع) ، فإن أردته فما هو.

(1) في أ : رآها المنصور .

(2) لا تخلو كلمة « الأزهر » هنا من لبس ، فهل يعني أزهر القاهرة ؟ نستبعد هذا الافتراض لأسباب ، منها : - أن جامع الأزهر لم يعرف بهذا الاسم في المدة القصيرة التي قضاها المعز بالقاهرة قبل وفاته سنة 976/365 وإنما كان يعرف بـ « مصل القاهرة » أو « جامع القاهرة » (انظر المقرئ : أتماط ، 190) .

- أن المؤرخين للمعز بمصر ، ومنهم المقرئ ، لم يذكروا صلاة جمعة بأمامة المعز في ذلك المسجد أو المصل ، وإنما ذكروا صلوات الأعياد به وبالجامع العتيق - جامع عمرو - أو جامع ابن طولون . ولا يخفى من سياق خبر الرؤيا أن المعز ألف الصلاة بهذا الجامع المذكور في النص وألف مقصوده ومنبره .

- أن نعمان لم يذكر قط في غضون كتابه هذا ، مصر ولا القاهرة ، ولا حتى حملة جوهر ، إلا هل سبيل النية من المعز والاستعداد لغزوها . ولو كان أصل تحرير هذه « المذكرات » بعد انتقاله إليها مع الخليفة ، لذكر عنها شيئا ، كثيرا أو قليلا .

هذا ، ولقد حاولنا ضبط تاريخ الفراغ من ك. المجالس والمسائرات (انظر مقدمتنا ص 20) فرجعنا أنه لم يتأخر عن سنة 360 على أبعد تقدير . والرأي عندنا أن عبارة « الأزهر » هنا ، إنما هي نعت بسيط لجامع المنصورية ، وعلى هذا الأساس سمي جامع جوهر بالقاهرة « أزهر » في عهد الخلفاء اللاحقين .

(3) ب : سقطت : يعني .

(قال) : فتناولته منك وصعدت المنبر فخطبتُ خطبةً ذكرت فيها علما * وتأويلا كثيرا . فقصتُ إليّ فقلت : زدنا يا مولانا . وجعلَ أولياؤنا يقولون كذلك ، فزدتُ ، وكلّما أردتُ أن أقطع الخطبة استزددتموني حتى أتيتُ على كلام كثير . فترلت وأنا أقول في نفسي : وما حاجتي إلى سيف نعمان ؟ وكأنني قد علمت أنني رأيت ذلك في المنام . وقلت في نفسي : ما تأويل تقليدي لسيفه ؟ والله ما أنا بحاجة إلى شيء عنده / من العلم ظاهرا ولا باطنا ، فما هذا ؟ أقول ذلك في نفسي . فاستقبلني شيخ لا أعرفه فقال لي : أتدري ما معنى أخذك سيفَ نعمان ؟

قلت : ما هو ؟

قال : هو عُمره يكون لك . (قال) فسكنت إلى ذلك وناولتُك السيف .

وتأول ذلك (صلح) على أن القليل الذين حضروا معه في المسجد هم القليل ، من الكثير الذين يحضرون معه ، الذين يتولّونّه ويعرفون فضله . وأنّ الرّجلين اللذين كانا كذلك في المقصورة ولم يحوهما المسجد ، كذلك هما في القرب من الولاية . وتأولت أنا بخطبته التي خطب بها واستزادتنا إياه ، فضله الذي نرجوه من العلم عنده والزيادة منه لنا / بقدر ما كان يزيدنا منه لما استزادناه . وإنّ ذلك إن شاء الله يبلغ بنا إلى غاية ما نأمله ونرجوه منه بفضل الله ونعمته .

كلام في درك العلم ذكر في مجلس (1) :

162 — (قال) وسمعت (صلح) يقول : إنّما تخلّف من تخلّف من الناس عن درك العلوم التي يطلبونها أن أحدهم إذا نظر في باب من العلم الذي يطلبه لم يستكمل ، وإذا أكمله نظرا أو قراءة أو سماعا لم يتدبّره * وأخذ في غيره ولم يُثَقِّنْهُ ولا حَفِظْهُ ولا وَقَفَ على حقيقته وما يقتضيه ممّا يأتي بعده ، وكذلك ينتقل من باب إلى باب ، ومن كتاب إلى كتاب ، ومن علم بعد علم . فلا يزال كذلك في عمى وحيرة / ولا يكاد يظفر ممّا يطلبه بكثير فائدة إلاّ مثل ما مرّ عليه صفحا . ولو كان أحدهم إذا نظر في العلم يقصد إليه ويتعلّق به ويريد حفظه (فه) نظر في أول باب منه نظرا شافيا وأنعمَ في ذلك لإنعاما كافيا حتى يُثَقِّنَ حفظه ، ويحيطَ

(1) ب : كلام في الاختصار على ما يستطاع لفظه من العلم .

علما به وبجميع أسبابه، فلا يبقى عليه شيء منه، لتفتح له ذلك من ذلك العلم ما بعده
ولسهل عليه حفظه ولبليغ منه المبلغ الذي يحسبه إذا كان . كذلك لا ينظر في باب
منه إلا بعد حفظ الباب الذي تقدمه والعمل فيه على ما وصفته . فالتناس في ذلك
يقصرون بأنفسهم ويتخلفون باستعجالهم . وكذلك لو اقتصر أحدهم على علم من
العلوم قد رغب / فيه ومالت به الشهوة إليه ووجد نفسه تميل نحوه ، لبرع فيه
ولكنهم يريدون أن يتفننوا في العلوم ويسارعوا إلى غاياتها ويحبون أن يحتووا
عليها . ولم يجعل الله ذلك إلا لمن اختصه بالفضيلة وأبانه بالعلم والحكمة من أوليائه
الذين هم أحوج خلقه إليه وأفقرهم إلى ما عنده (1) . فمن تعاطى في ذلك أن يبلغ
مبلغهم أو يدرك شأوهم قعد به التقصير ولم تساعده المقادير .

كلام في الخير والشر ذكر في مجلس (2) :

163 — (قال) وذكر يوما صلوات الله عليه الخير والشر والحق والباطل ،

فقال : ما يقول هؤلاء — يعني العوام — في ذلك ؟

قلت : الذي يقولونه قد علمه أمير / المؤمنين .

قال : قل عليّ ذلك ، ما أمثل قولهم عندك فيه ؟

قلت : قالوا في قول الله (عج) « وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (3) » ، فذكروا أن
النجدة في اللغة : الطريق في ارتفاع . فقالوا : أراد (عج) أنه هدى الناس طريق
الخير وطريق الشر عرفهم إياهما . فمن اهتدى ، كما قال (عج) ، فلنفسه ، ومن
ضلّ فعليها (4) . وقد قامت حجة الله على العباد بما بصرهم من ذلك .

فقال : وكيف يجوز أن يهديهم إلى الشر ؟ لو هداهم إليه فاهتدوا بهداه
لكانوا مطيعين إن فعلوه .

قلت : إنما معنى قولهم : هداهم إليه ، أي عرفهم إياه ليجتنبوه ، وكذلك
أمرهم أن يدعوه « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (5) » ، أي طريق الحق / .

(1) أ : ... الذين أحوج خلقه إليه وأفقرهم إلى ما عندهم ...

ب : ... الذين أحوج خلقه إليهم وأفقرهم إلى ما عندهم ...

(2) ب : كلام فيه رمز من التأويل ذكر في مجلس .

(3) البلد ، 10 .

(4) صواب الآية : فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ فيها (الزمر ، 41) .

(5) الفاتحة ، 6 .

فقال : هذا مما قلناه . إن الهداية إنما تكون إلى الحق .

قلت : هم يقولون : الصراط في اللغة الطريق ، ومنه قوله (عج) : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ (1) » ، والسبيل أيضا الطريق ، وجمعه السبل .

فقال : لو كان الحق طريقا والباطل طريقا لتساويا في الحال ، ولكان لكل واحد منهما أصل . ولو ثبت أن للباطل أصلا لقارع الحق ، ولكن إنما الأصل للحق وحده ، والباطل مجتث لا أصل له ، ومن هذا قول الله (عج) « [ضرب الله] مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ / يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ . يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (2) » .

ثم قال (عم) : أفلا ترى أنه قال (عج) « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ » ، فأخبر أن هذا الصراط الذي أمرنا باتباعه واحد ، كما أن الحق واحد ، ذو أصل . ثم قال : « وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ » أي لا تتبعوا الباطل ، وشعوبه وفروعه وطرقه كثيرة وليس له أصل يرجع إليه ولا شيء يعول عليه . والحق كالطريق القاصد ، من اقتفى منهاجه لا / يعمل ولا يعدل عنه ، كان أصله الموضع الذي خرج عنه ، وأدى من لم يتجنبه إلى المكان الذي قصد إليه ، ومن تنكبه أوقعه إلى المكان المجهول ، واقتفى كل أثر خفي ومسلوك غبي ، ولم يصل إلى حيث توجه ، وتاه في المهالك والمهاوي واعتسف الفياق . فحيثما أخذ عن يمينه أو شماله أو أمامه أو حيث توجه على غير طريق ، فهو على غير أصل ، ولا ينتهي إلى حيث أراد ، ولا يزال ما دام كذلك يدعى ضالا . لما أضل الطريق . وكذلك من سلك سبيل الباطل واقتفى منهاج الضلال ، وإنما

(1) الأنعام : 153 .

(2) إبراهيم ، 24 - 27 .

سمّي ذلك منهاجا وطريقا وسبيلا ومسلكا ونحو ذلك على المجاز لا على الحقيقة لأنه / ليس بطريق في الحقيقة ، ولو كان طريقاً لأشبه الحقّ ولكن ذا أصل ، وإنما هو كما مثلنا لمن سلك فيه كالمجهول في الأرض الذي لا طريق فيه ، وسمّي طريقا على المجاز لأنّ الضالّ عن الطريق تطرّق به فاتّخذ طريقا لنفسه ، لا في طرق له وأثر (1) ممّن اهتدى إلى الموضع المقصود قبله . وهذا مثال الحقّ والباطل .

164 - ثمّ قال (صلع) : وهذا تمثيل مثله المنصور بالله نصر الله وجهه وصلى الله عليه وأثبتّه . في كساب الإمامة الذي قد كان بسطه .

في ذكر من يكثر معائب الناس ، والعيب فيه :

165 - (قال) وسمّته (صلع) يقول : إذا سمعتم أحدا يكثر معائب الناس ويرميهم / بعيب يكثر ذكره ، فاعلموا أنّ ذلك العيب فيه . فإنّا نأثر عن جدنا عليّ (صع) أنّه سمع امرأة تسبّ أخرى وترميها بالفاحشة ، والأخرى لا تقول ذلك لها . فقال : أخلّيق بما تقوله أنّه فيها وأنّ التي رمتهما بذلك بريئة منه . فسئل عن حالهما فوجدتا كما قال صلى الله عليه وعلى الأئمة من ذريته الصادقين (2) .

(1) في النسختين : وأثره من اهتدى . والقراءة ظنية .
(2) ختم هذا الجزء بمبارة : تم الجزء الرابع عشر : وهو نصف الكتاب ، والحمد لله رب العالمين ،
وصلى الله على محمد وعلى آل محمد الطاهرين الأبرار الصادقين (في النسختين) .

الجزء الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

في صناعة القلم الذي اخترعه الإمام المعزّ (صلى الله عليه وسلم) (1) :

166 - قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه / : ذكر الإمام المعزّ لدين الله عليه السلام القلم ، فوصف فضله ورمز فيه بباطن العلم ثم قال : نريد أن نعمل قلما يُكْتَبُ به بلا استمداد من دواة ، يكون مداده من داخله : فمتى شاء الإنسان كتب به فأمدّه وكتب بذلك ما شاء ، ومتى شاء تركه ، فارتفع المداد ، وكان القلم ناشفا منه ، يجعله الكاتب في كمنه أو حيث شاء فلا يؤثر فيه ولا يرشح شيء .

(1) نجد في بداية الميكرو فيلم من نسخة « ب » نصا بالانجليزية مطبوعا يحمل عنوان : « قلم خزان من القرن العاشر » . كتبه الدكتور حسن الباشا محمود وهو استاذ تاريخ الفن بجامعة القاهرة .

ويقع النص في صفتي 28 و 29 من مجلة أو كتاب . وهو دراسة موجزة عن هذا النوع من الأتلام التي يخزن حبرها في قصبتها . فبعد أن ذكر محاولات القدماء إجمالاً دون تدقيق - وقد رفعها إلى القرن الثامن عشر - تعرض إلى اختراع J. H. Lewis سنة 1819 الذي صنع لقلمه خزاناً من المطاط ، ثم إلى تحسين هذا المخترع بتجهيزه بريشة من الذهب .

ومنها انتقل إلى تحليل هذا النص الذي بين أيدينا ، فعرف بكتاب القاضي النعمان بإيجاز ، وصرح بأن اختراع القلم الخزان قد سبق بكثير اختراع لويس المذكور ، وقال : وقعت هذه البادرة من المعز في مصر في القرن العاشر . والملاحظ أن نصنا هذا لا يذكر مصر قط ، وإنما افترض ذلك صاحب المقال معتمداً على الفترة المصرية من خلافة المعز وهي قصيرة جداً بالنسبة إلى الفترة الإفريقية .

ولا تخفى أهمية هذا النص من الناحية الحضارية ، إذ لا شك أن قلم المعز هذا سبق بشمانيّة قرون أول قلم خزان عرف في أوروبا ، وهو قلم F. B. Foelsh سنة 1809 ، ثم قلم J. Scheffer سنة 1819 (انظر دائرة المعارف الإيطالية ، فصل Penna ج 26 ص 680) .

من المداد عنه ، ولا يكون ذلك إلاّ عندما يتغنى منه ويراد الكتابة به ، فيكون آلة عجيبة لم نعلم أنا سُبْقنا إليها ودليلا على حكمة بالغة لمن تأملها وعرف وجه المعنى فيها .

فقلت : ويكون هذا يا مولانا . عليك السلام ؟ ! /

قال : يكون إن شاء الله .

فما مرّ بعد ذلك إلاّ أيام قلائل حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة ، به ، معمولاً من ذهب فأودعه المِدادَ وكتب به فكتب ، وزاد شيئاً من المداد على مقدار الحاجة . فأمر بإصلاح شيء منه فأصلحه وجاء به فإذا هو قلم يقب في اليد ويميل إلى كلّ ناحية فلا يبدو منه شيء من المداد . فإذا أخذه الكاتب وكتب به كتب أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به . ثمّ إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد .

فرأيت صنعةً عجيبة لم أكن أظنّ أنّي أرى مثلها وتبين لي فيه مثل حسن في أنّه لا يسمح بما عنده إلاّ عند طلب ذلك منه ، وفيما يعود بالنفع ممّا جُعِلَ سبباً / له ، ولا يجود لغير مبتغ ولا يُخرج ما فيه إلاّ لمنّ يجب إخراج ذلك له لمن يحبّ ، ولا يخرج منه ما يضرّ فيلْطُخُ يدَ من يُمسكُه أو ثوبَه أو ما لصق به ، فهو نفع ولا ضرر ، وجواد لمن سأل ، وممسك عمن لم يسأل ، ومستغنٍ بما فيه عن غيره أن يستمدّ منه .

وهذا نحو بعض ما قال بعض العامة في القلم إنّه أول شيء خلقه الله عزّ وجلّ ، فقال له : اكتب فكتب (1) .

(1) نستغرب أن يسند القاضي النعمان ما جاء في القلم إلى العامة . والحال أن الاسماعيلية هم أصحاب هذه المقالة كما تدل عليه نصوص منهم كثيرة : فهم يطلقون اسم القلم على العقل الأول الذي هو الموجود الأول . ويقول السجستاني (المتوفى سنة 363هـ تقريباً) في كتاب إثبات النبوات ص 47 في وجه الشبه بين العقل والقلم : « ويحق أيضاً شبه العقل بالقلم لأن صور الحروف والأسماء والكلمات والعلم وهي في القلم شيء واحد ليس له مع بعض الحروف مشاكلة ومناسبة ولا من بعضها منافرة ومباعدة ، ولو شاكل القلم بعض الحروف أو نافر عن البعض لظهر المشاكل له قبل المنافسة عنه ، وليس يوجد في القلم هذا الحال بل يتبين للناظر أن اختلاف أشكالها وتأليفاتها إنما هي من أجل حركة الكاتب لا من أجل القلم في ذاته . كذلك جميع الأشياء في السابق لم تتفاوت في جوهرية . ويرى مفكرو الاسماعيلية أن الآية « ن والقلم » تطلق على العقل والنفس ، فالنون كناية على النفس ، والقلم على العقل ، وفي ذلك يقول حاتم بن إبراهيم الحامدي في مجالسه ص 160 مخطوط : « ن والقلم : خلق الله القلم من شجرة في جنة الفردوس يقال لها الخلد فقال (تم) : اكتب ؟ قال يا رب وما أكتب ؟ قال (تم) : اكتب ما كان وما هو كائن ... فكتب القلم ما قال الرب في رق أصفى من الهاقوت وأشدّ بياضاً من الفضة ثم طوى ذلك فجعله في ركن العرش » وهو أول شيء خلقه الله » (مجالس 124 أ) . ويقول السجستاني في كتاب الافتخار ص 43 مخطوط : « أما القلم واللوح فإنهما يضافان إلى الأصلين (أي العقل والنفس) ويستعملان فسي إفادة التراكيب » .

وفيما يرمز أولياء الله ويعملونه ويأمرون به ويتكلمون فيه حكمة بالغة لمن تأملها وهدي إليها . والله يهدي من يشاء من عباده المؤمنين إلى صراطه المستقيم .

كلام جرى في مدح كتامة :

167 - (قال) وسمعت صلوات الله عليه / يقول وقد دخل إليه رجال من كتامة أتوا من التواحي لشهود العيد ، فدخلوا إليه وسلموا عليه ووقفوا بين يديه ، فسألهم عن أحوالهم * ومن خلفوه منهم فأحصى السؤال بهم . فشكروا ذلك من افتقاده وسؤاله ، وذكروا جميل أحوالهم وهدوء نواحيهم واستقامة الأمور قبيلهم ، وشكروا عمال بلدانهم .

فابتهج لذلك صلوات الله عليه وسرّه وتهلل وجهه وتبسم ، ثمّ نظر إليّ فقال : هؤلاء أوليائنا وخالصتنا ، هؤلاء حزبنّا وزمرّتنا ، هؤلاء أتباعنا وعمدتنا ، هؤلاء خاصتنا وأهل مودتنا ، هؤلاء الذين يكونون في الجنة معنا كما كانوا معنا في الدنيا . ما أسرتني بهم وأبهجني برؤيتهم / وأحسنَ في عينيّ منظرهم ! إنني لأرى جماعتهم وكأنّهم عندي صورة واحدة ، قد تساووا في الجمال والهيئة والبهجة ، حتّى إذا خالطوا الناس من غيرهم : فالواحد منهم متى رأيته بين الجماعة من غيرهم كان عندي كالعلم السنّيّ والسرّاج المضيء . أما إنني لأقول في نفسي كثيراً إذا رأيت ذلك منهم : إنّ ذلك لفَرَطُ محبّتي لهم ، فلذلك أراهم كذلك .

فقبلوا الأرض بين يديه ، وقالوا : يقول مولانا ما يقوله بفضلنا علينا . فأما نحن في مولاتنا إياه ومحبتنا له فلاأنفسنا سعيّا ، ورضى ربنا بذلك أردنا ، وما ذلك منا بالتكلف ولا بشيء نُكره أنفسنا عليه ، ولا نرى عليه مشقة / ولا كلفة فيه . وما ذلك فينا دون بنيّنا وخدمينا وعبيدنا . والله ما يحلف أطفالنا وعبيدنا وخدمنا إلّاّ بحقّ مولانا وفضله ، ولا على ألسنتهم ولا هجيري (1) لهم غيره ، ولا يعرفون لهم مولى سواه ، وما نشأ منا ومنهم من نشأ إلّاّ على ذلك وعليه يموت * إن شاء الله .

(1) سقطت من أ . والهجيري هي الدأب والشأن والعادة .

والله لقد حاز العدو أيام الفتنة (1) من حازوا من النساء والأطفال ، ولقد كانت وصاياهم وكتبهم تأتينا يأمرونا بالصبر مع وليّ الله وأن لا نعطي لمكانهم (2) الديّة لأعداء الله . فصبروا على السراء والضراء والسبي والأسر حتى أظهرنا الله تعالى بوليّه واستفدناهم قسرا بحول الله وقوّته .

فقال صلوات الله عليه : لن يضيع الله سبحانه / لكم ذلك ولا ينساه . والله لو اطلّعت على ما لكم عند الله بذلك لقرّت أعينكم وطابت أنفسكم . وإنّ الله سبحانه تعبّد الخلق بضروب من المحن ، فما تعبّدكم إلّا لأفضلها وما استعملكم إلّا في خيرها وأشرفها : موالاة أوليائه والجهاد في سبيله والذبّ عن صرح دينه . فأبشروا من الله بالقسم الأوفى والحظّ الأسنى .

وفي مثل ذلك :

(قال) وسمعتّه (صع) يقول لبعض الأولياء من كتامة : والله ما يختالجنني الشكّ في اعتقاد صغيركم وكبيركم وحرّكم وعبدكم وذكركم وأنشاكم ولايتنا واجتماع قلوبكم على محبتنا . على ذلك نشأ صغيركم وعليه كبر كبيركم .

قال أحدهم : والله لو قد / سمع مولانا (عم) ما يلفظ به نساؤنا وعبيدنا وصبياننا من القول بولايته والمحبة له ونشر فضله ، لعلم أنّهم على ما ذكره فيهم .

فقال (عم) : ولم لا يكونون كذلك ! وقد قسم الله (عج) لهم منّا (3) الحظّ الأوفر في المحبة لهم والإشفاق عليهم والمودة لصغيرهم وكبيرهم ، وما لم يكن لهم مثله من أحد من آبائنا * مع ما وهب الله لهم في أيّامنا من العزّ والأمن والسّعة والسّلطان وعلوّ الكلمة ما لو أدركه من مضى من أسلافهم ثمّ أمرناهم أن يلجوا النّار بين أيدينا لولجوها .

فقال أحدهم : والله إنّنا لنقول ذلك ونتمنّى لمن (4) مات من آبائنا وإخواننا أن لو مُدّ في أعمارهم حتّى يكونوا بلغوا هذه الأيّام ورأوا هذه النّعم وشملهم /

(1) يعني فتنة أبي يزيد .

(2) كذا في « أ » و « ب » ، على المعنى الدارج = موضعهم . ويمكن قراءتها : لفكاكهم .

(3) من : ولم .. إلى ... منّا ... ساقطة من أ .

(4) ب : ... من : أيدينا إلى : تمنى لمن ...

هذا الفضل ، لقد كان ممّا يزيد في بصائرهم وتعظم به نعم الله عليهم . على أنّ لا نرى بمن بقي منهم تقصيرا في الولاية والطاعة .

قال : لا والحمد لله ، ما بهم في ذلك تقصير (1) . وإنّهم في الثبات لعلّ أفضل حال ممّن مضى من سلفهم . ولكنّهم ربّما أرادوا رضانا بالشّيء فأخطأوه ، وربّما تعلّقوا بمن دوننا ليجعلوا ذلك وسيلة إلينا . لا والله ما جعلنا لأحد عليهم في ذلك من سبيل .

ثم قال : ومن مثل هذا دخل ما دخل على من مضى من أسلافهم : رأيت بخطّ القوائم بأمر الله صلوات الله عليه حكاية عن قول بعض من كان من الشيوخ الأوّلين ، لحقهم ما لحقهم من الشكّ في أيام المهديّ / بالله (2) (عم) ، وقد عاقبه المهديّ في ذلك فقال له : والله يا مولانا ، ما نافقنا عليك ولا غيرنا ولا بدّلنا . والله لقد نافقنا وغيرنا وبدّلنا من حيث لم نعلم ذلك ولم نقصد إليه ، ولكن شبّه علينا فيه ، فوقعنا في ذلك من حيث لم نعلم . فإن يعفّ مولانا عنّا فبفضله ، وإن يعاقب بما شاء من العقوبة فنحن أهلها . فقال المهديّ بالله (عم) : بل يعفو الله عنكم يا أبا فلان . وذلك لما علمه من حسن نيّته وطويّته وصدق لهجته .

كلام فيه أخبار ، عن * تقدمة معرفة الفتنة (3) :

168 — (قال) وكان القائم بأمر الله (عم) قد أزمع الانتقال من المهديّة بعد وفاة المهديّ (ص) وأراد استنباط / مدينة غيرها ، وأرسل فقيس له مواضع كثيرة كلّها أراد البناء فيها .

قال المعزّ (صلع) : فكأنّه كان يرى ما حلّ بعد ذلك من الفتنة . فنظرت في غير موضع من المواضع التي قاسها لينيّ فيها فوجدت اللّعين مغلّدا قد أناخ فيها بعساكره ، ونزل في المواضع التي قاسها بعينه (4) . ثمّ طلبت ذلك بالحقيقة

- (1) ب : سقط من : تقصيرا ... إلى : تقصير ...
 (2) يشير بهذا إلى الذين افتتنوا في أمر المهدي في بدء أيامه وبدأوا يسرون الانتقال من المهديّة إلى المصلحيّة . فأمّر المهديّ بهما فقتلا في رقادة يوم السبت 10 ذي الحجة سنة 298 هـ ، واستمرّ التفتيل والملاحقة لبقية الاتباع . (انظر النعمان : اقتتاع ط. بيروت 06 وما بعدها . وابن حباد ، 11 . والبيان المغرب 1 : 164 . وانظر كذلك ص 164 من المجالس) .
 (3) من « ب » . وفي « أ » : كلام فيه أخبار في معرفة .
 (4) ب : بعينه . ولعل الصواب : بعينها .

وأخرجت القياسات فلم أر موضعا قاس فيه لينيه من حدود إفريقية (1) إلا وقد نزل اللعين مخلد فيه ، وأعدة مناخا : وسمي لنا من ذلك (2) : مرجنة (3) ، والشرف (4) المطل على مدينة سوسة ، وبقلو (5) وقصر الزجاج (6) ، وموضع مناخه بقرب المهديّة كان قد قيس للقائم (عم) على أن ينبي فيه / لاستشرافه على البحر والمنازل وصحة هوائه ، ثم موضع المنصورية (7) والجزيرة (8) ، الموضع الذي انهزم منه اللعين مخلد ، فلم يكن له بعد ذلك

(1) إفريقية : يتفاوت امتداد هذا المدلول الجغرافي قديما عند الرحالين وأصحاب المعاجم . فيقول ياقوت : « ... بلاد واسعة قبالة جزيرة صقلية ، وينتهي آخرها قبالة جزيرة الأندلس » . ويقول البكري : « ... من برقة إلى طنجة ، وعرضها من البحر إلى الرمال في أول بلاد السودان » فأضاف إليها ليبيا الحالية إلى حدود مصر .

وقال غيرهما : « ... من طرابلس من جهة برقة والاسكندرية إلى بجاية ... » . وانظر لمزيد من التوضيح فصل « إفريقية » بدائرة المعارف الإسلامية والفصل لمحمد الطالبي .

(2) يعد هذا النص أول بيان من نوعه عن المحاولات التي تلت تأسيس المهديّة في البحث عن موقع آخر حصين يعتصم الفاطميون به من الأخطار المحدقة بهم ، ويبدو أن الأحداث استمجلت الخليفة القائم عن تحقيق ذلك ، وانشغل بمشاكل الثورة عليه حتى توفي ، فحقق المنصور بعد ذلك هذا الانتقال عن المهديّة ، بتأسيس صبرة المنصورية والاستقرار فيها سنة 337 هـ .

(3) في النسختين : مرجنة ، ولعلها مرماجة ، وقد ذكر المقدسي (أحسن التقاسيم 227) أنها « كورة كبيرة من عمل رستاق تبسا » . وكان للفاطمين بها ذكريات روحية قديمة إذ بها أقام وتوفي الداعي أبو سفيان الذي أرسله الامام جعفر الصادق سنة 145 هـ . وقال عنها القاضي النعمان : « أنها دار شيعة » . (انظر افتتاح الدعوة 27 ط . بيروت والادريسي : صفة المغرب 118 . والحيري : الروض المعطار 540) .

(4) لعله فكر في استعمال القصبّة الأغلبية التي يقوم بها منار خلف الفتى بسوسة وهي قائمة في الركن الجنوبي الغربي ، على أن يتوسع في الزيادة فيها مع امتداد الهضبة إلى موقع مركز ولاية سوسة اليوم . وهذا هو الشرف المطل على المدينة .

(5) لقد اختفى اسم « بقلوط » اليوم ، ولكن يوجد انتساب له في اسم قرية « البقالطة » بقرب المهديّة . ولسنا متأكدين من صحة العلاقة بين هذين الاسمين ، ولا من الموقع .

(6) لا ذكر لهذا القصر بين قصور إفريقية في كتب الرحالة والجغرافيين القدامى ، وكذلك في الثبوت الذي سجله الادريسي « لمراسي البحر وقراطله وما عليه من القصور » (صفة المغرب ، 123 وما بعدها) . وما دام القاضي النعمان قد قرب موضعه إلى المهديّة وقال انه « مطل على البحر والمنازل » فمن الممكن أن يكون هذا الاسم قد تحرف عن « قصر الديماس » الموجود على ساحل قرية البقالطة ، وهو موقع رأس الديماس شمال المهديّة ، حيث توجد آثار مرسى بحري قديم ، وأطلال حصن قديم أيضا جدد واستعمل في العصر الإسلامي للمراقبة والاحتواء . ويعتبر هذا الحصن أو القصر مع جزيرة الأحاسي التي تقع أمامه مفتاح دفاع عن المهديّة ، كما نأكد ذلك في حملة لجار الثاني Roger II البحرية سنة 517 هـ . (انظر التيجاني : الرحلة 335 و 334 Idris : La Berbérie orientale sous les Zirides ، وكذلك : Ch. Tissot : Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, II, p. 172, 754) .

(7) هي المنصورية التي أسسها إلى جادب القيروان الجنوبي الشرقي الخليفة الفاطمي الثالث : المنصور اسماعيل إثر فراغه من حرب أبي يزيد مخلد بن كيداد . وخططها مدورة كهية بغداد لأغراض الدفاع . وقد ذكر ابن حوقل المعاصر لتأسيسها أن المنصور « اختط أحسن بلد في أسرع أمد » . وانتقل إليه واستوطنه وأقام به يوم الثلاثاء ليلة بقيت من شوال سنة 337 هـ . واشتهرت باسم « صبرة » و« صبرة المنصورية » . (انظر ابن حوقل : صفة الارض 73 . والمقدسي : أحسن التقاسيم 226 . وابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد 23 . والبكري : 25) .

(8) لا ندر ، إذا كان هذا الاسم يعني جزيرة ابن شريك (الوطن القبلي) ، أم جزيرة الأحاسي برأس الديماس . بها موقع صالح لإدارة حصار المهديّة .

مناخ بإفريقية . فكأنما مناخاته بين يدي القائم بأمر الله (عج) أراد أن يبينها ويسبقه إليها ، وكره المهدية وأبغض المقام بها كأنه كان يرى ما يصير إليه أمرها من الحصار والضيق والمحنة وما يحلّ بمن فيها من الفتنة . وإن كانت العاقبة بحمد الله آلت إلى خير بعد ذلك وإلى السرور والفرح والعزّ والنصر ، وصل الله ذلك وأدامه وفسّح أيامه .

رؤيا رآها المعزّ (صلع) * :

169 - (قال) وسمعته (صلع) يقول: لمّا أردت بناء القصر المعروف/ بقصر البحر واحتفار البحر فيه ، وقفت في الموضع الذي أردت إحداث ذلك فيه وقستّه . وكنت على أن آمر بالابتداء في ذلك إلى مثل مدة شهر ، ثمّ نمت من الليل ، فكأنني رأيت أنّي وقفت حيث كنتُ ، والعبيد عن بعد مني ، إذ نظرت إلى رجل مُقبِل إليّ ، فجعلت أتعجّب من دخوله إلى مثل ذلك الموضع الذي دخل إليّ فيه . بلا إذن . ثمّ جعلت كأنني حلّمت عنه وتركته حتّى قرب مني . فنظرت إلى رجل شابّ حسن الوجه معتدل القامة خفيف العارضين ، عليه ثياب نظيفة وطيلسان رقيق ، فسلم عليّ وأومأ إليّ أن يقبل يدي ، فرفعتُها عنه فقبّل عضدي ، وقال: ما أوقفك هنا؟ فتبسّمت / وقلت : بينما نحن نريد أن نسألك ما أدخلك إلينا بلا إذن منك لك في الدخول ، أو صيرت أنت تسألنا عن وقوفنا في موضعنا ؟

فقال : أفتأمن على نفسك من مثلي لو أراد بك سوءا هنا ؟

قلت : أفما ترى من حولك من عبيدنا ؟

قال : وأين هم ؟

فنظرت فلم أر أحدا . فاسترَبته في نفسي ، فقال لي : إنّما أتيتك أسألك عما تريد أن تصنع هنا .

قلت : ومن أنت ؟

قال : تريد أن تعسرف (1) من أنا ؟

قلت : أحبّ ذلك .

قال : أنا بطليموس .

قلت : أيّ بطليموس أنت ؟

(1) أ : ما تريد أن تعسرف ...
ب : ما أنت تريد أنت تعسرف ...

- قال : بطليموس (1) المعروف المذكور .
 قلت : صاحب الحساب والتنجيم ؟
 قال : نعم .
 قلت : صاحب كتاب المجسطي ؟
 قال : نعم .
 قلت : فما كان دينك / ومذهبك ؟
 قال : التوحيد .
 قلت : فماذا صرت إليه ؟
 قال : إلى خير والحمد لله .
 قلت : * ولماذا سألتني عن وقوفي هنا ؟
 قال : أردت أن أعرف ذلك . .
 قلت : أردت أن أبني هنا قصرا وأحضر في وسطه بحرا أجري فيه ماء ويكون
 في وسط الماء قصر (2) .
 قال : حسن جميل ، ولكن ابتدىء في ذلك يوم الثلاثاء .
 قلت : وأي يوم الثلاثاء هو ؟

(1) بطليموس القلوذي Ptolémée ، ولد بالصعيد المصري وعاش في الاسكندرية في القرن الثاني بعد الميلاد وكتابه المجسطي كتاب في علم الهيئة والنجوم وحركات الكواكب والأفلاك . وكان أول من عني بتفسيره وتعميره يحيى بن خالد ابن برمك سنة 190 هـ . ثم توالى عليه الشروح والتحاير والمراجعات . وكان كتابه في جغرافية الأرض محل دراسة طيلة القرون الوسطى .
 (انظر عنه : القفطي : أخبار الحكماء 95 وما بعدها . وابن النديم : الفهرست 267 . وابن جليل : طبقات الأطباء 37 وحاجي خليفة : كشف الظنون 2 : 1594) .

(2) سمي زيادة الله الثالث آخر أمراء الدولة الأغلبية قصره الكبير بقيادة « قصر البحر » ، وكان من المعام الأثرية التي أعجب بها الخليفة الأول عبد الله المهدي (انظر : الروض المعطار ، 487) .
 وهو قصر يشرف على بركة مستطيلة لا تزال آثارها باقية إلى اليوم (انظر :

Solignac : Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan, 247)

وقصر البحر الذي يشير إليه المعز في هذا النص ويقول فيه : « ... بوسطه بحر أجري فيه الماء ، ويكون في وسط الماء قصر » ، تردد صده في قصيدة للشاعر علي الإيادي التونسي في مدحه للمعز إذ يقول :

« تحف بقصر ذي قصور كأنما ترى البحر في أرجائه وهو متأق
 له بركة للماء مسلء فضائسه تحب بقطريها العيون وتمتق »

(انظر حوليات الجامعة التونسية 1973 ص 104) .

وقد انطلمت آثار صبرة / المنصورية فلم تطفح الحفريات بكشف يمكن تطبيقه على أوصاف هذا القصر .

وأن البركة المستديرة الموجودة ضمن آثار صبرة والتي اعتبر Solignac (نفس المرجع ص 273) أنها هي « البحر » ، لا يمكن أن تنطبق على الصورة التي قدمها المعز في النص والإيادي في البيتين : ذلك أن قطرها لا يسمح بإقامة قصر داخلها .

وبقي الاحتمال الأرجح ، أن تكون بركة قصر البحر هي البركة المستطيلة ذات الأبعاد 170 مترا × 65 مترا التي يمكن أن يوحه معنى « قطريها » عند الإيادي إلى مقياسي الطول والعرض . (وانظر المجالس ص 552) .

قال : هذا الآتي .

قلت : سبحان الله ! ما يتهيأ لي أن أقيس الموضع إلى مثل هذه المدة فضلا عن أن أدبر ما أردته فيه .

قال : ابدأ فيه يوم الثلاثاء - على كل حال - بما أمكن من العمل ، فإنه يوم صالح .

ثم انتبهت ، فقلت : لأنظرن قول أهل النجوم في الاختيار / في هذا اليوم الذي قاله ، ولم يكن في نفسي أن أختار لذلك ولا ألتفت إلى قولهم فيه ، ولكنني أردت أن أعرف معنى الرؤيا . فنظرت فلم أر يوما - على ما قالوا إلى مدة طويلة - أحسن في الاختيار عندهم من يوم الثلاثاء الذي قاله . ثم وقفت بعد ذلك في الموضع الذي كنت فيه قائما فيما رأيته في المنام ، والعبيد مني بعيد كما كنت أراهم في النوم ، وبين يدي سبع في قفص . ففتّح له شيء يلقي إليه ، فافتحم الباب وكاد أن يخرج إلي . ونظرت إلى العبيد فلم أراهم ، كما كنت رأيت ذلك في المنام . فبادر السائس فأطبق على السبع ، وسلمني الله (عج) .

فعلمت أن ذلك الذي رأيته في المنام كان / إنذارا .

كلام في قصة يوم الغدير :

170 - (قال) وسألته (عم) عن الرواية في يوم الغدير وما قاله رسول الله (صلى) ذلك اليوم لعلّي (عم) ، وما قام به من ولايته بقوله : من كنت مولاه فعليّ مولاه . وقلت : جاءت الرواية أن ذلك كان في منصرفه (عم) من حجة الوداع لما صار عند غدير خم وذلك لثمانى * عشرة خلت من ذي الحجة (1) وأن الله (عج) أنزل

(1) من : ... أما صار ... إلى ... ذي الحجة : ساقطة من « أ » . والتكلمة من « ب » .

وخم ، موضع بين مكة والمدينة ، نزل به الرسول (ص) عند عودته من حجة الوداع وقال فيه هذه القولة المعروفة التي اعتبرها أشياخ علي بيعة له تقر حقه في « خلافة الرسول » واعتبروها تكلمة لآخر الفرائض ، وهي الولاية . (انظر : ياقوت : بلدان ، والحميري : الروض المطار 156 ، والمسعودي : التنبيه والاشراف ، 250 ، ودعائم الاسلام ، 2 : 14 و 16) .

وقد صارت ذكرى هذا اليوم عيداً عند الفاطميين منذ مقدم المعز إلى مصر سنة 362 (انظر : اتماظ الحنفاء 1 : 142) .

عليه حينئذ لما قام بولاية عليّ (عم) وأجّاب المسلمون ما عقده له : « اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا (1) » .

فقال : نعم ، كذلك كان الأمر .

قلت : وقد جاء عن أبي جعفر محمد بن عليّ (صع) أنه قيل له ، إن بعض اليهود سمع قول الله تعالى « اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي / وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا » ، فقال اليهودي : لو نزل مثل هذا علينا لاتخذنا هذا اليوم عيداً .

قال أبو جعفر : لقد نزل ذلك في يوم عيدين : نزل في يوم عرفة . ووقع يوم الجمعة (2) .

قلت : ويوم عرفة يوم تسعة من ذي الحجة ، فكأن ذلك — على الحديث — نزل قبل يوم الغدير بتسعة أيام .

فتبسّم (صع) وقال : فما قلت أنت في ذلك ؟

قلت : ما ذهب وهمي في ذلك أن قول رسول الله (صلع) : خلّفتُ فيكم ما إن تمسّكتُم به بعدي لن تضلّوا : كتاب الله وعيّرني أهل بيتي — قال هذا يوم عرفة — أنزل فوجبت به الولاية ، وفسّرها بعد ذلك يوم الغدير (3) .

فقال : لا ، ولكن كان في يوم عرفة كما قال أبو / جعفر (عم) . وذكر تأويل عرفة فتبيّن لي الأمر ، وصحّ الحديثان (4) .

(1) المائدة ، 3 .

(2) وهو قول عدد بن الخطاب أيضاً وابن عباس . انظر تفسير الطبري في طبعة دار المعارف بالقاهرة - 9 ص 524 عدد 11095 و 11097 . ولكنهما لم يشرّا إلى حديث الغدير هذا ، الذي اعتبره أتباع عليّ نصّاً على ولايته . ومعلوم أن جمهور السنة ينكرون هذا النص . وكذلك المعتزلة : انظر ما كتبه الجاحظ في كتاب العثمانية ص 176 من طبعة عبد السلام هارون .

(3) الكلام هنا مخجل التركيب أو شامض المعنى . وههنا نحن أن النعمان كان يظن أن حديث العترة المنسوبة قبل يوم عرفة « وجاء حديث الغدير مؤيداً له ، مؤسساً مبدأ الولاية لعليّ . ولم يربط النعمان الصلة بين آية إكمال الدين وإتمام النعمة وحديث الغدير . وهو أمر لم يفعله مفسرو الشيعة ، ومنهم محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان ، مجلد 5 ص 176 إذ يقول : « وهذا يؤيد ... أن الآية نزلت يوم غدريخم ، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر للهجرة في أمر ولاية عليّ عليه السلام » (الطبعة الثانية « بيروت 1974) . وانظر فصل « غدير خم » في دائرة المعارف الإسلامية .

(4) قد احتفظ النعمان بهذا التأويل لنفسه ولخاصة الأولياء ، ولم يفصح عن حقيقة التضارب بين الأثرين : أكانت الوصية يوم عرفة أم بعد الفراغ من مناسك الحج ، في طريق العودة إلى دار الهجرة ؟

فكأنما شقّ عن قلبي له غطاء كان عليه . فقبّلت الأرض بين يديه ، وقلت :
يا مولانا ، هذا الذي نزل من السماء لا ما سكن في الأرض .

كلام في الربيع جرى في مجلس :

171 - (قال) وذكر الربيع يوما في مجلس المعزّ (صلع) وما يكون فيه من
الخضر والزهر والنبت وتفتح الشجر . إلى أن جرى ذكر النزهة فيه وما يخرج به
أهل الخلاعة والبطالة إليه - إذا . اعتمّ (1) نبتُه وزها نوارُه واخضرّ عشبُه
وتفتحت أشجاره - من ألوان الأطعمة وخبائث الأشربة في نزههم إليه ، وما يعكفون
به من لهوهم عليه .

فقال المعزّ (صلع) : سبحان الله ! ما كان أولاهم / إذا نظروا إلى عظيم قدرته
فيما أخرجهم من نبات الأرض ونوارها وافتتاح أشجارها بعد أن أعاد منه ما كان
قبل ذلك مخضراً عميماً ، يسا وصار عصفاً هشيماً (2) ، ثمّ أنبت الله تعالى بالقدرة ،
وأعاده بعد أن يبس وذوى إلى النضرة ، وزيّنه ببدايع الزهر ، وكساه بعد الجفاف
ألوان الخضر فأحياه بعد الممات ، وأيقظه بعد السبات ، وأخرجهم من تراب وماء ،
وغذاه بحرّ الشمس ولطيف الهواء ، وجعل له حياقاً وموتاً ، وقدرّ منه نفعا وقوتا ،
تعجز العقول عن إدراك كيفية إخراجهم ، ونُسبوه . خلقت قدرته عظم (3)
الأشجار من الحبوب والبذور الصغار . وما ألفه بتدبير حكمته من أغصانها وأوراقها ،
واستخرجته من نوارها وثمارها ، وتفاوت ألوانها واختلاف / أجناسها وطعومها ،
كما قال الله (تع) : « يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لُبَّ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ
فِيهِ الْأَكْلُ (4) » . وأخبر أن في ذلك من الآيات والدلائل والبيّنات ما يجب
على من أطلعه عليه (5) من عباده الفكرة والنظر والعبرة ، والاستدلال بما أظهره
من عجائب قدرته ومعجزات خلقه على وحدانيته وحكمته .

فذلك الذي أمر الله (عج) به - بذلك وغيره مما خلقه - لقوله : « إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (6) » ، ولم يقل : إن فيه التذاذا للمتذهين
واستمتاعاً للأكلين . على النظر إليه الشارحين .

(1) اعتمّ النبت بالزهر وتعمم : تكلل به كالتاج .

(2) ب : عشفاً ، أو : حشفاً ؟

(3) في السختين : جلّت قدرته عظم .

(4) الرعد ، 4 .

(5) سقطت « عليه » من أ . وتأخرت في ب بعد عباده .

(6) الرعد ، 3 .

ثم قال (عم) : وليت شعري ، ما يبعث النظر إلى النوار والخضر من لذة شرب المسكر؟ بل / ما في شربه من اللذة ، وهو يُحيل حسن الصورة إلى القبح والعورة (1) من امتلاء الوجه واحمراره ، واستحالة البصر وازوراره ، واعوجاج الشدق وسيلان الريق إلى ما يحدثه من زوال العقل والحلم وذهاب المعرفة والفهم ، حتى إن إنسانا لو لم يعلم علة السكر فرأى سكرانا لم يكن شك فيه أنه مجنون . بل ربما كان بعض المجانين يَفْهَم ما يقول ويعقل ، والسكران لا يدري ولا يعقل .

ثم قال (عم) : ولقد أحسن الذي وصفه فقال : إن السكر يذهب العقل ، وقل شيء ذهب فعاد كاملا . (قال) ولو لم يكن المسكر محرما لكان فيما يوجبه نظر العاقل لنفسه أن لا يتناول شيئا ينقص عقله . وإن القليل منه ليذهب من عقل من يتناوله مقدار ذلك الذي وصل منه إليه ، وكلما زاد ، زاد ذلك حتى يذهب العقل كله . وليس على ما يقوله من أحل قليله وحرّم ما أسكر منه (2) . وما أسكر الآخر منه إلا مع ما تقدّم له ذلك . ومن هذا قول كثير ، يوضحه ويشهد العقل الصحيح بصحته .

في مثالب بني العباس الملاحين :

172 - (قال) وتصفح يوما أخبار بني العباس في بعض الكتب ، فمرّ على يديه كتاب فيه أخبار المتغلبين من بني العباس وسيرهم ممّا ألفه وجمعه بعض رجالهم ممّن قصد إلى ذكر فضائلهم وتخليد أخبارهم ومآثرهم . فجعل مولانا المعزّ (عم) يقرأ أخبارهم واحدا بعد / واحد . فأكثر ما يجري فيها ذكر شربهم للخمر ولهوهم بالمعازف وصلاتهم المغنين واللهة والمحتكرين (3) وقولهم الأشعار في الغلمان ، ومجونهم مع الفجار وغدرهم وخترهم (4) وقتل بعضهم بعضا ، واتخاذهم أمر الأمة دولا .

(1) في «ب» الوعرة . وفي «أ» الوعورة .
(2) كان المعز يقصد هنا أبا حنيفة وأصحابه ، في موقفهم المعروف من النبي . ولم نجد ، والحق يقال ، من أحل منهم المسكر قليلا أو كثيرا .
ولعله يعني بالذات محمد بن الحسن الشيباني الذي قال : ما أسكر كثيره فأحب إلي ترك شربه ، ولا أحرمه . (انظر مختصر الطحاوي بتحقيق أبي الوفاء الألفاني ، القاهرة 1370 ، ص 278) . وصار تحليل النبي شعارا يلصقه المفرضون بالحنفية ، حسبما يظهر في أبيات الزمخشري المعروفة :
إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به وأكثه ، كتماناه لي أسلم
فإن حنفيا قلت قالوا بأنني أبيع الطلا وهو الشراب المحرم
(الكشاف 310/4) .

(3) كذا في النسختين : ولا يتضح تناسب ذكر «المحتكرين» إلى الطبقات التي عددها . ولعلها مصحفة عن المحتكرين ، وهم عازفو الجناك ، وإن كنا غير واثقين من وجود هذه الآلة في القرن الرابع زمن النعمان .

(4) الختر : أقيح الغدر .

قال المعزّ (عم) : هذه محاسن القوم ، فكيف بمساوئهم ؟ وهذا قول من قصد بقوله مدحهم وفخرهم ، فكيف بمن قصد ذمهم ومعائبهم ؟

فقلت : الحمد لله الذي لم يجعلنا من أتباعهم وفي أزمانهم فنكون مثلهم ومعهم ، ونحشر في زمريهم .

قال : نعم ، الحمد لله على ما من به عليكم بنا وقسم لكم من ولايتنا ولطف لكم من الكون معنا / .

كلام جرى في مجلس في إجراء نهر عين أيّوب إلى المنصورية :

173 - (قال) واعتزم (1) المعزّ لدين الله (صلع) على إجراء نهر عين أيّوب (2) إلى المنصورية ، وقد كان القائم (عم) ابتداء العمل فيه على أن يجريه إلى

(1) في النسختين : ولما ...

(2) ان مضمون هذا النص جديد كل البعد على الوثائق والدراسات التاريخية والأثرية . فهو يفيد أن القائم الخليفة الفاطمي الثاني ابتداء العمل لإجراء عين نهر أيّوب إلى القيروان ، وكان مقر الدولة يومئذ بالمهدية ، لكن فتنة أبي يزيد عطلت الأمر . وفكر الخليفة الثالث المنصور إسماعيل في مواصلة جهود والده ، ولكن مستشاريه هولوا عليه ، وهو تخويف لم يعبا به المعز « إذ استأنف العمل يوم الأحد غرة المحرم سنة 348 هـ ، مبتدئا من حيث انتهى القائم . وهذه الحقائق الموثوقة تدعو لإعادة النظر في كل ما قيل عن قنوات الماء الموجهة إلى القيروان . فالنصوص لا تفيدنا بشيء توضيحي عن هذا الموضوع ، مثل الإشارة العابرة التي وردت في أرجوزة لسان الدين بن الخطيب (رقم الخلل في نظم الدول 31 - تونس 1316 هـ) يتحدث فيها عن الخليفة المعز الذي : « ... جلب الماء على الحنايا » .

وقد أخذت الدراسات الأثرية وجهة مختلفة عما يفيد نص القاضي النعمان ، ففي التقرير الذي كتبه Lieutenant Lachèvre تعتبر قناة مياه جبل الشريشيرة ضمن المنجزات الرومانية . انظر : Paul Gauckler : *Enquête sur les installations hydrauliques romaines en Tunisie IV*, p. 277. Tunis 1900.

ويذكر G. Marçais أن الأغلبية هم الذين نقلوا الماء إلى القيروان على قناة عمولة على دعائم . حيث تنطلق المياه من حوض التجميع الدائري داخل القناة المقبية ، وتجتاز وادي الموتى على حنايا عقودها نصف دائرية ، لا تزال أربعة منها قائمة إلى اليوم .

واستخدم الفاطميون لتزويد صبرة / المنصورية بالماء المؤسسات التي أقامها الأغلبية قبلهم كحنايا الشريشيرة التي كان عليهم أن يصلحوا بعض أجزائها وأن يكملوا مد القنوات في الوجهة التي يريدونها وكان G. Marçais ، *L'architecture musulmane d'Occident* pp. 36, 93 بهذا يوفق بين رأيه وما انتهى إليه Solignac في بحثه *Les installations hydrauliques de Kairouan* في قناة جبل الشريشيرة ومنابعها ومسالكها وعصور بنائها ، حيث تصل القناة الرومانية إلى « هنشير غرار » ومن هناك يبدأ المجرى الأغلب ، الذي لم يغير الفاطميون شيئا من مخططة وخطة سيره إلا عند اقترابه من القيروان إذ أضيف إليه بعد ترميمه مجرى آخر أوسع وأكثر استيعابا لحجم الماء المار به .

ولاحظ Solignac بعض الفروق التي اتخذها معيارا للتمييز بين عمل الأغلبية والفاطميين ، وذلك أن مواد البناء التي استخدمت في إقامة هذا الأثر لربط أحجاره وتفتية سطوحه تشتمل على رماد الخشب والخزف المدقوق tulleau ، ولكن نسبتها في القسم الفاطمي أكثر ارتفاعا . (انظر المصدر السابق ، 126 وما بعدها) .

ان نص النعمان لا يدع شكاً في وضوح دلالاته . ويستمد توثيقه عندنا من شخصية كاتبه وعلاقته بالخليفة المعز . ونستبعد أن ينسب هذا الخليفة لنفسه ولأسلافه ما لم ينجزوه من كبير الأعمال . وإذا عدلنا نظرنا بالنسبة إلى قناة الشريشيرة والحنايا الحاملة لها إلى أعمال الفاطميين وفق هذا النص فسيظل هناك سؤال مهم يتطلب الإجابة ، هو : من أين كان الأغلبية يستقون ويمتلأون بركهم الواسعة بالقيروان ورقادة ؟

كما سيظل اسم « أيّوب » الذي نسبت إليه العين ، نقطة تساؤل عنه وعن منزله .

مدينة القيروان ، ثم جاءت الفتنة فقطعت ذلك ، وهم المنصور بذلك فهوّل عليه أمره .

ثم اعتزم المعز (عم) على لإجرائه . وبدأ بالعمل فيه أوّل يوم من المحرم سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة وذلك يوم الأحد . وقيس ما بين المكان الذي بلغ به القائم إلى المنصورية فوجد طوله ثلاثة وسبعين ألف ذراع . فأمر بأن يجري قناة تبنى بالجير (1) تأخذ في أسناد (2) / جبال وتمرّ على أودية وأوطنة يحتاج فيها إلى آزاج (3) يجري الماء من فوقها .

واستهال ذلك بعض من حضر . فقال المعز (عم) : قد هوّل مثل هذا التّهويل* على القائم (عم) ، وقيل له : والله لو جُعِلَتْ في ساقية من زجاج ما جرت . وقيل للمنصور (عم) : يحتاج أن ينفق فوق مائة ألف دينار ، ثمّ الله أعلم هل يصحّ جريها أو لا . وكان ذلك سبب تركها . ولا والله لا أتركها ولو أنفقت فيها أضعاف ما قيل . والله لو علمت أنّ الزّجاجين يستطيعون لنا بيتا (4) من الزجاج لأمرت بعملها ولأجريتُها فيها ، ليعلم من يهوّل ذلك أنّه لا يهوّلني ولا أستعظمه . وإنّما تهيّأ ما تهيّأ لمن تقدّم / من ملوك الأرض من مثل هذه الأعمال ، بالعزم عليها والحزم فيها .

ثمّ ذكر ماء جبل زغوان الذي كان يجري في قناة (5) قرطاجنة فقال : أما والله لو كان لنا هناك ما نستقي به لأصلحت تلك القناة ولأجريتُها فيها . وإن كان

- (1) كذا في « ب » . وفي « أ » تبنى بالجهر والجير .
 - (2) جمع سند محرّكة : ما قابلك من الجبل وعلا من السفح .
 - (3) المعقود التي تحمل القناة ، والمفرد أزج .
 - (4) كذا في النسختين ، ولعلها : يستطيعون بناؤها .
 - (5) انظر عن جبل زغوان : البكري 45 والادريسي 119 اذ يذكر « أنّه أكثر الجبال ماء » . وتعتبر هذه القناة المحمّولة على « قناطر » أو « حنايا » من عمل الامبراطور Hadrien (انظر عنها F. Rakob, le sanctuaire des eaux à Zaghouan, Africa III-IV p. 133. Tunis, 1972, وقد تعمل عملها في أيام الفتح الاسلامي لافريقية ، وأصلحها المستنصر بالله الحفصي إصلاحا لم يكن ليتناسب مع ما كانت عليه . وقد وصف الرحالة العبدري عمله بقوله : « انه احتاج إلى إصلاح بعض الحنايا بها مما يلي تونس ليوصل الماء إليها إذ كانت معطلة قبله ، فأقام في عملها مجتهدا بأقصى ما يمكنه أعواما عديدة ولم يمكنه رد ذلك على ما كان عليه ولا ما يقرب منه ، بل اقتنع بتسديده كيفما أمكن مع قلته وتفاوته بالإضافة إلى غيره » (الرحلة ، 41) وقد استأثر بمائها « قصر السلطان وجنانه الا رشحا يسيرا سرب إلى ساقية جامع الزيتونة يرتشف منها في أنابيب من رصاص » (ص 40) .
- ويظهر من كلام المعز أنّه فكر في إصلاح قناة زغوان . وأيضاً في جلب ماء زغوان إلى المنصورية ، فلم يقمعه إلا خشية قطع الماء على سكان تونس وقرطاجنة .

الناس يتعاضمون أمرًا ويرون أن أحدا لا يقدر على ذلك ، فليت شعري كيف جاز ذلك عندهم لمن تقدّم ولا يجوز لمن تأخّر ! ؟ اللهم إلا أن يصحّ في عقولهم الفاسدة أنهم كانوا في القوة وعظم الأجسام في خلاف ما عليه اليوم الأنعام . وكما زعموا أن المرأة كانت تأتي بأعظم صخرة ، يرونها تحملها على رأسها وميزلتها في يدها . فإن كان بمثل هذا / من المُحال تصوّب هذا عندهم ، فنعم .

ثمّ قال : والله لقد صرت إلى ناحية تونس وما لي نظر (1) إلاّ إلى ذلك الماء وكيف ينتهي جريه إلى المنصورية ، فلقد رأيته ممكنا . وإنّي لأرجو ، إذا أعاننا الله على هذه القناة وأوصلها ، أن أجريته بعونه وتأييده وتوفيقه . وما يتعظم من مرآم مثل هذه الأعمال إلاّ أن يكون . الأجل يقطع دونها ، فيأتي ، بعد من رام ذلك وابتدأه ، من أهل العجز من يقعد عنه فينسبُ مبتدئ ذلك (2) إلى تعاطي ما لا يقوم به و[اللهم] بما لا يتهيأ له (3) ، فينتقصه بذلك ، والنقص أولى بمن قال ذلك فيه ونسبه إليه .

فقلت : يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ويسدّ في عمره / ويفسخ في أيامه حتّى يُبلغه أمله ويبقى من آثاره الصالحة في الأرض ما يجمعه إلى أخباره الرضيّة . فما رأيت شيئا تعاضمه من قبله وأعجزهم مرآمه إلاّ هيأه الله (عج) له ونصره عليه . ولقد كان هذان العمودان بمدينة سوسة (4) من أعظم آثار الأولين ، وكان النظر إليهما عبرة . ولم ير الناس أنهما أمكنا من أقامهما إلاّ لقربهما من البحر ، وأنهما فيه أتاها آت بهما وأعجز كل من تقدّم من ملوك إفريقية في الجاهليّة والإسلام تحريكهما من مكانهما ، فضلا عن نقلهما ذراعاً فما فوقه عنه .

(1) أ : وما نظرت .

(2) سقط من ب : وابتدأه ... مبتدئ ذلك .

(3) سقط من أ : وهم ... له .

(4) هذه أول إشارة عن مصدر هذين العمودين الكبيرين اللذين نقلنا إلى المنصورية واستخدما ضمن بعض قصورها . وبعد خراب الموقع وتحوله إلى مجر لاستمداد مواد البناء القديمة ، عمدوا إلى نشر هذين العمودين ونقلوا منهما أجزاء كبيرة ، وظل بعضها هناك إلى اليوم . ويسمى العامة « عرصات الدم » وهي ذات قطر مقداره 1،50 متر . وقد أفادت الأسرار الأثرية حولها أن المكان الذي تقع فيه حاليا قد دحرجت إليه قصد نقلها وليس لها أي علاقة معمارية بالموقع . انظر عنها :

(Ch. Tissot, géographie comparée de la province romaine d'Afrique T. III, 608 Paris 1888)

ولقد ذكرهما أمير المؤمنين ، وكنتا نرى أن ذلك لا يمكن بحيلة ونحب أن لو لم يتعرض لهما لثلاثاً يعجزاه/ فيكون ذلك بعض النقص . ثم رأينا لما اعترم على ذلك أن يحشد الناس إليهما من البلدان ويجلبوا من الآفاق . فما أفرد لذلك إلا طائفة من عبيده الممالك ، وما أشرك معهم أحدا غيرهم . فأتوا بهما في أوصلك مدة وأيسر مؤونة بتيسير الله وتأيدده (عج) لوليته .

فقال : نعم ، الحمد لله على ذلك وعلى جميع نعمة . ولقد تركت ما ذكرت من جمع الجموع إليهما فرأيت أن القليل في ذلك أفضل وأزكى ، لأن الكثير يتكل بعض[هم] على بعض وتختلف أيديهم ولا يكاد الأمر والنهي - ممن يقوم على أمر ذلك ويتولاه - يتصل بجمعهم ، وذلك مع القليل أفضل . وأبلغ .

فما رأيت ولا سمعت بأعلم منه (عم)/ بكل فن يأخذ فيه من جميع ما يتصرف الناس فيه .

كلام جرى يوما في مجلس في ذكر الكيمياء :

174 - (قال) وذكر الكيمياء يوما فقال : سمعت المنصور بالله (عم) ذكرها وقال : قد اجتهد على إبطالها بعض من أنكرها باشتقاق اسمها من الكتمان ، لأنهم قالوا : كمي يكمي الإنسان الشهادة كميًا إذا كتمها ، وتكمت الرجل بسلاحه ، إذا تغطى به واستتر به ، وتكمتهم الفتنة والشر ، إذا غشيتهم . ومنه سمي الكمي ، وهو الشجاع ، إذا تكمت بسلاحه وتغطى به .

(قال) ثم قال المنصور عليه السلام : هي مكتومة عند من جهلها معلومة عند من عرفها . وذلك كما يكون ما كُتِم واستتر مجهولا عند من سُر وكُتِم عنه ، معلوما عند / من ظهر له واطلع عليه .

وكان ذكر المعز صلوات الله عليه لذلك بعقب شيء ذكره من علم الباطن ، فعلمت أنه إنما جاء صلوات الله عليه بذلك شاهدا ودليلا ورمزا فيه .

كلام في أمر العمال جرى في مجلس :

175 - (قال) : وذكر له (عم) أمر العمال والمتولين وأن كثيرا منهم يظلمون ويتجاوزون إلى الناس ويتعدون ما حده لهم أمير المؤمنين فقال : أما والله ما أغفلت أمرهم ولا أغضيت عنه ، ولا أغضيت ولا أتفاغل إلا عما يكون لي في ذات نفسي .

وأما ما كان لعباد الله ممّا قلّدنيّه جلّ ذكره ، فلا أدع منه إلّا ما لا حيلة لي فيه ، ولا استطاعة لي عليه ، وما أعلم أنّ الله تعالى يعذرني فيه / ولا يسألني عنه ، لأنّه (عج) لا يكلّف نفسا إلّا وسعها . والله ما وجدت إلّا ما فعلته . أو أنترك (1) حقّ الله الذي أقام به أوّدّ خلقه وجهاده عدوّه وصلاح أمور بريته ، الذي لو ترك لكان البوار والدّمار في تركه ! وإنّ أكثر ما أمكنني واستطعته ، أن اخترت لذلك أمثلاً منّ وجدته يقوم به ويصلح له . ولو دعوت من أراه أفضل منه في دينه لما قام ولا استطاع له ولم يكن يجيب إليه . فضاعت الحقوق ، وكان ذلك سبب ما ذكرته من المكروه .

وإذا أنا ندبت أو أندب لذلك أمثلاً من رأيت ، أمرته بالعدل وحسن السيرة وأخذ الحقّ بلا زيادة عليه ولا نقص منه . وعهدت في / ذلك إليه وكتبت له كتاباً بيده يكون حجة له وعليه . فإذا صار إلى عملة استقبله من كان يكره العامل والنّاظر قبله ، يحبّ أن يخصّه وأن يكون بطانة له . وأكثر خروج العمال والمتولين إنّما يكون قبل وقت أخذ الواجب (2) . فلا يزال مشكوراً عند أهل عمله ما لم يتناول شيئاً من الواجب منهم . فلماذا أخذ في ذلك بدأ القول فيه ، فشكاه قوم ، وجاء آخرون يشكرونه . وكنا على غير يقين بما يقولون . ويأتي هو من الإحتجاج بما يبيّن أكثره . وربّما كان من يشكوه (3) يزيد في القول عليه أو يأتي بشيء لم يكن منه . فإذا اتّضح ذلك قويّت حجّته وكلامه فلا نكاد نقف من ذلك على صحيح من / سقيم . ويأتي قوم ، فيزكّونه ويشكرونه ، وآخرون يقعون فيه ويدّمونه ، فلا يكاد أمره يتّضح ، ولا ما قيل فيه يفسد ولا يصحّ ، حتّى يأتي على ذلك ما خرج إليه ، وينقص ما تولّاه . ولو ذهبنا أن نكفّ يده في أوّل ما قيل فيه ولم نقف على صحيح أمره لذهب الحقوق والواجبات ، وتعطلت الجبايات ، وانكسرت الأموال ، وكان ذلك سبب ما قدّمنا ذكره من فساد الأحوال . ومع ذلك إنّنا لا نجد من نثق به فنستظهر بقوله في كلّ بلد وموضع ، ولا نجد أيضاً من نرضاه يتولّى ذلك كما ذكرناه ، ونضطرّنا الحال إلى ما نصير إليه ممّا قدّمنا ذكره .

(1) في أ و ب : أو ترك .

(2) يعني بالواجب ما يجب استيفاءه شرعاً من الضرائب . (انظر : الأعمال ص 405 ، والواجبات ص 407 ، والنفقة ص 498 من هذا الكتاب) .

(3) في أ : يشكروه .

فليس يعلم ما نقاسيه من/ذلك إلاّ الله (عج) الذي نرجو أن يقوم لنا العذر فيه عنده. وبمثل هذا احتجّ علينا الدجّال البربريّ مخلد بن كيداد لمّا قام محتسبا (1) علينا بزعمه. فلمّا توسّط أمره انخرق الأمر في يده فأهلك الحرث والنّسل وأخرب البلاد وأهلك العباد .

قال بعض من حضر المجلس : هو كما ذكر أمير المؤمنين . والخبر المشهور أن رجلا أتى إليه فقال له : عندي نصيحة يسمعها الشّيخ ويراهها المسلمون .

قال : وما هي ؟

فأخرج مخللة معه فيها رقاع كثيرة .

فقال : ما هذه ؟

قال : هذه الرّقاع التي ترى ، ودَيْتُ كلّ ما فيها عن نفسي وحدي من تقسيط ونزّل وغير ذلك من المغارم / . وجعل يقرؤها عليه واحدة واحدة وهو يصغي إليه وينبه من حوله على ذلك. وأمر بإحضار وجوه من كان معه من أهل البلدان من رجاله لذلك ، يريد به الشّناعة فاحتفل عنده خلق عظيم . حتّى أتى الرجل على جميع تلك الرّقاع . فقال : انظروا ! هذا رجل واحد حلّ به مثل هذا فاعرفوا ما قمتم فيه وثوابه .

فقال له الرجل : وأخبرك يا شيخ المسلمين بأعظم من هذا ! فأصغى إليه ومن حوله .

فقال : ما هو ؟

قال : إنّي ودَيْتُ هذا الذي سمعت . في هذه السّنين التي قد رأيت وسمعت تاريخها في هذه الرّقاع وأنا في منزلي وداري ومعّي أهلي ووّلدي ، وعندي / من

(1) لقد علل أبو يزيد ثورته على الفاطميين بأنهم أنقلوا الناس بالضرائب المشقة ، فوجب عليه أن يقوم محتسبا لله مدافعا عن مصالح المسلمين . ويظهر موقفه هذا بوضوح من خلال النص الطويل الذي أورده المقرئ (المقفى 195 ب) ، وفيه هذا الحوار بين المنصور وأسيره أبي يزيد :

« ما الذي اعتددت على أمير المؤمنين - يعني القائم بأمر الله - حين خرجت عليه ؟ فقال : كان أبو القاسم كريما حوله قوم سوء أحدثوا هذه القبالات التي فيها الجور على المسلمين فقامت لذلك مفكرا أريد إصلاح أمور الناس . قال : فهل علمت أن ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره ؟ » قال : لا أعلم . قال : فهلا رفعت ذلك إليه وأطلعت عليه ، فإن غير المنكر كان الذي أردت ، وإن هو لم يفعل اتخذت ذلك حجة عليه . فسكت . قال : كأذك إنما قمت محتسبا ؟ قال نعم . » وانظر ص 429 حيث يبرأ القائم من تصرفات بعض الأولياء مما أثار غضب الرعايا .

العبيد كذا ، ومن البقر كذا ، ومن الغنم والذخائر كذا ، والطعام والزيت والزبيب كذا وكذا - وعدد أشياء كثيرة - إلى أن دخل إلينا أصحابك فانتهبوا جميع ذلك حتى لم يبق لي منه قليل ولا كثير . وخربوا منزلي وفرقوا أهلي وولدي وقرابتي ، فلم أجد أحدا أسكن معه فارتحلت بأهلي بعد أن أخذ عبيدي ، فلقينني بعضهم فانتزعوا مني أهلي (1) وبنائي وافترقوهم . فجئت إلى عسكرك أدور فيه ، فوقعت على بعضهم ، فكاد من كان عنده يقتلني . وما نجوت إليك بنفسي إلا عن جهد . فأسقط في يد الشيخ السوء وتكرر أصحابه على ذلك الرجل وهموا به وكادوا أن يقتلوه . فما خلصه منهم إلا بحيلة وأرسله مستتراً مع قوم حتى أوصلوه مدينة القبر وان . وذهب جميع ما ذكره له .

وهذا قليل في كثير مما نال غيره . وما عرف الناس فضل ما كانوا فيه إلا عندما وقعت تلك الفتنة بهم وحل ما حل من هذا بأكثرهم . وأكثر الناس لا يعرفون ولا يدرون قدر نعم السلطان عليهم ، ويتعاضمون اليسير مما يكلفهم ولا يرضيهم إلا التركة بالجملة لهم حتى تحل النأبة بهم فيعلمون عند ذلك فضل ما كانوا فيه .

ولمتي لأذكر يوماً أنني كنت بالمهدية في زمن المهدي (عم) ، فسمعت قوماً من أهل البوادي قد باعوا غلة ومتاعاً لهم فدخلوا يطلبون ثمنه/وقد نَصَّ في أيديهم مال كثير منهم فجعلوا يحسبونه ويذكرونه ما لزمهم في الأداء (2) عليه ، فعظموا ذلك ، وأنا أسمعهم من حيث لم يعلموا ، وحولهم خلق من العبيد قياماً وقعوداً ذاهبون وراجعون . فلما انقطع كلامهم ، قلت لهم : ويحكم ، أما تخافون على هذا المال بين أيديكم من هؤلاء الذين حولكم ؟ فضحكوا من قولي وقالوا : نحن في حرم أمير المؤمنين ومدينته نخاف هؤلاء وغيرهم ؟

فقلت : فإن خرجتم ، أما تخافون منهم وأمثالهم من وراء المدينة ؟

فقالوا : لا . وأنكروا قولي .

قلت : ولا في طريقكم إلى منازلكم ؟

قالوا : ما نخاف من أحد .

(1) سقط من ب : بعد أن أخذ ... مني أهلي .

(2) في أ وب : الأدنى .

قلت / : ولا في منازلكم؟ فاجعلوا يتعجبون من كلامي كأنهم رأوني غريبا ولا أعلم حال البلد .

قلت : أفما تعلمون أن هؤلاء وأمثالهم أقوى منكم أبدانا وأنكى وأشجع وأكثر عددا ؟

قالوا : نعم .

[قلت] : وأنتم أغنى وأيسر وأكثر نعما وأهلا ؟

قالوا : بلى .

قلت : فما الذي يمنعهم من التوثب عليكم وأكل أموالكم وانتهاك حريمكم ؟ قالوا : يمنعهم من ذلك خوفُ السلطان .

قلت : وبماذا قدر عليهم السلطان ؟ أليس بالرجال الذين يرزقهم ويُجري عليهم ؟

قالوا : نعم .

قلت : وبذلك دفع العدو عنكم وعن غيركم وأميتتم على أنفسكم وأموالكم وأهلكم ؟

قالوا : نعم .

قلت : فلم تعاضمونا أن يأخذ منكم لذلك سبيرا / من كثير وقليل من جنيل ؟

فجعلوا يعترفون بالنعمة وقالوا: جزاك الله خيرا ! لقد صدقت فيما قلت لنا وسهلت الأمر علينا وعرفتنا من العواقب ما قد كان غاب عنا . وجعلوا يتفاوضون في ذلك ويذكرون قدر النعمة عليهم فيه .

وأكثر الناس همج لا يحاسبون أنفسهم ولا ينزلون الأمور عندهم ، فيريدون من ولاة أمرهم أن يدفعوا عنهم ويجاهدوا عدوهم ويكفوا أيدي المتطاولين عليهم عنهم ، ويُنفقون في ذلك ويرزقون من يقوونه بلا مؤنة عليهم ولا واجب يقيمونه لهم ، ولا فرض مما افترضه الله يؤدونه إليهم . كأن الذي ينفقونه على مصالحهم يقطعونه/من الجبال أو يغرقونه من البحار أو يقيمونه بملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يسألونهم شيئا على ما يعملون. فهم في ذلك كمن حكى الله تعالى

قولهم لموسى بن عمران : « اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ » (1) .

كلام فيما يستحبُّ الفاضل من البقاء في الدنيا (2) :

176 — (قال) : وسمعت صلوات الله عليه يقول : سمعت المنصور (صع) يقول : إنما يستحبُّ الفاضلُ البقاءَ في الدنيا ليظهر الله عزَّ وجلَّ منه ما هو كامن من الخير والفضل فيعظم ثوابه ويجلَّ في الدار الآخرة قدره . وإلاَّ فإِنَّ الذي له عند الله في الدار الآخرة أفضلُ ممَّا له في الدنيا / .

(1) المائدة ، 24 .

(2) كذا في « أ » . وفي « ب » : حكاية المعز عن المنصور عليهما السلام فيما يستحب من البقاء .

مدينة القيروان ، ثم جاءت الفتنة فقطعت ذلك ، وهم المنصور بذلك فهوّل عليه أمره .

ثم اعتزم المعزّ (عم) على إجرائه . وبدأ بالعمل فيه أوّل يوم من المحرم سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة وذلك يوم الأحد . وقيس ما بين المكان الذي بلغ به القائم إلى المنصورية فوجد طوله ثلاثة وسبعين ألف ذراع . فأمر بأن يجري قناة تبنى بالجير (1) تأخذ في أسناد (2) / جبال وتمرّ على أودية وأوطئة يحتاج فيها إلى آراج (3) يجري الماء من فوقها .

واستهال ذلك بعض من حضر . فقال المعزّ (عم) : قد هوّل مثل هذا التّهويل على القائم (عم) ، وقيل له : والله لو جُعِلَتْ في ساقية من زجاج ما جرت . وقيل للمنصور (عم) : يحتاج أن ينفق فوق مائة ألف دينار ، ثمّ الله أعلم هل يصحّ جريها أو لا . وكان ذلك سبب تركها . ولا والله لا أتركها ولو أنفقت فيها أضعاف ما قيل . والله لو علمت أنّ الزّجاجين يستطيعون لنا بيتا (4) من الزجاج لأمرتُ بعملها ولأجريتُها فيها ، ليعلم من يهوّل ذلك أنّه لا يهوّلني ولا أستعظمه . وإنّما تهيتّ ما تهيتّ لمن تقدّم / من ملوك الأرض من مثل هذه الأعمال ، بالعزم عليها والحزم فيها .

ثمّ ذكر ماء جبل زغوان الذي كان يجري في قناة (5) قرطاجنة فقال : أما والله لو كان لنا هناك ما نستقي به لأصلحتُ تلك القناة ولأجريتُها فيها . وإن كان

- (1) كذا في « ب » . وفي « أ » تبنى بالجهر والجير .
 - (2) جمع سند محرّكة : ما قبالك من الجبل وعلا من السّقف .
 - (3) العقود التي تحمل القناة ، والمفرد أزج .
 - (4) كذا في النسختين ، ولعلها : يستطيعون بناؤها .
 - (5) انظر عن جبل زغوان : البكري 45 والادريسي 119 اذ يذكر « أنه أكثر الجبال ماء » . وتعتبر هذه القناة المحمولة على « قناطر » أو « حنايا » من عمل الإمبراطور Hadrien (انظر عنها F. Rakob, le sanctuaire des eaux à Zaghounan, Africa III-IV p. 133. Tunis, 1972, وقد تمطل عملها في أيام الفتح الاسلامي لافريقية ، وأصلحها المستنصر بالله المفضي إصلاحا لم يكن ليتناسب مع ما كانت عليه . وقد وصف الرحالة العبدري عمله بقوله : « انه احتاج إلى إصلاح بعض الحنايا بها مما يلي تونس ليوصل الماء إليها إذ كانت معطلة قبله » فأقام في عملها مجتهدا بأقصى ما يمكنه أعواما عديدة ولم يمكنه رد ذلك على ما كان عليه ولا ما يقرب منه ، بل اقتنع بتسديده كيفما أمكن مع قلته وتفاوته بالإضافة إلى غيره » (الرحلة ، 41) وقد استأثر بمائها « قصر السلطان وجنانه الا رشعا يسيرا سرب إلى ساقية جامع الزيتونة يرتشف منها في أنابيب من رصاص » (ص 40) .
- ويظهر من كلام المعز أنه فكر في إصلاح قناة زغوان . وإيضا في جلب ماء زغوان إلى المنصورية ، فلم يقمده إلا خشية قطع الماء على سكان تونس وقرطاجنة .

الناس يتعاضمون أمرئاً ويرون أن أحدا لا يقدر على ذلك ، فليت شعري كيف جاز ذلك عندهم لمن تقدم ولا يجوز لمن تأخر ! ؟ اللهم إلا أن يصح في عقولهم الفاسدة أنهم كانوا في القوة وعظم الأجسام في خلاف ما عليه اليوم الأنام . وكما زعموا أن المرأة كانت تأتي بأعظم صخرة ، يرونها تحملها على رأسها وميغزلها في يدها . فإن كان بمثل هذا / من المُحال تصوّب هذا عندهم ، فنعم .

ثم قال : والله لقد صرت إلى ناحية تونس وما لي نظر (1) إلا إلى ذلك الماء وكيف ينتهي جريه إلى المنصورية ، فلقد رأيته ممكنا . وإنني لأرجو ، إذا أعاننا الله على هذه القناة وأوصلها ، أن أجريته بعونه وتأيسده وتوفيقه . وما يتعاض من مرآم مثل هذه الأعمال إلا أن يكون . الأجل يقطع دونها ، فيأتي ، بعد من رام ذلك وابتدأه ، من أهل العجز من يقعد عنه فينسب مبتدئ ذلك (2) إلى تعاطي ما لا يقوم به و[الله]هم بما لا يتهيأ له (3) ، فينتقصه بذلك ، والنقص أولى بمن قال ذلك فيه ونسبه إليه .

فقلت : يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ويسد في عمره / ويفسح في أيامه حتى يبلغه أمله ويبقى من آثاره الصالحة في الأرض ما يجمعه إلى أخباره الرضوية . فما رأيت شيئا تعاضمه من قبله وأعجزهم مرآمه إلا هياه الله (عج) له ونصره عليه . ولقد كان هذان العمودان بمدينة سوسة (4) من أعظم آثار الأولين ، وكان النظير إليهما عبرة . ولم ير الناس أنهما أمكنا من أقامهما إلا لتقربهما من البحر ، وأنهما فيه أتاها آت بهما وأعجز كل من تقدم من ملوك إفريقية في الجاهلية والإسلام تحريكهما من مكانهما ، فضلا عن نقلهما ذراعاً فما فوقه عنه .

(1) أ : وما نظرت .

(2) سقط من ب : وابتدأه ... مبتدئ ذلك .

(3) سقط من أ : وهم ... له .

(4) هذه أول إشارة عن مصدر هذين العمودين الكبيرين اللذين نقلنا إلى المنصورية واستخدما ضمن بعض قصورها . وبعد خراب الموقع وتحوله إلى محجر لاستمداد مواد البناء القديمة ، عمدوا إلى نشر هذين العمودين ونقلوا منهما أجزاء كبيرة ، وظل بعضها هناك إلى اليوم . ويسمى العامة « عرصات الدم » وهي ذات قطر مقداره 1،50 متر . وقد أفادت الأسفار الأثرية حولها أن المكان الذي تقع فيه حالياً قد دحرجت إليه قصد نقلها وليس لها أي علاقة معمارية بالموقع . انظر عنها :

(Ch. Tissot, géographie comparée de la province romaine d'Afrique T. II, 608 Paris 1888)

ولقد ذكرهما أمير المؤمنين ، وكنتأ نرى أن ذلك لا يمكن بحيلة ونحب أن لو لم يتعرض لهما لئلا يعجزاه/ فيكون ذلك بعض النقص . ثم رأينا لما اعترم على ذلك أن يحشد الناس إليهما من البلدان ويجلبوا من الآفاق . فما أفرد لذلك إلا طائفة من عبيده الممالك ، وما أشرك معهم أحدا غيرهم . فأتوا بهما في أوشك مدة وأيسر مؤونة بتيسير الله وتأييده (عج) لوليّه .

فقال : نعم ، الحمد لله على ذلك وعلى جميع نعمة . ولقد تركت ما ذكرت من جمع الجموع إليهما فرأيت أن القليل في ذلك أفضل وأزكى ، لأن الكثير يتكل بعضهم على بعض وتختلف أيديهم ولا يكاد الأمر والنهي — ممن يقوم على أمر ذلك ويتولاه — يتصل بجميعهم ، وذلك مع القليل أفضل . وأبلغ .
فما رأيت ولا سمعت بأعلم منه (عم)/ بكل فن يأخذ فيه من جميع ما يتصرف الناس فيه .

كلام جرى يوما في مجلس في ذكر الكيمياء :

174 — (قال) وذكر الكيمياء يوما فقال : سمعت المنصور بالله (عم) ذكرها وقال : قد اجتهد على إبطالها بعض من أنكرها باشتقاق اسمها من الكتمان ، لأنهم قالوا : كمي يكمي الإنسان الشهادة كميًا إذا كتمها ، وتكمتي الرجل بسلاحه ، إذا تغطى به واستتر به ، وتكمتهم الفتنة والشر ، إذا غشيتهم . ومنه سمي الكمي ، وهو الشجاع ، إذا تكمتي بسلاحه وتغطى به .

(قال) ثم قال المنصور عليه السلام : هي مكتومة عند من جهلها معلومة عند من عرفها . وذلك كما يكون ما كُتِم واستتر مجهولا عند من ستر وكُتِم عنه ، معلوما عند / من ظهر له واطلع عليه .

وكان ذكر المعز صلوات الله عليه لذلك بعقب شيء ذكره من علم الباطن ، فعلمت أنه إنما جاء صلوات الله عليه بذلك شاهدا ودليلا ورمزا فيه .

كلام في أمر العمال جرى في مجلس :

175 — (قال) : وذكر له (عم) أمر العمال والمتولين وأن كثيرا منهم يظلمون ويتجاوزون إلى الناس ويتعدون ما حده لهم أمير المؤمنين فقال : أما والله ما أغفلت أمرهم ولا أغضيت عنه ، ولا أغضي ولا أتغافل إلا عما يكون لي في ذات نفسي .

وأما ما كان لعباد الله ممّا قلّدنيّه جلّ ذكره ، فلا أدع منه إلّا ما لا حيلة لي فيه ، ولا استطاعة لي عليه ، وما أعلم أنّ الله تعالى يعذرني فيه / ولا يسألني عنه ، لأنّه (عج) لا يكلّف نفسا إلّا وسعها . والله ما وجدت إلّا ما فعلته . أو أتترك (1) حقّ الله الذي أقام به أوّدّ خلقه وجهاده عدوّه وصلاح أمور بريته ، الذي لو ترك لكان البوار والدّمار في تركه ! وإنّ أكثر ما أمكنني واستطعته ، أن اخترت لذلك أمثلاً من جدته يقوم به ويصلح له . ولو دعوت من أراه أفضل منه في دينه لما قام ولا استطاع له ولم يكن يجيب إليه . فضاعت الحقوق ، وكان ذلك سبب ما ذكرته من المكروه .

وإذا أنا ندبت أو أندب لذلك أمثلاً من رأيت ، أمرته بالعدل وحسن السيرة وأخذ الحقّ بلا زيادة عليه ولا نقص منه . وعهدت في / ذلك إليه وكتبت له كتاباً بيده يكون حجة له وعليه . فإذا صار إلى عمله استقبله من كان يكره التعامل والنّاظر قبله ، يحبّ أن يخصّه وأن يكون بطانة له . وأكثر خروج العمّال والمتولّين إنّما يكون قبل وقت أخذ الواجب (2) . فلا يزال مشكوراً عند أهل عمله ما لم يتناول شيئاً من الواجب منهم . فإذا أخذ في ذلك بدأ القول فيه ، فشكاه قوم ، وجاء آخرون يشكرونه . وكنا على غير يقين بما يقولون . ويأتي هو من الإحتجاج بما يبيّن أكثره . وربّما كان من يشكوه (3) يزيد في القول عليه أو يأتي بشيء لم يكن منه . فإذا اتّضح ذلك قويّت حجّته وكلامه فلا نكاد نقف من ذلك على صحيح من / سقيم . ويأتي قوم ، فيزكّونه ويشكرونه ، وآخرون يقعون فيه ويذمّونه ، فلا يكاد أمره يتّضح ، ولا ما قيل فيه يفسد ولا يصحّ ، حتّى يأتي على ذلك ما خرج إليه ، وينقص ما تولّاه . ولو ذهبنا أن نكفّ يده في أوّل ما قيل فيه ولم نقف على صحيح أمره لذهبت الحقوق والواجبات ، وتعطلت الجبايات ، وانكسرت الأموال ، وكان ذلك سبب ما قدّمنا ذكره من فساد الأحوال . ومع ذلك إنّنا لا نجد من نشق به فنستظهر بقوله في كلّ بلد وموضع ، ولا نجد أيضاً من نرضاه يتولّى ذلك كما ذكرناه ، وتضطرّنا الحال إلى ما نصير إليه ممّا قدّمنا ذكره .

(1) في أ ر ب : أو ترك .

(2) يعني بالواجب ما يجب استيفاؤه شرعاً من الضرائب . (انظر : الأعمال ص 405 ، والواجبات ص 407 ، والنفقة ص 498 من هذا الكتاب) .

(3) في أ : يشكره .

فليس يعلم ما نقاسيه من/ذلك إلاّ الله (عج) الذي نرجو أن يقوم لنا العذر فيه عنده. وبمثل هذا احتجّ علينا الدجّال البربريّ ميخلد بن كيداد لمّا قام محتسباً (1) علينا بزعمه. فلمّا توسّط أمره انخرق الأمر في يده فأهلك الحرث والنسل وأخرب البلاد وأهلك العباد .

قال بعض من حضر المجلس : هو كما ذكر أمير المؤمنين . والخبر المشهور أن رجلاً أتى إليه فقال له : عندي نصيحة يسمعها الشيخ ويراها المسلمون .

قال : وما هي ؟

فأخرج ميخلة معه فيها رقاع كثيرة .

فقال : ما هذه ؟

قال : هذه الرقاع التي ترى ، ودَيْتُ كلَّ ما فيها عن نفسي وحدي من تقسيط ونزّل وغير ذلك من المغارم / . وجعل يقرؤها عليه واحدةً واحدةً وهو يصغي إليه وينبّه من حوله على ذلك. وأمر بإحضار وجوه من كان معه من أهل البلدان من رجاله لذلك ، يريد به الشّناعة فاحتفل عنده خلقٌ عظيم . حتّى أتى الرجل على جميع تلك الرقاع . فقال : انظروا ! هذا رجل واحد حلّ به مثل هذا فاعرفوا ما قمتم فيه وثوابه .

فقال له الرجل : وأخبرك يا شيخ المسلمين بأعظم من هذا ! فأصغى إليه ومن حوله .

فقال : ما هو ؟

قال : إنّي ودَيْتُ هذا الذي سمعت . في هذه السّنين التي قد رأيتَ وسمعتَ تاريخها في هذه الرقاع وأنا في منزلي وداري ومعّي أهلي وولدي ، وعندي / من

(1) لقد حلل أبو يزيد ثورته على الفاطميين بأنهم أنقلوا الناس بالضرائب المشقة ، فوجب عليه أن يقوم محتسباً لله مدافعاً عن مصالح المسلمين . ويظهر موقفه هذا بوضوح من خلال النص الطويل الذي أورده المقرئزي (المقضى 195 ب) ، وفيه هذا الحوار بين المنصور وأسيره أبي يزيد :

« ما الذي اعتدلت على أمير المؤمنين - يعني القائم بأمر الله - حين خرجت عليه ؟ فقال : كان

« أبو القاسم كريماً حوله قوم سوء أحدثوا هذه القبالات التي فيها الجور على المسلمين فقمتم لذلك

« مفكراً أريد إصلاح أمور الناس . قال : فهل علمت أن ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره ؟

« قال : لا أعلم . قال : فهلا رفعت ذلك إليه وأطلعته عليه ، فإن غير المنكر كان الذي أردت ،

« وإن هو لم يفعل اتخذت ذلك حجة عليه . فسكت . قال : كأذك إنما قمتم محتسباً ؟ قال نعم . »

وانظر ص 429 حيث يبرأ القائم من تصرفات بعض الأولياء مما أثار غضب الرعايا .

العبيد كذا ، ومن البقر كذا ، ومن الغنم والدّخائر كذا ، والطعام والزيت والزبيب كذا وكذا - وعدد أشياء كثيرة - إلى أن دخل إلينا أصحابك فانتهبوا جميع ذلك حتى لم يبق لي منه قليل ولا كثير . وخربوا منزلي وفرقوا أهلي وولدي وقرابتي ، فلم أجد أحدا أسكن معه فارتحلت بأهلي بعد أن أخذ عبيدي ، فلقيتهم بعضهم فانتزعوا مني أهلي (1) وبناتي وافترقوهم . فجئت إلى عسكرك أدور فيه ، ف وقعت على بعضهم ، فكاد من كان عنده يقتلني . وما نجوت إليك بنفسي إلا عن جهد .

فأسقط في يد الشيخ السوء وتكرر أصحابه على ذلك الرجل وهموا به وكادوا أن يقتلوه . فما خلّصه منهم إلا بحيلة وأرسله مستتراً مع قوم حتى أوصلوه مدينة القيم وان . وذهب جميع ما ذكره له .

وهذا قليل في كثير ممّا نال غيره . وما عرف الناس فضل ما كانوا فيه إلا عندما وقعت تلك الفتنة بهم وحلّ ما حلّ من هذا بأكثرهم . وأكثر الناس لا يعرفون ولا يدرون قدر نعم السلطان عليهم ، ويتعاضمون اليسير ممّا يكلّفهم ولا يرضيهم إلا التّرك بالجملة لهم حتى تحلّ النّائبة بهم فيعلمون عند ذلك فضل ما كانوا فيه .

ولاني لأذكر يوماً أني كنت بالمهدية في زمن المهدي (عم) ، فسمعت قوماً من أهل البوادي قد باعوا غلّة ومتاعاً لهم فدخلوا يطلبون ثمنه/وقد نصّ في أيديهم مال كثير منهم فجعلوا يحسبونه ويذكرونه ما لزمهم في الأداء (2) عليه ، فعظموا ذلك ، وأنا أسمعهم من حيث لم يعلموا ، وحولهم خلق من العبيد قياماً وقعوداً ذاهبون وراجعون . فلمّا انقطع كلامهم ، قلت لهم : ويحكم ، أما تخافون على هذا المال بين أيديكم من هؤلاء الذين حولكم ؟ فضحكوا من قولي وقالوا : نحن في حرم أمير المؤمنين ومدينته نخاف هؤلاء وغيرهم ؟

فقلت : فإن خرجتم ، أما تخافون منهم وأمثالهم من وراء المدينة ؟

فقالوا : لا . وأنكروا قولي .

قلت : ولا في طريقكم إلى منازلكم ؟

قالوا : ما نخاف من أحد .

(1) سقط من ب : بعد أن أخذ ... مني أهلي .

(2) في أ وب : الأذى .

قلت / : ولا في منازلكم؟ فاجعلوا يتعجبون من كلامي كأنهم رأوني غريبا ولا أعلم حال البلد .

قلت : أفما تعلمون أن هؤلاء وأمثالهم أقوى منكم أبدانا وأنكى وأشجع وأكثر عددا ؟

قالوا : نعم .

[قلت] : وأنتم أغنى وأيسر وأكثر نعما وأملا ؟

قالوا : بلى .

قلت : فما الذي يمنعهم من التوئب عليكم وأكل أموالكم وانتهاك حريمكم ؟ قالوا : يمنعهم من ذلك خوفُ السلطان .

قلت : وبماذا قدر عليهم السلطان ؟ أليس بالرجال الذين يرزقهم ويُجري عليهم ؟

قالوا : نعم .

قلت : وبذلك دفع العدو عنكم وعن غيركم وأميتتم على أنفسكم وأموالكم وأهلكم ؟

قالوا : نعم .

قلت : فلم تعاضمونا أن يأخذ منكم لذلك سبرا / من كثير وقليل من جنيل ؟

فجعلوا يعترفون بالنعمة وقالوا: جزاك الله خيرا ! لقد صدقت فيما قلت لنا وسهلت الأمر علينا وعرفتتنا من العواقب ما قد كان غاب عنا . وجعلوا يتفاوضون في ذلك ويذكرون قدر النعمة عليهم فيه .

وأكثر الناس همج لا يحاسبون أنفسهم ولا ينزلون الأمور عندهم ، فيريدون من ولاة أمرهم أن يدفعوا عنهم ويجاهلوا علوتهم ويكفوا أيدي المتطاولين عليهم عنهم ، ويُنفقون في ذلك ويرزقون من يقوونه بلا مؤنة عليهم ولا واجب يقيمونه لهم ، ولا فرض مما افترضه الله يؤدونه إليهم . كأن الذي ينفقونه على مصالحهم يقطعونه/من الجبال أو يفرقونه من البحار أو يقيمونه بملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يسألونهم شيئا على ما يعملون. فهم في ذلك كمن حكى الله تعالى

قولهم لموسى بن عمران : « اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَتَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ (1) » .

كلام فيما يستحبُّ الفاضل من البقاء في الدنيا (2) :

176 — (قال) : وسمعت صلوات الله عليه يقول : سمعت المنصور (صع) يقول : إنما يستحبُّ الفاضلُ البقاءَ في الدنيا ليظهر الله عزَّ وجلَّ منه ما هو كامن من الخير والفضل فيعظم ثوابه ويَجِلَّ في الدار الآخرة قدره . وإلاَّ فإنَّ الذي له عند الله في الدار الآخرة أفضلُ ممَّا له في الدنيا / .

(1) المائدة ، 24 . .

(2) كذا في « أ » . وفي « ب » : حكاية المعز عن المنصور عليهما السلام نيا يستحب من البقاء .

الجزء السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام جرى في رغبة الناس في العلم المأثور عن الأئمة :

177 — قال القاضي النعمان بن محمد : ذُكر عند الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه رَغْبَةُ الناس في العلم المأثور عنه وعن آبائه الطاهرين فيما أقامه (صم) من باطن علم الدين لأوليائه ، ورَغِبَتْهُمْ واعتباطُهم به . . فقال : لقد رأيت رؤيا بعقب وفاة المنصور (عم) . وعندما أظهرتُ أمرَ هذه الدعوة ، ذكرْتُها في ذلك الوقت لمن حضرني : رأيتُ المنصورَ بالله وهو يسألُني عما صنعتُهُ من ذلك ، وقمتُ به . وقد كنتُ أعرفُ ضنَّه به وشُحَّه عليه ، فجعلتُ / أذكرُ ذلك له كالمعتذرٍ منه وأقول له : .إنني لم أجد بُدًّا من إقامة حُجَّةِ الله على مَنْ استرعاني إِيَّاه وحملني أمره ، ونحوَ هذا من القول .

فقال : قد أصبتَ ووُفِّقْتَ ، فكيف رأيتَ إقبالَ الناس على ذلك ورَغِبَتْهُمْ فيه ؟

قلت : ما رأيتُ من ذلك ما أعجَبَنِي . فعقدَ بِسَيدِهِ ثمانيةً ، فقال : إلى ثمان ترى ذلك فيهم .

فقلت : ثماني ليالٍ أم ثمانية أشهر ، أم ثماني سنين ؟

فقال : إلى ثماني سنين وإلى اثني عشر يكون ويكون . ولم يذكر صلوات الله عليه ما قال في ذلك . ونرجو أن يكون ذلك خيرا ننتظره ونبلغه إن شاء الله . ولم نسأله عن ذلك إذ كتّمه ، خوفاً من أن / يكون ذلك لا يقع بالموافقة عنده .

سؤال المعزّ (صليح) لبعض شيوخ البربر :

178 — (قال) وسمعتَه يسأل بعضَ شيوخ البربر عن قولهم في سيرته فيهم ، فقال : هُمُ يا أمير المؤمنين معترفون بعفوك عنهم وصفحك ، بعدَ القلّةِ ، عن جرّميهم وما تقدّم من زللهم . وهم شاكرون لسيرتك فيهم وإحسانك إليهم . فقال : ما فعلنا ما فعلناه فيهم إلاّ إبلاغاً في حجة الله وحجبتنا عليهم ، فمن شكر ذلك واعترف به منهم فقد استدام النعمة واستجلب الزيادة ، ومن كفر بالإحسان وغمط النعمة فقد استجلب . النقمة واستحق العقوبة .

كلام في مجلس في طلب العلم والحكمة .:

179 — (قال) وسمعتَه (صع) / يقول : إنّنا لنُسَرُّ بِسَمَنٍ نراه من أوليائنا يطلب العلم والحكمة ويرغب في الخير ويُذكرُ بالجميل كما نُسَرُّ بذلك في الولد . فقلت : هم زرعُ أمير المؤمنين ولعهدي اليوم بالقول في مثل هذا مع بعضهم بحضرة هذا — وأومأت إلى رجل حضر المجلس — فقلت لبعضهم ، وقد تذاكرنا مثلَ هذا : كيف تكون مسرةُ أحدكم بزّعه إذا رآه في غاية الصّلاح والقوّة والإقبال والتّمام ؟

فقالوا : مسرة عظيمة .

قلت : فنحنُ زرعُ وليّ الله يَسُرُّه بلا شك أن يرانا كذلك ، وتلوت عليهم قول الله (عج) : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ » إلى قوله : « ... وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ / فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلِظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لَيْفَظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ (1) » .

قلت : أفلا ترون أن الله (عج) شبه المؤمنين بالزرع وذكر أنه يُعجب زُرَاعَهُ
إذا هو استغلظ واستوى على سوقه ؟ فحقيقٌ علينا أن نكون بحيث يُعجب
أولياء الله .

فقال (صع) : وكيف لا يُعجبنا أن تكونوا كما أمرناكم عن الله (عج) وقد
استعملنا في استصلاحكم وتقويمكم ودعائكم (1) إليه وقبولكم عنه ؟ وهل يُعجب
من استعمل في عمل أن يأتي به على خلاف محبوب من استعمله ممن يرجو
ثوابه عليه ؟ والله ما يسره إلا أن يصلح ما يتولى (2) عمله ويحسنه ويأتي
به على أفضل حال مسار من استعمله فيه ليوفيه أجره عليه / ويشكر له
قيامه به .

وإن هو أفسد ذلك * وفسد على يديه أولم يقم بما أقيم له من صلاح ، أو لم
يصلح بعد أن بدّل مجهودَه فيه ثم أتى غيره فصلح على يديه واستقام له الأمر
فيه وأتى به على حسب ما أمّله مستعمله ، فكيف يكون حال من كان قبل ذلك
وقد عجز عنه إذ لم يصلح على يديه ؟

فكذلك نحن : إن الله (عج) يستعمل منا الواحد بعد الواحد ثم يرى
ما عملنا . وقد قال رسول الله (صلع) : إني مكائرٌ بكم الأمم يوم القيامة (3) . أفترى
أنه لا يسرنا أن يكثّر أتباعنا وأوليانا ومن يقبل عنا ويتأسى بنا ويمثّل
أمرنا ؟ بلى والله ! إنا لنسرّ بذلك أيما سرور ونُغمّ بخلافه . وما دعا نوح / على
قومه إلا وقد عيل صبره وضاق صدره بتكذيبهم إياه ، واشتد غمّه بما سمعه
منهم ورآه ويثيس منهم ، وأخبره الله (عج) عنهم أنه لن يؤمن منهم إلا من قد
آمن من قبل ، فعند ذلك دعا عليهم بالبوار والدمار .

(1) دعائكم بمعنى دعوتكم .

(2) أ : تدل .

(3) حديث : إني مكائر بكم الأمم . ذكره النسائي (ج 6 ص 66) وابن حنبل (ج 3 ص 158) على
هذا النحو : تزوجوا الولود الودود إني مكائر الأنبياء يوم القيامة . وجاء على صيغة أخرى في
مسند ابن حنبل (ج 3 ص 354) : انكم اليوم على ديني ، وإني مكائر بكم الأمم ، فلا تمشوا بمسدي
القهقري ، وكذلك في الجامع الصغير (ج 1 ص 431) . وذكره ابن ماجة (ج 1 ص 599) على هذا
النحو : انكحوا فاني مكائر بكم . هذا ، وسيعيده النعمان فيما يلي من الكتاب (ص 561).

كلام في الدعوة إلى الحق ذكر في مجلس (1) :

180 — (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله (صع) يقول : إن الحقّ لثقلٌ إلاّ على مَنْ خَفَّفَهُ اللهُ عليه . هذا (2) نحن نريدُ صلاحَ العبادِ وندعوهم إلى ما يُرضي اللهَ عنهم ، فقلّ مَنْ لا يشتدّ ذلك ويثقلُ عليه ، لأنّا إنّما ندعو مُتَحِيلًا انتحلَ ضلالةَ رآها عند نفسه هدى ، فنريدُ أن نُحِيلَ نيتَه عما كان اعتقده ونصرفَ رأيه عما كان انتحلَ به بعدَ / أن لعلّه كبرَ عليه ، فاتّبعه غيره فيه وقيل عنه . ما جاء به منه .

وآخرَ قد استحلّ الباطلَ واستمرّاه واستخفّه الشيطانُ له واستهواه فغلبت شهوته عليه وعظمت رغبته فيه نريد أن نصرّفه عنه ونمنّعه منه ونُخرِجَ منه ما هو في يديهِ ونحرّمه عليه ونحولَ بينه وبين شهوته ولذّته .

وآخرَ قد اكتسبَ من الظلم واستخفّ بالإثم وتطاعمَ أكلَ أموالِ الناسِ بغيرِ حقّها وارتابَ حُرْمِهِمْ بغيرِ حلّها ، نقبضُ عن ذلك يده ونترعُ طعمته ونضعُ منه استطالته .

وآخرَ في لهو وشرب وسماع وعبث وطرب ومجانة وخلاعة (3) وانتهاك حرمة ، نريدُ منه الوقارَ والسكينة ، ونمنّعه العبثَ والمجانة ، وندعوه / إلى الصّوم والصلاة والورع والتحرّج والصدق والأمانة والعفاف ، ومذاقُ ذلك كلّهُ مسرٌّ عندَ ما استحلّاه من الباطلِ وتطاعمه .

فمن ذا من هؤلاء لا يثقلُ أمرنا عليه ، أم من ذا منهم ندعوه إلى ما نريدُه من ذلك فيسارعُ إليه طيّبةً نفسه به ، إلاّ من كان الله (عج) قد أراد سعادته وتوفيقه ؟ ولو كنّا تركنا كلّ أمرٍ في الدين وما يتحلّله وصوبنا له فيه قوله وأرناهُ أنّنا نستحسنُ مذهبه ونقولُ به معه ، ونُعرضُ عن أهلِ الباطلِ والفُسق ونجامِعُهم عليه ونُخلّي بينهم وبين ما أحبّوا منه وندعُ من تعدّى وتعدّيته ولائعه (ب) رضى

(1) ب : كلام جرى في استئصال أكثر الناس للحق وسكونهم إلى الباطل .

(2) هذا عوض «ها» وهذا التعبير متكرر في الكتاب .

(3) سقط من ب : وسماع وعبث وطرب ومجانة وخلاعة .

فيه ؛ لكننا أحب الناس إليهم ، ولما نُقِلَ شيءٌ من أمرنا عليهم . وبمثلِ / هذا رأى المتغلبون أنهم ساسوا أمرهم .

ثم قال (صع) : وقد أجابنا إلى ذلك ، اليوم ، وسلم * إلتينا بحمدِ الله أكثرُ الناس عارفينَ لحقَّ الله عليهم ، فيه .

(ف) أفكرتُ فيما قاله (صع) فوجدتُ سيرةَ مَنْ شاهدناه وبلغنا عنه من بني أمية وبني العباس وأتباعهم وعماليهم على أكثرِ ما وصفه (صع) ، إذ من أجل ذلك دخلَ الفسادُ في الدين والوَهْنُ على الإسلام والمسلمين ، لأنهم كانوا يرون أن من الحزم عند المتغلب منهم والرأي والتدبير ألا يعرفَ الناس مذهبَه ، وأن يرى أهلُ كلِّ مذهبٍ أنه على رأيهم ليجمعوا عليه ويولّوا القضاء كذلك من كلِّ أهل مذهبٍ ، يعزلون مِن / هؤلاء ويؤثنون مِن هؤلاء ليسيروهم أنهم راضون بمذاهبهم كلّها ، وعاملون بها بأسرها ، وكذلك يخلّون بين أجنادهم ومن يُعدّونه للحرب من رجالهم وبين ظُلُمِهِ رعاياهم وتناولِ ما تناولوه من أموالهم ، وتعدّوا عليه من حُرْمِهِمْ في كثير من أحوالهم ليُرضوهم بذلك ويستعطفوهم . فأما أهل الفسق والباطل فيخالطونهم ويفعلون كثيرا منه مع كثير منهم ولا يُنْكِرُونَهُ عليهم لما كان من رأيهم وشأنهم وكانوا عليه . فبهذا رأوا سياسةَ ما تغلبوا عليه ، والله (عج) أعلم بما يصلح عليه خلقه ويستقيم عليه عباده .

وقد فرض الله فرائضه وبين حدوده / ولوازمه وحقوقه ، فلو كانوا من أهلها لاستعملوها وحملوا من استرعاهمُ اللهُ إيتاه من عباده كما أمر الله (عج) ، عليها . بل إنما يرون الرأي ويضربون المثل بقول القائل من أوائلهم : خلّوا بين الناس وأديانهم يخلّوا . بينكم وبين دنياكم . فهذه سياسة من طلب الدنيا باطراح الآخرة .

فأما الأئمة الذين تعبدهمُ الله بالقيام بحقه ، فأسوتهم برسول الله صلّى الله عليه وعلى آله . وإنما نتأسى به ، بقول المعزّ صلوات الله عليه وأولياء الله الذين استرعاهم أمر عباده وتعبدهم بإقامة حدوده وحقوقه في أرضه ، والله يُحسِنُ عونهم ويُصلح عباده وبلادَهُ لهم / .

توقيع في الأمر بالصبر على الأذى :

181 - (قال) ولما أرحلني المنصور بالله (صع) عن مدينة إطرابلس إلى الحضرة المرضية وافق وصولي إليها غداة يوم جمعة فخلع عليّ يوم وصولي وقلّدتني ، وأمرني بالسير من يومي إلى المسجد الجامع بالقيروان (1) وإقامة صلاة الجمعة فيه والخطبة إذ لم يكن يومئذ بالمنصورية جامع ، وأمر بجماعة من خاصة بوابي القصر الأعظم بالمشي بين يديّ بالسلاح إلى أن صليتُ فانصرفت .

ثم خرج توقيعهُ من غدٍ إلى ديوان الرسائل بأن يُكتبَ لي عهدٌ بالقضاء بمُدن المنصورية والمهدية والقيروان وسائر مدن إفريقية وأعمالها ، فذكرَ / ذلك وانتشر في الناس ، وعلموا امتثالي ، أيام كنت بإطرابلس ، أمره (صع) فيما عهدَ إليّ في عهد القضاء عليها ، من إقامة الحق على الشريف والمشروف ، والعدل بين القوي والضعيف .

فانتهى إليّ عن جماعة ممن تعود الأثرة ومن عودهم إياها للذمام والطعمة ، وعن المخالفين لي في المذهب ممن تطاعم الرئاسة ، أن ذلك ساءهم وخفضهم واشمأزت منه قلوبهم ، فقام فيه من اعتاد الأثرة أنفة وحمية ومن * عودها الناس خيفة على نفسه وتقية ، ومن خالف المذهب ديانة وعصية (2) ، فأسروا بي التجوى واجتمعوا عليّ لاجتماع الأهواء من خاصّ وعام ، وقريب وبعيد ، فخلصوا نجياً (3) في الحيلة بالبغني عليّ ، وسدّوا بالمكر سيّماهم إليّ ، لغير ذنب مني إليهم ولا جناية مني أوجبت ذلك منهم ، فشنعوا عليّ من الأشايع ونسبوا إليّ من المكر ما الله يسألهم عنه ويثيبني إن شاء الله بفضله ، عليه ، وتهياً لهم بذلك بعض ما أمّله بحسب ما أوجبه الزمان وتهياً في الإمكان مما لم يكن عليّ منه بحمد الله وفضلٍ وليّه ضيّر ولا نقص .

ولما صرتُ إلى ما أصراني إليه المنصور وقمت بما وجب عليّ القيام به منه ، وسمعوا ثناء الناس ممّا تطاعموه من العدل ورأوه من الإنصاف ، جعلوا يُشيعون فيهم (4) الأشايع ويدُسّون من بينها فيهم / أتى أنسب المكروه إليهم

(1) أي جامع عقبة .

(2) هذه أول إشارة إلى الصراع المذهبي والمقائدي بين السنة والشيعة في إفريقية .

(3) نجياً : سرا وتواطوا .

(4) ب : يشعون فيه . أ : يشتمون فيهم .

وَأَسْعَى بِهِمْ وَأَحْرَكُ مَا فِيهِ حَفْضُهُمْ ، وَمَا عَلِمُوا أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَهُ ، وَنَسَبُوهُ إِلَيَّ لِيُغَيِّرُوا صَدُورَهُمْ عَلَيَّ وَيَذْهَبُوا بِشُكْرِهِمْ لِي مَعَ أَصْنَافٍ مِنَ الْحِيلِ وَالْأَذَى وَالْمَكْرِ لَا يَفْتَرُونَ عَنْهَا وَلَا يَمْلُونَ مِنْهَا - يَطُولُ ذِكْرُهَا - وَوَجْهُهُ مِنَ الْأَذَى كَثِيرَةٌ ثَبَّتَتْ عِنْدِي وَصَحَّتْ لِي .

فضاق صدري بها وحملني ذلك بعد صبر طويل على رَفْعِهَا إِلَى الْمُعْزِّ لِلدِّينِ اللَّهُ (صع) فَضَمَّنْتُ جُمْلًا مِنْهَا رَقْعَةً وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ .

فَوَقَعَ إِلَيَّ بِخَطِّهِ فِي ظَهْرِهَا : يَا نَعْمَانُ ، وَاللَّهِ لَوْلَا مَعْرِفَتِي بِكَ لَنَسَبْتُكَ عِنْدَ وَقُوفِي * عَلَى رَقْعَتِكَ هَذِهِ إِلَى الْجَهْلِ ، إِذْ كُنْتُ قَدْ عَلِمْتُ مَا مَرَّ عَلَى مَوَالِيكَ مِنْ أَذَى مَنْ نَصَبَ لَهُمْ / وَعَادَاهُمْ وَرَدَّ أَمْرَ اللَّهِ (عج) وَكَذَّبَ رَسُولَهُ فِيهِمْ ، مَنْ الْمِخْنِ الْعَظِيمَةِ . لَكِنْ أَنَفْسُنَا قَدْ تَمَرَّنَتْ عَلَى حَمْلِ الْمَكْرُوهِ ، وَظَهُورُنَا قَدْ قَوِيَتْ عَلَى الْهَوَاضِ بِأَثْقَالِهِ . وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ ، فَلَمْ يَنْتَلِكْ مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ نَقْصٌ فِي دِينِكَ وَلَا ذُلٌّ فِي دُنْيَاكَ ، وَقَدْ ضَيَّقْتَ مِنْ هَذَا الَّذِي وَصَفْتَهُ وَبَلَغَ مِنْكَ . أَفَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِكَ مَا مِنْهُ ضَجِرَتْ (1) إِذْ قَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مَخَالَفَةُ السَّفَلِ الرَّعَاعِ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَرَفْضُهُمْ لِأَحْكَامِ اللَّهِ وَنَصِبُهُمْ وَطَعْنُهُمْ عَلَى أَتْبَاعِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ ، وَأَرَدْتَ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْهُمْ مَا قَدْ كَانَ إِلَيْكَ . فَكُنْتَ تَدْعُنَا وَتَتَّبِعُهُمْ وَتَتَعَاثَى مِمَّا قَدْ بُلِينَا وَبُلِيَ أَتْبَاعُنَا بِهِ مِنْهُمْ .

وَإِذَا كُنْتَ اتَّبَعْتَنَا عَلَى / بِصِيرَةٍ وَمَعْرِفَةٍ فَاصْبِرْ عَلَى مَا لَا بَدَّ مِنْهُ فَقَدْ قَالَ مَوْلَاكَ عَلَيٌّ (صع) : رَضِيَ النَّاسُ غَايَةً لَا تُدْرِكُ ، وَحَسْبُكَ عَمَلُكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَعَمَلُهُمْ بِمَعَاصِيهِ . وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ مِنْهُمْ بِكَ . فَإِنْ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ شَيْءٌ تَخَافُهُ ، فَمِنْهُ فَاحْذَرْ ! وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ، فَهَذَا لَكَ زِيَادَةٌ فِي الْأَجْرِ . وَلَقَدْ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَسْأَلَ اللَّهَ الزِّيَادَةَ لَكَ مِنْ هَذَا الْحَسَدِ ، فَإِنَّكَ لَا تَزِدُّ أَدُبَ بَقُورَيْنَا رِفْعَةً إِلَّا زِدْتَ مِنْ كَثْرَةِ الْحَاسِدِ وَكَثِيدِ الْكَائِدِ . فَإِنْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ رَفَعَ ذَلِكَ عَنْكَ فِي حِينَ ضَيَّقَ صَدْرَكَ فَاسْتَقِلْ الْآنَ ! فَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ إِذَا دَعَا اللَّهَ لِنَفْسِهِ قَالَ : رَبِّ اجْعَلْنِي مَحْسُودًا وَلَا تَجْعَلْنِي مَرْحُومًا ! ثِقْ /

(1) ب : زَجِرَتْ .

بالله * ربك وبنا ، فوالله لا ينالك مع الثقة بالله وعز الدولة مكروه تحذره في دين ولا دنيا ! هذه الألسنة الحداد هي متاجر النساء والسفل والأوغاد ، تذهب بالإعراض عنها وتزول بالاطراح لها ، وتزید وتعتظم ما علم السفل نفاقها ، فلا تُصغِر إلى سماعها ولا تُلَقِّ بالآ بها ! فوالله ما سبيلهم عندي إلا كسبيلهم عند المنصور (صع) ، فلقد سمعته يقول ويؤكد ذلك ويحلف عليه — وذكر كلاما — : « ولا هم الله ما تولوه وجزاهم بما اعتقدوه ! ومع هذا فلملك سياسة يساس بها ، ولنا حدود لن نعتدأها . والله يُظهر أمره على رغم الراغمين ولو كره المشركون ! والله / يؤتي فضله من يشاء ، والله سميع عليم .

فلما قرأت توقيعه هذا سلوت مما كان ضاق به صدري (1) . وكأنما كنت في غفلة عما ذكره (صع) . وأنا أروي قبل ذلك عن الصادق جعفر بن محمد (صع) أنه قال : إن المكروه أسرع إلى شيعتنا وأوليائنا من الماء إلى مقره ، ومن الطير إلى وكره . فمن تولانا فليستقد له من الصبر جلبابا . وقوله لبعض أوليائه ، وقد كان شكاً إليه ما يناله من الناس مثل الذي شكوته ، فقال له : أوما تحمد الله على ذلك ؟ إن الشيطان لما يش من أوليائنا أن يصرفهم عن ولايتنا التي بها يُنال ما عند الله ، أغرى الناس بهم / وحرّضهم على أذاهم ، فلذلك ما يلقون منهم .

وقوله لآخر شكاً إليه مثل ذلك : ما فعل ذلك بك إلا أنت بنفسك ! فقال : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ والله ما أتعرضهم وإنني لأصبر على * مكروهم وأعرض عنهم . فقال : إن ذلك ليس هو الذي يُرضيهم منك ولا الذي يقطع شرهم وأذاهم عنك .

قال : وما الذي يُرضيهم ويقطع عنّي أذاهم ، جعلت فداك ؟ قال : الذي يُرضيهم عنك ويغيبُهم فيك ويحببُك إليهم ويُدنِّيك منهم ويُزلفُك لديهم ويُقربُك عندهم ، أن تقولوا هم وتقول بقولهم وتعادينا وتبرأ منا لهم .

(1) ب : سقط : فلما قرأت ... صدري .

قال : أعوذ بالله يا ابن رسول الله ! / والله لو قرضوني بالمقاريض ورموني في النار ، ما فعلت ذلك ولصبرت على ذلك من مكروههم .

قال : والذي شكوتهم أهونُ من ذلك ، فاصبر عليه ، فإن الله يجزي الصابرين .

قال : أصبر والله يا ابن رسول الله (صلع) وأصبر .

فكأنني والله لم أكن سمعتُ مثل هذا ، ولقد رويته وكتبته وما ذكرنيه إلا قولُ المعزّ (صلع) الذي طابقه وشاكله وكأنتما (1) خرج من مخرجه وهو كذلك ، لأنهم كما قال الله تعالى : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (2) . وما زال مثل ما كنتُ شكوتُهُ إليه ، يتزيد عندي ويتردّد عليّ ، فإذا ضاق لذلك / صدري بعضَ الضيق ذكرتُ قوله هذا فتعزيتُ به ، وما زلتُ أروضُ نفسي على ذلك حتّى صار ذلك لا يحزنها ولا يغمّها ولا يؤثّرُ فيها ، وحتّى صار من عسى أن كان يُبْلِغُنِي ذلك لا يبلغني شيئا منه لما رآه من إعراضي عنه وقلةِ اكتراثي به ، فصرتُ إلى الراحة بحمد الله وفضل وليّه (صع) لما بصرتني إياه وعلّمني ، وهداني إليه . ولم أرفع إليه بعد ذلك شيئا من ذلك قلّ ولا كثر ، ممّا صغر ولا ممّا كبر ، ولا أرفعه . أبدا وإنه ليتكرّر عليّ في أكثر لأيام ، ما أقلعوا عنه ولا ملّوا منه .

توقيع بمفضل وامتنان من المعزّ (صع) :

182 - (قال) وكان اعتمادي أيّام المنصور بالله (صع) / فيما أحاوله (3) عنده وأرفعه إليه ، وأطالعه فيه ، على المعزّ لدين الله (صع) . فما أردته من ذلك بدأته به ورفعته إليه وسألته حسن رأيه فيه : فما أمرني أن أفعله من ذلك ، فعلته . وما كرهه لي ، تركته . فكان لي في ذلك رِفْدٌ عظيم وفرح كبير ، ولم أكن أعمل على رأيه إلاّ ظهرت لي بركته والسعادة فيه ، ولم ينهنّني عن شيء فتركته ، إلاّ تبين لي بعد ذلك عيبه .

(1) أ : وكان ماسا . ب : وكافي ما . ولعل النعمان يتبع بمطابقة ما سمعه اليوم من المعز لما كان نقله عنه مطابقة تامّة ، ونعلم حرص النعمان على نقل كلام الإمام معنى ولغظا (انظر المقدمة ص 47 رص 301 من الكتاب).

(2) آل عمران ، 34 .

(3) أ : اخلو له .

فلما قبض المنصور بالله صلوات الله عليه وبركاته ورحمته ، احتجّت إلى مطالعة المعزّ (صع) ومعاملته بما كتبت أعمال المنصور وأطالعه به ، فعدمت من دونه ما كنت وجدته فيه دون المنصور (عم) ، فبقيت وقتاً طويلاً / أنهيت ذلك وأخاف التقحّم فيه . فلما طال ذلك عليّ كتبت إليه رقعة رأيت أن أقدم فيها عذراً عنده فيما عسى أن أرفعه إليه وأخاطبه فيه ، كان فيها :

قد علم أمير المؤمنين (صع) اعتماد عبده ، فيما كان يرفعه إلى المنصور قدّس الله روحه ، على فضل رأيه ومطالعه به قبل رفعه ، وعملته فيه بعد ذلك على أمره ونهيه ، وأنّ ذلك ممّا وجد (1) غيب عاقبته ودامت السلامة وحسنت الحال له به : ولم يجد عند أمير المؤمنين الآن دون مولاه مولى يعتمد في مثل ذلك عليه فيما يخاطبه به ويرفعه إليه . وقد روي فيما روي عن مولاه عليّ أمير المؤمنين (صع) في فصل * من فصول / كلام ذكر فيه الواجب على الأمة للأئمة ، فقال فيه : وإذا كان العلماء في زمان إمام حقّ وأهلّه فاسقون ، وجب على العلماء عرض أنفسهم على إمامهم ، وتعريفهم من الكفاية والأحوال الصالحة ما لديهم وتسليم أنفسهم (2) إليه ليسلمهم إلى الأشكال والحدود التي يجدها أبلغ وأنفع لما يريد .

فالذي يجب على عبد أمير المؤمنين من هذا كشفه لمولاه من حال نفسه ، اعتقاد ولايته والإخلاص له فيها ، وذلك أصل ما لا يزكو عمل إلاّ به ، والصدق فيما يقوله له وعليه . لا يسأله الله عن كذب إن شاء الله لا يتعمّده ولا يقصده (3) ، والتسليم لمولاه واستفراغ المجهود فيما يتحرّى به رضاه .

وأمير المؤمنين أعلم بعبده ومّا يراه أهلاً له . فإن وقع من قوله أو فعله شيء / بخلاف موافقة مولاه فمن حيث رأي أن يقع ذلك بموافقة وهواه ، وقد قال جدّه رسول الله (صلع) : قد تجاوز الله لأمتي عن خطيئها ونسيانها وما أكرهت عليه (4) . وأمير المؤمنين (صع) مُحبيّ سنة جدّه ومقتفي أثره ومنجز وعده لأهل

(1) ب : وجب .

(2) من : على إمامهم ... إلى ... وتسليم أنفسهم : ساقطة من أ .

(3) ب : لا يسأله إلا الله إن شاء الله عن كذب يتعمّده ويقصده .

(4) تجاوز الله لأمتي ... انظر ص 303 تنبيه 1 .

عصره ومتبع أمره ، فإن أمر عبده بإيراد أموره عليه على جميل الظن في الصبح به وبلوغ الأمل من التجاوز منه ، فعل من ذلك ما هو أهله .

فوقع إليّ في ظهر الزقعة بخطه : صانك الله يا نعمان ، وقفتُ على كلّ الذي وصفتَه في رقعتك هذه واستدللت من لفظك على شيء قد تبين لي منك ولم أتُحققه إلاّ عند وقوفي على / رقعتك هذه . والذي تبين لي منك (1) ، فنفّارُك عما كنت عليه من الانبساط * والاستراحة إلينا فيما عساه يعرض لك ويقعُ إليك . فرأيتُ منك انقباضاً أوحشني إذ لم يكن له سبب ولا علّة تُوجبُه ، بل الأمل فيك خلافاً ما يسمو إليه أملكُ من التشريف والتنويه باسمك ورفع منزلتك إذ لم أكن أطلع إلاّ على خير وأحوال يجب أن يكون عليها كلّ وليّ لنا مثلك . وكان الأولى بك التزيّد في السعي المحمود ليكون حالك حالا يغبطك بها الوليُّ ويكيدُك عليها العدو ، وفقك الله وسدّدك .

والذي وصفته من حالك مع مَنْ صلّى الله عليه (2) وألحقنّا به ، فحالُك لم تخفَ علينا بل كنّا / أصلها وفرعها وإن كان الشخصُ الجسمانيّ المقدّس قد غيّب عن أبصارنا ونُقِل إلى سعة رحمة الله ، فإنّ المادّة الروحانيّة متّصلة غير منقطّعة ، والحمد لله ربّ العالمين ، فمولاك مضى وإمامك خليف ، فاحمد الله واشكره وسلّم لأمره ، واكتب إليّ بما عساك تُحبُّ ذكره ليأتيك من أمرنا ما تعمل عليه إن شاء الله (تع) ، والسلام عليك .

فما أعلمُ أنّي سررت منذ كنت ، سروري يومئذ ، لما قرأت هذا التوقيع وأسقطتُ عن نفسي وحشة التعقّب وأزحت عنها مؤنة التّحفّظ واعتمدت فيما أعامله به وأرفعه إليه وأخاطبه فيه على حسن النية وسلامة الطويّة / وتركِ التصنّع في كلّ الأمور . فما زلت أتعرف على ذلك منه صلوات الله عليه فضلاً عندي يتجدّد ونعمة تتّصل وأسباب خير تتأكّد ، أنحمّل شكرها عند الإقرار بالعجز عنه وأبلغ وصفها لدى * الاعتراف بالتقصير فيه .

(1) من : ... ولم أتُحققه إلى ... منك ... ساقطة من ب .

(2) أي : المنصور .

الجزء السابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

توقيع بمثل ذلك :

150 — قال القاضي النعمان بن محمد : أمرني الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه بالجواب عن مسائل وردت عليّ من بعض النواحي بعد أن طالعتني في ذلك ورفعته إليه . فكتبت الجواب عنها ورفعته إليه / ليتصفح فيكون ما ارتضاه منه منسوبا إليه ومرويا عنه . كما صححتُ كذلك ما كنت رويتُهُ عن آبائه (1) عليهم السلام وعليه وعلى من لحقته منهم صلوات الله عليهم ، واستأذنته (صع) في أن يكون ذلك مرويا عنه ، في رُقعةٍ ذكرتُ ذلك فيها ورفعتهُا إليه .

فوقع بخطه إليّ في ظهرها : يا نعمانُ ، أنفذ هذا الجواب فقد أحسنت فيه ، أحسن الله إليك وأعانك على ما أخذت به نفسك من ابتغاء رضى الله ربك ورضانا عنك وختم لك بالسعادة في دينك ودنياك ، فقد أثبت بالجواب على ما يجب .

وذكر كلاما في الرواية عنه وقال بعده : إننا نأثر عن آبائنا البرزة الطاهرين قولهم / : ما قرب الله الخير من قوم قطّ إلاّ زهّدوا فيه .

(1) ب : سقط : كما صححت ... آبائه .

فما علمت أني اغتبطت بشيء كغيبطتي بدعائه (عم) هذا الذي وقعته إليّ بخطه ، وما أخذتُ في شيء أبغني به رضوان الله (عج) ورضاه إلا رأيتُ أني أعيتُ عليه وجاءني فيه ما لم أكن أحسبُه ولا أرجوه ، فأعلم أن ذلك لفضل دعوته (صع) .

فأما إحسان الله (عج) إليّ بعد أن دعا به لي فقد رأيتُه متصلًا عليّ متواترًا عندي ، له الحمد لا شريك له ، ولوليّه الشكرُ على ما منّ به وسألّه لي منه .

وأما الخاتمة بالسعادة : في الدين والدنيا فإني على ثقة ويقين منها لبركة دعاء وليّ الله لي بها ، ولِمَا عرّفني الله (عج) به عاجلًا لإجابته / في غيرها .

ومِمَّا يُوَثَّرُ عن رسول الله (صلع) فيما ذكره من الدعاء المستجاب دعوة الإمام العدل : نَسألُ اللهَ إلهَهمَا في المزيد منها ولمن أحبّ الخيرَ له من أهلٍ وولَدٍ وأخٍ في الدين ولكافة المؤمنين .

وبمثلّه :

184 - وذكر لي (صع) قولاً بغاني به باغٍ لديه ، ممن وقف على سوء حاله ، ذَكَرَ متطوّلٍ عليّ بذلك مُنْعِمٍ ، مع تكذيب لذلك ورفضٍ لقائله . فرفعت إليه كراسة أشكر فيها فضله وأعتذرُ ممّا قاله القائل له .

فوقع إليّ بخطه في رقعةٍ غيرها : باسم الله الرحمان الرحيم ، وقفت على الكراسة التي بعثت بها إلينا تعتذر فيها ممّا قاله النذلُ الخسيسُ ، وقد عليم الله يا نعمان أنا ما نظرنا إليك مذ كنت / قطّ إلا من حيث أملتُ أن ننظرَ إليك منه وبحيث وضعت نفسك من ولايتنا ومحبتنا واعتناق أمرنا . فحسبك يا نعمان رضى ربك واستغفارُ مواليك وقبولُهم لسعيك ، وكفى النذلَ والركيك حاله عند الله وعندنا وعند الأُمّة . وتالله لو علمتُ أنك تُلقيني لكلامه بالآ أو تشغلُ لك منه صدرا ، ما أوقفتك عليه ، فألقِ عن نفسك الفكرة في شيء من أمره ، وأنزله من الاحتقار في نفسك وعينك منزلته في أنفسنا وأعيننا ،

وثيق بما لك عندنا في صدورنا، واعلم أنّا آية (1) من آيات الله يستعملنا كيف يشاء، ولو لم يكن / الله عنك راضياً ما وفق لك عندنا السعادة . فحسبك هذا، والسلام.

فو الله ما دريت * ولا أدري كيف أصف هذه النعمة وإن كانت نظائرها عندي له (صع) كثيرة . ولو كان هذا الفضل والجميل من القول عندي لبعض الإخوان ، لأثقلتني حملته ولأعجزني شكره ، فكيف به من وليّ الله وابن نبيه ، ومن جعل الله أمر ما يُرجى من خير الدين (2) والدنيا بيده ؟ ولولا أن يطول الفصل والباب وينقطع عما رُتب عليه ترتيبُ هذا الكتاب (3) ، ويصير في الطول إلى ما لا يُدرى كيف نيهائته ، لفصلتُ لفظ المعز (صع) فيه ، وأعطيتُ كل لفظة قسّطها من البيان والتبيين على ما فيها / من الشرف والفضل والجزالة لمن عسى أن بعض ذلك يغيب عنه ، وإن كان نور الشمس لا يخفى عن الأبصار ، وضوء القمر لا يستتر عن النظّار . ولو قصدت ذلك لتهياً من هذا التوقيع كتبت كثيرة واجتمعت ، مما يفرغ منه ، أبواب عديدة ، وإن كنت أعلم أن ذلك لا ينتهي غوره ولا تُدرك نهايته . ويهدي الله لعلم ذلك من اختاره وأحب هدايته ، وينفعني إن شاء الله إثباته وتخليده ، وينفع به من قرأه بعاي وانتسخه ، إذ كثير ثواب الله وواسع ما عنده .

وبمثلته :

185 — (قال) وسألني بعضُ القضاة والحكّام والطلّبة بسطَ كتاب مختصر من قول أهل البيت (صع) / لهم يقرب معناه ويسهل حفظه وتخف مؤنته . فابتدأت شيئاً منه ، وقدّرت أن الكتاب إذا كمل قام (4) على من يريد انتساخه بدينار فما دونه ، وسمّيته « كتاب الدينار » وذكرت ذلك في بسط « افتتاحه ورفعت ما ابتدأته منه إلى المعز (صع) وطالعته فيه وسألته قراءته عليه

(1) للإسماعيلية تأويل لكلمة « آية » كما يؤولون « الكتاب » بـ « الناطق » (الرسول) ، فيقول جعفر بن منصور اليمن في تفسير قوله تعالى : « منه آيات محكمات هن أم الكتاب » (آل عمران 7) : « ... أن الكتاب ، مما يسمى به الناطق ، والآيات ، مما يسمى به الأئمة ، (في) يعني « بالكتاب أنه أقامه مقام الناطق ، ومنه آيات محكمات ، يعني من ذريته ... أئمة » (كتاب الكشف ص 132) . هذا وفضلنا قراءة « آية » الواردة بنسخة أ على قراءة « آلة من الآلات الله » التي جاءت في نسخة ب .

(2) ب : الآخرة .

(3) انظر ما كتبناه عن تجزئة الكتاب في المقدمة ص 38 .

(4) قام بدينار : قوم ثمنه بدينار .

وسماعته منه ليكون مأثورا عنه . وكتبت مع ما رفعته منه إليه رقعة ذكرت فيها ذلك له .

فوقع إليّ صلوات الله عليه بخطه في ظهرها :

باسم الله الرحمان الرحيم ، صانك الله يا نعمان ، وقفتُ على الكتاب وتصفحتُه فرأيت ما أعجبتني فيه من صِحَّة الرواية وجودة الاختصار . ولكن فيه كلمات تعتاضُ على كثير / من أوليائنا معرفتها فاشرحها بما يقرب من أفهامهم ، فيستوي في معرفته والإحاطة بعلم ألفاظه الشريف والمشروف ، فإنه يجيء طريفا قريبا المأخذ . وسمَّه « كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأطهار (1) » ، فإنَّ ذلك أشبه به من « كتاب الدينار » لأنَّ فيه من علم أولياء الله ما يحقُّ على كافة الخلق طلبه بأرواحهم فضلا عن أموالهم . وهذا الاسم يضع من قدره عند ذوي النعم ويرون أنَّهم يصلون إليه وإلى ما هو أجلُّ منه ببذل اليسير من حُطام دنياهم ، ويرون أنَّ الذي جمعوا وقمَّشوا (2) من سُحتهم (3) هو الغنيمة التي عليها المدارُ إذ كان الفسادُ على عقولهم / أغلبَ طباع اللُّؤمِ عليهم ، إلَّا من عصم الله منهم ، وقليل ما هم .

ثمَّ وقع بعد ذلك بإثباتِ أشياء تصلح فيما رفعته منه ، وحذفِ أشياء ممَّا كتبتُه وأثبتته فيه ، ذكرها وعلم عليها . وقرأته بعد ذلك قراءة * عليه وأثبت في كلِّ ما صحَّحه وارتضاه وأسقطتُ ممَّا كنت كتبتُ فيه ما أمرَ بإسقاطه منه وأخذته لفظاً منه . وأذن لي أنَّ أرويته - لمن أخذه عني - عنه ، عمَّن ذكره فيه من آبائه الطاهرين (صع) بعد أن أثبت (4) ذلك عنهم . فعظمتُ فائدتي فيه وجلتُ نعمته عليّ به ، ولم أكن تعرّضتُ برفعي ذلك إليه [إلى] غير ذلك ليصحَّ لي ما كنت آثرته عن آبائه وجمعه من كُتب الرواة / عنهم وسمعتُه قبلَ ذلك منهم . وفتق لي فيه (صع) وأمدَّني من بحرِ علمه بما صار به هذا الكتاب مشتملا على علم جميع الحلال والحرام ، والقضايا والأحكام . وصحَّ لي ذلك

(1) ذكره إيفانوف برقم 65 وعنوان : مختصر الآثار ، أو : اختصار الآثار

(2) قدس ، على وزن ضرب ونصر ، جمع فتات الشيء من هنا وهناك .

(3) السحت بضم السين ، ما خبت من الكسب .

(4) آثرنا الاسناد إلى المعز على الاسناد إلى النعمان المتكلم .

عنه فيما أعملُ به من الفرائض المفروضة عليّ وأفتي به مَنْ سألني ، وأقضي به في أحكامي بحمد الله ونعمته وفضل وليّه . وأنا أوْمَلُ إنْ مُدَّ في عمري [أنْ] أَعْرَضَ كلَّ شيءٍ أتدبّرُ به كذلك وآخذَه صحيحاً منه (1) . والله يُبْلِغُنِي ذلك ويمُنّ عليّ به بحَوْلِهِ وقُوَّتِهِ . فقد رُوِيَ عن بعضِ مَنْ لحق جعفرَ ابن محمد (صع) أنّه قال له : يا مولاي ، أَحِبَّ أنْ أَعْرَضَ ديني عليك . (ف)قال : ذلك من الفرض الواجب . فشهِدَ / الشهادتين وأقرَّ بالأئمةَ واحداً بعد واحد يسميهم حتّى بلغ إليّه .

فقال له : اعْلَمْ أنْ مَنْ دان الله (عج) بهذا ، فقد دائه بالدين الذي لا يَقْبَلُ غيرَه ولا يرضى من أحد سواه ، واستحسنَ ذلك منه وصوبَه من قوله ، فمَنْ فتح الله له في * عَرَضِ أَصُولِ دينه وفروعِها على وليّه ، فقد أتمَّ نِعْمَتَهُ أن (2) وفَقَّهَه إلى أخذِها عن إمامه وتصحيحِها على وليّه .

والحمد لله على ما فتح لي فيه من ذلك . ونسألُه البلوغَ إلى ما أوْمَلُّهُ ممّا بقيَ منه وقَبُولاً لذلك وتوفيقاً إلى ما يُرضيه منه .

في تعدّي العمّال :

186 - (قال) وذكرت عند الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوماً ما عليه الناسُ من الإقبال على / طاعته والتسليم لأمره والرغبة فيما عنده ممّا فضّله اللهُ به من العِلْم والحكمة ، وجعلهُ قائماً به لعباده هادياً إليّه به .

فقال : الحمد لله الذي هبّا لنا ذلك ومكّن لنا فيه بلا مُعِين من الخلق لنا عليه ، بل أكثر مَنْ نرجوه لِقُوَّتِنَا وإصلاح قلوبِ العباد لنا ، مُعِينٌ في ذلك علينا : إن كان شيءٌ ممّا يكرهونه ممّا يَتَعَدَّى فيه عليهم مَنْ نقيمُه لهم ، قال لهم : هذا أَمْرٌ (3) مولانا وله نأخذ منكم ما (4) نأخذُه . وقد أعاذنا الله عن أن نأمرَ أحداً بالتعدّي على عباده . فما يكفيهم تعدّيهم حتّى ينسبوه إلينا .

(1) ب : أوْمَل ... عرض كل شيء ... وأخذ صحيحاته .

(2) ب : إذ .

(3) أ : هذا من مولانا .

(4) نأخذ منكم ما ... سَقَطَتْ من أ .

وإن كان منّا فضل وعطف على أحد ، امتدَحَ به لِمَن يصلُ إليه مَن نُجْرِيه له على / يديه واستعدّة عُدّة لنفسه . فسيثّاتهم منسوبة إلينا وحسناقتنا مضافة إليهم ، ولكنّ الله يعلم نيّاتِنَا (1) لخلقهِ وأمرنا في عبادهِ ، فيَجْزينا إن شاء الله بذلك ويُثِّبنا عليه .

رمز بالحكمة :

187 — (قال) ورأيتهُ يوما جالسا * وبين يديه فوّارةُ ماءٍ تفورُ وهو ينظرُ إليها وكانت طريقةُ الفوّارةِ عاليةً ، فنظرَ إليها مليّا وقال : سبحان من دلّ بكلّ شيء خلقه على عظيم حكّمته . ونظرَ إليّ فقال : أتري هذا الماء ؟

قلت : نعم يا مولاي .

قال : أما علمتَ أنّ له أصلا عاليّا في الموضع الذي يأتي منه (2) ؟

قلت : نعم (3) يا مولاي .

قال : أوليس الماء شجحا كثيفا شأنهُ الرسوبُ والانصبابُ إلى ما سفلى ؟ /

قلت : نعم .

قال : ولكنّ مثل هذا إذا خرج محصورا كما ترى ارتفع وسمّا إلى الأصل الذي خرج منه ، وإن كان من طبعه الانحطاطُ .

قلت : أجل .

قال : وكذلك الأنفسُ العالية تطلّبُ مراقبيّ أصولها ، وهي أجدر بذلك من هذا الماء الذي طبعهُ الرسوب . فبمثل هذا فليعتبر أهلُ الألباب ولا ينظروا إلى ما في الدنيا كنظّر البهائم .

في وجوب إقامة الظاهر والباطن :

188 — (قال) وزفع إليه بعضُ مَن يقف بين يديه رُقعةً فقرأها . ثمّ نظر إليّ فقال لي : هذه رُقعة فلان ، ذكر لنا يومَ ركبنا ، الحديث الذي يروى

(1) قراءة تقرّيبية .

(2) هذا يدعم ما ورد في ص 332 من أن المزمّل جلب الماء من الجبال الواقعة غربي القيروان .

(3) ب : أجل .

عن جدتنا أبي جعفر محمد بن عليّ (صع) أنّه نظر / 11. الكعبة البيت الحرام فقال :
إنّ النظر إليها عبادة .

فقلت (1) : أجل .

قال : إنّ الله (عج) لم يجعل الدليل على الفاضل والمثّل له إلاّ الفاضل ، يكون
ما كان ، من حيوان أو نبات أو جماد . لذلك فضل الله بعض البقاع على بعض .
وقد علمنا أنّ هذا البيت مبنيّ من حجارة الأرض وطينها ، فالذي نصّب
مثلاً له شرفه الله وعظمه . وجعله كما قال جلّ ذكره : «مَثَابَةٌ لِّلنَّاسِ (2)»
وافترض عليهم حجّة والطواف به . ومن لم يُعظّم الدليل على الشيء والمثّل
له ، لم يُعظّمه (3) .

ثمّ قال (عم) : ومن التّهاون بالظاهر هلّك من هلك ممّن عرف الباطن .
فلعن الله من تهاون به / واطرحه وأزرى به ! لا والله ما افترض الله فرضاً
ولا عظم أمراً إلاّ ومثّل ذلك تعظيمه واجب في ظاهره وباطنه . فظاهر الحلال
حلال معظم ، وظاهر الحرام مذموم ، وكذلك باطنهما ، وكلّ فريضة موجبة
دلّت على شيء أو كانت له مثلاً فهي (4) كذلك تجري مجراه وتتصل به .

رؤيا رآها المعزّ (صع) :

189 — (قال) وذكر عنده يوماً عبد الرحمان الأمويّ المتغلب بالأندلس فقال :
لعنّه الله ، فلقد ذكرته منذ ليالٍ بيني وبين نفسي ، فأطّلت الفكرة فيه إلى أن هممتُ
أن آخذ مضجعي ، فقضيت ما ينبغي أن أقضيه من حقّ الله عليّ وسألته (عج)
ورغبت إليه أن يريني حاله ومصيره وما / هو عليه عنده ، في منامي . ثمّ نمتُ ،
فكأنّني في مجلس يُشرف على باب الفتوح (5) إذ نظرت إلى نجيب (6) قد دخل

(1) ب : فقال .

(2) البقرة ، 125 .

(3) نجد في كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليعن (ص 97) ما يمكن أن يوضح هذا المعنى الباطني للكعبة :
فهي ماثول الحجة ، وهي كالسيفيّة بالنسبة إلى فوج ، وحواء بالنسبة إلى آدم ، لأن حواء « حوت
الأشياء من الخفيات المكنونة والعلوم المصونة » .

(4) سقط من ب : وكلّ فريضة ... فهي ...

(5) ب : مشرف . وباب الفتوح : أحد أبواب المنصورية الأربعة وهو إلى الغرب . (انظر ابن حنّاد :
أخبار ... 24) .

(6) النجيب : الناقة الحسنة .

منه قد ملأ فروجه ونفخ الريح جلالته (1) ، وعليه رجل يحثه حتى وقف بباب القصر ، فاستأذن عليّ ، فأمرتُ بإدخاله وكأنه خيّل إليّ أنّه بشيرٌ أتاني ببشارة فأدخِلَ عليّ ، فلما مثل بين يدي سلم عليّ وقال : هذا الرجل ، قد جئنا به .

قلت : من هذا الرجل ؟

قال : الذي سألت الله أن يرسلك إياه .

قلت : عبد الرحمان الأموي ؟

قال : نعم .

قلت : فأين هو ؟

قال : هذا هو ورائي ، وإنما جئتُ أستأذنك في المجيء * به إليك .

قلت : جئني به .

فجاءني برجل ملفوف / في إزار وعلى رأسه الطرطور . فقلت للرجل : ما

هذا الذي على رأسه ؟ أهدا زيه ؟

قال لي : هذا زي الشهوة . ونظرت إليه بين يدي في مقام خزية . فقال لي

الرجل : اكشِفْ عنه الإزار إن شئت . فكشفتُه ، فنظرتُ إلى يده مغلولَةً إلى عنقه .

فقال لي الرجل : أفيقدر مثلُ ذلك على ضرٍّ أو نفع ؟ القادر على الضرِّ والنفع هذا

— وأوماً بيده إلى السماء — ثم قال لي : لا تُظهره عندَ العامة والغوغاء فقله بقي

شيء من المدة وجمع لي أصابعه (2) وحرك يده يُقلِّلُ ذلك . ثم استيقظتُ فخررت

لله ساجداً لما أَرَانِي من ذلك .

وصية موجزة :

190 — (قال) وسمعتَه (صع) وقد استعمل عاملاً على / بعض الأعمال فأمر

بإدخاله إليه يومَ خروجه إلى ذلك العمل ليوصيته . فكان ممّا عهدهُ إليه أن قال له :

اعلم أنا توخيتُنا فيك خيراً وظننّاهُ بك ، فلا تضرَّ نفسك بدون ما

ظننّا بك ! سر راشدا !

وما زاده على ذلك ، وقد جمع له كلَّ وصيةٍ وموعظةٍ في هاتين اللفظتين .

(1) الجبل بالضم والفتح ج جبل : ثوب قلبه الدابة لتصان به .

(2) ب : وجمع لي . إذا جمع أصابعه كلها ، أشار إلى عشر سنين ، فتكون هذه الرؤيا وقعت سنة 340 — الناصر مات سنة 350 — ولكن المعز تولى الخلافة سنة 341 . فلعل الطائف حرّكه يداً واحدة كما في النص . والحكاية بعد تدل على انشغال المعز بأمر خصمه الأموي .

كلام في إصرار الظالمين على الباطل :

191 - (قال) وسمعتَه (صع) يوما يقول : والله لا يخفى حقنا عن الناس ، ولو أنصفُوا من أنفسهم واطرحوا أهواءهم ونظروا بعيون الإنصاف منهم لما استتَرَ ذلك عنهم ، وما يستُرُ ذلك عن جاهلهم إلا جهله ولا يتخلف عنه عالمٌ إلا شُحًا على رئاسة . ولقد / فاوضت فلانا - وذكر رجلا من علماء العامة عندهم وأكابرهم - وبسطته (1) في القول وما زلت به إلى أن أقرت بحقنا . واعترف به اعتراف من لم أشك أن اعترافه اعتراف حقيقة لا اعتراف مداراة وتقية ، وانقطع ووقف في يدي (2) ، فقلت له : ما يمنعك بعد هذا من الرجوع عما أنت عليه إلى ما أقررت به ؟ فلم يُجِر جوابا . فقلت له : إن شئت عرفتُك لم لا تفعل ذلك .

فقال مستريحا من تعذر الجواب عليه إلى قولي : ما هو يا أمير المؤمنين ؟

قلت : أنت رجل قد ترأست في العامة وذُكرت بالعلم فيهم ، وصار لك بذلك حالٌ عندهم ، فإذا أنت فارقتهم وصيرت إلينا / نبذوك واستخفوا بك وسقط عندهم جاهلك ، ولم تكن عند أوليائنا في حال من برع في علم دخل فيه لقرب عهدك به ، وصرت دون من سبقك إلينا منهم ، فلا أنت ضرت إلى ما أنه اليوم فيه عند أصحابنا ، ولا أنت بقيت عليه عند أصحابك .

فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ! أعوذ بالله من السنة بني هاشم !

وتبين لي منه أنه قد علم أن الذي قلتُ هو سره فاستخذني (3) وجعل يلوذ في كلامه ، فأعرضت عنه وتركته ، نعوذ بالله من الخذلان والشقوة .

ولقد مات هذا الرجل بعد هذا القول عن قرب عهد به بعد صُحبة طويلة للأئمة صلوات الله عليهم / وفضل جزيل كان إليه منهم ، وما تمتع بما اعتاضه برئاسته من نعمة الله وفضله وكرامته وما دعاه إليه وليه وتأكدت به حجة الله عليه إلا القليل . وما كان ما كان من ولي الله من هذا القول إليه إلا تأكيداً بحجة الله عليه .

(1) بسطه : سره وطأنه .

(2) هكذا في النسختين ، ولعل المعنى : وقع في قبضتي وتحت طائلك .

(3) استخذني : استرعى واضطرب .

في وجوب الجهاد :

192 - (قال) وأتاه يوما صلوات الله عليه عن صاحب بعث بعث به وأمره عليه أنه نزل على عدو من أعدائه بجيشه، فحاصره حتى إذا ضيق عليه بذلك له أموالاً جسيمة فقبلها منه لينصرف عنه .

فغضب المعز لدين الله (صع) لذلك غضبا شديدا وقال : لئن فعل هذا لأفعلن به ولأفعلن به - لشيء من المكروه ذكره - ثم قال : ونحن نعيذ بالله من أملنا فيه / خيرا ورجونا منه قايما حسنا أن يخيب الله ظننا فيه، بل نرجو أن يوفقه الله لما أملنا فيه ورجواته منه وألا ينزع عن أحد من أوليائنا نعمة أنعمها عليه بنا .

ثم قال : إننا لم نخرج أوليائنا ونشعب فكرنا وننفق أموالنا لنطلب بذلك أموالا نعتاضها ، ولا أردنا بذلك متجرا بها ، وإنما أردنا بذلك (1) إقامة حق الله في أرضه وأن يُعبد سبحانه فيها حق عبادته ويُسدان بطاعته كما أمر لأوليائه . فأما المال ، فعندنا بحمد الله منه مما خولناه وأصاره إلينا من وجهه وحقه وحله ما لا حاجة بنا إليه ، يموت عنه إمام منا بعذر إمام ويخلفه ، فما فائدتنا في جمعه والزيادة منه ، وما حاجتنا إليه ؟ إنما الحاجة والفائدة لنا إقامة ما استخذمنا الله (عج) ونصبنا له من الدب عن دينه وجهاد أعدائه والدعاء إليه واستنقاذ من جعلنا سببا لاستنقاذه ونجاة من أقامنا لنجاته، ممن أراد سعادتة ، واصطلام من أراد اصطلامه على أيدينا ليشقوته . فلذلك نسعى وندأب وإياه نقصِد وفيه نرغب . فنسأل الله العون على ما يرضيه منا والتسديد والتأييد في ذلك لنا .

خطاب مخاطب به المعز (صع) رسول طاغية الروم :

193 - (قال) وقدم إليه (صع) بطريق من بطارقة الروم وأشرافهم رسولا عن طاغيتهم صاحب القسطنطينية بما أوجبه على نفسه من مغرم الجزية عن /

(1) سقط من ب : متجرا ... بذلك ...

أرض قَلْوَرِيَّة (1) كما يبعث بذلك لكل سنة ، وجاء منه بهدايا كثيرة من آنية الذهب والفضة المرصعة بالجواهر وديباچ وحريير وبرذون (2) وغير ذلك من نفيس ما عندهم ، وبكتاب من مرسله يخضع فيه إليه ويرغب ويسأل ويطلب الكف عن حربه ويسأل المودعة . وبعث بعدد كثير من أسارى أهل المشرق وما لم يكن قط قبل ذلك طاغية الروم بعث بمثلهم إلى ملك من ملوك المغرب ولا إلى أحد ممن مضى من الأئمة قبل المعز (صع) ولا (كم) ان طاغية الروم يؤدي إخراجاً ولا جزية عن أحد من أهل ملقه إلى غيره (ص) . فقبل ذلك الرسول الأرض مرارا بين يدي / المعز (ص) ومثل قائما بين يديه ، فأدّى إليه رسالة مرسله ودفع إليه كتابه واستأذنه في إدخال هديته ، وذلك بعد أن وصل مال الجزية إلى عامل صقلية على الرسم المقدّم الجاري (3) .

فأذن له أمير المؤمنين (صع) في إدخالها وأسعفه بقبولها وكان أكثر ما أدّى إليه الرسول عن طاغية الروم وما جاء في كتابه إليه سؤاله الهدنة مؤبّدة على ما أجراه من الخراج والجزية على أهل قَلْوَرِيَّة ، وبأن يرسل رسولا من قبيله ليُسّر بذلك ويفعل فيه ما يجيب على مثله لمحبته بزعمه وميله .

فأجاب المعز (صع) رسوله عن ذلك بأن الدين والشرعة يمنعان من الذي سأله من الهدنة المؤبّدة / لأن الله (عج) إنما بعث محمدا رسوله (صلع) وأقام الأئمة من ولده من بعده (4) يدعون إلى دينه ويجاهدون من خالفه حتى يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون داخلون في حكم إمام أهل الإسلام وذمّته . فإن المودعة إنما تجوز لمُدّة معلومة على ما يراه إمام المسلمين صلاحا لهم وللدّين ، ولو كانت مؤبّدة لبطل الجهاد المفروض على العباد ، وانقطعت دعوة الإسلام وخولف حكم الكتاب .

وعرفه أنه ممّا ينبغي لمثل من كان في محلّ ملكيه الذي أرسله ألا يغيب عنه مثل هذا من شريعة من مخاطبته وبكاتبه وألا يسأل ما لا توجبّه الشريعة لمن سأله .

(1) قلورية : مقاطعة في جنوب إيطاليا مطلة على جزيرة صقلية (انظر ص 167 و ص 240) .

(2) هكذا في النسختين . ولم نجد للكلمة بديلا أنسب للمقام .

(3) يبدو أن الإتفاق بين المعز والإمبراطور ينص على أن الجزية تدفع سنويا إلى عمال صقلية الكلبيين . ولم يسبق للنعمان أن حدثنا عن تفاصيل الاتفاق .

(4) من بعده : ساقطة من ب .

فاعترف العليج بذلك على مُرسِليه / وسأل الزيادةَ في مدّة الهدنة عنه له .

فقال المعزّ (ص) : جوابُ هذا في كتابنا المقدّم . معك قبلَ اليومَ إليه (1) : أنه ما دام على ما شرّطتْناه عليه وأوجبتهُ لنا على نفسه لم نبدأه بحربٍ حتّى نبيدَ إليه عهده ، أو بعدَ أن تنقضيَ مدّةُ المِوادةِ بيننا وبينه ، لا نخفّرُ ولا نغديرُ كما تخفرون أنتم وتغديرون .

وعدّد عليه أشياءَ من ذلك فعلوها ، فاعتذر منها عن ملكه بأنّ ذلك لم يكن . من فعله وأنه أنكره وطالبَ من فعله .

فقال له المعزّ (صع) : فإذا كان الأمر على ما تصفه من ملكك أنه يُغلبُ على أمره ويعجزُ عمن خالفه وغلب عليه من أهل ملته ، فأَيُّ فائدةٍ في موادعته إذا كان عاجزاً مغلوباً ؟ /

ولكن هل لكَ ولّه في أن أعقده له ما يتفقُ معي على عقده (2) ، على من يرى أنه في غير مملكتي ممّن يقابله من جهة المشرق كابنِ حمّسَدان وغيره (3) . فإن خَرَجُوا عما أعقده عليهم فلا عقْدَ بيني وبينه . فأما من حوّته مملكتي وحدودُ طاعتي فقد عليمٌ وعلمتُ أنهم أقدرُ على أهل دينه ومملكته وبلده لو أرادوا الخفّرَ والغدَرُ كابنِ حمّسَدان (4) ، فهل بلغه أو بلغتُ أن أحداً منهم تعدّى لي ، فيما جعلته له ، أمراً وخالفَ شيئاً منه ؟

فجعل العليج يعترف بذلك وبالفضل لوليّ الله (ص) ويسألُ ويرغبُ إليه . فأعرض المعزّ (ص) عن جوابه عن ذلك وجعل يسأله عن كيف الحال بينهم وبين أهل طرسوس / (5) وابنِ حمدان في حروبهم ومعاملتهم إيتاهم ، في حديث

(1) فهذه وفادة ثانية إذن من المبعوث نفسه (انظر رسالة الدشراوي المرقونة ص 313 ورسالة Schlumberger عن نفغور فقا ص 468) .

(2) في النسختين : معه على ما عقده .

(3) نفهم من هذا الكلام أن المعز يعرض على الرومي معاهدة باسم أمراء المشرق ضامننا لهم ملتزماً باحترام المقد من جهتهم . ويلد المعز أن يتكلّم باسم المشرق اعتقاداً منه أنه خليفة على المسلمين قاطبة ، وبهذا الاقتراح ، أن قبل ، يضمن السلم لأهل الشام والجزيرة ، بدفع خطر الروم عنهم .

(4) العجب أن يسمي المعز جهاد سيف الدولة للبيزنطيين غدراً !

(5) « أ » : طرسوس ، وكذلك في « ب » مع شطب على الطاء الثانية . وطرسوس ميناء سوري جنوب بانياس . وطرسوس ثغر إسلامي يقع جنوب تركيا الحالية ، ودارت فيه حروب بين البيزنطيين وسيف الدولة ، واحتلها الروم سنة 965/354 ، في عهد سيف الدولة الحمداني (انظر الكامل لابن الأثير ج 7 ص 13 ، وهو لم يذكر طرسوس) .

أطاله . وكان ذلك العليج يُجيبه عما يسأله من ذلك عنه (1) . فنظر بعض من في المجلس إلى بعضهم كمن لا يدري ما معنى السؤال عن ذلك والمفاوضة فيه . ثم عاود العليج في سؤال رسول يرسله إلى ملكه وذكر له تواتر رسله عليه وعلى آبائه مذ أفضى الله (عج) بالأمر إليهم وأنه لم يمتض رسول منه ولا منهم إليه

فقال المعز (ص) : إن أحدا من الناس لا يرسل رسولا إلى أحد إلا لحاجة له إليه ولأمر يجب . له عليه . ونحن بحمد الله ، فلا نعلم أن لنا إلى صاحبك من حاجة ولا له علينا أمر واجب . فلماذا تُرسل إليه ؟ اللهم إلا أن يكون أمر من أمور الدين ينبغي لنا مراسلته ومفاوضته فيه وهو من المباح في دينه ، ولكن نظن أنه يكبر عليه ، فإن نحن أرسلنا فيه إليه ، فعلمت أنه يجيبنا فيه ، سهل علينا أن نرسل إليه رسولا كما سأل وسألت عنه . فلو كان (2) ذلك لله (عج) ولدينه لم نفعل ذلك له ، ولا ينبغي لنا أن نفعله ، إلا بعد أن يتحقق عندنا أنه يجيب إليه ، لأننا لا نرى أن نسأل أمرا ، وإن كان لوجه الله (عج) ، فنخيب (3) فيه . ولأن ذلك ، لو كان ، لكان سوء عاقبته عليه . ونحن لا نلزمك الجواب في ذلك عنه ، والقطع فيه عليه ، إذ ذلك مما لا يلزمك ولا ينبغي لك ، ولكننا سنأمر بذكر ما نريد ذكره لك وتصرف وتقف / على ذلك منه لأنه أمر كبير (4) . فإذا علمت منه بالحققة أنه يجيب إليه ، عرفتنا ذلك عنه فيسهل علينا أن نرسل إليه . ولو كان ذلك فيما حوته الدنيا بخدافيرها أو اشتملت عليه بأقطارها ، لما سهل علينا أن نرسل فيه رسولا من قبلنا . ولكنه لما كان لوجه الله (عج) وابتغاء ثوابه سهل علينا ووجب لدينا .

فاستعظم العليج القول في ذلك وأقبل على أمير المؤمنين بالمدح والشكر حتى خرج في قوله ذلك إلى الكفر والتشبيه الذي يعتقد . فرد ذلك المعز (صنع) عليه وتواضع لله (عج) كما يجب أن يتواضع له ، وعرفه ذلك ليعلم أنه لم يرضه . من

(1) عنه في أ وب ، وكأنها زائدة .

(2) في النسختين : فلو لا أن . والتركيب صعب .

(3) أ : فنجبه فيه . ب : فتجبه فيه . والعبارة غامضة ، وقرأنا تخمين .

(4) لأنه أمر كبير ، ساقطة من أ .

قوله وإن كان عند نفسه إنتما قصد به / تعظيمه ورأى أن ذلك ممّا يجوزُ عنده .
ثم أمره (صلع) بالانصراف إلى المكان الذي أنزلته فيه ، فانصرف .

ثم عطف على من كان في المجلس كأنه اطلع على ما كان في قلوبهم ، فقال :
لعلّ بعضكم أنكر ما أطلنّا سؤاله عنه عن أمرهم مع أهل المشرق ؟ ولم تُرد بذلك
منه الحديث والمذاكرة ، ولكنني علمتُ أنه رسولٌ قد لُقِّنَ ما يقول وأوقِفَ
عليه ، وعلى ما يُجيب فيه ممّا قد لعلّ من أرسله عليم أنه سيُسألُ عنه .
فأثبتناه من مكان نعلم أنه لم يُتقدّم إلَيْه فيه ، ولم يعلم مرسله
أنه يُسأل عنه ، حتّى أخذنا من قبلك ما تقوم به حُجَّتُنَا عليه من وجه كذا
ووجه كذا ، وعدد / وجوها كثيرة ممّا سمعناه جرى بينهما لم ندر أن
في ذلك حجة حتّى ذكره (ص) ، فإذا فيه حجج وكيدة لم تظهر إلى أحد ممّن
حضر إلاّ عند ذكره إيّاها وبيانه لها .

فقبلوا الأرض بين يديه وأظهروا السرور بما وهب الله من التأييد له وأمدّه
من العلم والحكمة به . وكان ذلك عنه (ص) بعد أن سألهم ما رأوه في مخاطبته إيّاه
فيما خاطبه ، وما توهّموه في مرآذه في ذلك ، فلم يكن عند أحدٍ منهم عليمٌ من
ذلك . ثم سألهم هل فيما سمعوه من حُجّة يروّنها أنها تقوم عليه أو على مرسله ؟
فما عليمٌ أحدٌ منهم ذلك . فبعد ذلك قال ما قاله لهم ممّا ذكرته عنه - ص - (1) .

خطاب مخاطب به المعزّ / صلوات الله عليه رسول (2) بعض الدعاة : *

194 - (قال) وقدم على أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) رسول بعض
الدعاة بالمشرق بمال حمّله ذلك الداعي إيّاه من أعمال المؤمنين . فأدخله المعزّ (ص)
وسأله عن أحوال ذلك الداعي والمؤمنين قبلك ، فأخبره من ذلك بما حمّد الله
عليه من استقامة الأحوال وانتظام الدين وألفة المؤمنين . ثم سأله عمّا شاهده
في طريقه فأخبره بتعظيم من مرّ عليه من أمراء بلدان المشرق إيّاه ، وبرّهم (به)
ولاكرامهم له ، لعلمهم بما جاء به إلى أمير المؤمنين (ص) من قبيل صاحبه إذ

(1) نشر فرحات الدشراوي هذه الفقرة في حوليات الجامعة التونسية ، عدد 2 ، لسنة 1965 ص 28 - 31 .

(2) سقطت « رسول » من ب .

أَكْثَرُ أَجْنَادِهِمْ وَأَصْحَابِ أُمُورِهِمْ مِنْ دَعْوَتِهِ ، وَمِنْهُمْ كَثِيرٌ مِمَّنْ (1) دَعَاهُ غَيْرُهُ ، وَهُمْ / بِأَسْرِهِمْ يَدِينُونَ بَوَلَايَةِ وَلِيِّ اللَّهِ ، وَيَعْتَقِدُونَ إِمَامَتَهُ .

وَكَانَ فِيمَا حَكَاهُ عَنْ بَعْضِهِمْ ، وَهُوَ فِي أَجْسَلِ مَوْضِعٍ مَرَّ بِهِ ، بَعْضُ مَا كَرِهَتْهُ الرِّسُولُ مِنْهُ مَعَ مَا وَصَفَتْهُ مِنْ سُوءِ حَالِهِ ، وَذَلِكَ ، فِيمَا ذَكَرَهُ : أَنَّهُ أَرْسَلَ فِي طَلَبِهِ فَأَدْخَلَهُ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ عَمَّا قَدِمَ بِهِ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : أَمَّا إِنِّي لَوْ شِئْتُ أَخَذْتُ ذَلِكَ لَأَخَذْتُهُ لِأَنَّهُ أَوْ أَكْثَرُهُ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِي وَرَجَالِي .

فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَوْ تَقُولُ غَيْرَ هَذَا ۱۹

فَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟

قُلْتُ : تَقُولُ : إِنَّ الَّذِي فِي يَدَيْكَ أَنْتَ ، مِنْهُمْ (2) وَعَنْهُمْ ، لَقِيَامِهِمْ مَعَكَ وَعِضْدِهِمْ لِيَاكَ .

قَالَ : أَجَلٌ ، إِنَّهُ لَكَمَا قُلْتُ .

(قَالَ) قُلْتُ : وَأَنْتَ أَبْقَاكَ اللَّهُ فَمَا يَمْنَعُكَ مِمَّا فَعَلُوهُ وَقَدْ أَخَذَ عَلَيْكَ لَوْلِيَّ اللَّهُ وَلَمْ يَنْتَقِمْهُ / مِنَ الْأَثْمَةِ مَرَارًا ؟ (قَالَ) فَرَأَيْتُهُ وَقَفَّ فِي ذَلِكَ . وَكَانَ جَوَابُهُ أَنْ قَالَ : كُلُّ مَنْ تَرَى ، إِنَّمَا يَطْلُبُ الدُّنْيَا . وَنَحْنُ نَطْلُبُهَا . مَا دَامَتِ الْمَدَّةُ وَالِدَوْلَةُ وَالْأَيَّامُ لَنَا ، فَلِذَا انْقَضَتْ سَلَّمْنَا ذَلِكَ عَلَى الْكَرْهِ .

(قَالَ) قُلْتُ : وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ أَصْحَابَكَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ ؟

فَضَحِكَ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي أَعْلَى عِنْدِي دَرَجَةً وَلَا أَكْثَرَ مِثْلَةً وَلَا أَعْرَضُ دُنْيَا (3) مِنْ هَذَا - وَأَوْمَأَ إِلَى رَجُلٍ هُوَ وَزِيرُهُ وَصَاحِبُ أَمْرِهِ - ثُمَّ قَالَ : وَلَقَدْ سَأَلْتَنِي مَدَّ أَيَّامٍ فِي بَعْضِ مَا خَرَجْتُ مِثْرَهَا إِلَيْهِ فَتَذَاكَرْنَا أَمْرَ صَاحِبَيْكُمْ - يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (صَلِّع) - فَقُلْتُ : مَا أَظَنَّهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الْهَجُومِ عَلَى الْمَشْرِقِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالْعُدَّةِ / مَا يَرَى أَنَّهُ يَقْوَى بِهِ عَلَى ذَلِكَ ، فَضَحِكَ مِنْ قَوْلِي وَقَالَ لِي : وَمَا يَرِيدُ مِنَ الرِّجَالِ وَالْعُدَّةِ ، وَكُلٌّ مِنْ تَرَى حَوْلَكَ وَحَوْلَ غَيْرِكَ رَجَالُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ ؟ فَوَاللَّهِ مَا دَارَانِي فِي أَمْرِهِ وَلَا سَاتِرْنِي وَإِنَّهُ لَيَصِلُ

(1) ب : مَا ..

(2) ب : وَأَنْتَ مِنْهُمْ .

(3) أ : وَلَا أَعْرِفُ دِينًا ، مَعَ إِصْلَاحِ دُنْيَا إِلَى دِينَا بِتَغْيِيرِ الْإِعْجَامِ .

إليه من بين صلة لي عليه جارية وغلّاتٍ من معرّوفي لديه في كلّ عام أزيدُ من ثلاثمائة ألف دينار .

فقلت : فحسبك أيتها الأمير .

قال : ما يمنع صاحبكم من المشرق وما الذي قنع به من المغرب وما عسى أن يكون في المغرب وفيما رضي لنفسه منه ؟

قلت : أأست تعلم أيتها الأمير أن المغرب شطر الدنيا وأن الله قرنه بالمشرق فذكرهما معا ؟

قال : / نعم

[قلت] : فهل تعلم في المغرب ملكًا غيره ؟

قال : لا .

قلت : وكم بالمشرق من ملك ؟

قال : كثير .

قلت : أو ليس له أكثرُ ما يملكُون ذلك به من رجالهم ، يتقربون إليه بأموالهم وينصرونه ، إن أحبّ ، بأنفسهم ؟

قال : نعم .

قلت : فأأي ملكٍ من ملوك الدنيا * له مثلُ ما له مع ما خصّه الله (عج) به من فضيلة الإمامة ؟

قال : فمن هذا العجبُ فيما قلناه ! فما عندك فيه ؟

(قال) قلت : ما عندي في ذلك إلاّ القبولُ عنه والتسليمُ لأمره وتركُ الاعتراض عليه ، والعلمُ باليقين أن كلّ ما كان منه ، صوابٌ وحكمة ، ولستأ نرى أن نسبّه بالقول ، وإنما نحن رسلٌ ننقلُ بما أرسلنا فيه إليه وننصّرف فيه بصرفنا / به .

(قال) ففكر مليًا ثم دعا بدابتي ، فما ركبت إلاّ بين يديه وأكرمني . ولكن اغتممتُ لِمَا رأيتُ من تخلفه عن الواجب لوليّ الله عليه وقوله ما قاله من أنّه صاحبُ دنيا ، وما وقفتُ منه عليه ويقال فيه من سوء الحال .

قال المعزّ لدين الله (ص) : أَفَكُنْتُ تَحِبُّ أَنْ تَرَاهُ عَلَى صَحَّةٍ مِنْ وَلَايَتِنَا وَكَمَالٍ فِي أَمْرِنَا ؟

قال : أي والله ، لقد كنت أحبّ ذلك .

قال : إنّ ذلك لو كان وهو على ما هو عليه من المظاهرة بالقيام بأمر أعداء الله ، لكان أضرباً عليك وعلى أصحابك المؤمنين ولكانت النعمةُ يرجى بقاؤها عليه والسلامةُ يطمع دوامها له ، فتطول مدته وأيامه واغتمامك وأصحابك . ولكنّ من قاطع / اللهَ مثل هذه المقاطعة ولم يكن له من أوليائه (1) حظّ ولا نصيب ، كان الهلاك بحول الله وقوته منه قريباً . فقد كان يقال : كفاك دركاً من عدوك أن تراه عاملاً بمعاصي الله . وقد سعى بمولائك جعفر بن محمد (ص) بعضُ السعاة إلى بعض المتغلبين من بني العباس ونسب إليه أنه يريد الخروج عليه ، فأخبره لذلك وسأله عما قال الساعي به ، فأكرهه ، وثبت الساعي على ذلك من قوله فيه بين يدي من سعى به . فقال له جعفر بن محمد (ص) : أفتحلف على ذلك ؟

قال : نعم ، أحلفُ عليه ، وذهب * ليحلف بالله .

فقال : لا ، ولكن قل : قد برئت من حول الله وقوته إلى حول نفسي وقوتها . فقال ذلك / ، فمات في المكان .

فأسقط في يديّ ذلك الذي سعى إليه ، وأعظم أمر أبي عبد الله (ص) وقال له : كيف علمت أنه يعاقبُ بمثل هذه العقوبة إذ استحلفته بما استحلفته به ؟

فقال : علمت أنه كاذب في قوله وأنّ الله (عج) إذا حلف حالف باسمه فوحدته وعظمته في حلفته أبقى الله عليه ، لتوحيده وتعظيمه إياه ، ولم يعجل بالعقوبة عليه ، فلم أدعّه لذلك واستحلفته بالبراءة منه لئلا يكونَ بينه وبين الله ما يُرجى له به السلامة من جرأته عليه ، فكان ذلك ، وعجل الله (ع) الانتقامَ له .

وكذلك هذا الذي ذكرته : لو اعتصم بأدنى أمرٍ من أمورنا وكان على شيء من طاعة الله ، لأمهله الله / وفتح له . ولكن بانسلاخه من ذلك وخروجه منه ، يتوقع قرب انتقام الله (عج) وسرعة وقوع البلاء له .

(1) أوليائه : ساقطة من أ .

ثم ذكر له هذا الرسول غير هذا الرجل ممن اجتاز به من أمراء البلدان وإكرامه له وأنه أرسل إليه لياثيته فاستغفاه من ذلك إذ عليم أنه يريد منه أن يقبل يده أو يعظمه وأنه لا يفعل ذلك له واعتذر إليه في التخلف عنه ورمز لما منعه من المجيء إليه ، فقبل ظاهر عذره ولم يكلّفه من ذلك ما يكرهه وتركه ، نازلا عند من قصد إليه من أولياء أمير المؤمنين ، فأمر بحفظه وأصحابه من أجازته من حدّ عمله وأخرجه ظاهرا بما معه لأمر المؤمنين (صلع) / * .

فقال له المعزّ لدين الله (ص) : هذا ممن نظر لنفسه ، وأحرى به أن تدوم النعمة ما دام على ذلك . أمّا بلغك ما عمل به صاحب الفرس عندما ورد عليه كتاب جدنا رسول الله (صلعم) (1) يدعو إلى الإسلام ، من أنه أنف من ذلك واستكبر ومزق كتاب رسول الله (صلع) فمزق الله (عج) ملكه وسلبه إياه فلم تقسم لهم قائمة ؟ وأنّ ملك الروم لما أتاه كتاب رسول الله (صلع) قبله وأجابه عنه ، فلم ينزل به ما نزل بغيره . وهذا مما قدّمت لك ذكره عمّن تعلّق بشيء من الحق وأصغى إليه أنه ينتفع بذلك ، وأنّ من قاطع الله وأولياءه أو شك أن ينتقسم الله منه .

والحمد لله مؤيد عزّ وليّه / وجاعل الهبة والرعب في قلوب عباده (2) .

(1) ص في ب . وهذه أول مرة تكتب التصلية بهذه الصورة ، أي بإضافة م السلام .
(2) ب : تم الجزء السابع عشر بحمده ومنتته وصلى الله على رسوله وعلى آله الطيبين الطاهرين .

الجزء الثامن عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث جرى في مجلس في الردّ على بعض المتكلمين :

195 - قال القاضي النعمان بن محمد : جلست بين يدي الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوماً فذكرتُ له كلاماً لبعض المعتزلة في قول الله (عج) : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، الآية (1) 》 ، واضطراب قول المعتزلي في ذلك وسوء توجيهه له .

فقال (ص) : من اتّباع هذا القائل وأمثاله المشابهة ، اتّباعهم من شبهوه بأولياء الله الذين أمرهم / تبارك اسمه بردّ ما اشتبه عليهم إلهيهم وبسؤالهم عما لا يعلمونه من أمر دينهم ، فلم يفعلوا ما أمرهم الله (عج) . به وسألوا من لم يأمرهم بسؤالهم ، فتخوتوا وتهوّنوا (2) وضلّوا وهلكوا . ولو سألوا الراسخين في العلم الذين أمرهم الله بسؤالهم وأخبرهم أنّ عندهم تأويل الكتاب ، لعلّموا من عندهم وجه الصواب ، ولكنهم أرادوا أن يكونوا أئمة أنفسهم وأن يستطيلوا على الأئمة برئاستهم فتأولوا كتاب الله برأيهم وقالوا في قوله بأهوائهم ، فأوجبوا

(1) آل عمران ، 7 .

(2) الهوك : الحسرة والتردد .

وعيدته لمن وعده بالثواب ووعدته لمن تواعده بالعقاب، فأصلتوا كما قال الله (نع):
 « وَأَضَلُّوا كَثِيرًا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ / (1) » وكانتهم لم يسمعوا قول الله وهو
 أصدق القائلين: « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (2) » ، ولا
 قوله لرسوله: « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (2) » .
 فلا هم عن الرسول أخذوا البيان ولا إلى أهل الذكر ردوا ما اشتبه عليهم من آي
 القرآن ، بل أمضوا ذلك على آرائهم وتأولوه بأهوائهم . ولو جاز ذلك لأحد لجاز
 لرسول الله (ص) . فقد أخبر الله (عج) في كتابه وأمره بإخبارهم بنفي ذلك عن
 نفسه فقال: « قُلْ إِنْ أَنْتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي (3) » ، وقال (عج) مخبرا عن
 رسول الله (صلع): « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ » إلى
 « شَدِيدِ الْقُوَى (4) » . فأجازوا من القول / لأنفسهم ما يجوز (5) عندهم لنبيهم ،
 وما شهد كتاب الله بخلافه لهم ، جرأة على ربهم واستخفافا بدينهم . وذكر الله (عج)
 المنافقين في كتابه وأمر بجهادهم نبيه . فلو مثل هؤلاء عن المنافقين . مَنْ هُمْ فسموهم
 بدعواهم عليهم ، ونسب أولئك اسم النفاق إليهم وأوجبوا أنهم هُمُ الْمُنَافِقُونَ بأعيانهم ،
 ما كانت تكون حجتهم عليهم إن لم يرجعوا إلى بيان الرسول وسؤال أهل الذكر
 كما أمرهم الله (عج) ، وإلا فلا حجة لبعضهم على بعض وكلهم مدع
 بلا بيان .

فذكرت عند قول المعز (ص) هذا ، قول جده الصادق جعفر بن محمد (صلع)
 وقد سأله بعض مواليه / عن الاختلاف في الفتيا لم كان بين الناس ؟ فقال (عم)
 للسائل : هل بلغتك أنهم اختلفوا على عهد رسول الله ؟

فقال : لا والله ، جعلني الله فداك ، ما بلغني ولا سمعت أنهم اختلفوا على عهد
 رسول الله .

فقال له جعفر : ولم لم يختلفوا حينئذ .

(1) المائدة ، 78 .

(2) النحل ، 43 - 44 .

(3) الأحقاف ، 9 ، وقد التبست الآية عند المؤلف (أو الناسخ) بالآية 203 من سورة الأعراف .

(4) النجم 1-5 . والمقصود بالذات الآيتان 3 و4 : وما ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى .

(5) ب : ما لا يجوز .

فقال: لأنهم كانوا يسألون رسول الله (ص) عما جهلوه ويعلمهم ما لم يعلموه .
قال: صدقت ، وكذلك والله ، لو أقاموا من أقام لهم من بعده مقامه وسألوه (1) ،
لما اختلفوا . ولكنهم نصبوا بعده من (2) لم يأمر الله ولا رسوله بنصيبه ، فسألوه
عما جهلوه وتحاكموا إليه فيما اختلفوا فيه ، فقصر عن كثير من ذلك ولم يعلمه
وجعل يسأل الناس عنه فاختلفوا عليه في الجواب فيه ، وتطاعموا لذلك الرئاسة /
فمضوا على ردّ الجواب لا يدرون [أ] أصابوا أم أخطأوا أوجه الصواب ، ومضى على
ذلك كذلك الثاني والثالث (3) . واختلفوا في أحكام الدين ، فاقتدى بهم في ذلك من جاء
بعدهم من التابعين ومن لحق بهم من اللاحقين ، فكان سبب الاختلاف مع طلب
القوم الرئاسة لأنفسهم وصرف وجوه الناس إليهم ، وقد قال رسول الله (ص) :
من طلب العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء وليصرف به وجوه الناس
إليه ، ويقول أنا رئيسكم ، فليتبوا مقعده من النار ! إن الرئاسة لا تصلح إلا
لأهلها (4) . فقال علي (عم) : لو ردوا الأمر إليّ لقضيت بين أهل القرآن / بالقرآن ،
وبين أهل التوراة بالتوراة ، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل . ولأتي لأعلم ما بين
اللوحيين* . وكان يضرب يده إلى صدره ويقول : إن مهنا لعلماً جمّاً ما أصبت
له حملة . وقال جعفر بن محمد (ص) وقد سئل عن قول الله (عج) : « فاسألوا
أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » فقال : نحن أهل الذكر ، ولو زدوا
السؤال إلينا ، لما اختلف منهم اثنان . وروى مثل ذلك عن أبيه أبي جعفر محمد بن
علي (صلع) ، ومثل هذا وما يؤيده علمهم (صلع) قد جاء من غير طريق .

وذكرت فيما وصف من أمر المنافقين قول الصحابة : ما كنا نعرف المنافقين
على عهد رسول الله (صلع) إلا ببغضهم علينا / لأن رسول الله (صلع) قال : لا يحبك
إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق (5) . فلولا بيان الرسول ودلالته لما عرف الناس
المنافقين كما قال المعز لدين الله (عم) .

(1) يعني علي بن أبي طالب وهو وصي الرسول

(2) يعني أبا بكر .

(3) عمر ثم عثمان .

(4) حديث : من طلب العلم ليباهي به العلماء ... ذكره ابن ماجه (ص 93 رقم 253 و 254) والسيوطي
في الجامع الصغير (ج 3 ص 210) . وورد في الكافي الكليني (ج 1 ص 47 رقم 6) .

(5) لا يحبك الا مؤمن ... ذكره الترمذي (ج 13 ص 168) . وجاء في نهج البلاغة (ص 372 رقم 42) .
بهذا اللفظ : يا علي لا يبغضك مؤمن ، ولا يبغضك منافق .

وفي مثل ذلك :

196 - وذكرت له في هذا المجلس قول بعض من تسمى بالعدل من العامة في الرد على بعض المُجْبِرَة وقد عارض في قول الله (عج) « اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » ، فقال : إذا كان الله قد هدى المؤمنين ، فلم أمرهم أن يسألوا الهدى ؟ فإذا كان قد أنعم عليهم بالهدى فكيف يستحقون الجزاء ؟ فقال هذا المتسمي بالعدل : الذي أمر الله (عج) عباده المؤمنين أن يسألوه من / الهدى الطاف منه وزيادات يخص بها من يشاء . وقد هداهم قبل ذلك ، كما قال الله (عج) : « وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ » (1) . وأما إنعامه عليهم ، فلو أن رجلا وصل رجلا بصلة فاشترى منها منزلا وفرشا وطعاما ولباسا لنفسه ولأهله ، فلما صاروا إلى ذلك قالوا : لقد أنعم علينا فلان بنعمة عظيمة ، كان ذلك جائزا في القول إذا كان أصل النعمة منه ، وإن كان وليهم هو الذي فعل ذلك بهم فهو والله أحق بها (2) .

فقال المعز (ص) : ما أسوأ هذا من توجيهه ، وأقبحه من تشبيهه ! والله تعالى عن أن يُشَبَّهَ بخلقه أو تقاس أفعاله بأفعال عباده / . ولو نُزِلَتْ هذه النعم التي شَبَّهها هذا المشبه بنعم الله (عج) حق تزليلها فعلم ما لعله يدخلها من النقص والغبن والبخس في حين اشترائها وما يلحقها من الآفات والعاهات ، وتكون له سببا من المعاصي الموبقات والجوائح في الدنيا ، والعقوبات وسوء الحساب في الآخرة ، والمصير إلى نار الله الحامية ، لعادت نِقَمًا ولم تكن نِعْمًا . ونِعَمُ الله على عباده لأجل من أن تُحصى ، أو يعد ما فيها من الفوائد والخيرات فتستقصى ! ولو تدبر هذا القائل قوله لعليم أن النعمة التي أنعم الله بها على عباده الذين اصطفاهم وأمر عباده جميعا بسؤاله هداية صراطه (3) ، هي نعمة الدين (4) التي / لا توازيها نعمة ولا تشبهها منة ، إذ بها كمال الدين والدنيا وهي نعمة الآخرة والأولى ، وهي نعمة الله على خلقه إذ كانت النعمة باتباع صراطهم ثنال ، وبمعرفتهم . والاقتداء بهم

(1) محمد ، 17 .

(2) أ : ... بهم والله أحق بها .

ب : ... بهم والله أحق بهذا .

(3) ب : صراطهم .

(4) أ : نعمة الله .

تدركُ . ولجهل هذا القائل بنعمة الله هذه شبهتها بحطام الدنيا وقاسها إليه . وجهله بها يوجب عداوته إياها ، فقد قيل : إن من جهيل شيئا عاداه .

فذكرت عند قول المعزّ لدين الله (عم) هذا القول (1) ، سؤال السائل جدّه جعفر ابن محمد (ص) عن قول الله (عج) « ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » (2) ، فقال صلوات الله عليه : ما يقول هؤلاء فيها ؟ يعني العامة .

فقال : أنت أعلم بقولهم جعلتُ فداك .

قال له : على ذلك / ، ما عندك من قولهم ؟

قال : يقولون : التّعيم ههنا الشربة الباردة في اليوم الحارّ .

فقال : والله (3) لئن سألوا عن هذا ليطولنّ سؤالهم . بل نحن والله النعيم الذي أنعم به عليهم ، وعنا يُسألون فيما عرفوه من حقنا وافترضّ عليهم من طاعتنا .

فذكرت هذا الحديث للمعزّ (صلع) وأنّ العامة ترويه ، فقال : هو صحيح وهو كما قال الصادق جعفر بن محمد جدّنا (ص) (4) . والسؤال الذي أمروا أن يسألوه هو سؤال الجزاء على معرفة أوليائه أيضا ، فذلك هو الجزاء الأوفى والخطّ الأسنى .

وفي مثل ذلك :

197 — وسألته (صع) في هذا المجلس عن قول الله (عج) : « آلم ، ذلك الكتاب لا ريبَ فيه / هُدًى لِلْمُتَّقِينَ » (5) ، وذكرتُ له قولَ بعض من احتجّ على المسجيرة من العامة في قولهم : إذا كان القرآنُ إنمّا هو هُدًى للمتقين ، فما على غيرهم من الحُجّة إذا لم يكن هدى لهم ؟ فقال هذا المحتجّ : القرآن هدى للمتقين وغير المتقين ، ولم يقلِ الله (عج) إنّه ليس هدى لغير المتقين (6) ، وقال : ونظير هذا في قول الله (عج) : « إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ » (7) ، وقد جعله الله نذيراً للعالمين .

(1) ب : هذا القائل .

(2) التكاثر ، 8 .

(3) ب : سقط : . والله .

(4) ب : سقط : جدنا .

(5) البقرة ، 1 .

(6) ب : سقط : لغير المتقين .

(7) يس ، 11 .

فقال المعزّ لدين الله (ص): من ههنا* تاه القومُ فضلّوا وهلكوا . وسكت ساعة ، وصوّب رأسه ، ثمّ نظرفي المجلس يمينا وشمالا فلم ير أحدا يُكرّره الكلامُ بحضرته . قال : إنّ الكلامَ إنّما (1) يبنى على أصوله . ثمّ ابتدأ / بتفسير « أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ » وشرح ذلك من الباطن بما يُعجزُ القائلين ويبهّرُ السامعين ، ثمّ ذكر المتقين بصفاتهم ومن هم ، وذكر الذين يؤمنون بالغيب ويقىمون الصلاة والذين يُنفقون ممّا رزقهم ومن هم ، وشرح ذلك شيئا شيئا شرحا شفى به القلوب وأزال الشكّ وأذهب الحيرة . ثمّ قال : والذين لا يؤمنون فهم كما وصفهم الله (عج) : « فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى (2) » ، فمن بصره الله الهدى وقواه عليه وأمره ونهاه فاهتدى بهداه وقبيل عنه أمره وانتهى بنهيهِ وحافظ على حدوده ، زاده الله (عج) من الهدى كما قال وآتاه التقوى ، ومن لم يُقبّل على الهدى وعصى / الله فيما أمّره به واركب ما نُهيّ عنه ، ففي أذُنَيْهِ وَقْرٌ ، وهو كما قال الله (تع) ، عليه عَمًى .

ثمّ قال : وهذا الهدى للمتقين هو من لطائف الله ومِنَنِهِ وإِحْسَانِهِ التي ذكرها هذا القائل أوّلا في أمّ الكتاب (3) ، ونسي ذلك فخالفه في هذا الباب .

فذكرت عند قول المعزّ (عم) قول جدّه عليّ أمير المؤمنين (عم) وقد سأله سائل عن الإيمان والإسلام ، ما كلُّ واحد منهما ؟ فقال : الإسلامُ الإقرارُ ، والإيمانُ الإقرارُ والمعرفة ، فمن عرفه الله نفسه ونبيّه وإمامه فأقرّ بذلك ، فهو مؤمنٌ .

قال له السائل : فالمعرفة من العبدِ والإقرار منه ؟

قال : المعرفة من الله حجة ومِنَّة ونعمة ، والإقرار من الله يمنٌ به على / من يشاء من عباده ، والمعرفة أيضا صنع الله في القلب ، والإقرارُ فعلُ القلب . وكلّ ذلك من الله ورحمةٌ . فمن لم يجعله الله عارفا فلا حجةَ عليه ، وعليه أن يقف عما لا يعلم ، ولا يُعذّبهُ الله على جهله ويثيبه على عمله بالطاعة ، ويعذّبهُ على عمله بالمعصية ، ولا يكون شيء من ذلك إلا بمنّ الله وفضله وقضائه

(1) أ : سقطت : إنّما

(2) فصلت ، 44 .

(3) الفاتحة . وقد مر السؤال عن « اهدنا الصراط المستقيم » ... ص 380 .

آنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» وإنما كان كفرهم بعد الإنذار والدعاء (1) إلى الإيمان فأبوا منه وكفروا ؟ فاستغاثوه هذا أن يحول بينهم بعد هذا وبين الإيمان ، هل يدفع أنه يُميتهم ، والموت حائل بينهم وبين الإيمان إذا كانوا قد أصرّوا على الكفر ، فلا يكون في ذلك لهم حجة عليه ، بل له الحجة البالغة .

ثم قال (صلح) : أليس قد قال الله (عج) : « كَلَّا بَلْ رَانَ / عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْفِيُونَ (2) » وقال : « وَعَلَيَّ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ؟ وَكُلَاهُمَا سِتْرٌ وَلَكِنَّ الْغِشَاوَةَ أَخْفُ وَأَدْقُ ، وَالرَّيْنُ أَغْلَظُ ، فَجَعَلَ ذَلِكَ عَلَى الْقَلْبِ لِأَنَّ الْبَصَرَ بِهِ يُبْصَرُ وَقَدْ يَرَى الْبَصَرُ كَثِيرًا مَا يَرَاهُ فَلَا يُثَبِّتُ إِلَّا مَا صَرَفَ النَّاطِرُ قَلْبَهُ إِلَيْهِ ، قَالَ اللَّهُ (عج) : « وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (3) » ، وقال : « فَلَمَّا نَهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (4) » . وذكر مثل القلوب ومثل الأبصار من الباطن فأوضح المعنى في ذلك وبينه ودلّ به على ظاهر القول فيه .

مجلس في أمر أمضاه (صلح) :

199 — (قال) وكان رجل معروف بالأذى للناس والسعاية بالباطل بهم ووسمهم بالثالب / والمعائب قد أغرق في ذلك وأكثر فيه ، وفشا شره وأذاه ، واتصل ذلك بالعز (ص) وتقرر عنده مرة بعد مرة وكل ذلك يغضي عنه ويتشبّث في أمره إلى أن واجهه بذلك ورفع له إليه وتبين له من أمره ما لم يجد بدءاً * من عقوبته عليه ، فأمر به فعوقب عقوبة مثله .

ثم أجرى ذكره بعد ذلك (ص) فقال : إننا لنغضي ونصبر ونعفو ونتغافل ونستر ما أمكن الصبر والعفو والستر ، ونتتظر (5) بذلك ونتشبّث فيه لئلا يكون منا أمر فذ / تبين لنا بعده خلاف ما أوجبه ، فنندم عليه . ونحن نقدر على أن نعاقبه بالقتل فما دونه ، فإن تبين لنا بعد ذلك براءة من قتلناه ، لم نستطع / أن نُحييه ، لأن ذلك شيء إنتما تفرّد الله جلّ اسمه به وحده . فلذلك نؤثر الأناة فيما يرفع إلينا ،

(1) الدعاء في معنى الدعوة ، وهو كثير في الكتاب .

(2) المطففون ، 14 .

(3) الاعراف ، 198 .

(4) الحج ، 46 .

(5) أوب : نستظهر .

والتثبت فيما تقرر لدينا؛ فإذا تبين ما لا شك فيه ووضح عندنا ما لاختفاء به ووجب علينا تنفيذ الحق، أنفذناه في من (1) كان، بعد أن نأمن إن شاء الله التدم على ذلك، ولا يأتينا ما يوجب خلاف ما فعلناه فنندم عليه ونخاف تباعته . وما نتأسى في ذلك إلا بالله ربنا وخالقنا الذي حولنا وأعطانا ومكّننا وفضلنا ، فإنه عز وجل يمهّل للمذنبين ويسط للظالمين وهو العالم بما يعملون ، ويبدون ويكتمون ، وهو قادر على الانتقام منهم، وغير متوقع [منه] ما يتوقعه / المخلوقون من المظالم فيما بينهم، وهو مع ذلك يُملي لمن عصاه ويمهّل من تعدى أمره إلى أن يحقّ الحق عليه ويُجازيه بما هو (عج) مُجازيه . فإذا كان هذا فعلَ الإلاه القادر ، والربّ العليم ، فكيف بالمخلوق الضعيف الدنيّ وهو دونَ الدون ؟ واستعبر (ص) .

فقبلت، أنا ومن حضر، الأرض بين يديه وقلنا: الحمد لله الذي منّا علينا بفضل وليه وستره وثبته في أمره وجعلنا من أهل زمانه * وعصره وأتمّ علينا النعمة به .

رؤيا رآها المعز (ص) :

200 — (قال) : وذكر (ص) أحمد بن بكر المتغلب بإحدى مدينتي فاس (2) وما كان منه قديما من ذلك إلى أن أمكن الله (عج) القائم بأمر الله (ص) منه وأنيّ

(1) ب : فيما .

(2) أحمد بن بكر بن سهل الجذامي ، أمير فاس للناصر الأموي ، أسر مرة أولى سنة 322 في مستهل مدة القائم الفاطمي ، أسره ميسور الفتى وبعث به إلى إفريقية . وكان أميراً على عدوة القرويين من مدينة فاس ، حسب ما يقوله ابن حيان في المقتبس (الجزء الخامس المخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط ، ص 245-246) وهو الذي يروي خبره مع ميسور في رسالة بعث بها موسى بن أبي العافية ، وهو « وليه القائم بدعوته » إلى عبد الرحمن الناصر :

« ... وأما ما أراده سيدي أمير المؤمنين - أبقاه الله - أنهاء إليه مما نحن فيه مع المشاركة، أهلكهم الله ، فإن العين أبا القاسم طاغوتهم (القائم) بعث إلينا غلامه ميسور الخصي وعفريته ابن أبي شحمة الكتامي ، وغيرهما من قواده في كثف من شياطينه داعياً لمن حولنا من القبائل إلى الدخول في طاعته . وأعطوهم فحلوا في البلاد ، وبثوا دعائهم ، فتوقف الناس عنهم ، ولطفوا بهم ودعواهم إلى الدخول بأوعارهم ومعاقلهم ، فلما يشؤا منهم كاتبوا أهل مدينة (فاس) ولطفوا بهم ودعواهم إلى الدخول في طاعتهم وأعطوهم اليهود المغلفة والإيمان المؤكدة على تأمينهم وتقديهم . فاغتر بهم أميرهم : محمد بن نعلبة صاحب مدينة الأندلسيين ، وأحمد بن بكر صاحب مدينة القرويين ، وقدماء عليهم مع وجوه من رجالهما . فلما صاروا بين يدي الخصي غدر بهم ، فأخذهم وأخذ جميع من كان معهم من دواب وأسلحة . فلما رأى أهل فاس ما فعله من ذلك توقفوا عنه وامتنوا من إدخاله . فنكب عنهم وصار إلينا ... » .

وبقي أحمد بن بكر أميراً إلى سنة 341 ، فسرّحه المعز إلى المغرب « فعاد إلى ولاء الأمويين حتى أسره جوهر في حملته الكبرى سنة 348 فجعله في قفص وأرسله إلى المنصورية صحبة أمير سجلماسة في قفص آخر . ويقول الناصري (استقصاء ج 1/189 و 199) إنها ماتا في الأسر . هذا ، وفي اسم هذا الأمير اختلاف . فبعضهم يقول : أحمد بن بكر كابن حيان في النص السابق ، والبكري (المغرب ، 124 و 128) . ويدعوه ابن أبي زرع (الأنيس المطرب/56 و 60) أحمد بن أبي بكر . وفي المجالس يأتي على الوجهين فأثرنا رواية ابن حيان والبكري .

به أسيرا إليه فأمرَ باعتقاله فاعتُقِلَ باقِيَ مدّة القائم (ص) ، ثمّ منّ عليه المنصور / (عم) وأطلق سبيله فعاد إلى تغلبه وفسقه ، وخلع طاعة الأئمة من عُنُقِهِ ودعا إلى الفسقة بني أميّة ، وأظهر اللعنَ على مَنبره على الأئمة (1) لعنه الله وأخزاه ، وخرجت عساكر المعزّ (ص) إلى الصُّقّ الذي هو به فأجاب كلّ من فيه وأُتِيبَ إلى الطاعات ، سواه (2) ، فإنّه أصرّ وتمادى على غيّه وأحاطت العساكرُ المؤيَّدةُ وجنودُ الله ووليّه به .

قال المعزّ (ص) يوما وقد ذكره وهو في هذه الحال : لقد رأيتُ البارحة عدوَّ الله وكأني أنيتُ به فأمرت بقتله ، فجعل يسترحمني ، فقلت : والله لهُو وجدتك تحت أستار الكعبة لما أفلتتُك ولتقتلتُك ! فجعل يراجعني كالمحتجّ عليّ في قولي / هذا ويقول : وما يوجب قتلي تحت أستار الكعبة ؟ فقلت : أقلُّ ما يوجب مراجعتك إيتائي هذه ، فأسمع قائلا يقول من خلفي ولم أره : أحسنت والله ، أصبت أصاب الله بك المرشد ! والله مراجعتُهُ إياك توجبُ قتله لعنه الله ! فألتفت فإذا الذي يقول ذلك المنصورُ بالله (ص) .

فلم يكن بين هذا اليوم الذي حدثنا بهذا الحديث فيه وبين اليوم الذي فتح الله فيه فاس عليه ، وأقدره على اللعين ابن بكر وأخذله أسيرا إلّا أقلُّ من عشرة أيّام .

كلام في ذكر الحكمة :

201 — (قال) ولما فتح المعزّ لدين الله (ص) للمؤمنين بابَ رحمته وأقبل عليهم بوجه فضله ونعمته ، أخرج إليّ كتباً من علم الباطن وأمرني أن أقرأها عليهم . في كلّ يوم جمعة في مجلسٍ في / قصره المعمور بطول بقائه . فكثُرَ ازدحامُ الناس وغصّ بهم المكان وخرج احتفالهم عن حدِّ السماع وملاؤا المجلس الذي أمر باجتماعهم فيه ، وطائفة من رجة القصر ، وصاروا إلى حيث لا ينتهي الصوت إلى آخرهم . وقيل له في ذلك (ص) ووُصف له أن فيهم ممّن قد شملته الدعوة أهلٌ تخلف ومن لا يكاد أن يفهم القول ، وأنّ مثل هؤلاء لو مُيزُوا وجُعِلَ لهم مجلس يُقرأ عليهم فيه ما يَحتمِلُون ويفهمُون ، لكان أنفعَ لهم .

(1) ب : سقط : عن عُنُقِهِ ... الأئمة .

(2) سواه : إلّا هو .

فهم بذلك (صلح)، فعظم الأمر على أهل هذه الطبقة ورأوا أنه إنما قصر بهم من أجل تخلفهم في حالهم . وجرى ذكر ذلك بين يديه وأنا حاضر وقد دعا بالحجّام / ليأخذ من شعره (1) فدخل ، وقمت وتّسحّيت من كان بين يديه فدعاني ووقف الحجّام على رأسه ، فقال لي : لقد مرّ بي البارحة في أمر هؤلاء ما منع من إبعادهم من كتاب الله ، وذلك ما ذكره (عج) في سورة هود ، فانظر ما هنالك .

فلم يتهيأ ، لما كان عليه ، لي أن أستفهمه عن ذلك ولا كيف مرّ به ذلك : أمين قراءة قرأها أم في رؤيتا رآها ؟ غير أنني قلت : أنظره يا مولاي .

فانصرفت ونظرت في سورة هود فوجدت في قصّة نوح قوله : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ لُنَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا / مِنْ قَوْمِهِ : مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادِيَ الرَّأْيَ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَنَا مِنَ رَحْمَةٍ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلَزْتُكُمْ هَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ؟ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ / خَيْرًا ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (2) » .

فعلمت [من] هذه الآيات [أنه] أراد (3) وأمر - أدام الله علو أمره - بإسباغ رحمته على كافة المؤمنين، وأوسعهم منها جمًا من عطائه وجزيلًا من نعمائه، وإن كان ذلك لا يستقر إلا في قراره ولا يعيه إلا أهله ولا يأخذ كل أمرى إلا

(1) الحجّام هنا بالمعنى الاصطلاحي في إفريقية : الحلاق .

(2) هود ، 31-25 .

(3) في النسختين : فعلت أن هذه الآيات أراد (صلح) ...

قسطه بحسب ما فيه من القوة وما يتصل به من المادة ، كما أن ضوء النهار قد يتصل بالأبصار وإنما يقبل منه كلُّ بصيرٍ بقدر صحته وقوته، والذي لا صحة ولا قوة فيه منها لا يتصل به شيءٌ من ذلك الضوء ، كما أن آنيةً لو وضعت تحت سماء ممطرة لم يستقر الماء إلا فيما كان منها أجوفٌ / ، وما كان مسطحاً ومكبوباً على رأسه أو ملقى على جانبه لم يدخل فيه شيء من ذلك الماء ، وما استوى على اعتداله منها وكان ذا جوف أخذ من الماء بقدر سعته واحتماله وصغره وكبره . وكذلك هذا الأمر . قد قيل إن بعض الأئمة أطلق لبعض المؤمنين قولاً من الباطن وبحضرته بعض غلمانه ، فظن بعض من حضره أنه لم يره فنبه عليه وأشار له إليه ، فقال : قد رأيته ، وليتكم أنتم تفهّمون ما أقول ! * وقد أخبر الله (تعالى) بمثل ذلك عن قوم سمعوا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما لم يفهموه ولا وعوه فقال : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ؟ (1) » فأخبر الله (عج) أنهم شهدوا وسمعوا ما سمع أولو العلم فلم يعرفوه ولم يعرفوا ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فأخبر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قد جمع مثل هؤلاء فيما أسمعتهم مع ذوي العلم . وقد شاهدنا مثل هذا ورأينا كثيراً من قوم يسمعون ولا يعلمون ما سمعوه ولا تعلق شيءٌ منه بقلوبهم ، وقوم سمعوا ذلك معهم ووعوه وعلموه وانتفعوا به ، وأولياء الله أعلم بما يفعلون وبمن يخصون ومن يجمعون وعلى أي شيء يجمعون ويفترقون ، كل شيء عندهم من ذلك بمقدار ووزن وعلى منهاج وسنن .

كلام جرى في مجلس بكت فيه أهل سجلماسة (2) :

202 — (قال) / : ولما تمادى أمر اللعين ابن واسول وارتكب ما ارتكبه وتعاطى ما تعاطاه من التغلب بسجلماسة وخلع طاعة الأئمة وتسمى بالإمام أمير المؤمنين الشاكر لله ، وهو الكافر بالله (عج) لعظيم ما ارتكبه من نهيه ، رأى المعز لدين الله (صلى الله عليه وسلم) جهاده لعظيم جرّمه وأنه لا يسعه تركه لِمَا تَعَدَّى إِلَيْهِ وتعاطاه . فأنهض إليه عسكرياً فأمكنه الله (عج) من رحمته من غير يدٍ لأحدٍ من الخلق عليه فيه : وذلك

(1) محمد ، 16 .

(2) نشر هذا النص الطويل في « حقائق كتاب « المعز لدين الله » (الملحق الخامس) .

أنَّ قوائد ذلك العسكر تقدّم إلى أهل سجلماسة من قبل أن يحصلَ بهم بِمُدَّةٍ بِكُتُبٍ منه في القبض عليه ، وأنّهم إن فعلوا ذلك * أمّنتهم وأحسنَ إليهم وعفا عن ذنوبهم التي / اقترفوها بطاعته على ما ارتكبه من عظيم جرمه وإلقائهم بأيديهم إليه . فلم يفعلوا . ولما قربت العساكر المنصورةُ منه خرج من المدينة هارباً بنفسه ، فلقِيَه نفرٌ من أهل المدينة فأخذوه وأتوا به القائد . فعاتب القائد (1) أهلَ سجلماسة في تركه ، ثم رأى الصفح عنهم وولّى عليهم والياً منهم وانصرف . فوثبوا على ذلك الوالي فقتلوه وأقاموا مقامه منتصراً بن محمد ابن المعتز (2) وكان أبوه وجدّه قد وليا البلد باستعمال أمير المؤمنين ، وكانا من أهل الولاية .

وكان ابن واسول هذا الفاسقُ المتغلبُ لما تغلب على البلد اعتقل منتصراً هذا وهو غلام حدثٌ فأقام معتقلاً عنده مدة / . فقدّمه أهلُ البلد لما قتلوا العامل الذي استعمله عليهم القائد ، ونسبوا إليه من القبيح ما زعموا أنه أوجب قتله ، وذكروا أنَّ الغوغاءَ والعامّةَ قتلوه ، وذهبوا في تقديمهم هذا الذي قدّموه إلى ما هو عليه من الولاية والمحبة ، وقيل إنّه سعى في قتله في ذلك وأرسل رسولاً من فوره ، وأرسل أهلُ البلد وكتبوا إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله (صلع) يذكرون ذلك ويعتذرون ويصفون حالهم . فصرف رسولهم بأنّه غيرُ قابلٍ ذلك من عذرهم وأنّهم لا أمانَ لهم عنده إلى أن يأتيَ وجوهم ، وسماهم ، ويأتيَ منتصراً هذا إليه مُحَكِّمِينَ في أنفسهم ، فحينئذ يرى رأيه / فيهم .

وانصرف الرسول بذلك إليهم فما كان إلّا مقدار * مسافةً وُصُولِهِ إليهم وانصراه حتّى أتى منتصر هذا الذي قدّمه ومائتا رجل من وجوهم ، وهم (3) الذين سماهم أمير المؤمنين ، قد ركبوا طرق الرمال والفلوات خوفاً من أن يصل إليهم

(1) هو جوهر ، والغريب أن النعمان لا يذكر اسمه .

(2) المنتصر : تولى سجلماسة بعد أبيه سنة 321 وعمره ثلاث عشرة سنة ، فكانت جدته تدبر أمره ، إلى أن ثار عليه ابن عمه محمد بن انفتح (ابن واسول) سنة 332هـ (انظر البكري ، المغرب ، 151 ، وابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، 73 وابن خلدون ج 6 ص 270 ، والناصري ، الاستقصاء ج 1 ص 126) هذا وإن ترتيب أسبائه أبائه مضطرب في هذه المراجع ، وهي لم تذكر رجوعه إلى إمارة سجلماسة بعد أسر ابن واسول سنة 348 .

(3) وهم : زيادة من ب .

أحد دون الباب، حتى حلّوا به، فأدخلهم أمير المؤمنين (صلع). فلما مثلوا بين يديه وقبّلوا الأرضَ ووقفوا نظر إليهم نظرة مغضب وأطرق ساعة فامتدّت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ولم يستطع أحد منهم أن ينطق بحرف لما داخلهم من الخوف . فرفع رأسه فقال :

يا أهل سجلماسة ، فعلتم ما فعلتم في أيام المهديّ بالله (صلع) واقندر / عليكم مرة بعد أخرى فعفا عنكم وأحسن إليكم لحلوله الذي كان فيكم (1) ومجاورته إيتاكم مدّة إقامته فيكم، كما يرعاه من أحله الله محله من كرم الطباع وحسن الصنيع، من غير يد كانت لكم عنده ولا فعل من الجميل تقدّم لكم لدينه ، فصنع وأحسن وعفا وأجمل ، فما رعيتُم ذلك حقّ رعايته ولا فهتُم بشكره . ثمّ نعى فيكم ناعق من الشيطان فلبّيتُموه ودعاكم إليه داع فأجبتُموه . قام فيكم دعويّ فيما ادّعاه متوثّب على ما تولّاه قد عرفتم نسبه ودريتُم سببه فتغلّبت على ولاة (2) أمركم وتحلّى بالرياسة والتصنع لكم وتسمّى بأمر المؤمنين وإمام المسلمين لكم، وأنتم على علم لا تشكّون، وبقين / لا تمثرون، أن ذلك لا يجوز له ولا يحلّ تسليمه لمثله، فسلمتموه له وأطعتموه وتولّيتُموه واتّبعتموه ففارقتم جماعة المسلمين وخرجتم من حزب المؤمنين وأحدثتم حدثاً عظيماً في الدين ، وانتهى إلينا من أمركم * وأمره ما لم يسعنا تركه والغفلة عنه لما افترضه الله علينا عزّ اسمه من القيام بحقه في أرضه وجهاد من صدق عن دينه وغير سنّة رسوله وحلّ محلّكم ومحلّ هذا الفاسق فيكم . فأنهضنا إليكم جيشاً من أوليائنا وأنصار دولتنا وعبيدنا مع عبد أمرناه عليهم وتقدرنا إليه في الإعذار والإنذار إليكم في الإنابة والتوبة قبل الوقوع بكم. فلم يزَل مع طي / المراحل نحوكم يتابع الكتب إليكم مع رسله تأكيداً في الحجة عليكم مرة بالوعد ومرة بالوعيد ، وتارة باللين وتارة بالتشديد، يدعوكم إلى الطاعة والنزوع عما أنتم عليه من المعصية والضلال ، والقبض على عدو الله فيكم إن تمادى على ما هو عليه من الغي والضلال إن استطعتموه ، أو البراءة منه وتركه بجانب إن لم تقدروا عليه . ووصلت كتبه إليكم وأدّى إليكم من اجتاز به منكم كلّ ذلك ، /و/ أنتم على باطلكم مصرون، وبالفاسق المضلّ لكم متمسكون، إلى أن حلّت جيوشنا بقر بكم

(1) نعلم أن المهدي نزل أول ما دخل المغرب بسجلماسة .

(2) أ : على ظاهر أمركم .

وانتشرت عساكرنا ببلدكم وعاین من عاينتها من عيون عدو الله من جمعها /
وعتادها وقوتها ما انهاه إليه، وقد علم أنه لا طاقة لكم ولا له بعسكر من عساكرها .

فلما حلت بعقوباتكم ونزلت بداركم وأنتم مع الفاسق على ما أنتم عليه، نهض
مولياً عنكم وهارباً متسللاً من بين أظهركم . وقد كنتم تقدرون على
أخذه لو أردتموه ويمكنكم من ذلك ومن حصاره في داره متى أحببتموه لو
أخذتم بحظكم في ذلك ففعلتموه * . لكنكم أقمتم مصرين على طاعته وتوليه إلى
أن نزع عنكم وأقدرتنا الله (عج) بفضلته وإحسانه عليه ، كعادته الجميلة، بلا صنع
لكم ولا لغيركم في ذلك، وأقدرنا عليكم وأمكننا منكم وأنتم على ما أنتم عليه من
غيكم وضلالكم / وما تستوجبون به اجتياحكم ودماركم، فسار عبدنا فيكم بما
أمرناه به من العفو والصفح والرحمة ، وانصرف عنكم فأحدثتم بعده ما أحدثتم .
فماذا تستحقون أن يفعل بكم ؟

يكلّمهم بهذا الكلام (صلع) كلام مغضب . فاصفرت ألوانهم وتغيرت وجوههم
وأرعدت فرائضهم وأفحيم أكثرهم عن الكلام . وقال من قال منهم قول مذعور
دهش : إن يعاقب أمير المؤمنين (ص) فنحن أهل العقوبة، وإن يعف فهو أهل العفو
والفضل والرحمة .

فأطرق (صلع) ملياً ثم دعا منتصراً بن محمد (1) بن المعتز فقرّبه إليه وأمره
بالجلوس فقبل الأرض مرارا وشكر لأمر المؤمنين . ثم / عطف (صلع) على
الوقد فقال : قد كنتم تستحقون أليم العذاب والتكال . ولكننا لئلا يجلينا
الله عليه من الصفح والعفو والرحمة قد عفونا ما سلف من ذنوبكم ما استقمتم
وأصلحتم وقد استععملنا عليكم عبدنا هذا - وأوماً إلى منتصر - فقبل ، وقبلوا ،
الأرض مرارا وشكروا بما قدروا عليه ، وزال ما ظهر عليهم من الهلع والجزع
وأمر (صلع) بصرفهم إلى موضع أنزلهم فيه وخلع على منتصر وحملته ، وفعل ذلك
بجماعة من وجوههم وأمر بإجراء النزل لهم أجمعين وأقاموا * بذلك مدة في أرفه
عيش وأحسن حال . ثم لما رأى صرفهم عقد لمنتصر على سجالماسة وعملها وخلع /
عاه خلعاً سنّية وحمله على عُدّة من الخيل بسروجه موقوفة ووصله بصلات

(1) في « أ » : ابن أحمد خلافاً لما مر في أول هذا النص ، والاصلاح منه ومن ب .

جزيلة وحمل جميع من قدم معه وكساهم ووصلهم وصرفهم إلى بلدهم بما لم يوصلوه ولم يتوهموه . وكان غاية آمالهم أن يتسبوا من القتل . فانصرفوا وقد طالت بالشكر ألسنتهم وملئت فرحاً قلوبهم ..

كلام كلم به (صلع) عامل سجلماسة :

203 — (قال) وسمعت منتصرا هذا يوما يشكر لأمير المؤمنين المعز لدين الله (صلع) صنيعه فيه ويذكر ما وهبه الله له من عطفه عليه وإحسانه إليه ، وما صار له بذلك من النعمة والفائدة والغبطة .

فقال له المعز لدين الله (ص) : يكفيك والله من ذلك تعجيل الراحة لك وإزالة الغمة / عن نفسك وتجديد المسرات بأن كان الفاسق المتغلب قبلك يتوقع من حلول بأس الله به على أيدينا ما قد أصاره الله (عج) إليه وعجل له به ، فلم يكن لذلك يلد عيشا ، وكلما انتهى إليه شيء مما يتولاه الله (عج) لنا من الصنع أنكاه . وقد كان (1) حثفه وإمكان الله (عج) إيانا منه يتصل بذلك . فهو كما قال الله (عج) في إخوانه المنافقين : « يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ (2) » . وأنت اليوم قد أميت ذلك كله ، وكلما جدّد الله (عج) لنا نعمة وأولانا فضيلة ومكرمة تجدد لك بذلك سرور واتصلت بك باتصاله نعمة وغبطة ، فلولم يكن لعدونا عقوبة ولو كنسنا ماثوبة غير / هذا لكفاهما ، فكيف وقد تكفل الله (عج) لنا بالصنع في عاجل الدنيا بإعزاز الولي وكبت * العدو وأعد لأوليائنا في الآخرة كريم الثواب ولأعدائنا أليم العقاب ؟

فقال منتصر : صدق والله أمير المؤمنين ، لقد كان عدو الله ابن واسول من توقع بأس الله الذي وقع به وما يتصل (3) به من صنع الله عند وليه لفي أمر ما هو اليوم بدون ما كان فيه ، وإن عبد أمير المؤمنين بحمد الله وفضل وليه (صلع) من خفض العيش وراحة النفس لفي ما يسأل الله دوامه له بطول بقاء وليه (صلع) .

(1) في النسختين : دان .

(2) المنافقون ، 34 .

(3) أ : يتصل ، وفي التركيب غموض .

فقال أمير المؤمنين : لن تعدم نعمة وفضلا من الله وقبولاً منا عليك / ما عرفت قدر النعمة عندك وشكرت ما يأتي منها إليك إن شاء الله (نع) .

توقيع بتفضيل أهل الولاية :

204 - (قال) : وكتبت إلى الإمام المعزّ لدين الله (صلع) أطلعه فيما يُرفعُ إليّ من تراث عبيده والرقيق (1) ، وفي مَنْ يَقُومُ عِنْدِي بِذَلِكَ مِنْ وَرَثَتِهِمْ يَطْلُبُونَهُ مِنْ عبيد وأحرار ، وعن شهادة بعضهم لبعض إذْ كان (عم) ومن قبله من الأئمة لم يجدوا في ذلك حداً علمته ورأيت أكثرهم يرث بعضهم بعضاً ، والقضاة يورثونهم (2) ويُجيزون شهادة بعضهم لبعض ، وذلك لا ينبغي في الحقيقة لأن أموالهم لمولاهم لا يرثهم (3) أحدٌ من قراباتهم إلا ما منَّ به منها عليهم . وكذلك شهادتهم لبعضهم / لا تجوز لأن أموالهم له ، وشهادة العبد لمولاه فيما أترناه عن الأئمة (صلع) أجمعين لا تجوز . وكذلك تقول العامة (4) . ولم أدر إن كان القضاة في القديم سألوا (5) ذلك وحملوه على ظاهر ما رأوه من أمرهم أنَّهُمْ كالأحرار عندهم .

وذكرت شيئاً كان في أيام القائم بأمر الله (ص) وذلك أن رجلاً من جُملة العبيد هلك، وكان صاحب ديوان . واختصم ورثته إلى القاضي يومئذ ودار بينهم ما ارتفعوا (6) فيه إلى القائم بأمر الله (صلع)، وسألني بعضهم واستفتاني في وصية أوصى بها ، فقلت له : هو مملوك لا تجوز له وصية ولا يرثه أحدٌ من قرابته . وما ترك ، فلمولانا (عم) (7) يُجيزُ / منه ما أجاز وبرُدُّ ما ردَّ كما يريد .

فأخبرني ذلك الرجلُ بعد ذلك أنه احتجّ بذلك عند القائم بأمر الله (صلع) وذكر له ما أفتيته به ، فقال : صدق فما قال .

(1) أ : عبيده الرقيق .

(2) ب : سقط : ورأيت . يورثونهم .

(3) ب : لا يرثها .

(4) أي السنة ، فالشيعة والسنة متفقون على منع العبد من الميراث ورفض شهادته لئله .

(5) أو : سئلوا . وتجوز القراءتان : يسألون الإمام ، أو يسألهم المتنازعون .

(6) أ وب : ارتفعوه .

(7) الإمام مولاه ، أي مالكة .

فلما رفع ذلك (1) إليّ طالعتُ المعزَ لدين الله (ص) برقة رفعتها إليه فوقع لي فيها: مَنْ كان من سائر عبيدنا ممن شملته دعوتنا، أُجريتْ أموره مجرى أمور الأحرار المالكِي أمُورِهِم في موارِيثهم وشهاداتهم وأفعالهم وجميع ما يتصرف من أحوالهم (2). ومن لم يشمله ذلك جرى أمره مجرى أمور العبيد الذين لا يجوز لهم من أمُورِهِم إلّا ما أطلقه لهم موالِيهم.

فنظرت من ذلك إلى أمر / لم يكن يقعُ عليه وهي ولا خطرَ قبلَ ذلك ببالي، ورأيتُ أنه جعل (صلح) فضله عليهم عتقه لهم (3)، فأخذتُ بذلك وعمِلت عليه عن أمره (عم).

ثم سألتُه بعدَ ذلك عن بعضهم وقد كان دعا قديما ثم خلط وساءت حالته وأبدى عواره فلم يدعه هو - ص - (4)، فوقع إليّ فيه: يجري مجرى العبيد ويُسلّك به سبيل من تقدّم به الأمرُ في أمثاله. فعلمتُ أنّ ذلك العتق لم يُجرِه إلّا فيمن أخذ عليه (5) عن أمره. فأما من صار إليّ ذلك عن غير أمره فهو بحسب ما كان على الأصل *.

توقيع في من تخلّف عن البيعة :

205 - (قال) واستعنتُ فيما أنا بسبيله من أمر / المنصور صلوات الله عليه لما قلّدني القضاء بالمنصورية قوماً لم يصلوا إلى الدعوة ورأيتُ منهم مقاربةً، ورجوتُ أن يهديهم الله إن فتح في ذلك لعباده. فلما جاء الله من ذلك بما هيأه لخلقهم من فتح باب رحمته لعباده، تخلّفوا. ورجوتُ أن يحاسبوا أنفسهم

(1) أي: موارِيث عبيد المعز.

(2) في هذا النص حكم فقهي مهم من المعز، وهو اعتبار العبيد المناصرين للدعوة الفاطمية - حتى وإن لم يعتقوا بعد - مثل الأحرار، يرثون وتقبل شهادتهم، ويبيعون ويشتررون. وهذه الأحكام لم ترد في كتاب «دعائم الإسلام» بل ورد ما يخالفها (انظر ج 2 ص 286) مثل قول الأئمة: لا يتوارث الحر والملوك (حكم عدد 1373) وقولهم: العبد يرث إذا اعتق قبل قسمة الميراث (حكم 1370).

هذا وقد انتبه ماريوس كانار M. Canard إلى أهمية هذه المسألة في ترجمته لسيرة الاستاذ جودز (ص 185 تعليق 411) واستشهد بهذا النص الذي بين أيدينا، مع شيء من الخطأ في فهم عبارة «مالكِي أمُورِهِم» فترجمها بعبارة «مثلاً يعامل الفقه المالكي الأحرار».

والنص بعد هذا شاهد على تصرف الأئمة في الأحكام الفقهية وعلى عطفهم على كبار خدامهم مثل جعفر الحاجب وجودز صاحب السيرة وميسور الفتى وجوهر القائد.

(3) أي: صار عطف المعز على دعائه من العبيد بمثابة الاعتاق لهم من الرق، إذ مكنتهم من الارث والشهادات والتصرف في أموالهم.

(4) أ: لم يدعه صلح. ولعل يدعه من دعا، لا من ودع.

(5) أخذ عليه العهد بالولاية وخدمة الدعوة. وفي النسختين وردت «أخذ عليه» مكررة.

منهم أحداً إلاّ عَمَمَتْهُ به ، ثمّ لا تُبَال إذا عَمِلت على مَحَبُّوبنا مَنْ سَخَط ذلك أو رَضِيَهُ ، فإنّا نُعْطِي من سعة ويَخْلُون من ضيقٍ (1) .

توقيع في ردّ البغي :

207 — (قال) وتظلم إليّ قومٌ من بعض من أقمتُه من الحكّام فلم يسعني إلاّ رفعُ ذلك إليه (ص) . فوقع إليّ فيه : المكرُ والحيلُ والخديعةُ اليومَ في الناس أغلبُ الطباع عليهم . وهذا الرجل فله سلامةُ ناحية ولينُ جانب ، وما كلُّ ما يقال يصحّ ، وليس شيء أغرب من الإجماع على / تزكية قاضٍ أو حاكمٍ لأنّ ذلك معدوم إلاّ بزوال التضاد من العالم . لأنّ المحكوم له راض والمحكوم عليه ساخط . ولكن يتقدّم في ذلك إليه فإن غفل في شيء من الأشياء كان في وعظك إيّاه ما يُوقظُه إن شاء الله (تع) .

توقيع في رفع قدر العلم :

208 — (قال) وجمعت . كتاباً في الفقه عن الأئمة الطاهرين من أهل بيت رسول الله (صلع) فرأيتُ أنّه لا يصلحُ لي العمل به ولا يحلُّ لي الفتياء والقضاء بما فيه ولا انتحاله إلاّ بعد أن يصحّحه إمام الزمان . فرفعته إليه (صلع) مع كتاب وقع إليّ ، فيه روايات عن أهل البيت (ص) . فوقف على ما فيها ووقع إليّ في الكتاب الذي جمعته : / هذا كتاب مستملح عند العالم قريبٌ من فهم الجاهل ، فجَزَنهُ (2) ليكون أقربَ وأسهلَ على السامع لأنّه لا يبتدئ البادئ في جزءٍ منه إلاّ وقد انتهى النظر فيه ؛ وإن طال عليه . ملّه . والكتاب الذي بعث به معه فيه أشياء محرّفة لا يتّهيّ أن يرويهما الناس عنّا إلاّ استعملوا الكذب واجترأوا على الخُبث ، فيكون ذلك سبباً ما كنّا فيه بجهل الجاهلين . وقد ابتلانا الله برعي الحمير الجهّال (3) ، فإنّا لم نزل نلتطف في

(1) حكم « إداري » من المزم : لكل موظف أجره على وظيفته ، حتى وإن توظف في مسقط رأسه أو كان موسراً .

(2) لعل النعمان عمل بهذه التوصية ، فجاءت كتبه مقسمة إلى أجزاء ، ومنها كتاب المجالس والمسائرات ، وإن كان أغفل التنبيه إلى التقسيم في مقدمة الكتاب (انظر مقدمة المحققين ص 38) .

(3) هذا حكم قاس على أهل إفريقيا ، ولعل مصدره الصراع المذهبي بين السنة والشيعة .

هَدايتهم ومسايرة أحوالهم إلى أن يختم الله لنا بالحسنى والخروج من بين أظهرهم على أحمد حال (1) . وإلاَّ فإنَّ مثلَ هذه الأشياءِ المُستغلقة لا تُؤدِّيهم إلى شيء من / المعرفة ويعودُ وبالُ جهلهم علينا ، كفانا الله بفضله وأعاننا برحمته . فأَمَّا أَنْتَ فحالُكَ عندنا حال لا تُؤدِّي شكرَ الله عليها ولا تنهَضُ بِثِقَلِهَا إِلَّا بِعَوْنِهِ إِيَّاكَ وتوفيقه لك لما أخذتَ به نفسك من رضى الله ربَّكَ ورضى مواليك .

توقيع في ذكر عاشوراء :

209 - (قال) وكنت رويت عن الصادقين الأئمة من أهل بيت رسول الله (ص) ممَّا أدَّاه إلينا الرواةُ عنهم فضائلَ يوم عاشوراء . وحضر وقته فرأيت أن أذكرها في خطبة الجمعة التي تتلوها وأذكر فيها مصاب * الحسين (صلع) (2) وأنَّ الله أكرمَهُ بالشهادة في هذا اليوم الذي عظمه ، كما أكرم أباه علياً أمير المؤمنين بها / في يوم عظيم أيضاً من شهر رمضان (3) . ثمَّ رأيت أن لا أفعل ذلك حتَّى أطلع به المعزَّ (ص) ، فذكرت ما رويته في ذلك وما أردتُ أن أخطب به .

فوقع إليّ فيه : يا نعمان ، ما ذكرت إلاَّ ما جاء عن الصادقين صحيحاً . ويوم عاشوراء ، فقد علمت تفضيل الجُبالِ إِيَّاه من غير وجه التفضيل الذي فضله الله (عج) ، وأنَّهم جعلوه يومَ عيدٍ وسروراً سنَّة لهمُ الفسقة بنو أمية . فصيفُ تعظيمهم له من أيِّ وجه كان ، مثل أن تقول : « فعظّموا عبادَ الله هذا اليوم الذي عظمه الله واستنوا في تعظيمكم إِيَّاه سنَّة نبيكم محمد رسول الله (ص) ، لا أن تتخذوه يومَ عيدٍ وسرور كما اتخذوه أعداءُ الله وأولياءُ / الشيطان ، وأعداءُ الرحمان ، من أبناء مروان ، لمّا نالوا فيه من هتك حرم رسول الله وقتل أولياء الله ، فأحلّوه محلَّ السرور والجَدَل ، لا محلَّ الاستغفار والعمل . فرحِمَ اللهُ امرأَ عمل لنفسه واقتفى سنَّة نبيّه ورغب في عفو ربّه ولم يغفل في هذا اليوم العظيم عن ذكر مصاب أبناء نبيّه ولم يُخلِ الظالمين فيه من لعنِهِ ! ألا لعنةُ الله على الفاسقين المارقين أولياء الشياطين وقتلة المؤمنين ! » .

(1) لعل في هذا تدعيماً للنظرية القائلة بأن انتقال الفاطميين إلى مصر كان بسبب كراهة أهل إفريقية لهم ، وهو رأي كثير من الباحثين ، منهم فرحات الدشراوي في رسالته .

(2) قتل الحسين بكر بلاء يوم عاشوراء (10 محرم 60/10 أكتوبر 680) .

(3) قتل علي ليلة 17 رمضان 661/40 .

ثمّ تنسّق على هذا الكلام ما يُشبههُ فإنّ الذي منعني (1) عن تمام الكلام
 الشغل بشيءٍ نُؤلّفه ، نسأل الله عونه وتوفيقه لنا ولأوليائنا ، فلقد انفردنا بحمل ما
 اجتمعت الأمةُ الضالّةُ على رفضه / .

(1) سقط من ب : ثم تنسّق ... منعني .

الجزء التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

توقيع في فضل النية :

210 - قال القاضي النعمان بن محمد : أمرني المعزّ لدين الله صلوات الله عليه بجمع شيء لخصه لي * وجمعه وبسط لي معانيه وسطر لي جملته ، فابتدأت منه شيئاً ثم رفعت إليه واعتذرت عن الإبطاء فيه ، لِمَا أردتُه من إحكامه ورجوته من وقوع ما جمعته منه بموافقة (صلح) ، فطالعتُه في مقداره .

فوقع إليّ : يا نعمان لا تُبْمال كيف كان القدر مع إشباع المعنى (1) في إيجاز ، فكلّما أوجزت في القول واستقصيت المعنى فهو أوفق وأحسن . والذي خشيت من أن يُستَبْطَأ في تأليفه ، فوالله لولا / توفيقُ الله (عج) ليّالك وعونه لك لِمَا تعتقدُه من النية ومحض الولاية ، لما كنتَ تستطيع أن تأتي على باب منه في أيامٍ كثيرة ، ولكنّ النيةَ يصحبُها التّوفيقُ .

كلام في مجلس لبعض الأولياء بفضل الولاية :

211 - (قال) وسمعتُه (صلح) يقول يوماً لبعض شيوخ الأولياء . وقد نقيه من علّة وهو مع ذلك ضعيف : كيف تجدك ؟
قال : على أفضل حال يا مولاي ، إذ قد فسح الله في أجلي حتّى نظرتُ إليك .

(1) ب : سقطت : المعنى .

فقال : يُبْقِيكَ الله وجميعَ أوليائنا إلى أن تَسْرُوا إن شاءَ اللهُ (تع) ما تُؤْمَلُونَه وتَرْجُونَه من وعدِ اللهِ (عج) لنا . ومن مات منكم قبلَ ذلك فَتَسِيرَى ما تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ من رَحْمَةِ اللهِ ويَصِيرُ إلى ما كان يُؤْمَلُهُ . / أما إنَّ جدَّنا جعفر بن محمد (صلع) قال لشيعة : أما والله إنكم بتوليكم إيانا كلَّكم من أهل الجنة ، وإنَّا لضامنون ذلك لكم عن الله . ولكن نُحِبُّ من جميعكم أن يكونوا معنا فيها ، منازلهم تقرب من منازلنا بأعمالهم الصالحة ولا يُؤَخَّرُوا أَنْفُسَهُمْ بالذنوب عن قُربنا ، فإنَّ الجنةَ درجاتٌ ومنازلٌ كما قال « (عج) : « وَلَدَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (١) » .

ثمَّ قال (ص) : من ذا يضمن عن الله غيرُنا ، أم من ذا يتوسَّل إلى الله بمثل وسيلَتينا ؟ ووسيلتنا إلى الله جدُّنا محمد (صلع) أفضلُ الخلق عند الله ، فمن ذا يتوسَّل بمثله ، أم من ذا يحلَّ محلَّنا منه ؟ إنَّ الله أحلَّنَا منه محلاً لم يُشْرِكْ معنا فيه غيرُنا ، ولقد اجتهدوا أن / يتَّصِلُوا منه بسبب أو نسب ، وفعل (ص) ذلك لمن فعله تألُّفاً إلى دين الله فأبى الله (عج) أن يجعلَ ذلك لغيرنا منه ، وقطَعَ سببَ كلِّ ذي سببٍ يتسبَّب (2) إليه ولم يُبقِ من ذريته غيرنا ، اختصاصاً اختصَّنا به وفضيلةً أكرمنا بها ، على رغم من أراد أن ينافسنا فيها ويشاركنا في مثلها . ثمَّ جعلنا (عج) صفوةً من أكرمته بها ولُبابَ من انتجبه منها ، وأعطانا وخولنا وفضلنا ، فنحنُ صفوة من خلقه وأمنَّاؤه على عباده ، وأئمتهم وأولو الأمر فيهم . وكم جهِد المتغلبون علينا على إطفاء نور الله منَّا ويأبى الله إلَّا أن يُتِمَّ نوره .

ولقد ابتغسوا ذلك من كلِّ جهة واحتالوا فيه بكلِّ / حيلة لمَّا استتار (3) السلف من الآباء صلوات الله عليهم تقيَّةً من عدوهم ، وعلموا بأنَّ الوقتَ غير وقتيهم وأنَّ وعدَ الله لم يحضُرْ أوأنه لهم ، فدرسُ الفسقَةِ إليهمُ الدسائسَ واحتالوا بالحيل . وقام من أهل هذا البيت لمَّا تطاول الأمرُ بهم

(1) الاسراء ، 21 .

(2) ب : سقط : أو نسب ... ذي سبب .

(3) الاستتار . هو اختفاء الأئمة في وقت المعنة . ويؤرخه الاسماعيلية بدَّة إسماعيل بن جعفر الصادق . الإمام السابع ، فلذلك يعرفون أيضاً بـ « السبعة » .

أما الشيعة الإمامية ، فيقولون بأنَّ طور الاستتار - ويسمونه غيبة - قد بدأ مع الإمام الثاني عشر سنة 874/260 ، فعرفوا بـ « الأئمة عشرية » . وقد قالت الشيعة الكيسانية أيضاً باحتفاء محمد بن الحنفية (انظر فصل « غيبة » بدائرة المعارف الإسلامية) .

مَنْ ليس من أهل القيام، طمعاً (1) في انتهاز الفرصة والاعتنام ، وولادة الأمر في خفية واستتار ، ينتظرون أوان وعد الله إيتائهم ويعملون على علم من ذلك عندهم ، من العلم المخزون الذي استودعهم ، حتى إذا ظفر المتغلبون من أئمة الضلال بمن قام عليهم من أهل هذا البيت (ص) وقد علموا أنهم ليسوا « من أهل الحق » فيهم وخفي / عنهم أمر أصحاب الحق منهم ، دبّر اللعين المتسمي بالمأمون حيلة وكاد مكيدة ، فأظهر التشيع والولاية والتبري من مذهب آبائه ، وردّ فدكا (2) على ولد فاطمة (عم) وصرّح بظلم مَنْ انتزعها من يدها وأعلن بالبراءة إلى صاحب الزمان وإمام العصر من آل محمد ، وأنه ، إن ظهر إليه ، أسلم له ما في يديه . فأبى طمع لم يكن يميل إلى من قد ملك أمر الأئمة واحتوى على الدنيا ، برا [ه] وهو يريد البراءة منها إلى من هي له ، فلا يظهر إليه (3)؟! لا جرم أن ذلك قد استفز مَنْ لم يكن من أهل الحق إلى أن ادّعى ذلك له لقبه وسلم الأمر إليه ثم دسّ إليه فقتله (4) وادّعى وصيته ليرى من تمسك به أنه قد ذهب وانقطع ما كانوا به متمسكين ، حيلة آبائه أعداء الله الأولين إذ ادّعى أولئهم (5) أن الوصية صارت عن ولد عليّ إليه ، وكلاً / لا يفعل الله ذلك وهو يقول : « وجعلها كلمةً بآقيةً في عقبه » إلى يوم الدين (6) . فلن يكون الأعداء بالأعقاب أبداً ! أبداً ! لا ترجع القهقري ولا تنتقل عن الذرية إلى البعداء ! وكان ذلك دأب أولياء الله حتى أزف الوقت الموعود ، وقرب الحدّ المحدود ، وقام جدنا المهديّ بالله (عم) يضرب في الأرض من مشرقها إلى مغربها (7) على خوف من

(1) كان النعمان يعني هنا الطائفة الاثني عشرية التي هادنت الدولة العباسية إلى زمن الغيبة .

(2) سبق الحديث عن شيعة « فذك » . انظر ص 122 تنبيه 1 .

(3) في هذا الكلام غموض ، فالطمع بالكسر هو الطماع ، أي ، هنا ، المتطلع إلى الإمامة الذي يخرج إلى الخليفة المنتصب (وهو هنا المأمون) مغتراً بعرضه الإمامة على مستحقها ، غافلاً عن هدفه الحقيقي ، وهو الكشف عن خصومه الشيعة . والمعنى بكلام المعز هو علي الرضا الإمام الثامن (من سلسلة الاثني عشرية) الذي سيأتي خبره بعد قليل .

(4) الخبر عند ابن الأثير : الكامل ج 5 ص 183 ، وقد ورد خبر هذه البيعة تحت سنة 816/201 .
وورد خبر وفاة علي بن موسى تحت سنة 819/203 وقد استبعد ابن الأثير أن يكون المأمون قد سمه .

(5) أي أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين .

(6) الزخرف ، 28 : « وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون » ، وفي أ : وجعلها باقية وعقبه .

(7) كان خروج المهدي من سلمية سنة 902/289 . انظر فصل « الاسماعيليه » بدائرة المعارف الاسلامية وكذلك سيرة جعفر الحاسب بترجمة ماريوس كانار - مجلة Hespérís المغربية ، سنة 1952 ص 289 ، تنبيه عدد 4 .

أهلها ، واثقا بوعد الله حتى مكّنه الله وأظهره وجعلنا ورثته ومكّنتنا (1) في الأرض من بعده .

فأكثر من حضر المجلس / من الأولياء حمد الله أن جعلهم ممّن بلغ إلى ذلك وكان من أهل زمانه » ، وذكروا ما هيّأه الله له وأقدره عليه وملكه إيّاه وأولاه في وليّه وعدوّه من الصنيع الجميل له .

فقال (صلع) : نعم ، والحمد لله على ما أولى من ذلك وصنعه وتفضّل به . وإنّ ذلك وإن غابت عنه أشخاص الآباء فلن يغيب عن أرواحهم الشريفة ذلك ، أحياء قبل أن يكون ، ولا أمواتا بعد أن كان . ولقد كان القائم بأمر الله قدّس الله روحه ليأخذني وأنا في سنّ الأطفال فيضمّني إلى صدره ويقبل ما بين عيني ويقول : أنت أبو تميم (2) ويحمد الله ، وما كنت أدري يومئذ ما يريد بذلك .

ثمّ قال : / أفمن أودعه الله علم ما يكون يُجهل فضله أو يشكّل أمره ؟ لو أنّ قائلًا قال : إنّ هذه النطفة يكون منها بشر من حاله كيت وكيت لكان ذلك من قوله ، إذا كان ، ممّا يهرّ ، فكيف ممّن علّمه الله علم ما يكون ممّا لم يكن بعد ؟

فقال ذلك الشيخ من الأولياء الذي كان خاطبه أوّلا (3) : الحمد لله على ما ممّن علينا من معرفتكم ، وأن جعلنا ممّن يتولاكم ويدين بإمامتكم !

فقال (صلع) : نعم ، فاحمدوا الله على ذلك ، فوالله ما هيّأ الله لأمتة من الأمم ما هيّأ لكم ولا فتح على أحد مثل ما فتح فيه عليكم ، وإنّ أمركم معنا /م/مّا فيه برهان لمن تأمّله ودليل على إمامتنا وذلك لطول صحبتكم / إيماننا ، أجدادكم مع الأجداد ، وآباؤكم مع الآباء ، وأنتم معنا ، وكذلك يكون إن شاء الله (تع) أعقابكم مع أعقابنا : ألا يموت أحد حتى تخلف من ولده الجماعة ممّن يخلفونه ويسدّون مكانه ويفضّلونه ويسعدون بولائتنا ويشرفون بطاعتنا . ولأنت اليوم * بما نلت من رضائنا عنك أفضل من أيلك بالأمس مع آبائنا ، وإن كانت السابقة له والفضل والجهد .

(1) ب : ومكّن لنا .

(2) كنية المعز منذ الطفولة هي أبو تميم . وتميم هو أكبر أبنائه .

(3) أي الشيخ الذي أبلى من مرضه .

فما أمة من الأمم كانت هكذا مع أئمتها قبلكم مثلكم ، وما ذاك إلاً للحق الذي نَحْنُ عليه . فأما ملوك الدنيا ومن صحبهم عليها وتَوَلَّاهُمْ لها ، فلمَّا يَصِحَّ الواحد منهم بعدَ الواحد لهم ، فضلا عن اجتماع أمة مثلكم تتبعهم ذرياتهم / وأعقابهم . والله ما للدنيا عندنا من وزن ولو اجتمعت بأسرها في أيدينا وما انتجيناكم وارتضيناكم وآباءكم إلاً للدار الآخرة . هذا المهدي بالله (ص) سمعه هذا - وأشار إلى شيخ ممّن بين يديه ممّن كان قد صحب المهدي (عم) - يقول وقد ذكر عنده ما جمع الله (عج) له من الدنيا : هب الدنيا في قبضتي هذه اليسرى فأين ما يكون في يميني ؟ قال الرجل : أشهد بالله لقد سمعته يقول ذلك .

كلام في مجلس في الثناء على بعض الدعاة :

212 - (قال) : وأتاه كتاب من بعض الدعاة من المشرق يصف فيه ما هو عليه والمؤمنون قبّله من اجتماع الكلمة على الولاية والطاعة وجميل / الأمور ، وذكر وُرُودَ كتاب ورد من أمير المؤمنين (صلع) بما هيأ الله له من فتح سجالمة وغيرها من مدائن الغرب والقبض على من بها من رؤساء الضلال كابن واسول (1) المدّعي الإمامة وإمرة المؤمنين ، وغيره من الفسقة الضالّتين ، وأنه أكثر ما استطاعه وعوّل عليه عند سماع ذلك أن خرّ ساجدا . وذكر في كتابه ما * جاء عن رسول الله (صلع) في سجود الشكر ، وذكر ابتهاج المؤمنين بذلك وأنه نسخ كتاب أمير المؤمنين وفرقه على دعائه في آفاق الجزيرة (2) التي أمر الدعوة بها إليه ، ومسرّة ممّن سمع ذلك إذا قرئ عليه ، ووصف ما بعث به من أعمال / (3) المؤمنين إلى الحضرة (4) ، فأحضر أمير المؤمنين رجلا كانوا بالحضرة من رسله وذكر لهم ما ورد به كتاب صاحبهم وأثنى عليه وذكر ولايته وصدق نيته فقبلوا الأرض شكرا لما سمعوا منه في صاحبهم .

فقال لهم في قوله في السجود شكرا لله لما انتهى إليه ممّا فتحه الله على وليّه (صلع) : وهل يكون فوق ذلك من شكر ؟ وهل نقدر نحن في شكر نعم الله علينا

(1) محمد بن واسول : انظر ص 214 تنبيه 3 .

(2) الجزيرة : انظر ص 265 تنبيه 3 .

(3) الأعمال : لعلها زكاة الخمس التي تفرض للإمام ، وتسمى أيضا « الواجبات » . انظر ص 335 تنبيه 2 .
و ص 407 تنبيه 7 .

(4) الحضرة تعني هنا عاصمة الخلافة في البصرة الموالية ، ينقلب معناها إلى السلطان أو الخليفة .

على أكثر من ذلك والاعتراف بالعجز والتقصير عما يُبلغ به كنهُ شكرٍ أقلّ أنعمه علينا فيما أعطاناه ومنحّناهُ وتفضّل علينا به ؟

ثمّ قال لهم : وهل تستطيعون (1) أنتم أن تبلغوا من شكر هذا الشيخ الذي عرفكم بنا ووصل / أسبابكم بأسبابنا على بُعد ما بيننا وبينكم ونزوح دياركم عن ديارنا حتّى رأيتمونا وشافهتُمونا ونلتّم فضلنا وحلّلتُم محلّ الأبناء منّا ، على أكثر من الدعاء والإقرار بالعجز عن شكر ما كان إليكم في ذلك منه ؟

قالوا : هو كما قال أمير المؤمنين (صلع) ، وقبلوا الأرض مرارا شكراً لما قاله لهم وما كان من فضله إليهم ووصفوا سرور ذلك الداعي وابتهاجه وفرحه بهم إذا قدموا عليه من حضرة أمير المؤمنين (صلع) ، وقال أقربهم عهدا به : لقد تلقّاني عندما اتّصل به قدومي مِن_* الحضرة مذسرت ، راجلا في يوم حارّ شديد الحرّ خارجا عن المدينة التي هو بها ، فلمّا التقيت / معه مال إلى جدار خربة واعتزلنا عن الناس ، فقال لي : رأيت وليّ الله ؟

قلت : نعم !

فالتزمني وجعل يقبل عينيّ تقيلا خفت عليهما من شدّته ، وأنا أقبل يديه ورجليه ، وهو كذلك يقبل عينيّ ويضمّني إلى صدره حتّى مضت ساعة من النهار ولا يزيد على ذلك ، وهو يبكي فرحا بما بلغه عن وليّ الله ، واشتياقا إليه . ثمّ جعل يسألني عن حاله وأخباره وأنا أخبره ، وهو قائم حتّى لقد خشيته عليه من شدّة الحرّ ، وقلت له مرارا : يا سيّدي ، نصل إلى مكانك ونجلس ونحدّث معك ، فلم (2) يقبل ذلك منّي ، بل جعل يسألني ويستفهمني .

فقال له أمير المؤمنين : هذا وما / هو عليه من صدقِ الولاية وحسن النية الذي بان به عن غيره ، وفضّلتهُ على من سواه من أمثاله فأقبلت قلوبنا عليه (3) . ولولم يكن له عند الله من السعادة ما يرضيه ، لمّا فتح الله له في ذلك ولا وفقّه إليه ولا وفقّنا لاختياره . وقد جهد من نازعه الأمر وطلب مكانه عندنا (4) ، في أن نقصيه عنا

(1) في الأصل : يستعجبون ، والاملاح من ب . وسياقي المفعول مسبوqa « بعل » زائدة : على أكثر من الدعاء ..

(2) في « أ » و « ب » : فلا .

(3) في « أ » و « ب » : وأقبل بقلوبنا عليه .

(4) ب : وطلب الأمر مكانه عنده .

وَيَسْتَحْوَذَ عَلَى مَكَانِهِ بِإِعْطَائِنَا ذَلِكَ إِيَّاهُ . فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ مِنْ هَذَا مَا عَلِمَهُ وَفَقَّنَا لِإِقَامَتِهِ وَصَرَفَ مَنْ آذَاهُ خَائِبًا مِنْ أَمْنِيَّتِهِ ، وَوَجَدْنَا عِنْدَ هَذَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ مَا كُنَّا نَرْجُوهُ وَنُؤَمِّلُهُ وَأَصْبَحْنَا لَدَيْهِ صَدَقَ مَا ادَّعَاهُ بِمَا أَصَارَهُ مِنْ تَقْدِيمِهِ مِمَّا كَانَ لَنَا فِي يَدَيْهِ إِلَيْهِ (1) . وَفَصَحَّتْ قَلْبُكَ (2) / الشَّوَاهِدُ مِنْ ذَلِكَ (3) عَلَيْهِ حَتَّى جَعَلَ هُوَ (4) وَغَيْرُهُ مِنْ أَمْثَالِهِ مِنْ دَعَاتِنَا بِالْمَشْرِقِ - وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ - يَعْتَبِرُونَ إِلَيْنَا وَيَقُولُونَ لَنَا : إِنْ كَانَ الَّذِي يَحْمِلُ فَلَانَ إِلَى الْحَضْرَةِ هُوَ الَّذِي قَرَّبَهُ مِنْ وَلِيِّ اللَّهِ (صَلِّ) فَإِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ (5) جَزِيرَتِهِ هُمْ سُلَاطِينُ الدُّنْيَا وَمُلُوكُهَا وَأَهْلُ أَمْوَالِهَا وَنَعِيمِهَا وَأَكْثَرُهُمْ قَدْ دَخَلُوا (6) دَعْوَتَهُ فَهُمْ يَتَقَرَّبُونَ وَيُوصِلُونَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ (7) إِلَيْهِ مَا لَا يَصِلُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَنَحْنُ فَإِنَّمَا رَغْبَتُنَا فِي إِقَامَةِ الْأَمْرِ وَاسْتِعْدَادِ كَثَرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأكْثَرُ مَنْ يَتَّصِلُ بِنَا مِنْ أَنْكَادِ سُلَاطِينِ الْجَوْرِ وَأَجْنَحَتِهِمْ (8) ، وَعَامَّةٌ مِنَ النَّاسِ لَا كَثِيرٌ أَمْوَالٌ عِنْدَهُمْ فَقُلْنَا مَا يُوَصِّلُونَهُ إِلَيْنَا .

ثُمَّ / قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ص) : وَمَتَى سَأَلْنَاكُمْ عَنْ هَذَا أَوْ عَرَّضْنَا لَهُمْ بِهِ ؟ وَاللَّهُ لَوْلَا أَنَا نَضَرْتُ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّصِلِينَ بِنَا وَنَدْفَعُ حَقُوقَ اللَّهِ الَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَيْهِمْ وَنَخَالِفُ أَمْرَهُ فِيهِمْ ، لَمَا قَبَلْنَا شَيْئًا . فَقَدْ خَوَّلَنَا اللَّهُ (عَج) مِيزَانَ فَضْلِهِ وَأَعْطَانَا مِنْ جَزِيلِ نِعْمَتِهِ وَجَمَعَ لَنَا مِنْ خَيْرِ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا مَا أَغْنَانَا عَنْ ذَلِكَ . وَلَكِنَّا نَقْبَلُهُ طَهْرًا لَهُمْ وَنُصَرِّفُهُ فِيمَا يَعُودُ ثَوَابُهُ عَلَيْهِمْ وَنُمَثِّلُ فِي ذَلِكَ أَمْرَ اللَّهِ (عَج) فِيهِمْ وَنُسَرِّ بِمَا يَأْتِينَا مِنْ ذَلِكَ عَنْهُمْ لَعَلَّنَا بِحَسَنِ نِيَّاتِهِمْ وَقِيَامِهِمْ بِفَرْضِ اللَّهِ (عَج) عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ ذَكَرَ أَخْبَارًا قَبِيحَةً بَلَغَتْهُ عَنْ بَعْضِ الدُّعَاةِ مِمَّنْ نَصَبَ فِي طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، الشُّرَكَ بِهِ أَغْلَبَ / وَسُلْطَانُهُ عَلَيْهِ الْمُسْتَحْكَمُ ، وَأَنَّ قُرْبَ الْعَهْدِ بِذَلِكَ

- (1) إِلَيْهِ ، أَيْ ، إِلَى نَاقِلِ أَخْبَارِ هَذَا الدَّاعِي وَأَمْوَالِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ .
- (2) فِي « أ » وَ « ب » : ذَلِكَ . وَأَقْرَرْنَا « فَصَحَّتْ » بِمَعْنَى « دَلَّتْ وَأَوْضَحَتْ » .
- (3) ذَلِكَ ، أَيْ النَّاقلُ الَّذِي شَهِدَ لَدَى الْمَرْبُوءِ هَذَا الدَّاعِي الرَّوْفِي .
- (4) هُوَ ، أَيْ النَّاقلُ .
- (5) فِي « ب » : فَإِنَّ أَهْلَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ .
- (6) أ : قَدْ دَخَلَ .
- (7) الْوَاجِبَاتُ : قَدْ تَكُونُ زَكَاةُ الْخُمْسِ الَّتِي تُوَدَّى إِلَى الْإِمَامِ . يَقُولُ النِّسَابِيُّ فِي كِتَابِ الْهَيْمَةِ (ص 69) : « ... فَعَمِلَ جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْفَعُوا خُمْسَ مَا غَنَمُوهُ فِي كُلِّ عَصْرِ إِلَى إِمَامِ ذَلِكَ الزَّمَانِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) » .
- (8) ب : وَكَثَرُ مِنْ ... أَنْكَارُ ... وَأَجْنَحُهُ .
أ : وَأكْثَرُ مِنْ ... أَنْكَادُ ... وَأَجْنَحُهُ .

وظهوره في الدار وسوء حال ذلك الداعي حمله ، فيما اتصل به عنه ، إلى أن رخص لهم في بعض المحارم (1) التي يستحلها أولئك المشركون ، وأظهره بذلك الغمسة واستعبر وتأوه . وذكر أنه قد أعمل الحيلة في تطهير تلك الجزيرة من ذلك الذي انتهى إليه عنه لكي يصلح الله (عج) أمرها . وذكر من أدنى ذلك إليه عنه ممتن وثق به من جماعة المؤمنين على بُعد الدار . فإنهم ذكروا أن من أنكر ذلك منهم بالموضع جعل يسأل من قدم الحضرة عن ذلك هل فيها منه شيء ؟ فأعلمه بأن ذلك ليس منه شيء ، وأن الأمر على / إقامة دين الله ولزوم طاعته والقيام بفرائضه واجتناب محارمه . (قال) (2) : فحمد الله وشكره ذلك الرجل (3) وقال : إذا كان أصلنا على هذا . لم يضرنا فساد الفرع ، ونرجو أن الذي حدث فينا لا يغيب عن ولي الله لبعده داره وأن الله يوفقه إلى ما يرضيه فينا وفيمن غير دينه عندنا .

ثم تعجب (صلح) من ذلك واستعظم الأمر فيه واستهاله . وذكر آخر من الدعاة النائبين أيضا عنه وأنه نظر إلى أهل جزيرته وأكثرهم يذهب مذهب الفلاسفة فاشتق لهم من كلامهم كلاما يدل بزعمه به على أمر أولياء الله . لم يقولوه ولا أدنوا له فيه ، [و] خرج به عن نظام الدين وفارق به أصل أولياء الله / أجمعين .

قال : فقدم علي بعض من أخذ ذلك عنه واستحكم في صدره منه فسألته عنه فأخذ في الكلام فيه : فلا هو أفاد كلام الفلاسفة كما ذكره أهلها . ولا هو أبان عن دين الله كما زعم . وجاء من التخليط بما يخرج عن الملة ويدعو إلى الكفر ، فجعلت إذا كسرت عليه لم ينفع الكسر فيه ولا أرى لقبوله حقيقة منه وإن تابعتني عليه ، وإذا أرخيت له في عنانه فيما استحكم عنده رأيت أثر قبوله ، فعلمت أن ذلك وأمثاله ممن داخله علته لا يبرئ منه إلا العلاج الطويل في اقتساع المدّة ، وتفكرت في كثرة من لعلته في مثل حاله من أهل ذلك الصنّع وكبف ينصرفون / عما تداخلهم من هذا البلاء العظيم . فهالني ذلك .

وقال : هؤلاء بمنزلة قوم تطلع عليهم الشمس وتغرب عنهم ولا يشعرون بها ولا يرونها . وتمر آيات الله عليهم صفحا وهم معرضون عنها ، والله القادر على ما يحبه

(1) أ : المحاربة ، والإصلاح من ب .

(2) ناقل الخبر إلى المعز عن الداعي المسحوف .

(3) المستفسر عن وقوع مثل هذا التساهل بالحضرة أو انعدامه .

من صلاح أمرهم على بعد ديارهم منا وانقطاع أمرهم عنا ، وإنّا لو رمنا صرفهم
عمّا استحکم وتقرّر عندهم وأخذ الأبناء عن الآباء ، لخشيت أن يصيروا إلى ما
هو أعظم منه من الانسلاخ من أمرنا ، وأن يروا أنّنا قد عجزنا عمّا علم سلفنا إذ قد
استحکم عندهم أنّ ذلك عنهم ، فلما يرون أنّنا قصرنا عن علم ذلك عندهم ، أو غيرناه
عليهم إذ خالفنا أصلهم وعدّنا عن مینهاجهم / .

(قال) : ولقد سألتني هذا الرجل عن اسم بعض الآباء فذكرته ، فإذا هو عنده على
خلاف ذلك فيما عرفه .

فقال : نعم ، هذا ممّا قيل لنا أنّ الإمام له سبعة أسماء :

اسم جسمانيّ

واسم نفسانيّ

واسم روحانيّ

واسم طبيعيّ

واسم حقيقيّ

واسم ظاهر

واسم باطن

ثمّ جعل (صلح) يتعجّب لقوله .

(قال) : وجاءنا رجل آخر من قبل بعض * الدعاة النائيين عنّا بكتاب ذكر
أنّه سأله أن يجمع له ما به الحاجة إليه وقال : يراه مولانا (صلح) فإن كان الذي فيه
صواباً أخذته وعملت به ، وما أنكره رفضته واطّرحته . فنظرت فيه فإذا به محشواً
عويصاً ومحالا وما لا فائدة فيه ولا حاجة لمسترشدين / إليه ، فلم أدري ما أقول فيه : إن
أبطلته عنده خيفت عليه ممّا قدّمت ذكره ، وعلى من يرجع عني (1) بذلك إليه ممّن
خلّفته ، وإن صحّحته عنده صحّحت عنده الفاسد ، وأعوذ بالله ! لكنني لطف
في تقويمه وتأنيده من غير هذين الوجهين وتأنييت له . وكان فيما رأيت في هذا الكتاب

(1) ب : علي .

أن زعم له فيه أن الإمامة انتقلت عن بعض الأئمة إلى ميمون القداح (1) وإلى فلان وإلى فلان - لقوم ذكرهم من أفناء الناس - ثم جعل (صلح) يتعجب من هذا القول وقال : فإذا كان ذلك فقد انقطع السبب - ونعوذ بالله - من أيدينا فصار أخذنا لما أخذناه من الفضل من قبل غيرنا وصاروا أحقّ به منا، ولن يجعل / الله (عج) ذلك عند الضرورة عند من جعله في يديه من أهل هذا البيت من غير الأعقاب المتصلة إلا مستودعا عندهم غير مستقر (2) فيهم إلى أن يستحق ذلك مستحقه فيأخذهُ من أيديهم .

ثم ذكر بعض من صار ذلك إليه كذلك في يديه وأنه أراد أن يؤثر به من قرب منه ممّن لم يجعله الله (عج) له، فكلّمنا نصب لذلك واحدا مات واستأثر الله به ، إلى أن ذهب أقاربه وأقام صاحب الحق ضرورة إذ لم يجد غيره ، فقال : الآن بما عم (3) بعد أن فعلت ما * فعلت ! فتمثّل له بقول الشاعر (رجز) :

الله أعطاك التي لا فوقها وكم أرادوا منعها وعوقها
عنك، ويأبى الله إلا سوقها إليك، حتى طوقك (4) طوقها /

(1) هذا قول خصوم الشيعة الطاعنين في نسب الفاطميين : فقد قالوا ان المهدي لم يكن إسماعيليا فاطميا ، كما يدعي أتباعه ، من أنه الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، بل كان حفيدا لعبد الله بن ميمون القداح ، وهو أول الدعاة الإسماعيليين بالعراق ثم بسلية ، وقد ذهب هذا المذهب بعض الشيعة الإسماعيليين أنفسهم واعتبروا أن المهدي لم يكن هو المهدي حقا ، بل كان إماما «إسماعيليا الروحي» ، وأن المهدي الحقيقي إنما هو أبو القاسم محمد القائم الخليفة المغربي الثاني . ويدل كلام المعز في هذه الفقرة على أن هذا الزعم في نسب المهدي كان لا يزال رائجاً عند بعض دعاة المذهب ، على الأقل بالشرق . (انظر بهذا الصدد : دائرة المعارف الإسلامية ، فصول : عبد الله بن ميمون - الفاطميون - أبو الخطاب الاسدي . وانظر أيضا : رجال الطوسي ص 135 و 205 حيث اعتبرهما من أصحاب محمد الباقر وجعفر الصادق . وانظر كذلك : أصول الإسماعيلية لبرنارد لويس ، تعريب خليل أحمد جلوي وجاسم محمد الرجب ، ص 133 وما يليها . وقد أورد القاضي النعمان في «دعائم الاسلام» (الطبعة الثالثة 1969 بالقاهرة ج 1 ص 45 إلى 55) نبذاً عن المارقين المغالين من الشيعة . (وانظر مقدمتنا ص 22 والمجالس ص 411) .

(2) الإمام المستودع حسب ما يفهم من عبارة «من غير الأعقاب المتصلة» هو من يمهّد إليه مؤقتاً بالإمامة ، في انتظار صاحبها الحقيقي أو الإمام المستقر . والمستودع هو أيضاً من آل البيت حسب كلام النعمان ، ولعل هذين المصطلحين جاءا عند الإسماعيلية لتبرير ما يطرأ من خلل على ترتيب التعاقب في سلسلة الأئمة ، كانتقال الإمامة من الحسن إلى أخيه الحسين ، لا إلى ابنه البكر حسب القاعدة . (انظر فصل «إمامة» بدائرة المعارف الإسلامية، القسم الخاص بالإسماعيلية . وانظر ما يقوله القاضي النعمان في إمامة الحسن ثم الحسين ثم أبناء الحسين بالدعائم ج 1 ص 36-37) .

(3) هذا العم هو ، حسب رواية «استتار الامام» (نشر ايثانوف ص 96) ، سعيد الخير ابن الحسين بن أحمد بن عبد الله ، الذي «استبد بالإمامة ونص بها على ولده ... وكان له عشرة أولاد ، فلم يزل ينص على كل واحد منهم إلى أن هلكتوا بأجمعهم ... فتاب وجمع دعائه وأعلمهم أنه مستودع للمهدي صلوات الله عليه .

(4) في «أ» طوقها، والاصلاح من «ب» ومن كتاب «استتار الامام» (ص 96). وقد ألحق الدكتور احسان عباس هذا الرجز بالأبيات المنسوبة إلى كثير (ديوانه ، بيروت 1971 ، قطعة 21 ص 535) ، وذكر المصادر التي وردت فيها ، وأسماء قائلها ، ومن قيلت فيهم ، ومنهم خلفاء بني أمية بالشام .

فردّها الله (عج) إلى صاحبها المستقرة قتيه وأخرجها من يديّ من كانت مستودعة عنده بعد أن جهد في صرفها إلى من قرب منه جهده . فليس المستقرّ كالْمُسْتَوْدَع ولا الوكيل كالْمُوَكِّل ولا الوصي كالْمَوْصِي عليه ، ولأله أن يملك شيئا ممّا له في يديه ولا أن يعدل بذلك إلى غيره عنه . هي أمانة الله (1) التي قد است حفظها ووديعته الي أودعها . قال الله جلّ من قائل : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » (2) . فلماذا كان هذا هكذا في أهل البيت الأقربين ، فكيف ينبغي أن يقطع القول فيه بأنّه قد سار بالحقيقة إلى الأبعدين كالذين / ذكرهم هذا ، من ميمون القدّاح وغيره ؟

قال : نعم ، إنّ صاحب الحقّ لهو الميمون المبارك السعيد قادح زناد الحقّ وموري نور الحكمة (3) ، فإن ذهب من ذهب إلى هذا فنعم .

ثمّ قال للقوم : فلمّا اطلع الله (عج) من (4) حسن نية صاحبكم عافاه من مثل هذا التخليط وأحظاه عندنا وثبته على حقيقة أمرنا فسعدتكم بسعادته وانفعتكم بحسن نيته وطاعته .

فشكروا له وقبلوا الأرض بين يديه، ثمّ انصرفوا وقد ملئوا سرورا بما سمعوا منه .

كلام في مجلس في جواب ابن واسول :

213 — (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله (صلع) يقول وقد أتني بابن واسول المدعي الإمامة والمتسمّي بأُمير المؤمنين / بسجلماسة، فأمر بتصويره في سقيفة

(1) ب : في أمانة الله .

(2) النساء ، 58 .

(3) هذه التورية باسم « ميمون القدّاح » تخلص من مشكلة العلاقة بين عبد الله المهدي وعبد الله بن ميمون . ثمّ إنّ القدّاح مهنة باري القدّاح ، أي النبأ ، لا قادح النار . (انظر رجال الطوسي ص 225 في « عبد الله ابن ميمون القدّاح ») . وقد قالوا ايضاً : القدّاح هو من يستخرج ماء العين المتورمة . وعلى كلّ ، فإن وصف الامام بأنّه قادح الحكمة كان رائجا في الأوساط الاسماعيلية بدليل هذا البيت لابن هانيء في المعز :

« مستهديا بدليل الله تتبعه وقادحا لزناد الحكمة الأول »

(قصيدة 43 بيت 68)

هذا ، وقد روج أبو العباس في انتقاضه على المهدي ، التهمة بأنّه مستودع ، وأن الامام المستقرّ إنما هو القائم (انظر إفتتاح الدعوة تحقيق الدشراوي ص 309 ، والمجالس ص 410) . وانظر كذلك التعليق 62 ص 167 لناشري سيرة الأستاذ جوذر وقد استشهدا بفقرات من كتاب المجالس .

(4) هكذا في أ و ب . وهذا التعبير معهود في النصوص الاسماعيلية ، على ما فيه من ظاهر نسبة الآنية الى علم الله .

القصر في وثاق . ودخل شهر رمضان ، فسأل ابنُ واسول أن يصلّي الجمعة خلف أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) وأخبر بذلك عنه . فقال للذي أدّى إليه ذلك عنه : قل : إن الصلاة وجميع الأعمال لا تقبل إلاّ بنية واعتقاد ، ولو كنت تعتقد إمامتنا لم تحلّ هذا المحلّ ولم نكن لنبخل عليك بسجلّنا ولا لها عندنا من الوزن ولا للدنيا بما فيها ، وما كنّا نتكلّف في ذلك ما كنّا تكلفناه من بعثة أوليائنا (1) في العساكر نحوك وإتاعاب أنفسنا في تدبير ذلك وإقامته لك . فلو كنت رغبت عن نية منك في أن تأتمّ بنا لنلت فضل ذلك وثوابه / وأنت وادّع في مكانك آمن في سلطانك بإقامتنا ذلك لك . وإذا قد أنكرت إمامتنا وادّعت الإمامة (2) دوننا إلى أن أظفرنا الله بك وأقدرنا عليك ، فماذا يغنيك أن تأتمّ بنا في صلاتنا وأنت أسير في أيدينا على ادّعائك مقامنا ؟

وإن كان الذي أردته من صلاتك بصلاتنا ما تبتغي به الفضل ، وكان ذلك عقد نيّتك، وأنت (3) معترف بإمامتنا منكّر لما كنت عليه ، نادم راجع عنه ، فوالله لينفعك ذلك صليّت بصلاتنا أم لم تُصلّ .

وإن كنت إنّما أردت أن تُرّينا من نفسك الميل إلينا وتوسّل بذلك إلى ما يُرضينا، فوالله لا يرضينا منك إلاّ ما أرضى الله (عج) عنك ، وإنّ قلوبنا / لبسده وما يصرفها إلاّ لمن رضي عنه وارتضى عمله وأحبّ سعادته . فإن أردت منّا ذلك فأخلصّ * لله (عج) فيما بينك وبينه ، واعتقد ذلك تجد ذلك عنده جلّ ذكره في الآجل ، وعندنا بما يجعله لك في قلوبنا في العاجل ، ودع عنك التزيّن بالباطل .

قال الرسول : فلمّا بلغته ذلك تحيّر ولم يدر ما يقول غير أنّه قال : والله ما هذا إلاّ من كلام النبوة ، وهو ابن رسول الله (ص) حقّاً، وهذا من ميراث حكمته .

وفي مثل ذلك :

214 — (قال) وأخبره عنه بعض من يجتمع معه ممّن أذن له في ذلك أن يبسطه (4) ويسأله حوائجه، أنّه يسأل هل عنده من كلام أرسطاطاليس شيء ؟ والذي سأله / ذلك

(1) يعني الحملة التي قادها جوهر وأترك فيها زيري بن مناد وابنه بلقين أميراً صنهاجة ، وجعفر بن حمدون وادي المسيلة .

(2) الإمامة هذا الخلافة .

(3) أ : وأك .

(4) ب : وفي أن يبسطه .

ممن يُعَنِّي بمثل هذه الكتب . (قال) فقلت له : ما تريد من كلام أرسطاطاليس ، وأصحابك يُنكرونه ؟

قال : ينكر ذلك من لا يحسن . فأدنى هذا القائلُ قوله هذا إلى المعزّ لدين الله (صلع) فقال له المعزّ (ص) : قل له : لعلك أردت من كتب أرسطاطاليس رسالته (1) إلى الاسكندر في الإبقاء على ما ظفر به من الملوك ، لتأخذ منها ما لعلك تبوَّسلُ به إلينا في الإبقاء عليك ؟ قال الرجل : فبلغته ذلك من قول أمير المؤمنين فبُهِتَ إليّ وقال لي بعد حين : ما أظنّ من نحلهمُ النبوةَ نحلهمُ إيتاها إلّا من مثل هذا : والله ما عدا ما في نفسي ، وما أردت إلّا هذه الرسالة لمثل ما ذكر أني أردتها له . / ثمّ ذكر الحديث الذي يؤثّر عن رسول الله (صلع) : بُعِثَ وفي هاتين القريتين — يعني مكّة والطائف — أربعون رجلاً ظنّ أحدهم كيّفين غيره (2) . قال : فإذا كان مثل هذا يوجد في سائر الناس فكيف في ذريّة النبيّين ؟

كلام في مجلس في فضل الولاية :

215 — (قال) وسمعتُه (صلع) يوماً * يقول لقوم من الحسينيّين وفدوا عليه من ناحية اليمن ومن الحجاز وقد أحسن نزلهم ووصلهم وأذن لهم في الانصراف ، ودخلوا عليه ليودّعوه ، فشكروا له فاعترفوا بفضله وقالوا : نحن يا مولانا عبيدٌ لك وحسبنا بذلك شرفاً وفخراً . ولقد أمرنا وآباءنا من تقدّم من أسلافنا وعهيدوا / إلينا في طاعة القائم (3) من أهل هذا البيت (ص) واتّباعه والتسليم له ومعرفة فضله .

(1) لعل هذه الرسالة التي يعرفها كل من ابن واسول والمعز هي « رسالة أرسطوطاليس إلى الاسكندر في السياسة » التي أدرجها عبد الرحمان بدوي في كتابه « مخطوطات أرسطو في العربية » القاهرة 1959 « ضمن الكتب المنحولة (ص 37 رقم 19 . وقد ذكر Raymond Well في رسالته عن أرسطو والتاريخ (باريس 1960 ص 157) ترجمة عربية لرسالة من هذا النوع وقال إنها منحولة .

(2) الحديث : لم نجده في المصدر المعروفة وقد ذكره القاضي النعمان في كتاب التوحيد (ص 118-119) مع اختلاف طفيف .

(3) القائم عموماً اسم يطلق على « صاحب كل زمان » ، أي الناطق لكل دور ، أي النبي المرسل ، « بما يقوم به من نشر العلوم والحقائق » (زهر المعاني لعبد الدين أدريس ، ص 437) . وتطلق عبارة القائم خصوصاً على آخر ناطق يختم دور السّتر ، ويفتح دور الكشف ، وهو المعروف عند الاسماعيليين بـ « قائم القيامة » .

وفي هذا النصّ تعني عبارة « القائم » الامام المنتصب بقطع النظر عن كونه يختم دوراً أم لا . ونستنتج منه أن ذرية الحسن يتمتفون بإمامة ذرية الحسين ، وهو اعتراف لم يشمل كافة الحسينيّين ، بدليل مقاومة الإدارة للفاطميين (انظر فصل « الإدارة » بدائرة المعارف الإسلامية) .

فقال (صلح) : من عرف الله ذلك لنا سعد واغتبط وطابت ولايتُهُ وصحَّ دينُهُ . ومن أنكر خسرَ دنياه وآخرته . أولاكم والله بمحمد وأقربكم منه من أقر بفضلنا وعرف حقنا ، وأبعدكم منه من أنكر ذلك لنا وجهله وادّعاه دوننا ودفعه . إن الله (عج) يقول : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ (1) » . وقال حكاية عنه (عم) : « فَمَنْ تَبِعَنِي فَلَهُ مِنِّي (2) » . فلتولّا اتّباعُ من اتّبعه لِيَأْتَهُ لم يكونوا منه ، وأولى به . ونفى الله (عج) عن نوح ابنه إذ خالفه فقال : « يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ (3) » . فباتّباع أولياء الله وطاعتهم والتسليم إليهم ومعرفة حقّهم وفضلهم نجا من نجا من ذرياتهم وغيرهم ، وبخلافهم وعصيانهم وإنكار فضلهم هلك من هلك ممن قرب أو بعد منهم . ولن يقرب الله (عج) منهم إلّا من قربته أعماله الصالحة .

كلام في مجلس خاطب به المعزّ (ص) ابن واسول لما أتى به أسيرا :

216 — (قال) وأدخل المعزّ لدين الله (ص) ابن واسول إلى نفسه بعد عدّة (4) . أيام من وصوله ، وهو في وثاقه . فلما مثل بين يديه أمره بالجلوس فجلس ، فأمسك عنه حتّى رأى أنّه سكن روعه . ثمّ أقبل عليه من غير تجهّم فقال : ما الذي حملك على ما ادّعيته وتسمّيت به ؟

قال : الحَيْنُ والجَهْلُ يا أمير المؤمنين (ص) .

قال : / أو تحتاج في ذلك بحجة ؟

قال : معاذ الله ! ما عندي في ذلك من حجة إلّا الاعترافُ بالجهل والخطأ على نفسي . ونظر إليّ كالمستشهد بي . وذلك أنّه قال لبعض من فاوضه : بلغني أنّ القاضي له تأليف ، وكنتُ أحبّ أن أرى منه (5) شيئا . فلما عرفني ذلك الذي

(1) آل عمران ، 68 .

(2) إبراهيم ، 36 .

(3) هود ، 46 .

(4) أوب : مدة .

(5) 1 : وكتب أحب .

ب : كنت أحب .

قال له ، بسطتُ له كتابا في الحجّة عليه (1) فيما ادّعاه من الإمامة بغير عقد إمام ، وما تعدّى إليه بعد ذلك من ادّعائه الإمامة وتسميته بأمر المؤمنين وتلقّبه بالشاكر لله ، والردّ فيما بلغنا أنّه احتجّ لنفسه بذلك . فتعاضم ذلك لمّا انتهى إليه ، واعترف بالخطأ والجهل على نفسه . وعلم بذلك أمير المؤمنين (ص) ، فقلت له : يا أمير المؤمنين (ص) بمثل هذا من قوله اعتصم وعليه عول (2) . فقال له (ص) : فتحلف بالله وتشهدهُ على قولك أنّه اعتقادك ونيّتك ؟ فحلف على ذلك وأشهد الله (عج) على نفسه (3) أنّ اعتقادهُ ونيّته كالذي أظهر وقال به .

ثمّ جعل أمير المؤمنين (ص) يستطه ويسأله عن أخباره وأخبار البلد الذي كان به . ثمّ إذا مضى في ذلك عاوده في ذكر حجّةٍ إن كانت عنده في دعواه ، فيرجع إلى الاعتراف بالخطأ والجهل على نفسه .

فكان فيما سأله عنه (صلح) أن قال له : ما يقول الناس عندك فينا وينسبوننا إليه في الذي نتّحله ونقول به ؟ فسكت . فقال له : قل ما عندك من ذلك . وما قيل لك فيه فإنّا لا نأنف من سماعه / ولا نُنكرُ عليك أن تقوله وإن كان من أفحش ما قاله المبطلون الظالمون . إنّما يأنف من سماع المكروه فيه عمّن نسب إليه ، من كان من أهله ، وكان يعلم أنّ الذي قيل هو عليه ، فيغتم لذلك إذا أبداه الله (عج) عليه ، وأشهره به ، وعلمه الناس منه ، فيستحي لذلك . فأما من علم ما بينه وبين الله ، وأنّه نسب إليه من المكروه ما ليس فيه وما لم يفعله ، ممّن له تميّزٌ وعقلٌ ، فإنّ سماع ذلك ممّا يحبه لما يرجوه من ثواب الله (عج) عليه ، وانتقامه ممّن قاله فيه ونسبه إليه . ونحن نُحبّ سماع مثل ذلك ونشتهيه . فقل ما بلغك عنا ولا ترجع عن شيء منه ! فقال : إن رأى أمير المؤمنين (ص) أن يُعفّيني من ذلك فليفعل ، فإنّ لساني لا ينطاعُ للقول بذلك .

فقال له : أليس فيما بلغنا أنّه انتهى إليك عنا أنّا ندفعُ نبوة محمد (ص) وندّعي النبوة بعده ، وندفعُ سنّته وشريعته وندعو إلى غيرهما ؟ فسكت . فقال له أمير المؤمنين : ويحك قل ! أليس قد بلغنا أنّ ذلك ممّا قيل لك عنا ونسب إلينا ؟

(1) هذا كتاب آخر من مؤلفات النعمان لم يصلنا .

(2) أي : اعتذاره بالجهل والخطأ .

(3) ما بعد « قولك » إلى « نفسه » ساقط من ب .

قال : نعم .

فقال (عم) : فلعن الله من قال بهذا وانتحلته وادّعاه ومن تقوّله علينا ، ورمانا به ونسبه إلينا ! فكيف نقول ذلك أو ندّعيه ، وشرّفنا الذي جلببنا الله جلبابه وفخرنا الذي ألبسنا أثوابه ، بجَدّنا محمد (ص) ؟ فيه علّونا على الأمم ، وبه فخرنا على العرب والعجم ! فكيف ندفعُ / نبوّته أو نُنكِرُ فضلَهُ أو ندّعي أن ذلك لنا دونه ؟ والله لو بعث الله نبياً بعده • - وكلاً ، لا يكون ذلك ! - لَكُنّا لَتَمسُكُنّا به أبعدَ الناس وأرغَبَهُمْ عنه . إن بني عبد شمس (1) عادَوْنَا فيه وأبغضونا من أجله لما قال قائلُهُم : أَطَعَمْنَا وَأَطْعَمْتُمْ وفعلْنَا من الجميل مثل ما فعلْتُمْ حتّى إذا كنّا كَفَرَسِي رِهَان قَلْتُمْ : مِنّا نبيّ ! والله لا سلّمنا ذلك ولا أقرَرنا به إِلَيْكُمْ (2) .

فإذا كنّا نحنُ ندعو إلى البراءة من شريعة جدّنا محمد (صلع) ، فمنن ذا يدعو إلى الاعتصام والتمسك بها ؟ بل والله فإن قلنا إن الله (عج) أورتنا شرفه ومجده وفخره ، وأقامنا أئمةً للأمة بعده ، وأوجب لنا على الناس من الطاعة بعده مثل الذي كان / يجب له ، لقد صدّقنا لقول الله (عج) : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » (3) . ونحن والله أولو الأمر الذين تعبّد الخلاق بطاعتنا ، وأهل الذكر الذين أمرهم بسؤالنا على رغم من جحد ذلك وأباه لنا . فهذا هو فضل الله (عج) علينا ونِعْمَتُهُ لَدَيْنَا ، التي لا ننهض بأعباء شكرها إلّا بعونه لنا . وهي الخطّة التي لا ينافسنا فيها إلّا دعيّ مكابر ولا يدفعها عنّا إلّا ضالّ كافر . وما بعدها من خطّة فندّعيها ولا فوقها من رقة فنسمو إليها . وحسبنا إن بلغنا شكر نعمة الله (تع) عليها ، فكيف ندّعيها وندّعي ما يتصلي الله من ادّعاه النار ، ونقول بقول من أبطل نبوة جدّنا محمد (صلع) من الكفّار / ؟ والله سائل من قولنا من ذلك ما لم نقله ومؤاخذه بقوله .

ثم قال له (عم) : هات غير هذا ممّا قيل لك فينا (4) .

(1) أي بنو أمية .

(2) قوله الأمويين : انظر ص 235 .

(3) النساء ، 59 .

(4) في ب : ممّا قيل لك فينا ما لم نقله ونؤاخذه بقوله . ويبدو أن الزيادة منقولة سهواً من سطر سبق .

قال : ما أعرفه يا أمير المؤمنين ، وفيما قلتَه محضُ الإيمان * واليقين .
 قال : بلى ! لقد بلغنا أنه قيل لك إننا نعبدُ رأساً عندنا يُكَلِّمنا ونسجدُ له
 من دون الله وَيَنْشُرُ لنا من فيه الدنانيرَ .
 قال : سَمِعْنَا من يقول ذلك .
 قال له أمير المؤمنين : فأَيُّ رأسٍ قالوا هذا الرأسُ ، رأسُ إنسان أم بهيمةٍ
 أم حيّةٍ أم ما هو ؟
 قال : لا أدري ما يقولون لعَنهم الله .
 فقال (عم) : بلى والله ، إننا لنعبدُ رأسَ كلِّ شيءٍ وإِلَـهَهُ وخالِقَهُ : الله
 ربَّ العالمين ، وهو الذي أعطانا وفضلنا واصطفانا وكرَّمنا .
 قال : كذلك هو والله يا أمير المؤمنين .
 قال أمير المؤمنين : فإلْعَجَب من / هذه العقولُ الناقصة والأوهامُ الفاسدة التي
 تقبل مثل هذا المُحَال من المقال وينطبع فيها ويثبت عند أهلها حتى ينسبوه
 إلى أحد أو يقبلوه من قول قائل ، أو أن يصدقوا به لو قد رأوه بأعينِهِم أو سمعوا
 من يدعيهِ بِأَذَانِهِم (1) .

كلام في مجلس في تناول ما أحلَّ الله وتركه الرِّبَاء (2) بتركه :

217 — (قال) وذكر (صلح) الشهوات وقول الله (تع) : « أَصَاعُوا الصَّلَاةَ
 وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ (3) » . فقال : إنَّما عني الله (عج) بهذا القول الشهواتِ
 المحرَّمات . فأَمَّا من أشتهى ما أحلَّ الله وأباحه فلا حرجَ عليه فيه أن يناله إذا
 قدر عليه وأمكنه . إنَّ الله (عج) قد خَوَّلنا وأعطانا من الدنيا ما أعطانا ، فما
 أعلمُ أنِّي حرَّمت نفسي / ما أشتهيه منها ، ولكنَّ الله بفضله وإحسانه إليَّ عصَمَني
 من أن أشتهي شيئاً حرَّمته عليَّ ، لا والله لا أنظر إلى محارم الله إلَّاَّ بعَيْنِ المقت لها
 ولا تميلُ نفسي بحمد الله * وفضله عليَّ إلى شيء منها ، وإنَّ المعاصي عند الظالمين

(1) تعرض فرحات الدشراوي إلى هذه « المناظرة » في الفصل الذي كتبه عن أسر ابن واسول في مجلة «الكراسات
 التونسية» سنة 1956 ص 295 .

(2) أي عدم الافتخار والتبجح بحرمان النفس مما أحلَّ الله لها .

(3) مريم ، 59 .

لأشهى من الحلال وهم فيها أرغبُ ولها أطلبُ . فالحمد لله الذي منّ علينا بالعصمة ولم يجعل لنا فيما حرّمه علينا شهوةً . ولو حرّمنا ما أحلّه الله لنا ومنعنا منه أنفسنا وقد أباحتنا إياه ومَلَكَ كُنْهَهُ ، لَكُنَّا قَدْ دَفَعْنَا حُكْمَهُ وَخَالَفْنَاهُ وَرَدَدْنَا مَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْنَا وَكَبَرِهْنَاهُ ، وتحريمُ حلالِ الله وكرهيته كتحليلِ حرامه وإباحته . إنَّ الله (عج) يقول في كتابه : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ / اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (...) قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ (1) » .

رؤيا رآها المعزّ لدين الله صلوات الله عليه :

218 - (قال) ولما قرب وصول الجيش من المغرب إلى الحضرة أمر الإمام المعزّ لدين الله (عم) لابن واسول وابن بكر (2) بعمل عجلتين ليكون كل واحد منهما على واحدة تجرّ به في حين النداء عليه . وذلك ممّا لم يُعلّم أنّه سبق به ولا رآه أحد . وجعل يصفهّما للتجارين ، فقال : يُجعلُ سَطْحٌ من ألواح وعلى خشبة مصلبة وترفعُ على أربع فِلك ويُسْنَى عليه بُرْجٌ من ألواح (3) واسع الأسفل ضيق الأعلى ، يكونُ طوله عشرة أذرع ، ويكون في أسفله قفص من خشب وتيق له من خلفه / بابٌ يُدخَلُ فيه أسيرٌ (4) ويغلق عليه ، وله سقفٌ ، فوقه تابوت من البرج ، له باب يُفْتَحُ ويُغْلَقُ ، وفيه شباكة يسيرة مقدار ما يدخل من الهواء ، وفي وسط القفص خشبة عظيمة كصاري المركب في أسفلها مرود على سطح السرير يخرج من وسط سقف القفص وسقف التابوت الذي فوقه ، ويظهر على سقفه منها مثلُ قامة ، وعلى رأسها سريرٌ مقدار ما يجلس فيه الجالس حوله حاجزٌ من شبّاك مخروط يمنع من السقوط عليه . وليكن في التابوت رجلان لا يُرَيَانِ وفي الخشبة معهما وتدان فيها يُديرانها فيدورُ السرير الأعلى بمنّ يكونُ عليه ليرى كل من حوله وجهه / ولا يعلمون بمّ يديره .

(1) الاعراف ، 32 ، وقد احصرها الناصح بعوله : ... إلى يوم القيامة .

(2) أحمد بن بكر : انظر ص 385 تنبيه 2 .

(3) ما بعد ألواح الأولى إلى الثانية سقط من ب .

(4) في المخطوطتين « أسد » ولا معنى له ، ما دام القفص مصنوعا للذمير المهزوم .

فتعجبنا لذلك لما عَمِلَ (1) ورأيناه ، كيف اخترع ذلك واهتدى إليه صلوات الله عليه .

فقال (عم) : رأيتُه فيما يرى النائم قبل أخذِ هذينِ الفاسقينِ بمدّة فجعلتُ أنظر إليه كما هو الآن * بين يديّ وأُقلِّبُه وأقول : ما هذا ؟ فيقال لي : هذا يكون ينادي على أعدائك عليه ، ففهمتُ صورته وعَمَلَتُهُ على ذلك (2) .

كلام في عقوبة الملحدين في أولياء الله :

219 — (قال) وذكر المعزّ لدين الله (ص) رجلاً أصابه بلاء عظيم في نفسه ووصف ما صارت حاله إليه . وكان هذا الرجل قد ألحد في أولياء الله وغلا في دينه . وقد كان قُلْدَ شَيْثاً منه ، وناله بسبب ذلك من سُخْطِ الأئمّة / ما نعوذُ بالله منه . فقال المعزّ لدين الله (ص) لما ذكر ما صارت حالُ هذا الرجلِ إليه : ما أَلْحَدَ أَحَدٌ فينا ولا أراد إدخالَ النقص على شيء من أمرنا إلا ابتلاه الله في عاجل الدنيا ببلاء يكون به نكالا . ولَعَذَابُ الآخرة أَوْجَزُ وأشدُّ وأبقى ، وإن كان أهلُ العذاب في الآخرة قد يجدون بعضَ العزاء بمن يروّنه معهم من المُعَذِّبِينَ فيها بذنوبهم . والمعاقب في هذه الدنيا بمثل هذه العقوبة لا يَرى مثله فيتعزّى به .

ثمّ قال (عم) : إنّه قد أصابته — يعني هذا الرجل — لعنة ثلاثة أئمّة . وإنّ لَعْنَةَ الإمام من أشدّ عذاب الله لا تُخْطِئُ فيمن قصّدته ولا ينجو من أصابته ، ولا والله ما يرسلها أولياء الله إلا على مُسْتَحَقِّهَا بعد أن لا يَروا له مَحِيصاً منها / ولا يجدوا له بُدّاً منها . فأما ما داموا يرجون من المرء أوبة أو يطمعون له بتوبة فإنّهم يعفون ويصفحون ويتغافلون ويغفرون ، لما جبلهم الله (عج) عليه من الرأفة والرحمة والصفح وإقالة العثرة . ثمّ ذكر من تجاوز هذا الرجل وتعدّيه وما أدخل على الدين من الشبهة * على ضعفاء المؤمنين ما يطول ذكره .

قال : ولقد تقرّر عند المنصور بالله (ص) أنّه يقول : عندنا من حكمة الله وعلمه ما نُزِيل به الجبال ونخرق به البحار، ولنا من أوليائنا في الدين من تزول السموات

(1) في أ : لذلك العمل ، والاصلاح من ب .

(2) نفهم من هذه الرواية المجيبة أن القفصين اللذين ذكرهما المؤرخون لم يتخذهما جوهر بالغرب ، بل صنعا خصيصا للاستعراض الذي كان ينوي المعز إقامة المنصورية احتفالا بنصر جيوشه ، على غرار ما كان يصنعه أباطرة الرومان عند عودتهم بالأسرى وأسلاب الحرب إلى ردهما .

والأرضون، ولا يحول ولا يزول. فأعظم ذلك المنصور بالله (صلع) من قوله وأحضر / جماعة من الأولياء فذكر ذلك لهم عنه ولعنه .

ثم قال المعز لدين الله (صلع) : أعظم آيات موسى (عم) فلق البحر ، وفي ذلك كلام . فهذا الشقيّ ادّعى فوق ذلك لنفسه وهو يُنسب إلينا ويدّعي علمنا ومذهبنا وقولنا ، ونحن نبرأ إلى الله من دعواه وقوله وما يُنسبُهُ إلى نفسه ، أن يُنسبَ إلينا وإلى من يتصل بنا . إن الله (عج) قد فضّلنا وشرّفنا واختصنا واصطفانا واجتباننا وافترض طاعتنا على جميع خلقه وأجعلنا أئمةً لجميع عبادِه وأسبابهم لدَيْه ووسائلهم إليه والوسائط بينهم وبينه ، وكفى بهذا فضلاً وشرفاً . ونحن من الاعتراف في ذلك بفضل الله (عج) وإحسانه / إلينا والتدليل له والتواضع فيما منحنا إياه بحيث تبلغه طاقتنا ، فمن ادّعى لنا أولنفسه بنا فوق ذلك فعليه لعنة الله وغضبه ، ونحن براء إلى الله تعالى منه ومن إفكه . والله ما يُريد بنا من زادنا على حقنا الذي من الله تعالى به علينا إلاّ وضعنا ، والله يضع من أراد ذلك ويخزيه ويُرْكِسُه ويُقْصِيه .

ثم قال (عم) : سمعت القائم بأمر الله (عم) يقول : إنّما أراد الدعاة إلى النار الذين انتسبوا إلينا بما نحلّون إياه أنّا نعلم الغيب وما تجنّ الصدور ، وأشباه ذلك ممّا افترّوه علينا ونسبّوه إلينا ، أن يجعلّوه عُدّةً لنفاقهم . فمتى أظهرُوا النفاق قالوا لمن دَعَوْه إلينا / : ليس عند هؤلاء ما وصفنا لكم في الأئمة الذين دَعَوْنَاكُمْ إليهم ، كما قال ذلك بعضهم ، فهلك وأهلك به خلقا من الناس .

ثم قال المعز لدين الله (ص) : إنّ المنتسبين إلينا المتقولين ما لم نقله أعداء لنا وأضرّ من عدوّنا المناصب لنا المباينين بعداوتنا : هؤلاء يدخل من أجلهم الشبهة في أمرنا بما يُظهرونه من تولينا ، [و] أولئك قد باينونا وأضجروا الناس بعداوتنا فليس يدخل من أجلهم شبهة علينا ، فهم أقلُّ ضررا لنا ممّن تولّونا وخالف أمرنا وافترى البهتان علينا .

الجزء العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام في / مجلس في الردّ على بعض المتكلمين :

220 — قال القاضي النعمان بن محمد : ذكرت للإمام المعزّ لدين الله (ص) ما يقوله (1) القائلون بحجّة العقل . فقال لي : يا نعمان أتظنّ (2) أحدا يدفع أن يكون عاقلا ؟ إنك لو سألت أيّ مجنون شئت أن تسأله ، عن عقله لقال لك : لأنّي من أعقل الناس . فالناس كلّهم يدّعون العقل وهم مختلفون في المذاهب . فمن ادّعى منهم حجّة عقله لمذهبه لم يعدّم مخالفا له منهم يدّعي دعواه لنفسه ، ولكن ثمّ شيء يصيح به قول (3) المحقّ وتبطل به دعوى المبطل ، ويميّز بين العقل والجهل .

قلت : ما هو يا مولاي ؟

فأطرق ساعة متبسّما ثمّ قال : العاقل / هو المطيع لله (عج) العاقل بأمره ، المنتهي بنهيّه ، الآخذُ عنه وعن أوليائه . والجاهل ، العادلُ عن ذلك ، المتعاطي علم ما لم يأت عن الله ولا عن رسوله (صلعم) . فهذا فرق ما بين العاقل

(1) أ : يقول .

(2) ب : انظر ، أ : أنتظر .

(3) أ : قدر .

والجاهل . كما أن الفرق ما بين الخير والشر الإباحة والحظر ، فما أمر الله (عج) به وأباحه لخلقيه ونسب إليه عبادة ، فالخير في إتيانه ، وما حرّمه ونهى عنه وحظره فالشر في اقترافه وتناوله . فليس بالأعيان عرف الخير والشر ، ولا بالعقل علم العدل والجور ، ولكن بتحضير الله (عج) وإباحته وأمره ونهيه وتحليله وتحريمه علم ذلك وميزه / . ولو كان ذلك مصروفاً إلى عقول الخلاق وتمييزهم لاستحسنوا كثيراً / من القبح ولاستقبحوا كثيراً من الحسن .

فمن زعم أنه يقطع بحجة عقله في تمييز ما بين الخير والشر والعدل والجور بغير ردّ إلى كتاب الله ، ولا أخذ عن سنة رسول الله (ص) ، ولا أثره علم عن أولياء الله ، فقد اختلق الإفك (1) والزور ، وتمسك بالباطل والغرور . ومن اتبع أمر الله وأمر رسوله وأخذ عن أوليائه (2) فقد اعتصم بحبل الله المتين ، واستمسك بالعروة الوثقى ، وفاز بالسهم الأوفى .

خذ هذا الأصل إليك فإنته قاطع لحجة (3) كل من تعاطى علماً دون أولياء الله ورغب بنفسه عن ردّ ما لا يعلمه إليهم (4) . كما أمره الله . قلت : آخذه والله بشكرك من معدن / العلم وخلف أهل الذكر . وقبلت الأرض شكره له .

وبنيت على هذا الأصل ، وتفرّعت منه فروع كثيرة احتججت بها في كثير مما ألفت من الكتب ، فكانت حججاً قاطعة نافعة (5) . والحمد لله على ما منّني من موادّ وليّه ومنّ به عليّ من بركة حباه ورحمته ، صلوات الله عليه .

كلام في بركة التوسّل بأولياء الله (ص) :

221 - (قال) وركب المعزّ لدين الله (ص) ركوباً للعامّة فلقية الناس في حوائجهم ، ولقيته رجل تاجر من إخواننا وسلّم عليه ، وقبل يده ،

(1) ب : اختلق الباطل الافك .

(2) ب : أولياء الله .

(3) ب : قطع بحجة .

(4) أ : يعلم . وفي النسختين . عن الرد إليهم ما لا ...

(5) أ : نافعة .

ومرّغ عليها وجهه* ، وأهوى إليه برقعةٍ ليدفعها إليه ، فحال الناسُ فيما بينَهُ وبينه ، فانصرف إليّ وأنا في الموكب معه (ص) ، فقال : ذهبَ لي غُلامٌ وأردت رفعَ / بطاقةٍ إلى مولانا (ص) ليأمرَ لي بطلبه فحيل بيني وبين ذلك ، ولم أصِلْ إليه . فلما كان من غد ، لقيتني فقال : ما زلنا نتعرّفُ من أولياء الله ما فيه البواهرُ والمعجزاتُ من أمورهم . (قال) ذكرتُ لك بالأمس ذهابَ العبد واغتمامي بذلك ، وأنّني لما لقيتُ مولانا (صلع) وسلمتُ عليه ، قلتُ في نفسي : اللهمّ إنّني أنقرب إليك وأتوسّل بوليّك في جمّع ضالّتي وردّها عليّ – وقد كان العبدُ ضلّ عني منذ أيّام – فوالله ما هو إلّا أن انصرفت / فلقيتني رجلٌ ما أعرفه ، فقال : ذهب لك شيء ؟

قلت : نعم ، غلام .

قال : فهب لي شيئا وأدلك عليه .

قلت : ما تريد ؟

قال : ثلاثة دراهم . فدفعتها إليه ، / ومضى بين يديّ حتّى صرنا إلى قصر خلّيق ، فإذا أنا بجماعة من البربر ، والغلامُ معهم والمكان خالٍ كما تعلم في فحص أفيح (1) . فلو أرادوا أخذي مع الغلام أو سلكبي لفعّلوا . فلما رأي الغلام جرى إليّ ، وهرب القومُ وتركوه لي ، فانصرفتُ به بين يديّ .

ودفع (2) إليّ رقعة ذكر فيها ذلك ، وقال : سألتك بحقّ وليّ الله إلّا دفعتها إليه .

فدفعت الرقعة إلى أمير المؤمنين (ص) . فلما قرأها تبسّم ، فقلت : يا مولاي أقسم عليّ هذا الرجلُ بحقّك في إيصالها إليك .

وأوقفني (3) على ما فيها ، فقلت له : عندنا من هذا ما لا نُحصيه عددا .

فأطرق أمير المؤمنين (ص) كالمتخذىء (4) لفضل الله عليه / وقال : الحمد لله على ما وهبنا ومنّ به علينا .

(1) «أ» و«ب» : في فحص أفيح .

(2) مولى الفـلام .

(3) أ : وأوقفني .

(4) استخدا واستخذى بمعنى .

وفي مثل ذلك من بواهر أولياء الله (صلع) :

222 - (قال) وسمعت (صلع) يقول : أخبرني فلان - وسمي رجلا كان قد قدم إليه رسولا من بعض دعاة أهل المشرق بأموال من أعمال المؤمنين وأمتعة في أحمال (1) ، وكان من ثقات المؤمنين أهل الصدق والأمانة - أنه مرّ في طريقه بالمشرق بأصحاب مكس (2) يُغرمون الناس على (3) أحمالهم وهو في رفقة (4) عظيمة ، قال : فأخرجت (5) ما يلزمني لهم من الدراهم ، وأمستها بيدي ، وقعدوا على مضيق لا يمرّ بهم إلاّ البعير ، وكلّ (6) من مرّ بهم دفع إليهم بقدر ما معه . (قال) وقعدوا على / ثلاثة مواضع موضعا بعد موضع ، يُغرمون كذلك لا يكاد أحد أن يخفى عنهم ، ولا يمرّون بهم إلاّ وحّدانّا . (قال) فمررت بالقوم الأولين ، فلا والله ما منهم (7) أحد نظر إليّ ولا عرض لي ، كأنّ الله قد طمس أعينهم عني ، فما كلمني أحد منهم . ثم مررت كذلك بالآخرين الذين بعدهم ، فكان ذلك سبيلهم ، ما عرض لي أحد منهم .

ثمّ قال المعزّ (صلع) : فذكرت ذلك لفلان ، يعني رسولا أيضا قدّم بمثل ذلك من قبيل ذلك الداعي ، وهو رجل أيضا من أهل الصدق والولاية والأمانة . (قال) فحلف لي بالله لقد كان ذلك حاله فيما اجتاز به ، وما عرض له أحد فيه لكأنتما سكرت (8) أبصارهم عنه / .

كلام في مجلس جرى في ذكر المحن :

223 - (قال) وذُكِرَ له (ص) يوما ضعف المتغلبين من بني العباس بالمشرق ومن يأتهم بهم ، ويدعو إليهم ، ويتسمّى بطاعتهم ، ووهن أمورهم ، وما أيده الله به وشدّد من (9) سلطانه ، وأكّد من عزّه ، وبسط من قدرته ، وجرى بذلك

(1) أ : أعمال .

(2) أ : بياض بمقدار كلمة .

(3) أ : عن .

(4) أ : رقعة .

(5) ب : فخرجت .

(6) ب : فكل .

(7) ب : منهم .

(8) سكر البصر (بالمعلوم والمجهول) : تعير وحبس عن النظر .

(9) أ : وما أيده الله وشدّد سلطانه .

القول . وقال بعض من في المجلس : أرجو أن وعد الله قد قرب (1) ، وهذا — إن شاء الله (تع) — أو أن الفرج .

فقال المعز (صلع) : فماذا تقولون فيما مضى على آبائنا من المحن ولهؤلاء المتغلبين من * الإقبال والدول ؟ أذلك شيء أعطاهم الله إياه أم غلبوا على أمره فيه ؟ فقالوا : الله ووليّه أعلم .

فقال (عم) : إنّه كان فيما أوحى (2) الله (عج) إلى داود : / يا داود إنّ وكّدك سيكون منهم من بعدك ما يوجب عقوبتهم ، وإنّي لست أنزعُ منهم ما أعطيتك ، ولكن من عصاني منهم فبالعصا أقومّه ؛ ثم تنفس الصعداء (ص) وقال : في هذا مقال له مقام . وإنّه فيما يروى أنّ القائم منا إذا أسند ظهره إلى الكعبة البيت الحرام ، وقام خطيباً للناس (3) فحينئذ يقوم لكلّ (4) ما عنده .

فقبلنا الأرض وقلنا : نسألُ الله أن يجعلنا ممّن يلحقُ (5) ذلك ويفوزُ بمشهدِهِ بين يديّ وليّه وابن نبيّه .

كلام في بواهر أولياء الله (ص) :

224 — (قال) ونظر المعز (ص) يوما إلى بستان قد اغترسه وحوط عليه بجهة وادي القصارين (6) ، وكان ذلك الموضع موضعاً موحشاً قبل ذلك خالياً ، / بعيداً من حدّ المدينة ، لا يظنّ أحد أنّه يُحتاج إليه شيء ، فلمّا اغترسه (ص) ، وأدار عليه حائطاً ، وأجرى فيه النهر ، أبتع بأصناف الشجر والرياحين والخضر والنّوار ، وصار من أحسن بستان رآه الناس .

(1) أ : قريب .

(2) ب : أوصى .

(3) ساقطة من أ .

(4) ب : بكل .

(5) ب : يخلق .

(6) وادي القصارين : مسيلة صغيرة متصلة بوادي زرود ، تفصل بين المنصورة والقيروان وترتبط بالمجرى الكبير جهة الشرق . ذكره ابن عذاري (البيان ج 1 ص 243) : « ... فقالوا (المسكر) إلى وادي القصارين وإلى باب تونس أحد أبواب القيروان ، فنهبوا ما كان عند القصارين » . وفي اللسان (قصر) : القصار والمقصر المحوّر (الغاسل) لأثياب لأنه يدقها بالقصرة التي هي القطعة من الخشب .

فقال المعزّ لدين الله (ص) يوما وقد نظر إليه : لقد مررت يوما بهذا الموضع وأنا مع المنصور [و] فيه حفرةٌ يضرب منها الطوب أو ينقل منها (1) تُراب (ص) فقال : فقلت : وما الذي يراد من هذا الموضع يا مولاي ، والانتفاع به في مثل هذا من ضرب الطوب ونقل التراب أحسن ؟ [قال] فنظر إليّ وتبسّم وقال : امنعه (2) على كل حال وسوف * تحتاج إليه .

قال المعزّ (ص) : ففعلت ما أمر (3) به لترك الاعتراض / عليه وأنا أرى أني لا أحتاج إليه ولا غيري لشيء أبدا . (قال) فوالله ما أفكرتُ في قول المنصور (صلع) هذا إلا اليوم ، كأنه شيء قد كان عرفه (صلع) .

كلام جرى في مجلس فيما يريد (4) وليّ الله لأوليائه من الخير :

225 — (قال) وذكر المعزّ (ص) يوما رجالا من رجال الدولة فاستعجزهم عما كان يؤمله منهم ويرجوهم له ، وقصّر بهم عن أن يبلغوا أمّله فيهم ومحبوته لهم من العلم والأمانة والكفاية فيما يريد لهم له ، ويؤمله أن يبلغ بهم إليه من درجات المعالي . وقال : عجب لقوم قد ساق الله (عج) إليهم سعادة الدنيا والآخرة فخلقوا أنفسهم عما سيق إليهم منها . والله إن أريد بهم إلا أن يكونوا أعلام الناس ورؤساءهم ، وما أحب أن يسبقهم أحد إلى فضيلة ولا مكرمة ولا قرب حال مني ولا حسن منزلة ، لكنني لم أجد فيهم كل ما أريده .

فقلت : يا مولاي ، ومن ذا تجد فيه كل ما تريده ، والذي يريده أولياء الله من العباد ما لا يكون إلا فيهم (ص) ، فهم الذين أبانهم الله (عج) بالكمال ، وأعجز الخلق عما أبانهم به . ولولا فضل أولياء الله ونعمدهم وصفحهم عنا لما كنا شيئا . إن الله (عج) يقول : «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا (5)» ،

(1) أ : منه .

(2) أ : نعه .

(3) أ : ما أمرت .

(4) أ : يريد .

(5) النور ، 21 .

وإن كان أمير المؤمنين لم يبلغ إلى مُرادِه ممّن أحبّ بلوغَ الخير به ممّن ذكرهُ فَإِنَّ أمرهمُ اليومَ — بحمد الله في أيتامه / الظاهرة ودولته الطاهرة — من الطاعة والاهتقانة وتحريّ الحقّ والسلامة وتوقّي النقيصة على خلاف جميع أهل الأرض وخلاف ما كان عليه ممّن مضى من قبلهم مع الأئمّة الماضين (ص) ، وكلّ يوم — بحمد الله — في أيتام أمير المؤمنين الزاهرة ودولته الطاهرة يأتي ، فهو أحسن ممّا مضى فيما عليه جميع الأحوال .

فقال (عم) : أمّا ذلك فهو كذلك والحمد لله ، ولكنّا أردنا بلوغ الأمل في أوليائنا .

قلت : يبلغ الله مولانا أمله في أقرب وقت يحبه .

قال : ما شاء الله .

ثمّ ذكر القائم (ص) فقال : لقد سمعته أيتام الفتنة وهو يقول لبعض الأولياء : والآله ما أعلم بيني وبين الله ذنباً / يجب أن أبتلى من أجله بمثل هذا البلاء ، وما نقسم هؤلاء علينا (1) إلاّ فعلكم فيما خالفتم فيه أمرنا ، ولو كنتم عندمّا أمرناكم به امتثلتموه (2) ، ما أصاب هؤلاء عليّنا مقالا يقولونه ولا شيئاً يذكرونه .

ثمّ قال المعزّ لدين الله (ص) : جرى الله عناّ خيراً ممّن امتثل أمرنا ولم يجعل لعدونا مغزراً ولا مقالاً فينا (3) بارتكاب نهيننا وتعدّي أمرنا .

كلام في مسابقة جرى في فضل أولياء الله :

226 — (قال) وسأيرت المعزّ لدين الله (صلع) يوماً فذكر كتاباً نظر فيه في الليل فقال : أرقت البارحة وأحسست فتوراً ، فأخذت كتاب (4) كذا — وذكر كتاباً سمّاه — فنظرت فيه . وذكر شيئاً تعقبه / منه تكلم عليه كلاماً طويلاً ، وجاء فيه بحجج باهرة عجيبة .

(1) أ : عليكم .

(2) ب : وامتثلتموه ، وهي قراءة صالحة لو فصلنا « عند » و« ما » في الجملة الظرفية .

(3) ناقصة من ب .

(4) ب : كتاباً .

فقلت : يا مولاي ، مثل هذا يخطر على ما ذكره أمير المؤمنين من الكلال والفتور
والسهر والسامة ؟

فتبسّم إليّ وقال : سمعت المنصور بالله (ص) يقول في بعض ما
أوصاني به : متى أردت تأليف (1) كتاب أو تعقبه أو النظر في أمر
تريد إحكامه ، فتوخّ لذلك حين السامة والكسل والفتور . فإنّ أنفُسَ أولياءِ
الله أقوى ما تكون إذا ضعفت أبدانهم وفترت وكلّت قواهم ، وكذلك يكون في
حين مفارقة أجسامهم ووقت انتقالهم من الدنيا لعليلها بفضل ما تصير إليه ، وذلك
على خلاف ما عليه أنفُسُ أهل الدنيا ، لأنّ / أنفسهم أقوى ما تكون إذا
صحت أبدانهم ووثقوا بالمقام في دنياهم . ومتى ضعفت أبدانهم ضعفت
أنفُسُهم ، لأنّ أنفُسُهم خدّم أبدانهم ومعلقة بدنياهم .

(قال) فما أخذت في شيء من هذا (2) على ما وصفت فوجدتُ من نفسي قوة
إلا ذكرتُ قوله (صلع) .

كلام في تعلق المخالفين بأدنى ما يجلون في الدين من العليل :

227 — (قال) وذكر لي يوما — وأنا أسأيره — شيئا رآه في بعض ما ألّفته
في الاحتجاج على من خالف مذهب أهل البيت (ص) من العامة ، واستجاد
القول فيه (ص) ثم أفادني شيئا كنت أغفلته ، وقال : يجب أن تدخل مثل هذا
فيه لتقطع به مقال من عسى أن يقول / شيئا فيه ، فإنّ أعداء الله قد يسمعون
من حجة الله لنا عليهم ما لا يشكون فيه ولا يمترون في أنّه الحق (3) فيسكتون عنه
حتى إذا مرّ بهم شيء يدخل منه (4) بعض الشبهة عليهم تنبهوا له وتكلّموا فيه ،
وموتوا من أجله .

ثمّ قال : سمعت المنصور بالله (ص) ذكر نحوه من هذا من حالهم . ثمّ قال :
إنّما مثلهم مثل الذباب قلّ ما يقع من البدن إلا على موضع جرح أو أثر أو بشرة
أو حيث يكون بلة أو ميدة .

(1) ناقصة من ب .

(2) « من هذا » ناقصة من ب .

(3) « فيه ولا يمترون » ناقصة من ب .

(4) أ : فيه .

كلام في مسامرة في ذكر تغلب المتغلبين وأمر فذك :

228 — (قال) وسأيرت الإمام المعزّ لدين الله (صلع) فذكر رجلا ينتحل الولاية .
وأنته بلغه أنه ألف كتابا في الردّ على أبي بكر في انتزاعه / فذكا من فاطمة صلوات
الله عليها ، وأنّ بعض من وقع إليه ذلك الكتاب ممّن يقصّر (1) فهمه من
المتسمين بالولاية أعجبه وبالغ * في مدحه .

فقال المعزّ (ص) : عجبا لمثل هؤلاء ! يذكرون من أمر فذك ،
ويعظّمون ما كان من انتزاع القوم إياها من فاطمة (عم) ، ويدعون
ذكر ما هو أعظم وأجلّ منها ، وما بسبيله والتغلب عليه قدروا على انتزاعها ،
وهذا (2) ما جعله رسول الله (ص) لعلّي (ص) من الإمامة وأمر الأمة من بعده ، فممنوعه
ذلك وحالوا بينه وبينه ، واهتضموه حقه ، وجلسوا مجلسه . فيدعون ذكر هذا
الذي هو الأصل والقسط / ويتشاغلون بذكر فذك وغير فذك ممّا هو أقلّ من أن /
يلتفت إليه ويشتغل بذكره . لو لم يكن للقوم إلاّ انتزاع فذك لرجّنا لهم عفو
الله ، ولو سلّموا الأمر لمن جعله الله له واقتعدوا (3) بفذك وأمثالها لما التفت إليها .

ثمّ قال : فتكلّم على فساد أصلهم وأساس ما بنوا عليه أمرهم ، فإنّ من فسد
أصله ووهى أسسه فسدت أغصانُه ووهى بنيانُه . فأما فذك ومثل فذك فنحن
نُعرض عنها لهم وندعها لمن تقلّدَها منهم .

حديث في حليم المعزّ لدين الله (صلع) وصبره وتغمّده :

229 — (قال) وذكر المعزّ لدين الله (ص) يوما رجلا كان ورد عليه من جهة المغرب
يُعنى بعلم النجوم ، فأحسن أمير المؤمنين (صلع) نزله وكسّاه وحمله ووصلته /
وأجرى عليه جرایة لقصده إياه من بعيد ورحلته (4) . إليه ، ولم يلبث إلاّ قليلا حتّى
سأل الإذن له في الانصراف فأذن له . وكنا نتعجب لذلك منه . فقال المعزّ لدين
الله (ص) لي يوما — وأنا بين يديه — ألا أخبرك بسبب انصرافه ؟

(1) ب : يقص .

(2) وهذا في أ وب . ولعل الصواب : وهو .

(3) ب : واقتعدوا .

(4) أ : من بعد رحلته .

قلت : يفعلُ من (1) ذلك أمير المؤمنين ما رآه .

فقال : إنَّ هذا الرجلَ لمّا وفد علينا وصار إلينا من فضلنا ما صار ، حسدهُ *
بعضُ أهل صنّعتِه ممّن أولِجَ بالشّناعة علنا ، فذكر له رجلنا من المواليده
فقال : ما ترى لمن وُلد هذا المولد ؟

قال : أرى النّحّوسَ قد أظلتّه ، ولا أشكّ أنّ أيّامه قد انقضت .

قال له : فكذلك الذي أنت في نزله وقصدك إليه — يعينا — / وهذا مولده .
فرأى الضعيفُ العقلَ أنّ انصرافه بما نال منّا غنيمةً ، فسألنا الإذن — وقد انتهى
إلينا ما قيل له — فأذنّا له ، فانصرف . ولقد رفع إلينا في حين انصرافه رقعةً يعرّض
فيها بالمسألة (2) . وقد كنت قبل ذلك أمرت له بما يتّبي دينار ، فصُرتُ في صرّة ،
وكنت على البعث بها إليه ، ثمّ نظرت إلى وة ، رَفَعَه فرأيتُه وقتَ سعد . فقلت :
لا أظنّه إلّا وقد تحرّى لرقعته هذا السّعد ولكنّي والله لا أبطلتُ ذاك عنده ،
فتركتهُ على أن نجعلها له في وقت آخر على غير سؤاله . فأُنسيتُها (3) وخرج
محروما .

فقلت له : لقد أعطى الله وليّه من الصّبر والحلم والتّغمّدِ ما لا أظنّه أعطاه /
أحدا .

فقال (عم) : أوّلَمْ أخبرك عن فلان منذ مدّة بأنّه يتكلّمُ غيبا وكذّابك
عن كلامه ، فرأيت ذلك أغضبك وأهاجك عليه ، وقلت لي : وددت أنّي
ظفّرت به فيما يوجب بسطَ اليد بالمكروه إليه ، فأنيّله من ذلك ما أشفي به
صدري منه ؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قد كان ذلك وإنّي عليه .

قال : أفكنتَ فاعلا به ومنتقيماً منه بمثل انتقام الله (عج) لنا ؟

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : أوّما بلغك خبره ؟

(1) أ : يفعله ذلك ...

(2) المسألة ، أي سؤال الرّفد والعطاء .

(3) ب : فأبقيتها .

قلت : لا والله .

قال : قد هلك مذ ثلاث بأكلته أصابته في فمه فأكلت داخله وخارجته

قلت : إلى غضب الله .

قال : نعم ، وإلى سعيه وناره . أتدري ما كنت عندك (1) فيما بلغنا عنه ؟

قلت : لا ، إلا أن يخبرني أمير المؤمنين / .

قال : حكم علينا فيما دلته بزعمه عليه النجوم بأن أمرنا * ينقطع ويَزول في الوقت الذي قطع الله فيه مدته بالآفة التي أصاب بها ما لفظ بذلك به ، أفكُنَّا نقدِر على أن نفعل به أكثر من هذا ؟ إن كثيرا ممن يتصل بنا أذاهُ وقولُه فينا لربما قيل لهم : أما تخافون أن يعلم بمثل هذا منكم ؟ فيقولون : هو ممنوع منا . ثم تبسم (ص) وقال : نعسم والله ، إني لَمَمْسُوعٌ مِنَ الظلم والتعدي ، وإن الله (عج) لينتصر لي وينتقم ممن تناول مني ما ليس له . أما والله لو شئت لبطشت بهم ولا نتصفت منهم ، ولكني لو فعلت ذلك وعلم الناس أنني أنتصر لنفسي من مثل هذا لأكثروا من البغي من بعضهم على / بعض ، وشغلوا صدري بذلك كما شغلوا به من قبلي ، ولكنني تغافلت عنهم ، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ، وهو أعلم بما يُسرّون وما يعلنون .

قلت : الحمد لله الذي منح أمير المؤمنين هذا الفضل العظيم ، وأبانه بهذا البرهان المبين ، ووسمه بالأناة والصبر والحلم وولي الانتقام له من أهل البغي والظلم . وأمير المؤمنين وسلفه ، كما قال أصدق القائلين : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (2) .

ثم ذكرت في مثل ما ذكر من منعه المنجم المحروم ، وما منعه لئلا يرى أن علمه بالنجوم وتوحيته ساعة السعد ، به نال ذلك ، ما رويناه عن جعفر بن محمد (ص) أن دارا / صار له نصفها عن بعض مواليه ونصفها لرجل كان يعنى بعلم النجوم ، وأنه دعاه (ص) إلى قسمتها فسوّف ذلك إلى أن اختار لنفسه ساعة سعاد ، فأتاه فيها بعد مدة يسأله القسمة ، فأرسل معه من يقاسمه ، فانصرف إليه يذمّ علم النجوم وقال : يا ابن رسول الله (ص) كنت أحب ناحية

(1) كذا في النسختين ، ولعل الصواب : أتذكر ما كنت به عندك ، إشارة إلى تليح من المزمز إلى النعمان في شأن هذا الخصم المنرض .

(2) آل عمران ، 34 .

من هذه الدار فَمَطَلْتُ بِقِسْمَتِهَا إِلَى أَنْ تَخَيَّرْتُ لِنَفْسِي سَاعَةً سَعِدَ وَوُثِقَتْ فِيهَا بِأَنْتِي أَنْالُ بِغَيْتِي . فَلَمَّا قُسِّمَتِ الدار وَرُمِيَ السَّهْمُ وَقَعَ لَكَ مَا كُنْتَ أَحَبَّ وَلِي مَا كُنْتُ أَكْرَهَ .

فقال له أبو عبد الله (صلع) : لولا أن ترى أن اختيارك أصارك إلى ما تحب لأعطيناك ما أحببت ، نعم ، ولتركنا الكل لك / ، ولكن لا والله ما تأخذ إلا ما صار لك . ولكنتي أفيدك ما إن قبيلته كان خيرا لك ممّا أردته .

قال : وما هو ، جعلني الله فداك ؟

قال : إذا أصبحت فتصدق بصدقة فإنها تذهب عنك نحس يومك ، وإذا أمسيت فتصدق بصدقة فإنها تذهب نحس (1) ليلتك . فتبسم المعز لدين الله (ص) وقال : هو كما قال (عم) .

كلام جرى (2) في ذكر قبول الحق ودفعه :

230 - (قال) وسأل ابنُ واسول أن يصلّي في الجامع صلاة الجمعة فأذن له أمير المؤمنين (صلع) اقتداء بفعل جدّه عليّ (ص) إذ كان فيما يؤثّر عنه أنّه كان يدع من أراد شهود الجمعة من أهل السجن أن يأتوها ثمّ يعادون إلى السجن إذا قضيت الصلاة . فحضر ابن واسول كذلك صلاة الجمعة وهو مقيد ، وجلس في الحلقة بعد الصلاة يستمع المسائل ، وجرى من ذلك بعض ما يخالف قوله فبيّنته له ، فرأيت أنّه اعترف بالحق فيه وانقاد إليه .

ودخلت من غدٍ إلى أمير المؤمنين (صلع) فقال : أمّا إن ابن واسول أعجبه أمس (3) ما سمع منك ، وقال : لقد انتفع بصحبة الأئمة وأفاد عنهم علما جمّا . فما الذي سمع منك (4) ودار بينك وبينه ، وكيف رأيته ؟

فذكرت له ما دار من الكلام وقلت : هو رجل قد قرأ كتب العامة إلا أنّه بربري الطبع ، وكأنّه ظن أنّه ليس الحق إلا ما انتهى إليه ، فرأيتّه إذا سمع

(1) ب : سقط : يومك ... نحس .

(2) ب : جرى في مجلس في ...

(3) أ : أسر .

(4) ب : سقط : وقال لقد انتفع ... منك .

الحق أصغى إليه ، وإذا بُيِّن له وُشِّرح وفُسرَّ مجملُه رجع إليه وانقاد ، ولم يلسج في الباطل كما يفعل كثير ممن / انتحل مذهبا ونشأ عليه ممن نشأه .

فقال المعزّ (ص) : هذا سبيل أهل الإنصاف * ومن يُريدُ اتباعَ الحقِّ . فأما من جمع في الغيِّ وآثر حبَّ الرئاسة في الدنيا ، وأنف من الرجوع عما هو عليه من الباطل لثلاثاً تنقصُ رئاسته ويتضع حاله عند العامة - نظير قوم ذكرهم - فأولئك ممن قال الله (عج) [فيهم] : « صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (1) » . وكان من شرارهم من لعنه الله وأصلاه جهنم وساءت مصيرا ، مظفر (2) اللعين ، فإنه ما كان يدين لله بدين .

قلت : والله يا أمير المؤمنين لقد كنت إذا قرأتُ على الناس ما أمر أمير المؤمنين بقراءته عليهم من الحكمة يوم الجمعة (3) ، كثيرا ما أنظر / إليه (4) في جملة الناس فيقع بقلبي أنه من بينهم كلهم غيرُ مصدق بما سمعه وأرى ذلك في وجهه

(1) البقرة ، 171 .

(2) مظفر : أحد الموالي الصقالبة الذين خدموا الفاطميين ، مثل جوهر ، وميسور ، وقيسر ، ذكره المقرئ (أتماظ 145 والخطط ج 2 ص 158) فقال « انه علم المعز الخط وهو صغير فكان يدل عليه » وقال ان المعز قتله لأنه شمه بلفته . ولعل السبب الحقيقي هو ، كما قال M. Canard في ترجمته لسيرة الأستاذ جوذر (ص 57 : Vie ...) ، أن الفتيان الصقالبة قد طلى نفوذهم على الخليفة نفسه فتخلص من بعضهم مثل قيسر ومظفر سنة 960/349 .

(3) مجالس الدعوة : يذكر القاضي النعمان أنه يقيم بعد صلاة الجمعة درسا في الدعوة الاسماعيلية بأمر من الإمام . وجاء في خطط المقرئ (ج 2/223-224) أن القاضي محمد بن النعمان جلس على كرسي بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المتأد المتقدم له ، ولأخيه بمصر ، ولأبيه بالمغرب ... ، وقال : « ... ان الفقهاء يتفقون على دفتر يقال له « مجلس الحكمة » في كل يوم اثنين وخميس » ويحضر مبيضا إلى داعي الدعوة ، فينفذه إليهم ويأخذ منهم ويدخل به إلى الخليفة في هذين اليومين المذكورين فيتلو عليه أن أمكن ويأخذ علامته بظاهره ، ويجلس بالقصر لثلاثة على المؤمنين في مكانين : للرجال على كرسي الدعوة بالايوان الكبير ، وللنساء بمجلس الداعي ... وكان الداعي يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الأولياء والدعاوي المتصلة ، فكان يفرّد الأولياء مجلسا ، وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلسا ، ولعوام الناس وللطوائف على البلد مجلسا ، وللنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مجلسا ، وللحرم وخواص نساء القصور مجلسا . وكان يعمل المجالس في داره ، ثم ينفذها إلى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتباً يبيضونها بعد عرضها على الخليفة . وكان يقبض في كل مجلس من هذه المجالس ما يتحصل من النجوى ... وكانت تسمى مجالس الدعوة « مجالس الحكمة » . وفي سنة 400 ، كتب سجل عن الحاكم بأمر الله ، فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والنجوى التي كانت آتحتل ويتقرب بها وتجرى على أيدي القضاة . وكتب سجل آخر يقطع مجالس الحكمة التي تقرأ على الأولياء يوم الخميس والجمعة .

وقد قرأ القاضي النعمان كتابيه « دعائم الإسلام » و« تأويل الدعائم » في مجالس الدعوة . واشتهرت كتب كثيرة بعنوان المجالس لأنها كانت تقرأ في مجالس الدعوة ، نذكر منها : مجالس المؤيد في الدين الشيرازي ، والمجالس المستنصرية ، ومجالس حاتم بن إبراهيم الحامدي ، الخ ...

(4) ب : لقد كنت كثيرا ما ... يوم الجمعة أنظر إليه .

أ : لقد كنت كثيرا ما ... الجمعة ما نظر إليه .

وشمائله وعينيّه ، فأقول كثيرا في نفسي : أخشى أني آثم بهذا الظن فيه وأحاسب نفسي بذلك .

فقال المعزّ لدين الله (ص) : لا والله ، ما أنت في ذلك آثم ، بل مصيب لما كان عليه . ولقد سمعتُ منه غيرَ مرّةٍ ما دلّ أنّه ما يعتقد شيئا من الإسلام . ولقد قال يوما - وقد جرى ذكر محمد النبي (ص) وابتداءُ نبوته - فقال اللعين ، لعنه الله : هذه من حيلِ العرب . فما كان يعتقد الإسلام أصلاً ، فكيف إمامتنا وما نحنُ عليه ؟

قلت : هو ما قال أمير المؤمنين فيما يظهرُ منه . أمّا صاحبه / قيصر (1) فإنه كان يميل إلى هذا الأمر ولكنّه هو كان شيطانه .

فقال (ص) : هو كما قلتَ : قد كان يميل إليه (2) ، ولكنّه لم يكن يحبّ أن يَرى على ظهر الأرض أحداً إلّا واقفاً تحت أمره ونهيه ومِن تحت يده . قلت : أمّا هذا فهو المعروفُ منه .

قال : ومن كانت هذه إرادته ، لم يُردّ أن يكون الأمرُ إلّا له ، وهذا أعظمُ الجُرمِ وأسوأ الاعتقاد .

قلت : لا جرمَ إنَّ الله تعالى عجل انتقامه منهما بيدِ وليّه وأضلاهما وبيل عذابه . ولو عملاً بأمر الله وسلّماً لوليّه لكانا على أفضل حال في الدنيا والآخرة .

فقال : أجل ، والله ما كان الله (تع) ليُسَلِّطنا * عليهم بمثل ما سلّطنا به إلّا بعد أن أسرفا (3) / على أنفسهما - وأسفاه ! - بسوء (4) فعلهما . قال الله تعالى : « فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمُ » (5) .

قلت : نعوذ بالله من انتقامه وسطوات أوليائه ومما يوجب ذلك من معاصيه .

(1) قيصر : مولى آخر من عبيد المعز الصنّالية ، قتله المعز مع مظفر .

(2) سقط من ب : فيما يظهر منه ... كان يميل إليه .

(3) ب : أمرنا .

(4) سبق ، في « ب » .

(5) الزخرف ، 55 .

الجزء الحادي والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث في مجلس في ذكر النجامة :

231 — قال القاضي النعمان بن محمد : ذكر الإمام المعزّ لدين الله (صلع) يوماً — وأنا بين يديه — النجامة والمنجّمين فقال : من نظر في النجامة ليعلمَ عِدَّةَ (1) السّنينَ والحسابَ ومواقيتَ اللَّيل والنهار وليعتبرَ بذلك عظيمَ قدرة الله جلّ ذكره ، وما في ذلك من الدلائل على توحيده / لا شريك له ، فقد أحسن وأصاب . ومن تعاطى بذلك علمَ غيب الله والقضاء بما يكون فقد أساء وأخطأ . ولقد كان المنصور بالله (ص) من أعلم الناس بها ، ولقد قال لي غيرَ مرّة : والله ما نظرتُ فيها إلّا طلباً لعلم توحيده الله وتأثير قدرته وعجائب خلقه . ولقد عاينتُ ما عاينتُ من الحروب وغيرها فما عميت في شيءٍ من ذلك باختيار من دلائل النجوم ولا التفتُ إليه (2) .

(1) أ : مدة .

(2) مر الحديث عن علم المنصور بالنجوم وعدم إيمانه بتأثيرها . انظر ص 132 .

ثم قال المعزّ (ص) : أتاني بعض المنجمين بكتاب ألفه يذكر فيه خلق آدم وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله (عج) ، وما دلّلت عليه ممّا آل أمره وأمر ذريته إليه ، ورأى أنّه أتى في ذلك إليّ بفائدة وعِلْم سبق / إليه . فلمّا وقفت على كتابه سألته فقلت : هذا خلق آدم قد ذكرته ، وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله (عج) فيما زعمت ، فهل كان قبل آدم شيء ؟

قال : نعم ، قد كان قبله .

قلت : فما كان قبله (1) ومن كان ، وكيف كانت هذه الكواكب قبل ذلك ، وما دلّلت عليه قبل خلق آدم ؟

فلم يُحِرْ جواباً وقال : هذا شيء ما ظننت أنّي أسأل عنه .

قلت : وهذا الذي تكلفته وجئت به ما سئلت عنه أيضاً، فكيف تكلفته ؟ فعجبت من قوم يتيهون فيما لا يعلمون ويتعاطون ما لا يدركون (2) ، وحسبهم لو أخذوا * عن أولياء الله ما يُعطونهم إياه وسألوهم عمّا (3) ينبغي لهم أن يسألوهم عنه ولم يتكلفوا ما لم يُتعبّدوا / به ولا كلّفوه ولا سئلوا (4) عنه .

حديث في مجلس في ذكر المنصور بالله (صلع) :

232 — (قال) وذكر المنصور بالله (ص) فقال : كان — والله — تاج آل محمد (ص) وزينتهم وجمالهم وواحدتهم علماً وورعاً وزهداً وجمالاً (5) وحلماً ونزاهة وشجاعة وإقداماً . ولقد كان ، قبل أن ينتهي أمر الإمامة إليه في أيام المهديّ بالله والقائم صلوات الله عليهما ، أقلّ الناس حرصاً على الدنيا والتفاتاً إليها وشغلاً بها . وكان الذي يصير إليه من مثل ما يصير إلى العمومة والإخوة يُباركُ (6) فيه على قلّة اشتغاله بالكسب والفائدة ، واجتهادهم في ذلك وكلفهم به . وكانت

(1) ناقصة من أ .

(2) ب : يدرون .

(3) أ : ممّا .

(4) ب : ولا سألوهم .

(5) أ : مجالا .

(6) في « أ » و « ب » : يترك . وقد استصوبنا قراءة ناشري سيرة الأستاذ جوذر اللذين نقلنا نص النعمان هذا ص 170 تعليق 67 .

نعمته وخيره علينا وعلى أهله أوسع وأكثر من خيرهم على بنهم / وأهليهم أضعافا مضاعفة ، حتى لقد كنّا نستكثر ذلك ونقول له فيه ، ونذكر أنّه لا حاجة لنا بكثير ممّا يصيرُه إلينا من الخيرات ، فيقول : اتسعوا وتمتعوا ! فهذا فضل من فضل الله استعملني له فيكم⁽¹⁾ ، واستخدمني فيه لإرفادكم وحسن معاشكم ، ومن وسّع الله عليه فينبغي له أن يوسّع على من جعل أمره إليه .

فكنّا أفضل أهل الجماعة من الأقارب ، حتى إذا أصرّ الله الأمر إليه ، اشتغل بأمر الأمة وأعرض عنا وعن نفسه وقصّر بنا وبه عن كثير ممّا كان عودنا وتعود ، حتى لقد قال له بعض العيال - ممّن أليمّ لذلك - : ليت أنا كنّا بحسب ما كنّا (2) قديما قبل أن يفضي إليك / هذا الأمر !

فقال : كنتم يومئذ همّي وحدكم ، وأنا اليوم أهتمّ بجميع الأمة (3) .

ثمّ قال (ص) : لقد مضى - قدّس الله روحه وصلى الله عليه - وما تمتّع من الدنيا بما يتمتّع به من يملك مائة دينار فما دونها ، وقاسى من الحروب والتعب والنصب ما على الله ثوابه ، ونحن اليوم نتقلب في النعم ونُسمي ونُصبح في الدعة والأمن واستقامة الأمور لنا فيما نحمد الله حقّ حمده عليه . وما فكّرت فيما كان فيه (ص) وفيما أنا اليوم بسبيله إلاّ ذكرتُ ما كان عليه داود من الحروب والتعب والنصب ، وما أصرّ الله (تع) إليه سليمان (عم) بعده من الملك والسّعة والبسطة واستقامة الأمور .

ثمّ حمد الله وأطرق ملتيا وظهرت عليه خشية وكآبة ، واستعبر (ص) ، إعظاما لنعمة الله (عج) عنده وما وهبه الله له وأنعم عليه به ، وإن كان ما يتلذّذ في

(1) ب : فيه لكم فيكم .

(2) بحسب ما كنا ، ساقطة من ب .

(3) نجد في سيرة الاستاذ جوذر (ص 62) نص رسالة من المنصور في هذا المعنى جاء فيها :

« فاسألوا أهلي وولدي كيف كان إحساني إليهم وفضالي ونعمتي عندهم . والله ما كانوا يرضون مني بما يكفني ويزيد حتى يأخذوا مني أسرافا جزافا ، وإنهم بعد أن افضت إلي الامامة والخلافة أقدم ضاعوا بعمدي وعمدوا الفضل والاحسان الذي كنت عودتهم إياه ، اشغلي بأنقال ما حملت من أمر العباد عن التجارة ، وما كنت عودته أهلي وولدي من تلك العادة » .

وقد تنبه ناشر السيرة إلى قرابة النصين فأوردا نص المجالس هذا في تعليقهما (عدد 67) على رسالة المنصور .

ولا نستبعد أن يكون النعمان استلهم حديث المعز هذا من رسالة المنصور .

ذلك بكثير مطعم ولا مشرب ولا نكاح ولا طرب ، وما تُلذِّذُه إلاّ بالحكمة ، ومثل هذه التذكرة والمواظ الحسنة .

ولقد انتبه لأمره (1) ابن واسول، وهو أسير في عقلته، على غباوته وغلظ طبعه ، وقد سأل عن أحواله في لياليه وأيامه ، فأخبر أنه إذا أصبح خرج من منزله وجلس في مجلسه ودخل إليه خاصّة أوليائه وخدميه ، فلا يزال جالسا إلى أن ينتصف النهار ويحضر وقت الغداء ، وهو / - طول ذلك - في وجوه ما يأمر به ويحكمه من أمر المملكة ، والحديث في مثل هذا من العلم والحكمة . وإذا حضر وقت قيامه دخل مطعم وصلّى ونام نومة، ثمّ قام فصلّى العصر وخرج إلى مثل ما كان عليه ، ولا يزال كذلك إلى الليل، ثمّ يدخل ويحضر خاصته وينظر في الكتب والعلوم ويؤلف الكتب أكثر ليله . فهذا دأبه إلاّ أن يخرج في بعض الأيام لما يخرج إليه من [ال]طبّاع [على أحوال] الناس والتفرّج . فيركب في صدر النهار ثمّ يعود فيجلس في آخره .

فعجب ابن واسول من هذا عجباً شديداً . وقال : إذا كان هذا مع إقبال الدنيا والسّعة والعزّ وعنفوان / الشّبيبة والقدرة ، فما عبّد الله بمثل هذا .

فصل من كتاب كتب به المعزّ (صلع) إلى طاغية الرّوم في أمر أهل أفریطش (2) :

233 - قال : وكان طاغية الرّوم (3) قد رغب إلى أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) في الموائعة ، وبذل له على ذلك أموالا ، وكانت رغبته إليه في الموائعة مدّة طويلة أو أبدية إن وجد ذلك . فرأى الإمام ،

(1) الحديث الآن عن المعز .

(2) قضية جزيرة إفریطش : نشر حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف في ملاحق كتابهما رسالتي المعز إلى الإخشيد صاحب مصر والي الإمبراطور البيزنطي ، نقلا عن المجالس والمسائر (انظر « المعز لدين الله » طبعة 1947 بالقاهرة ، ص 303 و 321) .

هذا ، وقد حلل فرحات الدشراوي كلا من الرّسالتين ومن ملخص كلام مبعوث أهل الجزيرة إلى المعز في فصل نشر بمجلة الكراسات التونسية Les Cahiers de Tunisie سنة 1959 ص 317 تحت عنوان : La Crète dans le conflit entre Byzance et al-Mu'izz . ثمّ نشر رسالتي المعزّ إلى الإمبراطور ورسائله إلى الأمير الإخشيد في العدد الثاني من حوليات الجامعة التونسية سنة 1965 ص 28-35 . هذا وقد كتبنا في المتن « أفریطش » بفتح الهمزة - أو كسرهما - تبعا لما جاء في معجم البلدان (236/1) . أما في حواشينا ، فقد اقتصرنا على الاسم المصطلح عليه اليوم ، بدوّن همز .

(3) الإمبراطور قسطنطين السابع .

لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَلِيَسْتَجْمَعُوا فَيَقْتُوا عَلَى حَرْبِ الْمُشْرِكِينَ ، أَن أَجَابَهُ إِلَى مُوَادَعَةِ خَمْسِ سِنِينَ (1) .

ثُمَّ اتَّصَلَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَقَبِلَ أَن تَنْقُضِيَ مُدَّةُ الْمَوَادَعَةِ ، أَنَّهُ أَرْسَلَ الدَّمَسْتَقَ (2) — الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ / رَجَالَهُ دَرَجَةً إِلَيْهِ وَأَخْصَصَهُمْ بِهِ — فِي عُدَّةٍ مِنَ السَّفِينِ كَثِيرَةٍ وَجِيُوشٍ ثَقِيلَةٍ حَتَّى أَتَاخَ بِهَا عَلَى جَزِيرَةِ أَقْرِيطَشْ ، وَهُمْ فِي دَعْوَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ .

فَلَمَّا حُلَّ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا قَوَامَ لَهُمْ بِهِ . وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ بَنِي الْعَبَّاسِ نَهْضَةٌ وَلَا لَهُمْ لَدَيْهِمْ نُصْرَةٌ ، أَرْسَلُوا مَرْكَبًا فِيهِ رَجَالٌ مِنْ قِبَلِهِمْ مَعَ وَجْهِهِمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ يَسْتَغِيثُونَ بِهِ وَيَسْأَلُونَهُ اسْتِنْقَازَهُمْ وَإِعَاثَتَهُمْ ، فَلَمْ يَرْصُلَاتِ اللَّهُ عَلَيْهِ — وَإِنْ كَانُوا تَنَكَّبُوا عَنْهُ (3) — أَن يَخِيبَ رَجَاءَهُمْ عِنْدَهُ ، وَلَا أَن يَسْلَمَهُمْ لِلْمُشْرِكِينَ . فَأَمَرَ عِنْدَمَا اتَّصَلَ بِهِ خَبَرُهُمْ وَقَبِلَ أَن يَصِلَ إِلَيْهِ رَسُولُهُمْ ، بِالْأَخْذِ فِي الْأَهْبَةِ وَالْعُدَّةِ لِيَكُونَ نَفْوذُ الْأَسَاطِيلِ إِلَيْهِمْ فِي أَوَّلِ زَمَانِ الْإِمْكَانِ . ثُمَّ قَدَّمَ الرَّسُولَ عَلَيْهِ / وَأَدَّى عَنْهُمْ مَا أَرْسَلُوهُ بِهِ إِلَيْهِ .

فَرَأَى أَن يَنْبِذَ إِلَى الْمُشْرِكِ عَهْدَهُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ (تَع) بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ ، إِنْ هُوَ أَصَرَ عَلَى حَرْبِهِمْ ، وَأَمَرَ بِكِتَابٍ فِي ذَلِكَ إِلَيْهِ * وَأَمْلَاهُ عَلَى الْكَاتِبِ بِحَضْرَةِ مَنْ يَبِينُ يَدِيهِ بِكَلَامٍ مَا سَمِعْتُ أَجْزَلَ وَلَا أَبْلَغَ مِنْهُ .

فَقَالَ بَعْدَ أَن خَيَّرَهُ بَيْنَ أَن يُقْلَعَ عَنْ حَرْبِ أَهْلِ أَقْرِيطَشْ وَيَبْنِىَ إِلَى عَهْدِهِ — كَمَا نَبَذَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ عَهْدَهُمْ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمَا بِرَاءَةً (4) فَقَرَأَهَا فِي الْمَوْسَمِ عَلَيْهِمْ — وَلَقَوْلِ اللَّهِ أَصْدَقِ الْقَائِلِينَ : « وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ » (5) .

(1) وَقَعَتْ هَذِهِ الْهَدَنَةُ سَنَةَ 957/346 بَيْنَ الْمُعْزِّ وَقُسْطَنْطِينَ السَّامِعِ ، وَلَكِنْ رُومَانُوسُ الثَّانِي ، خَلِيفَةُ قُسْطَنْطِينَ نَقَضَ الْعَهْدَ بِغَزْوِهِ جَزِيرَةَ قَرِيْطَشْ (انْظُرْ فَصْلَ الدِّشْرَاوِيِّ ص 313) .

(2) هُوَ نَقْفُورُ قَقَّاسَ ، قَادِ الْأَسْطُولِ الْبِيزَنْطِيِّ إِلَى جَزِيرَةِ قَرِيْطَشْ وَحَاصِرِ عَاصِمَتِهَا سَنَةَ 349 ، أَيَّ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْمَهَادَنَةِ بِثَلَاثِ سِنَوَاتٍ (الْمَرْجِعُ السَّابِقُ) .

(3) لِأَنَّهُمْ أُنْدَلُسِيُّونَ أَوَّلًا ، ثُمَّ لِأَنَّهُمْ اسْتَعْجَلُوا بِالْإِخْشِيدِ وَالِإِبْرَاهِيمِيِّينَ عَلَى مِصْرَ .

(4) أَيُّ ، بِسُورَةِ التَّوْبَةِ ، وَيَخَاطَبُهُ الْآيَةُ الْأُولَى مِنْهَا : « بِرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » . وَقِيلَ أَنَّهَا نَزَلَتْ سَنَةَ تَسْعٍ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ (ص) عَلَيْهَا لِيَقْرَأَهَا فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ (انْظُرْ تَفْسِيرَ الْكَشَافِ ج 2 ص 172 ، تَفْسِيرَ الْبَيْضَاوِيِّ ج 2 ص 274) .

(5) الْأَنْفَالُ . 58

ثم قال له في كتابه (عم) :

ولا ترى أن دعوة أهل أقريطش قبل اليوم إلى غيرنا وقد أنابوا / اليوم إلينا واستغاثوا بنا ، مما يُوجب لك عندنا تمام المودة بتركهم إليك وترك اعتراضك فيهم . إن امتناع أهل الباطل من أهل الحق ليس بمزِيلٍ حقَّهم وإن تغلبوا عليه دونهم ، بل هو لهم بتصيير الله (نع) إِيَّاهُ إليهم . فأقريطش وغيرها من جميع الأرض لنا ، بما خولنا الله منها وأقامنا له فيها ، أطاعنا منها من أطاع وعصانا من عصى ، وليس بطاعتهم يجب لنا أن نملك ولا بعصيانهم يحق علينا أن نترك ، ولو كان ذلك لكان الأمر إليهم لا لله (نع) الذي خولنا ولا لنا ، إن شاؤوا أعطونا وإن أحبوا منعونا ، كلا ! إن ذلك لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو الذي اصطفانا وملكنا وأعطانا ، ولو كان ذلك للخلق لما وسعنا قتال من امتنع منهم علينا ولا ردُّ ما انتزعوه بالغضب من أيدينا إذا أقدرنا الله على ذلك وبه قوَّانا .

فإن قلت أنت غير ذلك ، وأنت ترى أن ما في يدك لك ، فقد كان رومانس (1) تغلب عليك وعلى أبيك من قبلك ، ثم دارت لكما عليه الدائرة . فإن رأيت أن من احتجز شيئا وتغلب عليه فهو له دون صاحب الحق الذي ملكه ، فلم يكن لك ولا لأبيك القيام على رومانس ولا * انتزاع ما صار إليه من بين يديه . فهذه سبيل أهل الحق عندنا . فإن اعترفت / لها فقد أنصفت ، وإن جهلتها لم يكن جهلك إِيَّاهُ حجة على من عرفها . وعهدك إن تماديت على حرب من أناب إلينا منبذًا إليك ، فانظر لنفسك ولأهل ملتك فإنما مناجزوك وإِيَّاهم الحرب بعون الله لنا وتأييده ، ولا حول ولا قوة إلا به .

وفي مثل ذلك إلى صاحب مصر:

(قال) واستمد أهل أقريطش هؤلاء صاحب مصر وهم من أهل دعوته تجمعهم دعوة آل عباس ، ومراكبهم بخيرات بلادهم وأطعمتهما تيسير أهل مصر ، وهداياهم تصل إلى عمَّالها ، فعجز عن نُصرتهم . وسأل من ينظر للأمير المؤمنين فيما قسبته في أن يكتب إليه (صلع) في إغاثتهم واستنقاذهم ، وأرسل /

(1) رومانوس : هو Romain Lécapène الذي اغتصب الحكم من قسطنطين السابع سنة 919 (فصل الدشراوي ، ص 314 تنبيه 30) .

قوما كانوا منهم قِبَلَهُ لِيَسْأَلُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (صَلَع) وَيَرْغَبُوا إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ . ثُمَّ أَظْهَرَ أَنَّهُ يَنْصَرُهُمْ وَرَمَى بَعْضَ مَرَاكِبٍ فِي الْبَحْرِ لَمَّا اتَّصَلَ بِهِ لِنَكَارِ الْعَامَّةِ عَلَيْهِ (1) لِلتَّخَلُّفِ عَنْ نَصْرَتِهِمْ .

فَكَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعَزَّ لِدِينِ اللَّهِ (ص) إِلَى مَنْ يَكَاتِبُهُ بِمَصْرِ جَوَابًا عَنْ كِتَابِهِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ يُخْبِرُهُ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ بِإِخْرَاجِ الْأَسَاطِيلِ وَأَخَذَ فِي عَدَّتِهَا .

وَكَانَ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْهِ : أَنْ قُلْ لِمَ صَاحِبُكَ : إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - قَدْ خَوَّلَنَا مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَدَّنَا مِنْ مَعُونَتِهِ وَتَأَيَّدَهُ بِمَا نَرَى أَنَّا بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَنَصْرِهِ لَنَا وَإِظْهَارُنَا عَلَى عَدُوِّنَا نَكُفُّ أَيْدِيَ الْكُفْرَةِ عَمَّا تَطَاوَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ حَرْبِ هَذَا الصُّقْعِ وَالْإِيْقَاعِ بِأَهْلِهِ / . وَقَدْ انْتَهَى إِلَيْنَا أَنَّكَ أَظْهَرْتَ الْحَرَكَةَ إِلَى الْجِهَادِ وَإِمْدَادَهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِمَرَاكِبٍ مِنْ قِبَلِكَ ، وَأَنْتَ لَعَمْرِي بِذَلِكَ أَجْدَرُ لِقَرَبِهِمْ مِنْكَ وَاتِّصَالِهِمْ بِكَ وَمَيَّزِهِمْ بِلَدِّكَ وَكُونِهِمْ وَإِيَّاكَ فِي دَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ . وَلَوْ أَسْلَمْنَا هُمْ إِلَيْكَ وَقَعَدْنَا * عَنْهُمْ لَمَا كَانَ لَكَ وَلَا لَهُمْ عَلَيْنَا حُجَّةٌ فِي ذَلِكَ ، وَلَكِنَّا آثَرْنَا نُصْرَةَ أُمَّةٍ جَدَّدْنَا مُحَمَّدٌ (ص) وَلَمْ نَرِ التَّخَلُّفَ عَنْ ذَلِكَ وَقَدْ رَجَوْنَا لَهُ ، وَأَلْقَوْا بِأَنْفُسِهِمْ إِلَيْنَا فِيهِ . وَنَحْنُ لَا نَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا نَمْنَعُكَ مِنْ تِمَامِ مَا أَمَلْتَ مِنْهُ ، فَلَا يَكُنْ مَا يَتَّصِلُ بِكَ مِنْ لَفْظِ أَطِيلُنَا يُرِيثُكَ عَنِ السَّيِّئِ هَمَمْتَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنْ تَخْشَى عَلَى مَنْ تَبَعْتُ بِهِ وَعَلَى مَرَاكِبِكَ مِنْهَا ، فَلَا / عَلَيْنَا عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنَّا لَا نَكُونُ مَعَهُمْ (2) إِلَّا بِسَبِيلِ خَيْرٍ ، وَأَنَّا نَحْلِلُهُمْ مَحَلَّ رَجَالِنَا ، وَنَجْعَلُ أَيْدِيَهُمْ مَعَ أَيْدِينَا وَنَشْرِكُهُمْ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، وَنُقِيمُهُمْ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مَقَامَ رَجَالِنَا ، وَمَرَاكِبِكَ مَقَامَ أَطِيلُنَا حَتَّى يَفْتَحَ لَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُوا إِلَيْكَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يَكُونُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ مَا هُوَ فَاعِلُهُ . فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَثِقْ بِهِ مِنْهَا ، فَفِي تَظَاوُرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَدُوَّتِهِمْ وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ إِعْزَازٌ لِدِينِ اللَّهِ وَكِبَتْ لِأَعْدَائِهِ . فَقَدْ سَهَّلْنَا لَكَ السَّبِيلَ ، وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ .

فَإِنْ وَثَّقْتَ بِذَلِكَ وَرَأَيْتَ إِثَارَةَ الْجِهَادِ فَاعْمَلْ عَلَى أَنْ تُثْفِلَ مَرَاكِبَكَ إِلَى مَرَسَى طَنْبَةِ (3) مِنْ أَرْضِ بَرْقَةٍ / لِقَرَبِ هَذَا الْمَرَسَى مِنْ جَزِيرَةِ أَقْرِيطَشْ ، وَيَكُونُ اجْتِمَاعُهُمْ

(1) ب ه ويرغبوا إليه في ذلك أنه ينصرهم ورمى بعض العامة عليه ...

(2) ب : منهم .

(3) لم نهتد إلى هذا الموضع في المعاجم ، ولعله تحريف عن « لبد » وهي مدينة أثرية على الساحل بين بركة و بركة ، وإن كان الأقرب إلى الظن أنه مرسى واقع بين الإسكندرية شرقاً وأجدابية غرباً جزيرة قريطش .

مع أساطيلنا بهذا المرسى: مستهلّ ربيع الآخر (1) بتوفيق الله وقوته وتأييده ونصره وعونه .

والأمر ترى ذلك فقد أبلغنا في المعذرة إليك والنصيحة لك ، وخرجنا ممّا علينا إليك . ونحن بحول الله وقوته وتأييده ونصره وعونه مستغنون عنك وعن غيرك ، وعلى عزم وبصيرة في إنفاذ أساطيلنا ورجالنا وعدتنا وما خولنا الله إياه وأقدرنا عليه ممّا نرى بحوله وقوته أننا نبلغ به ما نؤمّ إليه بذلك ونصمد نحوه . فبالله نستعين ، وعليه نتوكّل ، وعلى تأييده نعول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل / * (2) .

كلام في بصيرة أمير المؤمنين في جهاد المشركين (3) :

234 — (قال) ولما قدم عليه (ص) رسول أهل أقریطش أمر بإدخاله إليه ، فلما مثل بين يديه قبل الأرض مراراً وأدّى إليه عن القوم ما أرسلوه به من تضرّعهم واستغاثتهم وسؤالهم ورغبتهم واسترحامهم ، وجعل يذكر له قدر البلد وموضعها من بلد الروم ومن مصر ، وأنه فرضة لهما ، وأن الله (تع) — إن أقدره على دفع المشركين عنه وملّكه — كان سبب فتح القسطنطينية والمشرق عليه إن شاء الله . وعدّد ما فيه من الآلات والمعادن ، وما يتهيأ به من إنشاء الأساطيل وقربه من القسطنطينية ومن مصر ، في كلام طويل ذكره .

فقال المعزّ (ص) / : نحن — بحول الله وقوته — نبلغ من تحقيق آمالكم وتصديق ظنكم فينا حسب ما أمّلتموه ورجوتموه . وقد أمرنا بتجهيز الأساطيل منذُ بلغنا مصيرك إلينا ، ولو كان أهل بلدك عجلوا بيعتك لرجونا أنه لم تكن أساطيلنا هذا الوقت إلاّ عندهم ، ونحن نرجو من (4) الله إذ وفقهم إلى التطارح إلينا أن يؤيّدَهم ويثبتهم إلى أن تصل أساطيلنا إليهم ويستقدّمهم الله بذلك بمنّه وفضله وبما عودنا من تأييده ونصره . وغرضنا في ذلك القيام بما أوجب الله (تع) علينا من الجهاد لعدونا واستنقاذ من أناب إلينا من أمة جدّنا ونصرتهم ومعونتهم .

(1) من سنة 961/350 (انظر فصل الدشراوي ص 312) .

(2) نشر الدشراوي هذه الرسالة ، ص 33-34 من الحوليات عدد 2 .

(3) هذا العنوان ناقص من ب .

(4) في أوب : ان .

وأما أعراض الدنيا فقد / ملكنا الله (نع) منها وأعطانا وخولنا ما يجاوز الآمال والغايات ، ويفوت الأمانى والنهايات ، ونحن على ثقة مبنية وعده إيماننا لإيراثنا الأرض كما قال الله في كتابه ، وإظهارنا - بحوله وقوته - على جميع أعدائه . فطيب نفسا وأقيم إلى أن تنصرف مع أصحابك في أساطيلنا .

وأمر برد رجلين من أصحابه مع رجال من قبيلة إلى أهل أقریطش بجوابهم وبما عزم عليه من إغاثتهم ونصرتهم في أول وقت الإمكان من الزمان إن شاء الله (نع) (1) .

حديث في مجلس في ذكر فضل المنصور (ص) :

235 - (قال) : وذكر الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوما - وأنا جالس بين يديه - ما لاقاه المنصور ، - قدس الله روحه وصلى / الله عليه وعلى آله وآبائه - من حرب أهل الفتنة إلى أن جلاها الله (نع) على يديه ، وما مرّ عليه (ص) في ذلك من التعب والنصب ، ومقاساة السفّر ومباشرة الحرّ والقرّ ، وما خرج إليه من ذلك دفعة بعد الخفض والدعة من غير دربة في ذلك ولا ممارسة ، وما عرض له لذلك من العسل .

فقلت له : يا مولاي ، لئن كان قاسى لذلك جسيما ، فقد كشف الله (نع) بذلك على يديه عن الأمة بلاء عظيما ، وحصّن به (عج) دينه من أن يبدل ، وسنة نبيه محمّد (صلع) من أن تُغيّر .

فقال : أجل ، وما زال (ص) في محنة عظيمة ومزأولة شديدة إلى أن نقده الله إلى دار كرامته ومحلّ راحته / وقرار جنته .

ثم قال (عم) : لقد دخلت إليه في آخر أيامه (ص) وقد اشتدت عيلته ، فرأيت منه ما عرفت / الموت في وجهه ، فما تمالك أن استعبرت ، فنظر إليّ وقال : ما لك ؟

قلت : أفكرت (2) فيك وفي المهدي بالله - قدس الله روحه - وأنه مذ أفضى الله (نع) إليه بما أفضى به من كرامته وإن كاذب / المحن قد عارضته ، فقد آل أمره

(1) ص 34-35 من عدد الحواريات المذكور .

(2) أ : تذكرت . وأفكر في الأمر مثل فكر .

إلى راحة طويلة ودعة ونعمة . وأنت - صلوات الله عليك - فمذ أفضى الله (عج) بهذا الأمر إليك لم (1) تنفك عن الحروب والمقارعة والأسفار والمزاولة إلا إلى العليل والأسقام والأمراض والآلام ، فأسألُ الله لأمر المؤمنين تعجيل الراحة ودوام العافية / .

فقال : لئن قلت ما قلت فيما عرفته فظهر (2) إليك ، لَلَّذِي استتر وغابَ عنك أكثرُ . أتدري مُنْذُ كم أنا أزاوِلُ المحن ؟
قلت : مُنْذُ كم يا أمير المؤمنين ؟

قال : مذ والله قبض الله المهديّ بالله (عم) صرت إلى المحن العظام * وإن كنت لمستحسنًا قبل ذلك بمحن كثيرة . إنه لما كان من أمر الله في (3) المهديّ (ص) ما كان ، لم يتقدم القائمُ (عم) للصلاة عليه حتى أخذَ بيدي وخلا بي فقلّدتني عهده وأسرّ إليّ ذلك واستكتمني إياه . فوالله ، ما علم بذلك منه إليّ ، بعد الله ، غيري (4) . وأقيمت مدة أيام حياته ثلاث عشرة سنة (5) أنظر إلى من قُرب منه ومن بعد عنه (ص) يسعون بالفساد في دولة/ هي لي قد قلّدتني الله أمرها ، وأنا كأقلّ الأبعدين لا آمر ولا أنهي ، ولا أتعرضُ لشيء أنكره ولا أومئُ إليه ، ولا إلى شيء يتوهم من أجله عليّ شيء مما أنا فيه ، وأهلُ خاصّتي يؤذون ويُسْتَطال عليهم فلا يجد

(1) أ : ثم لا .

(2) أ : فنظر .

(3) في ، سقطت من ب .

(4) في أ وب : غيره . وإنا نفهم من كلام المنصور هنا أن القائم عينه وليا لعهد منذ وفاة المهدي في 14 ربيع 1 سنة 4/322 مارس 934 ، وأن هذا التعيين لم يعلم به إلا القائم والمنصور نفسه . (أنظر تعليقاً في ص 137) . وقد جاء في ص 220 أن بعض شيوخ كتامة كان على علم من التعيين .

ونجد في سيرة الأستاذ جوذر (ص 40) أن القائم أعلم بالتعيين حاجبه جوذر ، وأمره بكتمان « الخبر أشد الكتمان حتى أظهره بنفسه في الوقت الذي يشاء الله ذلك ويختاره » . وقد بين ناشرا السيرة في التعليق 28 هذا التضارب بين رواية جوذر ورواية النعمان ، ونسبنا القاضي إلى « الوضع والتدليس » ، فرجحنا - ضمناً - رواية جوذر .

(5) هنا أيضا خلاف بين الروايتين . فبينما يقول جوذر : « فكتمت أمر المنصور في نفسي لم يطلع على ذلك مني أحد سبع سنين » (ص 40) ، نرى النعمان يقول ، نقلا عن المنصور ، أن الستر استمر ثلاث عشرة سنة ، أي ، « إذا انطلقنا من 322 ، سنة وفاة المهدي ، إلى سنة 335 ، مع أن القائم توفي في 13 شوال 334/ماي 946 . وقد نبه ناشرا السيرة إلى هذا التضارب أيضا .

على أن النعمان نفسه يتقل عن المعز (ص 468) أن الكتمان دام اثني عشر عاما . والاعلان على تعيين المنصور كان ، حسب رواية ابن حماد (أخبار ملوك بني عبيد ص 21) وابن عذاري (البيان ج 1 ص 218) من القائم إلى وجوه كتامة في رمضان 334 ، أي قبل وفاته بشهر تقريبا .

عندي أحدٌ منهم نُصْرَةٌ ولا قياماً أكثر من أن أقصيتهم عن نفسي وأبعدهم عن قربي ، ويُنال منِّي وأسمعُ ، وتُهَضَّم أموالِي وتُوكَلُّ ، وأنا في ذلك كله بمعزِل أتَجَرَّعُ غُصَصَ الغُموْمِ وأتَحْمِلُ فادِحَ التَّوازِلِ صَبْرًا على ما حُمِلْتُ ، وقياماً بما قُلِّدْتُ ، وحفظاً لما اسْتُرْعِيْتُ ، وصيانةً لما اسْتُودِعْتُ من أن تستحشني فيه أبتةُ القدرة أو أن يظهرَ عليَّ منه عزُّ المملكة . ولو بقيتُ على ذلك أَيَّامَ حياتِي / ما عدوتُ ما كان منِّي ، ولو شئت لبسطتُ يدي ولساني وأنفَذْتُ أَمْرِي ، لأنَّ الله (تج) قد جعلَ إليَّ (1) ذلك ولكنِّي لم أزل على ذلك من حال إلى أن كان من أمر الله (تج) في القائم (عم) ما كان ، وكان من الأمر ما قد انتهى إليك وشاهدتَ ، وذلك هو الذي عَلِمْتُ . وإنه - في جانب ما قد مضى عليَّ ولقيته من قبله - لأقلُّ من أن أَلْتَفِتَ إليه أو أذكره .

فاستعبرت لما سمعته من ذلك ، وأكثرْتُ من الصَّلَاةِ على المنصور (عم) / وقلتُ : يا مولاي ، هذا والله الصَّبرُ الذي وعد الله (تج) أن يُوقِيَّ أَهْلَهُ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ .

ولقد رويناهُ عن عليٍّ (ص) ما ذكره ممَّا امتحنه الله به في حياة رسول / الله (صلع) (2) وبعد وفاته من المِحنِ التي يَمْتَحِنُ بِمِثْلِهَا أَوْلِيَاءَهُ ، فما بلغتْ كُلُّهَا ما ذكره المنصور (ص) في هذه الواحدة وما قد عَرَفْنَا مِنْ حَالِهِ يَوْمَئِذٍ وما جرى عليه ممَّا أَجْزَى جَمَلَةً خَبِرَهُ فِي حَدِيثِهِ هَذَا . ولقد كُنَّا نَتَعَجَّبُ مِنْ خَمُولِهِ وَتَوَاضُعِهِ وَتَوَقُّيهِ أَيَّامَ الْقَائِمِ (صلع) ومحلُّهُ مِنْهُ محلُّهُ ، ونحن لا نلري ما أَفْضَى اللهُ بِهِ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ وَنَسْتَظْلِمُ ذَلِكَ مِنْهُ ، فكيف لو عَلِمْنَا بِمَا أَصَارَهُ اللهُ (تج) إِلَيْهِ ؟

فَقَالَ الْمُعَزَّ لِدِينِ اللهِ (ص) : إِنَّ عَلِيًّا وَإِنْ كَانَ قَدْ امْتَحَنَ بِمَا امْتَحَنَ بِهِ لَمْ يَكُنْ يَدْعُ (صلع) شَيْئًا فِي نَفْسِهِ يَحْمِلُ (3) أَلَمَهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَضْرِبَ بِهِ وَجْهَهُ الْمُخَالِفِينَ لَهُ وَالْمُعَانِدِينَ عَلَيْهِ (4) وَالْمُتَخَلِّقِينَ / عَنْهُ ؛ إِمَّا / ذَصْرِيحًا وَإِمَّا تَهْرِيفًا ، وَفِي ذَلِكَ

(1) أ : لي .

(2) ب : سقط من « ما ذكره - إلى - رسول الله صلح » .

(3) أ : يجد ، بعد تَشْطِيبِ عَلِيٍّ : يَخْلُ .

(4) « عليه » ساقطة من أ .

بعضُ ما يُسَلِّي الغمّة ويذهب العِلّة . والمنصور (ص) كالمغضي على شوك القتاد والقباض على جمر الغضا، ثم لا يرى أنّه في شيء من ذلك أحصّ الناس به وأقربهم إليه صلاة الله ورحمته وبركاته عليه من صابرٍ على أمر الله محتسب فيه . فضعاف الله له أجر ذلك وأحسن عليه جزاءه .

كلام في مجلس في النهي عن استقلال فضل الله عز وجل :

236 - (قال) : وسمعت الإمام المعزّ (ص) يقول : إنّنا ربّما أردنا أن نستعمل بعضَ رجالنا وعبيدنا على العمل فيستقلّه من نندبّه إليه ويحتقره ، ويرى نفسه فوق ما ندبناه إليه وأردنا استعماله عليه ، فينحطّ / عندنا بذلك حتّى نراه دون ما أردناه له ، لأنّه قيل : من رَفَعَتِ الْوَلَايَةَ وتشامخَ لها فهي فوقه وهو دونها ، ومن تواضع فيها فهي دونه وهو فوقها . ثمّ قال (عم) : أفلا ينظر هؤلاء الجهالُ الحمقى أنّ الذي يأنفون منه من الأعمال قد تقلّدناه (1) نحنُ ؟ فهي بعضُ أعمالنا ما رغبتنا عنها ولا رفضناها، وإنّا لننظر فيها بحسب ما ننظر في أعلى الأعمال وأجلّها ، فيأنفون ممّا لا نأنف عنه . ، وَيُجِلُّونَ أَنْفُسَهُمْ عَمَّا لَا نُجِلُّ أَنْفُسَنَا عَنْهُ . إنّما لهم فينا أسوة ، ثمّ أعظم من ذلك وأجلّ : إنّ الله عزّ اسمه وتعالى ذكره هو خالق ما استكفّوا منه ، ومدبره والناظر فيه بحكمته ، ما أهمله ولا ضيّعه / بل رعاه وحفظه ، واستحفظنا إيّاه . فما كان الله تعالى قد وليّه برعايته واسترعانا إيّاه فرعايته بما خولنا من فضله نسترعيه هؤلاء الجهالُ فيأنفون عنه استكبارا بأنفسهم ورفعة بها عمّا وليّه الله - جلّ ذكره - ووليناه بأمره .

وجعل يتعجب من ذلك ، فسمعت منه في هذا المعنى ما لم أظنّ أنّي أسمع مثله من الحكمة والتحذير والموعظة .

فقلت : يا مولاي، ما ذهب بنفسه عن شيء فأمر به ، ولو كان كسح المراحض والأزبال ، إلّا من تعدّى طوره وجهل قدره . أو لم يعرف ما أوجب الله (تع) لك عليه ؟

ثم قلت : هذا فلان — لرجل قد كان من أقرب من كان إلى / المهديّ بالله (صلع) — كان أول ما استخدمته فيه شراء التبس وخزنه ، ثم ترقّت به الأمور إلى أن صار إلى ما صار عنده (ص) . ولئن يكون المتولّي يتولّى القليل ثم يرتقي منه إلى ما فوقه لخير له من أن يتولّى جليلا ثم ينحط عنه .

فقال (عم) : التين ممّا تلزم (1) الحاجة إليه وكذا وكذا — وعدّ أشياء كثيرة من صفات الأشياء وخسيس الصنائع — فإذا قدّسنا إلى ذلك من يتكبّر عنه ، أفليس قد أحلّ ذلك بما يحتاج إليه ؟ إن الله قد استخدم النبيّين أفضل عباده عنده في طاعته فيما استخدم فيه سائر خلقه فما أنفوا عمّا استخدمهم فيه (2) ، ولا جعلهم في ذلك فوق عباده . فهم يستنجون ويتطهّرون ويتناولون من ذلك / بأيديهم ما يتناولونه عامة المؤمنين بها (3) ، ما رفعهم الله عن ذلك ، ولا استكفوا هم عنه كما يستكف الجهال عمّا نندبهم إليه .

فجاء أيضا في ذلك (صلع) بما لا يخطر على القلوب ، وما لم يسمع بمثله في حكمة تقدّمت ولا موعظة سلّفت .

كلام في مجلس في إحياء شرف الآباء :

237 — (قال) : وسمعت (ص) يخاطب بعض الأولياء ممّن كان له أسلاف تقدّمت لهم رئاسة في أيام المهديّ والقائم — صلوات الله عليهما — ثم انقضىوا وزالت تلك الرئاسة من أسلافهم ، وخمل ذكرهم ، وقلّت ذات أيديهم . فأراد (ص) أن يحيي ذكرهم ويصرف إليهم العمل الذي كان أسلافهم عمّالا عليه ، وذكروا به / وشرفوا من أجله . فأحضرهم وقربهم وذكر ذلك لهم وما أمّله فيهم ، فشكروا فضله بما قدّوا عليه ، وقبلوا الأرض مرارا بين يديه .

فقال (ص) فيما قال لهم : أردنا أن نصل عوارف آبائنا (ص) عند (4) أسلافكم فيكم ، ونحيي ذكرهم بكم ، ونلّم شعركم ، ونرفع من حالكم ، فكونوا

(1) أ : تكسر .

(2) سقط من أ : فما ... فيه .

(3) أ وب : بهم .

(4) أ : عن .

حَيْثُ نُرِيدُهُ مِنْكُمْ ، وَنَقْدَرُهُ مِنَ الْخَيْرِ فَيَكُم ، فَأَعِينُونَا عَلَى مَا أَرَدْنَاهُ مِنَ الْخَيْرِ بِكُمْ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ وَحَسَنِ نِيَّاتِكُمْ وَطَوَيَاتِكُمْ ، فَإِنَّا نَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ حَالِكُمْ وَسَدِّ فِقْرِكُمْ وَأَنْ نُغْنِيَكُمْ ، وَلَا نَقْدَرُ عَلَى صِلَاحِ مَا تَفْسِدُونَهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ إِذَا أَنْتُمْ لَمْ تُقْبِلُوا عَلَى أَمْرِنَا إِيَّاكُمْ وَوَعظْنَا لَكُمْ ، فَمَا السَّعِيدُ كُلُّ السَّعِيدِ إِلَّا مَنْ / قَبِلَ عَنَّا وَامْتَثَلَ أَمْرَنَا وَأَطَاعَنَا ، وَلَا الشَّقِيَّ إِلَّا مَنْ خَالَفَنَا وَارْتَكَبَ نَهْيَنَا ، وَمَا نُرِيدُ بِكُلِّ مَا نَفْعُهُ فِيكُمْ مِمَّا تَحِبُّونَهُ أَوْ تَكْرَهُونَهُ وَتَعْرِفُونَهُ وَتُنْكِرُونَهُ إِلَّا صِلَاحَكُمْ وَالْخَيْرَ لَكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَاجَكُمْ . إِنْ أَحْسَنَّا إِلَى مَنْ نُحْسِنُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَرَفَعْنَا مَنْ تَرَفَعَهُ وَأَنَعَمْنَا عَلَى مَنْ نَنعَمُ عَلَيْهِ ، فَمَا نُرِيدُ مِنْهُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَنَا فِي شُكْرِهِ وَيَعْمَلَ مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ مَا يَسْتَدِيمُهُ بِهِ ، وَيَمْتَرِي مِمَّا الْمَزِيدُ مِنْهُ ، وَيَصِلَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ بِهِ ، وَيَرْضَى بِمَا بَنَى عَنْهُ . وَإِنْ عَاقَبْنَا مَنْ نَعَاقِبُهُ فَمَا نَعَاقِبُهُ (1) إِلَّا تَأْدِيبًا . لَهُ ، وَلِيَرْجِعَ عَمَّا أَنْكَرْنَاهُ عَلَيْهِ وَنَقَمْنَاهُ مِنْ أَمْرِهِ إِلَى مَا يَرْضَى اللَّهُ (تَع) عَنْهُ وَيَرْضِينَا مِنْهُ فَيَسْعُدُ بِذَلِكَ / فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَإِنْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ مَنْ نَقْتُلُهُ مِمَّنْ يَجِبُ الْقَتْلُ عَلَيْهِ وَلَا يَسْعُنَا أَنْ نُبْقِيَهُ ، فَمَا ذَلِكَ مِنْهُ فِيهِ إِلَّا تَطْهِيرًا لَهُ وَتَمْحِيطًا لِذُنُوبِهِ ، وَمَا دُونَهُ لغيره مِمَّنْ نَرْجُو أَنْ يَرُدَّعَهُ مَا رَأَى (2) فِيهِ ، عَمَّا هُوَ مِنَ الْفَسَادِ عَلَيْهِ ، وَكُلِّ مَا تَجْرِي بِهِ أُمُورُنَا فِيكُمْ فَهُوَ صِلَاحٌ لِعَامَّتِكُمْ كَيْفَمَّا (3) جَرَى تَدْيِيرُنَا فِيكُمْ وَمَضَتْ أَحْكَامُنَا عَلَيْكُمْ مَا سَلَّمْتُمْ (4) لِأَمْرِنَا وَرَضِينْتُمْ بِحُكْمِنَا .

حديث في مجلس في إنكار فعل (5) من غير دين الله :

238 - (قال) : وسمعتَه (ص) يذكر تغيير بعض الدعاة أموراً غيرَها وأحكاماً حكموا بها وأصولاً أصلوها من العلم بزعمهم في بعض الجزائر على رأيهم واستنباطهم ، وأضافوها / إلى قول الأئمة الطاهرين (صلع) ، فقال : نحن نبرأ إلى الله (تَع) من هؤلاء وأمثالهم ومن أفعالهم ، وما هم لنا بأولياء ولا كرامة لهم ، ولا يدعون إلينا وإن دَعَوْا في ظاهر أمرهم . إِنَّمَا أَوْلِيَاؤُنَا مَنْ قَالَ بِقَوْلِنَا وَاتَّبَعَ أَمْرَنَا وَلَمْ يَقُولْ عَلَيْنَا مَا لَمْ نَقُلْهُ . وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ عَلَيْنَا الْبَاطِلَ وَنُسَبَهُ

(1) ب : سقط : فما نَعَاقِبُهُ .

(2) في النسختين : أرى .

(3) في النسختين : وكيف ما ...

(4) « ما سلمتم » ، ساقطة من أ والحقت بالمعنى الموالي .

(5) أ : ... فعل ما سلمتم من غير ...

إلينا وخالفَ أمرنا ودعا إلى من قال بذلك القول الذي ابتدَعَه ، وذهب إلى المذهب الذي اخترَعَه ، فإنما دعا إلى نفسه من اتبعه وكذب علينا ، والله سائلُه . والله لو صدق الدعاة إلينا عنا ، وأدّوا إلى الناس قولنا ولم يتقُولوا علينا ، ما تخلفَ أحدُ عنا ممن يتبعُ قولنا، وعرفَ مذهبنا / . ولكنَّ هؤلاءِ وأشباههم /هم/ الصادقون- 438 عن الله وعنا ، المبدلون لقولِ الله وقولنا، المحرفون لكلامِ الله * وكلامنا . فبُعِدا وسُحِقْبا لهم وبشَّ المصير ! إنَّما أرادوا استعجالَ حطامِ نالوه من أموالِ مَنْ استفزّوه وغرّوه منا . فقد نالوا من ذلك ما طلبوه ، واقتدوا به وتعجلوه ، فذلك حظهم الذي قصدوا إليه وأرادوه ، وحسبهم به عِوضا من ثوابِ الله الذي قصدوه ، وبناره وسعيره وعذابه جزاءٌ بما فعلوه !

الجزء الثاني والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام في مجلس في التواضع لله تعالى وإقامة فرضه :

239 - قال القاضي النعمان / بن محمد : وحضر عيد الفطر وتقدمه ثَوءٌ عظيم وكثر الوحل والطين . وذكر ذلك للإمام المعزّ لدين الله (ص)، وما بالمصلّي منه وما في الطريق إليه من الماء والوحل والطين ، وظنّوا أنّه يُصَلّي صلاة العيد في المسجد ، فقال (ص) : يكون من ذلك ما كان ، لا بدّ من قضاء فرض الله (تع) في البراح على ما أمر به جلّ ذكره وسنّه رسولُه (ص) . وذكر حديث النبيّ (ص) أنّه ذكر ليلة القدر من شهر رمضان فقال : رأيت أنّي أسجد فيها في ماء وطين ، وأنّ الناس أمطروا بعد ذلك ، فوكف المسجد وصلّى رسول الله (ص) ، فانصرف من الصلاة وقد أثر الطين والماء في جبهته وأنفه / لسجوده فيه (1) .

وقال المعزّ (ص) : وهذا من أقلّ ما ينبغي أن يفعل في ذات الله وأكثر منه ، والله لو حبّسونا في هذا الطين حبواً على الركب وكان ذلك ممّا يرضي الله عنّا وبقبله مِنّا لفعلناه . إنّ رسول الله (ص) يقول : إذا سمعتم داعي آل بيتي فسارعوا إليه

(1) رأيت أنّي أسجد في ماء وطين : ذكره البخاري ج 3 ص 61 ومسلم ج 3 ص 171 و172 .

ولو حبوا على الثلج والنار (1) . فإذا كان الله (تع) قد أوجب لنا هذا على عباده ونحن خلق من خلقه قد ابتدأنا بفضلته وأنعم علينا بإحسانه ، فكيف * بما يجب له علينا وعلى الخلق جلّ ذكره أن نرخص فيه أو نتعاطم مشقة تدخل علينا من أجله ؟ معاذ الله أن نستكبر عن عبادته أو نستحسر (2) في طاعته (3) !

وخرج (عم) / وخرج الناس في غد يخوضون الماء والطين فما انصرفوا إلا وقد تخضبوا فيه ، وامتلات ثيابهم منه ، وكان مشهدا يرضي الله من وليّه وممن ذهب فيه مذهبه إن شاء الله .

كلام في موقف بكتّ وليّ الله [فيه] بعض من صدف عن أمره :

240 - (قال) وكان هذا العيد وقد أمكنه الله من محمد بن واسول المدّعي إمامة المسلمين والمتسمّي بأمرير المؤمنين ومن ابن بكر صاحب مدينة فاس الغامط نعمته الكافر إحسانه ، وكانا يومئذ معتقليّن في سقيفة القصر ، وكان وصولهما في آخر شعبان (4) . وظنّ الناس أن سيقتلا إذا وصلا ، فلما أبقيا قيل : إنهما يوم الفطر يقتلان . فلما / انصرف (ص) ودخل إلى داخل قصره ، أحضرهما إليه ، فمثلا بين يديه - وهو قائم على فرسه والرمح بيده - فقبلا الأرض ووقفا ، فقال لهما : أيّهما كان أحسن لكما : أن تكونا اليوم في مثل حالكما هذه بتعصيتكما وعداوتكما ، أو تكونا اليوم في جملة أوليائنا ومن ائتمّ بنا ، فتقضيان فرض ربكما معنا ، أو حيث كنتما على طاعتنا التي افترضها الله - تعالى - عليكما وعلى سائر خلقه ، وأنتما وادعان سالمان آمنان ؟

فلم يفهم عنه ابن واسول ما قاله ، وأظنّ الخوف والذعر غلب عليه ، فقال : بل الذي نحن فيه يا مولانا أفضل . فتبسّم أمير المؤمنين لما علم أنّه لم يفهم عنه/.

(1) حديث إذا سمعتم داعي آل بيتي فصارعوا إليّ ، ولو حبوا على الثلج والنار . ذكر ابن ماجه حديثين بلفظ مغاير : رقم 4082 يختم بمبارة : فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج . ورقم 4084 : فإذا رأيتموه ، فبايعوه ولو حبوا على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي . ورواه الحاكم في المستدرک وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(2) ب : نستخف .

(3) ب : عبادته .

(4) من سنة 959/358 . وذكر شعبان هنا غريب ، لأن حصار فاس انتهى يوم 20 رمضان من هذه السنة ، وأحمد بن بكر كان أمير فاس وقتها .

وأظنّ البائس إنّما ظنّ أنّه (1) خاطبه بمثل ما خاطبه به قبل ذلك. فإنّه (صلع) قال له قبل ذلك في يوم أحضره إليه : والله إنّك في حالك هذه التي أنت فيها — وإن كنت في الأسر والوثاق — لأفضل ممّا كنت فيه من معصية الله بتخطّيك إلى ما تخطّيت إليه ، وتسمّيك بما تسمّيت به ، وإن كرهت ما أنت اليوم فيه . فقال : هو كما قال أمير المؤمنين (صلع) . فأحسبه ظنّ أنّ الخطاب الذي خاطبه به أمير المؤمنين (ص) في هذا المقام كذلك كان .

فأعرض عنه (ص) لما رآه لم يفهم قوله ، وعطف على ابن بكر فقال : أنت يا ابن بكر أمكننا الله منك وأنت على غيئك ، فمئنا عليك ، وأطلقناك من أسرك / وصرفناك إلى بلدك ، فما رعيت الإحسان بل غمطت النعم وتغلّبت على البلاد دوننا ، ودعوت (2) إلى غيرنا (3) . وتقول ، فيما انتهى منك إلينا : هؤلاء الفواطم — تعني الذين بناحيك — تسترضي أحدهم بقلة من نبيد وأنرجتئين تهدي ذلك إليه ، وتعني أنا نحن لا نرضى منك إلا بالكثير . فلو عقلت لعلمت أنّ الراضى منك بما وصفت ، مثلك في الحال أو دونك ، وليتلك أقت لنا ظاهراً أو كنت واصلتنا بأترجة لعلك كنت تستميلنا بها كما زعمت أنّك استملت من استملمته ، ولكنك نابدتنا وصارممتنا . ثم صارت (4) عساكرنا إليك ، فأظهرت أنّك على الطاعة وغلقت / دونهم أبواب مدينتك ، ولم تخرج إلى عبدنا قائد عسكرنا (5) ، وسألك أن تبعث بابنك ليكون عندنا ، فأومأت إلى أسود بين يديك ، وقلت لرسولي إليك : لو سألتني شعرة من رأس هذا الأسود ما أعطيتُه إيّاها ، وتقاتل عساكرنا ، وتقتل أولياءنا . ثم تكتب إلينا أنّه كانت بينك وبين القائد هينة ، وتساءلنا أن نحملك محلّ الأولياء . عندنا . أفترى لو أنّك أسخطت بعض نسائك بعض (6) السخط فقابلتها بمثل هذا الذي قابلتنا به ، أكانت راضية منك به ؟ فإيّانا يا شقيّ تقابل بمثل هذه المقابلة ، وعلينا تجترى بمثل هذه الجرأة ؟

(1) أ وب : انما .

(2) أ : سموت .

(3) أي إلى المروانيين بالاندلس .

(4) جوهر الصقلي .

(5) ب : سارت .

(6) ب : هذا السخط .

يقول له (صلح) مثل هذا ، قولَ مُغْضَبٍ / ، والرمحُ بيده يديره فيها وسنائه من قبَلِ الفاسق ابن بكر ، فظنَّ كثيرَ ممن حضر أنه سيرسله إليه حتى لقد تنحى من كان واقفا إلى جانبه . فأسكت الخائب ودهش ، وأكثر ما قدر أن يقول : يا مولاي ، أنا عبدك وقد أخطأتُ .

ثمَّ عطف عليهما فقال : ما كنتما فاعليَيْن بمن حلَّ عندكما محلَّكما عندي لو أنَّ الله أقدر كلَّ واحد منكما عليه كما أقدرني عليكما ؟ فسكتا . فنظر إلى ابن واسول فقال : قل — والله الشاهد على ما في قلبك — : ما كنتَ صانعا في ذلك ؟

فقال : ومن أنا حتى أشبهَ بعبدٍ من عبيد أمير المؤمنين (ص) ، فكيف به في شيء من فعله ؟

ثمَّ تفحَّج فرس أمير المؤمنين / فبال ، فتباعد كثير ممن كان حوله ، وتنحى ابن واسول قليلا ، وكان قبالة ، وقد جرى من بول الفرس نحوه . فقال له أمير المؤمنين : لم تأتفتَ من بول الفرس ؟

فسكت . فقال : قل لي في ذلك ولا عليك ، فقد ترى كثيرا من عبيدنا فعل مثل ما فعلت .

فقال : يا أمير المؤمنين ، قيل لنا إنه نجس .

فقال : ولمَّ قلُّبْتُم إنه نجس ؟

قال : لأنه لا يؤكل لحمه ، وما لم يؤكل لحمه فبوله نجس (1) .

فقال له : وكيف لا يؤكل لحمه ؟ أو لم يلبغلك أنه يباع في مجازر المسلمين في كثير من أمصارهم ؟

ثمَّ نظر إليَّ فقال : ما تقول أنت يا نعمان في ذلك ؟

قلت : أقول فيه كما قال موالي وما روينا عنهم عن رسول / الله (صلح) أن عليا قال : مرَّ رسول الله (صلح) برجل من الأنصار وبينَ يَدَيْه فرسٌ له

(1) يذهب الشافعي وأبو حنيفة إلى أن أبوال إهيوان كلها نجسة . أما مالك فقاسها على لحوم الحيوان : فما حرم لحمه ، فبوله نجس (انظر بداية المجتهد لابن رشد ج 1 ص 77 . وانظر كذلك : عبد الرحمان الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة : باب الطهارة) . ويفهم من جواب ابن واسول أنه متفق في الدين سني المذهب (بعد أن كان خارجيا) .

يكيد بنفسه (1) فقال له رسول الله (ص) : اذبحه يضاعف لك أجره بذبحه و احتسابك إليه (2)

فقال : يا رسول الله (صلع) ، ألي منه شيء ؟

فقال : نعم ، كل وأهد إليننا إن شئت . فذبحه وأهدى منه فخذاً إلى رسول الله (صلع) .

قال (عم) : فأكل منه رسول الله (ص) وأطعمنا (3) .

قلت : وعلى هذا أكثر العامة يُجيزون ذبح الخيل وأكل لحومها . فأما أهل البيت (ص) فإنهم يرون ذبح (4) ما عطب منها ويؤس من حياته—[كان] وهكذا الذي وُصف أن رسول الله (ص) أمر بذبحه لما كان يكيد بنفسه — ولا يرون ذبح الصحيح السالم / منها لقول الله (تع) : « وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً (5) » . وقوله : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ (6) » . فأباحوا ذبح ما عطب منها ويؤس من حياته (7) وأكل لحمه ، بالخبر ، وتوقفوا عن ذبح السالم الصحيح منها ، بالنص لما فيها من عز الإسلام وقوة أهلها وزينتهم إذا كانت سليمة . فإذا عطبت ويؤس منها زال عنها هذا المعنى وحل ذبحها وأكل لحمها بالحديث ، وبقول الله (تع) « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (8) » . وقد روي عن رسول الله (ص) في ذلك أخبار كثيرة .

(1) أي وجود بها .
(2) النسائي (ج 7 ص 123) ، ابن ماجه (نص 1064 رقم 3190—3191) الترمذي (ج 7 ص 294)

(3) ذكر القاضي النعمان هذا الحديث في باب الاطعمة من كتاب الدعائم (ج 2 ص 124) ، مع اختلاف يسير في المتن . ولكننا لم نجد في المسانيد السنية أن الرسول قد أكل من لحوم الخيل . وإنما جاء عنه أنه رخص فيها ، وتذكر كل المسانيد حديث أسماء بنت أبي بكر مع بعض الاختلاف في السند والمتن . والحديث : « نحرنا (أو ذبحنا) فرما على عهد رسول الله فأكلناه (فأكلنا لحمه أو من لحمه) . (انظر البخاري ، ذبائح ، 27 ، مسلم : باب الصيد ، 38 ، النسائي ، ضحايا ، 23 ، ابن ماجه ، ذبائح ، 12 ، وأحمد ابن حنبل ، ج 6 ص 346) . أما لحوم الخيل ، فقد اختلف العلماء في إباحة أكلها . فذهب الشافعي والجمهور من السلف والخلف أنه مباح لا كراهة فيه . أما المالكية فقالوا : المشهور عندهم تحريم الخيل ، وفيه قول بإباحتها . وأما الحنفية فقالوا : يكره أكل الخيل كراهة تنزيه على المعتد . (انظر بداية المجتهد ج 1 ص 455 « ذوات الحافر الانسي » ، والجزيري : الفقه على المذاهب الاربعة ، قسم العبادات ص 611) . ونضيف هنا أنه وردت في المسانيد السنية وكذلك عند الشيعة أحاديث تنهى عن أكل لحوم الخيل .

(4) سقط من ب : الخيل ... ذبح .

(5) النحل ، 8 .

(6) الانفال ، 60 .

(7) سقط من ب : ويؤس من حياته ... ما عطب منها ويؤس من حياته .

(8) الحشر ، 7 .

فتبسم (صلح) وصرفت عتاق فرسه فدخل من باب الخاصة إلى داخل قصره / وقد نصبت الموائد للناس ، وصرفت القبم على الطعام ابن واسول وابن بكر إلى حجرة وقرب إليهما مائدة فأكلا وصرفا إلى مكانهما .
وتحدث الناس بما كان من أمير المؤمنين إليهما . وقال لي بعضهم : ما ظننا إلا أن (1) ابن بكر سيقتل .

قلت : فلو قُتل الآن أليس قد مضى بما فيه واستراح مما هو بسيله ، وإن كان صائراً إلى غضب الله ؟ ولكن في متعتنا بالنظر إليه وإشهادته مثل هذه المشاهد وتقريره بمثل هذا التقرير إلى أن يرى «ولي» الله فيه رأيه ، أفضل البغية والمأمول .

ذكر ولها وآها المعز (صلح) :

241 - (قال) وكنت قد ألفت سير المعز (ص) من أول ما أفضى / الله (عج) بالإمامة إليه ، وما وهب الله له في أيامه والأمة به من بركاته وسعادة إمامته ، وما تابع فيها من المسرات وأوتى من النخيرات وأوسع من العطايات ، في رجز موزون بقواف مزدوجة (2) . وكثر الله (تع) ذلك وترادف منه ما أعجزني مع كثرة الشغل بما أنا فيه عن تأليفه وتصنيفه . وكنت رجوت أن أبلغ من ذلك في حياتي صدرا ، وأن يصل ذلك عقيب من بعدي وأعقابهم في طول بقاء ولي الله معز دينه ودوام عزة وسلطانه ، وتتابع آلاء الله عليه . وكلفت ابني علياً (3) عمل شيء من ذلك لأنظر إليه بحسب ما رجوت . أخذ في ذلك وعمل منه أبواباً رأيت أنها / حسنة وعرضتها على المعز (صلح) ناستحسنها واستجاد معناها .

(1) في «أ» و«ب» : إلا أنهما وابن بكر .
(2) ذكر النعمان تأليف أخرى له فيما سبق من الكتاب (ص 117 و ص 135) ، وهذه الأرجوة في سيرة المعز ذكرها إيفانوف في ثبته تحت عنوان « ذات المن » بمعد 99 .
(3) علي بن القاضي النعمان ولد بالقيروان في رجب سنة 328 هـ وقدم مع المعز إلى مصر ، ولما توفي والده أشرحه المعز في القضاء مع أبي طاهر الذهلي . فظلا يقضيان حتى توفي المعز (365 هـ) . وولي العزيز ، وعرض للقاضي أبي طاهر مرض الفاج فقوض العزيز القضاء إلى علي بن النعمان في صفر 366 هـ ، وظل منفرداً بالقضاء إلى أن توفي سنة 375 هـ ، وصلى عليه العزيز .
وعلي بن النعمان أول من لقب بقاضي القضاة في مصر ، وكان عالماً فقيهاً ومؤلفاً وشاعراً . وتوفي الشعر ، وأورد له الثعالبي شيئاً من شعره . انظر الكنتلي : الولاية والقضاة ص 495 و 389 و 391 والثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج 1 ص 385 ، وابن خلكان (ترجمة 766) الذي أرخ ولادته بربيع الأول سنة 329 .

ثم أقبل عليّ (ص) وهو ينظر فيها فقال : لقد ذكرتني هذا - وذكر شيئا فيها - رؤيا رأيته البارحة : كأنّ اللعين مظفراً (1) قد قال لي مرة : إنّ من بعد عن أمير المؤمنين كان أسلم ممّن قرب منه ، لأنّه كان يقال : من قرب من الشمس أعشّت بصره . فلأنّني أرى البارحة فيما يبرى النائم / أنّي / أذكر ذلك عنه ، فيقول لي ممّن ذكرته له : أو قال ذلك لك الفاسق ؟ قلت : نعم .

قال : لا جرم أنّ الله ابتلاه بسخطك وأصاره إلى الخزي المقيم والبلاء العظيم ، إذ كان هذا هو اعتقاده فيك وهذه حاله منك قد عمي أن يستضيء بنورك / في حياته وصار إلى عذاب الله بعد وفاته . ثمّ عطف عليّ فقال : إنّما تُعشي الشمس الأبصار الكليّة الضعيفة . فأما الأبصار السالمة الصحيحة فهي تستمدّ من نورها * ولو كان النور يعشي لأعشى من هو فيه .

قلت : يا مولاي ، فالقائل هذا معروف ؟

فقال : أي والله معروف شريف ، وتبسّم .

قلت : على أنّ هذا كلام يستعمله الأوائل قديما .

قال : نعم ، ولكنّ المادّة سبب فساد كما ترى (2) .

قلت : الحمد لله الذي أمدّ وليّه (3) بنور حكمته ، وفضلنا بقربه والأنخذ للفوائد من قبيله .

حديث في مجلس في فضل القرب من أولياء الله صلوات الله عليهم :

242 - (قال) وسمعتّه (صلع) يقول / لبعض خاصّة عبيده وقد قدم عليه من المهدية ، وكان مقيما بها ، وأمره بالمقام بحضرته وخصّه بالقرب منه لقديم ولايته وصحّته وعفافه : إنك لا تعدّم بقربك منا خيرا تُفيده ومسرّة تُغبط بها وتطيب نفسا بورودها ونعمة تحوزها وتستفيدها . كما لا يعدّم من قرب من عدونا وحلّ من خاصّته محلّك منا ، من غضب الله ولعنه وخزيه ومقته

(1) مظفر : انظر ص 435 .

(2) هكذا في أوب . ولعل « المادّة » محرّفة .

(3) ناقصة من أ .

في عاجل دنياه حسب ما يستحقه ، ولَمَّا أَعَدَّ لَهُم في الآخرة أنكى وأشقى ، ولعذابُ الآخرة أشدُّ وأبقى . كما أن ما أَعَدَّ لَأُولِيائِنَا وَلِمن سَعِدَ بِقربنا ورضانا من ثوابه في الدار الآخرة عنده أجلٌ وأعظمُ ممَّا يظنُّه / أو يسمو إليه أمله .

فقبل الأرض بين يديه ذلك الرجل ومن حضر ممَّن خصَّه بقربه ، وحمدوا الله على ما أولاهم من فضله ، وشكروا له ذلك بما قدروا عليه .

حديث في مجلس في قبح الخيانة وسوء عاقبة أهلها :

243 — (قال) وذكر يوماً (صلح) قوماً وجب عليهم مال في شيء خرجوا به إلى جهة المشرق وكنموه وستره واختانوا به ، فأظهره الله عليهم وأبداه لوليّه . وذكر ذلك بعض من تولى مثل ذلك .

فقال (صلح) : قبح الله الخيانة وقبح أهلها ، فما أسوأ حالهم وأقلّ نظرهم لأنفسهم ! أما إن هؤلاء لو سألونا ترك ما اختانوا به لتركناه وما بخلنا عليهم به . ولا على غيرهم / بأضعاف ذلك ، حتّى لقد تركنا في هذه السنة أكثر ما يلزمهم ، ما جبّتهنا (1) سؤال أحد منهم ممَّن عرفناه ولم نعرفه ، من يستحقّ منهم ومن لا يستحقّ . فما الذي أحوجهم إلى الخيانة ، وما أحوجناهم إليها ؟ اللهم إلا أن تكون الطّبائع الفاسدة الغالبة عليهم وسوء الهمة التي بُنيَ عليها تركيبتهم ، قبحهم الله وأخزاهم ! والله إننا لتترك الكثير من حقنا والواجب لنا لهم ولغيرهم وإن لم يسألونا تركه لهم ، ونأمر من يتولى ذلك لنا بالغفلة عنهم وترك الاستقصاء عليهم .

فقال ذلك الرجل : والله إن عبد أمير المؤمنين ليتمثل ذلك من أمر مولاه فيهم ، وأنتم كما قال الله (تع) فيكم / : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ (2) » . ولقد كان المهديّ بالله (ص) يأمرني بذلك ويقول : إننا لو استقصينا (3) حقنا لذهب الكرم الذي جبّلتنا الله عليه .

فقال المعزّ (ص) : هو كما قال (ص) ، وليس للناس غاية تدرك في رضاهم فيستطاع بلوغها . وما رضي أكثرهم عن الله فيما قسمه لهم ، فكيف يرضون

(1) جبهه : رده .

(2) آل عمران « 34 .

(3) بالضاد المعجمة في النسختين ، ولعلها : استقصينا ، بالمهمله .

عنّا ؟ ولكن لا ندع الجميل ممّا أمكننا واستطعنا . والله يجزينا بذلك ما نرجوه من جميل جزائه ، ويجزي من غمط نِعْمَتِنَا وكفر إحساننا ما يستحقّه عنده .

كلام في العفو جرى في مجلس :

244 — (قال) وذكر الإمام المعزّ لدين الله (ص) فضلَ العفو والصّفح والرحمة وما جبله الله [عليه] من ذلك ، وحمد الله على ما وهبه / منه ، وقال : إنّنا نأثر عن آبائنا (ص) أنّ موسى بن عمران (ص) بينا هو يصلّي في موضع خلا فيه بنفسه ، وقد سجد فأطال السجود ، إذ مرّ به عدوّ من أعداء الله ، فوضع قدّمه على قفا موسى * بن عمران وهو ساجد ، فوطئه وطأةً شديدة ، ومضى يشتدّ لثلاً يطلبه . فرقع موسى (عم) رأسه وقد أليم لشدة وطأته ، وقال : ما لك ، لا غفر الله لك ! وما هو (عج) بالذي يغفر لك مثل هذا .

فأوحى الله (تع) إليه : يا موسى أقطعْ عليّ ، وتوجب أنّي لا أغفر ذنباً عمليّه عبدٌ من عبادي ، وذلك ممّا يؤثسهم من رحمتي ويدفع ما أوجبْتُ منها لخلقِي ؟ لقد أتيتَ يا موسى عظيماً بما تبتّه عليّ من ذاك / ، ولقد أنى عبي هذا الظالم لنفسه إليك ذنباً عظيماً ، في عدلي عليه أن أعذّبه عذاباً أليماً . فإذا قطعتْ عليّ بأنّي لا أغفره له فلاخالفنّ ظنّك بي وما أوجبته من قطع رحمتي ، ولاغفرنّ له ، وقد غفرته لما كان منك في ذلك .

فاستغفر موسى ربّه وأتاب إليه ممّا كان منه واسترحمه وتاب إليه منه .

كلام في مجلس في القيام بحقّ الله مبلغ الجهد :

245 — (قال) وذكر يوماً (صلع) قولاً بلغه عن بعض المخالفين المبغضين لأيّامه — لعنهم الله — ولو شاء (صلع) لدمّرهم ، ولكنّ الله (تع) قد جبله على الحليم والعفو والصّفح والرحمة .

فقال : بلغني أنّهم يقولون : قد همّ بكذا فلم يستطعه ، وهمّ بكذا / فلم ينته ولا قدرّ عليه . قبحهم الله ! فما أسوأ حالهم وأقلّ بصائرهم

ومعرفتهم بما تعبد الله به رُسُلُه والأئمة من عِبَادِه ، ونصبتهم له ، واستخدمتهم فيه . كأنهم غيرُ مصدِّقينَ بنبوَّة رسول الله (ص) ولا هم من أهلِ مِلَّتِه ولا ممن ينتحلُ دَعْوَتَه . وإنهم إذا أخلصوا لذلك /.../ (1) ولكنهم يدعون أنهم من أهل الإسلام، وقد علموا أن رسول الله (ص) هم بغير شيء فلم يبلغه وقصد غير مقصد فانصرف عنه ولم ينل ما قصد فيه * منه ، وبعث غير بعث فانهمز إليه ، ولقي غير عدو فلم يظفر به . وإنما تعبد الله رسله الذين أمرهم بالجهاد والأئمة الذين أقامهم للقيام بأمر دينه / بما تعبدهم من است فراغ مجهودهم وبذل وسعيهم فيما افترضه عليهم من جهاد أعدائه . فلذلك أقامهم واستخدمهم ، فهم يذنبون فيه أنفُسهم ويهجرون أوطانهم وينفقون فيه ما (2) خولهم من أموالهم، ويبلغون منه ما قدروا عليه وأمكنهم ، وذلك فرضه الذي فرضه عليهم ، ولم يفترض عليهم أن يغلبوا العدا (3) ولا يبقوا منهم أحداً إلا دَمَرُوهُ . بل ذلك من أمرهم وأمر عدوهم إليه جل ثناؤه ، ينصرهم على من أحب أن ينصرهم عليه، ويبقى من أعداء الله من يبقى لما يريده جل جلاله من استنقاذه إلى الهدى أو الإملاء له ليزداد كما قال الله (تع) إثمًا (4) . ولو شاء الله لاجتاح من كفر به وعنده عن أوليائه فأدنى إليه عذابه ، ولكنه امتحن عباده بذلك من أمره كما قال، عز وجل من قائل : «وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ (5) » .

فوعده القائمين بحقه المجاهدين في سبيله ما قد وعدهم من ثوابه ولم يكلّفهم غير القيام بأمره وبذل المجهود فيما أمرهم به . ولكنه لمن يقال هذا ؟ ألبهائيم في أشخاص بني آدم ؟ بل البهائم أفضل منهن وأهدى سبيلا ! أما إنهم يتعرضون لبأس الله أن يحل بهم بأيدينا وما ذلك بعيد من الفاسقين . وإن نحلهم / عن جهلهم ونغفل عن قبيح ما يأتي منهم فما الله بغافل عما يعمل الظالمون . وما لنا أن نتعدى

(1) هكذا في النسختين ، ولعل في الكلام نقصا .

(2) ما : ناقصة من أ .

(3) في النسختين : السداوة .

(4) الآية من سورة آل عمران ، 178 «إنما نمل لهم ليزدادوا إثما» .

(5) محمد ، 64 .

أمره وَلَا أَنْ نَخَالِفَ حُكْمَهُ بَلْ نَصْبِرْ عَلَى مَا أَوْذَيْنَا كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعِزْمِ مِنْ قَبْلِنَا ،
وكما أمر الله بذلك محمدًا نبيّه جدّنا (صلع) ، فقد قال وهو أصدقُ القائلين : «فَاصْبِرْ
كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعِزْمِ مِنْ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ (1)» . وما عذابُ
الله من الظالمين بعيد ، بل أخذه كما قال : «إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ
إِنْ أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدٌ (2)» .

كلام في مجلس في الخروج من حقوق الله :

246 - (قال) وسألني رجل حضر مجلس الحكمة (3) ممّن دخل إلى دعوة
ولّي الله ممّن قدّم من المشرق : إلى من يدفع ما / يجب عليه في ماله إذا هو انصرف
إلى بلده ، وهو لا يدري هناك أحدا يقوم بأمر المؤمنين ؟

فقلت : إن أولياء الله لن يُخلّوا موضعًا من الأرض من جناح (4) لهم فيه ،
واسطةً بينهم وبين من همّ به من عباده ، فإذا أنت صرت إلى موضعك عرفت ذلك
إن شاء الله .

ثم ذكرت ذلك للمعزّ (عم) فقال : نِعْمَ ما قلت له ، إن أكثر الناس يجهلون
أمرنا ويظنون أننا لا نعتنى إلاّ بمن شاهدناه وكان بحضرتنا ، ولو كان ذلك لكنّا
قد ضيعنا من بعد منّا ، وقد أوجب الله (تع) على جميع خلقه ولايتنا ومعرفتنا
وإتباع أمرنا والهجرة والسعي إلينا من قرب ومن بعد ، كما أوجب الله عليهم في

(1) الأحقاف ، 35 .

(2) هود ، 102 .

(3) مجلس الحكمة : انظر ص 435 .

(4) الجناح (ج. أجنحة) وهو داعي الجزيرة . وفي الدعوة الاسماعيلية ، أن الوظيفة الأساسية للإمام هي تعليم
المعنى الباطني للدين ، وهذا يقتضي ترتيباً لأعضاء الدعوة الذين هم امتداد لشخص الامام ، ومن ثم
وقع تسمية بعض الدعاة بالأجنحة ، وكذلك بالأيادي أي أن الدعاة هم أعضاء الامام ومساعدوه ، وكلهم
يكونون جسداً واحداً . لكن القاضي النعمان في كتاب «أساس التأويل» (ص 70 ، 85 ، 87) يجعل
الأجنحة في آخر مرتبة من مراتب الدعوة ، فتكون مراتب الدعوة كالآتي : الناطق ، الأساس ، الأئمة ،
الحجج ، اللواحق (النقباء) ، الأجنحة . فالجناح هو الحد الأدنى الذي يتصل مباشرة بالمستجيبين . (انظر
كذلك جعفر بن منصور اليمن : تأويل الزكاة ص 357 . والفترات والقرانات ص 35 أ ، والسجستاني :
إثبات النبوات ، ص 100) .

ظاهر أمره / الحج (1) إلى بيته الحرام من الآفاق ، ولكننا للرفقة بهم ولما نرجوه ونُحبّه من هدايتهم قد نصَبْنَا بكل جزيرة (2) لهم من يَهْدِيهم إلينا ويدُلّهم علينا ، عَرَفَ ذلك من عرفه وجهيله من جهيله ، وإن كنّا قلّمًا نجد لذلك من يقوم بالواجب فيه ، ومن نجد عنده ما نرتضيه فما علينا إلّا الجهد والبلاغ (3) ، والله يَهْدِي من يشاء من عباده ويرحم من أحب من خلقه ، ويختار لولايتنا من يختاره . من حُزبه .

كلام في مسابقة ذكر عن القائم (صلع) :

247 — (قال) وسأيرت المعزّ لدين الله (صلع) في بعض أسفاره فذكر القائم (ص) واختصاصه إياه ومحبتّه له وقُربّه منه وما كان امتَحَنَ به المنصور (صلع) من طول ستر / أمره (4) وتركه إظهاره إلى أن قُرب وقت انتقاله .

فقال المعزّ (صلع) : دخلت إليه بعد أن أظهر المنصور (صلع) ونصبه للثامن (5) بعد مدّة اثنتي عشرة سنة من يوم أفضى إليه بذلك (6) ، وذلك قبل وفاته (صع) بثلاثة أيّام (7) ، وعنده بعض حرمة ، فأمرها فتنحت عنه ، ثم أدناني من نفسه ، وضمّني إلى صدره ، وقبل بين عيّنَيّ ، وبكى فبكيت لبكائه ، ولا أدري ما أبكاه .

(1) أشار القاضي النعمان إلى تأويل الحج ، في كتابه « تأويل الدعائم » ، في باب الحج فقال : « الحج فيما يتعارفه الناس السير إلى بيت الله الحرام لقضاء المناسك ، والحج في اللغة الاختلاف إلى الموضع وإلى الشيء مرة بعد مرة ، يقولون : حج فلان موضع كذا إذا أدام الاختلاف إليه ولزمه ، وحج فلانا ، أي أتى إليه معظما له ، فأقام عنده وعظمه ... فيقال من ذلك : حج الرجل البيت إذا أتاه ليقضي الواجب عنده ، وحج فلانا إذا أتاه أيضا لمثل ذلك تعظيما له على ما ذكرنا . وهذا هو وجه التأويل . فظاهر الحج الاتيان إلى البيت العتيق بمكة لقضاء المناسك عنده وتعظيمه . وتأويل ذلك الذي جعل الظاهر دليلا عليه إتيان إمام الزمان من كان من نبي أو إمام ، وقد ذكرنا أن مثله في الباطن مثل البيت الحرام (ص 196-197) . إذن يكون الحج في الباطن هو السعي والهجرة إلى الامام . وكما يقول القاضي النعمان ، ولتيسير الأمر لأبناء الدعوة جعل في كل ناحية ققام فيها الدعوة من يقوم بأمره وهو فيها يمثل الامام .

وكذلك تأويل جعفر بن منصور اليمن في كتاب الكشك (ص 118) : « ... والباطن من الحج على وجهين : أحدهما الهجرة من وطنك إلى وطن الرسول في عصره أو إلى وطن الامام في عصره مع معرفة صاحبها وإلى من جاهرت بحقيقة فضله ومقامه حتى يقبل حبك ويشكر قلبك ويتزكى سمك وينجلي عنك شكله ، والوجه الثاني في الباطن فهو معرفة الامام (ص) في كل عصر وزمان الناطق بالحكمة » .

(2) الجزيرة : انظر ص 265 .

(3) ب : البلاء .

(4) عن الناس ، أما المنصور فقد كان يعلم بتميينه حسب روايته للمعسر (انظر ص 448) . وقد برر القاضي النعمان هذا الكتمان في « أساس التأويل » (ص 51) بحجة يرفعها إلى جعفر الصادق : « ... فكان ذلك - أي تأخير الاعلان عن الوصي - لئلا يجتمع الفضل الكامل في اثنين ولا يكون الا في واحد بعد واحد » (وانظر في ص 514 صيغة أخرى من هذا القول مع تعليلها) .

(5) في رمضان 335 كما مر .

(6) عند دفن المهدي ، في ربيع 1 سنة 322 .

(7) هذه المحادثة بين القائم والمعز دارت إذن يوم 9 شوال 335/13 ماي 956 .

ثم قال لي : يا بني إن مولاك ومحبك مفارقك بعد ثلاث . وعقدَها بيده .
قلت : بل يُبقي الله أمير المؤمنين ويُمِدُّ في عمره ويُقدِّمنا قبله .

قال : اسمع ما أقول لك : إن أخوف ما أتخوفه عليك من أهلك ،
ما علمته / من إشاري إياك وإيثارك أمري على أمره ، وميلك إليّ دونته ،
وما أعلمته من ميله إلى أمهات إخوانك (1) . فأخشى خيشية المشفق عليك
أن يعدل بهذا الأمر عنك إلى غيرك منهم . وكلاً لا يفعل الله ذلك إن شاء الله !
ولكن متى رأيت منه أثره عليك أو ميلاً عنك فاصبر صبر من أحله الله محلك ،
وأقامه مقامك . فأنت والله صاحبها ، ولولا صغر سنك اليوم ما عدتُك (2) .
وعن قريب تصير إليك . فأوصيك بتقوى الله واحتمال ما حُمِلت والصبر على مَضْض
ما يؤتى إليك ، وإخوانك إخوانك ! فأحكيكم معاملتهم في يومك وغدك !

ثم أدركه ضعف وبهر ، فقطع الكلام / ساعة ثم تنفس الصعداء وقال :
الإخوة (3) وما الإخوة ؟ يتهول أمرهم ، لما كان ناله (صلع) من المشقة في سياسة
أمرهم . ثم خفت ، ورأيت أن الكلام أجهد ، فقمْتُ عنه وخرجت فإذا بالمرأة من
وراء الباب تسمع ما جرى من الكلام - وهي بعض أمهات الأولاد - فهتأتني
بما سمعت وقُبض (ص) ثالث ذلك كما قال (4) .

في بعض بواهر المعز (ص) :

248 - (قال) : واعتزم المعز لدين الله (ص) على الخروج عن الحضرة لمطالعة
بعض الكور واحتفار أنهار أن يُجْزِيَهَا إلى الحضرة ، فبعد أن أعد لذلك
وقرب الوقت الذي اعتزم على الخروج فيه جاءت الأخبار بأن الجراد قد أطل على

(1) يظهر أن أبناء المنصور الخمسة (والبنات الخمس) كانوا من أمهات مختلفة ، ولكن
المؤرخين لم يذكروهن .

(2) ولد المعز في 11 رمضان 319 ، فعمره إذن 15 عاماً . وقد سبق للمعز أن ذكر عبارة القائم هذه بلفظ
مختلف : ولولا صغر سنك لجعلت هذا الأمر إليك (ص 94 من المجالس والمسايرات) . وقد لاحظنا
(ص 95 تنبيه 1) أن نبة القوائم هذه تشعر بأن الامام قد يتجاوز - في تعيين خليفته - الابن إلى الحفيد .

(3) سقط من ب : فقطع الكلام ... وقال الإخوة .

(4) يظهر أن القائم قدر يوم وفاته تقديراً صحيحاً ، وكان النعمان يريد أن يشعرنا بأن الأئمة يتنبؤون
بوفاتهم . هذا ، وقد عقد الكليني فصلاً في كتاب الكافي (ج 1 ص 258) بعنوان : باب أن الأئمة
(ص) يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم .

البلد / وأشرف عليه ، وبوخ (1) في كل موضع نزل فيه . فكان ذلك كسرا من عزمه على الخروج ، وقال : متى خرجنا فحللنا بيلد وأعقبهم بعد ذلك حلول هذا الجراد بهم ، خشينا أن يتطير بنا منهم من لا خير فيه وأن يجعل من ذلك مقالا .

فأقام على ذلك أيتاما حتى حل الجراد وانتشر في البلدان ، وبوخ فيها ثم خرج (ص) وقد قحط المطر وأجدب/الأرض وتغير الزرع وذبل وأشفى على الهلكة . فكلما نزل منزلا نزل الغيث به بنزوله ، وجاء منه ما يجاوز الرواء، وأحصى الزرع لا يجاوز ذلك ما (2) بين يديه . فإذا ارتحل من ذلك المنزل ارتفع المطر وصار في صحو حتى ينزل بالمنزل / الذي يليه وهو في القحط والجذب على مثل ما كان عليه المنزل قبله . فساعة حلوله ينشأ السحاب ويأتي بالغيث الوابل ما دام مقيما حتى يرتحل .

فلم يزل كذلك مدة مسيره وحلوله حتى انصرف ، فمات الزروع والثمار وكملت ، ودفعت الآفة عنها وأمنت . ورأى الناس من بركة أثره ويؤمن سفره ما بهرهم ، وعظم أمره عندهم ، وأعقبه الله (عج) بذلك ممّا توقعه من سوء ظنهم به وتطيرهم بحلوله لما اطلع عليه من جميل نيته فيهم وحسن اعتقاده لهم . .

كلام في مجلس في بركة نظر أولياء الله (صلع) :

249 — (قال) واستعمل المعزّ لدين الله (صلع) يوما جماعة على أعمال شتى / انتخبهم لها ولم يكونوا استعملوا قبل ذلك على مثلها ، فتكلم من بحضرته في ذلك ، وشكروا له اصطناعه إياهم ، وتنويهه بأسمائهم ، ودعوا بأن يبلغه الله إلى أن يستعمل كذلك ذراري أوليائه في مشارق الأرض ومغاربها ، وقالوا : نرجو أن يوفقهم الله إلى ما يرضاه وليه منهم وألا يخيب ظنه بهم وانتخابه إياهم لما انتخبهم واختارهم .

فقال (صلع) : ما نظرنا إلى أحد نظر خير إلا تبين ذلك فيه ، لأنّ نظرنا إلى من ننظر بذلك إليه سعادة من الله (تع) له ، فما دام يعلم فضل النعمة عليه ويعترف بفضلنا عنده ويتحرى رضائنا ويحذر سخطنا

(1) هكذا في «أ» و«ب» ، ولعلها : وفرخ . وبوخ : أفسد .

(2) في أ و ب : إلى ما ...

لا يُزال على خير ، ويقدر ما / يعتقد من ذلك ويتحرّاه يرتقي في الدرجات
ويتصاعد في المعلومات ويتزيد في الفضل والخيرات ، حتى إذا غلبت الشهوة
وحلّت الشقوة واستحكم الطمع وقوى الشره ، فأعرضوا عن أمرنا وجهلوا حقنا
وصدّوا عن وصاياتنا ، وخالفوا حلولنا ، وكانت همتهم أنفسهم أسلموا إليها
ووكّلوا إلى حوّلها وقوتها ، فأظلم نورهم ، وانكسفت أحوالهم ، وساءت
أعمالهم ، واستحوذ الشيطان عليهم فأضلّهم وأعمى أبصارهم ، فحسروا الدنيا
والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . وما نولي من توليه ونستعمل من نستعمله
إلا ونحن نتوخى الخير فيه ونُحِبّه له . وقليل من يُعين على محبوبنا / ويمثّل
أمرنا . ولو فعلوا لسعدوا وأدركوا فوق ما ابتغوا وأملوا واشتهوا
من أمر الدنيا والآخرة ، ولأدركوا خير العاجلة والآجلة ، وبلغوا رضائنا ورضاء
أنفسهم وآمالهم وآمالنا فيهم ، وأسأل الله توفيقهم . لذلك وعونهم عليه ،
فبذلك تتم الخيرات وتعم البركات وتشتمل المسرات .

الجزء الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام في مجلس في انتظار وعد الله ﷻ لأوليائه صلوات الله عليهم :

250 — (قال) وقدِم على الإمام المعزّ لدين الله — صلوات الله عليه — رسلُ جماعة من الدعاة من جزائر شتّى / بعيدة ، فوافقوا بالحضرة في يوم واحد ، فأدخلهم إليه ، فقبلوا الأرضَ بين يديه ، ومرّغوا خدودهم عليها ، وأكثروا من حمد الله وشكره إذ أبلغهم إليه وأراهم وجهه ، وأوصلوا كتبَ الدعاة الذين أرسلوهم وما حملوهم من أعمال المؤمنين قِبلتهم .

وسألهم (صلح) عن الأحوال ممّن خلفوه من الدعاة والمؤمنين وما تجري الأمورُ به لديهم ، فذكروا من صلاح الأحوال في ذلك واستقامة الأمور والعلوّ والظهور ما حمّد الله عليه ، وأكثر (عم) من شكره بنا وهبّ منه . وذكروا ظهورهم (1) إلى من يتجشّزون به من الولاة المتغلبين في البلدان وإكرامهم إيتاهم وبرّهم بهم إكراما لأمرٍ وليّ الله وإعظاماً / له .

فقال بعض من حضر : ما يمنع أمير المؤمنين من المشرق ولا يحول دونه إلاّ أنّه لم يرُم (2) العزمَ في أمره . فأما لو عزم على ذلك لما حال دونه حائل .

(1) ب : وأظهروهم .

(2) 1 : لم ير .

فقال (ص) : إننا لم نتخلف عن ذلك إلا انتظارا للمدة التي وعدنا الله الظهور فيها ، ولو حضرت ما تخلفنا عن إقامة أمر الله (نع) الذي نصبنا للقيام به ، وما ذلك بعاجل دنيا نتكثر (1) منها ، ولو كانت رغبنا في ذلك لكان عندنا سمًا خولنا الله (نع) إياه من كريم أموالها ما لا نرى أنه في أيدي المتغلبين * على أمرنا ، وما كنا لتعرض بأنفسنا وأنفس أوليانا إلى التعب والتصب في عرض حطام الدنيا ، ولكن الله (نع) / استحفظنا دينه واسترعانا أمر عباده ، ولا بد لنا من بذل أنفسنا فيما استخدمنا فيه وأن ندأبها فيما يرضيه .

ولقد أنهض المهدي بالله (ص) قرّة عينه ومهجة نفسه القائم (ص) إلى مصر كرتين (2) وهو عالم بأنها لا تفتح على يديه ، ولكنه أراد تأكيد حجة الله عليهم بدعوته ، وألا يدع شيئا من المجهود إلا بلغ منه ما في نفسه ، وإن كان ذلك قد أدخل الشك على بعض المستضعفين في أمره ، ولذلك كرهنا (3) أن ندخل عليهم مثاه بالحركة في غير أوان الوقت .

ولقد أخبرني المنصور بالله (ص) أنه تلقى القائم (عم) عندما انصرف من الكرة الثانية عن مصر ، وقد كان / المهدي بالله ارتحل بعد خروجه إلى المهديّة ، قال : فلما انتهى القائم (صلع) إلى باب المهديّة نظر إليه ثم قال : « إلا حاجة في نفس يعقوب قضاهما (4) » . ودخل ، ودخات معه إلى المهدي بالله (صلع) في وقته ذلك ، فسأله عليه وضمه إليه ثم قال : « إلا حاجة في نفس يعقوب قضاهما » . فكأنما نطقا بذلك معاً (صع) بلسان واحد وعن رؤية واحدة (5) .

ثم قال المعز لدين الله (ص) : أما والله لو أراد الله ببني العباس خيراً لقطع أمرهم يومئذ على يديه - يعني المهدي بالله (صلع) - وهم في عنفوان أمرهم وتمام سلطانهم وعزهم ، ولم يرهم من الدّل والهوان ما أراهم اليوم على / أيدي شرار الخلق من الديلم حتى ملكوهم وأذلّوهم ووطّئوا أرضهم وتغلّبوا على ما بأيديهم

(1) ب : نستكثر .

(2) كانت المرة الأولى سنة 301 ، والمرة الثانية سنة 306 ، (انظر المقرئ : اتمام المنفاة ص 98 ، 103) .

(3) في أوب : ما كرمنا .

(4) يوسـ : 68 .

(5) عن رؤية واحدة ، ساقطة من ب . هذا وإن رؤية قد قرأ أيضاً : رؤية .

وصاروا عليّة (1) عندهم . وإنّ من أعظم البليّة غلبة السفّل والأشرار . وأمّا من غلب عليه أهل الحق والأخيار، فذلك أقلّ * لميحتته وأهون عليه في بليته . وما أراد الله بما فعله بهم إلّا أن جعل ذلك عبرة لمن اعتبر ، وليعلم من اذكّر في ذلك وأبصر ، هوان الدنيا عند الله وما فيها، إذ قد ملكها مثل هؤلاء السفلة وأنّه انتقم بهم، وهم شرار خلقه ممّن غمط نعمته وأخذ غير حقّه (2) وقعد مقعد أولياء الله الذي جعله لهم في أرضه ، كما أهلك نمرود بن كنعان / ببعوضة ، كما جاء الخبر بذلك من أمره . إنّ الله تعالى لو شاء أن يشرق بنا الأرض من حيث كنّا ، لأشرقنّا ، ولكنه لما سبق في علمه ما نطق به عنه جدّنا محمد رسول الله (صلى) أن الشمس تطلع من مغربها (3)، أزعجنّا من مقرّنا فغربنّا، ثمّ أطلعنّا من حيث وعد أن يطلعنّا وهو يسيّرنا إذا يشاء حيث يشاء (4) من أرضه حتّى يورثنّا جميعهما كما وعدنّا في كتابه ، بمنّته وفضله .

كلام في مجلس في صنع الله لوليّه :

251 — وكان بعض الدعاة بجزيرة نائية في صُقع بعيد يدعو إلى أولياء الله بعد دعاة تقدّموا قبّله في المكان الذي هو فيه ، واستجاب لهم قبله وإليه خلق عظيم من أهل / تلك الناحية ، وعامة أهلها مجوس ، ولكن قد كان الإسلام فشا فيهم قديما ، فاتصل بأمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) أن هذا الداعي الآخر أحدث فيهم حديثا : وذلك أنّه دعا عالمًا كثيرا من المَجوس وهم على دينهم لم يُسلموا ، وتركهم على ما هم عليه يستحلّون من محارم الله ما كانوا يستحلّونه ، ويعمّلون ممّا نهى الله عنه ما كانوا يعملونه من نكاح ذوات المحارم ، وتناول ما لا يحلّ من المشارب والمطاعم ، تعدّيّا منه لحدود الله (تع)، ووضع أمانته عزّ اسمه عند من لا يحلّ وضعها عنده ، لعاجل دنيا أراد نيلته بذلك * منهم ،

(1) أوب : عيلة .

(2) ب : بغير حقّه .

(3) طلوع الشمس من مغربها : جاء في صحيح الترمذي (ج 9 ص 34) وفي تعليق ابن العربي حديث بهذا اللفظ : أن الشمس تذهب تستأذن في السجود ، فيؤذن لها ، وكانها قد قيل لها : اطلعي من حيث جئت ، فتطلع من المغرب . والحديث يساق في معنى قيام الساعة ووصول الدنيا إلى آخر أمرها .

(4) حيث يشاء ، ساقطة من ب .

واستكثارا فيما حسنه سوء رأيه له بهم . ثم / تعدى ذلك به إلى أن أباح ذلك من محارم الله (تع) لبعض أهل دعوته من المسلمين وغيرهم .

فعظم على أمير المؤمنين من ذلك ما تناهى إليه ، وأكبره ، وتبرأ إلى الله منه ، ونهته ، وأهمل أمره ، واشتغل صدره . وكان قد أنفذ إليه رسلا من قبيله ، وطوى عنه ما هو عليه . وسأل الإمام الرسل (1) عن ذلك ، فأعلموه به ، وكان فيهم خير ، ففرقهم (صنع) عظيم ما ارتكبه من ذلك ، فتابوا منه ، وتابوا إلى ولي الله من أتباعه على أمره ، ودعاهم وطهرهم .

ثم سألهم ومن بالحضرة من أهل الناحية غيرهم عن أفضل من فيهم ، فسموا له رجلا ، فكتب إليه بالعمل على أهل تلك الجزيرة (2) وإطلاح من / يتشبه به من المؤمنين المخلصين قبيله على ذلك ، واستعمال الحيلة في قتل عدو الله المرقد عن دينه ، المبتدع ما ابتدعه ، ونسخ يده . وإظهار دين الله على ما أمر الله وأولياؤه به . وأنفذ أولئك الرسل بذلك ويكتب إليه جوابا عن كتابه ، وبما رأى (ص) أن يكتب به إليه . وعرفنا ذلك في الوقت أهل خاصة مجلسه وتفرج بما اغتم به من ذلك إلينا تفضلا وتطولا . وقد ذكرت طرفا من ذلك فيما مضى من هذا الكتاب (3) .

وكنّا نترقب مما نخشى أنه يحدث عن ذلك في الناحية قرعب المشفقين ، وقلنا : قوم تطاعموا المحارم فما الذي يردّهم عنها / ، وقد فشت وصارت ديننا عندهم ؟ وكان تخوفنا على المكتوب إليه أغلب من الرجاء في هلاك الفاسق المبدل ، غير أننا نرجع في ذلك إلى الثقة بالله لوليّه ، وأنه كما عوده يبلغه ما يرجوه ويؤمله . فما كان إلا بقدر وصول الرسل إلى المكان وانصرافهم إذ جاء رسل آخرون من تلك الجهة بكتب وأمانات حملوها ، فأدخلهم (صلع) فقبلوا الأرض بين يديه ، ومرغوا خلدودهم تقربا إليه ، وحملوا الله وشكروه على أن بلغتهم إليه وأدناهم وقربهم منه . وبعد من حضر في مجلسه عنه بحسب ما يجب لمكان سرّ إن أخذ معهم فيه ، فسألهم عن الحال . فتكلّموا / بكلام طويل نسمعه ولم نصرف الأسماع إليه ،

(1) ب : نص من « من قبله » إلى « وسأل الإمام الرسل » .

(2) ب : الناحية .

(3) أنظر ص 407 .

تَقِيَّةٌ من أن يكون ممّا لا ينبغي لنا سماعُهُ ، وننظر إلى وجهه يتهلّل لمّا سمِعَهُ ،
ويُكثِر من حمد الله حتّى انقضى كلامُهُم وانصرفوا .

والتفتَ إلينا متهلّلاً مستبشراً مسروراً فقال : قد سمعتم كلام القوم ؟

قلنا : سَمِعْنَاهُ ولم نفْهَمْ .

فقال : نَعِمَ ، فاسمعوه : ذكروا أنّ الله (تع) قد كثرَ أهلَ دعوتنا وأولياءنا
قَبِلَتْهُمُ ، وإن كان هذا الفاسق قد بثّ ما بثّه فيهم ، فإنّه لم يشتهر
عنه كلّ الاشتهار ، ولم يكن اطلعَ عليه إلّا أهلُ ثِقَتِهِ وَمَنْ قَرُبَ منه ، وأنّ
الله (تع) أَقْبَلَ بِمَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ أَهْلِ الناحية له قوّةٌ
ومِنّةٌ / وعدّةٌ ورجالٌ ، فاستجاب إلى الدعوة (1) بِمَنْ مَعَهُ ، وصار في
حزب المؤمنين ، وقويّ به أمرُهُم وأظهروه ، وأعلنوا باسمي وشهروهُ وكتبوه
على الأعلام ، وخطبوا به على المنابر ، وأنّ ملوك الناحية أنكروا ذلك عليهم ، فأقبلوا
بجموع عظيمة إليهم لا يحصى عددها ، ولا يبلغ عددُ المؤمنين عَشِيرَ مِعْشَارِها .
فلمّا رأوا ذلك ، اجتمعوا في موضع واحترفوا عليهم خندقاً ، فما هو إلّا أن وصل
عدوُّهم إليه / و/ردموه لكثرتهم ساعةً وصُولِهم إليه ، واقتحموه عليهم ، فأمر
ذلك الملك المستجيبُ أصحابه بالحَمَلَةِ وجماعة المؤمنين ، وقد حسُنَتْ بصيرتُهُ
وخلُصَتْ نيّته ، فقالوا له : / على من نحمل وبين أيدينا عددُ الثرى ؟

فقال : لا تنظروا إلى ما بين أيديكم من الملا ، ولكن انظروا إلى السّماءِ ، فإنّ
مَنْ عليها معكم ، وهو ناصركم ومؤيدكم * . فحملوا حملةً صِدْقٍ
بنيّات خالصة ، وحَمَلَ جماعتُهُم وحمل معهم ، فانهزم
الملا بين أيديهم مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَمَنَحَهُمُ اللهُ أَكْثافَهُمْ (2) .
فقتلوا منهم ما لا يُحصى عدداً ، وغنموا من أموالهم وسلاحهم
وكُراعهم ما امتلأت منه أيديهم ، وفرّق الله جمعَ عَدُوِّهِمْ ، وأقبل مَنْ
حولهم بالطّاعة لهم والتسليم لأمرهم ، فدانت لهم مدنٌ كثيرة ، واستعملوا عليها

(1) ب : نقص من « له قوة إلى ... إلى الدعوة » .

(2) أي : خيلهم ، ولعلها : أكثافهم ، أي ، جماعاتهم .

عمّالاً ، وأظهروا فيها دعوتنا ، وحازوا لأنفسهم / معقلاً حصيناً بقلعة شاهقة (1)
منبعة قطنوا بها واتخذوها دار هجرة (2) .

والداعي اللعين المبذل ، فهم يعتقدون طاعته لولايتنا ويمظّمون أمره إذ كان يدعو إلينا . فما هو إلاّ أن انتهى الرسل الذين حملناهم في أمره إلى أدنى عمل الجزيرة ، ولم يسبقَ بينهم وبين الموضوع إلاّ مسيرة شهر حتى أذن الله (تع) في الفاسق بما أردّناه بلا عنت ولا تكلف ، فطرّقته بغلته ، /و/ أهجلته الموت فيها عن أن يوصيَ لأحد بمقامه ، ولا أن يُقدّمَ أحداً لمكانه فيكون قد سدّ موضيعة وقام مقامه . وكفى الله مؤنته ، وبلغنا في عفافٍ ما أردناه منه بفضلِهِ ونعمته ، وما عودّناه / من جميل عادتِهِ .

ولمّا هلك عدوّ الله اجتمع الدّعاة فيمن يقيمونه مقامه إلى وقت مطالعتنا ، فوقع اختيارُهم واتّفاقهم على الرجل الذي اختَرناه وأقمناه وكتبنا إليه ، لمّا أراد الله (تع) من تأليف أمرهم واجتماع كلمتهم وظهور أمرهم على عدوّهم ، ليقيموه عليهم ويرسلوا رُسُلًا من قبيلهم لمطالعتنا بأمرهم . فأكبر ذلك الرجلُ من أمرهم ، وقال لهم : إذ قد اتفق رأيكم عليّ فاسمعوا منّي . قالوا : نعم ، نسمع ونطيع لك . فاختارَ أربعةً منهم ، وقال لهم : تكونون على الجميع ، ويكون كلٌّ داعٍ إلى أهل دعوته ، وأكون أنا النافذَ برسالة الجماعة إلى / الحضرة . فما أمر به وليُّ الله امثلناه ، ومن أقامه لنا سمعنا منه وأطعناه .

واختار رجالاً للقدوم معه علينا وقدم . فلم يسر إلاّ بعضَ أيام حتى لقيته رُسُلنا ، ففرح واستبشر بلقائهم ، وسألهم عن الحال ، فدفَعوا إليه كتابنا إليه ، وكتبنا إلى جماعة الدّعاة بما أمرناه به في الخائن . فانصرف إلى مكانه ، وبعث بالقوم

(1) شاهقة : ناقصة من أـ

(2) دار الهجرة هو الموضوع الذي اتخذهُ أصحاب الدعوة وطناً جديداً يستترونها به ويجتمعون فيه ، ثم ينطلقون منه لنشر دعوتهم . ويقول النويري في نهاية الأرب عن ظهور القرامطة : « ثم أن الدّعاة اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا لهم مؤمناً وطناً ودار هجرة يهاجرون إليها ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة ... قرية ... فحازوا إليها صخراً عظيماً ، وبنوا حولها سوراً منيعاً ، عرضه ثمانين أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت ، ودنا فيها البناء العظيم . وانتقل إليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسميت دار هجرة » (عن حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ط 3 ، 1964 ص 386) . وقد استمدوا هذه التسمية من هجرة الرسول (ص) إلى المدينة فكانت المدينة دار هجرة الرسول ومركز دعوته . وفي القرآن آيات ترددت فيها كلمة هاجر ومشتقاتها ، وكثير منها تبارك الذين يهاجرون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وآيات آخر تحت حل الهجرة في سبيل الله .

الذين كانوا معه بما حمله إلينا ، وكتاب المؤمنين الذين وافاه الكتاب عندهم من أهل الناحية .

وتناول الكتابين (صع) فقرأهما علينا بنفسه إلى آخرهما . فسمعنا من كلام الرجل في كتابه ما لم نجد فيه لفظة ساقطة ولا / معنًى فاسدا . ووقفنا فيه من جزالة لفظه (1) ومعانيه على ما وثقنا لولي الله بقيامه له ، وذكر مسرقته وابتهاجه وما انتهى إليه أمر ولي الله بما أمر به وأحياء من دين الله (تع) ، وما كانوا أنكرّوه ممّا فشا عن الخائن من تغيير الدين وارثكاب محارم الله (تع) . وذكروا ذلك في كتابهم .

وطالع الرجل بما يعمل عليه من دعوة من صار من المجوس إلى دين الإسلام كما يجب ، ثم الأخذ عليهم بعد أن يُسْلِمُوا كما ينبغي ، وشاور في كثير من أعماله وما يجريه من أموره .

وذكر صنما معبودا قِبلته يحجّ المجوسُ إليه كحجّ المسلمين إلى بيت الله الحرام في كل عام : فطالع في كسره وتعفيه أثره ، وفي أشياء كثيرة - يطول بها الكتاب - من أمره ، واستمدّ ولي الله من علمه فاقبَس (2) من نوره ما يعمل به وبذيعه فيمن قِبلته .

فما ندري كيف نصف ما كان من ابتهاجنا بذلك وموقعه من قلوبنا بما أجراه الله منه على يد وليه وبسره له ، ومنحه من صنعه فيه . وعولنا على تقبيل الأرض بين يديه ، وحميدنا الله وشكرناه بما قدرنا عليه واستطعناه ، وسألنا لإنجاز وعد وليه وبلوغنا إليه .

وفي مثل ذلك :

252 - (قال) وصل إلى حضرة أمير المؤمنين الإمام المعزّ لدين الله (ص) رسلي من قِبل داع من بعض دعائه ببعض الجزائر بما لم يملوه / إليه من قِبله

(1) من «ساقطة ...» إلى «... لفظه» «ناقصة من «ب» .

(2) أ و ب : فاقتبسه .

من قربات المؤمنين وغير ذلك مما حملهم (1) إياه ، فأوصلوا ذلك وأوصلوا كتابه إليه (ص) . فذكر لنا أنه كتب فيه يذكر فيه استقامة الأحوال قبّله وعموم سلامة الأولياء لديه وصلاح أحوالهم وحسن نيّاتهم وإقبالهم إلى ما يرضي الله (تع) ويُرضي وليّه (ص) ، ويصف أن بعض طواغيت بني العباس نجم في ناحيته وادّعى الأمر لنفسه وغلب على موضع من الجزيرة التي هو بها ، وسار إلى مدينة من مدائنّها ، والأمير الذي عليها ممّن شملته الدعوة الطاهرة واستجاب إليها ، فأظهره الله على الخائب المخدول ، فهزم جمعه وأُسّره .

وكتب إلى ذلك الدّاعي يطالعه فيما يعمل فيه / ، واستأذنه في مكاتبه وليّ الله وأذن له في ذلك ، ووصل كتابه وقرأه أمير المؤمنين علينا ، فسمعنا كلام معترف بفضل وليّ الله (ص) ، مسلّم لأمره ، عارف بحقه ، متدين بولايته .

فقلت : يا مولاي ، حقيق على الله نصر من كانت هذه طويته وهذا اعتقاده . فقال : أجل والله ، إن الله (تع) لينصر من تولّا كما وعد في كتابه المبين ، لأنّهم حيزه وهو يقول ، أصدق القائلين « أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (2) » . وأثنى على هذا الرّجل خيرا ، ودعا له بخير ، وذكر ولاية أبيه من قبّله ، وما كان عليه من جميل النّية وحسن الاعتقاد لوليّ الله ، وترحمّ عليه ، واستغفر له ، وقال : لقد كان هذا / الفتى يؤمّل لمقامه في حياته وتُعرف مخايل الخير فيه وهو طفل بين يديه ومن أصغر بنيه . وذكر محنة كانت قد أصابت أباه وهو لتسع سنين ، وصنع إخوته الأكابر صنيعا أرادوا به استمالة العامة فأنكره عليهم ، وقال : إن الذي قام والدنا له حي لم يمت ، فإن أصابه ما أصابه فصاحب الحقّ الذي تولّيناه ووصلنا أسبابنا بأسبابه ، في عزّه وسلطانه ، فلن نعدم من الله خيرا ما دُمنّا نتولاه ، ونصرا نتوقّعه ، وفرجاً نُؤمّله ما خلصت نيّاتنا له ، فعلاّم نُعطيه هذه الدّنية من أنفسنا ؟ فعجّب لذلك يومئذ من سمعه لما كان منه على حداثة سنّه وقريب عهده / ، وقال خاصّة أهله : إن كان من سيّد مكان أبيه ، فهذا . وأزال الله تعالى بفضلله تلك المحنة عن أبيه ، وأعاد إليه سلطانه وعزّه الذي

(1) ب : حملهم .

(2) في النسختين : ... هم الغالبون . والتصويب من سورة المجادلة ، 22 . أما آية 56 من سورة المائدة فهي : « ومن يتول الله ورسوله والدين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » .

كان قد خولّه إِيّاه . وأخبر بما كان منه فأعجب به (1) واستَحَسَّنَه له . ثمَّ كان عاقبةُ أمره ما قد سَمِعْتُمْ .

فحمدنا الله على ما أولى وليّه ، وشكرناه بغاية جهده .

وكان هذا والمجلسان قبله في مجلس واحد (2) فقلت له : يا مولاي ، لو جاز لنا أن نُحدِثَ سُنَّةً ، لَاتَّخَذْنَا هذا اليومَ عيداً لما قواقر علينا فيه من المِسرّات ، ولكن أكثرَ ما نَقْدِرُ في ذلك عليه حمد الله وشكره بغاية وسعنا ومنتهى طاقتنا .

قال : نعم ، الحمد لله على ما خولّنا وأعطانا ومنح / أوليائنا ، وأسأله إلهامَ شكره وتمامَ نعمته علينا وعليهم بفضله ورحمته .

كلام في مجلس في فضل التمسك بالطاعة :

253 — (قال) ولما قفل الجيش المنصور من أرض المغرب بعد أن أظفر الله (تع) وليّه بابن واسول المدّعي الإمامة وابن بكر النّاكث المتغلب بفاس ، وفتّحها الله (تع) على وليّه وما والاها من أرض المغرب ، أخذ قائد ذلك الجيش أبناء جميع وجوه أهل المغرب ورؤسائهم (3) رهائن عنده ، وقدم بهم وبكلّ وجه (4) كان بذلك الصّقع ممّن يُطاع به ويُخاف جانبه . وجاء فيهم بجماعة من الحسينيّين الذين تناسلوا من ولد إدريس (5) وتأمّروا في القبائل وادّعوا الملك . فلمّا وصلوا / إلى الحضرة ، أمر أمير المؤمنين (ص) بإئزازهم ، وكساحم ، ووصلهم وحملهم ، وأجرى عليهم النّزل الواسع . فأقاموا على ذلك مدّة ثمّ منّ عليهم بتسريحهم وإطلاقهم إلى بلدانهم ، وأمر لهم بصلّات وخلّع وحُمْلانٍ . وبعث معهم إلى آبائهم وأكابر أهابهم بكُسرٍ وصلّات وسُرُج مُغرّقة (6) .

وأهـ اللهم بي حين خروجهم ليودّعه ، فصصّوا بين يديه ، وأدنى الحسينيّين ، وأمرهم بالجلوس . ثمّ قال للجميع : قد علِمْتُمْ ما كان من إحساننا إليكم ،

- (1) ناقصة من أ .
- (2) أي ، الفقرات التي رَدّناها 250 ، 251 و 252 ، نقلها النعمان عن مجلس واحد . للمز مع أوليائه .
- (3) ب : ورؤسائهم .
- (4) ناقصة من أ .
- (5) معلوم أن إدريس الأول مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب سنة 789/172 هو من الحسين بن علي بن أبي طالب . انظر ك . الاستقصاء للناصري ج 1 ص 147 وما يليها .
- (6) مشرقة : محلاة بالفضة . ولعنّها « مغوفة » كما مر .

وفضلنا عليكم ، وعفونا وصفحنا عما سلف من أموركم ، وقد سرحناكم لما اتصل بنا من شهرتكم ومن خلفتموه وراءكم في سراحكم وشوق / بعضكم لبعض ، فآثرنا إسعافكم بذلك والمنّ به عليكم . فاعرفوا ذلك وثلقوه بالشكر وحמיד السعي وحسن الطاعة تتعرفوا منا المزيد عنكم (1) ، ويتصلّ فضلنا لديكم ومعروفنا عندكم . وليعلم من أدنى إلينا بالنسب منكم أنّ ذلك إنّما يتوسّل به من اعتصم بالطاعة وتمسك بها ، فأما من عصى أولياء الله وخالفهم فقد انقطع نسبه (2) منهم ، كما قطع الله (تع) نسب ابن نوح منه لما عصاه ، ولولا أنّ الله افترض الطاعة لنا على كافة خلقه وقرنتها بطاعته وطاعة رسوله ، وجعلها دينا تعبّد العباد به ، وأقامنا (3) لإقامة دينه ، لما عبأنا بمن أطاع منكم ولا من عصى ، ولكنا / إنّما نريد بذلك إقامة ما أمرنا الله - تعالى - به من إقامة دينه . ولو أنّ هذا الفاسق ابن بكر أطاعنا * ما بخلنا عليه بفاس وما هو أعظم منها ، وما لذلك عندنا ولا للدنيا بأسرها من خطب نبتغيه ممّن تغلب ، ولا نقيم أنفسنا لمحاربتة لولا ما افترض الله (تع) علينا من ذلك واستخدمنا له . ولو سلم ذلك إلينا الفاسق ومّن تمسك به وأطاعه على معصيتنا لما عرضوا (4) أنفسهم للتلف وحرمتهم للانتهاك ، وإن كان ما جبّلنا الله عليه من الصفح والرحمة منعنا من انتهاكها - وقد عرضوها للانتهاك - ومن سفك دمائهم وهلاكهم عن آخرهم - وقد استهدقوا بها للسفك وبأنفسهم للهلاك - ولكنا عفونا عند المقدرة ، وصفحنا بما جبّلنا الله (تع) عليه من الصفح والرحمة ، وأبقينا على من بقي منهم ومن أقدّرنا الله تعالى عليه من جميعهم ، وصنّا حرمتهم ، وعفّنا عن دمائهم . ومّا لهذا الفاسق الذي أقدّرنا الله (تع) عليه ، بعد الذي كان منه من مناصبتنا وحرينا بعد عفونا قديما عنه وإحساننا إليه . من المقدار ما يُوجب عقوبته وإبقاءه إلاّ لما أردنا أن يديم الله (تع) به حسرته من كونه في الأسر . ونظره إلى فضل الله علينا وعلى من نسب إليه إياه ممّن رأينا المنّ عليه والإحسان إليه منكم ومن أمثالكم ممّن آثرت طاعتنا والتسليم لأمرنا وأتاب إلينا ولم / يصرّ على معصيتنا ، فيعلم أنّ الله (تع) لو أراد به

(1) ب . عنده .

(2) أ : بسبه .

(3) ب : نقص من « بطاعته .. » إلى « ... وأقامنا ،

(4) أ . عرض .

خيراً لو فقه إلى ذلك وقدره له ، فنال من فضلنا وإحساننا ما قد نال غيره . ففي ذلك ما يُنكي الله (تع) به صدره ، ويدبُّ له حسرتَه وأسفه ، فينال من أليم عذابه — جلّ ثناؤه — في دنياه صدراً ممّا أعدّه له قبل مصيره إلى أليم عذابه الدائم والخلود في خزيه اللازم .

إنا والله ما نبتغي من طاعتكم لنا وتسلمكم لأمرنا وإنابتكم وإنابة غيركم * إلينا عزّاً إلى عزّنا نستفيدُه ، ولا عرَضاً من أعراض الدنيا نستزيده . ولقد خولنا الله (تع) من ذلك وملّكتنا وأعطانا بفضلِه علينا وإحسانِه إلينا ما لا نتعاطى أن نقوم بشكره ، ولا تمتدّ أعيننا / إلى غيره استقلالاً لما خولنا الله (تع) وأعطانا من جزيل كرائمه وأفضل علاقته ، وأعزّنا به من عزّ سلطان حقّه ، وأمجدنا من مجد شرف دينه ، وما وصل من أسباب جدّنا محمد نبيّه (صلع) ، وأن جعلنا أئمة خلقه الذين لا يقبلُ / منهم / إلاّ من أقبل عليهم ، ولا يرفض إلاّ من ارتضاهم . فما بعد ما عندنا من فضله ونعمته فضلُ نعمة ينبغي أن فنالها (1) من أحد من عباده ولا فوق ما أعطانا من الشرف والمترّلة ما يؤمّل أن نرتقي إليه بشيء نستزيده من قبل أحد من خلقه ، بل قد أحوجّ الله (تع) جميع العباد إلينا دُنياً ، وديناً ، وله الحمد على ما خولنا وأعطانا ومنّ به علينا ، ولكنا نُدّيبُ / أنفسنا وأبداننا ونستعمل أوليائنا ونُنْفِقُ أموالنا فيما استعملنا الله فيه ، واستخذمنا له ، وأمرنا بإقامته من معالم دينه والذبّ عنه وإقامة شرائعه ، وإحياء ما أماته المبتطلون من سنّته وأحكامه . فنحن ندعو من أناب إلى ذلك ونحفضهم عليه ، ونجاهد من عند ذلك وصدّف عنا فيه .

فاعلموا ذلك منا وعرفوه من تصيرون إليه ، وإنكم لن تعدّوا فضلاً من الله وميناً ما اعتصمتم بحبلنا وتولّيتُمونا ، ولن تفوتوا الله (تع) وتفوتونا إن صدقتم عن أمرنا وأصغيتُم إلى عدوّنا ، ويد الله العليا عليكم وعليهم وأيدنا (2) . وعلى كلّ من عصانا وصدّف عن أمرنا ، وعدّنا وعدّنا / إيّاه (تع) في كتابه ، وواجباً أوجبه تبارك وتعالى في إيجابه إلى من عسى أن يميلوا عنا ومن يستبدّلون بنا ، ودعوة من يؤثرون على دعوتنا ، وهي دعوة جدّنا محمد (ص) .

(1) أ : : نناولها .

(2) لعلّ الاسح أن يقال : ويد الله العليا وأيدنا عليكم وعليهم وعلى ...

وطواغيت بني أمة الذين مال نحوهم ودعا إليهم وأصغى إلى باطلهم هذا النذل ابن بكر واستبدلهم بنسا ، هم عدو جدنا محمد (صلع) وحربه ولعناؤه وطرده آؤه وحزب الشيطان وجنوده . ونحن حزب الله وحزبه - كما وعد - الغالبون ، وحزب رسول الله ، وذريته المطهرون . والله ما تثبت أنفسهم الخسيسة ، ولا تتعاطى مقاومة فضلنا ، ولا ينكرون - وإن أبلوا ما أبدؤهم من محاربتنا وعداوتنا - / حقنا . وإن قلوبهم لتخافنا وجلودهم لتقشعر منا . ولو قرب جلد ميت منهم إلى جلد ميت منا لاقشعرت منه ، كما (1) قد قيل إن ذلك يعثر جلود بعض الحيوان إذا قرب من جلود بعض السباع . ولئذي جعله الله لنا من الهيبة في صدور عدونا والخوف لهو أشد مما جعله الله - تعالى - في قلوب الحيوان للسباع لا محالة .

فمن ذا يعد لنا بالأرجاس من بني أمة ومن هو في مثل حالهم ، إلا من أعمى الله قلبه ، وغلبت عليه شيقوته وحبيته ؟ فاعرفوا فضل ما وفقكم الله (تع) إليه وحباكم به ، وقوموا بفرضه واشكروا على ما وهبكم منه ، ومن عليكم من رضانا به ، تستديموا نعمته بذلك / وتستريدوا فضله . أما إنني لم أقل ما قلت في نفسي تكبرا ، ولا وصفت ما وصفت من فضل الله (تع) عندي فخرا ، بل قلت اعترافا بفضله علي ، وشكرا لنعمته ، وأنا أقل عباده عند نفسي تواضعا لعظمته وأذلهم لديها تذلا وخضوعا . لقدرته . واسعبر (صلع) ، وظهرت خيشة الله على وجهه .

فقبلوا الأرض بين يديه ، واعترفوا بفضله ، وشكروا له بما قدروا عليه ، وذكروا ما يعتقدونه وما يعلمونه ممن خلقوه وراءهم من أوليائهم واعتقادهم طاعته وولايته ، وودعوا وانصرفوا .

وكان قد أدخل قبلهم وجوه أوليائهم من كتامة وغيرهم وخاصة عبيده ، فحضروا / المجلس . فلما انصرف القوم نهض من كان جالسا منهم للقيام ، فأمرهم بالجلوس فجلسوا . ووقف كذلك من كان منهم واقفا ، فأقبل عليهم وسألهم عن أحوالهم ، وذكر من مضى من أسلافهم وترحم عليهم ، وحضهم

(1) ب : كما قال قد قيل ...

على ما كان عليه أسلافهم من الرغبة في الحكمة وطلبها وسامعها والمواظبة عليها .

فذكرت له مواظبتهم على ذلك واجتماعهم في كل يوم جمعة واحتفالهم وغيرهم من أوليائهم (1) إلى الجامع لشهود الجمعة والتهجير إليها ، ثم مقامهم بعد انقضاء الجمعة لسماع الفقه والمناظرة فيه قبل انقضاء صلاة العصر ، ثم احتفالهم بأجمعهم ومن عسى أن فاتته صلاة الجمعة منهم إلى / القصر المعمور بطول بقائه لسماع الحكمة وما يظهر من إقبالهم عليها ورغبتهم فيها .

فقال : هذا الذي نريده منهم ومن غيرهم مما فيه حفظهم وصلاح أحوالهم وتسامُّ نعمة الله عليهم . إنهم ومن مضى من أسلافهم كانوا مع من مضى من آبائنا - قدس الله أرواحهم - قليلاً ما يُنعمُ عليهم مثل ما نُنعم نحن على هؤلاء بحسب ما أوجبه الزمان وجرت به الحكمة في أعصارهم (صع) وعصرنا هذا المبارك من بعدهم . إنهم كانوا يأخذون ما قد (2) سمحوا به من العلم والحكمة لهم ، فلمَّا أخذوا ذلك عنهم تركوهم ، ولم ينقموا عليهم تركهم لسؤالهم المزيد من فضل الله (تع) لهم . ونحن نبذل لأهل عصرنا / ما يجب في بدء الأمور بدله لهم ، ونزيدهم ما رأينا الرغبة والإقبال منهم ، ونُنعِمُ عليهم إذا سكتوا عن طلب الزيادة منا لهم ونُحبُّ أن نجعل جميعهم أعلاماً يُهتَدَى بهم ، وسُرُجاً يُستضاء بنورهم ، وعلماء تفتشيسُ الخلائق منهم .

فقبلوا الأرض بين يديه ، وشكروا فضله وجزيل ما أولاهم من نعمه .

فقال (عم) : أحبُّ لكم ولغيركم خاصَّةً ولجميع من تمسك بولايتنا عامة أن يكون ما تُكنُّه صدوركم لنا موافقاً لما تنطقُ به ألسنتكم عندنا ، فإنَّ الله (تع) إنَّما يَجْزِي العبادَ بنبيَّاتهم ، وإلاَّ فمثل من سمع الخائب اللعين قيصر (3) وقد سأله بعضُ رجالنا رفعَ حاجة إلينا / فأعرض عنه ، وقال : إنَّما تُقضى حوائجُ الرجال إذا احتيج إليهم ، واليومَ فليس لمولانا علوٌ يُحتَاجُ معه إلى الرجال .

(1) ب : أوليائه .

(2) 1 : كانوا يأخذون قبل ما سمحوا به من ...

ب : كانوا قد ما سمحوا به من ...

(3) قيصر : انظر : ص 436 . وفي ب : العين - يعني قيصر - .

فيطوي هذا عنّا ويرضاه مِن قوله ، وبصحبته ويتولاه بعده يكون قد حفظ لما أخذ لنا عليه وصحّت لنا نسيّته .

فقالوا : لعن الله من فعل ذلك .

قال (عم) : نعم ، ورحم الله من بلغه إلينا نصيحة لنا كما أخذناه عليه وأنكره بسببه لمّا سمعه منه . فمثل هذا فارغوه من أنفسكم ولا تتخذوا ولائج من دوننا ، فوالله ما أحوّجناكم إلى ذلك ، وإلا فأخبروني أيّ كبير منكم أو صغير كتب إليّ رُقعة في ليل أو نهار يقول إنّه يريد الدخول إليّ فحجّبتّه ، أو الاجتماع معي / لحاجة يريدّها أو لأمر يُنهيهِ إليّ فمنعتّه أو دفعته؟ إذا والله لا يقول ذلك قائل منكم ولا يتعلّق به عليّ ، فأيّ حجة لكم في وضع أنفسكم لمن هو دوني ، وأنا أريد رفعتكم وتشريفكم ؟

فقبّلوا الأرض بين يديه وشكروا له . واعترفوا بفضلِهِ وإحسانِهِ .

الجزء الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث في مجلس في حمد الله عز وجل وشكوه والاعتراف بفضله :

254 - قال القاضي النعمان بن محمد : سمعت الإمام المعز لدين الله - صلوات الله عليه - وقد أتاه فتح مدينة فاس بعد أن كان أكثر الناس يشسوا من ذلك لطول إقامة الجيوش عليها (1) / وهروب من هرب منهم عنها وقوة أهلها وكثرة الأطعمة فيها ووعر خنادقها وحصنها ، فقال (ص) : هذا من قول الله (عج) : « حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرَّسْلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا (2) » . والله ما استيأس رسل الله من فضله (عج) ونصره إيتاهم ، لكنهم استيأسوا ممن خذلهم ولم يقيموا بواجب حق الله (نع) الذي افترضه في جهاد عدوهم ، فقطعوا من الخلق رجاءهم ، ووصلوه بالله ربهم ، فاتاهم نصره الذي به وعدهم .

وقد كان المعز لدين الله (صلع) ، كلما ورد عليه من أمر فاس هذه أمر يشس معه من سمعته من فتحها ، يقول - ونحن نسمعه من غير موطن - : إذا

(1) دام الحصار نصف شهر في الحقيقة ، ولعل النعمان يعني هنا طول إقامة جوهر بالمغرب عامة ، أي سنة أو أكثر ، كما يقول ابن عذاري (ج 1 ص 222) وابن الأثير (الكامل ج 6 حوادث 347) .

(2) يوسف ، 110 .

أتى مثل هذا ، ما أتوكل في / أمرها وكلّ أموري إلاّ على الله لا شريك له ، ولا أرجو غيره ، وإتني لوائقٌ بفضلته ونصره .

ثمّ قال (ص) لمّا أتاه الفتح : والله إني لربّما أريد أن أسأل الله - تعالى - في الزيادة من فضله فيما يكون من مثل هذا فأستحي أن أسأله ذلك لكثرة ما أولاني منه ، له الحمد لا شريك له . وإتني لربّما سألتُ الله (نع) طول البقاء لعسوتي ليُخزِيه الله بذنوبه ، ويرى ويسمّع من صنع الله عندي ما يُنْكِيه ويؤلمه .

ثمّ قال (عم) : أتدرون ما أردتُ بالكتاب الذي كتبته منذ قريب . لأهل فاس هؤلاء الأشقياء ؟ وقد كان كتب لهم كتاباً بالأمان إن أنابوا ، وعرفنا به ، فلمّا انتهى إليهم ردّوه فلم يقبلوه / .

قلنا : الله ووليّه أعلم .

قال : والله إن أردتُ بذلك إلاّ هلاكهم بإقامة حجة الله تعالى عليهم ، وإلاّ فقد علمتُ أنّهم ، متى جاءهم وهم يرون أنّهم في قوّة وأنّ عساكرنا قد سمّت من المّقام عليهم وانحلّ بعضها عنهم ، وجاءهم مثل هذا من عندي ، أنّهم يدفعونه . فأردتُ أن أجعله ككتاب رسول الله (صلع) إلى صاحب فارس (1) إذ (2) أتاه فمزقه فمزق الله تعالى ملكه ، وككتاب المنصور بالله (صلع) إلى مخلص اللّعين وأصحابه ، وقد حاصروهم بقلعة كيّانة (3) إذ كتب إليهم الأمان فردّوا كتابه ، فأمكنه الله (نع) منهم في أقرب وقت . وكذلك أردتُ بكتابي الذي رأيتموه ، وكان كما أردت ذلك بحمد الله / ونعمته .

ثم حمد الله (نع) بما هو أهله ، وشكر فضله بما قدر عليه وأمكنه .

كلام في مجلس في ترتيب استعمال العمّال على العمل :

255 - (قال) : وذكر (صلع) بعض الأولياء لبعض الأعمال (4) فقال : إنّا ربّما أردنا مثل هذا لمن ندبّه فيرى نفسه فوق ما ندبناه إليه ، ويرى أنّنا قصرنا به في ذلك ، وما نقصد بأحدٍ من أوليائنا وغيرهم ممّن ندبّه إلى عمل نستعمله عليه إلاّ شرفه

(1) رسالة النبي إلى كسرى : حملها عبد الله بن حديفة فقرئت على كسرى ثم أخذها فمزقها ، فقال الرسول (ص) : اللهم مزق ملكه ! (النويري : نهاية الأرب ، 163/18) .

(2) في النسختين : إذا أتاه .

(3) في جبال المعاصيد شمالي شط الحفصة ومدينة المسيلة .

(4) ب : لبعض العمّال .

وترفعه . وما شيء استعملنا الله (تع) فيه فعملناه له بقليل ، [و] ينبغي لمن ندبناه إليه أن لا يحتقره ، ويرى نفسه فوقه . ونحن عمال الله (عج) عليه . وإنما (1) ننقل الناس كما ينبغي أن ينقلوا في الأحوال حالا عن حال . فمن / رفعتَه كفايته (2) ونصيحته رفعتاه ، ومن قعد بنفسه فلا يلزم أحدا سواه .

وليس ينبغي لنا أن نبتدىء من نبتدئهُ حتى نختبره بمعالي العمل (3)، وما سبق منه فيما هو دونه ، لأننا لو فعلنا * ذلك لعرضنا به إلى هلاكه . فقد قيل إن الإنسان إذا رمى شيئا من يده من نحو صدره إلى ما دون ذلك من أسفل يديه ، فالمعلوم أنه لم يرد به كسره ولا إفساده ، وإذا رفعه إلى أعلى من ذلك وإلى فوق رأسه وضرب به الأرض ، كان العلم محيطا بأنه أراد أن يكسره ويوهنه . فهذا مثل لما قلناه إننا لربما نعطى من نعطيه اختبارا ومحنة . فإن رأينا من أعطيناه ما نعطيه قام به وشكر / عليه وأدّى الأمانة، زدناه ، وإن قصر، قصرنا به ونقصناه . وهذا دأب (4) الله (تع) لخلقه فقد جعل ثوابا لمن أطاعه وعقابا لمن عصاه وقال : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ولئن كفرتم إن عذابنا لشديد (5) . »

كلام في مجلس في فضل النبوة :

256 - (قال) وذكر للمعز (صلع) بعض دعائه بعض عمال المهدي (ص) ، فقال : ذكر عنه أنه افتتح مدينة فلم يصب فيها كثير شيء ، فاغتم لذلك وأرسل إلى أهل خاصته من الجيش الذي كان معه ، فقال لهم : هذه مدينة مذكورة قد افتتحناها عنوة ، ونحن كما ترون لم نجد فيها مالا نقابل به ولي الله ونُبتي (6) به وجوهنا عنده ، وإذا لم نفعل ذلك صرنا في / حدود التهمة . فأَي مصيبة أعظمُ

(1) ب : وأن .

(2) كفاية عوض كفاءة ، والخلط بين الكلمتين بعد شائع .

(3) هكذا في النسختين ، ولعل في الكلام تحريفا ، إذ المنتظر أن يختبره في العمل المتواضع أولا ، وفقا لدلول الجملة اللاحقة .

(4) ب : وهذا الأداب .

(5) إبراهيم ، 7 .

(6) هكذا في النسختين . ولعلها : نقي .

مما نحن اليوم فيه ؟ ليت أننا لم نفتح هذه المدينة ، وكنا رجعتنا عنها ولم نصير عرضاً للتهم وقول البغاة والحسدة . وأظهر لهم بذلك غمة شديدة .

فقالوا له : ما يغمك من هذا وأنت على يقين من نفسك وصحة من نيتك ؟ ونحن وأهل العسكر قد (1) أصبنا غنائم كثيرة ، فنحن نضمرها كلها إليك فتأمر ببيعها وتبعث بأموالها .

فقال : والله إن في هذا لبعض ما سلى قلبي . وعندي أيضا من نعمة ولي الله وفضله علي ما نزيده إلى ذلك ونتجمل . به .

فانصرف القوم عنه يجمعون الغنائم ، ودخل هو إلى الدار التي نزل بها - وهي دار / سلطان تلك المدينة - فاستلقى على سريره لينام ، فتعذر عليه النوم ، وبده مريحة يتروح بها ، وجعل يفكر فيما يبيع من متاعه ويزيده من ماله إلى ما يجتمع من الغنائم ، وشق عليه أخذها من أيدي الأولياء وقد قاتلوا عليها وكان قد أباحهم إياها . فهو يفكر في ذلك وينكث الحائط بالمروحة التي في يده لاشتغال ذهنه ، إذ سمع الحائط يدوي لوقع المروحة عليه ، فانتبه لذلك واختبره ، فترآه كذلك يدوي وكأنما وراءه شيء ، فدعا بالفأس فضرّب فيه فإذا بأموال عظيمة قد خبثت فيه تربو على الأمل ، فأخرجت وصبت بين يديه ، ففرح وزال / عنه ما كان مغموما به .

وأثاه القوم الذين خاطبهم بصدر من الغنائم ، وقالوا : هذا ما عندنا قد بدأنا به فخذّه إليك لتخرج إلى الناس فتكلّمهم في ذلك ، فإذا علموا أننا سارعنا بما عندنا سارعوا بما عندهم ، فأخبرهم بما أصاب ، وشكرهم وردّ عليهم ما أتوه به ، وبعث بالمال ، فانتهى إلى المهدي (صلع) ما كان في ذلك منه ، فحسن له موقعه عنده .

قال المعزّ لدين الله (صلع) : وأخبرني عنه بعض من يخصّه ويقرّبه أنه أدخله إليه يوما إلى داره في الموضع الذي كان عاملا عليه ، وقد أخرج أموالا كثيرة ليبعث بها إلى المهدي بالله (ص) مما اجتمع عنده من مرافق العمل . (قال) : فقال / لي ذلك

(1) في النسختين : فقد ...

الرجل : ولم أكن قط رأيت ألف دينار مجتمعاً فلمّا رأيت ما بين يديّ من الأموال تعاظمتُ أمرها . فقال لي : أتدري لماذا بعثت إليك ؟

قلت : لا :

قال : هذه الأموال عندي وهي أكثر ما قدرْتُ عليه - وذكر لي مبلغها - وإنّما نخافُ أن يستقلّها مولانا (عم) .

قال الرجل ، وكان من أهل ذلك البلد : فلمّا قال ذلك خشيتُ إن بعثت (1) بذلك المال . كلّته أن يصير قانوناً مقطوعاً على البلد ، فلا يقوم أهله به ، فقلت : أيتدك الله ، إنّ هذا مالٌ عظيم لم يُخرج قطّ مثله من هذا البلد ، فإن أنت بعثت به كلّ دقعة واحدة أجحفتُ بنفسك ولم تأمن من أمرٍ يحدث عليك / تحتاجُ فيه إلى المال ، فلا يكون عندك منه شيء ، فلا يتهيأ لك فيما يُستقبلُ مثلُ هذا . فإن قصرتُ دونه كنت قد تعرّضتُ للقول فيك . وفي بعض (2) هذا المال ما يستكثر لك لأنّه لم يكن يحملُ أحدٌ من العمّال قبلك بعضه ، فاقتصر منه على ضيعتيّ ما حمّله من كان قبلك (3) ، فإنّ ذلك [م]مّا يُعرفُ فيه فضلك وتوفرك ، ودع الباقي عندك لما عسى أن ينوبك وتحتاج إليه وتوفر به ما تبعثُ به بعد اليوم إن نقصَ (4) المال في يدك .

(قال) فرأيتّه تغير لكلامي وأطرق ساعة ثم رفع رأسه إليّ مُغضباً فقال : أمّا والله لولا علمي بنصيحتك ومودّتك لقلتُ إنك أردتَ بي سوءاً / ولعاقبتُك عقوبةً مثلك ، ولكنّي لا أشكُ في أنّك لم ترد إلّا خيراً ، ولكن ربّما أراد الإنسان الخيرَ فأخطأ . أفكُنّت ترى لي أن أخون مولانا (عم) وأحتبسَ ماله ، وأكذبَ به فيما أبعثُ به إليه ، فأقول : هذا ما اجتمع لي ؟ فأين عهدُ في عنقي وأين فضله عليّ وأين إحسانه إليّ ، وما رجاء من نصيحتي وأمانتي ؟ والله لا أدعُ منه حبة واحدة إلّا بعثتُ بها ، فإن احتجّتُ إلى شيءٍ طالعتُ مولانا بحاجتي ، وأرجو

(1) في النسختين : بعثت .

(2) ب : نقص من : هذا . فإن ... إلى : وفي بعض ...

(3) زيادة في ب : لا بعضه فاقتصر منه على . وقد تكون تكراراً لما في السطر السابق .

(4) ب : أن تقبض .

أَن يُغْنِيَنِي اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَإِن لَّمْ أَجِدْ مِثْلَ هَذَا فِيمَا أَسْتَقْبِلُ بَعَثْتُ بِمَا وَجَدْتُ ، /و/تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ فِي حَسَن ظَنِّ وَلِيِّهِ بِي لِمَا اعْتَقَدْتُهُ وَنَوَيْتُهُ .
وبعث بالمال عن آخره فما احتاج إلى شيء / بعد ذلك . وكان إدخاله زيادة في كل عام إلى أن توفيتي وهو على ذلك من حاله .

ثم قال المعزّ لدين الله (صلع) : فهذا ممّن كانت نيّته ونصيحته قد أدّاه فضلُهما إلى السعادة . وكان المهديّ بالله (صلع) يشكر فعله ويحمد أمره ، وإن لم يكن ممّن برع في الدّين من المؤمنين ، فكان فيه بعض ما كان ممّا يعفو الله عنه إن شاء الله له ولن كان في مثل حاله من أوليائنا ، وإن كانت الشهادة قد طهرته ومحّصت عنه ما قدّم له مع ما كان عليه من رضى وليّ الله لما كان من نصيحته وأمانته وكفائته .

كلام في استحباب العدل وشكر أهله :

257 — (قال) وكان المعزّ لدين / الله (صلع) قد استعمل على ناحية من نواحي الزّآب رجلاً فأدخل مالا كثيراً، وصحبه سوء ثناء عليه وشكوى من الرعيّة (1) له لم يتحقّق عند وليّ الله ، إلّا أنّ ذلك ممّا ظهرت منه له غمّة شديدة ، وعزل ذلك العامل من البلد وأقصاه واستعمل عاملاً مكانه . فجاء عند رأس الحوّل بمال دون ما جاء به الذي تقدّمه ، وجاء قاضي البلد معه ووجوه أهله يشكرونه . فأمر المعزّ لدين الله (عم) بإدخاله وإدخالهم إليه ، وقربه وأدناه وأدنى القاضي ، فذكر حسن سيرته ، وشكروا ذلك بأجمعهم ، ووصفوا ما عاملهم به من الجميل ، فاستبشر بذلك المعزّ (صلعم) وقال : اللّٰه يعلم أنّنا ما أمرنا أحداً استعملناه / إلّا بمثل الذي تصفونّه من فعل هذا الرجل . فإننا ما نرضى لأحد خلاف أمرنا ، ولا نجد حجة عليه، فنهميل ما يجب فيه . ولكنكم معشر الرعايا لا تصدّقوننا ولا تُبلغوننا ما يكون منه على وجهه، وإذا شكّا بعضكم أكذبته غيرُه وشكر من يشكّيه ، ولو صدقتمونا عن أخبركم وزالت الشبهة عنا في أمركم لصلّحت أحوالكم واستقامت أموركم ، ووجدتم من إنصافنا وعدلنا عليكم مالا

(1) أ : من شكوى .

ب : سقط : عليه .

تبلغه آمالكم . ولكنكم: أنتم سبب إدخال الوهن على أنفسكم ، فاصدقونا تجدوا (1)
الصدق عندنا . والله * ما صدقنا من كذب ظننه فينا ، ولا أميلنا بنية صالحة من
خاب أمله عندنا . وإننا لنحب / لكم من الخير فوق ما تحبونه لأنفسكم وما تحبه
لكم آباؤكم وأمهاتكم . ونشفق عليكم فوق إشفاقهم بكم . والله الشاهد على نيّاتنا
في ذلك لكم ولكافة المسلمين والمعاهدين .

فشكروا له وقبلوا الأرض بين يديه ، وأحسن نزلهم ، وصرفهم إلى بلدهم ،
وصرف ذلك العامل عليهم بعد أن قرّبه واختصّه وأذناه وأكرمه وحباه وزاد في عمله
وبسط يده وقوى أمره .

كلام في استعظام الشكر في أمر أولياء الله وجهل الجاهلين (2) :

258 — (قال) وسمعت المعزّ لدين الله (صلى) يذكر قوما قد سبقوا إلى الإيمان
وكانت لهم أحوال جميلة تقدّمت به . ثمّ تداخلهمُ الشكّ وصار بعضهم إلى
التفّاق ، — نعوذ بالله من البلاء — / ، فقال : هؤلاء من الذين قال الله (عج) فيهم :
« فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ (3) » . هذا فلان منهم يقول للمهديّ
(عم) : أرنا آيتك ؟ فأراه الله الآية في نفسه . ويقول له : أنت المهديّ ليس
بعدك أحد ، فيقول له المهديّ (عم) : لو كان الفضل مقصورا على واحد لما كان
وصل إلينا منه شيء ، ولكن لي من الفضل ما جعلته الله (عج) لي ، ولن يأتي من
بعدي ما يجعله لكل واحد منهم . ويقول الآخر لما قبض المهديّ (ص) : إننا
لله ، لادنيا ولا آخرة ، كأنه توهم أن الله (عج) قد قطع فضله ، وأن ما كان يراه
في المهديّ ويتظره قد انبروزال من يديه وكذب من عرفه به ، فأيّ شقوة تكون
مثل هذه / الشقوة وأي مصيبة أعظم منها مصيبة ؟ ولكنّ الجهل والتخلّف عن
المعرفة إذا اجتمع مع الكبر والأنفة كانت هذه ثمرته وعاقبته . توهم * هذا
الجاهل بجهله أن مفتاح الشيء هو الخزانة في ذاته .

فذكرت له (صع) سبب مصارمة صاحب هذا القول لبعض الدعاة وأنه قال
يوما لذلك الداعي : أخبرنا عن هذا العمل السذي يصل إليك من المؤمنين ، يعني

(1) في «أ» و«ب» : تجدوا نحب ... وفي رأينا أن الكلمة مكررة عن تجدوا ، فأسقطناها .

(2) ب : ويجهل جهل الجاهلية .

(3) البقرة ، 89 .

النَّفَقَةَ (1) /أ/ هو العملُ الذي ذكره الله (عج) في كتابه وأمر/به/ عباده كقوله (تع) : « وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ (2) » أم ثم عمل غيره وأنتم تسمونه العمل ؟

(قلت) فلم يدر ذلك الداعي ما يقول له إلا أن أغلظَ عليه في القول وقال / له : أردت أن تُضل المؤمنين بهذا القول وتصدّهم عن دين الله .

فقال : أنا أضل المؤمنين وأصدّهم ؟ لأننا أعلمُ من كثير ممن يرى أنه فوق الناس في العلم . ونحو هذا من الكلام . واعتكر الكلام بينهما فقطعه وصارمه .

فقلت : لو قال ذلك الداعي جواباً له ما قد بسطه اليوم مولانا في أول تربية المؤمنين (3) ممّا حكاه عن الصادق جدّه جعفر بن محمد (صلع) لمّا سأله السائل عن الإيمان : أقولُ هو أم قولُ وعملُ ؟ فقال : الإيمان عملٌ كلّه ، والقول بعضُ ذلك العمل — ثم فسّر ذلك في كلام طويل واحتجّ له من كتاب الله (عج) بحجج كثيرة — فكان يقول هذا الداعي : هذا الذي ذكرته هو عمل ، وغيره / من أعمال البرّ التي افترض الله (عج) وسنّها رسوله (ص) فهي كثيرة ، فكلُّ واحدٍ منهما إذا انفردَ فهو عملٌ ، فكذلك أعمالُ البشر ، لكان (4) قد بيّنَ له وكفى نفسه وإيّاه ما أدخل في ذلك .

(1) لعل السائل يشير بالنفقة إلى النجوى (ح نجاوى) ، وهي التبرع الذي كان يؤخذ من كل من يتعلم أصول المذهب الإسماعيلي (حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة العاطمية ، ص 223) . ويذكر المقرئ في خطه (ج 2 ص 225) أن لداعي الدعاة أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما لا سيما الصميد ، ومبلغها ثلاثة دراهم وثلاث ، فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة بيده ... وفي الإسماعيلية الممولين من يحمل ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثي دينار على حكم النجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز في المحول فيخرج له عليها خط الخليفة : بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك ، فيدخر ذلك ويتفاخر به .

ومن أنواع النفقة الفطرة « وهو ما يدفع في عيد الفطر ، ويقول المقرئ (خطط م 2 ص 225) « وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة ويحصل من ذلك مال جليل يدفع إلى بيت المال » . (وانظر ما قلناه عن الأعمال والواجبات في ص 335 و 405 و 407) .

(2) التوبة ، 105 .

(3) تربية المؤمنين : يقول القاضي النعمان أن المعز بسط اليوم هذه المسألة في مجلس الحكمة لتربية الدعاة والمؤمنين . ونعرف أن « تربية المؤمنين » هو عنوان كتاب للقاضي النعمان وهو تأويل دعائم الإسلام ، والعنوان الكامل هو : « تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين في تأويل دعائم الإسلام » . وإن أول أبواب هذا الكتاب هو باب الإيمان . فمسألة الإيمان قد بسطها القاضي النعمان في أول كتاب دعائم الإسلام « وكذلك في تأويل هذا الكتاب (انظر ثبت إيثانوف رقم 66 ، ومقدمتنا ص 16) .

(4) جواب لو قال ، في أول الفقرة .

فقال المعزّ (ص) : ولو كان هذا هكذا لم يكن ما قال الله (عج) : « ظُلِمَتْ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ (1) » . إنّ الجاهل لا يعلم إلاّ الجهل والمفضول لا يبلغ أهل الفضل ، وما أتى أكثر من يؤتى ممن انتحل أمرنا إلاّ من قبل هذا الوجه من قوم قد ضلّوا فأضلّوا كثيرا عن سواء السبيل .

فقلت : يا مولاي ، لقد سألت المنصور (ص) يوما عن * مثل هذا فقال لي : يا نعمان ، أخبرني عن هؤلاء الذين كان المهديّ قد قتل بعضهم / وخلّد آخرين في السجن . ممن تقلّد عهده من أهل إفريقية لِمَا اتصل به عنهم من القول بالإباحات ، أعندك في ذلك عِلْم من دعائهم أو سمعت من أحدهم شيئا من ذلك ؟
فقلت : يا مولاي ، لم أسمع ، وقد سمعته .

قال : وكيف ذلك ؟

قلت : كان الدعاة يومئذ عامتهم لا يعرفون شيئا من ظاهر دين الله (عج) من حلال وحرام ، وكانوا بأنفسهم أن يعترفوا بالجهل لشيء يُسألون عنه ، فما أحصي ما سمعتُ عن واحد من أكابرهم يُسأل عن شيء من ذلك مثل طهارة أو صلاة أو صوم أو غير ذلك من فرائض الدين وأحكامه وحلاله وحرامه ، فإذا سأله السائل عن ذلك / انتهره وأغلظ عليه ، وقال : ما سؤالك عن هذا المُحال من الظاهر وتدع علم الباطن ؟

(قلت) فإذا سمع هذا من يميّز حالهم ويعرف تخلّفهم وأنّ ذلك منهم بجهلهم بما يُسألون عنه ، وعلم ما يأخذونه في العهد الذي في أيديهم من إقامة ظاهر دين الله وباطنه ، ثبت على ما هو عليه ، وألقى قولهم هذا . ومن كان من أهل التخلّف وغلبت الشهوات عليهم والشقوة مثل أولئك ، تأوّلوا قولهم هذا في إسقاط الظاهر كلّ . وذكرت له كلاما كثيرا بلغني عن كثير منهم .

فتهوّل ذلك وأكبره وقال : أجل ، لَمِنَ مثل هذا وأشباهه هلك كثير .

فقال لي المعزّ (ص) : أفسئّل هؤلاء يقال / لهم دُعاة إلينا بل والله هم الصادقون عن الله (عج) وعنا ، وما دعا إلينا من خالف أمرنا وتقول علينا وقال

برأيه في شيء مما نسبته إلى أمرنا دون مطالعتنا وردّ ما جهله ، كما أمر الله (عج) وغيره ، إلينا .

حديث في مجلس في ذكر رموز أولياء الله (ع) :

259 - (قال) وذكر الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوماً رموز أولياء الله لأوليائهم في حال التقيّة على أنفسهم وعليهم ، وفي غير ذلك مما توجبّه الحكمة عندهم ، فقال : سألت رجلاً من المؤمنين بعض الأئمة عن مسألة فأجابها عنها بجواب ، ثم قال له : كأنني بك بعد أن سمعت جوابي هذا تسأل فلاناً - وسمي له رجلاً - فيجيبك بخلاف ما / أجبتك به ، فتدعّ بقولي وتأخذ بقوله ؟

فقال الرجل : أعوذ بالله من أن أفعلَ هذا يا ابنَ رسول الله (ص) ! وكان بحضرة الإمام حينئذ حجته فلماً ولى الرجل قام (1) في أثره ، ودعا به إليه ، فقال له : امض إلى الرجل الذي قال لك ، فاسأله فإنه سيُفعلُ كما قال لك الإمام (عم) بخلاف ما أفتاك به ، فاعمل على ما يُفعلُك به الرجا .

قال : وكيف يكون هذا بالمولاي ؟

قال : اسمع ما أقول لك فإنما ذلك رمزٌ رمزٌ به إليك .

ثم قال المعزّ (ص) : من لم يعرف حقيقة أمرنا ضلّ عن سبيلنا ، وما يؤتى أكثر الناس إلا من ذلك ، إن الله (عج) يقول : « وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْآيَةِ آتٍ مِّنْ كُلِّ مَثَلٍ » (2) . وقال : « وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ » (3) . وقال في قصّة عيسى (عم) : « فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ، فَتَالُوا كَيْفَ نَكَلَّمُ مَنْ كَانَ فِي السَّمَاءِ سَبِيحًا » (4) . وذكر بعد هذا من العلم والحكمة ما شفّى به القلوب .

(1) أي : عام المجبة . وقد وقع تعريف المجبة . انظر ص 94 .

(2) السورم ، 58 .

(3) النكبات ، 43 .

(4) مريم ، 29 .

قول في إنهاء ما يجب إنهاؤه إلى وليّ الله (1) صلوات الله عليه :

260 — (قال) وسمعت (صع) يوما يحضُّ على إنهاء ما يجب أن يُنْهَى إليه . ثم قال بعقب ذلك : أمّا ما ينبغي إبلاغنا إياه من ذلك ولا يسعُّ عليه طيُّه دوننا ويعلمُ مَنْ كان ذلك عنده أنَّ الفرضَ عليه أن يُنْهِيَ إلينا كما قد أخذناه في عهدنا عليه بذلك ، لا شبهةَ فيه ولا خفاءَ به ، فطيُّه دوننا لمن وجد سبيلاً إلى رفعه / إلينا خيانةٌ ومعصية لنا .

وأما ما كان ممّا يسع السكوتُ عنه ممّا رخصنا لأوليائنا في ستره وتركهم أن يكشف بعضهم عوراتٍ بعض فيه ممّا لا يُحظرُ فيه ستره (2) ، ويُؤتملُ لذي الزلّة منه التوبةُ ويُعلمُ ذلك بحقيقة ، فستره وطيُّه أولى .

وأما ما يشكُّ مَنْ انتهى علمه إليه ولا يدري أيسعه طيُّه دوننا أو يجب رفعه إلينا، فينبغي له أن يُعرّضَ بذكره ، فنحن نعلم ما يؤمىء به من ذلك ، فإن استفهمناه أخبرنا وإن سكّتنا عنه سكّتنا ، وكان ذلك الفرض الواجب عليه لنا .

حديث في مجلس في ذكر الحكمة :

261 — (قال) وكان المعزّ لدين الله (صلع) (3) يحلّ من القائم (ص) والأئمة من ذريته الطاهرين محلاً خصيصاً منذ نشأ ، وكان يقربّه ويدنيه / ويسرّ إليه دون أبيه . وكان رسوله وسفيره إلى الناس فيما يأمر به وينهى عنه ويحتاج إليه . فإذا خلا كان بين يديّه ، ومتى غاب عنه أرسل إليه .

وكان المنصور من المهديّ (ص) بهذه المنزلة لا يكاد يُفارقُه إذا خلا ، ويحدّثه سرّاً ولا يعلم أحد ما يجري بينهما . فأخبرني بعض من كان يدخل إلى المهديّ (ص) في أكثر الأوقات لما لا بدّ له منه أنّه لم يكن قطّ دخل إليه في خلوة إلاّ وجد المنصورَ (عم) بين يديّه يناجيه ، فإذا رآه تنحّى من بين يديّه

(1) ب : إلى أولياء الله .

(2) من : وتركهم إلى ... فيه ستره : زيادة من ب .

(3) أ : صلعم ، وإضافة الحرف الرابع نادرة جداً في الكتاب .

حتى يقضي ذلك الرجل حاجته ، فإذا خرج عاد إليه . (قال) وما سمعت قط ما يجري بينهما ، وما علمت أحدا ممن يقرب من المهدي (عم) / كان يحل محل المنصور منه ، ولا رأيت أحدا يخلو معه ، فأدخل عليه على ذلك إلا كلمه بحضرتي ، وسمعت ما يجري بينهما ، إلا المنصور (صلع) .

فذكر المعز لدين الله (صلع) يوما مثل هذا من حاله، وأن المهدي (صلع) كان * يغذيه بالحكمة ، ويوشحه للإمامة بحسب ما كان القائم بالله (ص) يفعل به هو . قال : فمن ذلك ما أخبرني به المنصور (ص) أنه ابتداء به . قال لي : دخلت إليه يوما وأنا حين ابتدأت النظر في الكتب ، فقال لي : نظرت في شيء من العلوم ؟ جمعت شيئا من الكتب ؟

قلت : يا مولاي ، ابتدأت في شيء من ذلك .

قال : في ماذا نظرت ؟ فذكرت له ما أنظر فيه .

قال : أما نظرت في شيء من الطب ؟ /

قلت : لا .

قال : إنه أحق ما نظرت فيه وتعلمته ، ومثلك لا يستغني عنه . .

قلت : ما أمر به مولانا (ص) انتهيت إليه .

قال : فأنا أخرج لك كتابا منه تنظر فيه .

فلما دخلت من غد إليه ، ناولني كتابا ضخما وقال لي : هذا كتاب من الطب شريف ، فانظر فيه وصنّه ولا يراه أحد عندك ، ولا تطالع أباك عليه ، ولا تخبر بما جرى بيني وبينك فيه ، واحتفظ بالكتاب غاية الاحتفاظ .

فأخذته وشكرت له وانصرفت وأنا أقول في نفسي : وما في الطب ما يبلغ المهدي (عم) به هذا المبلغ ؟ وسترته كما أمر . فلما صرت إلى مكاني ، نظرت فيه ، فإذا فيه من علم الباطن ، وأنا لا أعرف / يومئذ ذلك ، فتحيرت فيه . وتوهمت أنه أمثال مضروبة في الطب ، وأقيمت يومي وليليتي أدرس فيه فلا أرى إلا علم الباطن محض . فلما دخلت إلى المهدي (صلع) من غد ، أدنانني وقال لي : نظرت في الكتاب ؟

قلت : يا مولاي ، نظرت فيه وليس فيه من الطب شيء . فإن كان أمير المؤمنين أراد به الطب فليس في هذا الكتاب منه شيء .

فتبسّم (ص) وقال لي : يا بني ، ذلك هو الطب الحقيقي وهو طب الأرواح الباقية في الدار الآخرة ، به يعالج من ألمها ويدّأوى من سُقمها ، فأما الأبدان الفانية فهي أقلُّ من أن يُسرفَعَ بها هذه الرّفعة . انظر فيه واعرف معانيه واحفظ / أصوله فإنّ فيه أصولاً من العلم الشريف ، فإذا أنت حفظت ذلك وأيقنت معرفته فاصبرفه لأعطيك غيره إن شاء الله تعالى .

الجزء الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث في مجلس في فساد الناس :

262 - قال القاضي النعمان بن محمد (1) : سمعت الإمام المعز لدين الله ، صلوات الله عليه ، يذكر فساد أحوال الناس وما يحاوله من أمورهم ، وما يناله من صعوبة سياستهم ، فقال : والله ما نلري أيَّ وجه نقصده بهم ، فنجد فيه راحة ممّا نحاوله ونزاوله من أمرهم . قد قلّدنا / الله (عج) أمورهم ، واستخدمنا في تقويم أسبابهم ورعايتهم ، وهم من سوء الحال وقلة الإنصاف منهم وعدم الخير فيهم في غابة المكروه . فإن أعرضنا عنهم وتركناهم كنّا قد ضيعنا ما افترضه الله عزّ وجلّ علينا من أمرهم . وإنّ نحن أقمنا الواجب فيهم (2) أهلكناهم عن آخرهم لعسوم المكروه واشتماله عليهم . وإن نحن أهملنا ذلك لهم كنّا قد أبخنا ما أمر الله (عج) بتحظيره وما نهى عنه ونعوذ بالله من ذلك :

والله ما مثلت نفسي وإياهم إلّا برجل ابتلي بدخلة سوءٍ وولّد سوءٍ : إن هو أبدى عوراتهم وهتك أستارهم فضّح نفسه وهتك ستره ، وإن هو تركهم

(1) ب تضيف : قدس الله روحه .

(2) أ : منهم .

وما هم عليه لحقه ألم ذلك ونقصه وعاره ، وإن هو / أراد أن يُصلحتهم ويصرفهم إلى ما فيه حفظهم عنلوا عليه ، وصعب أمرهم . فسأل الله التوفيقَ إلى ما يرضيه منا فيما استرعاناه منهم ، والعونَ على ما نحاوله من أمورهم . .

ذكر رؤيا رآها المعزّ لدين الله (صلى) (1) :

وذكر يوماً (ص) ما كان المرجفون أرجفوا به وقالوه ، فضّ الله أفواههم (2) وانقطع دابرهم ، من أنه يموت (ص) لعام مضى من أعوامهم لما زعموا أنّ التجوم عليه دلت .

فقال : لقد رأيت في ذلك الوقت فيما يراه النائم (3) بعضَ عبيدنا قد وقف بين يديّ (4) وسرّ يستحثني على الخروج إلى المشرق ويصف لي ضعف أهله وأنا أسوّف ذلك ومو يحثني (5) فيه ، / فأقول له : كأنك إنما تريد بهذا . يقول هؤلاء الأثذالُ من قرب الأجل ؟ إننا لا بدّ أن ندرك ما قضاءه (6) الله (عج) وقدّر أن يجريته لنا من فضله ويجعلته على أيدينا ممّا تقدّم لنا من وعده ، طالت الأيّام بنا أم قصرت .

(قال) ثم كآني بعد ذلك قد اجتمعت مع المنصور بالله (ص) فقال لي : ما قال لك فلان (7) وما قلت له ؟

فأعدت عليه ذلك . فقال لي : بل يجعل الله لك من طول العمر ما تبلغ به أقصى أمنيّتك ، ولحنّ في كمّ تقاوم الدول ؟ كأنه يستحثني على الخروج .

ثم أتيتُ بفرس أشهب من أعتق الخيل وأعلاها ، فقال لي المنصور (صلى) : هذا فرسك الذي تخرج عليه إلى المشرق ، ولم / يكن عندي يومئذ فرس أشهب شبه ذلك الفرس - وأوماً إلى الفرس الذي أتيتُ إليه به من سجداسة - وتأولتُ أن يكون هو ، إذ كان في نعت الفرس الذي رأيته ، إلاّ أنّي رأيت (8) في هذا - لمّا أتيت

(1) ب : العنوان هو : حديث في ذكر المرجفين .

(2) أ : وجوههم .

(3) أوب : يرى النائم الناس .

(4) ب : بين يديه .

(5) ب : يستحثني فيه .

(6) ب : أن ندرك بهذا ما يقول هؤلاء إلى ما قضاء ...

(7) سقط : لك ، من ب .

(8) إلا أنّي رأيته ، ناقصة من ب .

به إلهي - حمرة ، وكان ذلك الذي (1) رأيته في المنام صادق البياض . ثم هذا اليوم قد ذهبت منه تلك الحمرة وخلص بياضه حتى كأنه هو الذي رأيته في المنام . قلنا : يعجل الله لسيّدنا ومولانا أمير المؤمنين (ص) وعده * وينجز ذلك له ويقربه بفضله .

قال : ما شاء الله تعالى .

حديث في مجلس في الكذب على أولياء الله (عم) :

263 - (قال) وذكر يوما (صلح) / رواية أكثر العامة عن الأئمة من أهل بيت رسول الله (صلح) خلاف قولهم ، وكذبهم عليهم ، وتحريفهم حديثهم ، فقال : إننا نأثر من جدنا جعفر بن محمد (ص) أن رجلا طوى إلى المدينة من طلبه الحديث من العامة فمرّ بداره (ص) ، وناس يدخلون إليه ، بأيديهم الكتب والمحابر يكتبون عنه . فلما رآهم الرجل دخل في جملتهم ، وجلس معهم ، وخرج إليهم جعفر بن محمد (صلح) . فلما نظر إليه تكبره ، فسأله ممن هو ؟

فقال : رجل غريب (2) .

فقال : وما تريد ؟

فقال : أنا رجل أطلب الحديث فرأيت هؤلاء في زي أهله ، فدخلت معهم لأكتب .

قال له : أفترفني ؟

قال : لا ، ولكن تخبرني - أصلحك الله - من أنت ، وتحدثني فأكتب / عنك .

قال : فهل كتبت عن أحد ؟

قال : نعم .

قال : فاعرض علي ما معك مما كتبت .

فأخرج إليه كتابا من كتبه وجعل يقرأ عليه حديثا رواه عن رجل ذكر عنه (ص) من تحليل المسكر وإباحة المتعة أشياء (3) لم يقل بها قط (ص) ولا حدث بشيء منها .

(1) ب : سقط : ذلك .

(2) فقال : رجل غريب ، ساقطة من ب .

(3) « وأشياء » في « أ » و « ب » .

فقال له : هذا الذي حدثك هذا الحديث ثقة* عندك ؟

قال : أي والله ، إنه ثقة مأمون*

فقال جعفر بن محمد : هذا الذي روى لك عنه ما رواه ، تعرفه ؟

قال : لا .

قال : فلو رأيته بعد هذا فأنكر لك أن يكون (1) حدث بهذا ولا قال به ،

ما كنت صانعا ؟

قال : ما عسى أن أصنع وقد حدثني به عنه الثقة ، فحملته وحدثت به / وأفتيت .

قال : أفما كنت تصدق من روى لك عنه في إنكاره ؟

قال : لا والله ، لأن الذي أخبرني به ثقة مأمون .

قال : اذهب لشأنك أيها الرجل ، فليس عندي حديث . وإنما دخل هؤلاء إليّ الحاجة لهم .

فخرج الرجل ، فعطف جعفر بن محمد (ص) على أصحابه الذين بين يديه من شيعة ، فقال لهم : أما سمعتم قول هذا وما ابتليتنا به من أمثاله من العامة ، يكذبون علينا ويروي ذلك منهم من يرويه عنا ثم يصدقهم فيه ولا يصدقنا إن أنكرناه ؟ ثم تعجب (صلح) من جهلهم .

حديث في مجلس في منع الحق من أهله وتجاوزه إلى غيره :

264 — (قال) وسمعت (ص) يقول : ما أعجب حكم الحق / على أهله وأغفل أهل الباطل عن أمره ! إن أهل الباطل يتناولون من أهل الحق ما قدرُوا عليه وأمكنهم منه ، ويتشفقون بدوك ما يصلون به إليهم من قول وفعل يباطلهم وخساسة همستهم ونذالة أنفسهم ، وكل ما أمكنهم منهم نالوه ووصلوا إليه ، ولم يزعجهم حق ولا تكرم عنه . وكذلك سبيلهم في كل ما حرّمه الله عليهم ، ومنهم من لم يوجبه لهم ، وسأل الحق بينه وبينهم : إن قدرُوا عليه وتناولوه وتجاوزوا الحق إليه ،

(1) « أن لا يكون » في « أ » و « ب » .

وتخالفوا أمر الله (عج) فيه ولم يَقْصُرْهُمْ مروءة ولا أدب صالح عنه . وأهل الحق يحجزهم الحق عن التعدّي عليهم وتناول ما ليس لهم منهم ويزعجهم الكرم / والحياء وشرف الأنفس عن تناول كثير من الواجب لهم عليهم والمباح لهم فيهم : ثم هم لجهلهم وسوء طباعهم يحتجّون على أهل الحق بما يُوجبه الحق عليهم ، إن ظنّوا أنّهم يتجاوزونه إليهم بذلك على أنفسهم إن أمكنهم الفرصة فيهم ، وقدروا على ما يريدونه منهم . ثم إن كثيرا منهم يقول لأهل الحق إنهم لا يقدرّون لهم على ما يقدرّون هم (1) عليه منهم ، وإن الذي عرفوا به من الحق وكرم الأخلاق يقصر بهم عنهم .

ثم تعجّب (عم) من ذلك وقال : نعم والله ، إنهم لكما قالوا ، وما يقدرّون إلا على ما أقدرهم الله (عج) من جهة . طاعته واتباع أمره . فأما من خلافه ومعصيته / فما السفّل الأشرار بأقدرّ على ذلك من غيرهم ، ولكن حدود الله وأوامره تمنع أهل طاعته وولايته من تعدّيها ، والعفو والفضل والرحمة تقصّرهم عن كثير من الأشياء رخص لهم فيها ، وإنهم من الغبطة والمسرة بذلك على أضعاف ما عليه أهل الباطل من مسرتهم بما ينالونه من وجه باطلهم وغبطتهم بما يدركونه من غير طريق الحق بتعدّيهم . وإن أهل الحق لينظرون إليهم في ذلك طورا بعين الزّراية وطورا بعين الرحمة لما حتمّ لهم ظهورهم وطوقه أعناقهم ممّا يصلّهم أليم عذاب الله وناره ، ويلحقهم في الدنيا له من / عاره وشنّاره ، والحمد لله على ما خصّنا [به] من فضله ، ونسألُه أن يُوزّعنا شكر نِعَمه .

حديث في مجلس في فضل القبول غن أولياء الله والرضى بما أوتوه وترك التخطّي والتّطاول إلى غيره :

265 - (قال) وذكر الإمام المعزّ (ص) تطاول أكثر الناس إلى أن يبلغوا من علم أولياء الله ما يجاوز حدودهم ، فقال (ص) : يريدون أن يبلغوا من العلم غاية ما أودّعنا الله منه وجملته ما خصّنا به من فضله ، فاستودعناه من سرّ حكمته . ولو كان ذلك يجري فيهم ويحبّب لهم لما كان لنا فضل عليهم إذ

(1) في «أ» و«ب» : يقدرّونهم .

قد حَوَّوْا ما حَوَّيْنَاهُ ، وَوَعَوَّوْا ما وَعَيْتَاهُ ، وَبَلَّغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ إِلَى حَيْثُ بَلَّغْنَا / إِلَيْهِ .
وَنَكُنَّ اللَّهُ (عَج) مَنَحْنَا مِنْ ذَلِكَ بِفَضْلِهِ مَا مَنَحْنَاهُ وَأَعْطَانَا مِنْهُ مَا أَعْطَانَاهُ ، وَجَعَلَ
لَنَا أَنْ نَعْطِيَ مِنْ ذَلِكَ مَنْ رَأَيْنَا أَنْ نَعْطِيَهُ مَا رَأَيْنَاهُ ، وَنَمْسُكَ عَمَّنْ رَأَيْنَا الْإِمْسَاكَ
عَنْهُ ، لِقَوْلِهِ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ (1) » .

وَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْطِيَ النَّاسَ كُلَّ مَا فِي أَيْدِينَا وَلَا أَنْ نَبْخَلَ عَلَيْهِمْ بِمَا
أَعْطَيْنَا ، وَلَكِنَّا نَعْطِي مِنْ ذَلِكَ مَا نَعْطِيهِ بِقَدْرِ كَمَا أَوْجَبَ اللَّهُ (عَج) ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :
« وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (2) »
وَقَالَ : « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ (3) » .

وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ (عَج) لِمَنْ أَعْطَاهُ / حُطْلَامَ عاجِل الدنيا وَوَسَّعَ مِنْهُ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ
مِنْ جَمِيعِهِ إِلَى مَنْ افْتَرَضَ نَفَقَتَهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا مَا يَقُومُ بِهِ وَيَكْفِيهِ
دُونَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ جَمِيعِ مَا أَعْطَاهُ إِلَيْهِ . قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : « وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ
أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ ... / ... إِلَى ... » مَعْرُوفًا (4) . وَقَالَ : « وَلَا تُبْذَرْ
تَبْذِيرًا إِنْ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ (5) » .

فَإِذَا كَانَ هَذَا أَمْرُهُ (عَج) بِالْإِحْتِيَاظِ عَلَى حُطَامِ الدُّنْيَا الَّتِي هَوْنٌ وَزَهْدٌ فِيهِ ،
فَكَيْفَ بِمَا عَظَّمَهُ وَشَرَّفَهُ وَحَضَّ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَمَا لَمْ يُؤْتِهِ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَاهُ
مِنْ عِبَادِهِ ، وَلَمْ يَسْتَحْفِظْ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ (6) ارْتَضَى مِنْ خَلْقِهِ ؟

وَلَوْ أَنْتُمْ شَكَرُوا عَلَى مَا أُوتُوا وَعَرَفُوا فَضْلَهُ / وَعَمِلُوا بِهِ ، لَزِيدُوا مِنْهُ ،
فَكَانُوا عَلَى خَيْرٍ مَا امْتَدَّتْ بِهِمُ الْأَعْمَارُ حَتَّى يَلْقُوا اللَّهَ وَهُمْ لِفَضْلِهِ شَاكِرُونَ ، وَمَنْ
مَتْرِبُونَ . وَلَكِنْ أَحَدَهُمْ لَا يَرْضِيهِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ عَيْنٌ كُلَّ مَا عَدْنَا وَنَحْوِيهِ وَلَمْ يَجْعَلْ

(1) ص 39 .

(2) الفرقان ، 67 .

(3) الإسراء ، 29 .

(4) فِي « أ » وَ « ب » : « جَعَلَهَا » وَلَعَلَّهَا أَحَدَى الْقَرَاءَاتِ . وَقَدْ اخْتَصَرَتِ الْآيَةُ فِيهِمَا ، وَعَرَضَ الْمَحْذُوفُ
بِحَرْفِ « إِلَى » وَتَمَامُهَا هُوَ : « ... الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا
مَعْرُوفًا » (النساء ، 5) .

(5) الإسراء ، 26-27 .

(6) ب : إِلَّا لِمَنْ ...

الله (عج) ذلك له ولا لغيره دوننا . ولو كان ذلك لأحد غيرنا لشاركنا * في فضلنا ، وما جعل الله (عج) لنا في ذلك لأحد من شرك ، وليتهم قاموا بما أوتوه ، وفهموا ما سمعوه ، وتهضوا بالواجب فيه ! ولكن إنما غرضهم أن يسمعون ما يسمعون فيعرضون عنه ويطلبون ما فوقه كأهل الرغبة في حطام الدنيا والبخل به ، الذين إنما غايتهم جمعه ، وما جمعوا منه / لم ينتفعوا به ، وأعينهم ممتدة ، وأنفسهم نازعة إلى ما في أيدي غيرهم منه ، ليجمعوه إليه ، وإن كانوا لا ينتفعون به ، منافسة فيه وشرها ورغبة .

ولو كان هؤلاء الذين ذكرنا حالهم كذوي (1) البصائر في أمر الدنيا ، الذين يرضون بما أوتوه منها ، ويحمدون الله عليه ، ويتفعلون بما صار إليهم منه على قدر ما أعطوه ، ولا تمتد أعينهم إلى من هو فوقهم ، لحسنت أحوالهم كما حسنت (2) أحوال هؤلاء في دنياهم وطاب عيشهم . وكما أنه من لم يقنع بما قسم الله (عج) له من أمر الدنيا ، وكان نظره ومطلبه منها درجة من هو فوقه لم يزل فقيرا فيها متعبا مغموما محزوناً / ، فكذلك يكون هؤلاء فيما تسمو إليه أنفسهم إذا لم يقنعوا بما آتيناهم فيشكروا الله (عج) عليه ويعرفوا فضله .

لو أننا قطعنا إنسانا دارا تسعه وتسع عياله فشكر على ذلك وقنع بها لطاب عيشه فيها . فإذا استقلها ولم يقنع إلا بمثل ما نحن فيه من المساكن ، كفر إحساننا إليه وعدم المزيد عنده ، واشتدت فاقته وغمته ، ولم ينل ما سمت إليه همته .

قلت : يا مولاي ، كما أنه ليس لما في الدنيا غاية يبلغها من رغب فيه ولم يقنع بما قسم الله له منها * ، فالذي عند أولياء الله من فضله أجدر ألا يكون له غاية فيرى من رغب في ذلك أنه يبلغ غايته إن لم يحمد الله ويشكر أوليائه ما منحوه من ذلك (3) وأعطوه .

قال : يا نعمان ، / لا تقل مثل هذا في هذا ! بلى ! والله إن لكل شيء من ذلك غاية ومُنْتَهَى . وإذا سمع بأن ذلك لا غاية له من يطلبه كان ذلك ذريعة إلى تركه

(1) أ : لذوي ...

(2) سقط من ب : أحوالهم كما حسنت ...

(3) من : أنه يبلغ ... إلى ... من ذلك « ساقطة من « أ » .

طلب ما يرى أنه لا غاية له . ولكن غاية كل إنسان من ذلك أن يكون راغبا طالبا ، وبفضل ما أوتيته وصار إليه عالما ، وعليه شاكرا . فإذا كان كذلك لم يزل مترقيا في درجات الفضل ، زائدا فيه حتى يلتقى الله على أفضل حال . وما جعل الله (عج) فضله عندنا بلا نهاية . ولقد جاء : أن الماضي منا لا يصير فضله إلى من يخلقه من بعده إلا في آخر دقيقة تبقى من نفسه ، لئلا يستوي الفضل عند اثنين باقيين (1) . وأن الله (عج) / يزيد التالي (2) من الفضل أضعافا مما كان آتاه الماضي . ولذلك نهاية ينتهي إليها . ولو لم يكن له نهاية لكان فضل الآخر منا على الأول بمقدار ما بينه وبينه ، ولكن قد جعل الله (عج) لذلك منتهى ينتهي إليه ، ومدارا يدور عليه . فتعبرت لبيان ذلك منه فأومأ إليّ بشيء فهمته ، وكان المجلس معمورا . فسكت ، وحمدت الله على ما صار إليّ عنه ، صلوات الله عليه .

حديث في مجلس في ذكر تخلف بعض الدعاة :

266 — (قال) وذكر المعزّ لدين الله (ص) بعض الدعاة وما يقولونه للمتصلين بأسبابهم عند سؤالهم إياهم عن بعض ما يسألونهم عنه / : لم تبغوا حدّ هذا الذي تسألون عنه .

فقال (عم) : وما ذلك إلا أنهم هم لم يبلغوا معرفة ما يسألون عنه ، ولو صدقوا عن أنفسهم واعترفوا بذلك لِمَن سألهم . لكان أولى بهم ، كما قال جدنا

(1) ذكرنا هذا القول فيما سبق (انظر ص 468) . وقد نسب القاضي النعمان في كتابه « أساس التأويل » (ص 51) إلى جعفر الصادق . وذكرنا أن الاسماعيليين لا يجيزون اجتماع إمامين في عصر واحد . وعلى ذكر قول الغزالي في كتابه « فضائح الباطنية » (ص 52) « ولا يتصور في زمان واحد إمامان كما لا يتصور نبيان تختلف شريعتهما » يقول علي بن الوليد ، أحد مفكري الاسماعيلية في القرنين السادس والسابع الهجريين ، في كتابه « دماغ الباطل » (ج 1 ص 254 وما بعدها) : « لما كان النبي (ص) قائما بهداية الخلق وتعليمهم كما سبق له منا القول ، ولا مشارك له في عصره ، بل هو الحاكم في جميع أتباعه بما أمره الله ، وجب أن يكون خليفته القائم مقامه في هداية أتباعه وحفظ دينه واحدا في عصره لا يشاركه في الحكم بما فوض إليه من أمر الدين مشارك » بل له رتبة الوحدة في ذلك . ولو كان جائزا حصول إمامين في عصر واحد مفوض الحكم إلى كل واحد منهما لأمكن اختلافهما فيما يحكمان به في دين الله . وإذا جاز منهما الاختلاف انسد طريق الرشاد على التابيين لهما ... فلهذا وجب أن تكون رتبة الامام محفوظة بالوحدة والتفرد بالحكم والأمر ليعم الائتلاف ... فإن اجتمع مع إمام الهدى خليفته المرتضى لخلافته كما اجتمع مع مولانا علي بن أبي طالب ولداه الحسن والحسين ، لم يكن للخليفة مع مستخلفه في دين الله أمر ولا حكم إلا ما حكم به المستخلف إلى أن ينص عليه ويشير بالأمر ويفوض الحكم إليه ... فحقيقة القول : « ان لا يكون إمامان في عصر واحد » يراد به أن لا يكون الأمر والحكم في دين الله الا لواحد منهما دون الآخر وعلى الآخر الرضى بذلك والتسليم .

عليّ (ص) : أربعٌ لو شدت إليهن المطايا حتى يُنضَيْن لكان قليلا : لا يرجو العبد إلا ربّه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، ولا يستحي الجاهل أن يتعلّم ، ولا العالم إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم .

ولو كانوا يعلمون ما يُسألون عنه لأجابوا كلّ سائل بجواب حدّه كما قال جدنا جعفر بن محمد (ص) : إنّا لنجيب في المسألة الواحدة بسبعة أوجه ، لكلّ وجه حدّ . فاستكثر ذلك من سمعه وقال : بسبعة أوجه يا ابن رسول الله (صلع) ؟ فتبسّم إليه وقال : نعم ، وسبعون ! ولو زاد لزدنا (1) !

فلو كان من يقول ذلك عالما بهذه الحدود والوجوه لأجاب أهل كلّ حدّ بالوجه الذي يجب به جوابهم ، ولم يقل ما قاله لهم . وفي ذلك القول تقصير بالعلم ودفع (2) للحجة عمّن سأل فلم يجد جوابا ، ولكن ينبغي أنّه يجاب بما يلزمه في حدّه ذلك ، فيكون عاملا بما يجب على مثله ، عالما بما يجب علمه لأهل حدّه حتى يرتقي منه إلى غيره ولا يتترك سدى مهملا .

ثم تنفّس الصعداء (صلع) وقال : وأين لنا من يقوم بمثل هذا ويُعتمد عليه أو أن يصدّق عن نفسه فلا يدعي ما ليس فيه / ، ويردّ إلينا ما جهله ؟ والله لو كان ذلك لما اختلف اثنان في أمرنا ، ولكن أكثر من يقوم بذلك لنا أحد رجلين : إمّا قائل برأيه ، وكلّ ما عرض له ممّا يرى أنّه يوافق ما عندنا من غير ردّ إلينا ولا اقتصار على ما أعطينا ، فيهلك ويهلك من أجله كثير ، أو متوقّف عما لا يعلم وهو يوهّم أنّه يتعلّم ، وما مثل من كانت هذه حاله ببعيد عن حال غيره ممّا ذكرنا قبله . وقليل منهم من يعتمد على أمرنا . وبقدر ذلك يفتح الله له ويصنع على يديه لنا . وإن كثيرا منهم ليسألنا فنُجيبه كما ذكرنا من حيث يجب جوابه وبقدر

(1) ذكر القاضي النعمان هذا الخبر في كتابه « أساس التأويل » (ص 27) هكذا : « وهو أنه قيل له (أي جعفر الصادق) يا ابن رسول الله ، سمعنا منك قبل هذا الوقت على خلاف هذا الوجه ؟ فقال عليه السلام : أنا نتكلم في الكلمة الواحدة سبعة أوجه ، فقال الرجل متفكرا : سبعة يا ابن رسول الله ؟ فقال : نعم ... وسبعين ولو استزادنا لزدناه » . ويرى مفكرو الاسماعيلية أن للتأويل أوجها متعددة ، فيقول الكرماني : « إن العبارات في أداء معاني التأويل مختلفة والمعاني على قباين ألفاظها متفقة ، وكل ذلك كاف شاف ما لم يرفع أحد فوق حده ولم يوضع آخر دون قدره . وقد يكون تأويل أبين من تأويل وأوضح على قدر صفاء جوهر المؤول وقوته في العلم والاستنباط ، فيكون أوقع في نفوس المرتادين وأقرب إلى أفهام المتعلمين » . (الرسالة الحاوية ص 241 . وانظر كذلك : راحة العقل ص 188-189) . وبين القاضي النعمان في هذا الفصل أن التأويل يكون حسب مستوى الحدود والدرجات في الدعوة .

حدة وبمثل ما يجوز أن يكون الجواب ، بالمكاتبه والرسالة / . فربما رأى من يأتيه ذلك منا أن ذلك تقصير عظيم به ، وبحسب من ينتهي إليه أمر من أمورنا أن يعتمد عليه ويُسَلَّم لنا فيه ويقنع أو يرضى به إلى أن يأتيه منا ما يأتيه . ولو جرت الأمور على مثل هذا ونحوه لاعتدلت واستقامت . والله يوفق لذلك أوليائنا ويجمعهم عليه من طاعتنا بمنه وفضله وقدرته وحوله وقوته إن شاء الله تعالى .

حديث في مجلس في لوازم الواجب للغني والفقير من المؤمنين :

267 - (قال) وذكر الفقير ، عند المعز لدين الله (صلع) ، فقال رجل ممن حضر :

ما أسوأ حال الفقير يسبق أهل الغنى بأعمالهم ويقعد به الفقر عنهم !

فقال المعز لدين الله (ص) : كلاً ! إن / الله (تع) لا يقصُرُ به إذا حسنت نيته . فإذا كان ينوي أنه لو كان له مال لخرج من حق الله عليه فيه فهو على نيته . ولم يجعل الله على أحدٍ فرضاً ولم يعطه ما أوجب مثل ذلك الفرض فيه .

قال الرجل : فكيف به ، ولغيره عمل ، ولا عمل له ؟

قال له المعز لدين الله (صلع) : قد أخبرناك أن نيته تجزيه من ذلك ، وما لم يوجهه الله (عج) عليه فلا حساب عليه فيه ، وعليه أن يقوم من الأعمال / غير ذلك بما كلفه الله ، واستطاعه وقدر عليه من فرائض الله (تع) التي افترضها على عباده . فليس العمل النفقة في سبيل الله فقط ، ولكن ذلك عمل من الأعمال التي أوجبها / الله سبحانه . ومن لم يستطيعها كلها أو شيئاً منها لم يكلف ما لم يستطع لقول الله (تع) : «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (1)» وقوله : «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا (2)» وقوله : «لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)» .

(1) البقرة ، 286 .

(2) الطلاق ، 7 .

(3) التوبة ، 91 .

الجزء السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث في مجلس في بذل المجهود من المقل :

268 - قال القاضي النعمان بن محمد : ذكرت للإمام المعزّ لدين الله (صلع) أعمال / قوم من المؤمنين ذوي إقلال، غير معروفين، يأتون بالقليل من الأعمال مواظبين على ذلك دائمين عليه .

فقال (ص) : والله للقليل الذي يأتي به هؤلاء وأمثالهم من كسب أيديهم على ضيق معاشهم وغباوتهم لا يريدون بذلك سُمعة ولا رياء ولا يبتغون به نيل منزلة من منازل الدنيا، لأزكى عند الله (نع) وعندنا من كثير (1) / ما يأتي به أهل السعة والغنى والجدة ممن نعرفه، ونرى أن ما يأتي به (2) نقف عليه وتعلمه ، لأنّ القليل من المقل يُنْقِصُ من معاشه ويُخِلُّ به ، والكثير من أهل الكثير لا يُنْقِصُهُمْ ولا يُخِلُّ بِهِمْ كذلك ولا يؤثّر في / معاشِهم . ولذلك قال رسول الله (صلع) : أفضل الصدقة جهد من مقل (3) .

(1) ب : كسب .

(2) ب : نقص من « أهل السعة » إلى « ما يأتي به » .

(3) الحديث : أفضل الصدقة جهد من مقل . ذكره النسائي (ج 3 ص 38) ، و اضاف السيوطي (ج 1 ص 210) : سرا إلى فقير .

ثمّ قال (عم) : لا يستوي من نُعطيه ونوسّع عليه من فضلنا فيصلُ إليه بلا تعب ولا نصب (1) فيُخرجُ منه حقّ الله إلينا ، ومن يُخرجُ ذلك من كدّه وسعيه ، وعن عرقِ جبينه وعمل يسلّه .

قلت : يا مولاي ، فمن لم يجد شيئاً غيرَ فضلك فيُخرجُ منه ما يلزمه (2) ؟ قال : ذلك إلى نيّته ، والله (تع) يَجْزِي العبادَ بِنِيَّاتهم . فمن كان نيّته مِن (3) ذلك ، لو كان ذلك من كسب يده ، وكان في مثل هؤلاء الذين وصفت حالهم ولا نعرفهم * بأسمائهم ، أنّه كان يفعل في ذلك مثل أفعالهم ، فله في مثل ذلك مثلُ ما لهم / .

ومن كان إنّما يفعل ذلك رياءً وسُمعةً ، وأنّه لو لم يفعله لاحتطّت عندنا درجته ، كانت له في ذلك نيّته . فينبغي للمؤمن أن يعتقدَ وينويَ جميعَ عمله لله (تع) لا يشوب ذلك بتصنّع ولا رياءً ، فإنّ الله (تع) يعلمُ خائنة الأعين وما تخفي الصدورُ ، وما بين قبول الأعمال وحبوطها إلاّ اعتقادُ النّيّاتِ فيها ، وبذلك خلّد الله (عج) أهلَ الجنّة في الجنّة وأهلَ النار في النار ، بأنّ كلّ فريق منهم كان اعتقاده لو خلّد في الدنيا أن لا يفارقَ ما هو عليه ، فجوّزوا بِنِيَّاتهم . ومن ذلك قال رسول الله (ص) : نيّة المؤمن أبلغ من عمله (4) ، ولأنّه إن نوى خيراً ولم يعملهُ أثيب / على نيّته فيه ، ولو عمل ولم ينو لم ينفعه العمل .

حديث في مجلس في حجة العقل (5) :

269 — (قال) وأمر المعزّ لدين الله (ص) بإدخال ابنِ واسول — وهو في العقلة — إليه . فلمّا مثل بين يديه ، أمره بالجلوس فجلس — وهو مكبّل — فسأله عن أخبار سجالماسة وأهلها وسيرته / حين / كان فيهم وما يقال عنه من قبوله ما كان (6) يُطرى

(1) ب . نقص من « ونوسّع عليه » إلى « ولا نصب » .

(2) ب . ما يلزم .

(3) في النسختين : أن « ولا تستقيم بها القراءة .

(4) نة المؤمن أبلغ من عمله : ورد هذا الحديث في الجامع الصغير (ج 3 ص 265) بعبارة « خير من عمله » . أما الصحاح والمسانيد فذكر الحديث المعروف : إنّما الأعمال بالنّيات ، الذي ورد في ص 302 . وجاء في الكافي للكليني (ج 2 ص 84 رقم 2) بأكملة : وبنة الكافر شر من عمله ، وكلّ عامل بعمل على نيّته .

(5) أ : في رحمة للعقل .

(6) في « أ » و « ب » : من قبوله كان ما بطرى به ...

به مما ليس فيه ويتصنع (1) به عنده . فدفع كثيرا من ذلك وأنكره ، وأجاب عن كثير مما سأله أمير المؤمنين عنه .

ثم نظر إلينا أمير المؤمنين (صلح) فقال : لقد رأيت - يعني ابن واسول - مذ ليال وكأنه بين يدي وأنا أقول له فيما كان / اتصل بي عنه من قوله في علي بن الحسين (عم) أنه كان يوم أصيب الحسين (عم) طفلا مثل هذا - وأوما إلى خنصره - فأقول له شيئا والله ما سمعته قبل ذلك ولا عرض لي : أرأيت هذا الذي قبيل ذلك عنك أنك ذكرت (2) من أن علي بن الحسين كان طفلا يوم أصيب الحسين (عم) ، يذهب إلى أن الإمامة لا تجب له يومئذ ؟ فما تقول في رجل هلك وخلف امرأة حاملا منه ، أليس لمن تلد حظها من الميراث ؟ فاجعل (3) علي بن الحسين (عم) كان (4) حاملا يوم أصيب أبوه (صلح) ، أليس له ميراثه ؟ فإن كان الأمر لأبيه فهو له ، صغيرا كان أو كبيرا، وإن لم يكن لأبيه شيء فلا شيء له / [و] لو كان شيئا .

فجعل ابن واسول يتعجب من ذلك ويقول : هذا والله هو الحق ! ويقول : والله ما سمعت بمثل هذه الخجة ! أشهد أن ذلك كما قال أمير المؤمنين .

فقال له أمير المؤمنين (ص) : وما يدريك أن هذا هو الحق ؟

قال : هذا البيان والشاهد الذي يشبه العقل (5) يا أمير المؤمنين .

قال له : وكل شيء قلت به وذهبت إليه من دينك واعتقادك فهو على هذا بما يشهد له عقلك ؟

قال : نعم .

قال له : أوليس ما كنت عليه قبل هذا، مما يخالفه، كذلك شهد له عقلك ؟

قال : نعم .

(1) أ : ويتصع به .

(2) في ب : ذكرت ، والجملة كلها تحتاج إلى تحوير وإصلاح : أرأيت لو أن هذا الذي قبيل عنك ما ذكرت من أن علي ... يذهب إلى ...

(3) في أ : فاعمل . واخترنا « فاجعل » لمقاربتها لمعنى الافتراض .

(4) « أليس لمن ... إلى ... كان » سقط من ب .

(5) ب : هو العقل .

قال : أفليس أخطأ، فيما تقدّم، الصواب ؟

قال : نعم .

قال : وما يدريك أنّه قد أخطأ آخرًا / كذلك ، وأنّ الحقّ في غير ما شهد به لك إذ قد علمت أنّه قد أخطأ أولاً ؟

فسكت ابن واسول ولم يُحِر جواباً . وقال : هو والله كما قال أمير المؤمنين ، ولكنّ قول أمير المؤمنين هو الحجّة .

قال له : وما يدريك أنّي أردت أن النّيس عليك وأقرّرك على خطئك ؟

قال له : أو يكون هذا من مثل أمير المؤمنين ؟

قال : نعم ، لأنّ الله يقول وهو أصدق القائلين : « وَلَتَبَسُّنَا عَلَيْهِمْ مَا يَتَّبِعُونَ (1) » . فإذا شئنا أن نلبس عليك ونمتحنك فعلنا . وقد امتحن الله (عج) إبراهيم (عم) بذبح ابنه ولم يكن ذلك ممّا أراد منه ولا ممّا تعبّد به في قولك ، وكذلك امتحن الله (عج) أولياءه للحقّ . وامتحن / كثيراً من خلقه ، ولكن للحقّ منارا إذا نصب وقام كان هو الحجّة .

فسكت ابن واسول شبيها بالمتعجب المتحير ولم يوفّق إلى سؤال ما يفتح له ذلك.. وقد أفادني أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) حجّة في الردّ على القائلين بحجّة العقل بطول ذكرها ويخرج عن حدّ هذا الكتاب وقد أثبتّها في كتاب « اختلاف أصول المذاهب (2) » .

والذي ذكره (ص) من أمر عليّ بن الحسين (عم) هو من بعض التلبيس على ابن واسول ، والحجّة عليه فيه من نفس ما قاله وذهب إليه . فأما عليّ بن الحسين (صلع) (3) فكان يوم أصيب الحسين (عم) رجلاً كاملاً قد ولد له أبو جعفر محمد ابن عليّ (صع) وكان / معه ذلك اليوم حمّل مع النساء ، ومحمّد (عم) يومئذ ابن خمس سنين لأنّ مولده سنة ست وخمسين ومقتل الحسين (عم) سنة إحدى وستين . ومات

(1) الأنعام ، 9 .

(2) يقول المجذوع : هو « كتاب عجيب بليغ كاف فيما بني عليه ، استوعب فيه دلائل كل منهم ، وذكر جميع ما قالوه في دعواهم جملة ، ثم الردّ عليهم في ذلك تفصيلاً » (فهرسة الكتب والرسائل ص 96-97) . ويقول إيشانوف 34 : Ismaili Literature ، أن القاضي النعمان لم يشر إلى المذاهب التي يناقشها ، وترك القارئ في لبس من أمرها . هذا وقد سبق للمعز طعن في حجّة العقل (انظر ص 423) .

(3) ب : سقط منها : « هو من بعض التلبيس ... » إلى « ... عليّ بن الحسين (صلع) » .

أبو جعفر (ص) سنة أربع عشرة ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وولد عليّ بن الحسين (عم) سنة اثنتين وثلاثين، وكان يوم مقتل الحسين (عم) ابن تسع وعشرين سنة ، ومات سنة أربع وتسعين . هكذا قال أصحاب التاريخ في غير كتاب ممّا ألقوه ، وإن كان بعضهم اختلف في ذلك، فهو أثبت ما قالوه . وكان عليّ بن الحسين (عم) يوم أصيب الحسين بن عليّ (ص) فيما ذكره أيضا ، عليلا ثقيلا شديد العلة / فلم يشهد القتال ، وشهده أخوه عليّ الأصغر فقتل في منّ قتل، وحُمِل هو (عم) إلى يزيد (لع) بحال عنته ، وحُمِل ابنه أبو جعفر (عم) معه مع حرم الحسين وأصحابه (صع) .

حديث في مجلس في النهي عن الغلوّ في أولياء الله (عم) :

270 — (قال) وسمعت (صع) يقول : ينتهى إلينا أخبار عن بعض من يزعم أنّه يتولّانا وبعض من يدّعي أنّه يدعو إلينا من الغلوّ فينا والقول . بما لم نقله في أنفسنا وبما لم يسمعه أحد منّا ، حتّى كأنّهم أعلم منّا بما يقولونه فينا ، ونحن نبرأ إلى الله من كذبهم علينا وتقوّلهم فينا . ونحن عباد من عباد الله مخلوقون مربوبون ، لا علم لنا إلاّ ما علّمنا وصار إلينا عن نبيّه / جدّنا محمد (ص) ، ممّا أودعه الله إيتاه وأورثناه (1) ممّن بعده وأودعناه ، لا نحيط من علمه إلاّ بما شاء ولا من غيبه إلاّ ما أطلع عليه منّا من ارتضاه كيف أحبّ وشاء ، لا ندّعي النبوة والرسالة ، بل نحن المستحقّون على الإمامة ، حلالنا من كتاب الله وحرماننا منه ، وطاعتنا مفروضة على عباد الله بحكمه . من عرّفنا فقد عرف الله ، ومن جهلنا فقد جهله . نحن الدالّون بحكمته عليه ، والقائمون بأمره على عباده . نحن دون ما يقول الغالون وفوق ما يظنّ الجاهلون .

إنّما أراد من نحلّنا علم الغيب ونسب إلينا تبتّل الوحي ممّن يدعو بزعمه إلينا ، أن يجعل ذلك مقدّمة / لنفاقه علينا . فإذا أراد ذلك قال لمن كان دعاه : لم أدعُكم إلاّ لمن وصفت لكم فيه ما وصفت ، فيصدّهم بذلك عنّا ، لعن الله الصّادّين عنّا فإنّهم عن الله يصدّون ، وبدينه يتلاعبون ! أرادوا الدنيا وعسر عليهم

(1) أ : وأورثنا . ب : وأورثناه إلينا .

طلبها من وجوهها فالتمسوها بوجه الدين لِيَسْأَلُوا من حُطَامِهَا ما هو عن قليل منهم زائل ، وهم به مطالبون . وقد سعد من أخذ عنا ما نعطيهِ واقتصر عليه ولم يقل بغيره ولا تكلّف من القول ما لا يعلمه .

لقد انتهى إليّ عن بعضهم أنّه قال : وددت أنّه لو سُئِلْتُ عمّا لا يكون فأجبتُ عنه . فرأى عند نفسه ومن سَمِعَ / ذلك ممّن يصدّقهُ أنّه قد * جاء بما أبان به من علمه ، وافتخر بذلك له . فلو تدبّر هذا القول من وُفّق للصواب لوضح له من خطئه أنّ ما لا يكون لا يكون عنه جواب ، لأنّه لا يكون (1) .

فجمع (صلح) في هذا القول جملا من الحكمة يتفرّع منها من السؤال على هذا القائل ما يخرج عن حدّ هذا الكتاب . وإنّ الله (عج) قد سأل الملائكة عمّا كان ممّا لم يُطالعهُم على علمه فقالوا اعترافا بالعجز : « لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » (2) . فكيف يدّعي من دونهم علم ما لم يكنه الله (عج) وما لا يكون؟ ولا يجوز أن يقال : يكون ، فيكون حكمه إذا كان كذا وكذا .

لو أنّ قاتلا قال : لو أنّ رجلا / مات فقُسّم ميراثه ونُكِّحَ نساؤه ثمّ عاش بعد الموت ، هل يرجع في ماله وأهله ، أو يكون ذلك لمن صار إليه عنه؟ لم ينبغ للمسؤول عن ذلك أن يجيب عنه ، لأنّه ممّا لا يكون .

ولو قال : لو ذهب الليل والنهار والشمس والقمر وبقيت الدنيا وأهلها بحالهم ، متى كانوا يصلّون ويحيّتون ويصومون ، وهم لا يعلمون الليل والنهار الذين تعبّدوا بأداء ذلك في أوقاتها/هـ؟ لم يكن على المسؤول أيضا (3) في ذلك جواب لأنّه ممّا لا يكون . ومثل هذا ممّا يكثُر القولُ فيه وينسب (4) الجهل إلى السائل عنه ومدّعي الجواب فيه . وقد نهى الله عن القول بما لا يعلمه القائلون وبما لم يكن

(1) في ب : لوضح له من خطئه أنّه لا يكون عنه جواب لأنّه سيكون ، وفي أ : فلا يكون ... لأنّه سيكون والجملة لا تخلو من غموض .

(2) البقرة ، 32 .

(3) أ : سقط : أيضا .

(4) أ : ينسب ، بدون عطف .

ولا يكون ولا علم / للعباد به . وقد قال رسول الله (صلع) : من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض (1) .

باهرة للمعزّ (صلع) :

271 - قال القاضي النعمان بن محمد : ورفع إليّ وكيل لي ببعض البوادي أنّ لي * بهما موضعا يصلح أن يُبنى به رَبعٌ يُغِلّ في السنة مثل ثلاثين ديناراً . وجعل يرغّبني في الأمر بابتائيه ، ويكرّر ذلك عليّ حتى رأيت أن ترك ذلك من إضاعة المال المنهي عنها .

فاستأذنت المعزّ لدين الله (صلع) في رقعة رفعتها إليه لإجلالا عن مواجهته بها ، فوقّع إليّ : ابنه ، بارك الله لك فيه ! .

فما وثقت بشيء ثِقْتِي بأن تكونَ البركة فيه . فأمرتُ الوكيل بالبناء . فعاد إليّ يذكر أن بعض الموضع يستحقّه / رجل ، فأمرته بدفعه إليه ، وقلت : ابنِ فيما بقي . قال : فإنّه ينقصُ عما كنتُ قلتُ .

قلت : لا ، بل يزيد إن شاء الله .

فدفعه . ثم عاد إليّ فقال : إنّ الرجل يريد بيع ما صرفته إليه مع شيء له يتصل به ، ويتصل بذلك موضعان لرَجُلَيْنِ يبيعانِهما .

قلت : وكم يسأل جميعُهم ؟

قال : مثل أربعين ديناراً .

قلت : اشتري منهم وادفعها إليهم .

ففعل وابتنى في الجميع رَبعاً جاء بموضع رغيب فيه الناسُ وتزايدوا في اكتراثه ، فبلغ كبراًؤه في السنة نحواً من مائتي دينار بعد أن بُني بأيسرِ مؤنة في أقلّ من مدّة شهرين . فما رأيت دعوةً أسرع منها إجابةً ، ولا بركةً أعظم منها نفعاً وزيادة في أقرب وقت / وأوشك مدّة ، وما لم يتوهّمه أحد أن يكون ، وكان بفضل دعوة وليّ الله (ص) ، زوّدنا الله وجميع المؤمنين إياها بالرحمة والمغفرة لمستقرّ الدار الآخرة التي هي أكثر ثواباً وأعظم أجراً .

(1) حديث : من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض : ذكر بهذا اللفظ في الجامع الصغير (ج 3 ص 167) وبلغ آخر في معناه عند أبي داود (ج 2 ص 288) وابن حنبل (ج 2 ص 365) وكذلك في الجامع الصغير بالصفحة نفسها : من أفتى بفتيا بغير علم كان إثم ذلك على من أفتاه / من أفتى بفتيا غير ثبت فإنما إثم على من أفتاه . وبلغ مقارب عند الكليني (ج 1 ص 42 رقم 3) .

حديث في مجلس في فضل الأولياء (عم) :

272 — (قال) ودخل إليه (صع) رهط من كتامة قدموا من أعمالهم وارتضى سيرتهم فيها . وهم أحداث نشأوا في دولته ، ومضى آباؤهم وأجدادهم في أيام * الأئمة الطاهرين من قبله . فأثنى عليهم خيرا وقال : أما والله لو تعلمون ما لكم ولجميع أوليائنا عندنا من الرضا والمحبة لاستفزتكم المسرة ، وما نعرض عمن نعرض عنه (1) منكم ونعاقب من نعاقبه / إلا تأديبا وتقويما لكي يزدادوا من الفضل والخير . ولو علم آباؤكم ومن مضى من أسلافكم قبل أن يموتوا ما لحقهم فيكم من بعدهم لتمنوا الموت في أيام حياتهم لما تطيب به أنفسهم لكم من بعدهم (2) إذ كانوا في دون ما أنتم فيه في أيامنا ، وإن كان الأئمة (ص) لم يتركوا في الإحسان إليهم ، فلم يبلغوا معهم ما بلغتكم أنتم اليوم معنا .

ولكل زمان حال توجهها الحكمة ويجري فيها بالعقوبة والرحمة .
نأ والله إن قتلناكم فما نريد بكم إلا الحياة الدائمة إذا وجب تطهيركم القتل في العجلة . وإن عاقبناكم بدون ذلك فما نعاقبكم حنقا عليكم ولا مقنا بغضا لكم ، ولكننا نفعل ذلك بأيدينا / تطهيرا لكم . وإن عفونا عنكم وأحسننا إليكم فنحن أهل العفو والإحسان . فأنتم والله معنا في كل الأحوال وعلى جميع الأمور كيفما تصرفتم وجرى تدبيرنا فيكم ، على سبيل نجاة وخير وسلامة وغبطة .

فاعرفوا حقنا وفضلنا ، وسلموا لحكمنا وأمرنا ، ولا ترتابوا فينا ، ولا تشكوا ما نأتيه ونذره من أمركم كيفما جرت الأحوال بكم معنا ، تسلم صدوركم ظفروا بحظكم في دنياكم وآخرتكم .

فشكروا له بما قدروا عليه وقبلوا الأرض بين يديه ، وقالوا : نحن أمير المؤمنين عبيدك وصنائعك والمعرفون بفضلك ، فما أصبناه فبتقويمك تأديبك ، وما أخطأنا فيه ، فنحن نرجو فيه / * رأفتك ورحمتك .

فقال (عم) : يعصمكم الله من الخطأ بتأدينا وتقويمنا إذ لا نرى لأحد منكم لة إلا نبهناه ، ولا غفلة إلا أيقظناه ، ولا تخلفا إلا حررناه ، ولا تقصيرا . وعظناه . فليس يتهلك مع هذا إلا الشقي الذي غلبت عليه شيقوته ، والله يعيذكم من الشقوة بولائنا وجميل رأينا فيكم إن شاء الله تعالى .

(1) أ : عن من نعرضه منكم .

(2) ب : في أيام حياتهم التطيب به الأئمة من بعدهم .

الجزء السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث في مجلس في فضل النية وكراهية الإعجاب [بالنفس] :

27? - قال القاضي النعمان بن محمد : سمعت الإمام المعز لدين الله (صع) يقول : إنما هلك / من هلك من الناس من قَبِلَ الإعجاب بأنفسهم وبأعمالهم ، واعتقاد قلوبهم على ما أعجبوا به من أعمالهم وقوتهم ، فيحبط الله بذلك أعمالهم ويكُلُّهُمْ إلى أنفسهم ، ولا يوفقهم لشيء من رشدهم وما يكون فيه سعادتهم . فأما من حسنت نيته وعمل بمبلغ مجهوده ، واستقل ما يكون من ذلك في الخير منه ، واعتقد أن ما عمله من خير فبتوفيق الله (تع) له ، وأن ما عمله لنا فزكا على يديه ، فبفضل الله علينا وصنعه الذي عودناه ، لا بحوله هو ولا بقوته ، ولم يستكثر ذلك لنفسه ، فذلك السعيد الموفق لخير دنياه وآخرته ، يمدّه الله (تع) من التوفيق والمعونة ، ويجزل له من الأجر والثوبة ، ويكسبه / من رضا عنه ما لا يسمو إليه أمله ولا تبلغه همته ، ويصل ذلك له ما وصل ذلك ودام عليه ، ابتغاء وجهه ، ونواه له جل ذكره ، ولم يرد به غيره . فإنما يرجع كل شيء إلى النيات ، بها يجازى (1) العباد . ويثابون ويطالبون ويعاقبون . ومن أعجبه نفسه وعمله أسلمه الله (عج) إلى ما أعجبه .

(1) ب : مما يهاري .

ثم أراد (ص) أن يذكر شيئاً . ثم أمسك وأعرض بوجهه وأطرق كالمستحي مما يريد ذكره وقال : ما عسيت أن أقول ؟ فالله يعلم أنني لربما صليت وأجهدت نفسي في تمام الصلاة وكمالها ، وإنني لأنصرف عنها ، وما أرى أنني أكملتها ولا أنها قبلت مني لا لسوء ظني بالله - جلّ وعزّ - ، ولكن لاستقلال ما كان / مني . وما عسى أن يكون عمل (1) المخلوق الضعيف المسكين لما يرجو [من] ثواب ربه وشكر نعمته ، وهو لو تقطّع إرباً طول عمره في طاعته لم يبلغ حق جزء لا يتجزأ من أقلّ نعمة من نعيمه ؟ . فحسب المؤمن بلوغ المجهود في طاعة ربه وطاعة وليه ، والإقرار بالعجز عن القيام بالواجب في ذلك عليه ، والإخلاص باعتقاد حسن الطوية ، ولا يكون ذلك منه إلا بحسن توفيق الله (عج) له وفضله عليه به .

حديث في مجلس في حسن صنع الله لوليّه (عم) :

274 - (قال) ووصل إليّ كتاب من صاحب الأحباس بمدينة سوسة يذكر فيه أنه ظهر بدار الصناعة (2) بها على سبعة موانج أولية متقنة العمل / ، ينفذ بعضها إلى بعض ، كانت مدفونة تحت الأرض ، إلا أنها تحتاج إلى بعض إصلاح وإلى صهر يجري عنه الماء إليها ، وأنها متى امتلأت ماءً استغنى بها أهل المدينة عما هو خارج منها . وكانت ذخيرة للمراكب ولغير ذلك مما يحتاج إليه . فرفعت ذلك إلى الإمام المعزّ لدين الله (ص) فسُرّ به ، وأمر بإصلاحها وإصلاح هذا الصهريج ، وأن يُبْنَى مسجد .

وكان قبل ذلك قد ذكر له تضايق داريّ (3) الصناعة بالمهدية بالمراكب وكثرتها وما زاد منها ، وأن الدارين قد غصتا بها . فذكر عمارة دار الصناعة بسوسة والإنشاء بها . وكان وجود هذه الموانج / من مقدّمة الخير فيها . ثم قال (ص) : لئن امتدّ بنا المقام هاهنا لنُجَرِّسَ البحر بحول الله وقوته إلينا في خليج حتى تكون مراكبنا تحطّ وتقلع بحضرتنا (4) .

(1) في «أ» و«ب» : هو عمل ، وهي منقولة خطأ عن السطر الموالي .

(2) دار الصناعة هي معامل صنع المراكب ، وعن دار الصناعة بالمهدية انظر : سيرة الأستاذ جودر ص 154 من الترجمة الفرنسية وص 121 من النص العربي . وكذلك المقريري ، أتماض ص 101 .

(3) ب : دار .

(4) هذه أول إشارة إلى إمكانية ربط المنصورة والقيروان بالبحر .

فقلت : يُسبِّغ الله مولانا أمله بحوله وقوته ، وينجز له وعده إن شاء الله .
 فقال : إننا بحمد الله ونعمته علينا ، وهي أكثر من أن نُحصيها ، في غاية من فضله وإحسانه ، قد مكّن الله لنا وخولنا وأوسع في نعمته علينا ، وآتانا ما لم يوت أحدا غيرنا . فأعداؤنا والمتغلبون على حقنا ، وإن رأوا أنهم قد حازوا من الدنيا أكثر م/م/أ عندنا ، فإنّ الله (عج) قد جعل البركة فيما آتانا ، فنحن نبلغ به فوق ما يبلّغون ، ونعطي أولياءنا / ورجالنا وأنصار دولتنا أكثر مما يُعطون . وعندنا بحمد الله ونعمته أكثر مما عندهم ، ورجالنا أفضل من رجالهم محبة لنا وبصائر في أمرنا وصحة ولاية لنا وطول صحبة ومواظبة على جهاد أعدائنا . إنّ ملوك الدنيا من قبلنا لم يكونوا يؤثرون التزول إلا على مواضع الأنهار والمعادن ، وإنّا نزلنا بحمد الله على معدن الولاية ، وجمع الأولياء الذين لا يحصى عددهم ولا يفنى مددهم - يعني كتامة - قد جمعهم الدار والفتهم الولاية والمحبة ، مضى على ذلك معنا آباؤهم وأجدادهم مع الآباء والأجداد ، ونشأ عليه من معنا وفطروا على ولايتنا . وإنّا تعبد / الملوك الأموال للرجال . فقد أعطانا الله بفضله الرجال والأموال ، وبسط أيدينا على أعدائنا ، وجمع شمل * كلمة أوليائنا على ولايتنا ، وعبيدنا على محبتنا والسمع والطاعة لنا والشكر على ما يؤليهم من رضائنا .

فقال بعض من حضر المجلس من أهل المشرق : وأين يبلغ يا أمير المؤمنين عطاء غيرك من عطائك ؟ إنّ الذي يُعطيه أعداؤك جندهم نزر عند عطائك لأوليائك (1) إذا حصل لهم . إنّ أعداءك إنّما يُعطون الرؤساء من أجنادهم العطاء بعد العطاء لهم ولأتباعهم ومن قدّموهم عليه من أجنادهم ، ولعبيدهم وسائر أسبابهم ، فيقطع العرفاء (2) من ذلك / كثيرا منه لأنفسهم ، ويفرقون باقيه على من قدّموا عليه ، وربما عاملوهم فيه . ولا يبلغ ما يصل إليهم بعض ما يصل إلى أقلّ عبد من عبيد مولانا (صلع) . ومولانا يُسبِّغ على أوليائه وعبيده الصلوات والأرزاق والكسّى والحملان (3) والعنوفة والجريّة على نساءهم وأبنائهم ، يقبضون ذلك بأيديهم وإن خرجوا في بعث حملتهم ووصلتهم وأدرّ أرزاقهم ما غابوا ، وأبقى على مخالفتهم ما كان يُجبري عليهم . ومن استشهد منهم أو مات أبقى ما كان يُجبري عليه

(1) ب : لأوليائنا .

(2) العرفاء ج عريف ، ولمله الموظف على توزيع الأعطيات على الجند .

(3) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب كالإبل والبغال وغيرها .

لمخالفته . ويفرق عليهم السلاح والزوامل والمضارب (1) وجميع أدوات السفر إذا سافروا ، مع إقطاعهم القطائع (2) / والضياع ، واستعمالهم على الأعمال ، وتعاهدهم بالهبات الجزلة والعطايا السنية ، وبُلتغيتهم عند أوبتتهم من البعوث ، بالكساء والصلوات والمراكب والحُمَلات . فأين يبلغ مثل هذا عطاء غير أمير المؤمنين (ص) ؟

فقال : الحمد لله الذي جمع لأولائنا بنا الدنيا والآخرة وجمع لنا ذلك بفضلهم علينا وجزيل إحسانه إلينا حمدا نبليغ به رضاه ونقضي به شكر نعيمه .

حديث في مجلس في الاستدلال بالنجوم :

275 — (قال) وأقحط المطرُ أو أن الحَرثَ ووقت الحاجة * إليه . وكان المنجمون قد ذكروا أنها تكون سنة جدبٍ وقحط ، فما كانوا بأوشك من أن أتى الله (عج) من الغيث والسقيا والمطر / بما لم يروا عن بعيد مثله . ودام أياما حتى خاف الناس من أجله .

وحضرت مجلس المعز (صلع) في وقت ذلك فذكر عنده قول أصحاب النجوم ما قالوه ، فقال (ص) : ما كان هذا الغيث إلا تصديقا لقول رسول الله (صلع) في الخبر المأثور عنه لما أمطروا بالمدينة ، فجعل بعض الناس يقولون : أمطرنّا بنجم كذا ، وقال قوم : أمطرنّا بفضل الله (تع) ورحمته . فقال رسول الله (صلع) : أصبح الناس رجلين : رجل مؤمن بالله كافر بالكواكب ، ورجل مؤمن بالكواكب كافر بالله (3) .

ثم قال المعز (صلع) : لقد أجمعوا كما علمتم على ما أجمعوا عليه من القحط والغلاء / فجاء الله (عج) بخلاف ما أجمعوا عليه . وما كان إجماعهم غلطا على ما قاله أصحاب النجوم ، بل كل قولهم وما جاء من المتقدمين منهم دل على ما قالوه ،

(1) الزوامل ج زاملة : الرواحل من الابل . والمضارب ج مضرب : الخيام .

(2) القطائع ج قطيعة : ما يقطع من ربع أو أرض .

(3) ورد هذا الحديث في المسانيد السنية مع اختلاف جزئي في المتن . ففي صحيح البخاري في باب الاستسقاء (ج 2 ص 41) : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب . وأما من قال بنوه كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب . انظر نفس هذا الحديث في صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء ، ج 1 ص 59 .

ولا تكلّموا إلّا على ما قاله أصحاب النجوم الأوائل ، وما هو في الكتب بلا اختلاف بينهم فيه . لكن جاء الله (عج) بخلاف قولهم تصديقا لرسول الله (صلع) . وتكديبا لمن ادعى علم غيبه الذي لم يُطلع عليه إلّا من أرقضى من رُسُلِهِ .

حديث في مسابقة في الرغبة في العلم :

276 - (قال) وسأيرت المعزّ لدين الله (صلع) يوما في بعض ما خرج إليه فذكر شيئا من العلم في فنّ جرى الذكر فيه منه ، فقال : ذكرت مثل هذا مذ / ليال ، وأنا أعرف كتابا فيه كلام منه مستقصى فأمرت بإحضاره ، فلم يعلم من يقوم على الكتب مكانه ، فقامت بنفسي إلى خزانة الكتب ، وفتحت بعض الصناديق وأنا قائم أطلب ذلك الكتاب . من المكان الذي قدرْتُ أنه فيه ، وذلك في أوّل الليل ، وقلّبت الكتب ، فجعلت إذا مرّ بي كتاب أتصفّحه فيعرض لي فيه ما أحبّ أن أستقصيه ، ثمّ يمرّ على يدي غيره فيجري منّي كذلك مجراه ، فلم أزل قائما كذلك أتصفّح كتابا بعد كتاب وقد شغلّني ذلك عن أن أذكر ما أنا فيه فأجلس ، حتّى حان نصف الليل ، ونبتّني على ما أنا عليه وجع / شديد بقدمي من طول القيام . فانصرفت ، وأصبحتُ وقد عرض لي من ذلك وجع مؤلّم برجلي كان من سبب ذلك .

فقلت : هذه والله يا مولاي الشهوة في العلم ، والرغبة فيه التي لم يُتحدّث بمثلها عن أحد قبل أمير المؤمنين (ص) ، فهتأه الله ما وهبه من ذلك ، وبارك له فيه . فأطرق (ص) كالمستحي من ذكر ذلك وتكلّم بكلام خفيّ لم أفهمه عنه .

وصيّة في مجلس :

277 - (قال) وتوفّي بعض الأولياء وكان عاملا على كورة ، وخلف ولدًا حدّا فاستعمله المعزّ (ص) على عمل أبيه وأقامه عليه إبقاء للصنعة عنده في مخلّفي من صنعها لديه ، وحفظا لمخلّفيه ، وبحسب ما جرت عادته (صلع) في من / مضى من أوليائه . وكان هذا الولد غائبا عن وفاة أبيه بموضع عمله . وكاز / وفاة أي بالحضرة . فلم يبلغ إليه بحمد الله خبره إلّا ومعه عهد أمير المؤمنين (ص) إليه بولايته مكان أبيه . فأقام إلى أن أحكم ما رأى إحكامه من أمر العمل ، ثمّ استأذن في القدوم على أمير المؤمنين (ص) فأذن له ، فقدم ودخل إلى أمير المؤمنين . فكان منه إله من

الجميل ما ودّ من حَضَره وسأل الله أن يُمَيِّتَه في طول بقاءه وعلى رضائه ليُخْلَفَ في مخلّفيه بمثل ذلك .

ولما أراد الانصراف إلى عمله استأذن في الدخول إلى أمير المؤمنين (ص) فأذن له فدخل ليودّع . فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين (ص) وقبل الأرض ، قال له أمير المؤمنين (ص) : أزمعت على الخروج ؟

قال : أزمعتُ ما يراه أمير المؤمنين (ص) .

قال : سر على بركة الله مصحوبا بعافيته ! نحن نرجو أن يجعل الله فيك من البركة ويوفّقك من الخير إلى ما تكون به أفضل من أهلك . فأنت من بلادنا وربّي أيتامنا ونشر دَوْلَتنا وغدّي نِعَمتنا ، فأشعِر نفسك العمل بما أمرناك ، والانهاء عمّا نهيتاك ، والوقوف على ما حدّدنا لك ، وخذها بذلك ولا تتعدّه تحسّن أحوالك وتزك أعمالك وتستكمل رضانا عندك . اجعل الحقّ قصداً والعدل سيرتك وأمرنا ونهيتنا نصب عينك وإمامك . إن / غضبت فليكن غضبك لله (عج) ولنا ، وإن رضيت فليكن رضاك بسبيل ذلك ، وذو الرضاء والغضب لنفسك عنك بجانب . فمن تجاوز إليك ما عسى أنّه يغضبك وينقصك فإلينا تجاوز ذلك ، وتجد [عندنا] من الانتصار لك ما لا تتصّر به لنفسك (1) . طالعنا بأمورك ومه عسى أن تريد العمل به قبل أن تعمله ، فما أذاك منه فأمضه على ما نأمرُك به تكن على سبيل نجاة وسلامة وراحة في كلّ أمرك ، وتزول الحجّة عنك (2) فيما تخشى أن تقوم فيه عليك . فما ندم من شاورنا في أمره وطالعنا به ، وما عديم نداما من ترك ذلك / من أمثالك واعتمد على هواه ورأي نفسه . سر راشدا وفقك الله .

فقبل الأرض مرارا ودعا بما قدر عليه وانصرف .

توقيع في إقامه حقّ الله عزّ وجلّ :

278 — (قال) ونفّذ أمير المؤمنين (ص) الإمام المعز لدين الله (ص) إليّ في النهي عن النباحة على الموتى . ، كالذي يؤثر في ذلك عن آبائه عن جدّه رسول

(1) في النسختين : ونحن من وراء الإنتصار لك . وقد أصلحنا بما يوافق السياق .
(2) في أ : عندك . وفي النسختين : تزول كما أثبتنا عرض : تزول ، كما قد يقتضي جواب الشرط

الله (ص) والأئمة الطاهرين من ذريته . فتقدمت في ذلك بالنهي والتغليظ فيه والنداء بذلك وإشهاره .

وعثرت بعد ذلك على نساء ينسجن فعاقبتنهن بالضرب الوجيع ، والنداء عليهن والحبس الطويل ، حتى أظهرن التوبة . وكل من كانت تعرف / بذلك من النساء حضرن إلي فأظهرن إخلاص التوبة بين يدي ، وأشهدن الله ومن حضرني بذلك عليهن . وتوثقت بالآيمان المؤكدة في ذلك منهن . وكفل عندي بهن كفلاء ، فأطلقت سبيلهن . ونزع — فيما ذكر من أمرته بطلبهن ممن ينظر في أمور مثلهن — جماعة منهن عن الحضرة واختفيين . وذكر الذين أخذتهم بطلبهن ممن يجب أخذه بذلك وزمائمهم أنهم لم يقدروا عليهن ، وضمينوا عندي ألا تنوح نائحة إلا قبضوا عليها ، وأحضروا بها إلي .

فاستقام الأمر على ذلك مدة طويلة . ثم اتصل بي أنهن قد عدن إلى النياحة / في السر وفي داخل البيوت . فأخذت من تضمن ذلك به ، فنفاه وأنكره وأبطله . ثم تزيد الخبر بذلك واشتهر ، وسمعت النياحة في غير موضع ، وأرسلت للقبض على النائحات . فدخلن في جملة نساء المأتم ، واستترن بهن ، ولم يقدر عليهن . فأخذت بذلك زمام القوم الناظرين في مثل هؤلاء المفسدين بما تضمنته من أمرهن ، وقد اتصل بي أنه أطلقتهن لشيء تناوله منهن . فجاء بكلام مجمل فيه وذكر أنه يطالع أمير المؤمنين مولانا (صلع) . وتماذى الأمر على ذلك ، ولم أجد إلى أخذ القواسق سبيلا .

واتصل أمرهن بأمير المؤمنين (ص) . فخشيت أن ينسب إلي تقصيرا في أمرهن ، فكتبتهن قصة بخبرهن وما / صنعتُهُ في أمرهن وما آل إليه ذلك ، مطالعا فيما عمل عليه في ذلك .

فوقع إلي : والله يا نعمان ما أدري ما أقول لك ، ولقد كثر تعجبي منك ، مع طول الصعبة ومصابحتنا ومما ساتنا ، خفيت عنك أخلاقنا . متى علمت منا بداية أو رجعة عن إقامة حق الله ، والرضاء ببيع الآخرة بالدنيا ؟ أسأل الله أن لا يبقينا إلى يوم نرى فيه على مثل هذه الحال ! فبحقنا عليك إلا بعثت أعوانا في طلب الفسقة — يعني الذين تضمنوا أمر هؤلاء النوائح — ليحضروك بهم . وخدمهم أشد

مأخذٌ بإحضار الفاسقات إليك - يعني النوائح - (1) وأوجعهنَّ ضرباً وصيرهنَّ في الحبس إلى / العقلة وألزم النذلَ فلانا - يعني رئيس هؤلاء المتكفلين - عشرة أعوان حتى يحضر بهنَّ الساعة ، ولا تتركُنَّ في ذلك إلى شيء من المعاذير ، فلن يُقبل منك ! وما وقع من الخلل فيما أمرناك به من إقامة الحق كان الله مسائلتك عنه . فقد وثقنا لك واستنمنا إليك . فإذا كنت أنت يتخالفك الشك فيما تقوله السفلُ عنا ، فما ظنك في مثل ذلك بالسفلِ العوام الذين يُحبون أن تشيع الفاحشة عمّن طهره الله وعصمه بفضله ، وله الحمد ؟

فلما وقفت على مثل هذا التوقيع لم أضعه من يدي حتى تقدّمت فيما أمر به (صلح) من إلزام الأعوان من أمر بإلزامهم / إيتاهم ، وكان ذلك في يوم نوءٍ منطبق ولزمني من الغم بما وقعه (ص) من أنني كنت ممّن تخالجه الشك فيه (صلح) ، نعوذ بالله من ذلك ، ما لم أدر ما كنت فيه . فرفعت إليه رقعةً بما صنعت ، ووصفت ما نالني من الغم بما ذكر من الشك (ص) وذكرت أنني لم أتوقف عن الإمضاء إلا رجاء صلاح الأمر من دون أن أشغل به صدره (ص) بمثل ما اشتغل به . فلما لم أجد ذلك طالعته به ليكون العمل فيه * عن أمره المقرون بالسعادة والتوفيق .

فوقع إلي : يا نعمان . وقفنا على ما ذكرته في رُعتك هذه ، وتالله ما نظنّ الذي نالك من الاغتمام بما وصفته أكثر ممّا نالنا / من ذلك عند الوقوف على ما ذكرته في تلك الرقعة . فلعن الله مُطليقهنَّ ومُطعمهنَّ على ذلك وصدق وعيده عليه ! فلو لم يكن من شؤمهنَّ إلا ما كان لكفاهم . فأما على أنا وجدنا عليك وجدا يدركك منه إثمٌ فمعاذ الله ! ولكننا نحب أن تكون - كإرادتنا لك - نافذ العزم ، ماضي الأمر . وإما اترفع إليك أمرا أنكرناه وتقدمنا إليك في تغييره فتمسك عنه المدّة حتى تلاطف فيه فلانا وغيره . فيكونوا بباطلهم وجسرهم على الله وعلى أوليائه أقوى عزما منك في إقامة حق الله . فهذا أردناه لا غيرَه . فامض على ما أمرناك به ، ولا تُزل الأعوان عن النذل أو يحضر / بهن . ومن كان منهنَّ عند أحد من شيع إبليس . لامن رجالنا (2) فتقدم إليهم فيهنَّ ، وخذهم في إحضارهنَّ أشد مأخذ ، وحذّره سوطنا . فإن حاطوا أنفسهم ولزموا ما به أمرناك فهو أعود على الجميع . فإن اتصل

(1) سقط من ب : ليحضرهم بهم ... يعني النوائح .

(2) هكذا في النسختين . ولعل « لا » زائدة .

بك عنهنّ غير ذلك فتقدّم إلى من يهجم عليهنّ ويخرجهنّ شرّاً (1) خروج من الموضع الذي هنّ فيه ، ولو كانوا في قصرنا ، أبعد الله صانع المنكر ومستحسنة . وما رأيت من اختبار حالهنّ بالجيران فنعم ما رأيت . فامض على ذلك إن شاء الله .

ثمّ خرج إلى مجلسه (صلع) فجلس ، ودخل من رسمه الدخول إليه . وكان فيهم هذا الذي أمر بالزام الأعوان ، / وقد ألزمته ذلك ، فشكا ذلك إليه ، فأسمعه (صلع) كلاما غليظا في إباحة النياحة . فأذكر الرجل ذلك يحلف عليه بما يعلم مولانا (صلع) منه خلافة ، فأعرض عنه بوجهه . تكرّما من مواجهته إياه بجحده أن يكون اتّصل به نهى أمير المؤمنين عن ذلك . وقال له : يا نذل ، إذا كنت تجسر على مثل هذا في مجلسنا فيمكننا أن نجحد الباري - جلّ وعزّ - ما بلغنا الآباء الأطهار عن رسول الله (ص) من قوله : «من أطعم نائحة درهما كلفه الله إخراجة بفيه من قعر الجحيم (2)» . فأني نكير أغلظ من هذا ، فلعن الله الظالمين !

ونظر إليّ فقال : أما والله لقد سمعت مذ ليال مرّت صوت نائحة وأنا قائم في / الصلاة فما عرفت كيف أتمّها غضبا لله (عج) وما ارتكب من نهى في ذلك . فلمّا انصرفت من الصلاة قلت : اللهمّ إنك تعلم أنّي لم أرض هذا الصوت ولا أطلقت ، وأنّي نهيت عنه وغلظت فيه . اللهمّ فخذ بعقوبة ذلك من أباحه . ولقد اشتدّ حنقي عليك في غفلتك عن ذلك .

فقلت : الله يعلم أنّ عبد أمير المؤمنين ما غفل عنه ، ولقد بذل المجهود فيه ، وما استطاع أكثر ممّا فعله ولا قدرّ على من ارتكبه فيعاقبه . ولكن إذا أمر أمير المؤمنين بأخذ هؤلاء الذين أباحوا ذلك لهنّ بإحضارهنّ ، فعبد أمير المؤمنين (صلع) يأخذ في ذلك بأشدّ المأخذ / ، ويذل فيه من المجهود ما يرجو به قطع هذا المنكر بحول الله وقوته ، وجميل رأي أمير المؤمنين (ص) وبركته فيه .

فقال : نحن قد أقمناك لتنفيذ الحقوق وإنصاف المظلوم وتغيير المنكر . وبسطنا يديك ولم نقبضهما عن أحد فيه . فاشدّد وطأتك وقوّ عزمك في الحق ، ولا تكن لأحد ممّن كبر وصغر عندك فيه هوادة ، ولا تخاطب أحدا من رجالنا في ذلك

(1) في النسختين : أشر .

(2) لم نجد هذا الحديث في المسانيد السنية وإن أوردت أحاديث متعددة تنهى عن النياحة ، مثلا : أبو داود 173/2 وابن ماجة رقم 1581 .

ولا في شيء مما نأمرُك به في قصرنا ، ولكن تحضره في مجلس قضائك وتنفذ له وعليه ما وجب عندك « فمن أنف لنفسه من الحضور مع خصمه إليك ، [كائنا] من كان من الناس ، فليُنصف / من نفسه ، أو يدع ما يطالب به إن كان الطلبُ له ؛ وليقسم في ذلك في الحق مقام أقل الناس ، وإن كان عند نفسه شريفاً ، فالمقام في الحق مقام واحد للقوي والضعيف والشريف والمشروف . فمن ظن غير ذلك وشمخ بأنفسه أو توهّم أن له في الحق فضلاً على غيره ، فأبعدَهُ اللهُ كائنا من كان !

فقبلت الأرض بين يديه ، وشكرت بما قدرت عليه ، وامتلئت في الأمر الذي ذكره (صلح) ما أمره ، ونفذت منه ما أمر بتنفيذه ، وأذعت ذلك عنه (ص) وأشهرته ، وأمرت [بحمل] من ظفّر به من النوائح إلى المحابس إلى أن اجتمعن ، وأنزلت/ العقوبة بمن تستحقها منهن (1) / .

(1) في النسختين . وأمرت من ظفرت به من النوائح إلى المجالس ... وأنزل العقوبة بمن يستحقها منهن . هذا وقد تحدث النعمان عن منع الأئمة « البكاء والنوح » (المجالس ص 102) . وانظر كذلك جواب الممر عن طلب أحد الأمراء في سيرة الأستاذ جوذر (ص 100 من المتن . والتعليق 108 ص 182 للمحققين ، وأيضاً تعليق ماريوس كاناز في ترجمة السيرة (تعليق 340 ص 151) . وقد ذكر ابن عذاري ، تحت سنة 349 (البيان ، ج 1 ص 223) ، رسالة من المعز إلى الأئمة والمؤذنين جاء فيها : ولا نصيح امرأة وراء جنازة ، ولا يقرأ العميان على القبور إلا عند الدفن ...

الجزء الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام في ذكر الإمامة جرى في مسامرة :

279 - (قال) (1) وسأيرت الإمام المعزّ لدين الله (صلع) يوما في بعض ما كان يخرج إليه ، فذكر المهديّ (ص) فقال : إنني لأذكر يوما كنت حُمِلْتُ فيه إليه ، وأنا يومئذ فطيم أعقل الكلام وأحفظ ما يكون ، فتناولني وقبلني ، وأدخلني تحت ثوبه ، وكشف عن بطني وألصقها ببطنه (2) ثمّ أخرجني وبارك عليّ ، وسألني عن حالي ، وأجلسني في حجره . ودعا لي بما كل . فَأَتَيْتُ بِطَبَقٍ مِنْ فِطَّةٍ مَذْهَبٍ / فيه مَوْزٌ وَتَفَّاحٌ خَرِيفِيٌّ وَعِنَبٌ ، فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيَّ ، فلم أَتَأَوَّلْ مِنْهُ شَيْئاً . فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَنَاقَلَنِيهِ ، فَأَخَذَتْهُ بِيَدِي ، فقال : امض به فكل أنت ما فيه وأعطِ الطبقَ فلانة . - وذكر بعض البنات وهي يومئذ في مثل سنِّي - فقلت له : لا ، بل آخذ أنا الطبق ، وأعطيها ما فيه . فضحك وتعجب من انتباهي لذلك ، ودعا لي بخير ، وقال للخادم : احمله ، فحُمِلْتُ وَحُمِلَ معي الطبقُ بين يديّ ، وقال : سيكون له نبأ ، ومثل هذا من الكلام ، لم أضبطه أنا عن المعزّ (صلع) .

(1) ب : قال القاضي النعمان بن محمد .

(2) ان المعز في هذا النص يكشف لنا عن نوع من الطقوس كان يقام من أجل التبريك واسباغ نور الامامة على المولود الجديد الذي هو من ولد الائمة .

ثم قال المعزّ (ص) : كان المهديّ واحد الزمان وخبيثة آل محمد عليه وعليهم سلام ، وعاليتهم وكاشف جلاب / المحنة عنهم . ثم ذكر حديثاً عنه (صلى) سمعناه قديماً يذكر عنه (عم) : وذلك أنه كان يرمز بمحنة تكون . وفتنة تظهر ، ونفاق يشتمل على أكثر الأمة ، ومن أجل ذلك ابنتى المهديّة وحصنها ، وانتقل إليها . وكان يؤثر عنه أنه إذا نظر إلى سورها العالي الحصين وأبوابها الحديد ، وتكلم على ذلك من يكون بين يديه ووصفوها بالمنعة ، وأنه لم يبن مثلها ، يقول : كل ذلك إنما أعدناه لمقام ساعة من النهار . فلم تكن ندري ما معنى قوله ذلك حتى ظهر الدجال مخلد بن كيداد ، وهاجت فتنه ، واشتملت على أكثر الأمة . وجاء بمن كان معه حتى وقف بباب المهديّة (1) ساعة من النهار / . وكان ذلك آخر ما انتهى إليه . ولم يزل بعد ذلك في نقص وانحطاط حتى أقدر الله (تع) المنصور (ص) [عليه] فضّ جسوعه ، وأخذ أسيراً برمقه بعد أن طلبه في الفيافي والقفار وشواهد الجبال ، حتى أظفره الله (عج) به ، وأمكنه منه ، وكشف به جلاب تلك المحنة ، وأطفأ به نارها .

ثم ذكر المعزّ (عم) الحديث الذي كنّا نسمعه أيضاً يؤثر عن المهديّ (عم) في كاشف هذه المحنة ، ومطفىء نار هذه الفتنة ، أنه ذكره في بعض أيامه ، فقال : صاحب هذا الأمر في هذا الوقت حمل في بطن أمه ، وعن قريب يولد . وكان المنصور (ص) حملاً في ذلك الوقت ، وكان عند المهديّ (ص) حمل فولد المنصور (ص) وولد / أبو الحسن للمهدي . وكانت أمه قد قالت - وهي حامل به - للمهديّ : إنني رأيت كأن القمر في حجري وأنا أرضعُه . فلمّا ولد المنصور وأتي به المهديّ ليبارك عليه ، دعا بأمّ ولده أبي الحسن وقد ولدته (2) فدفع المنصور إليها وقال لها : أرضعيه مع ابنتك . ففعلت مسرورة بذلك فرحة به . فلمّا أرضعته ، قال لها المهديّ (ص) : أتذكرين الرؤيا التي رأيت أنك تُرضعين القمر وهو في حجرِك ؟

قالت : نعم يا أمير المؤمنين (ص) .

(1) ذكر المقرئ خبر بناء المهديّة والموقع الذي اختاره لها المهدي (اتعاظ الخطاء ، 101-103) .
(2) ولد المنصور برفادة في أول جمادى الثانية سنة 301 . وأبو الحسن (أو الحسن) عيسى بن المهدي ولد أيضاً في هذه الآونة ، حسب كلام النعمان هنا . ومات عم المنصور هذا سنة 382 (أنظر ملاحق اتعاظ الخفاء - الملحق 12) . وفي هذا الخبر يظهر ميل المهدي إلى المنصور وتقبّوه له بالخلافة منذ أن كان رضيعاً .

(ف)قال لها المهديّ (ص) : فهذا تأويل رؤياك . ثمّ لم يلبث ابنها أبو الحسن أن جدّ رَ فذهب بصره ، فأيقنَتْ أنّ رؤياها كانت للمنصور (ص) مع تأويل / المهديّ (ص) لها ذلك .

قال المعزّ (ص) : فكانت بعد ذلك من اليقين والولاية لنا في غاية ما يكون عليه أهل الإخلاص ، وكبرَتْ وأسَنَتْ وهي على ذلك . وكانت تقول لولد المهديّ ونسائه بعد وفاته : والله لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر — تعني قصر المهديّ بالله (صلع) — فلا يعود إليه أبدا . وصار إلى ذلك القصر — تعني قصر القائم بأمر الله — فلا يزال في ذريّة صاحبه ما بقيت الدنيا . وإذا رأت الواحدة من نساينا ، قالت : هذه السيّدة ، لمن كانت منهنّ قد ولدت إمّاما ، فيقول لها بناتها : لقد كبرت وخلطت . فتقول : أما الكبريّة فنعم ، وأمّا التحيط فلا ، والله ما أنا / بمخلطة ولكن سمعتُ ذلك من علم الأئمة .

ولم تزل على ذلك حتّى ماتت .

قلت : رحمها الله (نع) .

قال : نعم ، ونفعها اعتقادها .

حديث في مسامرة :

280 — (قال) وسأيرت المعزّ لدين الله (ص) يوما في بعض ما خرج * إليه ، فسألني ابتداء عن نفسه الشريفة — حماها الله من كلّ سوء — عن الأهل والصّبية والولد والدخلة سؤالاّ لو كان من أحد الأصدقاء المساوين في الحالة لتعاضمت له واعتقدت يدا له عندي به . وانبسطتُ إليه لما بسطه من فضله انبساط العبد الواثق بخنان مولاه وإقباله عليه ، أذكر حال الدخلة والولد والصّبية على حسب ما يجري بيني وبينهم بإسقاطي / التكلّف ، وهو مقبل عليّ بوجهه الجميل الشريف ، مُتَبَسِّم لما يسمعه من الحكايات عنهم ، ويستزيدني ، حتّى بلغتُ من ذلك إلى ذكر البنات وأولادهنّ وما يجري مجرى ذلك . وجعل بفضله يسألني عن صغيرهم وكبيرهم وأحوالهم

ثمّ ذكر ولديّ عبديّه ، فقال : ما لهما ولّد بعد :

فقلت : يا مولاي ، لكل واحد منهما جارية ، وكأنتهما لم يَتَقَنَّعَا بهما للولد ، وتآقت نفسيهما إلى ما هو أحسنُ منهما ، وإلى التزويج .

وذكرت له ما عاق عن ذلك ومنع منه من أنني لم أنظر لهما في مساكن بَعْدُ .

قال : وأظنك أيضا ملت إلى الجوّاري لمقاربة الثمن فاشتريت لهما / ما لا يصلح لئلهما ؟

قلت : لا والله ، ما اشتريتهما ولكنهما من رقيق كان مولانا (ص) منَّ بهم على عبده من رقيق القسي .

فقال (ص) : وهذا أعجب ! ما في أولئك ما يصلح لمثل هذا ، ولقد ضيّعت عليهما .

قلت : يا مولاي ، على أن ينظر عبدك لكل واحد منهما في مسكن ويزوجه .

فقال (عم) : إلى متى يكون هذا ؟ والله لئن لم يَفْرَحَا ولم يسرّا في أيتامنا وإقبالنا عليك وعليهما ، ويسرّ كذلك جميع أوليائنا ، فأنتي كآنت لهما مسرة مثلها ؟

فقبّلت عَرف الفرس وقلت : يَمُدُّ الله في أيام أمير المؤمنين (ص) ويصل .
إقباله على عبيده وجميع أوليائه ، حتّى يسرّ بذلك ذراريّ ذراريهم ، ويُسبِغ / الله من فضله عليهم ما يسرهم ، ويكبّت أعداءهم .

قال : فعل الله ذلك . وأمّا ما ذكرت من تزويجهما ، فبالله عليك إلا عدلت عنه ، فقليل [لا] ما تقع الموافقة من النساء . وإن كانت موافقة لم تعدم مخالفة من الأصهار ومن يتقرّب بقربهم ، فيجعلك الخلطة مع غير الشكل . وكيف ، والغالب اليوم على النساء عدم الموافقة ، والأمة التي تصلح أن تتخذ للولد تُخْتَبَرُ وتجرب ، فإن كانت موافقة اتخذت ، وإن لم تكن موافقة نُظِرَ في غيرها أحسن وأوفق ؟

فقلت : أصاب أمير المؤمنين ، أصاب الله به المرشد ، ووفق في قوله ، أدام الله توفيقه ، والسعادة والرشاد فيما رآه / لعبيده . وهذه ساعة جرت بالسعد لهم بحسن رأيه وجميل نظره ، فمدّ لأوليائه وعبيده وللدين والدنيا في أيام عزّه وتمكينه وطول بقائه ، ودوام مسرّاته .

وانصرف وقد ملّيت سرورا بما كان من اختصاصه إيتاي بمثل هذا الذي لا يختص به الصديق صديقه ولا الحميم حميمه .

توقيع (1) :

281 - (قال) وأمرني الإمام المعزّ لدين الله (صلح) بتأليف شيء من العلم وقفّني على جميع معانيه ، وأصل لي أصوله ، وألقى إليّ جملة من القول فيه . ولم أكن قبل ذلك تقدّمتُ في تأليف شيء منه ، ولا اتّسع علمي فيه اتّساعاً يوجب أن أتقدّم في تصنيفه . فلمّا فتق لي / المعنى فيه ، ولخصه لي ، وأوضح لي معانيه ، وأمرني بتأليفه وبسطه ، تقدّمت في ذلك تقدّم واثق بعون الله به ، إذ كان عن أمره (ص) . وتهبّبت أمره ولم أرني أبالغ فيه ، ولا أنتهي منه إلى ما يرضيه .

فابتدأت منه جزءاً ورفعته إليه (ص) ولم أفرغ منه إلاّ عن مشقة شديدة ، وأنا أرى أنني مقصّر فيما وليت . منه ، رفعت معه رقعة وصفت فيها بعض ما اعتراني فيه . فوقّع إليّ في أسفلها صلوات الله عليه : يا نعمان ، وقفتُ على الكتاب الذي عملته فرأيت قد جاء حسناً ما بعده أحسن ، فتماد على عملك فيه ، أحسن الله عونك ، وأجزل أجرك !

فوالله / ما هو إلاّ أن قرأت توقيعَه هذا بخطّه (عم) وقبلته ووضعتَه على صدري ، فكأنّ الله (تع) أوصل إلى قلبي في ذلك مادّةً من المعونة التي دعا لي بها (صلح) فتحتُ ما كان انغلاقَ عليّ من معاني ما بدأت به ، وقدّرتُ أنّه يأتيّ قليلاً ، فانفتح لي من معانيه ووجوه أجناسه ما جاءني منه فوق ما أمّلتُه وأضعافُ ما توهمته ، وبدأت في الذي يلي منه ما رفعته ، فكان أيسرَ شيءٍ عليّ وأسهلّه ، فرأيت تعجيل إجابة دعوته لي (ص) بحسن المعونة فيه .

توقيع آخر :

282 - (قال) وكان المعزّ (ص) أقطع أوليائه مواضع يبنون فيها بالمنصورة المباركة . وكان البنون والبنات وبعض المقرّبات / سألوني في سؤال ذلك لهم ليجمع

شملهم وتتقارب مساكنهم ، ولما في ذلك من ستر الحرم عند حاجتهم إلى التزاور والتفقد من بعضهن لبعض وأنس بعض الجميع ببعض ، ولما نالهم في التفرق من الوحشة والانقطاع ، ولتضايق بعض مساكنهم ، وكون بعضهم معي في مسكن ضاق بهم لما اتسع بنا فضلُ وليّ الله ، وكثرت نعمته عندنا .

فرفعت إليه (صلع) رقعة أسأله فيها ذلك لإجلالا عن مواجهته بالسؤال ، وذكرت فيها ما دعاني إلى سؤال ذلك من سؤال الولد ومن ذكرته إياه . وإن ذلك لو كان لنفسي لكان في أقل ما أنا فيه بلغة مع الكبير وقرب الأجل .

وكان رفعي / لهذه الرقعة في يوم جمعة . وسألته مع ذلك منشورا في حاجة لي ، وما أقرأه في ذلك اليوم على جماعة المؤمنين مما عودهم أن يُقرأ عليهم في كل جمعة ، ويخرجه من عنده (ص) ، فأقرأه بعد انصرافه من صلاة الجمعة وعن حلقة المناظرة ، وقراءة كتب الفقه بالجامع ، وبعد أن يحتفل المؤمنون في قصره - عمره الله بطول بقائه - فأقرأ عليهم في كل جمعة كذلك ما يُخرج إليّ من الحكمة والوصايا والموعظة والعلم الحقيقي .

فوقع إليّ : يا نعمان ، قد أخرجنا إليك ما تقرأه اليوم ، والذي سألته من أمر السجل ، فاجتمع فيه مع جوهر (١) يكتبه لك ، ولا تصف نفسك بالكبر وتحدثها / بقرب الأجل ، فالله (عج) يهبك السلامة والعافية حتى تبني في أيامنا ومعنا حيث يختاره الله ويرضاه لنا من أرض المشرق بالأبنية الواسعة المنيفة ، وقد جمع الله لنا بلسوغ الأمل في الدين والدنيا ، وما ذلك على الله بعزيز . ونحن نأمر لك بما سألته وفوق ما أملت إن شاء الله .

فقبلت توقيعه ، وأحسست - عليم الله - من وقت ذلك فما بعده ، في نفسي قوة ، وانبسط ألمي ، ووثقت بأن الله (عج) يبقيني حتى أبلغ ما أملت (صع) . فما

(١) هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها القائد جوهر باسمه ، وإنما يكتب عنه النعمان عادة بلقب « القائد » . ويظهر من جواب المعز هنا أن جوهر كان كاتبه المكلف بتدبير شؤون القصر ، ومعلوم أنه يدعى أيضا عند المؤرخين بـ « جوهر الكاتب » . ونجد في سيرة الأستاذ جؤذر (ص 95) إشارة أخرى إلى هذه الوظيفة « الإدارية » عند جوهر ، إذ يكتب المعز توقيعا لجؤذر يقول فيه :

« ... فاذكر خبرها - خبر الإبل التي كشرت المكوس عليها - لجوهر عن أمرنا »
« يكتب لك كتابا بما أردت ... » .

أحسبني ما سمعته (عم) يؤمل ما قد رأيت الله (عج) قد بلغه أمله فيه مما هو أصعب وأبعد من هذا الذي ذكره وتمناه (ص) ، حتى لقد قلت له في بعض ما شاهدت من / ذلك : يا مولاي تمنّ وأكثِرْ، فما زلنا نرى أن الله (عج) يبلغك كل ما تؤمّله .

توقيع آخر :

283 - (قال) ولما نصب نفسه الشريفة لأخذ ميثاقه على المستجيبين إليه (1) ، وولي إخراج ما يقرأ عليهم على نحو ما تقدّم القول فيه مما يُربّون به ، ويرتفع من يرتفع في درجات العلم * الحقيقي له ، نصبني (2) (صلح) لقراءة ذلك عليهم لئلاً يقع فيه نقص ولا زيادة ولا استحالة ، إذا كان مكتوباً في كتاب يقرأ بلا زيادة عليه ولا نقص منه . فكثر المستجيبون وعظمت رغباتهم ، وأقبلوا من كل أفق يقطعون البحار والقفار إلى ذلك من نيل رحمته ، وصارت لهم بكل مصر جماعة وألفة واجتماع على طلب العلم / والحكمة ، وبثّ فيهم (صلح) ما يُقرأ عليهم ، وتواترت عليّ كتب جماعة من أهل ذلك من قريب البلدان وبعيدها يسألون الزيادة من فضله ونعمته .

فرفعت ذلك إليه ، وسألته إسعافهم ببعض ما يخرج به ليقرأ (3) على من بحضرته المرضية ، وأنهيت إليه رغباتهم وسؤالهم . فوقع إليّ : كثر الله المؤمنين

(1) من بين رسوم الدعوة أخذ العهد والميثاق على المستجيبين - وهم الدعاة الجدد المتهيئون للدخول في الدعوة - والعهد والميثاق شرط أساسي في دخول المسجيب كلية في الدعوة ومفاتيحه بأسرارها وترقيته في درجاتها. يقول حميد الدين الكرمانلي في رسالة الكافيه ، (مجموع الرسائل ص 411) : وإنما وجب أخذ العهد والمواثيق من الناس في دين الله خالين :

أحدهما لكي تجب عليهم الحجة من جهة الله بقبولهم ما يقبلونه من أوامره (تع) وبذلهم القيام بها وإن قصروا فيها ، فتكون مجازاتهم بحسب فعلهم بعد الميثاق .

وثانيهما لكون الخلاف فيما بين الناس موجوداً وامتناع الأمر في الإطلاع على من كانت سريره غير الاخلاص لله وفي الله ، ولئلا يكون من معاهدتنا وعدواً الإمام أو الدعاة من المكر بأئمة الدين . فكم ن الاستضرار بمكانه فما براد من ... أكثر من الانضاع به ، ... الأمر في الميثاق إلى أمانته بعد الأمر ... ما على التامس ، وباوفاؤه أن ... ما للموفين . ولذلك كان الأنساء ... يجيبون إلى دعوتهم . والعهد والميثاق رسم سابق من الله (تع) ...

ويقول المقرئ (خطوط ج 2 ص 227) بعد ذكر الآيات الدالة على العهد والميثاق للمسجيب : « فأعطينا صفقة بينك وعاهدنا بالموثوق من أمانتك وعقودك أن لا تغشينا علينا أحداً ، ولا تطلب لنا غيلة ولا تكن لنا نصحاً ولا توالي لنا عدواً » . فإذا أعطى الله « أعطينا جملاً من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الأمور وتعريفك إيها ... » فإذا عه الداعي ، وإن أجاب وأعطى ، نقله إلى الدعوة الثانية انظر صيغة العهد خطوط ج 2 ص 232-234 ، والفراي : فضائح الباطنة ص 27-29 ، وأربع رسائل إسلامية ص 69-79 .

(2) في « أ » و « ب » : ونصبني ...

(3) ب : اسقراه .

ومحقّ الكافرين ، وما سألتَ وسألوا إلاّ ما ينبغي إسعافُهم به ، ونحن نتصنّف من ذلك ما يصلح لهم ونُنْفِذُهُ إلیهم إن شاء الله (تع) .

توقيع آخر :

284 - (قال) وكنتُ ربّما أفدتُ الفائدة من فضل الله وفضل وليّه من عَيْنٍ وعُرُوضٍ وطعامٍ وغير ذلك ممّا يجب فيه حقّ الله الذي / أمر (عج) بدفعه إلى أوليائه والخروج منه إلیهم ، فأتوخّى أن يجتمع فأوصله جملةً . وربّما كان منه ما لا يتهيأ بيعه وما يلزم الحاجة في الوقت إلیه ، فأؤخّر الواجب فيه إلى أن يتهيأ وجوده ، وأثبت ما قد لزم مني من ذلك في كتاب وصيّتي خوفاً التحدّثان ، ولم يمكنني غير ذلك . ثمّ خشيتُ أن يكون فيه عليّ لثم ، فرأيتُ مطالعة مولانا المعزّ لدين الله (صع) ، وسألته تحليلي منه بفضله إن رأى ذلك أو الأمر بمّا أعملُ عليه ، فوقع إليّ : يا نعمانُ، أنت من ذلك في حلّ وسعة ، فنيئتُك تنوب عنك ، نفعلك الله بها في العاجل * والآجل .

كلام في مسايرة :

285 - (قال) وسأيرت الإمام المعزّ / لدين الله (صلع) في بعض ما خرج إلیه فذكر ما ينسب إليه إلى الأئمة من يتسمّى بولايتهم ويدعي الدعوة إلیهم فيما بعد ونأى عنهم من الباطل الذي برأهم الله (عج) منه ونزّهم عنه ، وينحلّونهم إياه من الخروج عن حدّ مراتبهم التي أقامهم الله (تع) لها إلى ما يخرج عن ملّة جدّهم (ص) ، ويقطع عن دعوته التي نصبهم الله (تع) لإحياء ما أمّات المبطّلون منها، وغيره المُبتدِعُون من سُنَنِهَا . وجعلهم (عج) حفظة لها ، فلن (صع) من فعل ذلك منهم ، وقال به ، ونسبه إلى أئمة الهدى (صع) .

ثمّ قال : وأعجب ممّا يتحلّه هؤلاء الفسقة ويعتقدونه من تبديل دين الله والخروج عنه ، وإضافة / ما يذهبون إليه من ذلك (1) إلينّا ، أن بعضهم ربّما

(1) في «أ» و«ب» : ما يذهبون من ذلك إليه إلينا .

تجرأ علينا بإظهار ذلك إلينا ، ومراسلتنا ومكاتبتنا بما زخرفه من باطله وكفره بالله وبرسوله محمد جدنا (صلح) ، وما بسطه في قوله من تغيير شريعته وهدم ملته ، وابتداع بدع يتدعونها في دين الله من ذات أنفسهم وبما يتعلقون به مما يأخذونه من انتحال مثل أهل الكفر وزخارف باطلهم ، فيسقطونها في كتب يؤلفونها وينسبون ذلك إلينا ، حتى إن بعضهم كتب إلينا يذكر أنه أقام شريعة وأكدها بحيل قبلها العقول ولا يدفعها من سمعها ولا ينفك عنها ، وألف لها كتابا كالقرآن لشريعة الإسلام / ، وأن الناموس يغشاه لذلك بأن يقيمه لنا ويصلي علينا في كتابه ، و[مثل] هذا من عجيب القول .

وكانت صلاته على نفسه أشبه بقوله هذا القدر (1) ، والله يعلم ما داخلي * من ذلك ، من الغم والوحشة . وأكثر ما فرغت فيه وقدرت عليه ، أن تبرأت إلى الله (عج) من قوله ، ولعنته . وهذا من حبال الشيطان ، وما يريد به الصد عننا من سمع بأن مثله يضاف إلينا ونحن براء ، بحمد الله ونعمته ، منه ، فيما بيننا وبين الله وأوليائنا (2) الآخذين عنا حقيقة ما نحن عليه ، العارفين بالمنازل التي أنزلنا الله (عج) بها من منازل أئمة دينه الذين نصبهم لعباده ، ولن يضرنا - إن شاء الله - افتراء الظالمين المبطلين علينا وما ينسبونه من الباطل والبهتان إلينا . وإنما يهلك من أجل ذلك من انتحله وافتعله ومن صدقه فيه وقبله منه ممن (3) يزعم أنه يتولانا أو من يتخذه علينا حجة ممن عادانا .

فقلت : أعاذ الله أوليائه وبرأهم من قول المبطلين الكاذبين عليهم القائلين فيهم بخلاف ما هم عليه . وأعجب ما سمعه عبد أمير المؤمنين عن هذا القائل قوله إنه احتال بحيل توهم بها أن الحق ما افتعله . فإذا كان قد أقر بأن [ها] حيل احتال بها فكيف يدعي الحق لها ؟

فقال (ص) : أو ليس كذلك انتحال هذا الفاسق ، ومن كان في مثل حاله ممن يقول بقوله ، أن الذي / أتى به النبيون (ص) من البراهين والكتب والآيات إنما

(1) القراءة هنا تفريية ، ولعل المعنى هو : وكان الأول أن يدعو إلى الصلاة على نفسه لا علينا ، فيشبه فعله هذا قوله السابق في الضلال . فيكون ذلك منه أقل شناعة مما زخرفه فينا وما أحدثه في الإسلام .

(2) ب : أوليائه .

(3) ب : من .

كان ذلك بحيلٍ منهم احتالوها، وأمور أوهموا الناس بها ؟ هذا اعتقاد كلٍّ من دفع نُبْشُورَةَ النَّبِيِّينَ - صلوات الله عليهم أجمعين - الذين نَزَّهَهُمُ اللهُ وِبرَأَهُمُ من قول هؤلاء الفاسقين . وهذا اللعين أحدهم ، ومثله كثير ، لما اعتقد مثل هذا، وزين له الشيطان ما زينته منه * لنفسه ، وعلم أنه إن (1) ادعى ذلك لمن يعرفه ، ونسبه إلى نفسه، لم يُقْبَلْ منه ، فأراد أن ينسب ذلك إلينا ليصل به إلى ما يريدُه من جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا به ، وأن يُوهِمَنَا أنه أراد ، بذلك ، الدعاءَ إلينا وتعظيمَ أمرنا عند من يدعوه ويستجيب له ، وتوهم أن ذلك / يزكو له عندنا ونقبله منه ، فيستدعي الناس إلى حقنا بالباطل الذي زينته وزخره يزعمه لنا ، وما هو اعتقاده الفاسدُ برأيه الضالَّ المُضِلَّ لعنه الله وأمثاله ، وأمكنا منهم ليُطهِّرَ الأرض من رجسِهِم ويقطَعَ عنا شناعَتَهُم بفضله .

كلام (2) في فضل قوَّة النفس :

286 - (قال) وسأيرت الإمام المعز لدين الله (ص) يوما في بعض ما خرج إليه، فذكر فضل النفس فقال: أتيت منذ يومين بأسد ميت، هائل الخلق، عظيم الجثة، ضخمة الأعضاء، فألقيته بين يدي، وجعل من كان بالحضرة عندي يقلبون أنيابسه ومخالبه وينظرون إلى عظيم خلقه وظاهر ما يدلُّ عليه من شدته / وقوته ويتهولون ذلك ويستعظمونه . فقلت لبعضهم : هذا ظاهر ما كان يبطش به ويُخافُ له من بأسه وسطوته ، تقلّبونه بأيديكم الآن لا تخافونه ولا تتقون منه ولا تخشون سطواته عليكم به . فهل ترون ذلك يُغني شيئا أو يخاف منه. أحدٌ إذ فارقه ما كان مستجنا فيه من النفس التي بقوتها كانت تذلِّلُ هذه الأدوات ما قفله ، وهي التي كانت تستعملها فيما يُسرَّهَبُ ويُستَغْفَرُ منه ؟ هذا الجسد والخلق الهائل الذي أنتم اليوم تستكبرونه وتستعظمونه وتستهيئون منظره ، هذا * هو لا (3) يغني شيئا لما فارقتهُ القوَّةُ التي كانت فيه كامنة مستجنة ! ففيها / فكروا ، وإياها فاستهيئوا واستعظموا ! وفي

(1) أ : واعلم أنه ان ادعى ...

ب : واعلم أنه ادعى ...

(2) ب : كلام في مآيعة في ...

(3) في النسختين : وهذا هو ، عوض : ها هو ، وهو تعبير شائع في الكتاب .

قدرة الله (عج) فيها وتدبيره إيتاها وإحكامه لها فتفكروا! واعتبروا ذلك حق الاعتبار، فهو ممّا إليه من هذا تنظرون ، وإيتاه تهوّلون وتستعظمون ، أحقّ .

فجاء (صلح) في هذا القول بأصل من البيان في النفس والبرهان . يطول فيه غوّصُ الفكر، وتنتج منه الدلائل والعبر ، ويشهد بفضله ما بطن على ما ظهر ، ويقوم حجة ودليلا لمن وفق وهُدِيَ فأبصر .

حديث في بواهر الأئمة :

287 — (قال) وذكر الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوما وأنا جالس بين يديه أمر الفتنه وما جرى فيها من المحنة . فذكر بعض من كان بين يديه ما أنفق فيها / القائم (عم) من الأموال بقول مجمل، يستكثر ذلك ويستعظمه . فقال المعزّ لدين الله (ص) : أفلا أخبركم عن جملة ما أنفقَ فيها ؟

قلت : يخبر أمير المؤمنين بما أحبه ، فإننا لنحبّ ذلك .

قال (عم) : أمر (عم) هذا — وأوماً بيده إلى خازن بيت مال القائم (1) وهو بين يديه — أن لا يُخرجَ من النفقة في ذلك إلاّ من ماله، وعزل له مائة ألف دينار وائسي عشر ألف ألف درهم ، وقال له : احذر أن تُنفقَ في شيء من أمر هذه الفتنه شيئا من غير هذا المال ، فإنك إن أنفقت شيئا من غيره ذهب ضياعا ، ولا بدّ من أن يتنفّد هذا المالُ في (2) هذه النفقة كلّهُ .

فوالله ما زاد عليه ولا نقص منه، ولا / كان إلاّ كفاف النفقة في ذلك حتّى انقضت الفتنه بفراغه .

ثمّ نظر إلى الخازن فقال : أليس كذلك كان الأمر ؟

قال : نعم ، كذلك كان أمرني القائم (عم) ، وما أنفقت (3) غيره وما بقي منه درهم فما فوقه ولا « احتيج إلى غيره .

(1) « صاحب بيت مال الحسن بن علي الداعي » (ابن حماد : أخبار ، 21) .

(2) سقط من ب : أنفقت ... هذا المال .

(3) ب : من غيره .

في الزهد في الدنيا :

288 - (قال) وذكر المعزّ لدين الله (صلع) يوما بناء لبعض الأولين وما فيه من العجائب ، فذكر بعضُ مَنْ حضر ، بناء المعزّ (ص) وما هيأه الله (عج) من بناء النهر المُعزّي وإجرائه في القناة العجيبة المرصوفة بالحجر والجيرة المبنية به العجيبة البناء مسيرة يوم ، ثمّ بناء القصر الشامخ العظيم البنيان بالحجر المنحوت المقطوع من الجبل ، على بعد مسافته / (1) ، ولم يتهيأ لأحد من ملوك الدنيا الذين ملكوا الموضوع أن يضعوا فيه حجرا على حجر ، وبناء الإيوان (2) العجيب الشامخ وجسرّ العمد الهائلة من مسيرة يوم إليه ورفعها ، بعد أن أجمع الناس على أنّه لو اجتمع أهل الأرض ما استطاعوا عمل ذلك منها .

فحمد المعزّ (ص) الله على ما هيأه له من ذلك ، وجدّد شكره ، ثمّ قال :
والله ما أردنا بهذا علوا ولا افتخارا ، وإنّا لعلّ بصيرة . وبقين واستعداد
لمفارقة ذلك وتركه عما قليل كما ترك غيرنا مثله ، ولكن لما ملكنا
الله (عج) وأعطانا ، أظهرنا نِعَمته . ما للدنيا (3) وما فيها عندنا حظّ ، ولو كان

(1) النهر المعزي ، والقناة المبنية والقصر الشامخ : اشارات إلى مبنيات المعز بالمنصورية . وقد أشار إليها ابن حماد أيضا فقال :

« وهو الذي بنى الايوان بالمنصورية وبنى المعزية بها ، وبنى قناطر ساق الماء عليها » (ص 47 من أخبار ملوك بني عبيد) .

ولعل « النهر المعزي » والقناة المرصوفة يعنيان الساقية التي تجلب الماء من الجبال البعيدة إلى البركة العظيمة التي بها سمي القصر « دار البحر » ، كما سمي في رقادة الأغلبية ، ويسمى في قلعة بني حماد فيما بعد .

ونجد ، في قصيدة مدح بها علي الايادي التونسي ، الخليفة المعز ، وصفا للقصر والبركة والساقية :

« ... تحف بقصر ذي قصور كأنما ترى البحر في أرجائه وهو متاق
« له بركة للماء ملء فضائه تحب بقطريها العيون وتمنق
« لها جدول ينصب فيها كأنه حسام جلاه القين بالأرض ملصق »

(انظر حوليات الجامعة التونسية ، 1973 ص 105) .

ويظهر أن « دار البحر » إنما هي جزء من قصر واسع لعله هو « المعزية » التي ذكرها ابن حماد ، ذلك ما يفهم من عبارة وردت في سيرة الأستاذ جؤدر (ص 86) : « ... وأسكنه (المعز أسكن جؤدرا) عنده في دار البحر داخل قصره المبارك ... » . هذا ، وقد ذكر القاضي النعمان « قصر البحر » فيما سبق ، ص 326 .

هذا وأن نتائج الحفريات الجارية بالمنصورية لم تنشر إلى حد الآن ، ولعلها لا تسمح بضبط جميع المعالم الفاطمية على حقيقتها . (وانظر ص 326 تنبيه 2 وص 33 تنبيه 2) .

(2) نقلنا في التنبيه السابق كلام ابن حماد عن الايوان ، وقد اعتمد G. Marçais على هذا الاسم الفارسي ، وكفالك على اسم « الخورنق » وهو قصر آخر للمعز بالمنصورية ، فتحدث عن تأثير الفن المعماري الايراني في المعالم الفاطمية . (المرجع المذكور ص 119) .

(3) ب : وما للدنيا .

لها عندنا حظّ لما / بذلناها لهؤلاء ، وأوماً بيده إلى ما بين يديه من الأموال وإلى الناس من أهل بلدو وحضر ، وهم يمرّون بين يديه بمن يطهر من ولادهم ، ويعطي كل من يمرّ منهم من صغير وكبير وشريف ومشروف (1) .

في ذكر النصر :

289 - (قال) وانتهى إلى المعزّ لدين الله (ص) أن بعض البربر في الأطراف قطعوا على أهل رققة قدمت من جهة المغرب فانتهبوا ما معهم ، فأخرج (ص) إليهم عبداً من عبيده ، وأخرج معه خيلاً منهم ، وظنوا وظن كل من رآهم أن بعضهم يستولي على أمثالهم فخرجوا مستخفين بهم يتبادرون إليهم ، وقطعوا مسيرة عشرة أيام أي يومين وبعض يوم حتى إن أكثرهم انقطعت / خيلهم ، ووقف كثير منها مبادرة منهم إليهم لثلاث يفتوتهم ، وظنوا أنهم قادرون عليهم . واتصل الخبر بالبربر فأدبروا هاربين بين أيديهم ، وأدركوهم فحملوا عليهم حملة رجل واحد مستخفين بهم ، فاحتوا على بيوتهم ، وقتلوا جماعة منهم ، ومالوا على الغنائم والأموال ، فمال البربر عليهم ، وقد افترقوا ، فنالوا منهم وهزموهم ، وحال الليل فيما بينهم ، وذهب البربر فدخلوا في الرمال وفاتوهم ، وانصرف البعث .

فقال المعزّ (ص) عند انصرافهم : نال هؤلاء ما نال أصحاب رسول الله (صلى) يوم حنين كما حكى الله (عج) بقوله : « وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (2) » . والله ما وثق قوم بأنفسهم قط إلا وكَلَّهم الله إليها ، ولا استهانوا بعدوهم إلا غلب عليهم . ولا توكل قوم على الله قُلُوا أو كُثُرُوا وأخلصوا نياتهم له

(1) الظهور أو الختان أو الاعذار : لعل هذا الحديث جرى في اليوم الذي أمر فيه المعز به إعداد الأمراء بنيه : عبد الله ، ونزار وعقيل « وكان ذلك سنة 351 في مستهل ربيع الأول ، وعمم الختان إلى كافة صبيان مملكته « فأمر ولاته وعماله من لدن رققة إلى أقصى سجلماسة ، وما بين ذلك إلى جزيرة صقلية وما « والأها ، في حضر وبدو ، وبحر وبر ، وسهل وجبل ، يظهرون وجد من أولاد سائر الخلق ، حرهم وعبيدهم ، وأبيضهم وأسودهم ، ودنيئهم وشريفيهم ، ومليهم وذمهم (هكذا) ، لمدة شهر « وتواعد على ترك ذلك ، وأمرهم بالقياس بجميع نفقاتهم من مطعم وملبس ومشرب وطيب ... » (المقرئزي ، اتماظ ... / 135) .

وسيدكر النعمان هذا الحدث بالتفصيل فيما يأتي من هذا الجزء (ص 556) .

(2) التوبة ، 25 . وحنين واد بين مكة والطائف ، حارب فيه الرسول (ص) في اثني عشر ألفاً ، وقسال بعض الصحابة إعجاباً بهذه الكثرة : لن تغلب اليوم من قلة . فغلبوا وبقي الرسول (ص) في جمع قليل (انظر تفسير البضاوي 280/2) .

وَأَيُّقِنُوا أَنَّ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، إِلَّا أَيَّدَهُمُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ لَا شَرِيكَ لَهُ حِكَايَةً عَنْ طَالُوتَ وَأَصْحَابِهِ فِي قَوْلِهِ : « وَلَمَّا بَرَزُوا لِجِبَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبَّتْ أَعْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (1) » . وقوله وهو أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (2) » .

ثمَّ قَالَ الْمُعَزِّ لِدِينِ اللَّهِ (ص) : قَدْ جَاءَنَا الْفِتْنَةُ وَنَحْنُ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ / مَقَاتِلٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَاسْتَخَفُّوا بِالْعَدُوِّ ، فَمَا زَالَ يَصِيبُ مِنْهُمْ وَيَنْقُصُ مِنْ عَدَدِهِمْ حَتَّى هَلَكَ الْجَبَّارُونَ مِنْهُمْ وَالْمُخَالِفُونَ وَالْوَائِقُونَ بَأَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَبْعُمِائَةِ رَجُلٍ (3) ، وَالْعَدُوُّ فِي مَا لَا يَحْصَى . عَدَدُهُ ، أَظْهَرْنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَظْفَرْنَا بِهِمْ ، وَمَكَّنَّا مِنْ رِمَّةِ رَئِيسِهِمْ ، وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ ، وَقَتَلَهُمْ بِأَيْدِينَا وَأَيْدِي أَوْلِيَائِنَا الَّذِينَ أَخْلَصُوا لِلَّهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ ، وَأَيُّقِنُوا أَنَّ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ ، وَعَلِمُوا ضَعْفَهُمْ وَقِلَّةَ عَدَدِهِمْ ، وَأَهْلَكَ عَدُوَّنَا لَمَّا بَطَرُوا وَأَشِيرُوا وَأَعْجَبْتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ مِمَّا نَالُوا . وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ .

ثمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَوْلِيَائِهِ قَدْ كَانَ خَرَجَ فِي / بَعَثَ فَأَصَابَتْهُ نَكْبَةٌ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ قَالَ لِي هَذَا وَقَدْ تَوَجَّهْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فَوْضَ إِلَيْهِ لَمَّا رَأَى مَا مَعَهُ مِنَ الْجَمْعِ وَالْعِدَّةِ : وَاللَّهُ لَوْ أَمَرَ [تَنِي] أَنْ أُخْرَقَ بِهِؤُلَاءِ إِلَى أَطْرَافِ الْأَرْضِ لَخَرَقَتْ . (قَالَ) قُلْتُ لَهُ فِي الْوَقْتِ : لَا تَقُلْ مِثْلَ هَذَا وَلَا يَدْخُلَكَ الْعُجْبُ بِنَفْسِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَثِيقٌ بِهِ وَبِنَصْرِهِ .

فَنَالَهُ مَا قَدْ نَالَ . وَلَا أَظُنُّ ذَلِكَ إِلَّا لِإِعْجَابِهِ بِمَنْ كَانَ مَعَهُ وَمَا نَهَيْتُ لَهُ مِنَ الْقُوَّةِ ، وَإِنْ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَدْ زَكَا عَمَلُهُ ، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَأَظْفَرَهُ ، لَمَّا عَوَّدْنَا مِنْ فَضْلِهِ . وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْبَرَبَرُ الْأَنْذَالُ : قَدْ كُنَّا أَمْرُنَا مِنْ يَخَاطِبِهِمْ فِي رَدِّ مَا اسْتَكْبَرُوا لِأَهْلِ هَذِهِ الرَّقَّةِ ، فَاثْتَمَعُوا / مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا وَقَعَ بِهِمْ مَا وَقَعَ ، وَإِنْ أَفْلَتُوا ، فَقَدْ قَتَلَ مِنْهُمْ بَشَرًا كَثِيرًا ، وَشَرَّدُوا إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَقِيمُونَ بِهِ إِلَّا هَلَكُوا خِصَاصَةً ، فَأَرْسَلُوا

(1) البقرة ، 250 .

(2) البقرة ، 249 .

(3) كَانَ الْجَيْشُ الْفَاطِمِيُّ يَعِدُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَقَاتِلٍ حِينَ انْدَلَعَتْ ثَوْرَةُ أَبِي يُزَيْدٍ ، فَانْقَصَ إِلَى سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ هَذَا التَّقْدِيرُ مِنَ الْمُعَزِّ لَمْ يَذْكُرْ عِنْدَ الْمُؤَرِّخِينَ ، فِيمَا نَعْلَمُ .

إلينا يتضرعون ويسألون الأمانَ على أن يردّوا ما أخذوه لأهل الرّقمة ويأتونا بمال بذلوه لينؤمننهم على أنفسهم .

وهذه عادة الله الجميلة عندنا فيمن عيّد أمرنا . ومن بطر من أوليائنا وجندنا وأعجبته نفسه ، أدبه الله بمثل ما أدب به من ذكرناه منهم من غير وهم يدخل علينا ولا نقص ينسب إلينا . وذلك بما عودنا الله . جلّ وعزّ من فضله وإحسانه وطوّله وامتنانه ، فله الحمد لا شريك له .

رؤيا رآها المنصور (صلح) :

290 - (قال) وذكر المعزّ لدين الله - صلوات الله عليه - المنصور، قدّس الله روحه وصلى عليه ، وما قام به من أمر الفتنة حتّى جلّها الله على يديه ، وما ناله من ذلك في طلب مخلد اللّعين في فيافي الصحاري وقرون الجبال حتّى أقدره الله (عج) عليه ، وما أحدث ذلك عليه من العلل .

فقال (عم) : لقد أخبرني (صع) بعد انصرافه أنّه لمّا اعتلّ بتاهرت العلة التي أشقى منها على الموت ، اشتدّ يوما به الوجع ، ويش من نفسه . (قال) : فذكرت ما يجب لله (عج) عليّ من تسليم الأمر إليك والوصيّة بذلك ، وما يجب أن أوصي به ، فأرسلت في طلب فلان وفلان - وذكر جماعة من وجوه أوليائه - / لأذكر ذلك من عهدي إليهم فيك . (قال) فبعد أن مضى الرسول نيمتُ وما كنتُ أنام قبل ذلك ، فرأيت رجلا وقف عليّ فقال : ما الذي أردت أن تقول لهؤلاء القوم الذين أمرت بإحضارهم إليك ؟

قلت : أردت أن أشهدهم على عهدي ووصيتي .
قال لي : ولمّ ذلك ؟

فقلت : لما أنا فيه من العلة وقد يشت من نفسي .

فقال : أفظننت أن الله يقطع عن أملاك وقد قمت له وبذلت من نفسك في طاعته ما بذلته ؟ كلا والله لا ينالك شيء ممّا تخوّفته حتّى يجمع الله لك شملك ويبلغك ، فيما تحبه ، أملاك من هذا الأمر . فطب نفسا وقرّ عينا ولا تخف .

(قال) / ثم انتبهت والرسول قائم ، فقال : قد حضر القوم .

قلت : أدخلهم ! فأدخلهم إليّ فعرفتهم ما بعثتُ فيه إليهم وما رأيته وأنا من العلة والضعف فيما لا يطمعُ لي بالحياة فيه مَنْ رأيي . فوالله ما أمسيت يومئذ إلاّ مُفسيقاً معافى ، وعادت القوّة * في أيّام قلائل باتّصال الصحة ، فانصرفت بعد بلوغ الأمل ونيل البغية والظفر .

ذكر ظهور ولد المعزّ لدين الله (ص) :

291 - (قال) ولما أراد الإمام المعزّ لدين الله (صلع) أن يطهر عبد الله ونزارا وعقيلًا بنيه تقدّم إلى خاصته وأوليائه وسائر جنده وعبيده وجميع رجاله وكافة مَنْ بالحضرة من سائر التجار والصنّاع وعامة الرعيّة بالمنصورية / والقيروان ، وجميع أهل مدن إفريقية وكورها من حاضر وباد ، وأمر بالكتب إلى العمّال من لدن برقة وأعمالها إلى سجلّماسة وحدودها وما بين ذلك وما حوته مملكته وإلى جزيرة صقلية ومن بها من طبقات الناس في حضر وبدو ، أن يتقدّموا في ظهور آبائهم يوم الثلاثاء أوّل يوم من شهر ربيع الأوّل من سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة إلى انقضاء هذا الشهر ، وأمر أن يحمل إلى كلّ بلد من هذه البلدان من الحضرة أموال وخلق تُفترق على كلّ من طهر من أبناء المسلمين من خاصّ وعام .

فكان الذي رأيناه حمل إلى صقلية من المال خمسين حملاً (1) سوى الخلع / ، ومثل ذلك ونحوه إلى كلّ عامل ليفرقه على أهل عمله . وتقدّم (صلع) في ظهور ولده يوم الثلاثاء هذا المذكور ، وجلس بنفسه الزكيّة لظهور سائر أهل الحضرة ومن يليها من البوادي ، وأمر بضرب سرادقات بساحة قصر البحر حول الماء وبإدخال الصبيان مع من أراد الدخول معهم من آبائهم وأمهاتهم وعبيدهم وخدمهم ، ومن أرادوا أن يطهروه من عبيدهم . واعتزم على أن يصل الطهور أيّام هذا الشهر كلّها . وذاع في الناس أنّه أمر (صلع) أن مَنْ لم يطهر ولدا يكون عنده في هذا الطهور ثمّ يطهره (2) بعد ذلك لمدة سبع سنين فقد أنف عن / فضله ، وخالف أمره .

(1) ذكر المقرئ (اتعاظ الحنفاء ص 136) ان الخمسين حملا كانت من الدنانير ، وأن كل حمل عشرة آلاف دينار .

(2) في أ : ثم لم يطهره ...

فسارع الناس بأبنائهم وعبيدهم عن كافتهم . واتصل به ما أشيع من ذلك ، فقال :
لقد أحسن من شيع هذا ، وما يتخلف عنا في ذلك من يحب أيتاما .

وكان يجلس (صلح) من وقت الغداة ، فلا يزال جالسا وهم يطهرون ويمرون بين يديه فيُكسّون ، ويوصلون لا يخيب من ذلك منهم شريف ولا مشروف ، ولا حرّ ولا عبد ، قريب ولا بعيد ، حاضر ولا باد . والختانون في السراقات على الكراسي وبين أيديهم المنابر لجلوس الصبيان ، والقوم بمسكونهم في حجورهم وينرون الذرارات المُمسِكَة للدم على ختاناتهم ، ويقفون في البخور وماء / الورد على رؤوسهم ، ويرشونهم على وجوههم لما يعترهم من الرّوع ، والسند بأصناف الملاعب قيام عليهم يُلهونهم ويصحبون من طهر منهم يزفون به إلى منزله (1) .

وكان الذي أعطاه الخاصة من الخلع والصلات على أقدارهم ما يتفاوت ويطول ذكره . وكان الذي أعطاه العامة من الصلاة غير الكسوة : لكل صبي منهم مائتا درهم إلى مائة وخمسين . وأقل ما أعطي المجولون من أهل البوادي ونظرانهم وعبيدهم : كل صبي منهم عشرة دراهم . وكان يطهر في كل يوم من أيام هذا الشهر منهم من عشرة آلاف صبي إلى خمسة آلاف (2) أقل ذلك . وأكثر الناس الخوض / والحديث في ذلك ، وتعاضموه ، وأجمعوا في ابتداء الأمر أن ذلك لا يتم وأن الأموال لا تنهض به ، وذكروا لكثرة ما (3) رأوه من الخلاق أن ذلك لو وصل حولا لما انقطع الناس ولا أتى على آخرهم فيه .

وكنت ممن تعاضم ذلك وتداخله الإشفاق منه ، وعرضت يوما بذكر ذلك ، فقال لي : يا نعمان ، طب نفسا ، فقد عزلنا لهذا ما لا نرى أننا نأتي على نفقته فيه بأسره . والله ما هو من شيء كئنا نُلقِي له بالا ولا وجدنا لإخراجه نقصا ولا خلا ، وما كئنا نلتفت إليه (4) من ذخائرنا ولا من ذخائر الآباء (صلح) ، وما هو إلا شيء

(1) السند : لملهم جماعة من الفز أو الفجر يقومون بالألعاب البهلوانية وما شابهها من أمور الترفيه .
(2) يقول المقرئزي : « فكان المميز يطهر في اليوم من أيام الشهر بحضرته اثني عشر ألف صبي وفوقها ودونها ، وختن من أهل صقلية وحدها خمسة عشر ألف صبي ، (اتماظ الخفاء ص 136) ، وهذه الأرقام تبدو خيالية .

(3) في النسختين : وذكروا الكثرة بما ...

(4) ب : وهو مما كنت نلتفت إليه .

كان لا يُلْتَفَتُ إليه، وكثير ممن تقدّمنا / من ملوك الدنيا أنفق مثل هذا وأضعافه في معاصي الله (عج)، وفيما نتقي شناعته عليه . وهذا شيء أردنا به وجه الله (عج) وإقامة فرضه وإحياء سنة جدنا رسوله (صلع) وملة خيله إبراهيم (ص) ، ما أردنا بذلك إلاّ الله (عج) والقربة بذلك إليه ، وما من هؤلاء من يريد بذلك التجبّب إليه ولا التزيّن بذلك عنده . وقد عزلنا لذلك مالا لا بدّ لنا من إنفاذه فيه ، ووقتنا له وقتا لا بدّ لنا إن عشنا أن نبُلِّغَ به إليه — يريد مدّة هذا الشهر الذي وقته لذلك (صلع) .

وكان من صنع الله (عج) له أنّه لما كان يوم الأربعاء سلخ ربيع الأوّل هذا، انقضى جميع من كان بالحضرة ومن حضر إليه من / البوادي ، واجتمع ذلك اليوم من الصبيان زهاء اثني عشر ألفا (1) فطهروا عن آخرهم ، وتلاحق من غلب بقايا من بقي من نحو ثلاثمائة ، فرأهم المعزّ لدين الله (ص) من منظر كان له، وقدّ اجتمعوا بباب القصر ، فأمر بتطهيرهم . فانقضى جميع (2) الناس عن آخرهم في الوقت الذي وقته والحدّ الذي حدّه، حتّى إنهم لو حُسِبوا وقُسموا على تلك الأيام لما اتفق أن يكون ما هيّأه الله (عج) من فراغهم عن * آخرهم في الوقت الذي وقته لهم .

وجرى على ذلك جميع أهل الكور والبلدان بكلّ وجه ، وأخرج في ذلك من الأموال والخيل والنفقات ما لا يُحصيه إلاّ من وقف عليه . وكانت أيام هذا / الشهر أيام أعياد ومسرات وأفراح وهيات بكلّ وجه وجهة من مملكة أمير المؤمنين (ص) من بدو وحضر، وعمّهم فضله (3)، وتبين عليهم أثره ، وارتفق به أغنياؤهم، وانتعش له فقراؤهم ، ودخلت المسرة على أهل كلّ بيت منهم . وكان أثر جميل لم يسبقه إليه (صع) أحد قبله ، ولا أظنّ أن (4) أحدا يتسع له مثله . والحمد لله على ما أولى وليّه وأنعم به عليه .

(1) كان المقرئ نقل عبارة القاضي النعمان « بتصرف » .

(2) أ : أمر جميع .

(3) ب : من فضله .

(4) أ : ولا ظنّ أحد .

ب : ولا أظنّ أحد .

كلام في عطيات وصلات :

292 - (قال) ولما انقضى أمر هذا الطهور الذي تقدّم خبره في المجلس الذي تقدّم قبل هذا ، وافق ذلك قدومُ رسلِ بعض دعاة نواحي المشرق بأموال قدّموا بها من أعمال المؤمنين، وطرائف / وتُحَف . فجلس المعزّ (ص) يوم الخميس أوّل يوم من شهر ربيع الآخر (1) بعقب هذا الطهور ، وأمر بإدخال خاصّة أوليائه من كتامة وغيرهم . فقرأ كتب دُعائه بما هم عليه من صلاح الأحوال واستقامة الأمور وظهور الكليمة وانبساط الدعوة . فحمد الله على ذلك من حضره ، ودعوا بما أمكن ، ثمّ ذكروا ما كان من فضل أمير المؤمنين على عامّة الناس ، وما انتشر من الثناء عليه في ذلك والدعاء له على ألسن العامة والمخالفين والمؤلفين ، وما ظهر من فضله على الفقراء والمساكين . إذ كان أحدهم يأتي بالثلاثة والأربعة وأكثر [من] ذلك من ولده . فيأخذُ لكلّ واحد منهم صلةً / لعلّه لم يرَ في يده قطّة مثلاًها .

فقال المعزّ لدين الله (صلع) : والله لقد ساءني من رأيتُه يمرّ * بي من أهل الفقر والمسكنة ، وإن كانوا قليلاً في كثير ، لأنّهم رعيّتنا وممن نحبّ أن يكونوا أغنياء تظهر (2) نعمةُ الله (عج) عليهم بنا ، إذ قد جرى مثل هذا .

وقد حضر عامّة أوليائنا ومن قد نستعمله على رعايانا ، ونتوخّى فيه من الخير ما نظنّ به أنّه يمثل فيهم أمرنا ، فيوفّي بحسن سيرته فيهم أموال أغنيائهم ، يُنعش بذلك فقراءهم ، كما يجب أن يجري ذلك فيهم (3) ، ويمثّل الحقّ في صغيرهم وكبيرهم ، ويعمل بأمرنا فيهم . فرحم الله من فعل ذلك وامثّل ، ولا يرحم من تعدّاه وتجاوزَه ولا غفر له وحرّمه / شفاعتنا عنده . فوالله ما آلتونا في توقيف من نستعمله على ما نريده ونحبّه من العدل والإنصاف وحُسن السيرة في الرعيّة والرفق بها والإحسان إليها . فأنا بريءٌ إلى الله ممّن خالف أمري فيهم ولم يمثّلْه في جميعهم . والله ما فوقَ مَحَلِّكم عندي محلّ ، وما أحد من ولدي بأحبّ إليّ منكم ، إلّا من جعل الله

(1) من سنة 351 .

(2) أ : يظهر .

ب : ليظهروا .

(3) سقط من ب . أموال أغنيائهم ... ذلك فيهم .

له الخيبة فيه منهم (1)، وإن ذلك مما يُوجِبُهُ ما جرى لكم معنا من صحبة الأجداد للأجداد وصحبة الآباء للآباء والأبناء للأبناء .

وأنتم خاصتنا وبطانتنا وأحبّ الخلق إلينا لو أعتَمَدُونَا بِسَمْعٍ وَطَاعَةٍ وَامْتِثَالٍ أَمْرٍ ، وإن كنّا لا نَشْكُ في حسن اعتقادكم لولايتنا وصفو نيّاتكم لنا ، ولكنّ الدنيا ربّما / استمالَتْ كثيراً منكم بحُطامها ، والحميّةُ والهوى ربّما مال بكثير منكم عن أمرنا ، لا سيّما ما يعتري بعضكم لبعض من الحسد والمنافسة حتّى يصيروا (2) في مواضعكم إلى الحروب والقتل وهتكِ الحريم ، وذلك ، وإن يَشْفَى به بعضكم من بعض ، فإنّه ممّا يَغْمُئُنا وَيُنْكِينَا فيكم . وكان الواجب عليكم أن تدعّوا ما تحبّونه من شفاء غيظكم وبلوغ شهواتكم لما نُحبّه من حقّق دماءكم وصلاح أموركم وبقاء * نعمة الله عليكم ، ثمّ ما تضعونه من أنفسكم لمن لم يجعل عليكم حكماً ، ومن أنتم أفضل منه ممّن يدّعي أنّه يستعطفنا عليكم ، ويستدرّ إحساننا إليكم ، ويتقرّب بذلك إليكم ، ويمنّ / به عليكم ويستطيل .

والواجب عليكم وعلى جميع من ائتمّ بنا وعرف فضلنا أن يكون نظره واعتماده على أمرنا . فمن قدّمناه عليه وأمرناه باتّباعه وطاعته وضع له خدّه تسليمًا لأمرنا وطاعةً لنا ، ومن لم نرفعه ولم نقدّمه عليه لم يلتفت إليه (3) ، ولم يوجب له ما لم نُوجبه ، ولم يتخذ دوننا ولا تسيج . فوالله ما أحوجناكم إلى أحد ، ولا يعلّق منكم أحدٌ عليّ بأنّي أحوجته إلى أحد غيري ، ويرى أنّه ينفعه أو يضرّه عندي حتّى يتحمّل له ما كان يتحمّله كثير منكم لمن غضب الله عليه ولعنه — يعني به اللعين قيصر (4) — فيروح ويغدو إليه قبل الرواح والغدو إلينا ، فكان ذلك / هو الفرض عليه . ونحن النافلة عنده ، وما وصل إليه من فضلنا رأى أنّه إنّما وصل إليه به ، وما عسى أن يعطيه دوننا ، خيانةً وسُخْطًا . يملكه به ويعظم له في صدره ويتّسع فضلنا عليه . والله لدرهم نُعطيه أحدكم فيأخذه منا بشكرٍ لأعظم فضلًا وبركةً وأزكى عند الله من الدنيا بما فيها من غير وجهيها ، مع ما في ذلك من سرور الأنفس وكرّم الأخلاق .

(1) هكذا في النسختين ، ولم ننبين القصد من الخيبة .

(2) ب : حتى يمدوا .

(3) سقط من ب : لأمرنا ... لم يلتفت إليه .

(4) قيصر الفتى : قد مر ذكره في ص 436 .

وقد اتصل بنا من بعض مشايخنا المستجيبين لدعائنا أنه كان يجرى عليه من قبل داعيه فضل يصل إليه من قبله وأن بعضهم لقيه يوماً فذكر له أنه عرض بذكره عند ذلك الداعي فأمر له بشيء / كان يجريه عليه ، فقال : وقد بلغت مبلغاً لا أذكر فيه حتى تذكرني أنت ؟ لا أبقاني الله إلى يوم أكون منسياً فيه عند من أرجوه إلى أن يذكرني غيري .

فهكذا أريد أن * تكون أنفسكم وهيمكم بقدر مكانكم مني ومحلكم لدي . إني أحب أن أباهي وأكاثركم في الدنيا والآخرة كما قال جدنا رسول الله (صلى) لمن كان في عصره : إني مكاثركم بكم الأمم يوم القيامة (1) ، وقد قال الله (تع) : « فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (2) » ، وقال : « يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ (3) » . فبي والله تدعون وأنا الشهيد عليكم ، وما أحسب أن يأتي أمثالي بقوم / صالحين وآتي أنا بقوم لا خير فيهم .

فسكت القوم ورأيت أن ذلك قد خفض منهم . فقلت : قد وعظ أمير المؤمنين (ص) عبيده وأبلغ في الموعظة ، ونبتهم وتفضل عليهم ، ونسأل الله أن لا يخليتنا من تنبيه وليه ، وأن لا يجعلنا ممن يعرض عنه ويسلمه لاختياره .

فقال (ص) : إنهم لو لم يكونوا عندي بمحل من نحب صلاحه ونشهي رُشدَه لم أقل لهم مثل ما قلت . ولولا ما أخشاه عليهم لعرفتُهم مكانهم عندي وكيف محلهم من قلبي . ولو أشاء لعاقبت المذنب عقوبة مثله ، ولقتلت من يجب في صلاح الدولة قتله ، وأبقيت من يُنتفع فيها به ، ولكنتني حملت / الأمر على ما أوجبه الزمان لي وجرت به عادة الله الجميلة عندي . إن الله (عج) يقول : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (4) » . فهذه من نعم الله عندي : فقد خولني ومكثني .

(1) جاء في سنن النسائي ، في باب النكاح (ج 6 ص 65) وفي مسند ابن حنبل (ج 3 ص 158 و 245) على هذا النحو : تزوجوا الولود الودود ، إني مكاثركم الأنبياء يوم القيامة . وجاء على صيغة أخرى في مسند أحمد (ص 354) : أنكم اليوم على ديني ، وإني مكاثركم الأمم ، فلا تمشوا بعدي القهقري . وانظر ص 345 .

(2) النساء ، 41 .

(3) الاسراء ، 71 .

(4) الضحى ، 11 .

وأعطيني وأقدّرني وبلّغني فوق أملي وفوق ما بلغ به من سبقني . ولقد سبق من آباءكم مع الآباء وأجدادكم مع الأجداد من يقول الناس إنهم يسبقهم أفضل منكم . وما أقول أنا إلا أنكم أفضل ممن تقدّمكم بما فضلكم الله به في أيامي ورحمتي وحياتي ، وإن كان ممن تقدّم من الآباء (صلح) لم يألوا (1) إحساناً وفضلاً لمن كان في عصرهم ، وإن كان ما كان منهم إليهم من التأدّب / لما فيه صلاح جميعهم . فلكلّ زمان رجال ، وليهّلكنّ بسيرتي اليوم غداً خلق كثير ممن يظنّ أن الأمر لا يعدو ما أنا اليوم عليه . فاعرفوا قدر ما منّ الله عليكم به ، واشكروه يزدكم من فضله .

فقال بعض من حضر : وكيف لنا بشكر ما أولاه أمير المؤمنين ؟

فقال : إنّ الذي أولى الله عباده أجلاً وأعظم ، وقد أخبر (عج) أنّ من عباده من قد شكره ، إذ قد شكروا بما قدروا عليه . فأخلصوا نياتكم له وما يريد منكم إلا الإخلاص .

فقبلوا الأرض مراراً بين يديه ، وشكروا بما قدروا عليه ، وانصرفوا . فخلع يومئذ على جميع من حضر المجلس خلعاً رفيعة . وكان يوم سرور ختّم / أيّام الطهور التي قدّمت ذكر السرور فيها ، وما علم الناس من فضل وليّ الله بها ، صلوات الله عليه وعلى الأئمة الطاهرين من سلفه والصفوة المهديين من خلفه وسلم كثيرا .

(1) في النسختين : لم ينالوا .

وقع الفراغ (1) من زبر هذا الجلد الثاني من كتاب المجالس والمسائرات صباح الثلاثاء الرابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة 1351 المطابق للتاريخ السادس عشر من أكتوبر سنة 1932م كتبه الأقلّ الراحي رحمة ربّه العليّ شيخ آدم ابن الشيخ الماجد محمد علي الكجراتي وطنا، السورتي مسكنا ثبتّه الله (نع) على طاعته وعلى طاعة جميع حدوده، العلويّين والسفليّين، الروحانيّين والجسمانيّين بحقّ سيّدنا محمد وآله الطاهرين أمين يا ربّ العالمين .

نقلته من النسخة التي عبارة آخرها هذه : تمّ كتاب المجالس والمسائرات والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلّم تسليما ، في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر المظفر من اثنين وثلاثين وثلاث مائة وألف سنة 1332 من هجرة رسول الله (صلعم) ، كتبه أحقر الأحقرين محمد علي ابن ملاّ سلطان علي في بلد برهانپور المسمّى بدار السرور غفر الله ذنوبهما .

(1) هذا من نسخة «أ» . وفي «ب» ، كتب في الطرة اليسرى من الورقة 145 ، بخط مائل مغاير ، عبارة : كاتبه ... ملا داود بن أيوب ... المدفون في ... متدرة في 1315 .
فإذا قارنا بين التواريخ الواردة في آخر «أ» و«ب» ، استنتجنا أن «ب» المنقولة سنة 1315 أقدم من «أ» المنقولة سنة 1351 عن أصل يرجع تاريخه إلى 1332 .

الفهارس

الفهارس

الصفحة

- 1 - فهرس القرآن..... 569
- 2 - فهرس الحديث..... 587
- 3 - فهرس الأعلام والمفاهيم..... 591
- 4 - فهرس الأماكن..... 599
- 5 - فهرس القوافي..... 603
- 6 - فهرس الأمثال..... 605
- 7 - فهرس تفصيلي..... 607
- 8 - قائمة المراجع..... 641

فهرس القرآن

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
أَلَاةٌ مَعَ اللّٰهِ ؟	النمل ، 62	143
أَمَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمُ	طه ، 71	162
أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا	الأعراف ، 18	140
إِذَا أَخَذَ الْفَرْى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ؕ إِنَّ		
أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدٌ	هود ، 102	467
(فَ) اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ، إِنَّا		
هَاهُنَا قَاعِدُونَ	المائدة ، 24	339
اسْأَلْكَ يَدَاكَ فِي جَيْبِكَ ... فَذَانِكَ		
بُرْهَانَانِ مِّنْ رَبِّكَ	القصص ، 32	143 ، 146
أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ...	الفتح ، 29	76
أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ	مريم ، 59	417

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ	النساء ، 59	183 ، 416
أَقِمْنَ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةَ الْعَذَابِ ، أَفَأَنْتِ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ؟	الزمر ، 19	275
أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	المجادلة ، 22	482
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ	هود ، 18	116 ، 176
إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ بِعَقُوبٍ قَضَاهَا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	يوسف ، 68	163 ، 476
اللَّهُ يُتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا	المائدة ، 34	253
الْم ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ	الزمر ، 42	160
أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ، هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي	البقرة ، 1	381
إِنْ أَحْسَنْتُمْ ، أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ	التكاثر ، 1	179
إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي	الأنبياء ، 24	143
انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ	الاسراء ، 7	52
(إِنْ هَؤُلَاءِ) إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا	الأحقاف ، 9	378
أَضَلُّ سَبِيلًا	الاسراء ، 21	74
أَضَلُّ سَبِيلًا	الفرقان ، 44	287

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ	آل عمران ، 68	414
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	الرعد ، 3	329
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	ق ، 37	231 ، 149
إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا	البقرة ، 7	384
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ	الأحزاب ، 56	192
إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا	النساء ، 58	411
إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ	الجن ، 1	272
إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ	الرعد ، 7	118
إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا ... أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ	يس ، 11	381
	المائدة ، 33	185
	الحجرات ، 10	248

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ.....	هود ، 46	290
لَهُمْ لَهُمُ الْمَنُصُّورُونَ ، وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ.....	الصافات ، 173	196
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.....	الفاتحة ، 6	313
(وَرَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بَغْيَضِهِمْ لَمْ يَتَالَوْا خَيْرًا ... وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... وَتَاسِرُونَ فَرِيقًا.....	الأحزاب ، 25-26	176
بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ، وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ...	الزخرف ، 22	290
بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ، فإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ.....	الأنبياء ، 18	93 ، 117
(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ.....	الزحل ، 89	271
يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ.....	الرعد ، 4	329
ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ.....	التكاثر ، 8	381
... حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ...	يوسف ، 110	491
... حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ.....	الحجرات ، 9	174

الصفحة	رقمها من السورة	الآية
383	البقرة ، 6	خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ، وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ...
233	الأعراف ، 199 - 200	فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
351، 79، 48 464، 433	آل عمران ، 34	ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
124	الحديد ، 21	ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا
140	الأحزاب ، 68	سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ، يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
274	الفتح ، 11	صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ
303	البقرة ، 18	صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
435	البقرة ، 171	ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ
499	النور ، 40	

الصفحة	رقمها من السورة	الآية
395	الغاشية ، 3-4	عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً.....
257	المتحنة ، 7	عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.....
169	الشورى ، 10	غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ.....
73	غافر ، 3	فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ.....
377	آل عمران ، 7	فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ.....
247	الأنفال ، 1	فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ، وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.....
162	يونس ، 71	فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.....
276 ، 272 383 ، 378	النحل ، 43	فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ، قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا.....
500	مريم ، 29	فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزِّمْ... وَلَا تَسْتَغْجِلْ لَهُمْ.....
467 ، 283	الأحقاف ، 35	فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ.....
160	طه ، 72	

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا ... فَتَنَايِلُوا النَّبِيَّ تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ...	الحجرات ، 9	185
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ...	آل عمران ، 159	233 ، 122
فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ... فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ؟ ...	قصص ، 32	146 ، 153
فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ ... إِنَّمَا تَنْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ...	فصلت ، 12	160
فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ... فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا ...	النساء ، 41	561
فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ... فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَأَاهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتِهِ ...	طه ، 71-72	162 ، 52
فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِيرَةِ مُعْرِضِينَ ؟ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ، بَلْ يَرِيدُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوْتَى صُحُفًا مُنشُورَةً	الزخرف ، 55	436 ، 196
	البقرة ، 89	497
	الأحزاب ، 37	164
	القصص ، 29	164
	سبا ، 14	163
	المدثر ، 49-52	118

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ	الزمر ، 41	313
فَلَنُصْلِيَنَّ عَلَيْهِمَا ...		
فَمَنْ تَبِعَنِي فَلَا نَهْ مِنْي	إبراهيم ، 36	414 ، 56
فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ	الكهف ، 29	118
فَلْيَكْفُرْ		
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ	الأحزاب ، 23	163
مَنْ يَنْتَظِرُ		
فِي آذَانِهِمْ وَقُرْهُو عَلَيْهِمْ	فصلت ، 44	382
عَمَى		
قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ	النمل ، 65	84
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ		
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ ... خَالِصَةً	الأعراف ، 32	418
يَوْمَ الْقِيَامَةِ		
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ...	الزمر ، 53-54	73
وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ...		
كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ	القصص ، 88	288 ، 82
كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ	الرحمان ، 26	288
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ	آل عمران ، 185	288 ، 81
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا	المطففون ، 14	384
كَانُوا يَكْسِبُونَ		
كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً	البقرة ، 249	554
كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ		
الصَّابِرِينَ		

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مِمَّنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.....	المجادلة ، 22	168 ، 73
لَتُحْمِلُنَّ أَثْقَالَكُمْ وَلَا يُمْسِكُنَّ كُفْرَتَكُمْ إِنَّ عَذَابَ أَبِي لَسْدٍ يَدٌ.....	إبراهيم ، 7	493 ، 234
لَا عَلِيمٌ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.....	البقرة ، 32	524
لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا.....	الطلاق ، 7	516
لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.....	البقرة ، 286	516
لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ... وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى.....	الأنبياء ، 23	279
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ... رَحِيمٌ.....	الحديد ، 10	74
لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ.....	التوبة ، 128	184 ، 76
لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.....	يونس ، 11	163
لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَانِيُّونَ... لَيُفْسِدَنَّ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ.....	الأنعام ، 58	163
لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ... وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.....	المائدة ، 63	239
	التوبة ، 91	516

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ	فاطر ، 22	288
مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ	الأنعام ، 38	271
مَثَابَةٌ لِلنَّاسِ	البقرة ، 125	363
... مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ... وَيَفْعَلُ		
اللَّهُ مَا يَشَاءُ	إبراهيم ، 24-27	314
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ... لِيُغِيظَ		
بِهِمُ الْكُفَّارَ	الفتح ، 29	344
مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ		
مِنْ نَّصِيبٍ	الشورى ، 20	269
مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ...		
وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	هود ، 15-16	269
مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ ...		
وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ		
تَقْضِيًّا	الاسراء ، 18-21	270 ، 402
مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ	النساء ، 123	74
النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا		
وَعَشِيًّا ... ادْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ		
الْعَذَابِ	غافر ، 46	288
هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ		
حِسَابٍ	ص ، 39	512
هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ	آل عمران ، 163	74

الآية	رقعها من السورة	الصفحة
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.....	آل عمران ، 134	211
وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا		
النِّكَاحَ.....	النساء ، 6	107
وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.....	المائدة ، 13	233
وَأَصْلُوا كَثِيرًا... عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ.....	المائدة ، 78	378
وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ.....	الأنفال ، 60	461
وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ		
لِيَتَرَكِبُوهَا وَزِينَةً.....	النحل ، 8	461
وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا		
وَلَمْ يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا	الفرقان ، 67	512
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ		
بِإِيمَانٍ الْحَقْنَابِيهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ.....	الطور ، 21	289
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى		
وَأَتَاهُم تَقْوَاهُمْ.....	محمد ، 17	380
وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ.....	الاسراء ، 60	116
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ... عَلَّمَهُ شَدِيدُ		
الْقُوَى.....	الرحم ، 1-5	378
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ.....	الضحى ، 11	561 ، 178
وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً		
فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ.....	الأنفال ، 58	443
وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ.....	القلم ، 45	196

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
وَأَن جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، فَلَا تُطِعْهُمَا	العنكبوت ، 8	58
وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ	الأنعام ، 153	314
وَأَن مِن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ	الحجر ، 21	305
إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ	الرعد ، 11	196
وَأَنكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	القلم ، 4	122
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ... وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ	البقرة ، 155-157	192
وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ	الأعراف ، 198	384 ، 231
وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ ... فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ	النمل ، 20-28	263
وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ	العنكبوت ، 43	500
وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ	الأنعام ، 83	221
وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ	النمل ، 14	146

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.....	الزخرف ، 28	403
وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ... وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا	الأنبياء ، 77-78	63
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.....	الأعراف ، 156	274
وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ.....	الإسراء ، 60	116
وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ.....	طه ، 121-122	140
وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا ... إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.....	البقرة ، 111	143
وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ.....	المالك ، 10	146
وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ ... فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا.....	الفرقان ، 21	184
وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ.....	هود ، 44	163
وَقُضِيَ رَبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ.....	الاسراء ، 23	160 ، 161
وَقُضِيَنا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ.....	الاسراء ، 4	160 ، 161
وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ.....	التوبة ، 105	498
وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ ... مُشْرِكُونَ.....	يوسف ، 105-106	296 ، 310

الآية	رقبها من السورة	الصفحة
وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرًا إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ	الاسراء ، 26-27	512
وَلَا تَقْتَمِنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ	النساء ، 32	208
وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ	الاسراء ، 29	512
وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ	هود ، 113	73 ، 56
وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ... قَوْلًا مَعْرُوفًا	النساء ، 5	512
وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَا نُفْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُفْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا	آل عمران ، 178	169
وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وَلَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ ... وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى	فاطر ، 43	308
وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى	الحديد ، 10	247
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ... إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ	طه ، 127	102
وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ... الْخَاسِرِينَ	هود ، 31-32	387
	الزمر ، 65	184

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ		
مِنْ كُلِّ مَثَلٍ	الروم ، 58	500
وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ		
فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً	طه ، 115	283
وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ		
الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ		
الصَّالِحُونَ	الأنبياء ، 105	196
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا	يوسف ، 24	143
وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ	يونس ، 44	269
وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يُلِيْسُونَ	الأنعام ، 9	522 ، 293
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ...		
الظَّالِمِينَ	البقرة ، 250	554
وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ		
فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ		
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً	النساء ، 64	273 ، 222
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ...		
يَلْبِسُونَ	الأنعام ، 9	293
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي		
الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ لَا		
يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ	النساء ، 83	222
وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ		
مَا زَكَامِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا	النور ، 21	428

الصفحة	رقمها من السورة	الآية
466	محمد ، 4-6	وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ... الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ
140	العنكبوت ، 13	وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ
461	الحشر ، 7	وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا
74	الشورى ، 30	وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
290	التوبة ، 114	وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ
149	العنكبوت ، 48	وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ
182	الكهف ، 51	وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا
309	الحج ، 60	(وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ
146	الذاريات ، 49	وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
56 ، 73 ، 116 ، 177	المائدة ، 51	وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ
143	المؤمنون ، 17	وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ
303 ، 214 ، 388	محمد ، 10-17	وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ... وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ... يَقْتُرُونَ	القصص ، 75	143
وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ	البلد ، 10	313
وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ... مُدْبِرِينَ	الشورى ، 25	73
وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ... وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا	التوبة ، 25	553
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ... نَادِ مِمَّنْ	الأحقاف ، 20	269
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ	الحجرات ، 6	278
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ	التوبة ، 123	166
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ	المتحنة ، 1	175
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ	المتحنة ، 13	73
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ... صَالِحٍ	النساء ، 174	143
يَا صَاحِبِ السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمْ ... تَسْتَفْتِيَانِ	التحریم ، 9	76
يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ... صَالِحٍ	التوبة ، 73	166
يَا صَاحِبِ السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمْ ... تَسْتَفْتِيَانِ	يوسف ، 41	163
يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ... صَالِحٍ	هود ، 46	414

الآية	رقمها من السورة	الصفحة
يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُونَ.....	المنافقون ، 4	392
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ.....	الروم ، 19	290
يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتُفَضَّلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ.....	الصف ، 8	118
يُقْبَلُ التَّوْبَةُ عَنْ عِبَادِهِ.....	الرعد ، 4	15
يَقْضَى (يَقْضِي) الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ.....	الشورى ، 25	253
يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ... صَادِقِينَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...	الأنعام ، 57	163
الْإِسْلَامَ دِينًا.....	الحجرات ، 17	53
يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ.....	المائدة ، 3	329
	الاسراء ، 71	561

فهرس السككش

الصنفة

- إذا تمنى أحدكم فليكثر..... 208
- إذا سمعتم داعي آل بيتي . فسارعوا إليه . ولو حبوا على الثالج والنار .. 458
- إذا لقي المؤمن أخاه فليسلم عليه وليصافحه 77
- اذبحه يضاعف لك أجره..... 461
- أصبح الناس رجلين : رجل مؤمن بالله كافر بالكوكب . ورجل مؤمن بالكوكب كافر بالله 532
- أعظم الناس عذابا يوم القيامة من نصب ضلالا 140
- أفضل الصدقة جهد من مقلّ 519
- أقبلوا ذوي المروءات عثراتهم..... 141
- أمّا أنّه ستكون بعدي فتنة (الحارث بن عبد الله عن عليّ)..... 271
- أما ترون ما صرف الله عني من شرّ هؤلاء ؟!..... 285
- إنّ أزهّد الناس في العالم أهل بيته 100
- إنّ الله ليحفظ المؤمن في ولده سبعين خريفا 289

الصفحة

- إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن يبغض ، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب 270
- إن أهل الجنة ينظرون إلى أهل عليين 74
- إن من البيان لسحرا 142
- أنا سيد ولد آدم ولا فخر 178
- أنت مع من أحببت 56
- إنك (الكعبة) لعظيمة عند الله 108
- إنكم ستحدثون ومن يأتني بعدي بما لم أقله 78
- إنكم لتجازون في الدنيا : أما تصابون ؟ أما تألمون ؟ 74
- إنما الأعمال بالنية والكل أمرىء ما نوى 302
- إنما الطاعة في المعروف 58
- أنهاكم عن قبل وقال 291
- إنني مكاثركم بالأمم يوم القيامة 345 ، 561
- بعثت وفي هاتين القريتين أربعون رجلا ظن أحدهم كيقين غيره 413
- تجاوز الله لأمتي خطأها 303 ، 352
- الحبة السوداء : الشونيز 292
- خلقت فيكم ما إن أمسكتكم به 328
- رأيت كأتى أسجد في ماء وطين 457
- .. رحم الله امرءا سمع مقالتي فوعاها 45
- ما لنا منا أهل البيت 56
- طلوع الشمس من مغربها 477

الصفحة

- قد كانت لأبيك عندي يد ، فهل لك من حاجة ؟ 53
- قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد 192
- الكبر رداء الله فمن نازعه فيه قصمه 158
- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق 58
- لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق 379
- لا يحلّ قتل امرئ يؤمن بالله واليوم الآخر إلاّ في ثلاث 185
- لقي عيسى بن مريم يحيى بن زكريا 76
- لكنّ حمزة لا بواكي له 103
- لما أسري بي لقيت ملكا صاعدا وملكاً هابطا 268 ، 269
- لما خلق الله العقل قال له : أقبل 145
- اللهم سق إليّ أحبّ خلقك إليك 80
- لو أمرت لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها 60
- ما أقرّ قوم على المنكر بينهم لا يغيّرونه إلاّ عمّهم الله بعقابه 239
- ما جاءكم عنّي فاعرضوه على كتاب الله 147
- ما من آدمي إلاّ وفي رأسه حكمة بيد ملك 158
- ما من قوم إلاّ وفيهم نجيب أو ناج خلا بني أميّة 116
- ما من عبد مؤمن إلاّ ولله عليه سبعون سترا فاسألوا الله أن لا يهتك 141
- أستاركم ! 141
- من أراد أن يعرف مال امرئ من حيث اكتسبه فليُنظر فيم ينفقه فإنّ 179
- الحرام في مثله ينفق 179
- من استنّ سنّة حسنة فعمل بها وعمل بها بعده فله أجره 140
- من أطعم نائحة درهما كلّفه الله إخراجها فيه من قعر جهنّم 537

الصفحة

- من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض 525
- من تواضع لله رفعه 158
- من طلب العلم ليباهي به العلماء ... فليتبوأ مقعده من النار 379
- من كنت مولاه فعليّ مولاه 199
- من لقي الكافر فليلقه بوجه مكفهر 76
- من نظر إلى صاحب بلاء فقال : الحمد لله الذي عافاني ... كان حقيقاً
أن لا يصيبه الله بذلك البلاء 84
- نيّة المؤمن أبلغ من عمله 520
- يا عبد الله أطع أباك 58
- يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ... 46
- يسأل كل امرئ منكم عن ماله ممّ اكتسبه وفيم أنفقه 179
- يمرّ قوم من أهل عليّين على من هم أسفل منهم 74

فهرس الاعلام والمفاحيم

- آدم: 139 ، 140 ، 184 ، 210 ، 440 .
- إبراهيم (النبي) : 192 ، 522 ، 558 .
- إبراهيم « قتييل باخمري » : 85 .
- إبليس : 139 — 140 .
- ابن حمدان (سيف الدولة) : 368 .
- ابن قتيبة : 159 .
- ابن واسول : 214 ، 217 ، 255 ، 388 ، 389 ، 392 ، 405 ، 411 ، 412 ، 414 ، 418 ، 434 ، 442 ، 458 ، 459 ، 460 ، 462 ، 483 ، 520 ، 521 ، 522 .
- أبو بكر : 122 ، 155 ، 182 ، 431 .
- أبو الحسن (ابن المهدي) : 542 ، 543 .
- أبو الخطاب : 84 .
- أبو ذؤيب : 160 ، 162 .
- أبو سفيان (ابن حرب) : 235 .
- أبو العباس الداعي : 183 .
- أبو عبد الله الداعي : 183 .
- أبو موسى الأشعري : 155 .
- أبي بن كعب : 155 .
- أحمد بن بكر (أمير فاس) : 385 ، 386 ، 418 ، 458 ، 459 ، 460 ، 462 ، 483 ، 484 ، 486 .
- أحجية نحوية : 309 .
- أخبار الدولة (كتاب للنعمان) : 17 .
- الاختصار (كتاب) أو كتاب الدينار : 359 ، 360 .
- اختلاف أصول المذاهب (كتاب للنعمان) : 522 .

بنو العباس : 114 ، 124 ، 197 ،
 286 ، 330 ، 347 ، 373 ، 426 ،
 443 ، 476 ، 482 .
 بنو عبد المطلب : 103 .
 بنو كملان : 257 .
 بنو مروان : 397 .
 بنو هاشم : 235 ، 365 .
 التأويل : 295 .
 تبّع : 160 .
 تحجير النياحة : 534 .
 « تربية المؤمنين » (كتاب) : 492 .
 التفّاح الخريفي : 541 .
 تفسير القرآن إلى سورة المائدة
 للنعمان : 135 .
 التقيّة : 124 ، 479 ، 500 ، *
 التوراة : 379 .
 توريت ذوي الأرحام : 97 .
 التوقيعات : 98 ، 102 ، 545 .
 ثعلب النحوي : 134 .
 جابر بن عبد الله : 155 .
 الجاحظ : 263 .
 الجبرة والمجبرة : 164 ، 380 ، 381 .
 الجراد بافريقية : 469 .
 الجزيرة (مصطلح إسماعيلي) :
 265 ، 266 ، 405 ، 468 .

الإخشيّد : 444 ، 445 .
 أرجوزة في سيرة المعز (ذات
 المنن) : 462 .
 إدريس (الحسني) : 483 .
 أرسطاطاليس : رسالته إلى
 الإسكندر : 412 ، 413 .
 أسامة بن زيد : 251 .
 الإسكندر : 413 .
 إسماعيل (ابن إبراهيم النبي) : 58 .
 الإعذار الجماعي : 553 .
 الأعمال (زكاة) : 405 .
 الإمام المستودع والإمام المستقر :
 186 ، 410 ، 411 .
 الإنجيل : 379 .
 أنس بن مالك : 79 — 80 .
 الأنصار : 103 .
 الإيمان (مفهومه) : 498 .
 أيّوب النبي : 184 .
 براءة (سورة) : 443 .
 البربر : 138 ، 139 ، 189 ، 190 ،
 194 ، 210 ، 319 ، 322 ، 333 ،
 553 ، 554 .
 البرهان : 142 .
 بطليموس : 325 — 326 .
 البكاء على الأئمة : 103 .
 بنو أميّة : 92 ، 93 ، 115 ، 116 ،
 140 ، 164 ، 166 ، 167 ، 170 ،
 190 ، 234 ، 253 ، 285 ، 286 ،
 347 ، 386 ، 397 ، 486 .

- الداخل (وانظر : الواصل) : 253 .
 دار الهجرة : 480 .
 داود : 138 ، 160 ، 184 ، 268 ،
 427 ، 441 .
 دعائم الاسلام (كتاب) : 306 .
 الدمستق : 443 .
 الدينار (كتاب للنعمان) : 359 ، 360 .
 ذات المنن : 462 .
 ذو الفقار : 114 — 115 ، 209 .
 الرأس المعبود (ينثر الدنانير) : 417 .
 رومانوس : 444 .
 الزبير بن العوام : 208 .
 الزبور : 196 .
 زيد بن ثابت : 155 .
 سبأ (ملكة) : 264 — 265 .
 سبب بناء المهدية : 542 .
 السجود للأئمة : 57 — 60 .
 سفارات يزنطية : 366 ، 442 .
 سفبان الثوري : 47 .
 سلمان الفارسي : 56 ، 155 .
 سليمان : 184 ، 263 ، 265 ،
 268 ، 441 .
 السند (بهلوانيسون) : 557 .

- جعفر بن أبي طالب : 208 .
 جعفر الصادق : 46 ، 47 ، 48 ، 56 ،
 78 ، 84 ، 103 ، 106 ، 123 ،
 124 ، 141 ، 158 ، 239 ، 267 ،
 272 ، 292 ، 293 ، 294 ، 304 ،
 305 ، 350 ، 361 ، 363 ، 373 ،
 378 ، 379 ، 381 ، 402 ، 433 ،
 434 ، 498 ، 509 ، 510 ، 515 .
 الجناح : 467 .
 جوهر : 256 ، 546 .
 الحارث الأعور : 271 .
 الحجة : 94 .
 حجة العقل (إبطالها) : 423 ،
 521 ، 522 .
 حروف المعجم (أسرارها) : 130 .
 الحسن : 63 ، 65 ، 95 ، 122 ، 124 .
 الحسن بن عليّ الكلبي : 165 ،
 240 .
 الحسين : 58 ، 95 ، 103 ، 122 ،
 124 ، 397 ، 521 ، 522 ، 523 .
 الحكم بن أبي العاص : 191 ، 285 .
 حمزة : 208 .
 حميد بن يصل : 253 .
 خالد بن الوليد : 119 ، 249 .
 خديجة : 123 .
 الخطابية : 84 .
 الخليل بن أحمد : 159 ، 161 .

- سيرة المعزّ (كتاب للنعمان) :
 47 ، 297 .
- (سيف الدولة) ابن حمدان : 368 .
- الشونيز (بزر ودواء) : 292 .
- شيبة بن ربيعة : 287 .
- الشيخان : 122 .
- الصابريّة : 254 .
- صاحب الأحباس : 530 .
- صفوان بن أميّة : 250 .
- ضلال المعتزلة : 377 .
- طاغية الروم : 166 ، 176 ، 193 ،
 241 ، 366 ، 367 ، 442 .
- طالوت : 554 .
- الطبّ الروحاني : 502 .
- الطريد : 285 .
- طهور (ختان) ولد المعز : 556 .
- عاشوراء : 397 .
- العبّاس (ابن عبد المطلب) : 221 .
- عبد الرحمان : أنظر : الداخِل ،
 الواصل .
- عبد الرحمان (الناصر) : 115 ،
 164 ، 167 ، 173 . وكامل
 الجزء الثامن. و 217 ، 234 ، 363 ،
 364 .
- عبد شمس (بنو) : 416 .
- عبد الله بن عمرو بن العاص : 58 .
- عبد الله بن مسعود : 64 ، 155 .
- عبد الله (ابن المعز) : 556 .
- عبد الملك بن مروان : 285 .
- عتبة بن ربيعة : 287 .
- عثمان : 121 ، 155 ، 182 ، 285 .
- العرفاء : 531 .
- العصمة : 418 .
- عقيل (ابن المعز) : 556 .
- علم الغيب : 84 .
- عليّ بن أبي طالب : 58 ، 64 ، 65 ،
 77 ، 80 ، 92 ، 99 ، 106 ، 110 ،
 116 ، 121 ، 122 ، 141 ، 155 ،
 174 ، 176 ، 181 ، 182 ، 209 ،
 210 ، 221 ، 231 ، 235 ، 251 ،
 267 — 270 ، 272 ، 285 ، 305 ،
 315 ، 327 ، 328 ، 349 ، 352 ،
 379 ، 382 ، 397 ، 403 ، 431 ،
 434 ، 443 ، 449 ، 460 ، 515 .
- علي الأصغر (ابن الحسين) : 523 .
- علي زين العابدين : 98 ، 100 ،
 103 ، 521 ، 523 .
- علي (ابن النعمان) : 462 .
- عمر بن الخطاب : 63 — 64 ،
 155 ، 182 .
- عمرو بن العاص : 58 .
- عمر بن عبد العزيز : 181 .
- العود : 165 ، 180 .

قفص الأسرى : 418 .
 القلم الخزان : 319 — 320 .
 قيصر (العبد) : 436 ، 487 ، 560 .
 القيم على الطعام : 462 .

كتاب اختلاف أصول المذاهب

لنعمان : 522 .
 كتاب الإمامة (للمنصور) : 315 .
 كتاب في الإمامة للنعمان : 415 .
 كتاب الدينار : 359 — 360 .
 كتاب في سيرة المعزّ للنعمان :
 46 ، 297 .

كتامة : 91 ، 96 ، 119 ، 203 ،
 214 ، 219 ، 239 ، 241 ، 245 ،
 248 ، 249 ، 254 — 255 ، 257 ،
 321 ، 322 ، 486 ، 526 ، 531 ،
 559 .

كتمان اسم ولي العهد : 24 ،
 137 ، 220 ، 448 ، 468 .
 (كسرى) صاحب الفرس : 374
 الكيمياء : 334 .

لبيد : 104 .
 لحوم الخيل : 461 .
 اللعين : 115 ، 285 .

المادة : 147 .
 المأمون العباسي : 403 .

عيسى (ابن مريم) : 123 ، 288 ،
 500 .

العين (كتاب) : 159 .

غزو كرسىكا : 195 .

فاطمة : 122 ، 403 ، 431 .
 فتنة أبي يزيد : 248 — 249 .
 فذك : 122 .
 فرح الخدام : 240 .
 الفرزدق : 85 .
 فرعون : 162 .

القائم : 46 ، 54 ، 79 ، 81 ،
 84 ، 87 ، 94 ، 95 ، 98 ، 101 ،
 103 ، 107 ، 119 ، 125 — 126 ،
 130 ، 137 ، 156 ، 214 — 215 ،
 220 ، 248 — 249 ، 252 ، 265 —
 267 ، 277 — 278 ، 284 ، 286 ،
 291 ، 323 — 324 ، 331 — 332 ،
 385 ، 386 ، 392 ، 404 ، 420 ،
 429 ، 440 ، 448 — 449 ، 451 ،
 468 ، 476 ، 501 — 502 ، 543 ،
 551 .

قائم القيامة : 427 .
 قتل أبي عبد الله الداعي : 186 .
 قتل حميد بن يصلّ اليفرنى : 253 .
 قرطاجنة (معالم) : 201 .
 القضاء (معناه) : 159 ، 307 .

المنتصر بن المعتز (أمير سجماسة) :
389 ، 391 — 392 .

المنصور : 46 ، 51 — 52 ، 54 ،
57 — 58 ، 60 — 61 ، 63 ، 69 —
72 ، 75 — 77 ، 80 — 83 ، 93 ،
95 — 96 ، 98 — 104 ، 106 —
109 ، 113 — 115 ، 117 ، 125 —
126 ، 129 — 133 ، 135 — 137 ،
156 — 157 ، 170 ، 201 — 202 ،
231 — 233 ، 235 ، 241 — 248 —
249 ، 252 ، 258 ، 265 — 268 —
277 ، 278 ، 286 ، 290 — 291 ،
291 ، 315 ، 332 ، 334 ، 339 ،
343 ، 348 ، 350 — 352 ، 386 ،
394 ، 419 — 420 ، 428 ، 430 ،
439 — 440 ، 447 — 450 ، 468 ،
476 ، 492 ، 499 ، 501 — 502 ،
508 ، 542 — 543 ، 555 — 556 .

المهدي : 46 ، 79 — 80 ، 97 —
98 ، 103 ، 107 ، 130 ، 156 —
157 ، 183 ، 220 ، 235 ، 252 ،
286 ، 291 ، 293 ، 323 ، 337 ،
390 ، 403 ، 405 ، 440 ، 447 —
448 ، 451 ، 464 ، 476 ، 493 —
494 ، 496 — 497 ، 499 ، 501 —
502 ، 541 — 543 .

موسى (النبي) : 123 ، 162 ،
221 ، 233 ، 339 ، 420 ، 465 .

ميساه القيروان والمنصورية : 332 .

الميثاق : 547 .

ميمون القداح : 410 — 411 .

مجالس الحكمة : 434 ، 467 .

المجالس والمسائرات (كتاب) :
301 .

المجسطي (كتاب) : 326 .

محمد الباقر : 77 ، 123 ، 210 ،
270 ، 292 ، 328 ، 363 ، 379 ،
522 — 523 .

محمد بن خالد القسري (والي
المدينة) : 292 .

محمد « النفس الزكية » : 86 .

مخلد بن كيداد : 55 ، 72 — 73 ،
114 ، 214 ، 216 ، 245 ، 323 —
324 ، 492 ، 542 ، 555 .

المركب الحمّال : 180 .

مروان بن الحكم : 182 ، 285 .
المستجيبيون : 547 .

مظفر (العبد) : 435 — 436 .

معاذ بن جبل : 155 .

معاوية (ابن أبي سفيان) : 58 ،
93 ، 121 — 122 ، 182 — 183 ،
235 .

معاوية بن المغيرة : 285 .

معاوية (ابن يزيد بن معاوية) : 182 .

المفضل بن عمرو : 84 .

المقتدر العباسي : 114 .

المقصود والممدود (ثعلب) : 134 .

المكتفي العباسي : 220 .

المناقب والثالب (كتاب للنعمان) :
117 .

الناصر والمعزّ : 173 ، 186 .
 النجامة : 131 ، 439 .
 نزار (ابن المعز) : 556 .
 النفقة : 498 . وانظر : الأعمال
 والواجبات .
 نكاح المتعة : 65 .
 نمرود بن كنعان : 477 .
 نوح : 163 ، 290 ، 345 ، 484 ؛
 النياحة : 103 ، 534 — 535 ، 537 .
 النيّة : 529 .
 هرقل : 374 .
 الواجبات (زكاة) : 335 ، 407 .

الواصل (عبد الرحمان) : 253
 وانظر : الداخل .
 ولدا النعمان : 543 — 544 .
 الوصيّ : 177 ، 209 .
 الوصيّة : 209 .
 يحيى بن زكريا : 64 .
 يزيد : 523 .
 يعقوب : 184 ، 264 .
 يعلى (ابن محمد اليفرنى) : 217 ،
 275 .
 يوسف : 264 .
 يونس : 184 ، 283 .

فهرس الأماكسن

- | | |
|--------------------------|---------------------------------|
| تاهرت : 555 . | أحد : 140 ، 103 . |
| تونس : 333 ، 201 . | الأزهر : 311 . |
| الجابية (بالشام) : 182 . | إفريقية : 164 ، 190 ، 214 ، |
| الجزيرة (شريك) : 324 . | 324 ، 325 ، 333 ، 348 . |
| | أقريطش : انظر : قريطش . |
| الحجاز : 413 . | الأندلس : 92 ، 164 ، 166 ، |
| حنين : 553 . | 174 ، 177 ، 180 ، 185 ، 190 ، |
| | 194 ، 217 ، 234 ، 253 ، 285 . |
| الخصوص (يوم) : 115 . | باب الخاصة : 462 . |
| خمّ (غدير) : 327 . | باب الفتوح (بالمنصورية) : 363 . |
| | بدر : 287 . |
| دار الصناعة : 530 . | برقة : 198 ، 445 ، 556 . |
| | بقلوط : 324 . |

فاس : 6 ، 385 ، 458 ، 483 ،
491 — 2 .

فدك : 122 ، 403 ، 431 .

قرشقة : 195 .

قرطاجنة : 201 ، 332 .

قريطش : 7 ، 442 — 447 .

القسطنطينية : 166 ، 176 ، 336 ،
366 ، 446 .

القصارين (وادي) : 427 .

قصر البحر : 325 ، 556 .

قصر الزجاج : 324 .

قلورية : 171 ، 240 ، 367 .

القليب (حديث) : 287 — 289 .

قناة المنصورة — المهدية : 530 .

القيروان : 214 ، 332 ، 337 ،
348 ، 556 .

الكعبة : 108 ، 363 ، 386 ، 427 .

كيانة : 492 .

لكنية : 54 .

المدينة : 176 .

مرمجة : 324 .

المرية : 165 ، 195 ، 217 .

مصر : 252 ، 264 ، 444 ، 446 ،
476 .

ريّة (Reggio) : 166 .

الراب : 496 .

زغوان : 332 .

سجلماصة : 214 ، 217 ، 224 ،

255 ، 388 ، 389 ، 391 ، 392 ،

405 ، 411 ، 412 ، 508 ، 520 ،

556 .

سوسة : 324 — 333 .

الشام : 264 .

الشرف : 324 .

صفين : 58 ، 235 .

صقلية : 164 ، 166 ، 176 ،

240 ، 367 ، 556 .

الطائف : 413 .

طرابلس : 51 ، 199 ، 348 .

طرسوس : 368 .

طنباس : 60 .

طنبة (برقة) : 445 .

عرفة : 328 .

عين أيوب (نهر) : 331 .

فارس : 492 .

323 — 325 ، 337 ، 348 ، 463 ،
476 ، 530 ، 542 .

نهر أيتوب : 331 .

النهر المعزّي : 552 .

وادي القصّارين : 427 .

اليمن : 413 .

المغرب : 130 ، 167 ، 170 ،
191 ، 252 .

مكة : 176 ، 413 .

المنصوريّة : 51 ، 57 ، 69 ،
75 ، 211 ، 213 ، 259 ، 324 ،

331 — 348 ، 394 ، 545 ،
551 .

المهدية : 55 ، 166 ، 254 ،

فهرس القصواني

البيت	وزنه	قائله	الصفحة
يا أمة السوء التي قد غيرت..... ظلماءها ..	كامل		215
وأحرأ من رأيت بظهر غيب..... العيوب ؟...	وافر		99
وفي كل شيء له آيسة..... واحد	متقارب	أبو العتاهية	310
إذا الرجال ولدت أولادها..... أعصاها ..	رجز		268
وعليهما مسرودتان قضاهما..... تبع	كامل	أبو سويب	160
أخذنا بأفاق السماء عليكم..... الطوالع	طويل	الفرزدق	85
بلينا وما تبلى النجوم الطوالع..... والمصانع ..	طويل	لبيسد	104
قضيت أهورا ثم غادرت بعدها..... لم تمشق ..	طويل	الشماخ ؟	161
الله أعطاك السي لا فوقها..... طوقها ..	رجز	كثير	410
وليت فلم تشتم عليا ولم تخف..... مجرم	طويل	كثير	181

فهرس الأمشال

الصفحة

- 182 — أمر مشي فيه بليل
- 182 — رمتها بدائها وانسلت
- 238 — فما عدا ممّا بدا
- 221 — كل مفتون ملقّن حجة
- 381 — من جهل شيئاً عاداه
- 268 — من سرّه بنوه ساءتة نفسه

فهرس تفصیلی

الصفحة	الموضوع	الفقرة
51 — 2	— تخريج النعمان لأول كلمة سمعها من المعزّ ومن المنصور	1
53	— وجوب الاخلاص في العمل	2
53	— النعمان يوصي القضاة بالاخلاص والأمانة	3
53	— مثل الصائغ الفقير يفتي بالمال العظيم	
54	— كلام الأئمة فيه ظاهر وباطن	4
55	— الأولياء الصادقون يدخلون الجنة مع الأئمة	5
56	— مثال من القياس بالمقابلة	
57	— السجود للأئمة	6
58	— مجادلة بين عبد الله بن عمرو بن العاص والحسين بن عليّ	
58	— السجود للأئمة طاعة ومعروف ، والنهي عن المعروف ليس نهياً لازماً	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
59	— تقبيل الأرض ليس سجوداً على الحقيقة .	
59	— تقبيل اليد كالركوع .	
60	— القرآن أقرّ سجود يعقوب ليوسف .	
60	— قدرة المعزّ على استنباط الأحكام .	7
63	— المعزّ أفقه من أبيه المنصور مثلاً كان سليمان أفقه من داود ...	
63	— ومثلاً كان الحسن أفقه من أبيه عليّ .	
64	— عمّتر يغار من الحسن .	
65	— تفسير حكم الحسن في قضية البيض .	
65	— الأئمة ينكرون نكاح المتعة .	
69	— المعزّ أرفق بالناس من المنصور .	8
70	— الآباء يشرفون بشرف أبنائهم .	
71	— شاهد من المنصور على فحاشة المعزّ .	
72	— اغترّ كثير من أنصار الأئمة بأبي يزيد ...	9
72	— فعمّجل لهم الله العقاب .	
73	— حكم على حزب أبي يزيد .	
73	— الصادقون عن الأئمة مخلصون في النار بحكم القرآن والسنة .	
75	— تأنيب المنصور للنعمان على قصيره في قضائه .	10
76	— لا اختلاف بين شدة المنصور وبين المعزّ .	
77	— لوم آخر للنعمان .	1
78	— لا بدّ من تمحيص الرواية .	
79	— النعمان لم يتعرّض قطّ إلى لوم من المهدي ومن التائب .	12
80	— حادثة ردّ أنس بن مالك عليّاً عن الرسول (ص) .	
81	— خدمة النعمان للمنصور قديمة .	13
81	— مرض المنصور وجزع النعمان عليه .	14

الصفحة	الموضوع	الفقرة
82	عطف المعزّ على النعمان	15
83	عند الأئمة طبّ الأرواح	
83	وجوب الكتان	16
84	إذا لقيت صاحب باوى أو عاهة . فاحمد الله على سلامتاك	17
84	الأئمة لا يعلمون الغيب	18
84	جعفر الصادق يقاوم المحطّائية	
85	وجوب الاستنادة من الأئمة	
85	تسمية المتلازمين بثنية أحدهما	19
85	تأويل بيت للفرزدق	
86	لكل قول ظاهر وباطن	
86	شفاعة الأئمة إن أحبّتهم	20
87	شفاعة المنصور في رؤيا للمعزّ	
91	أمانة الدعاة وتواضعهم	21
92	المعزّ يوصي أنصاره بالصدق والعفاف والتواضع	22
92	المعزّ لا يسمح بارتكاب المعاصي كما يفعل بنو أمية بالأندلس	23
93	صرامة عليّ في الحقّ هي التي أفقدته الأنصار	
93	المنصور على فرائث الموت يوصي المعزّ	24
94	الامام لا يعطي حكمته إلاّ لحجّته	25
94	المعزّ شغوف بالحكمة	26
94	محبة القائم للمعزّ	27
95	كمحبة الرسول (ص) للحسين	
95	التوفيق في اتباع الخاطر الأوّل	28
96	ولاء كتامة قديم باق . رغم زيف من زاغ منهم	29
96	وصية المنصور للمعزّ	30

الصفحة	الموضوع	الفترة
97	— الفاطميّون يورثون ذوي الأرحام خلافا لفقهاء إفريقية	31
97	— تطبيق هذا المبدأ زاد في كراهة أهل القيروان لهم	
98	— ينبغي أن نتجاهل المغرضين	32
98	— إخلاص الأولياء للأئمة لا ينقص لغضب منهم عارض	33
99	— لا كرامة لعالم في قومه	34
100	— خوف الناس من الموت	35
101	— القائم يقتل رجلا بوشاية كاذبة	36
101	— عقاب هذا الواشي من الله فيه وفي عقبه	
102	— عقاب الله للمتطاولين على الأئمة عقاب عاجل	37
102	— منع البكاء على الأئمة	38
102	— عادة بواكي المدينة في البكاء على حمزة أولا	
103	— البكاء على الحسين	
103	— وعلى المهدي	
104	— الحكمة لا تعطى إلا للقادر على فهمها	39
104	— المنصور ينعي نفسه بيت لبيد	40
105	— الأئمة موحدون	41
105	— زيف بعض الدعاة	42
105	— لا يؤتمن الخائن ما لم تصحّ توبته	43
106	— الأئمة يحضّون الأولياء على العمل الصالح	44
106	— المعزّ لا يجد أولياء ثقات بالرغم من اتّساع ملكه	45
107	— إذا كان لليتيم وصيّ ، فليس يتيّم	46
107	— لا يردّ الماء على من عرضه	47
108	— المسجد معظم ، ولكنّ المؤمن أعظم منه	48
108	— شروط الفوز بولاء الأئمة	49
109	— الأئمة باب السعادة	50
109	— سوء عاقبة الجلوس إلى غير الأئمة	51

الصفحة	الموضوع	الفقرة
113	— المنصور يرى في منامه فتنة أبي يزيد وانفراج الشدة على يديه	52
114	— السيف ذو الفقار عند المعزّ	53
114	— انتقاله إلى الفاطميين	
115	— مناقب ذي الفقار	
115	— رسول من عبد الرحمان الناصر إلى المعزّ يطلب الصّالح	54
116	— بنو أميّة شجرة ملعونة الأصول والفروع	
117	— المنصور يعلم المعزّ الجدل والمناظرة	55
117	— المرء يقصر عن شكر الله لا محالة	56
117	— كتابان للنعمان : ...	57
118	— أخبار الدولة	
118	— وكتاب المناقب والمثالب	
118	— لا بدّ لكل عصر من إمام هاد	58
119	— نقمة الناس على القائم بسبب زيغ بعض رؤوس كتامة	59
119	— الأئمة يرفعون الشريف والحقير ، إذا خلصت نيّتهم	60
120	— يتفطن الإمام إلى المحتالين . ولكنه يغضي	61
120	— الإمام لا يهزل أبدا	62
120	— الإمام يسهر على مصلحة الأمة ولا ينال على ذلك شكرا	63
121	— المعزّ يؤمّ الجمعة بالناس	64
121	— شدة عليّ في الحق ...	65
122	— واسترجاعه ما تسامح فيه الشيخان وعثمان	
122	— قتلًا أنصاره وكثيرًا أعداءه	
122	— صرامة فاطمة نحو زوجها ...	66
122	— ونحو أبي بكر	
122	— حلم رسول الله (ص)	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
122	— شدة موسى ولين عيسى	
123	— حلم خديجة	
123	— تبسط الباقر وانقباض الصادق	67
123	— سبب انقسام الشيعة	
124	— المعزّ يبرّر سكوت جعفر الصادق عن تعيين خلفه	
124	— بأنه كان ينتظر أمر الله	
125	— الامام مستعدّ للجواب إذا سئل ، والشرح إذا غمض أمر	
126	— خطبُ المعزّ مذهبيّة	
126	— حسن عزاء المعزّ في المنصور	68
129	— المنصور يحسنّ بقرب أجله وينعى نفسه للمعزّ	69
130	— كتابة بالمُعَمَّى يتوارثها الأئمة	70
131	— المنصور ينهى المعزّ عن زيارة قبره	71
132	— المنصور كان عالماً بالنجوم غير مؤمن بتأثيرها	72
132	— المنصور يؤلّف كتاباً	73
133	— رؤيا مخيفة رآها المنصور وانتهت بسلام	
133	— المنصور يشجّع المعزّ على مناظرته	74
133	— المعزّ لا يتجاسر على النظم أمام أبيه	75
134	— المعزّ يأمر بتأليف كتاب في النحو	76
135	— النعمان يكتب للأئمة	77
135	— المنصور يكلف النعمان بالردّ على السنة بالاعتماد على القرآن ...	78
135	— فيؤلّف النعمان تفسيراً إلى سورة المائدة	
135	— زهد الناس في علم معاصريهم	79
137	— كتمان اسم المؤلف أدعى للتعاني بالكتاب عند العامة	
137	— الأئمة رعاة الأمة أمناء عليها ...	80

الصفحة	الموضوع	الفقرة
137	— وأجرهم عندها قليل .	
138	— المعزّ لا يشاك في افتتاح المشرق قريبا .	81
138	— كتامة من البربر ، والبربر أطردوا قديما من الشرق	
139	— وسيرجعون إليه بفضل الأئمة	
140	— الامر بالمعصية أشدّ إثما ممن تابعه عليها .	
141	— المؤمن يستر عيب أخيه .	82
142	— معنى البرهان :	83
142	— النعمان يبحث في معاني البرهان .	
145	— المعزّ يدلي بتفسيره .	
145	— البرهان هو ما ثبت بالعقل .	
147	— لم يسبق للأئمة تفسير للبرهان .	
147	— علم المعزّ علم فطريّ لم يقع إليه بتحصيل .	
148	— المعزّ عارف بأصناف العلوم كلها	
148	— النعمان يشيد بحكمة المعزّ .	
153	— المعزّ يعيب على أتباعه زهدهم في طلب الحكمة عنده .	84
154	— تفقّه الأتباع درع واقية لهم ضدّ الخصوم	
155	— النعمان يلتمس لهم الأعذار	
156	— خوفا من إغراض المعزّ عنهم وعنه .	
156	— كثير من الأولياء يغفون عن باطن أعمال الأئمة	85
157	— مثال من إجلال الدعاة للمهديّ	86
157	— من غرور بعض الدعاة .	87
158	— وجوب التواضع	
158	— الرئاسة وقف على الأئمة	
158	— مثال من التحاسد في بلاط الأمراء	88

الصفحة	الموضوع	الفقرة
159	— يربطه المعز بتطاؤل الخادم على مخدمه	89
159	— معنى القضاء :	
159	— قول الخليل	
159	— وابن قتيبة	
161	— قول مردود	
162	— المعز يراجع ابن قتيبة في الأمثلة التي ساقها	90
163	— ويرجعها أكلتها إلى معنى البيان	
164	— الأمويون يتطعون مركبا فاطميًا	
165	— فيغزو الأسطول الفاطمي المريّة ويحرق مراكبها	
166	— فاستنجد الناصر بالروم	
166	— ولكن الروم عرضوا على المعز هدنة طويلة	
166	— فأبى إلا قتالهم	
166	— فهزم أسطولهم وجبوشهم بسجاز ريّو وبقاوريّة	
167	— وخاب الأندلسيون في غزو المراسي الفاطميّة	
167	— هدنة سنة 957/346 بين المعز والروم بعد انتصاره عليهم	
167	— الناصر الأموي يطلب بدوره الصلح من المعز	91
168	— فيرفض المعز لأنّ الناصر ادّعى الخلافة وهي وقف على الأئمة	
168	— ولأنّ العداوة بين هاشم وعبد شمس قديمة عريقة	
169	— الناصر يطلب الصلح من جديد	
170	— فيجهّز المعز الجيوش إلى المغرب لتطهيره من أتباع الأمويين	
173	— تحقير المعز للناصر الأموي	92
173	— احتجاج المعز على الناصر أمام رسوله	93
174	— الناصر حالف المشركين على المسلمين - فهو منهم	
174	— الأسطول الأموي هو البادية بالاعتداء	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
175	— المعز فرض الجزية على الروم واطلاق أسرى الشرق ...	
176	— أمّا الناصر فقد حاللهم على غزو إفريقية .	
	— حال الناصر — وقد ردّ أسطولهُ خائباً — كحال أجداده للعناء	
176	يوم الخندق .	
176	— اللعن على المنابر ...	
177	— إنما بدأ به الأمويّون ...	
177	-- وهم لعناء الرسول (ص) إذ أطردهم من المدينة .	
177	-- رسول الناصر ينصرف بعد سماعه احتجاج المعزّ .	
177	- الناصر يهزأ من افتخار المعزّ بنفسه ...	94
178	- فيبرّره المعزّ بقرابته من الرسول (ص) .	
178	-- الناصر يفخر هو أيضاً بنفسه ...	
178	فيسخر المعزّ من هذا التناقض .	
178	-- الناصر يفخر بماله وعُدّته .	
179	... المعزّ يتّهم الناصر بالنجور .	
179	المعزّ يدفع تهمة الناصر له بموادعة الروم ...	
180	- ويفخر بحمله إيتاهم على إرجاع ما أخذوه ...	
180	— ويرمي الناصر بالانحراف الجنسيّ .	
180	— الناصر يباهي المعزّ بصناعات الأندلس ...	
181	— فيسخر منه المعزّ إذ لا فخر في نظره بأهل الصنائع .	
181	— ترحمّ الناصر على عليّ ترحمّ كاذب .	
182	-- اجتمع على مبايعة عليّ ما لم يجتمع لأبي بكر ولا عمر ولا عثمان .	
183	— أحداد الناصر المروانيّون اغتصبوا الخلافة من ذرية معاوية .	
	— ليس للناس أد يقيموا لهم إماماً فتجب طاعته . بل الإمامة نصّ	
183	وتعيّن .	
183	— المعزّ يبرز قتل المهديّ لأبي عبد الله الداعي .	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
184	— الرسول (ص) كان يقيم حدود الله، مع ما عرف به من رأفة . . .	
186	— عبد الرحمان الداخل قتل مولاه بدرًا الذي أوصله سالما إلى الأندلس	
186	— الناصر لا يرى عيوبه هو ولا محاسن غيره	
189	— الناصر يفخر بعدد جنوده	
190	— وينتص أهل إفريقية	
190	— المعزّ يعظّمهم	
190	— ويحقّر أهل الأندلس لغلظة في طباعهم	
190	— الناصر ينكر جميل البربر الذين دفعوا عنه خطر التتصاري	
190	— لجؤء أهل إفريقية إلى الناصر	
191	— إنهما ذو طلب للملاهي وحطام الدنيا	
191	— الناس يتفانون من بلد إلى بلد دونما سبب	
192	— الناصر يعيب على المعزّ قبوله الدعاء له بالصلاة	
192	— فيشرح المعزّ معنى الصلاة على الأئمة	
192	— استغراب المعزّ من تلقّب الناصر بالخلافة بعد مدة من إمارته	
193	— تواطأ الناصر مع الروم فلا يحقّ له أن يدعي الرفق بالمسلمين	
193	— المعزّ لم يسع الحجاج الأندلسيين من المرور بإفريقية	
194	— الناصر يفخر بولاء أهل الأندلس له	
194	— المعزّ يدحض هذا الادعاء	
195	— مراكب أندلسية أعزّاهما الناصر إفريقية فعظبت	
195	— غروه مظفّرة على جزيرة كرسিকা	
196	— المعزّ يتوعدّ الناصر لندوة وانحرافه عن الدين	
197	— المعزّ يحمد الله على نعمه	
198	— داع زاعج وحنفا عنه المعزّ	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
198	— وسرّحه بمعروف ...	95
199	— ولكنّ الأقدار عاقبته .	96
199	— مناقشة مع نحويّ سنيّ ...	97
200	— لاقتناعه بأنّ الأئمة مرجع في الدين . مثلما أنّ الأعراب مرجع في اللغة .	
200	— النعمان يواصل المجادلة تخيلاً .	
201	— تعجّب المنصور من معالم قرطاجنة .	98
203	— المدن التي قاومت الدعوة أصابها الخراب .	99
203	— تفاني كتامة في ولاء الأئمة .	100
207	— المعزّ يفاضل بين أنواع الحسد .	101
208	— ذو الفقار لم يضرب به إلا الرسول (ص) وعليّ .	102
209	— تسليم الرسول ذا الفقار إلى عليّ ...	
209	— إنما هو في الباطن انتقال العلم منه إليه .	
209	— الأئمة ذُكروا قبل خاق آدم .	103
210	— صبر المعزّ على الخادم الذي لم يهيّئ له الحمام ...	104
211	— كصبر الباقر على الجارية التي سقط من يدها بعض ولده فمات ...	
211	— وصبر إمام آخر على جارية كسرت إناء الوضوء .	
211	— تسامح المعزّ مع المتفاضين إليه .	106
212	— النعمان يتخلّق بأخلاق سيّده .	
212	— مدح الحلم والاعضاء .	
213	— حديث المعزّ إلى تاجر في الجواهر ...	106
213	— إنّما هو رمز إلى جواهر الحكمة والعلم .	
214	— شيوخ كتامة يذكرون للمعزّ ما كان من تخلّف القائم أيام فتنة أبي يزيد .	107

الصفحة	الموضوع	الفقرة
216	— داع زائع ينتصب للدعوة رغما عن القائم ...	
216	— فيسيء معاملة الأولياء .	
216	— فتنة أخرى أوقدّها ابن هذا الداعي المنحرف .	
217	— مقتل يعلى اليفرني في حملة جوهر ...	
217	— وأسر ابن واسول .	
218	— حملة المغرب لم تكن لقائد دون قائد .	
219	— المعزّ يشيد بفضل كتامة .	
220	— المعزّ يعلم رجال كتامة الاحتجاج لولائهم ...	
220	— ويضرب مثلاً بالمكتفي العباسي مع القرمطي .	
222	— نصائح المعزّ إلى كتامة .	
224	— فضل تعليم الحكمة يساوي عند المعزّ فضل الصلاة .	
224	— النعمان يبادر إلى تسجيل كلام المعزّ حتى لا ينسى لفظه ومعناه .	
229	— المعزّ يمثل النفوس بالجواهر ...	108
229	— في صلابتها ورخاوتها ، ونفاستها وحقارتها ...	
230	— وشرفها وضعتها وصفائها واختلاطها .	
231	— الحكمة لا تفيد من لا يفهمها .	
231	— الناس درجات مثل درجات الجواهر ومراتبها .	
232	— المعزّ يأخذ المذنب بالرفق .	109
233	— اللين لا ينفي الخزم . والعقاب يكون على قدر الذنب .	
234	— حلم المعزّ من حلم الرسول (ص) جدّه .	
234	— الانسان مقصّر في شكر الله لا محالة .	110
234	— ارتكاب عبد الرحمان الناصر للمعاصي جهرا .	111
235	— غير عبد شمس من هاشم سبها نزول الوحي فيهم .	
235	— أميؤ الاندلس يضرّون للأئمة عداوة عبد شمس لهاشم .	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
236	— موعظة من المعزّ لوفود من جزر المشرق ومن الحجيج	112
236	— قرابة الأرواح أنفع من قرابة الأجساد	
237	— المعزّ يبرأ من دعاة السوء	113
239	— أحداث من كتامة اقترفوا ذنوباً	
239	— فحمل المعزّ شيوخهم تبعة الأفعال	
239	— المنصور ينعى نفسه في آخر خطبة له في عيد الفطر (سنة 341)	114
240	— الخير كله فيما يأمر به الأئمة	115
240	— نصر حقيقه المنصور في قلورية بصيرته	
241	— وصية أخيرة من المنصور للمعزّ	
245	— المعزّ يشيد بكتامة	116
245	— ويبلائهم في حرب أبي يزيد	
245	— فيغار بعض الصقالبة ويدكّر بمواقفهم	
246	— فيميز المعزّ بين تطوع كتامة لخدمة الدعوة : واضطرار الصقالبة بموجب عبوديتهم	
246	— ويطمئن الصقالبة بأنهم يلقون أيضاً أجرهم	
247	— تحذير الأتباع من النميمة والسعاية وصد الناس عن الأئمة	117
248	— شاهد آخر على فضل كتامة	
248	— فرح المعزّ بخصال أوليائه	118
248	— المنصور يدفع عن القائم تهمة التقصير في حرب أبي يزيد	119
249	— شعور القائم بأن الفتنة لن تنقضي على يديه	
249	— المعزّ تبرأ من الأولياء الظالمين كما تبرأ الرسول (ص) من فعلة خالد في كنانة	120
250	— لا يقبل المعزّ الإتاوة من العمال الجائرين	121
250	— المعزّ يحث عماله على التلطّف في رفع الشكاوى إليه	122

الصفحة	الموضوع	الفقرة
250	— رحمة بالمذنبين ودرء للغضب السريع .	
251	— صفوان بن أمية وسارق رذائه .	
251	— المعز يعزل واليا توالى فيه الشكايات .	123
251	— الامام يقدرُ الأمور على بعد ، ويرى ما لا يرى الناس .	124
252	— تساؤل القائم عن الفائدة من غزو مصر ، لوم المهدي له .	
253	— حميد بن يصل ...	125
253	— يراه المعز في المنام منهزما ...	
253	— ثم يأتي خبر موته .	
253	— عبد الرحمان الداخل دعي .	126
254	— المعز يشيد ببلاء الأولياء من الصابرية والمهدية ...	127
254	— ومن أبناء الأئمة وقرابتهم .	
255	— شبان كتامة يهبطون لفتح سجلماسة ...	128
255	— فيشيد المعز بتطوعهم ...	
255	— ويخطب فيهم ...	
255	— ذاكرا فضل أسلافهم ...	
256	— ومبرئا نفسه من كل مطلب سوى إقامة الدين ...	
256	— ويرر تأميره جوهرًا عليهم ...	
257	— ويدعوهم إلى حسن المعاشرة مع الصقالبة .	
257	— بنو كسلان ينضمون إلى جيش المعز ، تكفيرا عن خروجهم	
257	القديم مع أبي يزيد .	
257	— المعز يوصي الصقالبة بدواخاة كتامة .	
258	— حكاية طريفة عن كاتمي السر .	129
259	— المعز يخرج للتزّه وتسريح البصر ...	130
259	— فيضايقه أصحاب الحاجات في الطريق ...	
259	— فلا يضيق بهم وينهى جنوده عن دفعهم .	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
263	— استخفاف الجاحظ بتصّة سليمان والهدهد ...	131
264	— وردّ المعزّ عليه .	
266	— الحكمة تنتقل من إمام إلى إمام .	132
266	— إتفاق الأئمة في معالجة الأمور دون سابق تشاور .	133
267	— لا تكون الحكمة في إمامين متعاشين .	
267	— التغييرات في الكون تكون تدريجية .	
268	— المعزّ يشرح معنى عدل الله ...	134
268	— مستدلاً بحديث الملتكئين ...	
268	— فالله يُنعمُ في الدنيا على الصالح والطالح معا ...	
269	— ولكن الآخرة لا ينالها إلا الصالحون .	
269	— النعمان يؤيد قول المعزّ بآيات كثيرة من القرآن .	
271	— الأئمة مخصوصون بالعلم يتوارثونه كابراً عن كابر .	135
272	— لا يعلم خبر الأجيال اللاحقة إلا الأئمة .	
272	— الصحابة كانوا يتهبّون سؤال الرسول (ص) .	136
273	— النعمان يتجاسر فيسأل المعزّ .	
273	— نصائح المعزّ لأوليائه .	
274	— الأئمة شفعاء لأصحابهم إذا صحّحوا نيّاتهم .	
274	— بعض الأولياء لا يُقبلون على الحكمة فيغضب المعزّ عليهم .	
276	— مقتل يعلي بن محمد أمير تاهرت بعد إغضاء المعزّ عليه .	137
276	— المعزّ يحرّض أوليائه على الطاعة .	138
276	— لا علم إلا علم الأئمة .	139
277	— جماعة من المتمرّدين قتلهم القائم ...	140
277	— فظنّ الناس أنهم قُتلوا ظلماً ...	
277	— فتصدّى المعزّ لدفع التهمة عن القائم ...	
278	— وأيّده المنصور ...	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
278	— مبرراً فعل القائم وقلمه هو .	
278	— لا مخالفة من المنصور لحكم القائم .	
283 — 284	— الأئمة مثل الأنبياء يتفاوتون في الكفاءة والصبر وحسن التدبير .	141
284	— يكون القرب من الأئمة بحسب صالح الأعمال .	142
284	— حيرة المعز بين واجبي الحلم والحزم .	143
286	— المروانيون يلعنون الفاطميين على منابرهم ...	144
286	— فيذكر المعز بأن اللعنة فيهم قديمة منذ حياة الرسول (ص) .	
286	— وقع خطب المعز عند الناس .	145
286	— بعض المقرئين يؤلف في سيرة بني أمية وبني العباس ، ولا يؤلف في سير الأئمة .	146
287	— يضطر العاقل أحيانا إلى مخاطبة الأغبياء بمثل غباوتهم .	147
288	— مخاطبة الرسول (ص) لقتلى المشركين يوم بدر ...	148
288	— تدفعُ النعمان إلى سؤال المعز عن مصير الأرواح ...	
289	— فيرجيء الجواب ، ويدلي بتأويله في حديث القلب : ...	
289	— وهو أن الرسول عنى المنافقين الأحياء لا الموتى .	
289	— الصالح يُعقب الصالح ، والخبيث يُعقب الخبيث .	149
290	— النعمان يحتار في هذا الجواب من المعز ويحاول تأويله .	
290	— المعز يلعن قوما بسالف فسادهم .	150
291	— وثائق تملك أحرقها المنصور بايعاز من أحد الأنبياء المغرضين .	151
291	— المعز يوزع على الأولياء تفاحا من أرض سلمية .	152
292	— النعمان يتداوى بهذا التفاح المبارك من وجع فيعافى .	
293	— إذا صدقت النية . فإن الدواء ينفع .	
293	— لا بد للمريض من رغبة قوية في البر .	
294	— الدعاء مستجاب إذا صدقت النية .	153

الصفحة	الموضوع	الفقرة
295	— طرفة من الحساب يعرضها المعزّ على الأولياء ...	154
296	— ويبين لهم الفرق بين وحدانية الله ووحداية العدد .	
297	— النعمان يدون نصيبا من أقوال المعز وأفعاله ويعرضه عليه ...	155
297	— فيرتاح المعزّ إليه ويأمره بالمواصلة فيه ...	
297	— على أن لا يعطي الكتاب عند إتمامه إلا لمن يصلح لتقبّل الحكمة .	
301	— النعمان في المجالس والمسائرات لا يروي كلام المعزّ بلفظه ...	156
301	— وإنما بمعناه ويرفعه إليه ، فيصحّحه إذا وجب .	
302	— المعزّ يطري الكتاب فتكثر رغبة الناس فيه .	
303	— المعزّ يحضّ الأولياء على الصبر في تعليم الدعوة .	157
305	— المتعلّم يُعطى من العلم بحسب طاقته .	
305	— المعزّ يحرّض على قراءة كتاب دعائم الاسلام .	158
306	— رغبة الناس في العلم قليلة .	
307	— بعض الأولياء يطعنون في قضاء النعمان .	169
308	— اغتباط النعمان باطراء المعزّ له في توقيته العدل .	
309	— المعزّ يعرض أحجية نحوية ...	160
310	— على إمام في النحو فيختار ...	
310	— ولكنّ المعزّ لا يدلي بتفسير .	
311	— المعزّ يرى في منامه أنّه على المنبر يتقلّد سيف النعمان ...	161
312	— فيتأوّل ذلك ببقاء النعمان في خدمته دوما .	
312	— وجوب المواظبة على تحصيل العلم .	162
313	— تأويل للآية : « وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ » ...	163
314	— بطريقي الحقّ والباطل .	
316	— كتاب الامامة للمنصور .	164
316	— صاحب العيب أسرع إلى إلصاق عيبه بمن هو منه بريء .	165

الصفحة	الموضوع	الفقرة
319	— المعزّ يفكّر في اختراع قلم خزان للحبر ...	166
320	— فيصنعه له بعض صنّاعه ...	
320	— فإذا فيه فوائد عجيبة .	
321	— المعزّ يطري جماعة كتامة ...	167
321	— فيزدادون له ولاء ...	
322	— ويذكرون له صبر نسايتهم وأولادهم على محنة أبي يزيد .	
323	— رجال كتامة أيّام المعزّ لم يقصّروا عن آبايتهم في الولاء ...	
323	— ولكنهم ربّما اجتهدوا فأخطأوا ...	
323	— مثلما وقع لهم في عهد المهديّ .	
323	— القائم فكّر في استبدال المهديّة ...	168
324	— ففاس عدّة مواضع من إفريقية ...	
326	— نزل بها أبو يزيد أيّام الفتنة وأطرد منها الواحد بعد الآخر .	
326	— المعزّ يعتزم بناء قصر البحر بالمنصوريّة ...	169
326	— فيرى في منامه بطليموس الفلكيّ ، فينصحه بتقديم يوم الشروع فيه ...	
327	— المنجّمون يؤيّدون ما أشار به .	
327	— حادثة للمعزّ مع سبع ، يربطها برؤياه .	
327	— النعمان يسأل المعزّ عن تاريخ حديث خم ...	170
328	— أكان يوم عرفة كما قال الامام الباقر ، أم بعد عرفة بتسعة أيّام ؟	
329	— المعزّ يجيبه بتأويل باطنيّ .	
329	— المعزّ يعظّم قدرة الله في خلقه الربيع على صورته الزاهية ...	171
329	— ويستنكر خروج الناس للشرب والمجون في هذا الفصل ، عوض الاعتبار والتفكّر ...	
330	— ويعدّ مساوئ الخمر للعقل والبدن .	
330	— المعزّ يتصفّح كتابا في سيرة بني العبّاس ...	172

الصفحة	الموضوع	الفقرة
330	— فإذا به كله في ذكر مجونهم وفسوقهم ...	
331	— مع أن الكتاب ألف في مناقبهم .	
332	— المعزّ يشرع في جلب المياه إلى القيروان بقناة مبنية ...	173
332	— فيهول عليه الأمر ، كما هول على القائم والمنصور ...	
332	— فلا يشني عزمه ...	
333	— ويضرب مثلاً قناة زغوان إلى قرطاجنة ...	
333	— فما استطاعه الأوائل لا يعجز عنه الأواخر .	
333	— العمودان الأحمران اللذان حملهما المعزّ إلى المنصورية ...	
334	— رغم ثقلهما واتساع قطرهما .	
334	— المنصور يعزو الكيمياء لغة إلى الكتمان .	174
334	— المعزّ يعين العمال بحسب ما يتوسّم فيهم من خير ...	175
335	— ولكنّ القالة تكثر فيهم إذا بدأوا في جمع الخمس للأئمة .	
336	— ثار أبو يزيد بدعوى رفع الضرائب .	
336	— شيخ دفع مالا كثيراً إلى الأئمة ، فاتّخذ أبو يزيد شاهداً على جورهم ...	
337	— فإذا بالشيخ يشكو من أصحاب أبي يزيد جوراً أشدّ ...	
337	— فشتان بين ظلم أصحاب مخلد وإنصاف عمال الأئمة !	
337	— محاورة لطيفة بين النعمان وجماعة من الأهالي بالمهدية ...	
338	— يقتنعون بعدها بشرعية الجباية ...	
338	— التي بفضلها يقيم الامام الأمن في البلاد .	
339	— قوله للمنصور في تفضيل طلب الآخرة على طلب الدنيا .	176
343	— تكتّم الأئمة في أمر الدعوة الباطنية شديد .	177
344	— صفح المعزّ عن زلات بعض البربر .	178
344	— الأئمة يسرون بصلاح أوليائهم .	179

الصفحة	الموضوع	الفقرة
346	— المعزّ يصنّف الضالّين الذين يدعّوهم إلى الاقلاع عن ضلالتهم .	180
346	— الأئمّة لا يغضون على أهل المحرّمات .	
347	— ليس من الحزم أن يجاري الراعي أهواء الرعيّة ...	
347	— مثل بني العباس وبني أميّة .	
348	— تحامل المغرضين على النعمان لمّا ولّاه المنصور قضاء إفريقية ...	181
348	— وترويح الأراجيف في شأنه .	
349	— النعمان يشكو جورهم إلى المعزّ ...	
349	— فيشبّه على منهجه ...	
349	— ويدعّوه إلى الاعراض عنهم ، أسوة بالأئمّة .	
350	— أقوال مأثورة عن جعفر الصادق في احتمال الأذى من المغرضين .	
351	— النعمان يعتبر بنصائح المعزّ فيعرض عن أقوال الأعداء .	
351	— كان النعمان يستشير المعزّ فيما يرفعه إلى المنصور ...	182
352	— فلمّا نولّى المعزّ ، فقد النعمان من يشير عليه ...	
352	— فكتب إليه يشكو حيرته ...	
353	— فيجيبه المعزّ بالتثبيت والنهي عن الانقباض والحيرة ...	
353	— ويأذن له في رفع كلّ أمر ذي بال إليه ...	
353	— فتعود الثقة إليه .	
357	— النعمان يرفع إلى المعزّ أجوبة في بعض النوازل ...	183
357	— فيجيبه بالاستحسان والدعاء له ...	
358	— فيغتنب بهذا الدعاء .	
358	— خصم حاسد للنعمان يغتابه عند المعزّ ...	184
358	— فينصحه المعزّ بالاعراض عن كلامه ...	
359	— فتزداد فرحة النعمان ...	
359	— ويهمّ بنسخ هذه التوقيعات فيخاف التطويل .	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
360	— كتاب الدينار للنعمان ...	185
360	— يعرضه على المعزّ فينصحه بشرح غريبه وتغيير أسمه ...	
360	— فيفعل النعمان معتبرا بنصائح المعزّ ...	
360	— ويقرؤه تاماً عليه فيجيز له روايته عنه .	
361	— النعمان يعتزم عرض كل كتاب يكتبه في الدين والفتيا على المعزّ .	
361	— بعض العمّال يسيئون معاملة الرعايا باسم الامام ...	186
361	— والمعزّ يتبرأ منهم .	
362	— المعزّ يتأمّل فوّارة يندفعُ ماؤها إلى العلوّ ...	187
362	— فيقارنها بالنفس التواقّة إلى أصولها العالية .	
362	— المعزّ يذكر فضل الكعبة ...	188
363	— مع أنّها حجارة وطين ...	
363	— فيفسّره بكونها رمزا ومثلا .	
363	— ينبغي تعظيم الدالّ على المعظّم .	
364	— المعزّ يرى إلناصر في منامه في حالة مزريّة ...	189
364	— ويوحى إليه بقرب أجل خصمه .	
364	— المعزّ يوصي عاملا له بتحقيق ظنّه الطيّب فيه .	190
365	— مجادلة بين المعزّ وفقهه من أهل السنّة تفضي إلى اقتناع السنيّ ...	191
365	— ولكنه لا يرجع عن قوله خوفا من فقدان الرئاسة في قومه .	
366	— قائد من قوّاد المعزّ ينصرف عن العدوّ في مقابل مال قدّمه له ...	192
366	— فيغضب المعزّ ويؤكد أنه لا يقاقل طلبا للمال ، بل إعلاءً للدين .	
367	— رسول من امبراطور بيزنطة يقدم بهدايا إلى المعزّ وبأسرى مسلمين من الشرق ...	193
367	— ويسأله هدنة طويلة وموادعة .	
367	— جواب المعزّ أنّ الاسلام يمنع الهدنة المؤبّدة ...	
367	— بل ويحتّم على الامام جهاد أعداء الدين .	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
367	— المعزّ يتهمكم بجهل الامبراطور لأصول الدين الذي يحاربه ...	
368	— ويرضى بمواصلة الهدنة ما واصل الروم دفع الجزية ...	
368	— ويعرض على الامبراطور معاهدة تنطبق أيضا على الامارات الاسلامية بالشرق .	
369	— المعزّ يستفسر مبعوث الروم عن الحرب على الثغور الشامية ...	
369	— ويرفض إرسال مبعوث منه إلى الامبراطور ، ما لم يتحقق أنّه يجيبه إلى طلبه ...	
370	— ثمّ يصرف المبعوث الروميّ ويشرح لجلسائه سبب سؤاله الطويل عن حرب الشام ...	
370	— وهو إقامة الحجّة على الامبراطور .	
370	— وافد من المشرق يقصّ على المعزّ خبر جداله مع بعض ملوك الشرق في إمارة المعزّ ...	194
371	— ودعوته إياه إلى الانضمام إلى الدعوة وتقديم الخمس إلى الإمام ...	
371	— فيتساءل الأمير عن سبب تأخّر المعزّ عن غزو المشرق ...	
372	— ويعزوه إلى قلّة عدّته وعدده ...	
372	— فيدفع الرسول هذا الرأي ...	
373	— ويبيدي للمعزّ أسفه على إخفاقه في إقناعه ...	
373	— فيخفف المعزّ من أسفه ويضرب له مثلا بسعاية في جعفر الصادق .	
374	— هذا الوافد يمتنع من تلبية دعوة أمير استزاره ، استنكافا من من أن يقبل يده .	
377	— ضلّ المعتزلة لأنهم لم يسألوا الأئمة .	195
378	— اختلاف الناس في الفتيا ...	
379	— راجع إلى طرح عليّ عن الوصاية ، وإسنادها إلى غير مستحقّها .	
379	— عليّ كان عالما بأحكام القرآن والتوراة والإنجيل .	
380	— جدال بين معتزليّ وجبري .	196

الصفحة	الموضوع	الفقرة
380	— النعمة الحقيقية هي اتباع صراط الأئمة ...	
381	— نعيم الجنة ثواب لمن عرف الأئمة .	
382	— المعزّ يفسّر سورة البقرة .	197
382	— تعريف الإمام عليّ للإيمان والإسلام .	
383	— مراتب الايمان والكفر والضلالة .	
384	— النعمان يستفسر المعزّ في معنى الغشاوة على القلوب .	198
384	— تأتبي المعزّ في الحكم ...	199
385	— أسوة بالمولى عزّ وجلّ .	
385	— المعزّ يرى في منامه أسر أمير فاس .	200
386	— النعمان يقرأ الحكمة على الناس ...	201
387	— فيكتظّ القصر بالسامعين ...	
387	— فيأمر المعزّ بتبليغ الحكمة إلى كافّتهم .	
388	— تفاوت الناس في فهم الحكمة لا يحول دون تبليغها إليهم .	
388	— أسر ابن واسول أمير سجلماسة ...	202
388	— وانتقاض أهلها على واليهم ...	
389	— ومبايعتهم منتصر بن المعزّ مكانه ...	
389	— واستقدام المعزّ للمنتصر وأصحابه .	
390	— تقرير المعزّ لأهل سجلماسة ...	
390	— بسبب عصيانهم للأئمة ...	
391	— وعفوه عنهم .	
392	— عامل سجلماسة يشكر فضل المعزّ .	203
393	— الفاطميّون يورثون مواليهم من العبيد .	204
394	— توريث العبيد مشروط بولايتهم .	
394	— قوم استخدمهم النعمان وطمع في ولائهم ...	205
395	— فشاور المعزّ في الاستغناء عنهم ...	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
395	— فأمره باستبقائهم .	
395	— المعزّ يأمر بجزاية الحكّام الأقاليم ...	206
395	— حتى وإن كانوا متطوّعين .	
396	— المعزّ يحذّر القاضي من قبول كل شكوى ضدّ الحكّام .	207
396	— النعمان يعرض كتباً له على المعزّ .	208
396	— المعزّ يشكو من جهل أهل إفريقية .	
397	— خطبة للنعمان في عاشوراء ...	209
397	— يلقنه المعزّ أفكارها ومعانيها .	
401	— النعمان يؤلّف كتاباً بطلب من المعزّ .	210
401	— الأئمة ضامنون الجنة لأوليائهم .	211
402	— الأئمة لهم نسب محمد (ص) دون غيرهم .	
402	— ادعى الإمامة بعض الهاشميين في دور السّتر .	
403*	— تطاهر المأمون بتسليم الأمر إلى ذرية عليّ .	
403	— المأمون سمّ عليّ الرضا وادّعى أنه وصيّهُ .	
404	— الأئمة يعلمون ما يكون قبل أن يكون .	
405	— الأئمة لا يبتغون الدنيا . بل الآخرة .	
405	— الشكر لله بالسجود له تعالى .	212
406	— توقّ الدعاء الأوفياء إلى رؤية الأئمة .	
406	— المعزّ يطري أحد دعااته بالمشرق .	
407	— دعاة الجزر يرسلون الأموال إلى الإمام .	
408	— بعض الدعاء ينحرف فيحل المحارم ...	
408	— وبعضهم يخلط الفلسفة بالدين .	
411	— الامام المستقرّ أفضل من الإمام المستودع .	
412	— ابن واسول في الأسر يتزلف إلى المعزّ ...	213

الصفحة	الموضوع	الفقرة
412	— فيؤنبه المعزّ على ادّعائه الخلافة .	
413	— مثال من فطنة المعزّ وحلّسه .	314
413	— وفد من ذرية الحسن ...	215
414	— يقرّون بإمامة المعزّ .	
415	— ابن واسول يتوب أمام المعزّ من ادّعائه الخلافة .	216
415	— تبرّؤ المعزّ من دعاوي الناس ضدّ الأئمة .	
417	— خرافة الصنم المعبود عند الفاطميين الذي ينثر لهم الذهب .	
417	— لا إفراط في التقشّف .	217
418	— المعزّ يتكرّر صفة قفصين عجيبين ...	218
418	— رآهما في المنام ، لعرض أميريّ فاس وسجلّ ماسة على الناس .	
419	— المعزّ يحذّر من غلوّ المغالين من دعائه .	219
420	— الأئمة أسباب الخلائق إلى الله .	
420	— الدعاة المغالون إنّما هم أعداء للدعوة على الحقيقة .	
423	— المعزّ لا يؤمن بحجّية العقل ...	220
424	— الحسن ما حسّنه الله ، والقبيح ما قبحه .	
424	— لا علم صحيحاً دون الأئمة .	
425	— قوم من البربر يهربون بغلام ...	221
425	— فيسترجعه مولاه منهم ببركة المعزّ .	
426	— رسول بأموال الدعاة إلى المعزّ يسلم من الجبّاة .	222
426	— المعزّ يتساءل عن سبب تغلب الخلفاء العباسيين .	223
427	— تقوم الساعة مع قائم الزمان من الأئمة .	
427	— المعزّ يعمّر موضعاً بوادي القصّارين ...	224
428	— بإشارة من المنصور ، فيصبح بستاناً زاهراً .	
428	— المعزّ يشكو العجز من بعض الأولياء ...	225

الصفحة	الموضوع	الفقرة
428	— والنعمان يعتذر عنهم بصعوبة التخلُّق بأخلاق الأئمة .	
429	— القائم يعزو فتنة أبي يزيد إلى زلل بعض الأولياء .	
430	— أوقات السامة أصاح لتأليف الكتب والنظر فيها .	226
430	— كتاب للقاضي النعمان نظر فيه المعزّ فنبّهه إلى سهو فيه .	227
431	— المعزّ يعجب من تعلق بعض الأولياء بقضية فذك ...	228
431	— وسكوتهم عن اغتصاب الخلافة من عليّ .	
431	— منجّم وفد على المعزّ فخاف سوء الطالع فانصرف مسرعاً .	229
432	— فيسخر المعزّ من بلائته ...	
	— ويروي حادثة الخصم المغرّض الذي مات شرميّة بانتقام الله له	
432	منه .	
433	— الإمام معصوم من الظلم منزّه عن التعدي .	
433	— جعفر الصادق أيضاً كان لا يؤمن بالنجوم .	
434	— المعزّ يسمح لابن واسول بحضور الجدة في قيوده .	230
434	— والنعمان يعظه ويشفع فيه لدى المعزّ .	
435	— مناوأة هُظَفر القائد الصملي للمعزّ وفساد عقيدته .	
436	— وكذلك صاحبه قيصر .	
439	— النظر في النجوم صالح لمعرفة قدرة الله ...	231
439	— غير نافع في معرفة حطوط الناس .	
440	— المعزّ يشحم منجّماً .	
440	— زدد المنصور في حطام الدنيا .	232
441	— وانشغاله عن شؤون عائلته حين أصبح إماماً . بتصايا الأئمة .	
441	— حال المنصور والمعزّ كحال داود وسليمان .	
442	— كذلك المعزّ منشغل بشؤون الدولة ...	
442	— وبالعلم والحكمة .	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
442	— هدنة لخمس سنوات بين المعزّ وامبراطور الروم .	233
443	— الروم يغزون جزيرة قريطش .	
444	— رسالة المعزّ إلى قسطنطين ينبذ المعاهدة ويأذنه بالحرب .	
445	— قعود الإخشيدى عن نصرة أهل قريطش .	
445	— رسالة المعزّ إلى الإخشيدى ...	
445	— يدعوه إلى دفع الروم عنهم ...	
445	— ويضرب المعزّ موعداً للقاء الأسطولين .	
446	— قريطش قاعدة نفيسة ضدّ أعداء المعزّ .	234
446	— المعزّ يأمر بتجهيز الأساطيل إلى قريطش .	
447	— المعزّ يذكر أتعاب المنصور في حرب صاحب الحمار .	235
448	— أتعاب المنصور في مدّة القوائم ...	
448	— وامتناعه من كتمان ولايته للعهد مدّة طويلة .	
449	— محنة المنصور كمحنة عليّ بن أبي طالب .	
450	— ترفّع بعض العمّال عمّا ينتدبهم إليه المعزّ .	236
451	— المعزّ يكرم أبناء بعض العمّال السالفين في خدمة الأئمة .	237
452	— المعزّ يتبرأ من بعض الدعاة لتغييرهم الأحكام .	238
457	— المعزّ يقيم صلاة العيد في البراح رغم الماء والوحل .	239
458	— المعزّ يعاتب ابن واسول وابن بكر على عصيانهما .	240
458	— ابن واسول يقرّ بذنبه .	
459	— المعزّ يستعرض عصيان أمير فاس ويقيم عليه الحجة .	
460	— الحكم في نجاسة بول الفرس .	
461	— الرسول (ص) أكل لحم الخيل فهو حلال .	
461	— الحظر أو الإباحة بحسب سلامتها أو عطبها .	
462	— تشفّي النعمان من ابن بكر وهو في الأصفاد .	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
462	— أرجوزة للنعمان في سيرة المعزّ ...	241
462	— يشترك في نظمها ابنه عليّ .	
463	— في القرب من الأئمة والبعد عنهم .	
463	— المعزّ يقرب إليه أحد فتياناه ويسكنه المنصورية بعد المهديّة .	242
464	— خيانة بعض عمّال المعزّ في مال ائمتهم عليه .	243
465	— موسى والرجل الذي وطىء عنقه .	244
465	— موسى أذنب بقطعه بأنّ الله لا يغفر لهذا الظالم .	
466	— أعداء المعزّ يزعمون أنّه أخفق في بعض مساعيه ...	245
466	— فيردّ بأنّ رسالة الأئمة هي إعلاء كلمة الله ...	
466	— أمّا النصر فيبيد الله .	
467	— الاتاوة للامام ، إلى من تدفع ؟	246
467	— النعمان : إلى الجناح في كلّ جزيرة .	
468	— القائم لم يعلن بالخلافة للمنصور إلّا حين قربت وفاته .	247
469	— القائم يخاف على المعزّ من تنكّر المنصور له بسبب حظوته لديه .	
469	— الجراد ينزل بمواطن كان المعزّ نوى زيارتها فتجذب ...	248
470	— لكنّ بنزول المعزّ بها ينزل الغيث ...	
470	— وترتفع عنها آفتا القحط والجراد .	
470	— الامام قلّما يخطيء الظنّ بمن يرشّحه لخدمته .	249
475	— وفد عن دعاة المشرق ...	250
475	— يحث المعزّ على غزو بلدان الشرق ...	
476	— فيجيب بأنّ الوقت لم يحن بعد ...	
476	— ويذكّر بمحاولتي القائم في فتح مصر ...	
477	— ويؤكّد يقينه بأنّ الله سيورث الأئمة الأرض كلّها .	
477	— زيغ بعض الدعاة ...	251

الصفحة	الموضوع	الفقرة
478	— يبلغ المعزّ ، فيأمر بالتلطّف في قتله ...	
478	— بعد تعويضه بداع آخر ...	
479	— فيبلغه أنّ الداعي المنحرف استنجد بملوك ناحيته ...	
479	— فدارت بينهم وبين أولياء الأئمة معركة ...	
479	— فانتصر المؤمنون الصادقون ...	
480	— وسقط الداعي المنحرف من بغلته فاندقت عنقه ...	
480	— فعوّضه المؤمنون — اتفاقاً — بالداعي الذي اختاره المعزّ .	
481	— المعزّ يقرأ على خاصّة مجلسه رسالة الداعي الجديد ورسالة أهل جزيرته .	
482	— بعض أمراء العباسيّين اقتحم جزيرة من جزر الدعوة ...	252
482	— فردّ على أعقابيه .	
482	— المعزّ يذكر ولاية طفل في التاسعة من عمره ...	
483	— ونجاحه في إحباط مساعي أعداء الأئمة .	
483	— وفود رهائن جوهر من المغرب مع ابن واسول وابن بكر أسيرين ...	253
483	— وصفح المعزّ على الأدارسة الحسنيّين ...	
484	— بعد أن وعظهم ولا مهمّهم على اغترارهم بأمير فارس .	
485	— الأئمة لا يجرون وراء حطام الدنيا ...	
485	— وإنّما يقيمون معالم الدين ...	
486	— وهم حزب الله ، أمّا بنو أميّة فحزب الشيطان ...	
486	— ومن والاهم ، فهو في مثل حالهم .	
486	— المعزّ يكبر أمام رجال كتامة ولواء أسلافهم السابقين الأوّلين .	
487	— الأئمة لا يرضون بعلمهم .	
487	— لا بدّ من إعلام الإمام بنوايا المغرضين مثل قيصر الفتى .	
488	— باب الإمام مفتوح لكل ذي حاجة .	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
491	— استطال الأولياء حصار فاس ...	254
491	— لكنّ المعزّ بقي واثقا من نصر الله ...	
492	— فعرض الأمان على أهل فاس ...	
492	— فرفضوه فأقام عليهم الحجّة ...	
492	— كما فعل الرسول (ص) مع كسرى ، والمنصور مع أبي يزيد .	
492	— تكون الرفعة في المراتب بحسب الكفاءة والنصيحة .	255
493	— المعزّ يختبر عمّاله في خدمتهم ، ويكافئ بحسب الجهد .	
494	— قائد يغتم لفقدان الغنائم من مدينة افتتحها للمهديّ ...	256
494	— فيكتشف كثرا في جدار الغرفة ، فيُهديه إلى الإمام .	
494	— المعزّ يروي خبرا آخر في إخلاص هذا العامل ...	
495	— ورغبته في توفير الاتاة للإمام .	
496	— المعزّ يبحث الدعاة على الصدق والعدل .	257
497	— في زيغ بعض الأولياء عن الحقّ .	258
498	— مثال من تقصير بعض الدعاة في الاحتجاج .	
498	— الإيمان قول وعمل .	
499	— بعض الدعاة يخفون جهلهم بأحكام الدين ، فيتكلّفون الاهتمام بعلم الباطن .	
500	— الأئمّة يلجأون إلى الرموز في حالة الشدّة ...	269
500	— فيفتون بخلاف ما يعتقدون ، ولكن ينسّون الساع .	
501	— متى يجب رفع الأخبار إلى الإمام ، ومتى يجوز كتمانها ؟	260
501	— لأحفاد الأئمّة مكانة خاصّة عندهم : المنصور عند المهديّ والمعزّ عند القائم .	261
502	— المهديّ يوجّه المنصور نحو طبّ الأرواح ، أي علم الباطن .	
507	— المعزّ يشكو فساد الناس وصعوبة سياستهم من ذلك .	262
508	— المنجّمون يتنبّؤون بموت المعزّ ...	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
508	— تنبأ المنصور للمعزّ بفتح مصر .	
509	— أهل السنة يروون عن الأئمة أحاديث مدلّسة .	263
510	— حادثة جعفر الصادق مع طالب الحديث .	
511	— قبة أهل الباطل وحياء أهل الحق .	264
511	— الأئمة لا يُعطون الحكمة إلا بمقدار .	265
512	— الله (عج) حثّ على الاقتصاد في بذل المال ...	
512	— فالإقتصاد في بذل الحكمة أوكد .	
513	— من السعادة أن لا يتجاوز الإنسان حدّه .	
514	— لا بدّ للإنسان من الرغبة في الحكمة .	
514	— لا يكون إمامان في زمن واحد .	
515	— التأويل له وجوه متعدّدة بحسب طاقة المتعلّم .	266
515	— من الأولياء والدعاة من يجيب السائل بغير علم ...	
516	— ولا يرجع إلى الأئمة فيما سئل عنه .	
516	— نيّة الفقير تجزيه عمّا لم يقدر عليه من أعمال الخير .	267
519	— إتاوةُ الفقراء إلى الأئمة أفضل من إتاوة الموسرين .	268
520	— قبول العطاء عند الله بحسب نيّة المعطي .	
521	— سنّ عليّ زين العابدين يوم كربلاء ...	269
521	— إمامته صحيحة حتى وإن كان في بطن أمّه .	
521	— المعزّ يبطل حجّيّة العقل ...	
522	— لأنّه قد يظهر الخطأ صواباً .	
522	— تدقيقات تاريخيّة من النعمان في أعمار أبناء الأئمة يوم كربلاء .	
523	— الأئمة لا يدعون النبوة والرسالة ...	270
523	— ولا يعلمون الغيب ، كما يزعم بعض الدعاة .	
524	— داع زائع يودّ أن يسأل عمّا لا يكون ...	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
524	— ولا جواب عما لا يكون .	
525	— النعمان يبتني دورا باحدى ضياعه ...	271
525	— فيكرها بمال كثير ، كل ذلك ببركة المعز .	
526	— حسن معاملة المعز لشبان كتامة .	272
526	— سواء عاقب الامام أو أثاب ، فإنما يطلب صلاح الأولياء .	
529	— المعز يوصي بحسن النية ...	273
529	— ويذم الاعجاب بالنفس .	
530	— ما شكر الله إنسان حق شكره ولو أفنى عمره في طاعته .	
530	— العثور على مواجل مدفونة بسوسة .	274
530	— المعز فكّر في فتح قنّاة بين البحر والمنصورية .	
531	— ما فضل الله به الخلفاء الفاطميين على غيرهم .	
531	— حسن معاملة المعز للأولياء والقواد في الحباء والأعطيات .	
531	— الجرايات تبقى لأهلهم بعد موتهم .	
532	— المطر يكذب تنبؤ المنجمين بالقحط .	275
533	— المعز يطيل القراءة واقفا ...	276
533	— فيصبيه وجع في رجله .	
533	— المعز يولي شابا حدثا خلافة أبيه على بعض الكور ...	277
534	— وينصحه بالإغضاء والتأني .	
535	— المعز يحجّر النياحة ...	278
535	— والنعمان يطبق القرار على النائحات ...	
535	— فيطار دهن بأعوانه ...	
535	— فلا يقدر عليهن ...	
535	— فيغضب المعز عليه ويأمره بالحزم والشدة .	
536	— امتعاض النعمان من اتهام المعز له ...	

الصفحة	الموضوع	الفقرة
536	— واسترضاء المعزّ له .	
537	— المعزّ يوبّخ المأمور بمراقبة النوائح .	
537	— المعزّ يحثّ النعمان على إمضاء الأحكام .	
541	— محبة المهديّ للمعزّ ، وهو طفل .	279
541	— ذكاء المعزّ وفطنته مذ كان طفلاً .	
542	— سبب بناء المهديّة : توقع المهديّ لفتنة أبي يزيد .	
542	— المهديّ يتنبأ للمنصور ، وهو جنين ، بكشف غمة أبي يزيد .	
543	— مرضعة المنصور هي إحدى أزواج المهديّ .	
543	— المعزّ يسأل النعمان عن ولديه ...	280
544	— ويلومه على الابطاء في تزويجهما من بنات حرائر ...	
544	— وجوب التحريّ في اختيار الكنات لغلبة السوء على نساء الوقت .	
545	— المعزّ يأمر النعمان بتأليف كتاب ويلخصّ له مادّته .	281
545	— فينبري النعمان في تأليفه ...	
545	— ويعرض قسماً منه على المعزّ فيستحسنه .	
546	— أولاد النعمان وبناته يطلبون أرضاً بالمنصوريّة ...	282
546	— فيبلغ النعمان رغبتهم إلى المعزّ معتذراً ...	
546	— فيأمر جوهرًا باقطاع النعمان الأرض المطلوبة .	
547	— رغبة الدعاة في الاستزادة من علم الامام وحكمته ...	283
547	— المعزّ يعدّ النعمان بإنجاز ما يطلبون .	
548	— هدايا الأولياء إلى المعزّ .	284
548	— المعزّ يتبرأ من بعض الأولياء الذين ينسبون إليه علم الغيب ...	285
549	— وقيمون شعائر لا تمتّ إلى الاسلام .	
550	— المعزّ يجدّد اللعنة عليهم ويستنكر قولهم وفعلهم .	
550	— المعزّ يدعو جلساءه إلى الاعتبار بجثة أسد ميت ...	286

الصفحة	الموضوع	الفقرة
550	— فقد النفس المحرّكة لهيكلة العظيم ، وأدوات بطشه .	
551	— ما أنفقه القائم في حرب أبي يزيد ...	287
	— مائة ألف دينار واثنى عشر مليون درهم ، قدرها حق قدرها فلم	
551	يزد عليها ، ولم يفضل منها .	
552	— بناءات المعزّ : القنوات وخزانات الماء والقصور ...	288
552	— المعزّ لم يرد بذلك إلاّ إظهار نعمة الله عليه .	
553	— الاعذار الجماعي سنة 351 .	
553	— جيش فاطميّ هزمه الثوّار البربر لأنّه وثق بعدده وعدّته .	289
554	— الاستخفاف بالعدوّ يجرّ الخيبة والهزيمة .	
555	— سوء عاقبة الاعجاب بالنفس .	
555	— المنصور يعتلّ بتاهرت حتى يئأس من الحياة .	290
555	— فيستعدّ لتعيين المعزّ ...	
555	— فبرى في منامه من يشتره بالنصر القريب مع العافية .	
556	— المعزّ يختن أبناءه عبد الله ونزارا وعقيلا ...	291
557	— ويأمر بأن يختن جميع الصبيان في كامل مملكته ...	
557	— فيستعظم الناس ، العدد والنفقة مع قصر المدّة ...	
558	— ولكنّ العمليّة تتمّ على حسب ما قدره المعزّ .	
559	— المعزّ يتقبّل التهاني من أوليائه بعد الختان الجماعي ...	292
559	— ويتألّم لفقر بعض رعيّته ...	
559	— فيدعو أصحابه إلى الرفق بهم ...	
560	— ويحذّرهم من الشقاق والتطاحن ...	
560	— ويدعوهم إلى الائتتمام به دون غيره والاعتراف بفضله ...	
561	— ويدعو أوليائه من كتامة إلى الوفاق والوئام ...	
561	— ويحذّرهم مغبّة الشقاق والتمرد ...	
562	— ونكران الجميل .	

قائمة المراجع

أ - بالعربية :

إدريس عماد الدين :

زهر المعاني ، مخطوط .

ضياء البصائر ، مخطوط .

الإدريسي :

صفة المغرب ، ليدن 1864 .

ابن أبي زرع :

الأنيس المطرب القرطاس ، طبع حجر ، المغرب ، د. ت .

ابن الأثير :

أسد الغابة ، كتاب الشعب 1970 .

الكامل في التاريخ ، القاهرة 1353 .

ابن جبير :

الرحلة ، نشر د. حسين نصّار ، القاهرة 1955 .

ابن جلجل :

طبقات الأطباء ، تحقيق فؤاد السيد ، القاهرة 1955 .

ابن الجوزي :

صفة الصفوة ، حيدرآباد 1355 هـ .

ابن حجر :

الاصابة (مع الاستيعاب لابن عبد البر) ، القاهرة 1939 .

تهذيب التهذيب ، حيدرآباد 1325 .

رفع الإصر (ذيل ك. الولاة والقضاة للكندي) بيروت ، 1908 ، ولیدن 1912 .

لسان الميزان ، بيروت 1970 . (مصورة عن طبعة حيدرآباد 1337 هـ) .

ابن حزم :

جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1962 .

ابن حنّاد :

أخبار ملوك بني عبيد ، نشر Vonderheyden ، الجزائر 1927 .

ابن حوقل :

صفة الأرض ، بيروت ، د. ت .

ابن حيّان :

المقتبس ، مخطوط . الجزء الخامس ، المكتبة الملكية ، الرباط .

ابن الخطيب :

أعمال الأعلام ، نشر ح. ح. عبد الوهاب ، بالرمو 1910 .

رقم الحلل في نظم الدول ، تونس 1316 .

ابن خلدون :

العبر ، طبع بولاق 1284 وبيروت 1956 .

ابن خلّكان :

وفيات الأعيان ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1969 .

ابن رشد (أبو الوليد محمد) :

بداية المجتهد ، القاهرة ، 1928 .

ابن سعد :

الطبقات الكبرى : دار صادر . بيروت .

ابن شهر آشوب :

معالم العلماء : النجف 1961 .

ابن عبد البر :

الاستيعاب (بهامش الإصابة) القاهرة 1939 .

ابن عذاري :

البيان المغرب . باريس 1948 .

ابن قتيبة :

تأويل مشكل القرآن ، تحقيق سيد أحمد صقتر . القاهرة 1970 .

عيون الأخبار ، القاهرة . 30-1924 .

كتاب المعارف . تحقيق د. ثروت عكاشة . القاهرة 1960 .

المعاني الكبير . حيدرآباد . 1368هـ .

ابن نذحي :

معالم الإيمان . ج 1 . تحقيق إبراهيم شيوخ . القاهرة . 1968 .

ابن هانئ (محمد) :

ديوان « تبين المعاني ... » نشر زاهد علي . القاهرة 1933 .

ابن الوليد :

دامغ الباطل . مخطوط .

لبّ المعارف (ضمن ثلاث رسائل إسماعيلية يمنية . تحقيق الحبيب النقي .

باريس 1970 مرقونة) .

ملحقة الأذهان ومنبهة الوسنان (مثلها) .

رسالة المبدأ والمعاد .

أبو الفداء :

تقويم البلدان . باريس 1840 .

باموي (د. عبد الرحمان) :

مخطوطات أرسطو في العربية . القاهرة . 1959 .

البكري :

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب . نشر دي سلان . الجزائر . 1911 .

التجاني (عبد الله) :

الرحلة ، تونس 1958 .

الثعالبي :

يتيمة الدهر ، القاهرة 1947 .

الجاحظ :

كتاب الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة . 1938 .

كتاب العثمانية . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة . 1955 .

الجزيري (عبد الرحمان) :

الفقه على المذاهب الأربعة ، القاهرة 1936 .

جعفر بن منصور اليمن :

كتاب الكشف . نشر ستروطمان . الهند 1952 .

تأويل الزكاة ، مخطوط .

الفترات والقرانات . مخطوط .

الجوذري (منصور الكاتب) :

سيرة الأستاذ جوذر ، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي

شعيرة ، القاهرة 1954 .

الحامدي (حاتم بن إبراهيم) :

الابتداء والانتفاء (ضمن ثلاث رسائل إسماعيلية ، تحقيق الحبيب الفقي) .

المجالس ، مخطوط .

حسن (حسن إبراهيم) وطه أحمد شرف :

المعز لدين الله الفاطمي . القاهرة ، 1948 .

حسين (محمد كامل) :

في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة ، 1972 .

طائفة الإسماعيلية ، القاهرة ، 1959 .

الحميري :

الروض المعطار ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1975 .

الخشني :

طبقات علماء إفريقية ، نشر محمد بن شنب ، الجزائر 1914 .

الخطاب :

غاية الموالي ، مخطوط .

خليفة بن خياط :

التاريخ ، تحقيق د. سهيل زكار ، دمشق . 1967 .

الذهبي :

ميزان الاعتدال ، القاهرة . 1325 .

السجستاني (أبو يعقوب) :

إثبات النبوات ، نشر عارف تامر ، بيروت . 1966 .

الينابيع . (ضمن Trilogie ismaélienne تحقيق Henri Corbin باريس

1961) .

السكري :

شرح أشعار الهدليين ، تحقيق عبد الستار فرّاج . القاهرة . 1965 .

الطباطباتي :

تفسير الميزان ، بيروت ، 1974 .

الطبري :

تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة . 1960

الطوسي :

كتاب الرجال ، النجف ، 1381/1961 .

العبدري :

الرحلة المغربية ، نشره محمد الفاسي ، الرباط ، 1968 .

عنان (محمد عبد الله) :

الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة 1959 .

الغزالي :

فضائح الباطنية، أو المستظهري، تحقيق د. عبد الرحمان بدوي، القاهرة 1964 .

القاضي النعمان :

انظر : النعمان .

القنطري :

إنباه الرواة على أنباه النحاة . تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم ، القاهرة 1950 .

تاريخ الحكماء . ليساك ، 1320هـ/1903م .

الكرماني (أحمد حميد الدين) :

راحة العقل، نشر محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمي ، ليدن 1953 .

رسائل الكرماني ، مخطوط .

المصابيح في إثبات الإمامة ، نشر مصطفى غالب ، بيروت 1969 .

الكندي (محمد بن يوسف) :

الولاية والقضاة ، تحقيق كست ، ليدن 1912 .

لويس (برنارد) :

أصول الاسماعيلية . تعريب خليل جلتو وجاسم الرجب . القاهرة د. ت .

المجدوع (إسماعيل) :

فهرسة الكتب والرسائل ، طهران 1966 .

المسعودي :

التنبية والإشراف ، ليدن 1893 .

المقدسي :

أحسن التقاسيم ، بريل ، ليدن 1906 .

المقريري :

اتعاظ الحنفا ، تحقيق د. جمال الشيال ، القاهرة ، 1948 .

الخطوط ، (المواعظ والاعتبار) ، بولاق 1316 .

المقفسي ، مخطوط .

المؤيد الشيرازي :

الديوان ، تحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ، 1949 .

المجالس المؤيدية ، مخطوط .

الميداني :

مجمع الأمثال ، بيروت ، 1961 .

الناصرى :

الاستقصا ، لأخبار دول المغرب الأقصى . الدار البيضاء . 1954

النعمان بن محمد (القاضي) :

أساس التأويل ، نشر عارف تامر ، بيروت 1960 .

افتتاح الدعوة (تحقيق د. وداد القاضي ، بيروت 1970) . و (تحقيق

د. فرحات الدشراوي ، تونس 1975) .

الاقتصار ، نشر محمد وحيد ميرزا ، دمشق 1975 .

تأويل الدعائم ، نشر محمد حسن الأعظمي ، القاهرة 1969 .

دعائم الاسلام ، نشر آصف أصغر فيضي ، القاهرة 1969 .

الهمة في آداب أتباع الأئمة ، نشر محمد كامل حسين . القاهرة د. ت .

الهمداني (حسين بن فيض الله) :

الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، القاهرة 1955 .

في نسب الفاطميين ، القاهرة ، 1958 .

اليافعي :

مرآة الجنان بيروت ، د. ت . (مصورة عن طبعة حيدرآباد) .

اليقوبي : كتاب التاريخ ، لندن 1883 .



ب - بغير العربية :

- M. Canard : — L'expansion arabo-islamique et ses répercussions, Variorum Reprints, London 1974.
— L'autobiographie d'un Chambellan du Mahdi Obeid-Allah le Fatimide (Traduction de la Sirat Ja'far al-Hâjib), Hespéris, 1952.
— Vie de l'Ustadh Jawdhar, Alger, 1958.
- F. Dachraoui : — Le Califat fatimide au Maghreb, thèse d'Etat (sous presse), Paris, 1970.
- H. R. Idris : — La Berbérie Orientale sous les Zirides, Paris, 1962.
- Ivanow (W.) : — Ismaili Literature, Téhéran, 1963.
— Studies in early persian ismailism, Bombay, 1955.
- Levi-Provençal : — Histoire de l'Espagne musulmane, Paris, 1950-3.
- B. Lewis : — The origins of Ismailism, Cambridge, 1940.
- G. Marçais : — L'architecture musulmane d'Occident, Paris, 1955.
— Manuel d'art musulman, Paris, 1962.
- L. Massignon : — Esquisse d'une bibliographie qarmate.
- O. Schlumberger : — Un empereur byzantin au Xème siècle : Nicéphore Phocas, Paris, 1890
- N. Solignac : — Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan, Alger, 1953.

